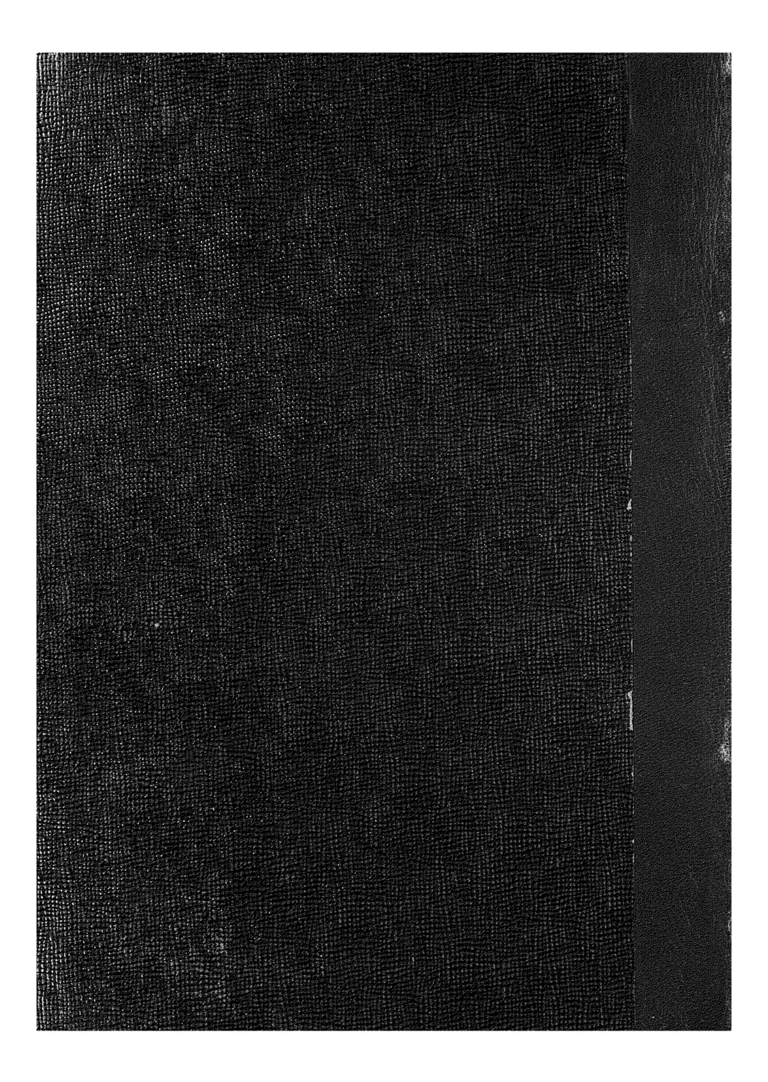


تراثنا



تأليف

أبي الفرج الأصبهاني علي بن الحسين

٣٥٦ هـ - ٩٧٦ م

الجزء الخامس عشر

بتحقيق عبد السلام محمد هارون
مصور عن طبعة دار الكتب

طبعة كاملة الأجزاء معها فهرس
جامع وتصويبات واستدراكات

وزارة الثقافة والإرشاد القومي
المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الجـــزء الخامس عشر

من كتاب الأغانى

صــــوت

٥ هَلْ فى ادّكار الحبيب من حَرج * أمْ هَلْ لهمِّ الفؤادِ مِن فَرَج

أم كيفَ أنْسى رحيلَنا حُرُماً * يوم حَلَلنا بالنَّخل من أمَـج[1]

يومَ يقولُ الرسولُ قد أذِنَتْ * فائتِ على غير رِقْبَـةٍ فلِـجِ

أقبلتُ أسـَـعى إلى رحالِهمُ * فى نَفحةٍ من نسـيمِها الأرِجِ

الشعر لجعفر بن الزُّبير[2]، والغناء للغَريض، خفيفُ ثقيلٍ أوّل، بإطلاق الوتر

١٠ فى مجرى البِنصر، عن إسحاق . وذكر عَمرو بن بانَةَ أنه لدَحْمانَ فى هـذه الطريقة والمجرى . وذكره يونُس بغير طريقةٍ وقال : فيه لحنان : لابن سُريج والغَرِيض . وذكر الهشامىّ أنّ لحن ابن سُريج رملٌ بالوُسطى .

---

(١) أمج ، بالتحريك : بلد من أعراض المدينة .

(٢) الأبيات نسبت فى معجم البلدان إلى عبيد الله بن قيس الرقيات .

أخبار جعفر بن الزُّبير ونسبه

نسبه

جعفر بن الزُّبير بن العوّام بن خُويلد بن أسَد بن عبد العُزّى بن قُصَىّ ابن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤى بن غالب . وأم جعفر بن الزبير زينب بنت بشر بن عبد عمرو، من بنى[1] قيس بن ثعلبة بن عُكابة بن صَعْب بن علىّ بن بكر ابن وائل .

قصته مع سليمان ابن عبد الملك فى فرض الأعطيات

أخبرنى الطُّوسى قال : حدّثنا الزبير بن بكّار قال : حدّثنى مصعب بن عثمان قال : أخبرنى جدّك[2] عبد الله بن مُصعب عن[3] أبى عثمان بن مصعب ، عن شعيب ابن جعفر بن الزبير قال :

فرضَ سليمانُ بن عبد الملك للناس فى خلافته، وعُرِض الفرضُ . قال : وكان ابن حزم[4] فى ذلك محسناً يَعْلَمُ الله ، إنّه كان يأمر الغلمان أن يتطاولوا على خفافهم ليرفَعَهم بذلك .

قال شُعيب بن جعفر بن الزبير : فقال لى سليمان بن عبد الملك : من أنت؟ قلت : شعيب بن جعفر بن الزبير . فقال : ما فعَلَ جعفر ؟ فقال له عمر ابن عبد العزيز : يا أمير المؤمنين[5] على الكبَر والعيال . فقال : قُل له يحضُر الباب .

(١) هذا ما فى ط ، مب ، مط . وفى م : « بن عبد عزى من بنى قيس » وفى سائر النسخ : « بن عبد عمرو بن قيس » .

(٢) كذا فى ط ، مب ، مط . وهو الصواب ؛ إذ أن عبد الله بن مصعب ، هو جدّ الزبير بن بكار . وفى بعض النسخ : « جدى » بدل « جدك » ، تحريف .

(٣) م : « عن عثمان » .

(٤) هو محمد بن حزم ، ذكر المسعودى فى التنبيه والإشراف ٢٧٥ أنه كان قاضى سليمان بن عبد الملك .

(٥) يا أمير المؤمنين ، من ط ، مب ، مط .

فقال لجعفر، احضُر الباب . فدعا المنذر بن عبيدة بن الزبير، فرفع معه رقعةً وأرسله إلى عمر بن عبد العزيز، فيها قوله :

يا عُمَـرَ بن عمر بن الخطّاب * إنّ وقوفى من وراء الأبواب
* يَعدِلُ عندى حَطْمَ بعضِ الأنياب[(١)] *

٥ قال : فلما قرأها عمر عَذَرَه عند سليمان، فأمر له سليمانُ بألف دينارٍ فى دَينه، وألف دينارٍ معونةً على عيـاله ، و برقيقٍ من البِيض والسُّودان ، وكثيرٍ من طعام الجارى[(٢)] ، وأن يُدَان من الصَّدقة بألفى دينار . قال : فلما جاء ذلك إلى أبى قال : أعطيتَه من غير مسألة ؟ فقيـل : نعم . قال : الحمـد لله ، ما أسخى هـذا الفتى ! ما كان أبوه سخيا ولا ابن سخىٍّ . ولكنّ هذا كأنه[(٣)] من آل حرب . ثم قال :

١٠ فما كنت ديانا[(٤)] فقد دِنت إذ بَدَتْ * صُكوكُ أمـيرِ المؤمنـين تدور
بوَصْلِ أولى الأرحامِ قَبلَ سؤالهم * وذلك أمرٌ فى الكرام كثيرُ

قال بعض من روى هذا الخبرَ عن الزبير : الناس لا ينظرون فى عَيب أنفسهم، وما كان لجعفرٍ أن يعيبَ أحدًا بالبخل؛ وما رئى فى الناس أحدٌ أبخل منهم أهـلِ البيتِ ولا من عبد الله بن الزبير خاصة ، وما كان فيهم جوادٌ غيرَ مصعب .

١٥ قال الزبير : حدّثنى عمى، قال : كان السلطان بالمدينة إذا جاء مال الصـدقة أدَانَ مَن أراد من قريش منـه[(٥)] ، وكتب بذلك صَكًّا عليـه ، فيستعيدُهم به ،

(١) يعدل : يساوى . س : « بعدك » . أ ، ط : « بعض أنياب » ، أى أنيابى .
(٢) ط ، مب : « ومن طعام الجار » .
(٣) كأنه ، ساقطة من ط ، مب .
٢٠ (٤) أراد بالديان هنا المقترض ، كالمديان .
(٥) ط ، مب ، مط : « منها » ، برجوع الضمير إلى « الصدقة » .

ويختلفون إليه ، ويديرونه (١) ، فإذا غضب على أحدٍ منهم استخرجَ ذلك منه (٢) ، حتّى كان هارونُ الرشيدُ ، فكلّمه عبدُ الله بن مصعب فى صُكوكٍ بقيت من ذلك على غيرِ واحدٍ من قريش ؛ فأمر بها فخُرِّقت عنهم ، فذلك قولُ ابنِ الزبير :

فا كنتُ ديّانًا فقد دِنتُ إذ بَدَتْ * صكوكُ أميرِ المؤمنين تدورُ

قال الزبير : وحدّثنى عمّى مُصعبٌ قال : ٥

شهد جعفرُ بن الزبير مع أخيه عبدِ الله حربَه ، واستعمله عبد الله على المدينة ، وقاتل يومَ قُتِل عبد الله بن الزبير، حتّى جَمَد الدمُ على يده، وفى ذلك يقول جعفر :

لعمرُكَ إنّى يوم أجلَتْ ركائبى (٣) * لأطْيَبُ نفسًا بالجلادِ لدى الرُّكْنِ

ضَنينٌ بمن خَلْفى شحيحٌ بطاعتى * طِرادُ رجالٍ لا مُطاردة الحُصْنِ

ـــ الحصن : جمع حِصان ، يقول : هذا طرادُ القتال لا طراد الخيل فى الميادين ـــ ١٠

غداةَ تحامَتْنا تُجيب وغافِقٌ * وهَمْدانُ تبكى من مُطاردةِ الضِّبْنِ (٤)

قال الزبير :

عاتب أخاه عروة وقال شعرا

وحدّثنى عمى مصعبُ بن عثمان ؛ أنّ جعفر بن الزبير كانت بينه وبين أخيه عروةَ معاتبةٌ ، فقال فى ذلك :

(١) س : «ويداورونه» . أ : «ويديرونه» ، وأثبت ما فى ط ، مب ، مط . يقال : أدرته عن الأمر، إذا طلبت منه تركه . ١٥

(٢) الاستخراج : استصفاء أموال من اتهم باختلاس الدولة ، وكانوا يستخدمون كل ما لديهم من وسائل التعذيب والإرهاق لاستخراج هذه الأموال ، وكان لهذا قيم يسمونه «صاحب الاستخراج» . انظر البيان والتبيين للجاحظ (٢ : ١٦٦) .

(٣) ط ، مب ، مط : «كتائبى» موضع «ركائبى» . ٢٠

(٤) تجيب ، بضم التاء وفتحها : بطن من كندة . س : «يجنب» ، تحريف . والضبن ، لعله يعنى بهم بنى ضبينة ، وهم حى من قيس .

لا تَلحَيِنّى يابنَ أمّى فإنّنى * عدوٌّ لمن عاديتَ يا عُروَ جاهدُ
وفارقتُ إخوانى الذين تتابعوا * وفارقتُ عبدَ الله والموتُ عاند (١)
ولولا يمينٌ لا أزال أبرُّها * لقد جمعَتْنا بالفناء المقاعد (٢)

رثاؤه لولده

قال الزبير : أنشدتنى عمّتى أسماءُ بنت مصعبِ بن ثابتٍ، لجعفرِ بن الزبير، وأنشدنيه غيرُها يرثى ابنًا له (٣) :

٥

صوت

أهاجَكَ بينٌ من حبيبٍ قد احتمَلْ * نعَمْ ففؤادى هائمُ العقلِ مُختبَلْ
وقالوا صُحَيرْاتِ اليمام وقدّموا * أوائلَهم من آخرِ الليل فى الثَّقَل (٤)
مررنَ على ماءِ العُشَيرة والهوى * على مَلَلٍ يا لهفَ نفسى على مَلَل (٥)
فتَى السنِّ كهلُ الحِلمِ يهتزُّ للندَى * أمرُّ من الدِّفْلَى وأحلى من العسَل (٦)

١٠

فى هذه الأبيات خفيف رمل بالبنصر، نسبه يحيى المكى إلى ابن سريج، ونسبه الهشامىّ إلى الأبجر، قال : ويقال إنه لابن سهيل .

قصة فى بيتين من شعره

فأخبرنى الحسن بن علىّ قال : حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنى — وخبره أتمّ — قال : اصطحب قوم فى سفر، ومعهم رجلٌ يغنّى، وشيخٌ عليه أثر النُّسك والعبادة، فكانوا يَشتهونَ أن يغنّيهم الفتى ويَستحْيُون من الشّيخ، إلى أن

١٥

(١) العاند : العاتى الشديد .
(٢) أ، س : « لا أراك » تحريف ، صوابه فى ط، مب، مط .
(٣) كذا فى ط، مب، مط . وفى بعض النسخ : « لها » .
(٤) ويقال أيضا « صخيرات الثمام » كما فى معجم البلدان، وهو موضع ذكر فى غزاة بدر .
(٥) العشيرة بلفظ التصغير، كما فى معجم البلدان . وملل : واد ينحدر من ورقان حتى يصب فى الفرش .
(٦) الدفلى، بكسر الدال : نبات شديد المرارة .

٢٠

بلغوا إلى صُحَيرات اليمام، فقال له المغنّى : أيها الشيخ إنّ علىّ يميناً أن أنشدَ شعراً إذا انتهيتُ إلى هذا الموضع ، و إنّى أهابُك وأستحى منك، فإن رأيت أن تأذنَ لى فى إنشاده أو تتقدّم حتّى أوفىَ يمينى ثم نلحقَ بك فافعلْ . قال : وما علىّ من إنشادك؟ ! أنشِدْ مابدا لك . فاندفع يغنى:

وقالوا صُحَيرات اليمام وقدّموا * أوائلَهم من آخرِ الليل فى الثَّقَلْ
ووردنَ على ماء العُشَيرة والهوى * على مَلَلٍ يا لهف نفسى على مَلَلْ

فجعل الشيخُ يبكى أحرَّ بكاءٍ وأشجاه، فقالوا له : مالكَ ياعمّ تبكى ؟ فقال : لا جُزِيتم خيرًا ؛ هذا معكم طُولَ هذا الطريق وأنتم تبخَلُون علىّ به أتفرّج به[1] ويقطع عنّى طريق ؛ وأتذكّر أيامَ شبابى . فقالوا : لا والله ما كانَ يمنعُنا منه غيرُ هيبتك . قال : فأنتم إذًا معذورون . ثم أقبل عليه ؛ فقال : عُدْ فديتُك إلى ما كنتَ عليه. فلم يَزَلْ يغنّيهم طُولَ سفرِهم حتّى افترقوا .

شعره فى ترقيص ابنته أم عروة

قال الزبير : وأخبرنى مصعب بن عثمان أن أمّ عروة بنت جعفرِ بن الزبير أنشدته لأبيها جعفرٍ وكان يرقّصها بذلك :

يا حبّذا عُروةُ فى الدَّمالِج[2] * أحَبُّ كلّ داخلٍ وخارج

شعره فى ابنه صالح فى غزوه أرض الروم

قال : وأخبرتنى أن أخاها صالحَ بنَ جعفرٍ غزا أرضَ الروم، فقال فيه جعفر :

قد راحَ يومَ السبتِ حِينَ راحُوا[3] * مع الجَمَال والتُّقى صَلاحُ
من كلِّ حىٍّ نفرٌ سِماحُ * بيضُ الوجوهِ عَرَبٌ صِحاحُ
وفزِعوا وأخذ السلاحِ * وهم إذا ما كُرِه الشِّياحُ[4]
* مصاعبٌ يكرهها الجراحُ *

(١) أتفرّج به : ألتمس الفرج مما أنا فيه من ضيق .
(٢) الدمالج : جمع دملج ، وهو حلية تلبس فى العضد . ط ، مب ، مط : « فى الروائح » .
(٣) فى بعض النسخ : « حتى راحوا » ، صوابه فى ط ، مب ، مط .
(٤) الشياح : المقاتلة . وهذا الشطر من ط ، مب ، مط .

قال الزبير : ولجعفر شعرٌ كثير قد نُحِلَ عمرَ بن أبى ربيعة ودخَلَ فى شعره . فأمَّا الأبياتُ التى ذَكرتُ فيها الغِناءَ فمن الناس مَن يرويها لعمر بن أبى ربيعة، ومنهم مَن يرويها للأحوص وللعَرْجىّ، وقد أنشَدنيها جماعةٌ من أصحابنا لجعفر بن الزبير. وأخبرنى بذلك الحَرَمىُّ، والطوسىّ، وحبيب بن نَصر المهلَّبى، وذكر الأبيات . وأخبرنيه عمِّى عن ابن أبى سعد [عن سعيد بن عمرو عن أم عروة بنت جعفر مثله . قال ابن أبى سعد](١) : قال الحزامىّ : الناس يَرْوُونها للعَرْجىّ، وأمُّ عروةَ أصْدَقُ .

أخبرنى الطوسىّ قال حدّثنا الزبير قال : حدّثنى سعيد بن عمرو الزبيرىّ قال : تزوّج جعفر بن الزبير امرأةً من خُزاعة وفيها يقول :

تزوجه امرأة من خزاعة

* هل فى آدّكارِ الحبيبِ من حَرَج *

الأبيات . وزاد فيها بيتين وهما :

تُسفِر عن واضحٍ إذا سَفَرتْ * ليس بذى آمَةٍ ولا سَمِجِ(٢)

وسقط البيت الآخر من الأصل .

وفاته وكثرة من شيع جنازته

قال الزبير فى رواية الطوسى : حدّثنى مصعب بن عثمان وعمى مصعب قالا : كان جماعةٌ من قريش مُنتَجِينَ عن المدينة، فصدر عن المدينة بَدَوىّ فسألوه : هل كان للمدينة خبر ؟ قال : نعم مات أبو الناس . قالوا : وأنَّى ذلك؟ قال: شهده أهل المدينة جميعًا ، وبُكِىَ عليه من كلِّ دار . فقال القوم : هذا جعفر بن الزبير، فجاءهم الخبر بعدُ أنَّ جعفرَ بن الزُّبير مات .

---

(١) هذه التكملة من ط، مب، مط فقط .

(٢) الآمة ، كقامة : العيب . والسمج : القبيح ذو السماجة .

شعره فى زواج الحجاج بنت عبد الله بن جعفر

أخبرنى عمى قال: حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال : حدّثنى إبراهيم بن معاوية عن أبى محمد الأنصارىّ، عن عروة بن هشام بن عروة عن أبيه ؛ قال :

لمّا تزوّج الحجّاجُ وهو أميرُ المدينة بنتَ عبدِ الله بن جعفرِ بن أبى طالب، أتى رجلٌ سعيدَ بن المسيّب فذكر له ذلك ، فقال : إنى لأرجو أن لا يجمع الله بينهما ، ولقد دعا داعٍ بذلك فابتهل ، وعسى الله ، فإن أباها لم يزوّج إلا الدراهم . فلما بلغ ذلك عبد الملك بن مروان أبرَدَ البريدَ إلى الحجاج، وكتب إليه يُغْلِظ له ويقصِّر به، ويذكر تجاوُزَه قدْرَه ، ويُقْسِمُ بالله لئن هو مسّها ليقطعن أحبَّ أعضائه إليه ، ويأمُره بتسويغ أبيها المهر[1] ، وبتعجيل فراقها . ففعلَ ، فما بقى أحد فيه خير إلا سَرّه ذلك .

وقال جعفر بن الزبير وكان شاعرًا فى هذه القصة :

وجدتُ أميرَ المؤمنين ابنَ يوسُفٍ * حَمِيًّا من الأمر الذى جئتَ تَنْكَفُ[2]

ونُبِّئْتُ أنْ قد قالَ لمّا نكحتَها * وجاءت به رسْلٌ تخُب وتُوجِفُ[3]

ستَعلمُ أنّى قد أنِفتُ لمَا جَرَى * ومثلُكَ منه عَمْرَكَ اللهَ يُؤنَفُ

ولولا انتكاسُ الدهرِ ما نالَ مثلها * رجاؤُك إذ لم يرجُ ذلك يُوسُفُ

أبِنتَ المصفَّى ذِى الجناحَين تبتغى * لقد رُمْتَ خَطْبًا قدرُه ليس يُوصَفُ[4]

(١) التسويغ : الإعطاء .

(٢) ابن يوسف، أراد يابن يوسف ، يعنى الحجاج . والحمى : الذى أخذته الحمية ، وهى الأنفة والغيرة . ويقال نكف عن الأمر : عدل .

(٣) الخبب والإيجاف : ضربان من السير السريع .

(٤) ذو الجناحين : جعفر بن أبى طالب . كان قد حمل لواء المسلمين فى يوم مؤتة بيمينه فقطعت، ثم بشماله فقطعت، فاحتضنه بعضديه فقتل وخر شهيدا ، فيقولون : إنه عوض من يديه جناحين يطير بهما فى الجنة . الإصابة ١١٦٢ .

صــــوت

كأنْ لم يكُن بينَ الحَجُونِ إلى الصَّفا * أنيس ولم يســـمُرْ بمكَّةَ سامِرُ [1]
بَـلَى نحنُ كنَّا أهلهـا فأبادنا * صروفُ الليـالِي والجـدودُ العواثِر [2]

عروضه من الطويل . الشعر فيما ذكر ابنُ إسحاق صاحب المغازى لمُضَاض ابن عمرو الجرهمىّ . وقال غيره : بل هو للحارث بن عمرو بن مضاض .

أخبرنا بذلك الجوهرىُّ عن عُمَر بن شـبة عن أبى غسان محمـد بن يحيى عن غسان بن عبد الحميد . وقال عبد العزيز بن عمران [3] : هو عمرو بن الحارث بن مضاض . والغناء ليحيى المكى ، رمل بالوسطى عن عمرو . وفيـه لإبراهيم الموصلى ماخورىّ بالبنصر . وفيه لأهل مكة لحنٌ قديم ذكَره إبراهيمُ ولم يجنّسْه .

---

(١) الحجون ، بفتح الحاء : جبـل بمعلاة مكة . والصفا : من مشاعر مكة بلحف أبى قبيس .

(٢) الجدود : الحظوظ . العواثر ، يعنى بها الخوائب .

(٣) ابن عمران ، من ط ، مب ، مط .

ذكر خبر مُضَاض بن عمرو

أمر إبراهيم عليه السلام ابنه إسماعيل أن يتزوج ابنته

هو مضاض بن عمرو بن الحارث الجرهمىّ . وكان جدُّه مضَاضٌ قد زوّج ابنته رَعْلة ، إسماعيلَ بنَ إبراهيم خليل الرحمن ، فولدت له اثنى عَشَر رجلًا أكبرُهم قيذارُ ونابت . وكان أبوه إبراهيم عليه السلام أمرهُ بذلك لأنّه لما بنى مكة وأنزلها ابنَه قدم عليه قَدْمةَ من قَدَماته ، فسمع كلامَ العرب وقد كانت طائفةٌ من جرهم نزلت هنالك مع إسماعيل ، فأعجبَتْه لغتُهم واستحسَنَها ، فأمر إسماعيلَ عليه السلام أن يتزوَّجَ إليهم ، فتزوّجَ بنتَ مضاض بن عمرو ، وكان سيِّدَهم .

حرب جرهم وقطوراء

فأخبرنا محمد بن جرير ، قال: حدّثنا ابن حميد قال حدّثنا سلمة بن الفَضْل عن محمد بن إسحاق . وأخبرنى محمد بن جعفر النحوىّ قال : حدّثنا إسحاق بن أحمد الخزاعى قال حدّثنا محمد بن عبد الله الأزرق قال : حدّثنى جدّى عن سعيد بن سالم عن عثمان ابن ساج عن محمد بن إسحاق . ورواية إسحاق بن أحمد أتمُّ . وقد جمعتها :

أن نابتَ بن إسماعيلَ ولِىَ البيتَ بعد أبيه ثم توُفِّىَ ، فولى مكانه جدُّه لأمه مُضاضُ بن عمرو الجرهمى ، فضمَّ ولدَ نابت بن إسماعيل إليه ، ونزلت جُرهمٌ مع مَلِكهم مضاض بن عمرو بأعلى مكة ، ونزلَتْ قَطُوراء مع مليكهم السَّمَيْدع أجيادَ ، أسفلَ مكة[1] . وكان هذان البطنانِ خرجا سَيَّارةً من اليمن ، وكذلك كانوا لا يخرُجون إلّا مع ملكٍ يُمَلِّكونه عليهم ، فلما رأوا مَكّةَ رأَوْا بلدًا طيِّبا ، وماءً وشجرا ، فنزلَا ورضى كلُّ واحدٍ منهما بصاحبه ولم ينازِعْه ، فكان مُضاض يَعْشِر[2] من جاء مكّةَ من أعلاها ،

(١) أجياد : أرض بمكة ، أو جبل بها .

(٢) عشره يعشره عشرا ، من باب نصر : أخذ عشر ماله .

وكان السَّميدع يَعشِر مَن جاءها مِن أسفلها ومن كَدَاء،[1] لا يدخُل أحدُهما على صاحبه في أمره، ثم إن جرهمًا وقَطُوراءَ بَغَى كلٌّ واحد منهما على صاحبه، فتنافَسوا في المُلْك حتّى نَشِبت الحربُ بينهم، وكانت ولايةُ البيت إلى مُضاضٍ دونَ السَّميدع، فخرجَ مضاضٌ من بطنِ قُعَيقعان مع كتيبته في سِلاحٍ[2] شاكٍ يتقعقع — فيقال: ما سميت قُعَيْقِعان إلا بذلك — وخرج السميدع من شِعب[3] أجيادَ، في الخيل الجيادِ والرجال — ويقال: ما سميت أجيادًا إلا بذلك — حتى التقَوا بفاضح، فاقتتلوا قتالا شديدا، وفُضِحت قَطُوراء — ويقال: ما سُمِّي فاضحًا إلا بذلك — ثم تداعى القومُ إلى الصلح فساروا حتّى نزلوا المطابخ شِعبًا بأعلى مكّة، وهو الذي يقال له الآن شِعب ابنِ عامر فاصطلحوا هنــاك، وسلَّموا الأمر إلى مضاض؛ فلمّا اجتمع له أمرُ مكّة، وصار مَلِكَها دونَ السَّميدع نَحَرَ للناس فطَبَخُوا هناك الجُزُر، فأكلوا، وسُمِّي ذلك الموضع المطابخ.[4] فيقال: إنّ هذا أوّلَ بَغْيٍ بمكّة، فقال مضاض بن عمرو في تلك الحرب:

نحنُ قتلنا سيِّدَ الحيِّ عَنوةً * فأصبحَ منها وهو حيرانُ مُوجَعُ

— يعنى أنّ الحيَّ أصبح حَيرانَ موجَعا —

وما كانَ يبغِي أن يكونَ سَواؤنا[5] * بهــا مَلِكًا حــتّى أتانا السَّــميدعُ

فــذاق وبالًا حــين حاوَلَ مُلْكَنا * وحاولَ مِنّا غُصَّــةً تُتجــرَّعُ[6]

ونحنُ عمــرنَا البيتَ كُنّا وُلاتَه * نُضارِب عنه مَنْ أتانا وندفع

(١) كذا في أ، ط، مب، مط. وفي سائر النسخ: «كدى». أما الممدودة فهى بفتح الكاف، وأما المقصورة فبضمها. فقيل المقصورة بأسفل مكّة والممدودة بأعلاها، وقيــل العكس أيضا. انظر معجم البلدان.

(٢) السلاح الشاكى: ذو الشوكة والحد. (٣) الشعب، بالكسر: الطريق في الجبل.

(٤) الكلام بعده إلى قوله: «ثم رموا بالجدب من خلفهم» ساقط من ط.

(٥) سواؤنا: لغة في سوانا. (٦) أ: «يتجرع».

٥ ١٠ ١٥ ٢٠

وما كان يبغى ذاك فى الناس غيرُنا * ولم يك حىٌّ قبلنا ثَمَّ يمنــعُ

وكُنّا ملوكًا فى الدهور التى مضَتْ * ورِثْنا مُلوكًا لا تُرام فتُوضَــعُ

قال عثمان بن ساج فى خبره :

انتقام من استخف بحق البيت

وحدّثنى بعضُ أهلِ العلم أنّ سـيلًا جاءَ فدخل البيتَ فانهدم ، فأعادته جرهم على بناءِ إبراهيم ، بناهُ لهم رجلٌ منهم يقال له أبو الجدرة وآسمه عمر الجارود ، وسمّى بنوه الجَدَرة . قال : ثم استخفّتْ جرهمٌ بحقِّ البيت ، وارتكبوا فيه أموراً عظاما ، وأحدثوا فيه أحداثًا قبيحة ، وكان للبيت خزانة ، وهى بئرٌ فى بطنه ، يُلقَى فيها الحَلْىُ والمتاع الذى يهدى له ، وهو يومئذ لا سَقْفَ عليه ، فتواعَدَ عليه خمسةٌ من جرهم أن يَسرقوا كلَّ ما فيه ، فقام على كلِّ زاوية من البيت رجلٌ منهم واقتحم الخامس ، فجعل الله عزّ وجل أعلاه أسفلَه ، وسقط منكَّسًا فهلَك ، وفرّ الأربعة الآخرون .

خبر إساف ونائلة

قالوا : ودخل إسافٌ ونائلةُ(١) البيتَ ففجَرَا فيه ، فمسخهما الله حَجَرين ، فأُخرِجا من البيت . وقيل إنّه لم يفْجُر بها فى البيت ، ولكنه قبَّلَها فى البيت .

وذكر عثمان بن ساج عن أبى الزناد ، أنه إساف بن سَهيل ، وأنها نائلة بنت عمرو بن ذئب . وقال غيره : إنها نائلة بنت ذئب . فأُخرجا من الكعبة ، ونُصبا ليعتبِر بهما من رآهما ، ويزدجرَ النّاسُ عن مِثْلِ ما ارتكبا ، فلما غَلَبتْ خُزاعةُ على مكة ونُسِىَ حديثُهما ، حوَّلها عَمـرُو بن لحىّ بن كلابٍ بعـد ذلك ، فجعلهما تُجاهَ الكعبةِ يُذبَحُ عندَهما عندَ موضعِ زمزم .

دفاع مضاض عن حرمة البيت

قالوا : فلمـا كثر بغىُ جرهم بمكة قام فيهم مضَاض بن عمرو بنِ الحـارث ابن مضاض فقال :

(١) هما اللذان يزعم العـرب أنهما مسخا حجرين فجعلا صنمين يعبدان . وإساف ، بفتح الهمزة وكسرها . وكان هذا الصنم على الصفا . وأما نائلة فكان على المروة . وكان يذبح عليهما تجاه الكعبة .

يا قـوم احذَرُوا البغىَ ، فإنّه لا بقاء لأهـله ، وقَدْ رأيتم مَن كان قبلكم من العماليق استخفُّوا بالحَـرَم ولم يعظِّموه وتنـازعوا بينَهم واختلفوا، حتّى سلطكم الله عليهم فاجتحتموهم[١] فتفـرّقوا فى البلاد، فلا تستخفُّوا بحقِّ الحرمِ وحُرمةِ بيت الله، ولا تظلمـوا مَنْ دخَله وجاءه معظِّما لحُرماته ، أو خائفـا ، أو رغب فى جواره ، فإنّكمْ إنْ فعلتم ذلكم تخوّفْتُ أن تخرجوا منه خروجَ ذُلٍّ وصَغَار، حتّى لا يقدرَ أحدٌ منكم أن يصلَ إلى الحرم ، ولا إلى زيارة البيت الذى هو لكم حِرزٌ وأمْن ، والطّيرُ تأمَن فيه .

فقال قائل منهم يقـال له مجدع : ومن الذى يُخرجنا منـه ؟ ألسـنا أعزَّ العـربِ وأكثَرَهم مالا وسـلاحا ؟ فقـال مضاض : إذا جاء الأمرُ بطَـلَ ما تذكرون ؛ فقـد رأيتم ماصَنَع الله بالعماليق ! قالـوا : وقد كانت العماليق بغَتْ فى الحـرمِ ، فسلَّطَ الله عزّ وجل عليهـم الذّرّ[٢] فأخرجهم منه، ثم رُمُوا بالجَـدْبِ مِن خلفِهم حتّى ردَّهم الله إلى مساقط رءوسهم ، ثم أرسـلَ عليهم الطوفان — قال : والطوفان : الموت — قال : فلمـا رأى مضاض بن عمرو بَغْيَهـم ومُقامَهم عليـه ، عَمَد إلى كنـوز الكعبة ، وهى غَزَالانِ من ذهبٍ ، وأسـيافٌ قَلَعِيّة[٣] ، لحفر لها ليلًا فى موضع زمزم، ودفنها . فبيناهمْ على ذلك إذ سارت القبائلُ من أهلِ مَأرِب، ومعهم طُرَيقةُ[٤] الكاهنة، حين خافوا سَيلَ العرِم، وعليهم مزيقياء وهو عمرو بن عامر بن ثعلبة بن امرئ القيس بن مازن بن الأزد بن الغوث بن نَبْت ابن مالك بن زَيد بن كهلانَ بن سبأ بن يَشجُب بن يَعرُب بن قحطان ، فقالت لهم

---

(١) الاجتياح : الاستئصال والإهلاك . (٢) الذر : صغار النمل .

(٣) القلعية : نسبة إلى القلعة بالفتح والتحريك ، وهو بلد ببلاد الهند تنسب إليه السيوف الجياد .

(٤) طريقة ، بالقاف فى ط ، أ ، مب . وفى سائر النسخ بالفاء .

طُرَيفة لمّا قاربوا مكة[1] : « وحَقٌّ ما أقول[2]، وما علّمنى ما أقولُ إلا الحكيمُ المحكَّم، ربُّ جميع الأمم، من عَرَب وعَجَم » . قالوا لها : ما شأنُك ياطريفة ؟ قالت : « خُذوا البعيرَ الشدقم[3]، فخضِّبوه بالدّم، تكنْ لكم أرضُ جُرهم، جيرانِ بيته المحرَّم » . فلما انتهَوْا إلى مكّة وأهلها أرسلَ إليهم عمرٌو ابنهُ ثعلبة ، فقال لهم : يا قوم ، إنّا قد خرجنا من بلادنا فلم ننزلْ بلدةً إلا أفسح أهلُها لنا، وتزحزحوا عنّا، فنقيم معهم حتّى نُرسلَ رُوّادًا فيرتادوا لنا بلدًا يحملنا ، فافسَحُوا لنا فى بلادكم حتّى نقيمَ قَدْرَ ما نستريح ، ونرسل رُوّادنا[4] إلى الشّام وإلى الشرق ، فحيثُما بلَغنَا أنه أمْثَلُ لحقنا به، وأرجو أن يكون مُقامنا معكم يسيرًا، فأبت ذلك جرهمٌ إباءً شديدا، واستكبروا فى أنفسهم، وقالوا : لا والله، ما نحبُّ أن تنزلوا فتضيِّقوا علينا مَرابعنا[5] ومَواردَنا، فارحَلوا عنا حيثُ أحببتم، فلا حاجةَ لنا بجوارِكم . فأرسلَ إليهم : إنّه لابدّ من المقام بهذا البلدِ حولًا ، حتى ترجع إلىَّ رسلِى التى أرسلتُ ، فإن أنزلتمونى طَوعاً نزلتُ وحمِدتُكم وآسَيتُكم[6] فى الرَّعى والماء ، وإنْ أبيتم أقمتُ على كَرْهكم ثم لم ترتعوا[7] معى إلّا فَضْلا، ولم تشربوا إلا رَنْقا[8]، وإنْ قاتلتمونى قاتلتكم، ثُمّ إنْ ظَهرتُ عليكم سَبيتُ النساء وقتلتُ الرجال، ولم أترك منكم أحدًا ينزل الحرمَ أبدا ! فأبَتْ جرهمٌ أن تُنزلَه

(١) كذا على الصواب فى ط ، مب ، مط . وفى أ : « لما قاموا » . وفى سائر النسخ « لا تؤموا مكة » ، تحريف .

(٢) هذا هو الصواب فى ط ، مب ، مط . وفى سائر النسخ : « حتى أقول » .

(٣) الشدقم : الواسع الشدق .

(٤) كذا فى ط ، مب ، مط . وفى سائر النسخ : « روادا » .

(٥) المرابع : جمع مربع ، وهو موضع الإقامة فى الربيع .

(٦) المواساة والمؤاساة : التسوية . ط ، مب ، أ «وواسيتكم» . ونص فى القاموس أنها لغة رديئة .

(٧) الارتعاء : الرعى .

(٨) الرنق بالفتح والسكون ، وككتف وجبل : الماء الكدر .

طَوعًا وتَعبَّتْ[1] لقتاله ، فاقتتلوا ثلاثةَ أيامٍ أفرِغَ عليهم فيها الصبرُ، ومُنِعوا النصرَ[2]، ثم انهزمَتْ جُرهمٌ فلم يُفلِتْ منهم إلا الشَّريد. وكان مُضاض بن عمرٍو قد اعتزَلَ حربَهم ولم يُعنْهم فى ذلك، وقال : قد كنتُ أحذِّرُكم هذا . ثم رحَلَ هو وولدُه وأهلُ بيته حتَّى نزلوا قَنَوْنَى[3] وما حولَه، فبقايا جُرهم به[4] إلى اليوم، وفَنِيَ الباقون، أفناهم السيفُ فى تلك الحروب .

قالوا : فلما حازت خزاعةُ أمرَ مكّةَ وصاروا أهلَها جاءهم بنو إسماعيل وقد كانوا اعتزلوا حربَ جرهمٍ وخُزاعة ، فلم يدخلوا فى ذلك ، فسألوهم السُّكنَى معهم وحَولَهم فأذِنُوا لهم ، فلما رأى ذلك مضاضُ بن عمرِو بن الحارث وقد كان أصابه من الصَّبابة إلى مكّةَ أمرٌ عظيم ، أرسل إلى خزاعةَ يستأذنها، ومَتَّ[5] إليهم برأيه وتوريعه[6] قومه عن القتال، وسوءِ العشْرة فى الحرم ، واعتزالِه الحربَ، فأبَتْ خزاعةُ أن يُقِرُّوهم ونفَوْهم عن الحرم كلِّه، وقال عمرو بن لحى لقومه: من وجدَ منكم جرهميًا قد قاربَ الحَرَمَ فدمُه هدَرٌ[7] ! فنزعَتْ إبلٌ لمضاض بن عمرو بن الحارث بن مضاض ابن عمرو، منْ قَنَوْنَى تريد مكّة، فخرجَ فى طلبها حتَّى وجدَ أثرَها[8] قد دخلَتْ مكّة، فمضَى على الجبال نحوَ أجياد، حتَّى ظَهَرَ على أبى قُبَيس[9] يتبصَّر الإبلَ فى بطن وادى

(١) التعبي : التهيؤ والاستعداد للقتال . (٢) أى لم ينتصر أحد الفريقين .

(٣) قنونى، بفتح القاف والنون : واد من أودية السراة يصب إلى البحر فى أوائل أرض اليمن من من جهة مكة . ط، مب : «فنونى» بالفاء وبضبط سابقه، فى مط : «قنونا» . قال ياقوت : «موضع فى بلاد العرب» . (٤) ط، ها : «بها» .

(٥) مت : توسل . ط، مب : «برائه» . والراء : الرأى .

(٦) ورعه توريعا : كفه . ما عدا ط، مب، مط : «توزيعه» . والتوزيع : التفريق، ولا وجه له . (٧) كذا فى ط، مب، مط . وبدله فى سائر النسخ : «وقالوا : من دخله منهم فدمه هدر» . (٨) ما عدا ط، ا، مب : «حتى وجدها» .

(٩) ظهر عليه : علاه . وأبو قبيس : جبل بمكة .

مكّة ، فأبصر الإبلَ تُحَرُ وتؤكل ولا سبيلَ له إليها ، نخاف إن هبط الوادى أن يُقْتَل ، فولّى منصرفاً إلى أهلِه وأنشأ يقول :

كأنْ لم يكن بينَ الحَجُون إلى الصّفا * أنيسٌ ولم يسمُرْ بمكّةَ سامرُ
ولم يَتربّعْ واسطًا فجَنُوبَه * إلى المنحَنى من ذى الأراكة حاضر (١)
بَلَى نحنُ كنّا أهلَها فأبادنا * صروفُ اللّيالى والجدود العواثر
وأبدلَنا ربّى بها دارَ غُربةٍ * بها الذئبُ يعوِى والعدوُّ المخامر (٢)
أقولُ إذا نام الخلى ولم أنم * أذَا العرشِ لا يَبْعَدْ سُهيلٌ وعامر (٣)
قدْ أبدلتُ منهم أوجُهًا لا أريدُها * وحِمْيَرُ قد بُدّلتُها واليُحابُر (٤)
فإن تَمِلِ الدُّنيا علينا بكَلّها * ويُصبِحُ شرٌّ بيننا وتشاجُرُ (٥)
فنحنُ ولاةُ البيت مِن بَعد نابتٍ * نُمشى به والخيرُ إذْ ذاكَ ظاهر (٦)
وأنكحَ جدّى خَيْرَ شخصٍ علمتُهُ * فأبناؤه منّا ونحنُ الأصاهر (٧)
وأخرجَنا منها المليكُ بقدرةٍ * كذلك يالَلنّاسِ تجرى المقادر

---

(١) التربع : الإقامة بالمكان . وواسط : موضع بالحجاز فى طريق منى . وذو الأراكة : نخل بموضع من اليمامة . ما عدا ط : «من ذى الأريكة» ، تحريف . مب : « من ذى أراكة » . مط « من ذى أراك » .

(٢) المخامر : المستتر . ط : « المحاصر » . مط : « المحاضر » .

(٣) أذا العرش ، أى يا ذا العرش .

(٤) ما عدا ط ، أ ، مب ، مط : « وبدلت » . يحابر بضم الياء ، بن مالك بن أدد : قبيلة من اليمن . وفى الاشتقاق لابن دريد : « ويحابر بن مالك ، وهو مراد ، وإنما سمى مرادا لأنه أوّل من تمرد باليمن » .

(٥) الكل : الثقل ، كذا جاءت الرواية فى ط ، أ ، مب ، مط . وفى سائر النسخ : « بكلكل » .

(٦) نابت : ابن إسماعيل بن إبراهيم .

(٧) أ ، ط : « الأياصر » . مب ، مط : « الأباصر » بالباء الموحدة .

فصرنا أحاديثًا وكُنّا بغبطةٍ * كذلك عضّتنا السّنون الغوابرُ
وسحّت دموعُ العين تبكى لبلدةٍ * بها حَرَمٌ أمْنٌ وفيها المشاعر
ويا ليتَ شعرى مَنْ بأجيادَ بعدَنا * أقامَ بمُفْضَى سَيله والظّواهر[1]
فبطنُ منًى أمسَى كأنْ لم يكنْ به * مُضاضٌ ومن حَىّ عدىٍّ عمائرُ[2]
فهل فَرَجٌ آتٍ بشىءٍ نحبّه * وهل جَزَعٌ مُنجيكَ ممّا تحاذرُ ٥

قالوا : وقال أيضًا :

يا أيُّها الحىُّ سيرُوا إنّ قَصْرَكُمُ[3] * أن تُصبحوا ذاتَ يومٍ لا تسيرونا
إنّا كما أنتمُ كُنّا فغَيّرَنا * دهرٌ بصَرفٍ[4] كما صرنا تصيرونا
أزجُوا المطىَّ وأرخُوا من أزِمَّتها[5] * قَبْلَ المماتِ وقَضُّوا ما تُقضّونا
قد مال دهرٌ علينا ثمّ أهلَكَنا * بالبَغْى فيه فقد صرنا أفانينا[6] ١٠
كنّا زمانًا ملوكَ الناسِ قبلكمُ * نأوى بلادًا حرامًا كان مسكونا

قال الأزرقى : فحدّثنى محمد بن يحيى قال : حدّثنى عبد العزيز بن عمران قال :

اجتمع به أبو سلمة ابن عبد الأسد وهو ميت معلق فى شجرة

وخرج أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومى قُبيل الإسلام فى نفرٍ من قريش يريدون اليمنَ ، فأصابهم عطشٌ شديد ببعض الطريق ، وأمسَوْا على غير الطريق ، فتشاوروا جميعًا ، فقال لهم أبو سلمة : إنّى أرى ناقتى تُنازعنى شِقًّا[7] ، أفلا أرسلُها وأتبعها ؟ قالوا : فافعَلْ . فأرسلَ ناقته وتبعها فأضحَوْا[8] على ماءٍ وحاضرٍ ، فاستقَوا ١٥

(١) فى البيت إقواء . (٢) العمائر : جمع عمارة ، وهى أصغر من القبيلة وأكبر من البطن .
(٣) قصركم وقصاراكم : نهايتكم ومآلكم .
(٤) الصرف : واحد صروف الدهر ، وهى نوائبه ، وحوادثه .
(٥) الإزجاء : السوق . وإرخاء الزمام : كناية عن الإسراع بالمطى . ما عدا ط ، مب ، مط : «وأزجوا من أزمتها» ، تحريف . (٦) أفانين : جمع أفنان ، وهى جمع فن ، أى صرنا متفرقين . أو هو جمع أفنون ، وهى الجرى المختلط من جرى الناقة والفرس . (٧) شقا ، أى جانبا . ٢٠
(٨) ما عدا ط ، أ ، مب ، مط : « فأصبحوا » . والحاضر : القوم المقيمون على الماء .

وسَقَوا ، فإنّهم لَعَلَى ذلك إذْ أقبلَ إليهم رجلٌ فقال : مَنِ القوم ؟ قالوا : من قريش . فرجَع إلى شجرةٍ أمام الماء فتكلّمَ عندها بشىء ثم رجع إلينا ، فقال : أينطلق معى أحدُكم إلى رجل تَدْعوه[1] . قال أبو سلمة : فانطلقتُ معه فوقَفَ بى تحتَ شجرةٍ، فإذا وكرٌ معلّقٌ فصَوّتَ : يا أبتِ ! فزعزع شيخٌ رأسَه[2] ، فأجابه فقال : هذا الرجل . فقال لى : ممن الرجل؟ قلت : من قريش . قال : من أيّها ؟ قلت : من بنى مخزومِ بن يَقَظة . قال : مِن أيّهم ؟ قلت : أنا أبو سلمة ابن عبدِ الأسد بنِ عبدِ الله بنِ عمرو بن مخزومِ بن يقظة . قال : أَيهاتَ[3] منك ! أنا ويَقَظةُ سِنٌّ[4]، أتدرى من يقول :

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصَّفا * أنيسٌ ولم يسمُر بمكة سامرُ
بَلَى نحنُ كنّا أهلَها فأبادَنا * صُروفُ الليالى والجدودُ العواثر

قلت : لا . قال : أنا قائلها، أنا عمرو بن الحارث بنِ مضاض الجرهمى . أتدرى لم سمّى أجيادُ أجيادًا ؟ قلت :لا . قال : جادت بالدّماء يوم التقينا نحن وقَطُوراء، أتدرى لم سمّى قُيعِقعانُ؟ قلت : لا . قال : لتقعقُع السلاح على ظهورِنا لمّا طلعنا عليهم منه .

وأخبرنى بهذا الخبر الحرمىُّ بن أبى العلاءِ ؛ قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال : حدّثنى إبراهيم بن المنذرِ الحزامىّ؛ قال : حدّثنا عبد العزيز بن عمران؛ قال حدّثنى راشد بن حفص بنِ عمر بنِ عبدِ الرحمن بنِ عوف، قال : قال أبو سلمة بن عوف[5] :

(١) ط : « يدعوه » . (٢) زعزع : حرك .
(٣) أيهات : لغة فى هيهات بمعنى بعد . ما عدا ط ، أ ، مب ، مط : « أنبئك » .
(٤) أى فى سن وعمر واحد .
(٥) أى اسم صاحب القصة أبو سلمة بن عوف ، لا أبو سلمة بن عبد الأسد .

وخرجت فى نفرٍ من قريش يُريدون اليمن . وذكر الخبرَ مثلَ حديث الأزرقىّ . والله أعلم .

تعريب ربيعة بن أمية بن خلف

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال : حدثنا عمر بن شبّة قال : حدثنى محمد بن يحيى قال : حدّثنا غسان بن عبد العزيز بن عبد الحميد (١) أنّ ربيعة بن أمية بنِ خَلَف كان قد أدْمَنَ الشرابَ ، وشرب فى شهر رمضان ، فضرَبه عمرُ رضى الله عنه وغرّبه إلى ذِى المروة ، فلم يزل بها حتّى تُوُفّىَ واستخلِف عثمانُ رضى الله عنه ؛ فقيل له : قد توفّى عمرُ واستخلِف عثمانُ فلو دَخلتَ المدينة ما ردّك أحد . قال : لا والله لا أدخل المدينة فتقولَ قريشٌ قد غَرّبه رجلٌ من بنى عدىّ بنِ كعبٍ . فلحق بالرُّوم وتنصَّرَ ، فكان قيصرُ يَحْبُوه و يكرِمه ، فأعقَبَ (٢) بها .

تغنى الربيع بشعر عمرو بن الحارث ابن مضاض

قال غسان : حدثنى أبى قال : قدِم رسولُ يزيد بنِ معاوية على معاوية من بلادِ الرومِ ؛ فقال له معاوية : هل كان للناس خبر ؟ قال : بينا نحن مُحاصِرون مدينةَ كذا وكذا إذْ سمعنا رجلاً فصيحَ اللسانِ مُشرِفاً من بين شُرفتين (٣) من شُرَف الحِصن ، وهو يُنشِد :

كأنْ لم يكن بين الحَجُون إلى الصَّفا * أنيسٌ ولم يسمُر بمكّةَ سامرُ

فقال معاوية : ويحكَ ، ذاك الربيعُ بن أمية يتغنى بشعر عمرو بن الحارث بن مُضاض الجرهمى .

---

(١) ابن عبد الحميد ، من ط فقط . مب ، مط : « غسان بن عبد الحميد » فقط .

(٢) أعقب بها : صار له بها ولد ونسل .

(٣) الشرفة ، بالضم : ما يوضع على أعالى القصور والمدن . ما عدا ط ، مب ، مط : « من شرفين » ، تحريف .

غناء ابن جامع بشعر مضاض

أخبرنى إسماعيل بن يونس الشيعى قال : حدثنا عمر بن شبة قال ؛ حدثنى إسحاق بن إبراهيم قال : قال لى أبى : مُرْ بالدوابّ تُسرَجْ سحرًا حتّى نغْدوَ إلى ابن جامع(١) نستقبله باليَاسرية(٢) بِسُحرة(٣) لا تأخذنا الشّمس(٤) . قال : فأمرت بذلك . وركبنا فى السحر فأصبحْنا دون الياسرية ، وقد طلعَتْ علينا الشّمس . قال : فجئنا إلى ابن جامع وإذا به مختضِبٌ وعلى رأسه ولحيته خِرَقُ الخضاب ، وإذا بقِدْرٍ تُطبخ فى الشّمس ؛ فلما نظَرَ إلينا رحَّبَ بنا ، وقام إلينا فسلَّمَ علينا ، ثم دعا الماء فغسَل رأسه ولحيَته ، ثم دعا بالغَداء فأتِىَ بغَدائه ، فغَرفَ لنا من تلك القِدْرِ التى فى الشمس ؛ فتقزّزْت(٥) وبَشعتُ من ذلك الطعام الذى طُبخ . فأشار إلىَّ أبى : بأنْ كُلْ . فأكلْنا حتّى فرَغْنا من غَدائنا ، فلما غَسلْنا أيدِيَنا نادى ابنُ جامع : يا غلام هاتِ شرابنا ! فأتِى بنبيذ فى زُكْرةٍ قد كانت الزُّكرة(٦) فى الشمس ، فكرهت ذلك ، فأشار إلىّ أبى : أنْ لا تمتنعْ ؛ ثم أتَوا بقَدَحٍ جَيشانىّ(٧) ملءِ الكفّ ، فصُبَّ النبيذُ فيه وهو يُشبه(٨) ماءً قد أُغلِىَ(٩) بالنار ، ثم غنَّى ابنُ جامع فقال :

كأنْ لم يكنْ بين الحَجُون الى الصَّفا * أنيسٌ ولم يسْمُرْ بمكّة سامرُ
بَلَى نحنُ كنا أهلَهَا فأزالنا * صُروفُ الليالى والجُدودُ العواثرُ

(١) هو إسماعيل بن جامع . وقد سبقت ترجمته وأخباره .
(٢) الياسرية : قرية كبيرة على نهر عيسى بينها وبين بغداد ميلان . ما عدا ط : « بالياسرية » بباء موحدة ، تحريف .
(٣) السحرة ، بالضم : وقت السحر .
(٤) أى لئلا تأخذنا الشمس .
(٥) كذا فى ح ، أ ، م . وفى سائر النسخ : «فنفرت» .
(٦) الزكرة ، بضم الزاى : زقيق صغير للشراب . ما عدا ط ، مب ، مط : « ركوة وقد كانت الركوة فى الشمس »

(٧) الجيشانى ، بفتح الجيم : نسبة إلى جيشان : مخلاف باليمن تنسب إليه الأقداح والخمر السود أيضا . ح ، مب : « جيشنى » ، مط : « حيسانى » تحريف . والخمر : جمع خمار بكسر الخاء .
(٨) ما عدا ط ، أ ، مب : « يشوبه » تحريف .
(٩) هذه الكلمة من ح ، مب ، مط فقط . وبدلها فى أ : « ثم » .

صـــوت

ثم غنّى، للعرجىّ[1] :

لو أنَّ سلمى رأتْنا لا يَرَاعَ لنا * لَمَا هبَطْنا جميعا أبْطُن السوق[2]
وكَشْرَنا وكُبولُ القيْنِ تنكؤنا * كالأُسْدِ تَكشِرُ عن أنيابها الرُّوق[3]

صـــوت

ثم تغنّى :

أجَـرَّرُ فى الجوامع كُلَّ يومٍ * فيا لله مَظْلِمَتى وصَبْرِى

ثم أمَر بالرَّحيل . وقد غنى هذه الثلاثة الأصوات . فقال لى أبى : يا بنىّ بِشعتَ لِمَا رأيتَ مِن طعامِ ابنِ جامع وشرابِه ؛ فعلىَّ عِتقُ ما أملِكُ[4] إنْ لم يكن شُربُ الدمِ مع هذا طيِّبا . ثم قال : أسمعتَ بنىَّ غناءً قطُّ أحسنَ من هذا ؟ فقلت : لا والله ما سمعتُ . قال : ثمَّ خرجَ ابنُ جامع حتى نزلَ ببابِ أميرِ المؤمنين الرشيدِ ليلاً ، واجتمع المغنُّون على الباب ، وخرجَ الرسولُ إليهم فأذِنَ لهم ، والرشيدُ خلف السِّتارة ، فغَنَّوْا إلى السَّحَر ، فأعطاهم ألفَ دينارٍ إلَّا ابنَ جامع فلم يعطِه شيئًا ، وانصرفوا متوجِّهين له ، وعَرَضوا عليه جميعا فلم يقبل ، وانصرفوا ، فلما كان فى الليلة الثانية دُعُوا فغَنَّوْا ساعةً ، ثم كُشِفت الستارة ، وغنّى جامعٌ صوتاً عَرَّض فيه بحالِه وهو :

(١) هذا الصواب فى ط ، مب ، مط . وفى سائر النسخ : « العرجى » .

(٢) اليراع : الضعاف من الغنم وغيرها . ط : « لا نزاع لنا » . ط ، مب : « أبطح السوق » . مط « أبطح الشوق » .

(٣) الكشر : التبسم ، وبدو الأسنان عند الضحك . والكبول : جمع كبل بالفتح والكسر ، وهو القيد . والقين : الحداد . تنكؤنا : تؤلمنا . كذا جاءت الرواية على الصواب فى ط ، مب ، مط . وفى أ : « تبكؤنا » . وفى سائر النسخ : « تبكرنا » . الروق : جمع أروق وروقاء ، وهو الذى طالت ثناياه العليا على السفلى . (٤) أ ، ط ، مب : « فعتق ما يملك » ، وهو أسلوب يبدلون به الكلام لئلا يقع المتكلم به فيما تقتضيه اليمين من نذر أو طلاق أو نحوهما .

صـــوت

تقولُ أَقِمْ فينا فقــيرًا وما الذى * تَرَى فيــه ليلَى أن أُقِيمَ فقــيرا
ذَرِينى أَمُتْ بالليل أو أكسِبَ الغنى * فإنِّى أرى غيرَ الغــنىِّ حقــيرا
يُدَفَّـع فى النادى ويُرفَض قــوله * وإن كان بالرأى السَّـديدِ جديرا
ويُلْزَمُ ما يَجْنِى سواه وإن يِطُفْ[1] * بذنبٍ يكن منه الصغيرُ كبيرا

قالوا : فأعجَبَ الرَّشيدَ ذلك الشعرُ واللحنُ فيه ، وأمال رأسَه نحوه كالمستدعِى له . وغَنَّاه أيضا :

صـــوت

لئن مِصرُ فاتَتْنى بما كنتُ أرتجِى * وأخلَفَنى منهـا الذى كنتُ آمُلُ[2]
فما كلُّ ما يخشَى الفتى نازِلٌ به[3] * ولا كلُّ ما يرجو الفـتى هو نائلُ
ووَاللهِ ما فرّطت فى وجهِ حِيلةٍ * ولكنَّ ما قد قَـدَّر اللهُ نازل
وقد يَسْلَم الإنسانُ من حيث يتَّقِى * ويُؤتَى الفتى مِن أمنِه وهو غافلُ

ثم أمر بالانصراف فانصرفوا ، فلمَّا بلغوا السِّتْرَ صاح به الخادم : يا قرشيُّ مكانَكَ . فوقفَ مكانَه فخرج إليه بخِلَع وسبعةِ آلاف دينار ، وأُمِرَ إنْ شاء أن يقيم ، وإنْ شاء أن ينصرف .

غناء امرأة جوهية بشعر مصاض

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمادٍ عن أبيه قال : ذكر الكلبى عن أبيه : أنّ الناسَ بينا همُ فى ليلةٍ مُقْمرةٍ فى المسجدِ الحرام ، إذْ بصرُوا بشخصٍ قد أقبلَ[4]

(١) كذا على الصواب فى ط ، مب ، مط . وفى جـ : « ويزمنى » وفى سائر النسخ : « ويغفر » .
(٢) الأبيات لأبى دهمان الغلابى ، كما نص الجاحظ فى البيان والتبيين (٢ : ٢٩١) . وكذا جاءت رواية البيت فى ط ، مب ، مط ، جـ والبيان . وفى سائر النسخ : « لئن حرمتنى كل ما كنت أرتجى » .
(٣) ما عدا ط ، م ، مب ، مط : « نازلا به » . البيان : « يصيبه » .
(٤) قد أقبل ، من ط ، مط فقد .

كأنّ قامته رُمح، فهرَبوا من بين يديه وهابوه؛ فأقبل حتّى طاف بالبيت الحرام سبعًا ثم وقف فتمثّل :

كأنْ لم يكُنْ بين الحَجون إلى الصَّفا * أنيسٌ ولم يسمُرْ بمكّةَ سامرُ

قال: فأتاه رجلٌ من أهل مكّة، فوقف بعيدًا منه ثم قال: سألتُك بالذى خلقكَ ٥ أجنّيٌّ أنتَ أم إنسيّ؟ فقال : بل إنسيّ، أنا امرأةٌ(١) من جُرهم، كنّا سُكّانَ هذه الأرض وأهلَها ، فأزالَنا عنها هذا الزمانُ الذى يُبلِى كُلَّ جديد و يغيّره! ثم انصرفَتْ خارجةً(٢) عن المسجدِ حتّى غابت عنهم، ورجَعوا إلى مواضعهم .

إنشاد شعره فى رؤيا وتأويل ذلك

أخبرنى محمد بن خلفٍ وكيع قال : حدّثنا حماد بن إسحاق قال : حدّثنى أبى عن جدّى قال : قال لى يحيى بن خالدٍ يوما : أخبرك برؤيا رأيتها ؟ قلت : خيرًا ١٠ رأيتَ . قال : رأيتُ كأنّى خرجتُ من دارى راكبًا ، ثم التفتُّ يمينا وشمالًا فلم أرَ معى أحدا ، حتّى صرت إلى الجسر ، فإذا بصائحٍ يَصيح من ذلك الجانب :

كأنْ لم يكنْ بين الحَجُون إلى الصَّفا * أنيسٌ ولم يسمُرْ بمكّةَ سامر

فأجبتُه بقوله :

بلى نحنُ كنَّا أهلَها فأبادَنا * صُروفُ الليالى والجدودُ العواثرُ

١٥ فانصرفتُ إلى الرشيد فغنّيتُه الصوتَ ، وخبّرتُه الخبر ، فعجِبَ منه . وما مضَت الأيّام حتّى أوقعَ(٣) بهم .

صــــوت

شاقَنى الزائراتُ قَصْرَ نُفَيس * مُثْقَلاتِ الأعجازِ قُبَّ البُطون

يتربَّعنَه الربيعَ و يَنزِلْـ * ـنَ إذا صِفْنَ منزلَ الماجشونِ

٢٠ (١) ما عدا ط ، مب ، مط : «فقال له بل إنسى» . (٢) هذه الكلمة من ط ، مب ، مط فقط .

(٣) أى بالبرامكة . س ، ب : « إلا أيام » .

يتربّعنه : ينزلنه فى أيام الربيع . يقال لمنزل القوم فى أيام الربيع : متربَّعهم .
قال الشاعر :

أمِن آلِ ليلى بالمَلَا متربَّعُ * كما لاح وشمٌ فى الذّراع مُرجَّعُ (١)

الماجشون وعلة تسميته

والماجِشونُ : رجلٌ من أهل المدينة يُروَى عنه الحديث . والماجشونُ لقبٌ لقّبته به سُكينةُ بنت الحسين بن على بن أبى طالب — عليهم السلام — وهو اسمُ لونٍ من الصِّبغ أصفرَ تخالطُه حمرة ، وكذلك كان لونَه . ويقال : إنها ما لقّبَتْ أحدًا قطُّ بلقبٍ إلّا لَصِقَ به .

أخبرنى الحسن بن على قال : حدّثنا أحمد بن زهير قال : حدّثنا مصعبٌ الزبيرىُّ ، قال : حدّثنى ابن الماجشون ، قال :

نظرَتْ سُكَينَةُ إلى أبى ، فقالت : كأنّ هذا الرجلُ الماجشونُ — وهو صِبغٌ أصفرُ تخالطه حُمرة — فلُقّب بذلك .

تلقيب سكينة لرجل بشيرج

قال عبد العزيز : ونظرَتْ إلى رجلٍ من ولدِ عمَرَ بنِ الخطّابِ رضى الله عنه وكانت فيه غِلْظة ، فقالت : هذا الرجل فى قريشٍ كالشِّيرَجِ فى الأدهان ! فكان ذلك الرجلُ يسمّى : فلانُ شِيرَجٍ حتّى مات .

الشعر لعمر بن أبى ربيعة ، والغناء لإبراهيم الموصلىّ . خفيف رمل مطلق فى مجرى البنصر ، وفيه لبصبص جارية ابنِ نُفَيس التى قيل هذا الشعر فيها : رمل . وذكر حبش أن لها فيه أيضا ثقيلَ أوّل بالوسطى .

(١) مرجع : وشم مرة بعد مرة . ما عدا ط ، مب ، مط : « وسم » و « متربع » ، تحريف .

ذكر أخبار بَصْبَص جاريةِ ابنِ نُفَيسٍ(١) وأخبارها

منزلة بصبص عند مولاها

كانت بصبصُ هذه جاريةً مولَّدة من مولَّدات المدينة ، حُلوةَ الوجه ، حَسَنةَ الغِناء ، قد أخذَتْ عن الطبقةِ الأولى من المغنّين ، وكان يحيى بن نُفَيس مولاها — وقيل نفيس بن محمد، والأوّل أصح — صاحبَ قِيانٍ يَغْشاه الأشراف، ويسمعون غناءَ جواريهِ ، وله فى ذلك قصصٌ نذكرها بعد ، وكانت بصبصُ هذه أنفَسَهنّ وأشدَّهنّ تقدّما .

الخلاف فى والدة علية بنت المهدى

وذكر ابن خُرداذَبه : أنّ المهدىَّ اشتراها وهو ولىُّ العهد سرًّا من أبيه بسبعةَ عشرَ ألفَ دينار ، فولدت منه عُلَيّةَ بنتَ المهدىّ .

وذكر غيرُه أنّ ابن خُرداذبه غَلِط(٢) فى هذا ، وأن الذى صحّ أنّ المهدىَّ اشترى بهذه الجملةِ جاريةً غيرَها، وولدت عُلَيّة .

وذكر هارون بن محمد بنِ عبدِ الملك الزياتِ : أن ابن القداح حدّثه قال :

كانت مكنونة جاريةُ المروانيّة — وليست من آل مروان بن الحكم؛ وهى زوجةُ الحسين بن عبد الله بن العباس — أحسنَ جاريةٍ بالمدينة وجهًا ، وكانت رَسحاء(٣) ، وكان بعضُ مَن يُمازِحها يعبَثُ بها ، ويصيح : طَسْت طست(٤) ! وكانت حسنة الصّدرِ والبطنِ ، وكانت تُوضِح(٥) بهما ، وتقول : ولكن هذا ! فاشتريتْ للمهدىّ

(١) ابن نفيس هذا هو يحيى بن نفيس . وضبط فى ط بهيئة التصغير . وفى القاموس : « ونفيس ابن محمد من موالى الأنصار، وقصره على ميلين من المدينة » .

(٢) كذا فى ط ، حـ ، م ، مب . وفى سائر النسخ : « وذكر غير ابن خرداذبه أنه غلط » .

(٣) الرسحاء : القليلة لحم العجز والفخذين .

(٤) الطست : إناء من صفر . يعنى أنها شبيهة به .

(٥) توضح بهما : تظهر بهما ، وتتباهى .

فى حياةِ أبيه بمائة ألفِ درهم فغلبَتْ عليه ، حتّى كانت الخيزرانُ تقول : ما ملك أَمَةً أغلَظ علىّ منها . واستتر أمرُها على المنصور حتّى مات . وولدت من المهدىّ عُلَيّةَ بنتَ المهدىّ .

والذى قال ابنُ خُرْداذْبه غير مردودٍ إذا كان هذا صحيحا .

شراء المهدى بصبص

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمادِ بنِ إسحاق عن أبيه عن غُرَيرِ بنِ طلحة قال: اتّعد[1] محمد بن يحيى بن زيد بن على بنِ الحسين[2]، وعبدالله بن يحيى بنِ عبّادِ بن عبدِ الله ابنِ الزبير ، وعبدالله بن مصعب الزُّبيرى ، وأبو بكر بن محمـدِ بنِ عثمان الربعى ، ويحيى بن عقبة ، أن يأتوا بَصْبَصَ جاريةَ ابنِ نُفَيسٍ ، فعجِلَ محمد بن يحيى ، وكان من أصحاب عيسى بن موسى ، ليَخرُجَ إلى الكوفة ، فقال عبدالله بن مصعب :

أراِئحٌ أنتَ أبا جَعفـرٍ * من قبلِ أن تَسمع مِنْ بَصْبصا
هيهاتَ أن تَسمع منهـا إذا * جاوَزَت العيسُ بك الأعوصا[3]
فخُـذْ عليهـا مجلسَىْ لذّةٍ * ومجلسًا مِنْ قَبـلِ أن تَشْخَصا[4]
أحلِفُ بالله يمينًـا ومَنْ * يحلفْ بالله فقـد أخلَصـا
لو أنّهـا تدعُو إلى بَيْعـةٍ * بايعتُهـا ثمّ شققتُ العصـا[5]

قال : وفيها[6] غِناء لبصبص .

قال : فاشتراها أبو غسّان مولى منيرة للمهدىّ بسبعة عشر ألفَ دينار .

(١) اتعدا : تواعدا .
(٢) ص ، مب ، مظ : « محمد بن زيد بن على » حـ ، م : « محمد بن يزيد بن على » .
(٣) الأعوص : موضع قرب المدينة .
(٤) تشخص : تذهب من بلد إلى بلد .
(٥) شق العصا : كناية عن الخلاف ، ومفارقة الجماعة .
(٦) ص ، مظ : « وفيه » .

قال حماد : وحدّثني أبي عن الزبير أن عبد الله بن مصعب خاطب بهذا الشعر أبا جعفر المنصورَ لما حجّ فاجتاز بالمدينة منصرفاً من الحجّ ، لا أبا جعفر محمد ابن يحيى بن زيد .

غضب المنصور على عبد الله ابن مصعب في إعجابه بها

أخبرني إسماعيل بن يونس الشّيعي إجازة قال : حدّثنا عُمَر بن شبّة قال : حدّثني محمد بن سلام قال : حدّثني موسى بن مِهْران قال : كانت بالمدينة قَينةٌ لآل نُفَيس بن محمد يقال لها بَصبص ، وكان مولاها صاحبَ قصرِ نُفَيس الذى يقول فيه الشاعر :

شاقَنى الزائرات قَصْرَ نُفَيس * مُثقَلاتِ الأعجاز قُبَّ البُطون[1]

قال : وكان عبد الله بن مصعَب بن ثابت بنِ عبد الله بنِ الزبير يأتيها ، فيسمعُ منها ، وكان يأتيها فِتْيانٌ من قريش فيَسْمَعون منها ، فقال عبد الله بن مصعب حين قدم المنصور منصرفًا من الحجّ ومرّ بالمدينة يذكر بصبص :

أراحلٌ أنت أبا جعفر * من قبلِ أن تَسمع مِن بصبصا

وذكر الأبيات ، فبلغت أبا جعفر، فغضب فدعا به ؛ فقال : أمَا إنكم يا آلَ الزبيرِ قديمًا ما قادتكم النساء، وشَقَقتم مَعَهنّ العصا ، حتى صرتَ أنت آخرَ الحمق تُبايع المغنّيات ؛ فدونَكم[2] يا آل الزبيرِ هذا المرتَع الوخيم .

قال : ثمّ بلغ أبا جعفرٍ بعد ذلك أنّ عبد الله بن مصعبٍ قد اصطَبح[3] مع بصبصَ وهى تغنّيه بشعره :

(١) القب : جمع أقب وقباء ، وهو الضامر البطن .
(٢) دونك هذا ، أى خذه ، صيغة للإغراء .
(٣) اصطبح : شرب الصبوح ، وهو شرب الصباح .

صـــوت

إذَا تمـــزَّزتُ صُراحيـــةً * كمثلِ ريحِ المسكِ أو أطيبُ (١)

ثم تَغَـــنَّى لى بأهزاجِــه * زيدٌ أخو الأنصار أو أشعَبُ

حسبتُ أنِّى مالكٌ جالسٌ * حَفَّتْ به الأملاكُ والموكبُ

فــلا أُبالِى وإلٰـــهِ الــوَرَى * أشرَّقَ العــالَمُ أم غَـــرَّبوا ٥

الغناء لزيدٍ الأنصارى، هزجٌ مطلقٌ فى مجرى الوسطَى عن الهشامى وغيره، وذكر غيرُه أنه لأشعَبَ. فقال أبو جعفرٍ: العالَمُ لا يبالون كيف أصبحتَ وكيف أمسيت.

إعجاب المنصور بشعر طريف العنبرى

ثم قال أبو جعفرٍ: ولكنّ الذى يعجبنى أن يَحدُوَ بى الحادى الليــلةَ بشعرِ طريفٍ العنبرىِّ، فهو آلَفُ فى سمعى من غِناء بَصبصَ، وأحرى أن يختاره أهلُ العقل. قال: فدعا فلانًا الحادىَ — قد ذكره وسقط اسمه — وكان إذا حدا وضَعت الإبل ١٠ رءوسها لصَوته (٢) وانقادت انقيادًا عجيبًا (٣)، فسأله المنصورُ: ما بلَغ من حُسن حُدائه؟ قال: تعطَّش الإبلُ ثلاثًا أو قال خمسًا وتُدنَى من المــاء، ثم أحدو فتتْبع كلُّهــا صوتى، ولا تقرب المــاء. فحُفظَ الشعرُ، وكان (٤):

إنِّى وإن كان ابن عمِّى كاشحا (٥) * لمُـزاحِمٌ مِن دُونِه وورائه

ومُمِدُّه نصرى وإنْ كان امرأً (٦) * متزحزِحاً فى أرضه وسمــائه ١٥

(١) التمزز: التمصص. وفى بعض النسخ: «تمررت» تحريف. والصراحية: الخمر الخالصة.

(٢) وضعت رءوسها: خفضتها.

(٣) هذه الكلمة من ط، مب، مط.

(٤) كذا فى ط، ها، مب، حـ. وفى سائر النسخ: «فحفظه هذا الشعر». ٢٠

(٥) الكاشح: مضمر العداوة.

(٦) المتزحزح: البعيد

وأكونُ مأوى سِرّه وأصونُه * حتّى يَحِقّ علىّ يومُ أدائه
وإذا أتى من غَيِّه بطَريفةٍ * لم أطّلِعْ : ماذا وراءَ خبائه
وإذا تحيّفتِ الحوادثُ مالَه * قُرِنَتْ صحيحتُنا إلى جَربائه (١)
وإذا تَريَّش فى غِناه وفَرْتُه * وإذا تَصعلكَ كنتُ من قرنائه (٢)
٥ وإذا غدا يوماً ليركب مَركَباً * صَعباً قعدتُ له على سِيسائه (٣)

فلما كان الليلُ حدا به الحادِى بهذه الأبيات ، فقال : هذا والله أحَثُّ على المروءة وأشبه بأهلِ الأدب من غِناءِ بَصبص . قال : فحدا به ليلةً ، فلما أصبح قال : يا ربيعُ أعطِه درهماً . فقال له : يا أميرَ المؤمنين ، حدوتُ بهشامِ بنِ عبدِ الملك ، فأمر لى بعشرين ألف درهمٍ وتأمر أنت بدرهمٍ ! قال : إنّا لله ! ذكرتَ ما لم يُحَبَّ (٤) أن
١٠ تذكره ، ووصفتَ أنّ رجلاً ظالماً أخذ مالَ اللهِ من غيرِ حِلّه ، وأنفقَهُ فى غيرِ حقّه يا ربيع ، اشدُد يديكَ به حتّى يردّ المال . فبكى الحادى ، وقال : يا أميرَ المؤمنين قدمضت لهذا السِّنون (٥) ، وقُضِيت به الديون ، وتمزّقته النّفقاتُ ، ولا والذى أكرمَكَ بالخلافةِ ما بقِىَ عندى منه شىء . فلم يزلْ أهله وخاصّتُه يسألونه حتّى كفَّ عنه ، وشرَطَ عليه أن يحدوَ به ذاهباً وراجعا ، ولا يأخُذَ منه شيئا .

١٥ أخبرنى إسماعيل بن يونس الشِّيعىّ ، قال : حدّثنا عُمر بن شبة قال : حدّثنى القاسم بن زيدٍ المدينىّ ؛ قال :

(١) قرنت ، كذا على الصواب فى ط ، مب . وفى سائر النسخ : «فرت» . وجربائه تصحيح ط ، مط وهى فى حـ : « جريانه » ، وفى سائر النسخ : « حوبائه » .
(٢) تريش وارتاش : أصاب خيرا فرئى عليه أثر ذلك .
٢٠ (٣) سيساء الظهر من الدواب : مجتمع الوسط .
(٤) ط ، مب ، مط : « يجب » .
(٥) ما عدا ط ، مب ، مط : « هذه السنون » .

فشل بصبص فى محاولتها أخذ درهم من مزبد

اجتمع ذاتَ يوم عند بصبَص جاريةِ ابنِ نُفَيس عبد الله بن مصعب الزُّبيرىّ[1] ومحمد بن عيسى الجَعفرىّ، فى أشراف من أهل المدينة ، فتذاكَروا مُزَبِّدًا المدنىَّ صاحبَ النوادر وبُخْلَه ، فقالت بصبص : أنا آخذُ لكم منه درهما . فقال لها مولاها : أنت حُرَّةٌ لئن فعلتِ إنْ لم أشترِ لك مخنقة[2] بمائة ألف دينارٍ وإنْ لم أشترِ لك ثوبَ وشيٍ بما شئتِ، وأجعلْ لكِ مجلسا بالعقيق[3] أنحَرُ لك فيه بَدَنةً لم تُقْتَبْ[4] ولم تُرَكَب. فقالت : جئْ به وارفَعْ عنى الغَيرة. فقال : أنتِ حُرّة أنْ لو رفَع برجلَيك لأعنتُهُ على ذلك . فقال عبدُ الله بن مصعبٍ : فصلَّيت الغداةَ فى مَسجدِ المدينةِ ، فإذا أنا به ، فقلت : أبا إسحاقَ ، أمَا تحبُّ أن ترى بَصبصَ جاريةَ ابنِ نُفَيس ؟ فقال : امرأته طالقٌ[5] إن لم يكنِ الله ساخطًا علىَّ فيها ، وإن لم أكنْ أسألُه أن يُرِيَنِيها منذُ سنة فما يَفعل . فقلت له : اليومَ إذا صلّيتَ العصرَ فوافِنى ههنا . قال : امرأته طالقٌ إن بَرِحْتُ من ههنا حتّى تجيءَ صلاةُ العصر . قال : فتصرَّفتُ[6] فى حوائجى حتّى كانت العصر ، ودخلتُ المسجد فوجدتُه فيه ، فأخذتُ بيده وأتيتُهم به ، فأكلوا وشَربوا ، وتساكَرَ القومُ وتناوَموا ، فأقبلتْ بصبصُ على مُزَبِّد ، فقالت : أبا إسحاق ، كأنَّ فى نفسك تشتهى أن أغنِّيكَ الساعة :

لقد حَثُّوا الجِمالَ ليَهْـ * ـرَبُوا منّا فلم يَئِلوا[7]

---

(١) هذه الكلمة من ط ، مب ، مط فقط .

(٢) المخنقة : القلادة .

(٣) العقيق : موضع بالمدينة .

(٤) البدنة : واحدة الإبل والبقر ، تطلق على الذكر والأنثى . والإقتاب : شد القتب على البعير ، وهو الرحل على قدر سنامه .

(٥) ط ، حـ ، مب ، مط : « فقال امرأته الطلاق » .

(٦) ما عدا ط ، حـ ، مب ، مط : « فانصرفت » .

(٧) وأل يئل : نجا .

فقال : زوجته طالق إن لم تكوني تعلمين ما في اللّوح المحفوظ ! قال : فغنّته ساعة ثم مكثت ساعة فقالت : أبا إسحاق كأنّ في نفسك تشتهي أن تقومَ من مجلسك فتجلسَ إلى جانبي فتقرُصني قَرَصات، وأغنّيك :

قالتْ وقد أبثثتها وجدى فبُحتُ به[(1)] * قد كنتَ قِدماً تحبُّ السَّترَ فاستترِ

ألستَ تُبصرُ مَن حولِي فقلتُ لها * غطّى هـواكِ وما ألقَى على بصرى

فقال : امرأته طالق إن لم تكوني تعلمين ما في الأرحام وما تكسب الأنفس غداً، وبأيّ أرضٍ تموت ! فغنّته ثم قالت : بَرِحَ الخفاء[(2)]، أنا أعلم أنّك تشتهي أن تقبّلني شِقَّ التّين وأغنّيك هَزَجاً :

أنا أبصرتُ بالليلِ * غُلاماً حَسَنَ الدَّلّ

كغصن البان قد أصـ * ـبح مسقياً من الطلّ

لم يُذكَر صانعه ، وهو هَزَجٌ على ما ذكر .

فقال : أنتِ نبيّةٌ مُرسَلة ! فغنته ثم قالت : أبا إسحاق، أرأيتَ أسقَطَ من هؤلاء ! يَدعُونك ويُخرِجوني إليك ولا يشترون رَيحاناً بدرهم ! أي أبا إسحاق ؛ هلُمَّ درهماً نشتري به ريحاناً ! فوثَبَ وصاح : واحَرَباه[(3)]، أيْ زانيةُ، أخطأَتِ استُكِ الحُفرة[(4)]، انقطَعَ والله عنكِ الوحي الذي كان يُوحَى إليكِ ! وعَطعطَ القوم بها[(5)]، وعَلِموا أنّ حيلتها لم تَنفُذ عليه ، ثم خرجوا فلم يَعُد إليها ، وعاودَ القومُ مجلسَهم ، فكان أكثرُ شغلِهم فيه حديثَ مزبّد معها والضّحك منه .

(١) ما عدا ط، مب، مط : « أبحت به » .
(٢) برح، كسمع . وهو مثل لظهور الأمر وانكشافه .
(٣) الحرب : أن يسلب الرجل ماله كله .
(٤) يضرب لمن رام شيئا فلم ينله . مجمع الأمثال .
(٥) عطعط به : صاح .

شعر ابن أبى الزوائد فى بصبص

وقال هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات : أنشدنى الزبير بن بكار ، قال : أنشدنى غُرَير بن طلحة لابن أبى الزوائد — وهو ابن ذى الزوائد — فى بصبص :

بَصْبصُ أنت الشمسُ مُزدانةً * فإنْ تبذّلتِ فأنتِ الهلالْ
سُبحانَكَ اللّهمَّ ما هكذا * فيما مضَى كان يكونُ الجَمالْ
إذا دعَتْ بالعُود فى مَشهدٍ * وعاونَتْ يُمنَى يدَيها الشِّمالْ
غَنَّتْ غناءً يستفزُّ الفَتى * حِذقًا وزان الحذقَ منها الدَّلالْ

قال هارون : قال الزُّبير : وأنشدَنى غُرَير أيضًا لنفسه يهجو مولاها :

ياويحَ بصبصَ من يَحيَى[1] لقد رُزِقَتْ * وجهًا قبيحا وأنفًا من جَماميس[2]
يَمجُّ من فيهِ فى فيها إذا هجعَت * ريقًا خبيثا كأرواح الكرابيس[3]

علاقة محمد ابن عيسى بها

أخبرنى الحرمىّ بن أبى العلاءِ قال : حدّثنا الزُّبير قال حدّثنى عمى قال : هَوِىَ محمدُ بن عيسى الجعفرىُّ بصبصَ جارية ابنِ نُفَيس، فهام بها وطال ذلك عليه فقال لصديق له : لقد شَغَلتْنى هذه عن صَنعتى وكلِّ أمرى ، وقد وجدتُ مَسَّ السلُوّ فاذهبْ بنا حتّى أكاشفَها بذلك فأستريح . فأتياها فلما غنَّتْ لهما قال لها محمد بن عيسى : أتغنين :

وكنتَ أحِبُّكم فسلوتُ عنكم * عليكُمْ فى ديارِكمُ السّلامُ

فقالت : لا ولكنّى أغنّى :

تحمَّلَ أهلُها عنها فبانوا * عَلَى آثارِ مَن ذهَبَ العفاءُ[4]

(١) س : «من حى» . (٢) الجماميس : جمع جمموس، وهو ما يطرحه الإنسان من ذى بطنه .
(٣) أرواح : جمع ريح . والكرابيس : جمع كرياس، وهو الكنيف الذى يكون مشرفا على سطح بقناة من الأرض . قال الأزهرى : سمى كرياسا لما يعلق به من الأقذار فيركب بعضه بعض ويتكرس مثل الدمن . اللسان (كرس) ومعجم استينجاس ١٠٢٦ والحيوان (٥ : ٤٦٨) وعيون الأخبار (٣ : ٢٣٠) . (٤) البيت لزهير، فى ديوانه ٥٨ .

فاستحيا وازدادَ بها كَلَفًا، ولها عِشْقا، فأطرقَ ساعةً ثم قال: أتغنين:

وأخضَعُ بالعُتْبَى إذا كنتُ مذْنبًا * وإن أذنبَتْ كنتُ الذى أتنصَّلُ

قالت: نعم وأغنِّى أحسَنَ منه:

فإن تُقْبِلوا بالودِّ نقبلْ بمثلِه * ونُنْزِلْكم منَّا بأقربِ مَنزلِ

٥ قال: فتقاطَعا فى بيتين، وتواصَلا فى بيتين. وفى هذه الأبياتِ الأربعةِ غناءٌ كان محمد قريضٌ[1]، وذُكَاءُ، وغيرهما ممن شاهدنا من الحُذَّاق يغنُّونَه فى الابتداءين لحنين من الثقيل الأوّل، وفى الجوابَين لحنَين من خفيف الثقيل، ولا أعرف صانعَهما.

شغف أبى السائب المخزومى بها

أخبرنى عمى قال: حدّثنى هارون بن محمدِ بنِ عبدِ الملك قال: حدّثنى أبو أيوب المدينىّ عن مُصعبٍ قال: حضَر أبو السائبِ المخزومى مجلسًا فيه بصبصُ جاريةُ ١٠ يحيى بنِ نُفَيس، فغنت:

قلـبى حبيسٌ عليـك موقوفُ * والعينُ عَبْرَى والدمعُ مذروفُ

والنَّفسُ فى حسرةٍ بغُصَّتِها * قد شَفَّ أرجاءها التَّساويفُ[2]

إن كُنتِ بالحسنِ قد وُصِفتِ لنا * فإنَّنى بالهـوى لَموصُـوفُ

يا حسرتَا حسرةً أموتُ بها * إن لم يكنْ لى لديك معروفُ

١٥ قال: فطرِب أبو السائبِ ونَعَر[3]، وقال: لا عَرَّفَ الله قدْرَه إن لم أعرِفْ لك معروفَك. ثم أخذ قِناعَها عن رأسِها وجعلَه على رأسِه[4]، وجعل يَلطِمُ ويبكى، ويقول لها: بأبى والله أنتِ، إنِّى لأرجو أن تكونى عندَ الله أفضلَ من الشُّهداءِ، لِما تُولِينَاهُ من السرُورِ، وجعل يَصيح، واغوثاه! يا لله لِمَا يَلْقَى العاشقون.

(١) ط، مب، مط: «قريص» بالصاد المهملة.

٢٠ (٢) شفها: نقصها ونال منها. وأرجاؤها: نواحيها. والتساويف: جمع تسويف، وهو المماطلة. (٣) نعر: صاح. (٤) وجعله على رأسه، من ط فقط.

شغف أحد الفتيان بها

أخبرنى محمد بن خلف بن المرزُبان [قال حدّثنى أبو بكر العامرى قال حدثنى عمرو بن عبد الله البصرى][(1)] قال : حدّثنا [الحسين][(1)] بن يحى عن عثمانَ بنِ محمد الليثى قال : كنت يومًا فى مجلس ابنِ نُفَيس ، فخرجَتْ إلينا جاريتُـه بَصبص ، وكان فى القوم فتًى يحبّها ، فسألتْهُ حاجة ، فقامَ ليأتيها بها ، فنسىَ أن يَلبَس نَعلَه ، ومَشَى حافيًـا ؛ فقالت : يا فلانُ ، نسيتَ نَعلك . فلبسها وقال : أنا والله كما قال الأوّل :

وحُبُّكِ يُنسِينى عن الشّىء فى يدى * ويَشْغَلُنى عن كلِّ شىءٍ أحاولُهْ

فأجابته فقالت :

وبى مثلُ ما تشكوه منّى وإنّنى * لأُشفِق من حُبٍّ أراكَ تزاوله

صوت

يَشتاقُ قلبى إلى مُليكةَ لو * أمست قريبًا ممن يطالبُها

ماأحسنَ الجِيدَ من مُلَيكةَ واللـ * ـلَبّاتِ إذ زانَها ترائبُها[(2)]

يا ليتَنِى ليلةً إذا هجع الـ * ـنّاسُ ونامَ الكلابُ صاحبُها

فى ليلةٍ لا يُرَى بها أحدٌ * يَسعَى علينا إلّا كواكبُها

الشعر لأحيحة بنِ الجلاح ، والغناء لابن سريج . رملٌ بالخِنصر فى مجرى البِنصر . وفيه لحنٌ لمالكٍ[(3)] من رواية يونس .

---

(1) هذه التكملة من ط ، مب ، مط .

(2) اللبات : جمع لبة ، بالفتح ، وهو موضع القلادة من الصدر . والترائب : عظام الصدر ، أو ما بين الثديين .

(3) لمالك ، من ط ، مط .

ذكر أحيحة بن الجُلَاح ونسبه وخبره والسبب الذى من أجْله قال الشعر

نسب أحيحة

هو أحيحة بن الجُلَاح بن الحَرِيش بن جَحْجَبَى بنِ كُلْفَة بن عوف بنِ عمرو ابن عوفِ بنِ مالكِ بن الأوسِ . ويكنى أحيحةُ أبا عمرو .

سؤال الوليد بن عبد الملك عن الزوراء

أخبرنى الحرمىّ بن أبى العلاءِ قال : حدّثنى الزبير بن بكّارٍ قال : حدّثنى عبد الرحمن بن عبد الله بن عبدِ العزيزِ قال : ركب الوليد بن عبدِ الملكِ إلى المساجد، فأتى مَسجِدَ العُصْبة[1]، فلما صلّى قال للأحوص : يا أحوصُ أينَ الزَّوراء التى قال فيها صاحبكم :

إنِّى أُقِيمُ على الزَّوراءِ أعمُرُها * إنَّ الكريمَ على الإخوانِ ذُو المالِ
لها ثلاثُ بِثارٍ فى جَوَانِبها[2] * فى كلِّها عُقَبٌ تَسقِى بأقبالِ
استغنِ أو مُتْ ولا يَغرُرْكَ ذو نشبٍ[3] * من ابنِ عمٍّ ولا عمٍّ ولا خالِ

قال الزبير : العُقَب الذى فى أوّلِ المالِ عند مَدخَلِ الماء، والطلب الذى فى آخره[4] .

قال : فأشار له الأحوص إليها وقال : ها هى تلك ، لو طَوَّلتَ لأشقرِك هذا الحالَ عليها[5] ، فقال الوليد : إنّ أبا عمرو كان يراه غنيًّا بها . فعَجِب الناسُ يومئذ لعناية الوليدِ بالعِلْم ، حتّى علِمَ أنّ كنية أحيحة أبو عمرو .

وفى بعض[6] هذا الشعرِ غناء ، وهو :

---

(١) العصبة ، بالضم : دار بنى جحجبى بالمدينة . ياقوت . وقد ضبطت فى مب ، مط بالتحريك . ما عدا ط ، ما : « القصبة » تحريف .

(٢) البثار : جمع بئر . مب ، حـ : « فكلها » . و « يسق » هى فى مد « سق » وفى سائر النسخ ماعدا ط ، مب : « يسعى » . وأقبال الجداول : أوائلها ورءوسها .

(٣) النشب : المال . (٤) كذا ورد هذا التفسير .

(٥) أشقرك ، يعنى فرسك الأشقر . (٦) هذه الكلمة من ط ، مط .

صــــوت

استَغنِ أو مُتْ ولا يغررك ذُو نَشَبٍ * من ابن عَــمٍّ ولا عَــمٍّ ولا خالِ
يَلْوُونَ(١) مالهم عن حقِّ أقربِهــمْ * وعَنْ عشيرتِهم ، والحــقُّ للوالى

غنّاه الهُذَلى رملًا بالوسطى من رواية الهشامىّ وعَمرو بن بانة .

سبب قول أحيحة هذا الشعر

وأمّا السّببُ فى قول أحيحةَ هــذا الشعرَ فإنّ أحمد بن عبيدِ المكتِّب(٢) ذكر أن محمد بن يزيدَ الكلبيّ حدّثه ، وحدّثه أيضا هشامُ بن محمد عن الشَّرقيّ بنِ القَطَامىّ قال هشام : وحدّثنى به أبى أيضا .

قال : وحدّثنى رجلٌ من قريش عن أبى عبيــدةَ بنِ عَمّــارِ بنِ ياسر ، قال : وحدّثنى عبد الرحمن بن سليمان الأنصارىّ ، قالوا جميعا :

أقبلَ تبّعٌ الأخير وهو أبو كرِبِ بنِ حسان بنِ أسعد الحميرىّ ، من اليمنِ سائرا يريد المشرق كما كانت التّبابعة تفعل ، فمرّ بالمدينةِ فخلّف بها ابنًا له ، ومضى حتّى قدم الشّأمَ ، ثم سار من الشامِ حتّى قدِم العــراقَ فنزل بالمشقّرِ(٤) ، فقُتِل ابنــه غِيلةً بالمدينة ، فبلغه وهو بالمشقّر مقتلُ ابنــه ، فكرّ راجعًا إلى المدينةِ وهو يقول :

ياذا مُعاهِرَ ما تَزَالُ تَرُودُ * رَمَد بعينكَ عادها أم عُودُ(٥)
منعَ الرُّقادَ فما أغمِّضُ ساعةً * نَبَطٌ بيــثربَ آمنون قُعودُ
لا تَستقِى بيدَيكَ إنْ لم تلقها * حَرْبًا كأنّ أشاءها مجرود(٦)

(١) يلوونه : يجحدونه وينكرونه . (٢) المكتِّب ، بكسر التاء المشدّدة ، هو من يعلم الصبيان الخط والأدب . السمعانى ٥٤٠ ب . ما عدا ط ، مب ، مط ، جـ : « الكاتب » .

(٣) ط ، مب ، مط : « يسر » . (٤) المشقر : حصن بالبحرين عظيم ، لعبد القيس .

(٥) ذو معاهر ، بضم الميم : قيل من أقيال حمير ، كما فى القاموس (عهد) . ط ، مط : « ياذا معاهد » وفى سائر النسخ : « ياذا المعاهد » كلاهما محرف عما أثبت . عود ، أراد : أم طرقت بعود .

(٦) ط : « إن لم يلقها حرب » مب ، مط : « إن لم تلقها حرب » . والأشاء : جمع أشاءة ، وهى صغار النخل . مجرود : جرد عنه الخوص ، أو أصابه الجراد .

ثم أقبلَ حتّى دخل المدينةَ وهو مُجمِعٌ على إخرابها وقطعِ نخلها، واستئصالِ أهلها، وسبي الذرّية ؛ فنزل بسفح أُحُد فاحتفر بها بئرًا — فهي البئرُ التي يقال لها إلى اليوم بئر الملك — ثم أرسل إلى أشراف أهل المدينة ليأتوه فكان فيمن أرسَلَ إليه زيدُ ابن ضُبَيعة بنِ زيد بنِ عمرو بنِ عوف ، وابن عمه زيد بن أميّة بنِ زيد ، وابن عمه زيد بن عبيد بنِ زيد — وكانوا يسمَّون الأزيادَ — (١) وأحيحةُ بن الجلاح ؛ فلمّا جاء رسولُه قال الأزياد : إنما أرسَلَ إلينا ليملِّكنا على أهل يثرب . فقال أحيحة : واللهِ ما دعاكم لخير ! وقال :

ليتَ حَظّي من أبي كرِبٍ * أنْ يَرُدَّ خيرُه خَبَلَه (٢)

فذهبَتْ مثلا . وكان يقال : إنّ مع أحيحة تابعاً من الجنّ يُعلِمه الخَبَر لكثرة صوابه ؛ لأنّه كان لا يظنّ شيئًا فيخبر به قومه إلا كان كما يقول . فخرجوا إليه ، وخرج أحيحةُ ومعه قَينةٌ له ، وخِباء ، فضُرِب الخباء وجُعِل فيه القينةُ والخمر ، ثم خرج حتّى استأذن على تُبّع ، فأذِن له ، وأجلسَه معه على زِرْبيّة (٣) تحته ، وتحدّث معه وسأله عن أمواله بالمدينة ؛ فجعل يُخبِره عنها ، وجعل تُبّعٌ كلّما أخبره عن شيءٍ منها يقول : كلُّ ذلك على هذه الزربية . يريد بذلك تُبّعٌ قتلَ أحيحة ، ففطِنَ أحيحة أنه يريد قتله ، فخرج من عنده فدخل خِباءه ، فشرِب الخمرَ ، وقرَضَ أبياتا ، وأمر القينةَ أن تغنّيه بها ، وجَعل تُبّعٌ عليه حَرَسا ، وكانت قينته تُدعى مُلَيكةَ فقال :

يشتاقُ قلبي إلى مُلَيكةَ لو * أمسَتْ قريباً ممن يطالبُها

(١) كذا في ط ، مب ، مط . وفي سائر النسخ : « زيد بن أمية بن زيد وابن عمه زيد بن ضبيعة ابن زيد بن عمرو بن عوف وابن عمه زيد بن أميــة بن زيد ، وابن عمه زيد بن عبيد بن زيد » ، وفيه تكرار وخلاف في الترتيب .

(٢) كذا على الصواب في ط ، مب ، مط وكتاب التيجان لوهب بن منبه ٢٩٤ . لكن في التيجان : «أن يسد» . وفي سائر النسخ : « أن يرد خيره جبله » .

(٣) الزربية ، بالكسر و يضم : واحدة الزرابي ، وهي البسط والنمارق .

الأبيات . وزاد فيها مما ليس فيه غناء :

لِتَبكِني قَينةٌ ومِزهرُها * ولتبكِني قهوةٌ وشاربُها
ولْتبكِني ناقةٌ إذا رُحِلَتْ * وغابَ فى سَرْدحٍ مَناكبُها (١)
ولْتبكِني عُصبةٌ إذا جُمعتْ (٢) * لم يعلمِ الناسُ ما عواقِبُها

فلم تزل القينة تُغنِّيه بذلك يومه وعامّةَ ليلته (٣)، فلما نامَ الحُرّاس قال لها : إنّى ذاهب إلى أهلى فشُدِّى (٤) عليك الخِباءَ، فإذا جاء رسولُ الملكِ فقولى له : هو نائم ؛ فإذا أبَوْا إلّا أن يُوقظوني فقولى : قد رجَع إلى أهلِه وأرسَلَنى إلى الملك برسالة. فإن ذهبوا بكِ إليه فقولى له : يقول لكَ أحيحة : «اغدِر بقَينةٍ أو دَعْ» . ثم انطلَق فتحصَّنَ فى أُطُمِه الضَّحْيانِ (٥)، وأرسل تُبَّعٌ من جَوفِ الليلِ إلى الأرْيادِ فقتلَهم على فَقارةٍ من فَقارٍ (٦) تلك الحَرَّة . وأرسل إلى أحيحةَ ليقتله ، فخرجتْ إليهم القينة ، فقالت : هو راقدٌ . فانصرفُوا وتردَّدُوا عليها مرارا ؛ كلَّ ذلك تقول : هو راقد . ثم عادوا فقالوا : لَتوقِظِنَّه أو لندخُلَنَّ عليكِ . قالت : فإنه قد رجع إلى أهلِه ، وأرسلنى إلى الملك برسالة . فذهبوا بها إلى الملكِ ، فلما دخلَتْ عليه سألها عنه ، فأخبرته خَبَره ، وقالت : يقول لك : « اغدر بقَينةٍ أودَعْ » . فذهبتْ كلمةُ أحيحةَ هذه مثلًا ؛ فجرَّدَ له كتيبةً من خيلِه ، ثم أرسلَهم فى طلبِه فوجَدُوه قد تحصَّنَ فى أُطُمِه ، فحاصروه ثلاثًا ؛ يقاتلُهم بالنَّهار ويرميهم بالنبل والحجارة ، ويرمِى إليهم بالليل

(١) السردح : الأرض اللينة المستوية . ط ، حـ : « سرنج » . والسرنج : الأرض الواسعة .
(٢) ط ، مب ، مط : « إذا اجتمعت » .
(٣) ط ، مب ، مط : « عامة ليله » .
(٤) ما عدا ط ، مب ، مص : « فسدى » بالسين المهملة .
(٥) الأطم : حصن مبنى بحجارة ، وهو القصر أيضا .
(٦) هذا ما فى حـ ، مب ، مط . وفى ط : « فقرة من فقار » ، وهى صحيحة أيضا ، مشبهتان بفقار الظهر . وفى سائر النسخ : « نفارة من نفار » ، تحريف .

بالتمر ، فلما مضت الثلاثُ رجعوا إلى تُبَّعٍ فقالوا : بَعَثْتَنا (١) إلى رجلٍ يقاتلنا بالنهار ، ويضيفنا بالليل ! فتركه ، وأمرهم أن يُحرِّقوا نخلَه . وشَبَّت الحربُ بين أهلِ المدينة : أَوْسها وخَزْرجها ويهودها ، وبين تُبَّع ، وتحصَّنوا فى الآطامِ . فخرج رجلٌ من أصحابِ تُبَّع حتى جاء بنى عدىّ بن النجّار ، وهم متحصِّنون فى أطمِهم ، الذى كان فى قِبلةِ مسجدِهم ، فدخل حديقةً من حدائِقهم ، فرقِىَ عِذْقاً منها يجُدُّها (٢) ، فاطَّلَعَ إليه رجلٌ من بنى عدىّ بنِ النجارِ من الأطمِ يقال له أحمر أو صخر (٣) بن سليمان من بنى سَلِمة ، فنزل إليه فضرَبه بمِنجلٍ حتى قتلَه ثم ألقاه فى بئر ! وقال : جاءنا يجُدُّ نخلَنا (٤) ، «إنَّما النخل لِمَنْ أَبَرَه (٥)» ، فأرسلها مثلا . فلما انتهى ذلك إلى تُبَّع زاده حَنَقاً وجرّد إلى بنِى النجّار جريدةً من خيلِه (٦) ، فقاتلهم بنو النجّار ورئيسُهم عمرو ابن طَلَّة (٧) أخو بنى معاوية بنِ مالكِ بنِ النجّارِ ، وجاء بعضُ تلك الخيولِ إلى بنى عَدىّ وهم متحصِّنون فى أُطمِهم الذى فى قِبلةِ مسجدِهم ، فراموْا بنى عدىّ بالنَّبلِ ، فجعلت نَبلُهم تقع فى جِدارِ الأُطمِ ، فكان على أُطمِهم مثلُ الشَّعَرِ من النبل ، فسمِّى ذلك الأطمُ الأشعر — ولم تزَلْ بقايا النَّبل فيه حتى جاء الله عزّ وجلّ بالإسلام — وجاء بعضُ جنوده إلى بنِى الحارثِ بنِ الخزرج ، فجَذَمُوا نخلَهم من أنصافها ،

(١) ماعدا ط ، مب ، مط : «تبعثنا» .
(٢) العذق : النخلة ، عند أهل الحجاز . يجدها : يقطع تمرها . ما عدا ط ، مب ، مط ، ح : «يجده» ، لتذكير للفظ والتأنيث للمعنى . (٣) ط : «صحر» بالحاء المهملة .
(٤) ماعدا ط ، مب ، مط : «نخلتنا» . (٥) الأبر والتأبير : إصلاح النخل وتشذيبه .
(٦) الجريدة من الخيل : القطعة منها عليها فرسانها .
(٧) كذا فى ط ، مب ، مط ، وكتاب التيجان ٢٩٤ — ٢٩٥ . وفى سائر النسخ : «عمرو بن طلحة» فى كل موضع من هذا الخبر .

فسمّيت تلك النخلُ جُذْمانُ[1] ، وجدَعوا هم فرساً لتبّع ، فكان تُبّع يقول : لقد صَنَع بى أهلُ يثربَ شيئاً ماصَنَعه بى أحد ؛ قتلوا ابنى وصاحبى ، وجَدَعوا فرسى ! قالوا : فبينا تُبَّع يريد إخرابَ المدينةِ ، وقَتل المقاتلة ، وسَبْىَ الذرّيةِ ، وقَطْعَ الأموالِ أتاه حَبرانِ[2] من اليهودِ فقالا : أيها الملك انصرفْ عن هذه البلدة فإنها محفوظة ، وإنا نجد اسمَها كثيرًا فى كتابنا ، وأنها مُهاجَرُ نبيٍّ من بنى إسماعيل اسمهُ أحمد ، يخرج من هذا الحرم من نحو البيتِ الذى بمكة ، تكون دارَه وقرارَه ، ويتْبعه أكثرُ أهلِها. فأعجبَه ما سمِع منهما ، وكفَّ عن الذى أراد بالمدينةِ وأهلِها ، وصَدّق الحَبْرَين بما حدَّثاه ، وانصرف تُبَّعٌ عما كان أراد بها ، وكفَّ عن حربِهم ، وآمنهم حتى دخلوا عسكره ، ودخَل جندُه المدينة ؛ فقال عمرو بن مالكِ بنِ النجارِ ، يذكر شأن تبع ، ويمدحَ عمرو بن طَلّة :

أصحا أمْ انتحَى ذِكَرَهْ[3] * أم قضَى من لذّةٍ وطَرَه

بعد ما ولّى الشباب وما * ذِكْرُهُ الشّبابَ أو عُصُره[4]

إنّها حَربٌ يمانيّةٌ * مثلها آتى الفتى عِبَرَه

سائلِى عِمْرانَ أو أسَدًا * إذ أتت تعدُومع الزُّهَره[5]

---

(١) أى سمى ذلك الموضع ، وهو بضم الجيم . وأنشد ياقوت فيه لقيس بن الخطيم :

فلا تقربوا جذمان إن حمامه * وجنته تأذى بكم فتحملوا

(٢) الحبر ، بفتح الحاء وكسرها : العالم .

(٣) انتحى : اعتمد وقصد . ط ، حـ ، مب ، مط : « أم ما انتحى » .

(٤) العصر ، بضمتين : لغة فى العصر ، وهو الزمان . ما عدا ط ، حـ : « ذكرت شبابه » . وإنما يقول : إن ذكر الشباب وعصره لا يغنى عن الشيخ فتيلا .

(٥) عمران ، فى ط ، حـ ، مب ، مط . وفى سائر النسخ : « همدان » .

فَيَلْــقٌ فيــه أبو كَرِبٍ * سَــبِعٌ أبدانُه ذَفِــره[1]

ثم قالوا مَنْ يــؤُمُّ بنــا * أبنو عوفٍ أم النَّجــره[2]

يا بَنِى النّجارِ إنّ لنــا * فيــكُمُ ذَحْلًا وإنَّ تِره[3]

فتلقَّتْهـــم مُســايِفــةٌ * مَدُّها كالغَبْيَةِ النَّـــثِره[4]

— الغَبْيَة[5] : السحابة التى فيها مطر و برق برعد —

٥

فيهــمُ عَمرو بن طَلّةَ لَا * هُمَّ فامنَحْ قومَه عُمُــرَه[6]

سَيِّدٌ سامَى الملوكَ ومَنْ * يَدْعُ عَمرًا لا يَجِدْ قَدَرَه[7]

وقال فى ذلك رجلٌ من اليهود :

تكلّفــنى مِــن تكاليفهــا * نَخيــلَ الأساوِيفِ والمَصْنَعه[8]

نخيــلًا حَمَتْهــا بنــو مالكٍ * جُنــودَ أبى كَرِبَ المُقْطِعَــه

١٠

وقال أُحَيحة يرثى الأزياد الذين قَتَلهم تُبّع :

ألا يا لهفَ نفسى أىَّ لهفٍ * على أهــلِ الفقارةِ أىَّ لهف[9]

---

(١) كذا على الصواب فى ط ، مب ، مط . جعله أسدا ذفر البدن ، والسبع أبخر ذفر البدن . ماعدا ط ، مب : « تبع » ، تحريف . (٢) يعنى بالنجرة ، بنى النجار . (٣) أى وإن لنا ترة .

١٥

والترة : الوتر والذحل . وهذه رواية ط ، مب . وفيما عداهما : « وإن نترة » ، تحريف .

(٤) المسايفة : التى تسايف ، أى تضارب بالسيوف . كالغبية ، هى فيما عدا ط ، مب ، مط ، جـ : « كالصيبة » ، تحريف . والنثرة : وصف من النثر ، وهو رمى الشىء متفرقا .

(٥) الغبية ، بفتح الغين وسكون الباء بعدها . ما عدا ط ، ما ، جـ : « الصيبة » ، محرفة .

(٦) لا هم ، أى اللهــم . قومه ، كذا على الصــواب فى ط ، مب ، مط . وفى جـ : « قوله » وفى سائر النسخ : « نوله » محرفتان . وهو دعاء له بطول العمر . (٧) قدره ، أى مثله وكفأه .

٢٠

(٨) الأساويف والمصنعة : موضعان لم أهتد إلى تعيينهما . ط ، مط : « كل لهف » .

(٩) ما عدا ط ، جـ : « أهــل القفارة » وهى فى مط مهملة الفاء والقاف . وانظر ما سبق فى صفحة ٤٠ .

مَضَوا قَصْدَ السَّبِيلِ وخَلَّفونى * إلى خَلَفٍ من الأَبْرام خَلْفِ (١)

سُدًى لا يكتفون ولا أراهم * يُطيعُونَ امرأً إن كان يكفى (٢)

قالوا : فلما كَفَّ تُبَّعٌ عن أهلِ المدينةِ اختلطوا بعسكره فبايَعُوه وخالطوهم . ثم إنّ تبّعًا استَوبأ بئره التى حَفَرها (٣) ، وشكا بَطْنَه عن مائها ؛ فدخلت عليه امرأةٌ من بنى زُرَيقٍ يقال لها فَكِهةُ بنت زيدِ بنِ كلدة بنِ عامرِ بنِ زريقٍ (٤) ، وكانت ذاتَ جَلَدٍ وشرف فى قومها ، فشكا إليها وَبَأَ بئره ، فانطلقتْ فأخذتْ قِرَبًا وحمارين حتّى استقتْ له من ماءِ رُومة ، فشرِبَه فأعجبَه ، وقال : زيدينى من هذا الماءِ . فكانت تختلفُ إليه فى كلِّ يوم بماءِ رُومة ، فلمّا حان رحيلُه دعاها ، فقال لها : يا فكهة ، إنّه ليس معَنا من الصفراءِ والبيضاءِ شىء (٥) ، ولكنْ لكِ ما تركْنا من أزوادنا ومتاعِنا . فلما خرجَ تُبَّعٌ نقلت ما تركوه من أزوادِهم ومتاعِهم ؛ فيقال إنه لم تزل فكِهةُ أكثرَ بنى زُرَيقٍ مالًا حتّى جاء الإسلام .

قال : وخرج تُبّعٌ يريد اليمن ومعه الحبرانِ اللذان نَهَياه عن المدينة ، فقال حين شَخَص من منزلِه : هذه قُبَاء الأرض . فسمِّيت قُباء (٦) . ومرّ بالجُرُف فقال : هذا جُرُف الأرض . فسمِّى الجُرُفَ ، وهو أرفعها . ومرّ بالعَرْصة وتسمّى السليل فقال : هذه عَرْصة الأرض . ثم انحدر فى العقيقِ فقال : هذا عقيقُ الأرض . فسمِّى العقيق .

---

(١) الأبرام : جمع برم ، بالتحريك ، وهو الجبان البخيل ، أو المعدم الذى لا يدخل مع القوم فى الميسر . والخلف ، بالفتح : الأشرار .

(٢) سدى : همل . س : « يصوون أمراً » .

(٣) استوبأها : استوخمها .

(٤) ط ، حـ ، مب : « جنذة » مب : « حدة » .

(٥) الصفراء : الدنانير . والبيضاء : الدراهم .

(٦) إنما يصح اشتقاقها على لغة القصر ، فإن القبى : جمع قبوة . انظر معجم البلدان (قبا) .

ثمّ خرجَ يسير حتّى نزل البَقيـع ، فنزلَ على عدِيٍ من غسّان له بَرَاجِمَ فشربَ منه شربة فدخلت فى حلقِه علَقَةٌ فاشتكَى منها . فقال فيما ذكر أبو مسكين قوله :

ولقد شربتُ على براجمَ شَربةً * كادت بباقية الحيـاة تذيعُ[1]

ثم مضى حتى إذا كان بجمـدان[2] جاءه نفرٌ من هُـذيل[3] فقالوا له : اجعلْ لنـا جُعْلًا وندلَّك على بيتِ مالٍ فيـه كنوزٌ من اللؤلؤ والياقوت والزبرجد والذهب والفضّة[4]، ليست لأهله مَنَعةٌ ولا شَرَف . فجعـل لهم من ذلك جُعلًا . فقالوا له : هو البيت الذى تحجُّه العربُ بمكّة . وأرادوا بذلك هلاكه . فوجّه نحوه فأصابته ظُلمةٌ منعته من السَّـير ، فدعا الحَبرين فسألهما . فقالا : هذا ما أجمعتَ عليه فى هذا البيت ، واللهُ مانِعه منك ، ولن تصل إليه . فاحذرْ أن يصيبك ما أصاب مَن انتهك حُرماتِ الله ؛ وإنمـا أراد القومُ الذين أمروك به هلاكَك ، لأنه لم يَرُمْه أحدٌ قطُّ بشرٍّ إلا أهلكَه الله ، فأكرِمْه وطُفْ به ، واحلِقْ رأسَك عنده . فترك الذى كان أجمعَ عليه ، وأمر بالهذليِّين فقطّع أيديَهم وأرجلَهم ، ثم خرجَ يسير حتّى أتى مكّة فنزل بالشِّعب من الأبطَح ، وطاف بالبيت ، وحلَقَ رأسه ، وكساه الخَصَفَ[5] .

---

(١) كذا على الصواب فى حـ . وفى ط ، مب ، مد : «تريع» وفى سائر النسخ : «تريع» . وإنمـا يقال أذاع بالشئ : ذهب به . ومنه بيت الكتاب :

* ربع قواء أذاع المعصرات به *

أى أذهبته وطمست معالمه . وقول الآخر :

نوازل أعوام أذاعت بخمسة * وتجعلنى إن لم يق الله ساديا

(٢) ط ، حـ : «بجمدان» بالجيم .

(٣) كذا على الصواب فى ط ، مب ، مد والتيجان ٢٩٥ . وفى سائر النسخ «من قريش» .

(٤) هذه من ط ، مب ، مط .

(٥) الخصف ، بالتحريك : ثياب غلاظ جدا ، مشبهة بالخصف المنسوج من الخوص .

محاولة تبع هدم البيت ثم عدوله عن ذلك

قال هشامٌ : وحدّثنى ابنٌ لجرير بن يزيدَ البجَلى عن جعفرِ بنِ محمدٍ عن أبيه .
قال هشام : وحدّثنى أبى عن صالح[1] عن ابنِ عباس قال :

لمّا أقبلَ تبّعٌ يريد هدْمَ البيتِ وصَرْفَ وجوهِ العربِ إلى اليمن ، بات صحيحاً فأصبح وقد سالَتْ عيناه على خدّيه ، فبعَثَ إلى السَّحَرة والكُهّان والمنجِّمين ، فقال : مالِى ، فواللهِ[2] لقد بتُّ ليلتِى ما أجد شيئا ، وقد صرت إلى ما تَرَون . فقالوا : حدِّثْ نفسَك بخيرٍ . ففعَلَ فارتدّ بصيراً ، وكسا البيت الخصَفَ .

هذه رواية جعفرِ بنِ محمدٍ عن أبيه . وفى روايةِ ابنِ عباس :

فأُتِى فى المنامِ فقيل له : اكسُه أحسَنَ من هذا . فكساه الوصائلَ — قال : وهى بُرود العَصْب[3] ، سمِّيت الوصائل لأنّها كانت يُوصل بعضُها ببعضٍ — قال : فأقام بمكةَ ستّةَ أيامٍ يُطعم الطعام ، وينحر فى كلّ يوم ألفَ بعيرٍ ، ثم سار إلى اليمن وهو يقول :

وَنَحَرنا بالشِّعبِ ستّةَ آلا * فٍ تَرَى الناسُ نَحوهنّ وُرودا[4]
وكَسَونا البيتَ الذى حَرّمَ اللّـ * ـهُ مُلاءً معضَّدا وبُرودا[5]
وأقمنا بهِ من الشّهرِ ستّاً * وجعلنا له بهِ إقليدا
ثم أُبْنا منه نؤمُّ سُهَيلًا[6] * قد رفَعنا لواءنا المعقودا

قال : وتهوّد تبّعٌ وأهلُ اليمن بذينِك الحبرين .

---

(١) ط ، مب ، مض : «عن أبى صالح» . (٢) ما عدا ط ، مب ، مط : «فقال والله» .
(٣) العصب : ضرب من برود اليمن وهذا ما فى ط ، مب ، مض ، حـ . وفى سائر النسخ : «القصب» ، تحريف . (٤) ورودا ، أى واردين . وأصل الورود مصدر ورد .
(٥) معضد : مخطط على شكل العضد . ما عدا ط ، مب ، مط ، حـ : «منضدا» تحريف .
(٦) نؤم سهيلا ، أى نقصد اليمن . وسهيل مطلعه اليمن .

خلاف أحيحة مع بني النجار وحياته وحبه له

أخبرني محمد بن مزيد[1] قال: أخبرني حماد بن إسحاق عن أبيه، قال: حدثني أبو البختري عن أبي إسحاق. قال: أخبرني أيوب بن عبد الرحمن.

أن رجلا من بني مازن بن النجار يقال له كعب بن عمرو، تزوج امرأة من بني سالم بن عوف[2] فكان يختلف إليها، فقعد له رهط من بني جحجبي بمرصد، فضربوه حتى قتلوه أو كادوا، فأدركه القوافل[3] فاستنقذوه، فلما بلغ ذلك أخاه عاصم بن عمرو خرج وخرج معه بنو النجار، وخرج أحيحة بن الجلاح ببني عمرو بن عوف، فالتقوا بالرحابة[4]، فاقتتلوا قتالا شديدا، فقتل أخا عاصم يومئذ أحيحة بن الجلاح، وكان يكنى أبا وحوحة، فأصابه في أصحابه حين انهزموا، وطلب عاصم أحيحة حتى انتهى إلى البيوت[5]، فأدركه عاصم عند باب داره فزجه بالرمح. ودخل أحيحة الباب، ووقع الرمح في الباب، ورجع عاصم وأصحابه فمكث أياما. ثم إن عاصما طلب أحيحة ليلا ليقتله في داره، فبلغ ذلك أحيحة، وقيل له إن عاصما قد رئي البارحة عند الضحيان[6] والغابة[7] — وهي أرض لأحيحة، والضحيان: أطم له — وكان أحيحة إذ ذاك سيد قومه من الأوس، وكان رجلا صنعا[8] لماله، شحيحا عليه، يبيع بيع[9] الربا بالمدينة، حتى كاد يحيط بأموالهم، وكان له تسع وتسعون بعيرا[10] كلها ينضح

(١) ما عدا ط، مب، مط ح: «محمد بن يزيد». (٢) ما عدا ط، ما، مب: «من عوف».

(٣) القوافل، بقافين: بطن من الأنصار. وفي الأصول: «القواقل».

(٤) الرحابة، بضم الراء: موضع بالمدينة.

(٥) في عدا ط، مب، مط، ح: «وقعن». تحريف.

(٦) هذا ما في ط، مب، مط. وفي سائر النسخ: «قد زوى عن الضحيان» تحريف.

(٧) ط: «والعناية» ح: «والعنابة» أ: «والنعباية». مط: «والعابة».

(٨) الصنع، بالتحريك: الحاذق الماهر. ما عدا ط، مب: «صنيعا» محرف.

(٩) ما عدا ط، مب، مط: «يتبع».

(١٠) ط، مط: «بئرا». ومؤدى العبارتين واحد.

عليها ، وكان له بالخُرُف أصوار[1] من نخل قلَّ يومٌ يمرّ به إلّا يطّلع فيه ، وكان له أُطُمان : أُطمٌ فى قومه يقال له المستظَلّ ، وهو الذى تحصّن فيه حين قاتل تُبّعَ أسعدَ أبا كَرِب الحميرى[2] ، وأُطمُه الضَّحيان بالعُصبة[3] فى أرضه التى يقال لها الغابة بناه بحجارة سُود وبنى عليه نَبْرةً[4] بيضاءَ مثلَ الفضّة ، ثم جعل عليها مثلها ، يراها الراكبُ من مسيرة يومٍ أو نحوه ، وكانت الآطام هى عزّهم ومَنعتَهم وحصونَهم التى يتحرّزون فيها من عدوّهم . ويزعمون أنّه لمّا بناه أشرف هو وغلامٌ له ، ثم قال : لقد بنيتُ حصنا حصينًا ما بنى مثله رجلٌ من العرب أمنعَ ولا أكرمَ ، ولقد عرفتُ موضعَ حجرٍ منه لو نُزع لوقع جميعا . فقال غلامُه : أنا أعرفه . فقال : فأرنيه يا بُنَىّ ، قال : هو هذا ، وصرف إليه رأسه ؛ فلما رأى أحيحةُ أنّه قد عرفه دفعه من رأس الأُطُم فوقع على رأسه فمات ؛ وإنّما قتله لئلّا يعرف ذلك الحجرَ أحدٌ . ولمّا بناه قال :

بنيتُ بعد مُستظَلٍّ ضاحيا * بنيته بعُصبةٍ[5] من ماليا

والسِّرُّ ممّا يتبع القواصيا[6] * أخشى رُكَيبًا أو رُجَيلا عاديا[7]

وكان أحيحةُ إذا أمسى جلس بحذاء حصنه الضَّحيان ، ثم أرسل كلابًا له تنبح دونه على مَن يأتيه ممّن لا يعرف ، حذرًا أن يأتيه عدوٌّ يصيب منه غِرّة ؛ فأقبل عاصم بن عمرو يريده فى مجلسه ذلك ليقتلَه بأخيه ، وقد أخذ معه تمرًا ، فلما نبحته

(١) أصوار : جمع صور ، بالفتح ، وهو النخل الصغار أو المجتمع . والمعروف فى جمعه « صيران » .
(٢) سبق الكلام عليه فى صفحة ٣٧ .
(٣) انظر ما سبق قريبا ص ٤٧ .
(٤) نبرة : كل شىء مرتفع فوق شىء . ط ، مب ، مط : « بتره » تحريف .
(٥) ط ، مب ، مص : « بقودة » .
(٦) ما عدا ط ، ح ، مب ، مط : « السرّ مما يتبع القواصيا » .
(٧) الركيب : مصغر ركب ، وهم الجماعة الراكبون . والرجيل : مصغر الرجل ، بالفتح ، وهم الجماعة الراجلون .

الكلابُ حين دنا منه ألقى لهـا التمْرَ فوقفتْ، فلمّـا رآها أحيحةُ قد سكنت حذِر فقامَ فدخلَ حِصنَه، ورماه عاصمٌ بسهمٍ فأحرزَه منـه البابُ[1]، فوقع السَّهمُ بالباب، فلما سمع أحيحةُ وقْعَ السَّهم صرخَ في قومـه، فخرج عاصم بن عمرو، فأعجزَهم حتّى أتى قومَه. ثمّ إنّ أحيحة جمع لبني النجّارِ فأراد أن يغترّهم فواعدَهُم وقومَه لذلك[2]، وكانت عند أحيحة سَلْمى بنت عمرِو بنِ زيدِ بنِ لَبيدِ بن خِدَاش إحدى نساءِ بني عديّ بن النجارِ، له منهـا عمرو بن أحيحة، وهي أمُّ عبدِ المطلبِ بن هاشمٍ، خلَفَ عليها هاشمٌ بعـد أحيحة، وكانت امرأةً شريفةً لا تَنكِح الرجالَ إلّا وأمرُها بيدِها، إذا كرِهتْ من رجلٍ شيئًا تركته.

فزعم ابنُ إسحاقَ أنّه حدّثه أيوبُ بن عبدِ الرحمن[3]، وهو أحد رهطِها، قال: حدّثني شيخٌ منّا أنّ أحيحة لمّـا أجمعَ بالغارةِ على قومِها ومعها ابنها عمرو بن أحيحة، وهو يومئذٍ فَطيمٌ أو دونَ الفطيم، وهو مع أحيحةَ في حِصْنِه عَمَدت إلى ابنها فربَطَتْه بخيطٍ، حتّى إذا أوجعت الصبيَّ تركَتْه فبات يبكي، وهي تحمِـله، وبات أحيحةُ معها ساهرًا، يقول: ويحكِ ما لابني؟ فتقول: والله ما أدري ماله. حتّى إذا ذهبَ اللّيلُ أطلقت الخيطَ عن الصبيِّ فنام. وذكروا أنّهـا ربطت رأسَ ذكره، فلما هدأ الصبيُّ قالت: وارأساه! فقال: أحيحة: هـذا واللهِ ما لقيتِ من سهرِ هـذه الليلة. فبات يعصِبُ لها رأسها ويقول: ليس بكِ بأس. حتّى إذا لم يبق من الليل إلا أقلُّه قالت له: قُم فنَمْ، فإنّي أجدُني[4] صالحةً قـد ذهب عنّي ما كنتُ

(١) هذا الصواب من حـ، ط، مب، مط. وفي سائر النسخ: «فأحرز منه الباب».

(٢) فيا عدا ط، حـ، مب، مط: «فواعده قومه لذلك».

(٣) ما عدا ط، حـ، مب، مط: «أن جدّه أيوب بن عبد الرحمن»، تحريف.

(٤) ماعدا ط، حـ، مب، مط: «أجد في صالحة»، محرف.

أجده . وإنما فعلَتْ به ذلك ليثقُلَ رأسُه ، وليشتدَّ نومُه على طولِ السَّهر . فلما نام قامت وأخذَتْ حبلًا شديدًا وأوثقته برأسِ الحِصن ، ثم تدلَّت منه وانطلقت إلى قومِها ، فأنذرَتْهم وأخبرَتْهم بالذى أجمعَ هو وقومه من ذلك ، فحَذِر القومُ وأعدُّوا واجتمعوا . فأقبلَ أحيحةُ فى قومِه فوجد القومَ على حذرٍ قد استعدُّوا ، فلم يكن بينهم كبيرُ قتالٍ ؛ ثم رجَع أحيحةُ فرجَعوا عنه ، وقد فقَدَها أحيحةُ حين أصبحَ ؛ فلما رأى القومَ على حذَرٍ قال : هـذا عملُ سَلْمى ! خدعَتْنى حتَّى بلغَتْ ما أرادت . وسمَّاها قومُها المتدلِّية ؛ لتدلِّيها من رأسِ الحصن . فقال فى ذلك أحيحة وذكَر ما صنعت به سَلْمَى :

شعره فى امرأته سلمى

تفهَّمْ أيُّها الرَّجلُ الجهولُ * ولا يَذهَبْ بك الرأىُ الوبيلُ
فإنَّ الجهلَ مَحملُه خفيفٌ * وإنَّ الحِلْمَ مَحملُه ثقيلُ (١)

[وفيها يقول :

لَعَمْرُ أبيكَ ما يُغنِى مَقامِى * من الفتيانِ رائحةً جَهولُ
نَؤُوم ما يقلِّصُ مستقِلًّا * على الغاياتِ مَضجعُه ثقيلُ]
إذا باتت أعصِّبُها فنامت * علىَّ مكانَها الحُمَّى الشَّمولُ (٢)
لَعلَّ عِصابَها يَبغِيك حَرباً * ويأتيهم بعَوْرَتِك الدَّليلُ
وقد أعددتُ للحَدَثان عَقْلاً * لوَ انَّ المرء تنفعه العقُولُ (٣)

(١) البيتان بعده مما انفردت به نسخة ط ، مب ، مط .

(٢) أعصبها ، يشير إلى ما كان من تعصيبه رأس امرأته حين ادّعت ألم رأسها . يقول : باتت عليه الحمى الشمول ، أى الباردة التى تصيب صاحبها بالقشعريرة .

(٣) العقول : جمع عقل ، وهو الحصن والمعقل . وفى الأصول : « أصلا » وقد فسرت فى مط « بنو ساء الحصن » . والرواية المعروفة : « عقلا » كما فى اللسان (عقل) .

وقال فيها وفيما صَنَعتْ به :

أخلَقَ الرَّبعُ من سُعادَ فأمسى * رَبعُه مُخلِقًا كدَرْس المُــلاةِ[1]

بالِيًـا بعد حاضِرٍ ذى أنيسٍ * مِن سليمى إذْ تغتدِى كالمَهَاة

وهى قصيدةٌ طويلةٌ، يقال إنّ فى هذين البيتين منها غناءً .

مساومة قيس ابن زهير له فى درعه

٥ أخبرنى محمــد بن الحسن بن دريد قال : حدّثنى عمى عن العباس بن هشام عن أبيه عن أبى مسكين :

أنَّ قيسَ بن زهير بن جَذِيمة أتى أحيحةَ بن الجُلاح لمَّـا وقَع الشرُّ بينه وبين بنى عامر ، وخرج إلى المدينة ليتجهَّز ، بعثَ إليهم حين قتل خالدُ بن جعفرٍ زُهيرَ ابن جَذِيمة، فقال قيس لأحيحة : يا أبا عمرو، نُبِّئت أنّ عندك دِرعًا ليس بيثرب

١٠ درعٌ مثلها، فإن كانت فُضُلاً[2] فبِعْنيها، أو فهَبْها لى . فقال : يا أخا بنى عَبْس، ليس مثـلى يبيع السلاح ولا يَفضُل[3] عنه، ولولا أنّى أكره أن أستلِم[4] إلى بنى عامر لوهبتُها لك ، ولحملتك على سوابِقِ خيلى ، ولكن اشترِها يا أبا أيوب ، فإنّ البيع مرتَخَص[5] وغالٍ . فأرسلها مثلا . فقال له قيس : فمــا نكرُهُ من استِلامتك إلى بنى عامر ؟ قال : كيف لا أكره ذلك وخالدُ بن جعفر الذى يقول :

١٥ إذا ما أرَدتَ العزَّ فى آل يثربٍ * فنــادِ بصوت يا أحيحةُ تُمنَعِ[6]

رأيت أبا عمرو أحيحةَ جارَه * يبيت قَريرَ العــين غيرَ مروَّعِ

(١) الملاة ، أراد بهـا الملاءة . والدرس : الخلق ، بفتح الدال وكسرها ، وهو من إضافة إلى الموصوف .   (٢) الفضل بضمتين . وانظر شروح سقط الزند ١٤٨٨ .

(٣) ط ، مب، مط : « تفضل عليه » حـ : « يفضل عليه » .

٢٠ (٤) استلام إليهم : أتى إليهم ما يلومونه عليه . وفى ط : « أن أستذم » وفى هامشها «أن أستلم» كما فى سائر النسخ .

(٥) ماعدا ط، حـ، مب، مط : « ابتزها » . والابتزاز : الاستلاب، وليس مرادا هنا .

(٦) ماعدا ط ، مب، مط : « أسمع » تحريف .

ومَن يأته من خائف يَنْسَ خوفَه * ومَن يأته من جائع الجَوْف[1] يشبع

فضائلُ كانت للجلاح قديمةً * وأكرِمْ بفخرٍ من خصالك الأربع

فقال قيس : وما عليك بعد ذلك من لَوم . فلها عنه ثم عاودَه فساومه ، فغضب أحيحةُ وقال له : بِتْ عندى . فباتَ عنده، فلمَّا شرب تغنَّى أحيحة وقيسٌ يسمع :

ألا يا قيسُ لا تَسُمَنَّ[2] دِرعى * فما مثلى يُساوَم بالدُّروع

فلولا خَلَّةٌ لأبى جُوَىٍّ * وأنِّى لستُ عنها بالنَّزوع

لأُبتَ بمثلها عَشْرٍ وطِرفٍ * لَحُوق الإطْل جَيَّاشٍ تَليع[3]

ولكنْ سَمِّ ما أحببت فيها * فليس بمنكَرٍ غَبْنُ[4] البيوع

فيا هِبَةَ الدُّروع أخا بغيضٍ[5] * ولا الخيلِ السَّوابقِ بالبديع

وقال : فأمسك بعد ذلك عن مُساومته .

إسحاق الموصلى وسؤاله حفيد معبد عن غناء جده

أخبرنا يحيى بن على بن يحيى قال : حدّثنى أخى أحمد بن علىّ عن عافية ابن شبيب ، قال : حدّثنى أبو جعفر الأسدى ، عن إسحاق بن إبراهيم الموصلى ، وأخبرنا به إسماعيل بن يونس الشيعى إجازة ، عن عُمَر بن شَبَّة عن إسحاق قال :

دعانى الفضلُ بن الربيع يومًا فأتيتُه ، فإذا عنده شيخٌ حجازىٌّ حسَنُ الوجه والهيئة ، فقال لى : أتعرف هذا ؟ قلت : لا . قال : هذا ابن أُنَيسة بنت مَعْبد ، فسَلْه عمّا أحببتَ من غناء جدِّه . فقلت : يا أخا أهل الحجاز، كم غناءُ جدِّك ؟ قال : ستُّون صوتا . ثم غنانى :

ما أحسنَ الجيدَ من مُليكة والـ * ـلَّبَّاتِ إذ زانَها ترائبُها

(١) ب ، س : « البطن » . (٢) أراد : « لا تسومن » فأسقط الواو للشعر .

(٣) أى بعشر مثلها . والطرف ، بالكسر : الفرس الكريم الطرفين ، أى الأبوين . والحوق : الضامر . والإطل : الخاصرة . والتليع : الطويل العنق .

(٤) ماعدا ط ، مب ، مط : « غير البيوع » ، تحريف .

(٥) أى يا أخا بغيض ، وهم قبيلة قيس بن زهير بن جذيمة . البديع : الأمر المبتدع .

قال : فغنّاه أحسن غِناءٍ في الأرض ، ولم آخُذه منــه اتّكالًا على قدرتي عليــه . واضطرب[1] الأمر على الفَضْــل وصار إلى التغيُّب ، وشخَص الشيخُ إلى المدينــة ، فبقيتُ أنشُد الشّعر وأسأل عنــه مَشايخ المغنّين ، وعجائز المغنّيات ، فلا أجد أحدًا يَعرفه ، حتّى قدِمتُ البصرةَ ، وكنتُ آتي جزيرتَها في القيظ فأبيتُ بها ثم أبْكُر بالغداة إلى منزلي . فإنّي لَداخلٌ يومًا إذا بامرأتين نبيلتين[2] ، قد قامتا فأخذَتا بلجام حِماري ، فقلت لهما : مَــه ! قال أبو زيد في خبره : فقالت إحداهما : كيف عِشقُك اليوم لـ « ما أحسَنَ الجِيد من مُليكةَ » وشغَفُك به ، فقــد بلَغني أنّك كنت تطلبه من كلّ أحد ؟ وقد كنتُ رأيتك في مَجلس الفضل وقد استخفّك الطّربُ لهذا الصوت حتّى صفّقت . قال : فقلت لهــا : أشدُّ والله ما كنت عشقًا له ، وقــد ألهبتِ بذكرِك إيّاه في قلبي جَمْرًا ، ولقد طلبتُه ببغداد كلّها فلم أجدْ أحدًا يُسْمِعُنيه . قالت : أفتحبُّ أن أغنّيَك إياه . قلت : نعم . فغنّته والله أحسَنَ ممّا سمعتُه قديمًا بصوتٍ خافض ، فنزلتُ إليهــا فقبّلتُ يديها ورجليها وقلتُ : جَعَلني الله فِداكِ ، لو شئتِ لصرتِ معي إلى منزلي . قالت : أصنع ماذا ؟ قلتُ : أغنّيــكِ وتغنّيني يومًا إلى الليل . قالت : أنت والله أطْفَسُ[3] من أن تفعل ذاك ، وإنّما هو عَرْضٌ ، ولكنّي أغنّيك حتّى تأخُذه . فقلت : بأبي أنتِ وأمّي ، وجعلني الله فداكِ مَنْ أنت ؟ قالت : أنا وَهْبةُ جارية محمّد بن عمران القَرَوِيّ ، التي يقول فيها فَرّوح[4] الرّفاء الطّلحي :

(١) ماعدا ط ، حـ ، مب ، مط : « واطرب » ، وهي لغة في اضطرب .

(٢) النبيلة : الجسيمة .

(٣) أطفس ، من الطفس وهو القذارة . وهذا ما في ط ، حـ . وفي سائر النسخ : « أنفس »

(٤) ط ، مب ، مط : « فروج » ، بالجيم .

صـــوت

يا وَهبُ لم يبق لى شىءٌ أُسَرُّ به * إلّا الجلوسُ فتَسقِينى وأَسقيكِ (١)

وتمزُجينَ بريقٍ منكِ لى قَدَحًا * كأنّ فيه رضابَ المِسْك من فيكِ

يا أطيبَ النّاسِ ريقًا غيرَ مُختبَرٍ * إلّا شهادةَ أطرافِ المَساويكِ

قد زُرتِنا زورةً فى الدّهرِ واحدةً * ثنِّى ولا تجعليها بيضةَ الديكِ (٢)

ما نلتُ منكِ سِوَى شىءٍ أُسَرُّ به * ولستُ أبصر شيئًا من مَساويكِ (٣)

قالت مُلِكتَ ولم تملِكْ فقُلتُ لها * ما كلُّ مالكةٍ تُزرِى بمملوكِ

قال أبو زيد خاصّةً : قال إسحاق : وأنشدتْنيـه وغنّتْنى فيه بصوتٍ مليح قد صنعَتْه فيه ، ثم صارت إلىّ بعد ذلك ، وكانت من أحسن الناسِ غِناء ، وأحسنِهم روايةً . فما كانت تفوق فيه من صَنعتها سائرَ الناس صوتُها ، وهو :

صـــوت

لا بُدَّ من سَكرةٍ على طربِ * لعـلَّ رَوْحًا يُدَالُ من كَرَبِ (٤)

فَعاطِنيهـا صـفراءَ صافيـةً * تَضحكُ من لؤلؤٍ على ذهَبِ

قال : ولها فيه عملٌ فاضل . ومن صنعتها قوله :

(١) شىء ، فى ط ، مب ، مط . وفى سائر النسخ : « شيئا » .

(٢) بيضة الديك : مثل فى الندرة ، يقال إنه يبيض فى العمر بيضة واحدة .

(٣) المساوى : مقابل المحاسن .

(٤) الروح : الراحة . يدال : يبدل . ما عدا ط ، ح ، مب ، مط : « يداك » محرف .

صـــوت

الكأسُ بعد الكأس قد * تُصبِي لكَ الرجلَ الحليما
وتُقَرِّب النسَبَ البعيـ * ـدَ وتبسُط الوجهَ الشَّتيما (١)

قال : وممّا برّزت فيه من صنعتها :

صـــوت

هاتِها سُكّريّةً كشُعاعِ الـ * ـشَّمسِ لا قَرقَفًا ولا خَنْدَرِيسا (٢)
في رُبًى يخلَعُ الوليُّ عليها * ما يحيِّي به الجليسُ الجليسا (٣)
فَلنُوّارِها نسيمٌ إذا ما * حرّكته الرِّياحُ ردّ النُّفوسا

صـــوت

أمسى لسلّامةَ الزّرقاءِ في كَبِدي * صَدْعٌ مقيمٌ طَوالَ الدّهرِ والأبدِ
لا يستطيعُ صَنَاعُ القومِ يَشْعَبُه (٤) * وكيف يُشعَبُ صَدعُ الحبِّ في الكبدِ
إلّا بوصلِ التي من حبِّها انصدعَتْ * تلك الصُّدوعُ من الأسقام والكمَدِ

الشعر والغناء لمحمد بن الأشعث بن فجوة الكاتب الكوفي ، أحد بني زُهْرة من قريش . ولحنه من خفيف الثّقيل الأوّل بالبنصر .

وسَلّامة الزرقاء هذه جارية ابنِ رَامين ، وكانت إحدى القينات المُحْسِنات .

(١) الشتيم : القبيح الكريه المنظرة .

(٢) القرقف : التي تقرقف صاحبها ، لشدتها . والخندريس : القديمة .

(٣) الولي : المطر يأتي بعد الوسمي . يحيي الجليس جليسه بالزهر .

(٤) الصناع ، بالفتح : الحاذق بالصنعة ، يقال للذكر والأنثى . والشعب : الإصلاح . أراد : أن يشعبه ، فحذف « أن » .

ذكر خبرها وخبر محمد بن الأشعث

نسخت ذلك من كتاب هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات[١] ، ذكر أن أبا أيوب المدينى حدثه[٢] عن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن داود قال :

كان محمد بن الأشعث القرشى ثم الزهرى كاتباً، وكان من فتيان أهل الكوفة وظرفائهم وأدبائهم، وكان يقول الشعر ويتغنى فيه . فمن ذلك قوله فى زرقاء جارية ابن رامين، وكان يألفها : ٥

* أمسى لسلّامة الزّرقاء فى كبدى *

وذكر الأبيات .

شعر محمد بن الأشعث فى سلامة

قال : ومن شعره فيها يخاطب مولاها وقد كان حج وأخرج جواريه كلهن — هكذا ذكر أحمد بن إبراهيم . وهذا الشعر[٣] الثانى لإسماعيل بن عمار الأسدى ، ١٠ وقد ذكرت أخباره فى موضع آخر .

صوت

أيّةُ حالٍ يابنَ رامينْ * حالُ المحبّينَ المساكينْ

تركتهم موتى ولم يتلفوا * قد جُرّعوا منك الأمرّينْ

— [ويروى : « تركتهم موتى وما موّتوا » ، وجدته بخط حماد[٤] .] — ١٥

وسرتَ فى ركبٍ على طيّةٍ * ركبِ تهامٍ ويمانينْ

---

(١) هذا ما فى ط ، مط . وفى سائر النسخ : « كتاب محمد بن عبد الملك الزيات » .

(٢) ماعدا ط ، مب ، مط : « ذكر أبو أيوب المدينى أنه حدثه » محرف .

(٣) ماعدا ط ، مب ، مط : « هكذا ذكره . وذكر أحمد بن إبراهيم أن هذا الشعر » .

(٤) التكلة من ط ، مب . ٢٠

يا راعيَ الذَّودِ لقد رُعتَهم * ويلَكَ من رَوْع المحبِّينْ
فرَّقتَ جمعًا لا يُرى مثلُهم * بين دُروب الرُّوم والصِّينْ

الغنـاء لمحمد بن الأشعث نشيد خفيف ثقيل أوّل بالوسطى فى مجراها ، عن ابن المكّى وغيره .

شعره فى وصيفة

٥ قال : ودخل ابنُ الأشعث يومًا على ابن رامينَ فخرجت إليـه الزّرقاء ، فبينما هو يُلقِى عليها إذْ بَصُرَ بوصيفةٍ من وصائفهم فأعجبته ، فقال شعرا فى وقتـه ، وتغنى فيه ، فأخذته منه الزرقاء ، وهو قوله :

صـــــوت

قل لأختِى التى أحبُّ رضاها * أنتِ لى فاعلميه رُكنٌ شـديدُ
١٠ إنَّ لى حاجةً إليـكِ فقولى : * بين أُذْنى وعاتِقى ما تريـد

يعنى قولِى : ما تريد فى عنق حتّى أفعله . ففطِنت الزّرقاء للذى أراد ، فوهَبتْ له الوصيفَة ، فخرج بها .

الغناء فيـه رمل بالوسطى . ذكر عَمرو بن بانة أنّه لابنُ سريج ، وقـد وَهِمَ فى ذلك ، بل الغناء لمحمد بن الأشعث لا يُشَكُّ فيه .

هو وهشام بن محمد عنـد ابن رامين

١٥ قال هارون : وحدّثنى حمّاد بن إسحاق عن أبيه ، قال : وحدّثنى أبو عبد الله الأسَكُ[1] أمير المغنّين أن محمد بن الأشعث الزهرى ، وهشام بن محمـد بن أبى عثمان السُّلَمى ، اجتمعَا عند ابن رامين ، وكان هشامٌ قد أنفق فى منزله مالًا عظيما ، وكان يقال لأبيه بِسيارِدرم[2] ، وتفسيره بالعربية : الكثير الدراهم ، فقال محمد بن الأشعث : يا هشام قُلْ ما تشاء . قال :

٢٠ قل لأختِى التى أحبُّ رِضاها * أنتِ لى فاعلميه ركنٌ شـديد

(١) ماعدا ط ، مب : « الأشيك » .
(٢) مركب من « بسيار » الفارسية بمعنى كثير . ودرم ، هى أصل كلمة « درهم » فى الفارسية .

وأشار بذلك إلى سلّامة الزرقاء . قالت وقد سمعَتْ : فقل . فقال :

إنّ لى حاجةً إليـــكِ فقولى * بين أُذنى وعاتِقِى ما تريدُ

ففطنت الزرقاء للذى أراد، فقالت : بين أُذنى وعاتقى ما تريد، فما هو ؟ قال : وصيفتك هذه، فإنّها قد أعجبتنى . قالت : هى لك . فأخذها فما ردَّ ذلك ابنُ رامينَ ولا تكلَّمَ فيه .

وهذا الشعر والغناء فيه لمحمّد بن الأشعث .

قال هارون : وحدّثنى أبو أيوب عن أحمد بن إبراهيم قال :

هواه لسلامة وسحيقة واسترضاء ابن رامين له

ذكر عمرو بن نوفل بن أنس بن زيد التيمى[1]، أنّ محمد بن الأشعث كان ملازمًا لابن رامينَ ولجاريته سلّامة الزرقاء ، فشُهِر بذلك[2] ، وكان رجلًا قصّافًا[3] فلامه قومُه فى فعله فلم يحفِل بمقالتهم وطال ذلك منه ومنهم، حتّى رأى بعضَ ما كره فى منزل ابن رامين، فمال إلى سَحيقة جارية زُرَيق بن منيح، مولى عيسى بن موسى. وكان زُرَيقٌ شيخًا سخيًّا[4] كريما نبيلا يجتمع إليه أشرافُ الكوفة من كلّ حىّ، وكان الغالبُ على منزله رجلًا من ولد القاسم بن عبد الغفّار العجلى، كغلبة محمد بن الأشعث على منزل ابنِ رامين، فتواصَلا على ملازمة بيت زُرَيق . ففى ذلك يقول محمد ابن الأشعث :

يابنَ رامينَ بُحتَ بالتّصريحِ[5] * فى هَــوَاىَ سَحيقةَ ابنِ منيحِ

قَينــةٌ عَفّةٌ ومــولًى كريمٌ * ونــديمٌ من اللُّبــاب الصّريحِ[6]

(١) ما عدا ط ، مب ، مط : « التيمى » .

(٢) ما عدا ط ، مب ، مط : « فشهد بذلك » تحريف .

(٣) قصافا : كثير القصف ، وهو اللهو واللعب على الطعام ، كما فى القاموس

(٤) هذه الكلمة من ط ، مب ، مط فقط .

(٥) أى فى حبى لسحيقة المنسوبة إلى ابن منيح ، وهو .

(٦) اللباب : الصفوة . والصريح : الخالص .

رَبَعىٌّ مهذَّبٌ أرْيَحِىٌّ * يَشترِى الحمدَ بالفَعَال الرَّبيح[1]

نحنُ منه فى كلِّ ماتشتهى الأنـ * ـفُسُ من لذّةٍ وعيشٍ نجيح

عندَ قَرْمٍ[2] من هاشم فى ذُرَاها * وغناءٍ من الغزالِ المليح

فى سُرورٍ وفى نعيمٍ مُقيمٍ * قد أمِنّا من كلِّ أمرٍ قبيح

٥ فآسأَلْ عنا كما سلوناكَ إنّى * غيرُ سالٍ عن ذاتِ نَفْسى ورُوحى

حافظٌ منك كلَّ ما كنت قد ضـ * ـيَّعْتَ مما عصيتُ فيه نصيحى

فالقِلَى ما حييتَ منّى لك الدّهـ * ـرَ بوُدِّ لمُنْيتى[3] ممنوح

يأبنَ رامينَ فآلزَمَنْ مسجدَ الحـ * ـىِّ وطُولَ الصَّلاة والتّسبيح

قال عمرو بن نوفل : فلم يَدعِ ابنُ رامين شريفًا بالكوفة إلّا تحمَّلَ به على ابن

١٠ الأشعث وأنْ يَرضَى عنه ، ويعاودَ زيارتَه ، فلم يَفعلْ ، حتّى تحمّلَ عليه بالجَوانىّ ،

وهو محمد بن بشر بن جَحْوان الأسدىّ ، وكان يومئذ على الكوفة ، فكلمهُ فرضىَ عنه

ورجع إلى زيارته ، ولم يقطع منزلَ زُرَيق . وقال فى سحيقة :

سحيقةُ أنتِ واحدة القِيانِ * فمالكِ مُشْبِهٌ فيهن ثانِ

فَضَلتِ على القيان بفَضلِ حِذقٍ * فحُزتِ على المدى قَصَبَ الرِّهان

١٥ سجدنَ لكِ القيانُ مكفِّراتٍ[4] * كما سجدَ المجوسُ لمرزُبانِ

ولا سيَمَا[5] إذا غنّيتِ صوتًا * وحرّكتِ المثالث والمثانِى

(١) ربعى : منسوب إلى ربيعة . والأريحى : الذى يهتز للكرم .

(٢) القرم : السيد . ما عدا ط ، مب : « قوم » تحريف .

(٣) القلى : البغض والكراهية . ما عدا ط ، حـ ، مب ، مط : « فاكنفى » . لمنيتى ، يعنى بها جارية

٢٠ ابن رامين . يقول : إن ودى الممنوح لتلك الجارية مقابل ببغضى لك . ما عدا ط ، حـ : « يامنيتى » .

(٤) التكفير : إيماء الذمى أو المجوسى برأسه ، أو أن يتطامن ويضع يده على صدره ، أو أن يسجد لمن يعظمه ، أو أن ينحنى ويطأطئ رأسه قريبا من الركوع ، وكل أولئك طريقة للتعظيم .

(٥) سيا : مخفف سيا . والمثلث والمثنى من أوتار العود .

شربتُ الخمرَ حتّى خلتُ أنّى * أبو قابوسَ أو عبدُ المَدَان[1]

فإعمالُ اليَسارِ على المَلاوِى * ومن يُمناكِ ترجمةُ البيان[2]

أخبرنى محمد بن خلف بن المرزُبان، عن حماد عن أبيه قال:

احتيال سلامة لإقصاء روح بن حاتم

كان روح بن حاتم المهلبي كثير الغِشيان لمنزل ابن رامين، وكان يختلف إلى الزّرقاءِ جاريةِ ابن رامين، وكان يهواها محمدُ بن جَميلٍ وتهواه، فقال لها: إنّ رَوح بن حاتم قد ثَقُل علينا. قالت: فما أصنع[3]، قد غَمَرَ مولاى بِبِرّه! فقال: احتالى له. فبات عندهم رَوحٌ ليلةً[4]، فأخذتْ سراويلَه وهو نائمٌ فغسلَتْه، فلما أصبح سأل عنه فقالت: غَسَلناه. ففطِنَ أنّه أحدَثَ فيه فاحتِيجَ إلى غَسْله، فاستحيا من ذلك وانقطع عنها، وخلا وجهُها لابن جميل.

قال هارون:

وأخبرنى حماد عن أبيه قال:

ابن رامين وجواريه وما قيل فيهن من شعر

ابن رامين اسمه عبد الملك بن رامين، مولى عبد الملك بن بشر بن مَرْوان. وجواريه سَعْدة، ورُبَيْحة، وسَلّامة الزرقاء. وفيهن يقول إسماعيل بن عمار الأسدى، وأنشدناه الحرمى عن الزبير عن عمه، وروايته أتمّ:

(١) أبو قابوس: كنية النعمان بن المنذر. وعبد المدان: سيد من سادات مذحج، وهو أبو يزيد عمرو بن الديان بن قطن بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن عمرو، كما سبق فى خبر أساقفة نجران.

(٢) الملاوى: ملاوى العود التى تشد بها الأوتار. وهذا البيت لم يرد فى ط، مب.

(٣) ما عدا ط، مب، مط: «قد ثقل علينا فما أصنع، فقالت».

(٤) ما عدا ط، مب، مط: «فبات عندها».

هَل مِن شـفاءٍ لقلبٍ لَجَّ محـزونِ * صَبَا، وصبٌّ إلى رِيمِ ابن رامينِ (١)

إلى رُبَيحـة إنّ الله فضَّلَهـا * بحُسـنها وسَمـاعٍ ذى أفانـينِ (٢)

نَعَمْ شفاؤك منهـا أن تقولَ لهـا * قَتَلتِنِي يـومَ دَيرِ اللُّجِّ فاحيِيـنى (٣)

أنتِ الطبيبُ لداءٍ قـد تَلَبَّسَ بى * من الجوَى فانفُثى فى فِىَّ وارقِينى

نفسِى تأبَّى لـكمْ إلّا طَـوَاعِيـة * وأنتِ تَحمَـينَ أنفـا أن تُطيعينى (٤)

فتلك قسمةُ ضِيزَى قد سمعتُ بها * وأنتِ تتلينهـا ما ذاكِ فى الدينِ (٥)

ما عائِذُ الله لى إلفٌ ولا وطَنٌ * ولا ابنُ رامينَ، لولا ما يمنّينى (٦)

يا ربِّ ما لابن رامينٍ، له بَقَـرٌ * عِـينٌ وليس لنـا غيرُ البراذينِ

لو شئتَ أعطيتَـه مالًا على قَدَرٍ * يرضَى به منـكَ غيرَ الخُرَّدِ العِينِ

لِعـائِذِ الله بيتٌ ما مررتُ به * إلّا وُجِئْتُ على قلـبى بسِكِّينِ (٧)

يا سَعدةُ القينةُ البيضاءُ، أنتِ لنا * أُنسٌ لأُنسِـكِ فى دار ابن رامينِ

لا تَحسَبِنَّ بياضَ الجِصِّ يؤنسنى * وأنتِ كنتِ كشَـل الخَزِّ فى اللينِ

لولا رُبَيحة ماﺍستأنستُ ما عَمَدت * نفسى إليـكِ ولو مُثِّلتِ فى طينِ (٨)

---

(١) الريم : مخفف الرئم ، وهو الظبى الخالص البياض . والصب : العاشـق . يقال صبيت إليه صبابة فأنا صب ، أى عاشق .

(٢) أفانين : ضروب .

(٣) دير اللج بالحيرة ، بناه النعمان بن المنذر .

(٤) تحمين أنفا ، أى يحمى أنفك وتأنفين .

(٥) تتلينها ، من التـلاوة . والشعر والكلام بعـده إلى « عيد السعانين » وبدله فيها : « وهى طويلة . وقد تقدّمت قبل هذا الموضع فى أخبار ابن عمار الأسدى » .

(٦) عائذ الله : حى من أحياء العرب . وفى الأصول : « عابد الله » تحريف .

(٧) الوجء : الطعن بسكين ونحوه .

(٨) فى الأصول : « وقد مثلت فى طين » . وانظر ما سبق فى أخبار إسماعيل بن عمار .

لم أنسَ سَعْدَةَ والزّرقاءَ يومَهما * باللُّجِّ شرقيَّهُ فوقَ الدَّكاكين

تُغنّيانِ ابنَ رامين ضحاءَهما * بالمسجحىِّ وتشبيبِ المحبّين (١)

فما دَعوتُ به من عيش مَمْلكةٍ * ولم نَعِش يومَنا عيشَ المساكين

أذاكَ أنعَمُ أم يومٌ ظَلِلتُ به * منعَّمَ العيش فى بُستانِ سُورِين

يشوى لنا الشَّيخ سُورِينٌ دواجِنَه * بالجَرْدَناجِ وسحاج الشقابين (٢)

نُسقَى شرابًا لعمرانٍ يعتّقه * يُمسِى الأصحّاءُ منه كالمجانين

يعنى عمران بن موسى بن طلحة بن عبيد الله —

إذا ذكرنا صلاةً بعدما فَرَطَتْ (٣) * قُمْنا إليها بلا عقلٍ ولا دين

نمشى إليها بِطاءً لا حَراكَ بنا * كأنَّ أرجلَنا تُقْلَعَن من طين

نمشى وأرجلُنا عُوجٌ مضارِحُها * مَشْىَ الإوَزِّ التى تأتى من الصين

أو مَشْىَ عُميانِ دَيرٍ لا دليلَ لهم * إلّا العصىُّ ، إلى عِيدِ السَّعانين

وقال فيه أيضا :

لآبن رامين خُرَّدٌ كهما الرَّمْـ * ـلِ حِسانٌ وليس لى غير بَغْل

ربِّ فضِّلتَه علىَّ ولو شئـ * ـتَ لفضّلتنى عليه بفَضْل

قال حماد : وأخبرنى أبى قال : حدّثنى السَّكونى ، أنّ جعفر بن سليمان اشترى رُبيحة بمائة ألف درهم ، واشترى صالحُ بن علىٍّ سَعْدة بتسعين ألف درهم ، واشترى مَعْن بن زائدة الزرقاء .

(١) ج : « بالمسحجى » بتقديم الحاء .

(٢) الجردناج : هو « كردناج » بالفارسية ، وهو لحم ينضج قليلا بالماء ثم يشوى . معجم استينجاس ١٠٨٠ : (Meat parboiled and roasted) . وسحاج الشقابين ، كذا وردت . وفيما مضى : « وشحاج الشعابين » .

(٣) فرطت : سبقت ، وتقدمت .

قال مؤلف هذا الكتاب : هـذا خطأٌ ، الزّرقاء اشتراها جعفر بن سـليمان ، وإنّما مَعْنًا اشترى غيرَها .

إسماعيل بن عمار وسعدة جارية ابن رامين

أخبرنى حبيب بن نصر قال : حدّثنا عبـد الله بن أبى سـعد قال : حدّثنى على بن الحسن الشيبانى ، عن عبد الملك بن ثوبان (١) قال : قال إسماعيل بن عمار :
٥ كنت أختلف إلى منزل ابن رامينَ فأسمع جاريتيه : الزرقاء وسَعْدة، وكانت سَعدة أظرفَ من الزّرقاء، فأُعجِبتُ بها وعَلمتْ ذلك منّى، وكانت سَعدة كاتبةً ، فكتبتُ إليها أشكو ما ألقَى بها ، فوعدتنى فكتبتُ إليها رقعةً مع بعض خدَمهم :

يا ربِّ إنّ ٱبن رَامينٍ له بقَـرٌ * عِينٌ وليس لنـا غيرُ البراذينِ

وذكر الأبيات الماضية . قال : فجاءنى الخادم وقال : ما زالت تقـرأ رُقعتك
١٠ وتضحك من قولك :

فإن تجودى بذاكِ الشيءِ أحْىَ بهِ * وإنْ بخلتِ به عنِّى فزنِّينى

وكتبت إلىّ : « حاشاك من أن أزنّيَك ، ولكنّى أسـير إليك فأغنيك وألهيـك وأُرضيك » . وصارت إلىّ فأرضتنى بعدَ ذلك .

شراء جعفر بن سليمان للزرقاء وقتله يزيد بن عون

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه ، عن الحسين بن محمد الحرّانى،
١٥ وأخبرنى الجوهرى عن على بن محمد النوفلى عن أبيه :

أن جعفر بن سليمان اشـترى الزرقاءَ صاحبة ابن رامينَ بثمـانين ألف درهم ، وسَتَرها عن أبيه — وأبوه يومئذ على البصرة فى خلافة المنصور، وقد تحرّك فى تلك الأيام عبدُ الله بن على — فهجَمَ عليهما يومًا سليمان بن علىّ فأخفيا العُودَ (٢) تحتَ السّرير

(١) ط : « عبد الملك ثوبان » .
٢٠ (٢) ما عدا ط ، حـ ، مب ، مط : « نخبأ » .

ودخل، فقال له : ويحكَ نحن على هذه الحال نتوقّع الصيلم(١) وأنتَ تشترى جاريةً بثمانين ألفَ درهم ! وأظهرَ له غضباً عليه وتسخُّطا لما فَعَل، فغمز خادمًا كان على رأسه فأخرجها إلى سليمان، فأكبَّتْ على رأسه فقبَّلَتْه، ودعَتْ له، وكانت عاقلةً مقبولةً متكلِّمة، فأعجبه ما رأى منها، وقام عنهما فلم يعد لمعاتبة ابنه بعد ذلك .

قال : ولما مضت لها مُدّةٌ عند جعفرٍ سألها يوما : هل ظفرَ منك أحدٌ ممن كان يهواكِ بخلوةٍ أو قُبْلة ؟ فخشيت أن يبلُغه شيءٌ كانت فعلَته بحضرةِ جماعةٍ أو يكونُ قد بلغه، فقالت : لا والله إلّا يزيد بن عون العِباديُّ الصَّيرفى؛ فإنّه قبَّلنى قُبلةً وقذف فى فىَّ(٢) لؤلؤةً بعتها بثلاثين ألف درهم(٣) . فلم يزل جعفرٌ يحتال له و يطلبه حتّى وقع فى يده، فضرَبهُ بالسِّياط حتّى مات .

استقبال سلامة الزرقاء ليزيد بن عون

قال هارون : وحدّثنى حماد بن إسحاق عن أبيه قال . حدّثنى أبو عوف الدّوسيّ، عن عبد الرحمن بن مُقَرِّن قال :

كتبتُ إلى ابن رامينَ أستأذنه فى إتيانه، فكتب إلىّ : « قد سبقكَ رَوحُ ابن حاتم، فإن كنتَ لا تحتشمُ منه فَرُحْ . فَرُحْتُ، فكنّا كأنّنا فرسا رِهان، والتقينا فعانقنى وقال لى : أنّى تريد؟(٤) قلت : حيثُ أردتَ . قال : فالحمد لله . فدخلنا فخرجَت الزرقاءُ فى إزارٍ ورداءٍ قُوهِيَّينِ(٥) مورَّدين، كأنَّ الشمس طالعةٌ من بين رأسها

(١) الصيلم : الداهية تصطلم القوم . قال :

غضبت تميم أن تقتل عامر * يوم النسار فأعتبوا بالصيلم

(٢) ط، مب، مط : « فى فى » .

(٣) هذه من ط، ها، مب فقط

(٤) ما عدا ط : « أين تريد » ، وهما سيان .

(٥) القوهى : ضرب من الثياب بيض، منسوبة إلى قوهستان . ما عدا ط، مب، مط : « قهو بين » محرفة .

وكتِفيها(١)، فغنّتنا ساعةً ثم جاء الخادم الذى يأذَن لها(٢)، وكان الإذْن عليها دونَ مولاها، فقام دونَ الباب وهى تغنّى، حتّى إذا قطَعَتْ نظرَتْ إليه فقالت: مَن(٣)؟ فقال: يزيد بن عَون العبادىُّ الصّيرفى، الملقّب بالمـاجن، عَلَى الباب. فقالت: أدخلْه. فلما استقبَلَها كفَّر(٤) ثم أقعَى بين يديها. قال: فوجَدَتْ(٥) والله له ورأيتُ أثَرَ ذلك، وتنوّقَتْ تنوُّقًا(٦) خلافَ ما كانت تَفعلُ بنـا. فأدخلَ يَده فى ثوبِه فأخرج لؤلؤتين وقال: انظرى يَا زرقاء جُعلت فداكِ! ثم حلَفَ أنّه نَقَدَ فيهما بالأمس أربعين ألف درهم. فقالت: فمـا أصنع بذلك؟ قال: أردت أن تعلمِى. فغنّتْ صـوتاً ثمّ قالت: يا ماجنُ هَبْهما لى ويحـك. قال: إن شئتِ واللهِ فعلتُ. قالت: قد شئتُ. قال: واليمـينُ التى حلفتُ بهـا لازمةٌ لى إنْ أخذتهما إلّا بشفتيك من شَفتىَّ. قال: فذهب رَوْحٌ يتسرّع إليـه، فقالت له: أَلَكَ فى بيت القوم حاجة؟ قال: نعم. فقلت: إنمـا يتكسّبون ممـا ترى. وقام ابن رامينَ فقال: ضَعْ لى يا غلامُ ماء. ثم خرَج عنـا فقالت: هاتهما. فمشى على ركبتيه وكفّيه وهما بين شفتيه. فقال: هاكِ. فلمّا ذهبَتْ بشفتيها جعـل يصدُّ(٧) عنها يمينا وشمالا ليستكثر منهـا، فغمزَتْ جاريةً على رأسها فخرجتْ كأنّها تريد حاجة، ثم عطفَتْ

---

(١) ط، مب، مط: « وكمبها » حـ: « وكفيها ». وأثبت ما سائر النسخ.

(٢) أى الذى يأذن فى الدخول عليها. ما عدا ط، ما: « تأذن لى »، محرّف.

(٣) ط، حـ، مب، مط: « مه ».

(٤) سبق الكلام على التكفير فى ص ٥٩. ما عدا ط، مب، مط: « ظفر »، تحريف.

(٥) وجدت: لحقها الوجد به والحب.

(٦) التنوق: التأنق. يقال تنوّق فى مطعمه وملبسه وتأنق، أى تجوّد. ما عدا ط، مب: « وتبوّقت تبوّقا » محرّف.

(٧) الكلام بعده إلى ما قبل: « ما بالمغانى من أحد » مفقود من ط.

عليه ، فلمّا دنا منها وذهب ليُزوِغَ دفعَتْ مَنكِبيه وأمسكَتْهما حتّى أخذت الزَّرقاءُ اللؤلؤتين بشفتَيها من فمه ، ورَشَح جَبِينُها حياءً منّا . ثم تجلّدَتْ علينا فأقبلَتْ عليه فقالت له : « المغبونُ فى استِه عُود » فقال : أمّا أنا فما أبالى ، لا يزال طِيبُ هذه الرائحةِ فى أنفى وفمى أبدا ما حَيِيت .

عبث سعدة بثياب الضيوف

قال هارون : وحدّثنى ابن النطّاح عن المدائنى ، عن على بن أبى سليمان ، عن أبى عبد الله القرشى ، عن أبى زاهر بن أبى الصباح ، قال :

أتيتُ منزلَ ابن رامينَ مع رجلٍ من قريش ، فأخرج الزرقاءَ ، وسَعْدَة ، فقام القرشىُّ ليبول وترك مُطرَفه[1] ، فلبِسَتْه سَعدةُ وخرجَتْ ، فرجَع القرشىُّ وعليها المُطْرف قد خاطته فصار درِعا[2] ، فقالت : أرأيتم أسرعَ من هذا ؟ صار المُطرف درعا ! فقال القرشىُّ : هو لكِ . قال : وعلىَّ طيلسانٌ متّنى ، فأردت أن أبول فلففته وقُمت ، فقالت سَعدة : دَعِ طَيلسانك . فقلت : لا أدعُه ، أخافُ أن يتحوّل مطرَفا .

إهداء ابن المقفع للزرقاء ألف دراجة

وحدّثنى قبيصة بن معاوية قال : قال إسحاق بن إبراهيم الموصلى :

شربتْ زرقاءُ ابنِ رامينَ دواءً فأهدى لها ابن المقفع ألف دُرّاجة على جمل قُرَاسىّ[3] .

قال هارون : وحدّثنى حماد عن أبيه :

عشق محمد بن جميل للزرقاء

أنّ محمدَ بن جميلٍ كان يتعشّق الزرقاءَ ، وكان أبوه جميلٌ يغدو كلَّ يوم يسأل مَن يَقْدَم عن ابنه محمّد ، إلى أنْ مرّ به صديقٌ له يكنى أبا ياسر ، فسأله عنه

(١) المطرف بتثليث الميم وفتح الراء : ثوب من خز له أعلام .

(٢) الدرع : القميص .

(٣) الدراجة ، كرمانة : واحدة الدراج ، وهو ضرب من الطير طيب اللحم . والقراسى بضم القاف وفتح الراء : الضخم الشديد من الإبل . يقال قراسى وقراسية بتخفيف الياء . ـ ح : « قراسى » . وما عداها « قراشى » ووجههما ما أثبت من « مب » .

فقال له أبو ياسر : تركتُه أعظَمَ النّاس قَدْرًا ، يعامل الخليفةَ كلَّ يوم فى خَراجه ، فيحتاج إليه ولدُه ، وصاحبُ شرطته ، وصاحبُ حرسه ، وخَدَمُه . فقال له : يا أخى : فكيف بهذه الجارية التى قد شُهِر بها ؟ فقال له الرجل : لا تتهمّ بها ، قد مازحَهُ أميرُ المؤمنين فيها ، وخاطَبَه بشعرٍ قيل فيه . قال : وما هو ؟ قال :

٥ وابنُ جميلٍ فاعلموا عاجلًا * لا بدّ موقوف على مَسْطَبه [1]

يُوقَف فى زرقاءَ مشهورةٍ * تُجِيد ضَرب العُود والعَرطَبه [2]

فقال جميل : والله ما بى من هذا الأمر إلا أنّى أتخوَّفُ أن يكون قد شُهِر بها هذه الشُّهرةَ ولم ينكها .

قال هارون : وأحسب هذه القصّة لزرقاءِ الزّراد [3] ، لا زرقاءِ ابن رامين .

١٠ قال هارون : وحدّثنى أبو أيوب قال : حدّثنى محمد بن سلام ، قال :

تناهس معن وروح وابن المقفع فى تقديم الألطاف لها

اجتمع عند ابن رامين معنُ بن زائدة ، ورَوح بن حاتم ، وابن المقفّع ، فلما تغنّت الزرقاءُ وسَعدة ، بعثَ معنٌ إليها ببَدْرة [4] فصُبّت بين يديها ، فبعثَ روح إليها أخرى فصُبّت بين يديها ، ولم يكن عند ابن المقفّع دراهم فبعثَ بصَكّ ضيعته وقال : هذه عُهدةُ ضَيعتى خُذيها ، فأمّا الدّراهم فما عندى منها شىء .

١٥ أخبرنى الحسن بن على قال : حدّثنا فضلٌ اليزيدىّ قال : حدّثنى إسحاق الموصلىّ قال : قال سليمان الخشّاب :

صفة الزرقاء وعاشقها

---

(١) المسطبة ، بفتح الميم وكسرها : الدكان يقعد [illegible] .

(٢) العرطبة ، بالفتح والضم : العود ، أو الطنبور .

(٣) كذا فى أ ، مب ، مط . وفى سائر النسخ : [illegible] .

٢٠ (٤) البدرة ، بالفتح : كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم ، أو سبعة آلاف دينار .

دخلتُ منزلَ ابنِ رامينَ فرأيتُ الزّرقاءَ جاريتَه وهى وصيفةٌ، حين شال نهودُها ثوبَها عن صدرها ، لها شاربٌ كأنّه خُطّ بمسك ، يلحَظُه الطّرف و يقصُر عنه الوصف ، وابن الأشعث الكوفىُّ يلْقِى عليها ، والغناء له :

أيّةُ حالٍ يا ابنَ رامينْ * حال المحبّين المساكينْ
تركتَهم موتَى وما موّتوا * قد جُرِّعوا منكَ الأمرّينْ
وسرتُ فى رَكْبٍ على طِيّةٍ * ركبِ تَهامٍ ويَمانينْ
يا راعىَ الذّود لقد رُعْتنا * ويلَكَ من رَوعِ المحبّينْ
فرّقتَ جمعًا لا يُرى مثلُهم * جمّعتَهم بالرّبرب العِينْ

ابن رامين أجل مقين بالكوفة

أخبرنى الحسن بن على قال : حدّثنى هارون بن محمد الزيات قال : قال أحمد ابن إبراهيم بن إسماعيل : كان ابن رامينَ مولى الزرقاء أجلَّ مُقَيِّنٍ(١) بالكوفة وأكبرَهم، ورامين أبوه مولى بِشر بن مروان .

محمد بن الأشعث يلقى على الزرقاء وصواحباتها الغناء

قال هارون : فحدّثنى سليمان المدينى قال : قال حماد بن إسحاق قال أبى : قال مُعاذ بن الطّبيب :

أتيتُ ابن رامينَ وعنده جواريه : الزّرقاء وصواحباتها ، وعندهنّ فتىً حسنُ الوجهِ نظيفُ الثّياب ، عَطِر الريح، يُلقِى عليهنّ ، فسألتُ عنه فقيل لى : هذا محمد ابن الأشعث بن نَجْوة الزُّهرى . فمضيتُ به إلى منزلى وسألتُه المُقام ففعلَ، وأتيتُه بطعامٍ وشَراب وغنّيتُه أصواتًا من غِناء أهل الحجاز، فسألَنى أن ألقيَها عليه ، فقلتُ : نَعَم وكَرامةً وحُبًّا ، على أن تلقِىَ علىَّ أصواتًا من صنعتك التذُّ بها ، وأقطع طريق روايتها، وأُطرِف أهلَ بلدى بها . ففعلتُ وفعلَ، فكان مما أخذْته عنه من صنعته :

(١) المقين : أراد به صاحب القيان .

٥ ١٠ ١٥ ٢٠

صــــوت

صاح إنّى عادَ لى ما ذَهَبا * من هـوًى هاجَ لقلبى طَرَبا[1]
أذكرَتنى الشّوق سَلامةُ أن * لم أكُنْ قضيت منها أرَبا
وإذا ما لَامَ فيها لائمٌ * زاد فى قلبى لحبّى عجبا[2]
من ذَوات الدَّلّ لو دبَّ على * جِـلدها الذّرُّ لأبدَى نَـدبا[3]

٥

الغناء لمحمد بن الأشعث، ثقيلٌ أوّل عن الهشامىّ . وفيه ليونس خفيفُ ثقيل بالسّبّابة ، فى مَجرى البنصر عن إسحاق . وذكر أحمد بن عبيد أنّ فيه لحنا من الثقيل الثانى لا يدرى لمن هو ؟

قال : ومنهـا :

١٠

صــــوت

لِذِكرِ الحبيبِ النّـازحِ المتغيِّبِ * طرِبتُ ومَن يَعرِضْ له الشوق يطربِ

لحنه رمل . وقال منها :

صــــوت

خليلىَّ عُوجا ساعةً ثم سـلِّما * على زَينبٍ سَقْياً ورَعياً لزينبِ

١٥

لحنه رمل . وقال منها :

صــــوت

رَحُبت بـلادُك يا أمامهْ * وسَلِمتِ ما سَجَعت حمامه[4]
وسَـقَى ديارَك كلّمـا * حنّت إلى السُّقيا غمـامه

---

(١) كذا على الصواب فى حـ، مب، مط . وفى سائر النسخ : « إنى عازل » تحريف .

٢٠

(٢) حـ : « زادنى قلبى بحبى » .

(٣) الذر : صغار النمل . والندب : جمع ندبة ، بالتحريك ، وهو أثر الجرح الباقى على الجلد .

(٤) رحبت : اتسعت . سجعت : غنت .

إنّى وإن أقصيتنى * سَفَهًا أحبُّ لكِ الكرامهْ
وأرى أمورَكِ طاعةً * مفروضةً حتّى القيامه
لحنه خفيفُ رملٍ.(١) قال: ومنها:

صوت

ما بالمَغانى من أحَدْ * إلّا حماماتٌ فُرُدْ(٢)
أضحت خلاءً دُرَّسًا(٣) * للرِّيح فيها مُطَّرِدْ
عهدِى بها فيما مضَى * ينتابها(٤) بيضٌ خُرُدْ
فاستبدلَت وَحشًا بهم * والوُرق تدعو والصُّرَدْ(٥)

لحنه هزج. قال: ومنها:

صوت

ليتَ من طَيَّرَ نومِى * ردَّ فى عينِى المناما
أو شَفَى جسمًا سقيمًا * زاده الهجرُ سَقَاما
نظرَتْ عينى إليها * نَظرةً هاجت غَراما
تركَتْ قلبى حزينًا * بهواها مُستهاما

لحنه رمل.

(١) إلى هنا تنتهى القطعة المفقودة من ط. انظر ما سبق فى ص ٦٥ الحاشية ٧.

(٢) المغانى: جمع مغنى، وهو الموضع يغنى فيه القوم، أى يقيمون. فرد: فريدات.

(٣) درس: جمع دارسة، وهى التى لعب بها البلى. المطرد: الموضع تطرد فيه الريح، أى تجرى؛ أو هو مصدر ميمى.

(٤) ينتابها: يأتيها نوبة بعد أخرى. خرد: جمع خريدة وخريد وخرود، وهى الحيية الطويلة السكوت الخافضة الصوت. ما عدا ط، مب، مط: «يغياتها بيض جدد» تحريف.

(٥) الورق: جمع ورقاء، وهي الحمامة في لونها بياض إلى سواد. والصرد: طائر أكبر من العصفور.

قال ابن الطيب : وأخذتُ منه مع هذه أصواتاً كثيرة ، ورأيتُ النّاسَ بعد ذلك ينسبونها إلى قُدماء المغنّين .

مصير الزرقاء وربيحة إلى جعفر ومحمد بن سليمان

قال هارون : وحدّثنى حماد بن إسحاق عن أبيه قال : حدّثنى إسماعيل ابن جَعفر بن سليمان :

٥ أنّ الزّرقاء صاحبة ابنِ رامينَ[1] صارت إلى أبيه، وكان يقال لها أم عثمان . وأنّ رُبَيحة جاريةَ ابنِ رامينَ صارت إلى محمد بن سليمان ، وكانت حَظِيّةً عنده . قال إسماعيل : فأتى سليمانُ بن على ابنَه جعفراً فأخرج إليه الزّرقاءَ ، فقال لها سليمان : غَنّينى . قالت : أىّ شىءٍ تحبُّ ؟ قال : غَنّينى :

إذا ما أمّ عبدِ اللّـ * ـهِ لم تَحْلُل بواديهِ

١٠ ولم تَشفِ سقيماً هَيَّـ * ـجَ الحُزن دواعيه

فقالت : فَدَيتك، قد تركَ الناسُ هذا منذ زمان . ثم غنّته إياه .

قال إسماعيل : قد ماتَ سليمانُ منذ ثلاثٍ وسبعين سنة ، و ينبغى أن يكون رأى الزرقاءَ قبل موته بسنتين أو ثلاثٍ . قال : وقالت هى : قد تَرَكَ الناس هذا منذُ زمانٍ . فهذا من أقدم ما يكون من الغناء .

أبيات لشراعة فى جوارى ابن رامين

١٥ قال هارون : وقال شُراعة بن الزَّندَبُوذ :

قالوا شُراعَةُ عِنّينٌ فقلتُ لهم * الله يعلمُ أنّى غيرُ عِنّينِ

فإنْ أبيتم وقلتم مثلَ قولِهم * فأقحِمونِىَ[2] فى دارِ ابنِ رامين

ثم انظروا كيفَ طعنِى عندَ مُعتَرَكى * فى حِرِ مَنْ كنتُ أرميها وترمينى

(١) صاحبة ابن رامين ، من ط ، مط فقط .

٢٠ (٢) أقحمه : ألقاه ورمى به .

صفة أخرى للزرقاء

قال هارون : وحدّثنى أبو أيوب المـديني ، عن أحمد بن إبراهيم قال : قال بعض المدنيّين :

أتيتُ منزلَ ابن رامينَ، فوجدتُه عنده ُجارية قد رفع ثديُها قميصًا، لها شاربٌ أخضرُ ممتدٌّ على شفتيها[1] امتدادَ الطِّراز، كأنما خُطَّت طُرّتُها وحاجباها بقلَم، لا يلحقُها فى ضربٍ من ضُروبِ حُسنها وصفُ واصف ، فسألتُ عن اسمها فقيـل : هذه الزّرقاء .

نســـبة الصوت الذى فى الخـــبر

صـــــوت

إذا ما أمُّ عبد اللـ * ـه لم تَحْلُل بواديهِ

ولم تَشفِ سقيمًا هـ * يّجَ الحزنُ دواعيهِ

غَزالٌ راعه القنّا[2] * صُ تحميه صَواصيه

عرفتُ الربعَ بالإكليـ[3] * ـلِ عَفّته سوافيـه

بجـوّ ناعمِ الحَـوذا[4] * نِ مُلتفٍّ رَوَابيـه

(١) ط : « شفتيها » مب ، مط : « شفتها » .

(٢) راعه : أفزعه . والقناص ، بالفتح ، هو القانص ، وبالضم : جمع قانص . ماعدا ط ، مب : « رابه القناص » . والصياصى : الحصون .

(٣) الإكليل : اسم موضع . وأنشـد هذه الأبيات ياقوت فى رسم (الإكليل) . والسوافى : الرياح التى تسفى التراب .

(٤) الجو والجوة : المنخفض من الأرض . والحوذان ، بالفتح : نبت له زهرة حمراء فى أصلها صفرة . ملتف روابيه : أى ملتف نبات روابيه . والرابية : ما ارتفع من الأرض .

وما ذِكرى حبيبًا و * قليلًا ما أُواتيه
كذِى الخمرِ تمنّاها * وقد أسْرفَ ساقِيه (١)

ذكر الزُّبير بن بكّار أنّ الشِّعرَ لعدىّ بن نوفل، وقيل إنّه للنُّعمان بن بشير الأنصارىّ (٢) وذاك أصحّ .

وقد أخرجتُ أخبارَ النُّعمان فيه مفردةً فى موضع آخر، وذكرتُ القصيدة بأسرها . ورواها ابنُ الأعرابىّ وأبو عمرو الشيبانى للنُّعمان ، ولم يذكر أنّها لعدىّ غير الزُّبير بن بكّار .

والغناء فيما ذكر عمرو بن بانة لمَعْبد ، خفيفُ رملٍ بالوُسطى . وذكر إسحاقُ أنّ فيه خفيفَ رملٍ بالسبّابة فى مَجرى البِنصر ، يمانٍ (٣) . وفيه للغريض ثقيلٌ أوّل بالوُسطى عن الهشامى، فى الأوّل والثانى والرابع والخامس . ١٠

(١) ما عدا ط ، مب ، مط : « كذا الخمر » محرف .
(٢) هذا يطابق ما فى معجم البلدان فى رسم (الإكليل) .
(٣) هذه الكلمة من ط ، ح ، مب ، مط .

نسب عدىّ بن نوفل وخبره

نسب عدى بن نوفل

هو عدىُّ بن نوفل بن أسد بن عبد العُزّى بن قصىّ بن كلاب بن مُرّة بن كعب ابن لؤىّ . وأمه آمنةُ بنت جابر بن سفيان ، أختُ تأبّط شرّا .

استعماله على حضرموت

وكان عمر بن الخطاب رضوان الله عليه استعمَلَه ، أو عثمان بن عفان رضى الله عنه — فيما أخبرنا به الطُّوسىُّ عن الزبير بن بكار — على حَضْرَموْت .

داره وما قيل فيها من الشعر

قال الزبير : ودارُ[1] عدىّ بن نوفل بين المسجد والسُّوق معروفة ، وفيها يقول إسماعيل بن يسار النِّسائى[2] :

إنّ مَمْشاكِ نحوَ دارِ عدىّ * كانَ للقلب شِقوةً وفُتونا
إذْ تراءت على البلاط[3] فلمّا * واجَهَتْها كالشّمس تُعشِى العُيونا
قال هارونُ قِفْ فياليتَ أنّى * كنتُ طاوعتُ ساعةً هارونا

وقد قيل إنّ هذه الأبيات لعمر بن أبى ربيعة[4] .

امرأته ونشوزها عليه

قال الزُّبير : كان تحتَ عدىّ بن نوفل أُمّ عبد الله بنت أبى البَخْترىّ بن هاشم ابن الحارث بن أسدِ بن عبد العُزّى ، فغاب مدّةً وكتب إليها أن تَشخَص إليه ، فلم تَفعلْ ، فكتبَ إليها قولَه :

إذا ما أُمّ عبد اللّٰ * ـهِ لم تحلل بواديه

(١) هذه الكلمة من ط ، مب ، مط .

(٢) النسائى هنا بكسر النون ، لقب بذلك لأنه كان يبيع النجد والفرش التى تتخذ للعرائس ، كما سبق فى ترجمة إسماعيل بن يسار .

(٣) البلاط : موضع بالمدينة مبلط بالحجارة بين مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين سوق المدينة .

(٤) الأبيات فى ديوان عمر بن أبى ربيعة ٧١ .

وذكر البيتين فقط ، فقال لها أخوها الأسودُ بن أبى البَخْترىّ ، وهما لأبٍ وأمّ ، أُمّهما عاتكة بنت أميّة بن الحارث بن أسَد بن عبد العُزّى : قد بلغ الأمرُ هـذا من ابن عمّك . فاشخَصى إليه (١) .

صـــوت

أعينىَّ جُودا ولا تَجمُـدا * ألَا تبكيان لصَخرِ النَّدَى

ألا تبكيانِ الجرىَّ الجميلَ * ألا تبكيانِ الفتَى السيِّدا

الشعر للخنساء بنت عمرو بن الشريد ، ترثى أخاها صخرًا ، والغناء لإبراهيم الموصلى ، ثقيلٌ أوّل مطلق فى مَجرى البنصر ، عن إسحاق . وفيـه لابن سُريج خفيفُ رملٍ بالوُسطى ، عن عمرو ، والهشامى ، وحَبَش .

(١) كذا على الصواب فى ط ، مب ، مط . وفى سائر النسخ : « إليك » .

نسب الخنساء وخبرها وخبر مقتل أخويها صخر ومعاوية

نسب الخنساء

هى الخنساء بنت عَمرو بن الحارث بن الشَّريد بن رِيَاح بن يَقَظة بن عُصَيَّة ابن خُفَاف بن امرئ القيس بن بُهْثة بن سُلَيم بن منصور بن عكرمة بن خَصَفة ابن قيس بن عيلان بن مُضَر . واسمُها تماضر .

شعر دريد بن الصمة فيها

والخنساء لقبٌ غلَبَ عليها[1] ، وفيها يقول دُريد بن الصِّمَّة ، وكان خطَبها فردّته ، وكان رآها تَهْنأ بعيرا :

حَيُّوا تُماضِرَ واربَعُوا صَحبِى * وقِفُوا فإنّ وقوفَكم حسبِى
أخُنَاسُ قد هامَ الفؤادُ بكم * وأصابه تَبْلٌ من الحُبِّ
ما إن رأيتُ ولا سمعتُ بهِ * كاليومِ طالِى أينُقٍ جُرْبِ
متبذِّلا تبدو محاسنُه * يَضعِ الهِنَاءَ مواضعَ النُّقْبِ

قال أبو عبيدة ومحمد بن سلام : لمّا خطبها دُريدٌ بعثت خادمًا لها[2] وقالتْ : انظرى إليه إذا بالَ ، فإن كان بولُه يَخرِق الأرض ويخدُّ فيها ففيه بقيّة ، وإن كان بولُه يَسيح على وجهها فلا بقيّةَ فيه . فرجعَتْ إليها وأخبرَتْها ، فقالت : لا بَقية فى هذا . فأرسلَتْ إليه : ماكنتُ لأدعَ بنى عَمِّى وهمْ مثلُ عوالِى الرماح ، وأتزوّجَ شيخًا ! فقال :

وقاكِ اللهُ يا ابنةَ آلِ عمرو * من الفتيانِ أشباهى ونَفْسِى
وقالت إنّنى شيخٌ كبيرٌ * وما نَبّأتها أنّى ابنُ أمسِ
فلا تلِدِى ولا يَنكحْكِ مثلى * إذا ما ليلةٌ طرَقتْ بِنَحْسِ
تريدُ شَرَنْبَثَ القدمينِ شَثْنًا[3] * يُباشِر بالعَشيّة كلَّ كِرْسِ

(١) ما عدا ط : « وقع عليها » . (٢) ما عدا ط ، مب ، مط : « خادمة لها » .
(٣) شرنبث القدمين : غليظهما خشنهما . والشثن : الغليظ . الكرس كنى به عن بيت الخلاء ، وأصل الكرس بالكسر : أبوال الإبل والغنم وأبعارها يتلبد بعضها على بعض فى الدار .

فقالت الخنساء تُجيبه :

مَعَـاذ اللهِ ينكِحُنى حَـبْرَكَى * يقـال أبوه من جُشَم بنِ بكرِ (١)

ولو أصبحتُ فى جُشَم هَـدِيًّا * إذًا أصبحتُ فى دَنَس وفقـر (٢)

وهذا الشعر ترثى به أخاها صخرًا وقتله زيدُ بن ثَورٍ الأسدى يوم ذى الأثْل . (٣)

مقتل أخويها صخر

أخبرنا بالسببِ فى ذلك محمـدُ بن الحســن بن دُريد ، عن أبى حاتم ، عن أبى عبيدة، وأضفتُ إليه روايةَ الأثرم عن أبى عبيدة قال :

غزا صَخْر بن عمرو ، وأنَس بن عبّاس الرِّعْلىُّ فى بنى سُلَيم ، بنى أسد بن خزيمة ، (٤) — قال أبو عبيــدة : وزعم السُّلَمى أنّ هــذا اليوم يقـال له يوم الكُلاب ويوم ذى الأثْل — فى بنى عـوف وبنى خُفاف ، وكانا متساندَين ، وعلى بنى خُفَـاف صخرُ بن عمـرو الشَّريدىّ ، وعلى بنى عوف أنسُ بن عبّـاس . قال : فأصابوا فى بنى أسدِ بن خزيمة غنائمَ وَسَبْيًا ، وأخذ صخرٌ يومئذ بُدَيلةَ امرأةً . (٥) قال : وأصابت صخرًا يومئذ طعنةٌ ، طعنه رجلٌ يقال له ربيعة بن ثَور ، ويكنى أبا ثور ، فأدخل جوفَه حَلَقًا من الدِّرع فاندملَ عليه حتّى شُقَّ عنه بعد سنين ، وكان سببَ موته .

قال أبو عبيدة : وقال غيره : بل وردَ هو وبلعاءُ بن قيس الكنانى . قال : وكانا أجملَ رجلين فى العرب . قال : فشرِبا عند يهودىّ خمارٍ كان بالمدينة . قال :

---

(١) الحبركى : الطويل الظهر القصير الرجلين . والألف فى «حبركى» للإلحاق فينون . وجعلها بعضهم للتأنيث فيمنع الصرف . ط ، هـ . «حبركا» بالتنوين . مب «حبرك» ... محرفة .

(٢) الهدى : العروس تهدى إلى بعلها .

(٣) يعنى بذلك صوت الأغانى الذى مر فى ترجمة الخنساء .

(٤) كذا على الصواب فى ط ، مب ، مط . وفيما سواها : «بنى أسد بن خزيمة» .

(٥) هذا الأوفق من ط ، مب ، مط ، هـ . أى امرأة له . وفيما سواها : «امرأته»

فحسدَهما لِمَا رأى من جمالها وهيأتهما ، وقال : إنّى لأحسد العربَ أن يكون فيهم مثلُ هذين ! فسقاهما شَربةً جَوِيَا منها[1] . قال : فمرّ بصخرٍ طبيبٌ بعد ما طال مرضُه، فأراه ما به ، فقال : أَشُقُّ عنك[2] فتفيق . قال : فعمَد إلى شِفارٍ يجعل يَحميها ثم يشقُّ بها[3] عنه، فلم ينشَبْ أن مات .

قال أبو عبيدة : وأمّا أبو بلال بن سهم فإنّه قال : اكتَسح صخرٌ أموالَ بنى أسدٍ وسَبَى نساءهم ، فأتاهم الصَّريخُ فتبِعوه فتلاحَقوا بذات الأثْل، فاقتتلوا قتالا شديدا ، فطعن ربيعةُ بن ثورٍ الأسدىُّ صخرًا فى جَنْبه، وفات القومَ فلم يُقْعَص[4] وجَوِى منها ، ومرِض قريبًا من حولٍ ، حتّى ملَّه أهله . قال : فسمع صخرٌ امرأةً وهى تسأل سَلمى امرأةَ صخر : كيف بَعلُك ؟ فقالت سلمى : لاحىٌّ فيُرجَى ، ولا مَيْت فيُنعَى، لقينا منه الأمرّين !

قال : وزعم آخر أنّ التى قالت هذه المقالةَ بُديلةُ الأسديّة التى كان سباها من بنى أسد فاتّخذَها لنفسه . فأنشدَ هذا البيت :

ألا تلكُمُ عِرسى بُدَيلةُ أوجَسَتْ * فِراقى ومَلّت مَضجَعى ومكانى[5]

وأمّا أبو بلال بن سهم فزعم أنّ صخرًا حين سمع مقالةَ سَلْمَى امرأته قال :

أرى أمَّ صخرٍ لا تملُّ عيادتى * ومَلّتْ سُليمَى مَضجعِى ومكانى

وما كنتُ أخشى أن أكونَ جِنازةً * عليكِ ومَن يغترُّ بالحَدَثان[6]

(١) الجوى : السل وتطاول المرض ، أو داء يأخذ فى الصدر .

(٢) ط ، حـ ، مب ، مط : « أمر عنك » .

(٣) ط ، حـ : « ثم يدر بها » . مب ، مط : « يشربها » .

(٤) قعصه وأقعصه : ضربه أو رماه فمات مكانه .

(٥) ما عدا ط ، مب ، مط : « أوحشت » تحريف .

(٦) فى اللسان : « وإذا ثقل على القوم أمر أو اغتموا به فهو جنازة عليهم » . وأنشد هذا البيت .

أهُمُّ بأمر الحَزْم لو أستطيعُه * وقد حِيلَ بين العَير والنَّزَوان

لَعَمرى لقد نَبَّهتِ مَن كان نائمًا * وأسمعتِ مَن كانت له أذنان

وللموتُ خيرٌ من حياةٍ كأنها * مَحَلَّةُ يعسوبٍ برأسِ سِنانِ [1]

وأىُّ امرئٍ ساوَى بأُمٍّ حليلةً * فلا عاشَ إلّا فى شَقًا وهَوان

فلما طال عليه البلاءُ وقد نتأت قطعةٌ مثل اللِّبْد [2] فى جنبه فى موضع الطَّعنة، قالوا له : لو قطعتَها لَرجونا أن تبرأ . فقال : شأنَكم . فأشفقَ عليه بعضُهم فنهاهم ، فأبى وقال : الموتُ أهوَنُ علىَّ مما أنا فيه ! فأحمَوْا له شَفرةً [3] ثم قطعوها فيئس من نفسه .

من شعر صخر فى الصبر

قال : وسمع صخرٌ أختَه الخنساءَ تقول : كيف كان صبرُه؟ فقال صخرٌ فى ذلك :

أجارَتنا إنّ الخطوبَ تَنُوب * على النّاس، كلَّ المخطئين تُصيبُ

فإن تسأليني هَل صبرتَ فإنّنى * صَبورٌ على رَيبِ الزمانِ صَليبُ

كأنّى وقد أدنَوْا إلىَّ شِفارَهم * من الصَّبرِ دامى الصَّفحتينِ رَكوبُ

أجارَتنا لستُ الغَداةَ بظاعنٍ * ولكنْ مقيمٌ ما أقامَ عسيبُ

قبر صخر

عن أبى عبيدة : عَسِيبٌ : جبلٌ بأرض بنى سُلَيم إلى جنب المدينة ، فقبرُه هناك مَعْلَم .

وقال أبو عبيدة : فمات فدُفِن هناك، فقبره قريبٌ من عَسيب .

(١) أنشده فى اللسان (عسب) وقال : « معناه أن الرئيس إذا قتل جعل رأسه على سنان . يعنى أن العيش إذا كان هكذا فهو الموت » . قلت : وهذا إبعاد فى التفسير . إنما اليعسوب : ذكر النحل ، وموضعه من رأس السنان إذا وقف عليه ليس بشىء ، فكذا الدنيا فى هوانها عندما ينظر إليها .

(٢) كذا فى ط ، جـ ، مب ، مط . وفى سائر النسخ : « مثل الكبد » .

(٣) هذه الكلمة من ط ، مب ، مط .

رثاء الخنساء لصخر

فقالت الخنساء ترثيه :

ألا ما لعينيكَ أم مالَها * لقد أخضَل الدمعُ سربالَها

أبعدَ ابنِ عمرٍو من آل الشَّريـ * ـدِ حلّتْ به الأرض أثقالَها

فإن تكُ مُرّةُ أودَتْ به * فقد كان يُكثِر تقتالَها

سأحمِلُ نفسى على خُطّةٍ * فإمّا عليها وإمّا لها

فإنْ تصبر النفسُ تلقَ السُّرورَ * وإنْ تجزع النفسُ أشقَ لها

غنّى فيه ابن سُرَيج خفيفَ رملٍ بالبِنصر .

قال السُّلمى : ليست هذه فى صخر ، هذه إنّما رثت بها معاويةَ أخاها ، وبنو مُرّة قتلته . ولكنها قالت فى صخر :

قَذًى بعينكَ أم بالعين عُوّارُ * أم أقفرَتْ إذ خلَتْ من أهلها الدارُ (١)

تبكى لصخرٍ هى العَبْرَى وقد ثكِلَتْ (٢) * ودونَه من جديد التُّرب أستارُ

لا بدَّ من ميتةٍ فى صَرفها غِيَرٌ * والدهرُ فى صَرفه حَولٌ وأطوارُ

يا صخرُ وَرّادَ ماءٍ (٣) قد تَنَاذَره * أهلُ الموارد ما فى وِرده عارُ

مَشْىَ السبنتَى (٤) إلى هيجاءَ مُعضِلةٍ * له سلاحانِ أنيابٌ وأظفارُ

فما عَجُولٌ على بَوٍّ تُطيفُ به * لها حنينانِ إصغارٌ وإكبارُ (٥)

ترتَعُ ما رتعَتْ حتى إذا ادَّكرتْ * فإنّما هى إقبالٌ وإدبارُ

(١) ط : « أم خلت » . مط : « أم ذرفت » .

(٢) ماعدا ط ، جـ ، مب ، مط : « وقد ذرفت » .

(٣) ط ، جـ ، مط : « وارد ماء »

(٤) السبنتى : النمر .

(٥) الإصغار : حنينها إذا خفضته . وإكبارها : حنينها إذا رفعته .

لاتَسمَنُ الدَّهرَ فى أرضٍ وإنْ رتَعتْ * فإنَّمـا هى تَحنـانٌ وتَسـجار [1]

يـومًا بأوجَدَ منِّى يـومَ فارقَنى * صخرٌ وللدَّهرِ إحـلاءٌ و إمرار [2]

فإنّ صخـرًا لَوالينـا وسـيِّدُنا * و إنّ صخـرًا إذا نَشـتُو لنحّار

و إنّ صخـرًا لتأتمُّ الهداةُ به * كأنّه عَـلَمٌ فى رأسـه نـارُ

٥ — غنّى فى هذين البيتين الأولين ابنُ سُريج، من رواية يونس — :

لم تَرَه جارةٌ يمشى بساحَتهـا * لِريبـةٍ حـين يُخلِى بيتَـه الجـارُ [3]

ولا تراه وما فى البيت يأكلُه * لكنّه بارزٌ بالصَّحنِ مِهمارُ [4]

مثـلُ الرُّدَينىِّ لم تنفَـدْ شـبيبتهُ * كأنّه تحتَ طَىِّ البُرد أُسـوارُ

فى جوفِ رمسٍ مُقيم قد تضمَّنَه * فى رمسِه مُقمَطِرّاتٌ وأحجـار

١٠ طَلْق اليدين بفعلِ الخير ذو بَخَرٍ [5] * ضَخْم الدَّسـيعة بالخـيرات أمّار

ورُفقـةٍ حارَ هاديهـم بمهلكةٍ * كأنّ ظلمتَهـا فى الطِّخيةِ القـار [6]

عروضه ثان من البسيط .

---

(١) التسجار : تفعال من سجرت الناقة : مدت حنينها .

(٢) ما عدا ط ، مب ، مط : « ولله إحلاء » .

١٥ (٣) لم تراه ، على الأصل ، وفى ط ، جـ ، مب : « لم تره » على التخفيف . ونظير الأول قول سراقة البارقى فى اللسان (رأى) :

أرى عينى ما لم ترأياه * كلانا عالم بالترهات

(٤) مهمار : مبالغة من الهمر ، وهو انصباب المطر ، كناية عن كثرة جوده . والذى فى المعاجم أن المهمار : الكثير الكلام .

٢٠ (٥) ما عدا ط ، مب ، مط : « لفعل الخير » .

(٦) ما عدا ط ، جـ ، مب ، مط : « فى رفقة » . وفيما عدا ط ، مب ، مط : « حاديهم » .

العُوّار والعائر : وجع ، وهو مثل الرمد . وذَرفَتْ : قطرت قطراً متتابعا لا يبلغ أن يكون سَيلا . والعَبْرَى[1]، يقال امرأة عَبْرَى وعابرٌ . والعَبرة : سُخنة العين[2].
والولَه[3] : ما يصيب الرجلَ والمرأةَ من شدّة الجزَع على الولد . حَوْل وأطوار، أى تحوُّلٌ وتقلُّب وتصرُّف . قد تناذَرَه، أى أنذر بعضُهم بعضًا هَوْلَه وصعوبته .
ويروى : « تبادره » . وقولها « ما فى ورده عار » أرادت ما فى ترك ورده عار ، أى لا يُعيَّر أحدٌ إنْ عجز عنه من صعوبةِ وِرده[4] . العَجُول : الثّكول . والبَوُّ : أن يُنحَر ولدُ الناقة و يؤخذَ جلدُه فيُحشَى و يُدنَى من أمّه فترأمَه . إحلاءٌ و إمرار ، يقال : ما أحلَى ولا أمَرَّ، أى ما أتى بحلوةٍ ولا مُرّةٍ[5] . والمعنى أنّ الدهر يأتى بالمشقّة والمحبة[6] . « كأنه علَمٌ فى رأسه نار » أى إنّه مشهور . والعَلَم : الجبل، وجمعه أعلام .
« كأنه تحتَ طيِّ البُرد أُسوار » ، أى من لطافة بَطنه وَهَيفِه[7] شبيه أُسوارٍ من ذهب .
والرديني : الرمح منسوب إلى رُدَينة : امرأةٍ كانت تقوِّم الرماح . أى هو معصوب البَدَن ليس بمهبَّج[8] منحَلّ . وهذا كلّه من انتفاخ الجلد والسِّمَن والاسترخاء . وقال

(١) فى اللسان : « العبر » بالتحريك . وفى القاموس : « العبر بالضم : سخنة العين، و يحرك » .

(٢) يقال سخنت عينه سخنة وسخونا ، وهو نقيض قرت .

(٣) كلمة « الوله » لم ترد فى النص ، وإنما هى تفسير لرواية أخرى فى البيت الثانى من هذه المقطوعة لم يذكره أبو الفرج . وهى :

* تبكى لصخر هى العبرى وقد ولهت *

(٤) كذا فى ط ، مب، مط . وفى جـ : « إن عجز عنه ورده » ، وهذه محرفة . وفى سائر النسخ : « إن عجز عن ورده » .

(٥) كذا فى ط ، مب، مط . وفى جـ : « بحلوه ولامره » وفى سائر النسخ : « بحلو ولامر» .

(٦) ما عدا ط ، جـ، مب، مط : « والمحنة » .

(٧) بدلها ط ، جـ ، مب، مط : « غيره » .

(٨) المهبج : المنتفخ المتورم . ما عدا ط : « بمهيج » محرفة .

أبو عمرو : مُقْمطِرَّات : صخورٌ عظام . والأحجار صغار[1] . ذو بَحَرٍ : يتفجر بالمعروف . والدَّسيمة : العطاء . الطخية، من الطخاء ، وهو الغيم الرقيق الذى يُوارى النُّجومَ فيتحيَّرُ الهادى[2] .

مرثية أخرى فى صخر

وقالت الخنساء أيضا ترثى صخرا :

بكت عينى وعاودَها قَذاها * بعُوَّارٍ فما تَقضِى كَرَاها

على صخرٍ وأىُّ فتًى كصخرٍ * إذا ما النابُ لم تَرْأَمْ طَلاها[3]

— الطلا : الولد، أى لم تعطف عليه من الجدب —

فتَى الفتيانِ ما بلغوا مَداها * ولا يُكدِى إذا بلغت كُداها[4]

لئن جزِعت بنو عمرٍو عليه * لقد رُزِئت بنو عمرٍو فتاها

— غنى فى هذه الأبيات ابنُ جامع ثانى ثقيل بإطلاق الوتر فى مجرى الوسطى . وذكر حبَش أنّ له أيضا فيه خفيف رمل بالبنصر —

ترى الشم الجَحاجحَ من سُليم * وقد بلّتْ مدامعُها لِحاها

— إذا وصف السيد بالشمم فإنه لا يدنو لدناءة، ولا يضع لها أنفه —

وخَيلٍ قد كففتُ بجَوْلِ خيلٍ * فدارت بين كبشَيها رحاها[5]

(١) ما عدا ط ، جـ ، ما ، مب : « وأحجار صغار » تحريف .

(٢) ط ، جـ ، ما ، مب : « أى وارى النجوم فتحير الهادى » .

(٣) الناب : الناقة المسنة .

(٤) أى إذا بلغت الفتيان كداها . والكدى : جمع كدية ، وهى الأرض الصلبة ، يقال حفر فأكدى إذا بلغ الصخر . وأنشد هذا البيت فى اللسان (كدا) وقال : « أى لا يقطع عطاءه ولا يمسك عنه إذا قطع غيره وأمسك » .

(٥) الكبش : الرئيس ، والسيد ، والقائد .

— وجول خيلٍ : جَوَلان . ويقال : قطعةُ خيلٍ تجول، أى تذهب وتجىء —

ترفّع فَضْلَ سابغةٍ دِلاصٍ * على خَيفانةٍ خفِقٍ حَشاها (١)

وتسعى حينَ تشتجرُ العوالى * بكأس الموت ساعةَ مُصطلاها

محافظَةً وتَحْمِيَةً إذا ما * نبَا بالقوم من جزعٍ لَظاها (٢)

فتتركُها قد اشتجرتْ بطعنٍ * تضمَّنُه، إذا اختلفت، كُلاها

[هُنالك لو نزلتَ بآل صخرٍ * قِرَى الأضيافَ شُحْناً من ذُراها (٣)

فمن للضَّيف إن هبّت شَمالٌ * مُزعزِعةٌ يجاوبُها صَداها

وألجأ بردُها الأشوالَ حُدْبًا * إلى الحَجَرات بارزةً كُلاها] (٤)

أطعمَكم وحاملَكم تركتمْ * لدى غَبراءَ منهدمٍ رَجاها

لِيبكِ عليك قومُك للمعالى * وللهيجاءِ إنّك ما فتاها (٥)

وقد فوّزتَ طَلْعةَ فاستراحتْ * فليت الخيلَ فارسُها يراها (٦)

---

(١) الخيفانة ، الفرس الخفيفة السريعة ، شبهت بالخيفانة من الجراد ، وهى التى تصير فيها خطوط مختلفة بياض وصفرة .

(٢) المحمية : الحمية والغضب والأنفة .

(٣) هذا البيت وتالياه من ط ، ها ، مب . ذراها ، أى ذرى النوق وأسنمتها .

(٤) الأشوال : جمع شول ، والشول : جمع غير قياسى للشائلة ، وهى الناقة التى خف لبنها وارتفع ضرعها وأتى عليها سبعة أشهر من يوم نتاجها أو ثمانية فلم يبق فى ضرعها إلا شول من اللبن ، أى بقية مقدار ما كانت تحلب حدثان نتاجها . حدبا : مقوسات من الهزال .

(٥) ما فى «ما فتاها» زائدة .

(٦) فوزت طلعة ، أى أهلكتها حزنا عليك . اسم فرسه ، ولم أجد لها ذكرا فيما لدى من مراجع الخيل من كتبها والمعاجم . وفى حـ : « طلحة » وهى كسابقتها . وفيما عداهما : « وقد وردت طليحة » .

وقال خُفَاف بن عُمير يرثى صخرًا ومعاوية ابنَىْ عمرو، ورجالًا منهم أصيبوا :

تطاول همُّــه بِبِراقِ سُــعرٍ (١) * لذِكراهمْ وأىُّ أوانِ ذِكــرِ

كأنَّ النارَ تُحرجها ثيابى * وتَدخلُ بعد نومِ الناسِ صدرى

لَباتت تضربُ الأمثالَ عندى * على نابٍ شَرِبتُ بها وبَكْــرِ (٢)

وتَنسى من أُفارقُ غــيرَ قالٍ * وأصبرُ عنهمُ منْ آلِ عمرو

وهل تدرين أنْ ما رُبَّ خرقٍ (٣) * رُزئتُ مــبرَّأً بقِصاصِ وِترِ

أخى ثقــة إذا الضَّرَّاءُ نابت * وأهلِ حِبـاء أضيافٍ ونحــرِ

كصخرٍ للسَّــرِيّة (٤) غادروه * بذروة أو معاويةَ بنِ عمرو

ومَيْتٍ بالجَنابِ أثلِّ عرشى * كصخرٍ أو كعمرٍو أو كبشرِ

وآخرَ بالنواصفِ من هـدامٍ (٥) * فقد أودَى وربِّ أبيك صبرى

فلم أر مثلَهــم حَيًّا لَقاحًا (٦) * أقامـوا بين قاصيةٍ وحَجْــرِ

أشدَّ على صُروف الدهر إدًّا * وآمَرَ منهــم فيهـا بصَــبرِ

وأكرَم، حين ضَنَّ الناسُ، خِيمًا (٧) * وأحمــد شِيمةً ونَشِــيلَ قِدْرِ

---

(١) سعر، قال ياقوت : « بالكسر والراء : جبل فى شعر خفاف بن ندبة . وقد ضبطت فى أصلها وهو ط، مب : « سعر » بضم السين . وفيما عداها : « سفر »، محرف .

(٢) شربت بها، أى بعتها وشربت بثمنها . قال :

تبكى على بكرٍ شربت به * سفها تبكيها على بكر

(٣) أى أتدرين أنه رب خرق . والخرق، بالكسر : الفتى الكريم المتخرق فى الكرم، أى المتسع فيه . ما عدا ط، حـ، ها، مب : « حذق رزأت » .

(٤) السرية : قطعة من الجيش . ماعدا ط، ها، مب : «للشربة» . والشربة وذروة : موضعان .

(٥) النواصف : موضع ورد فى شعر طرفة . وأما هدام، فلم أجده . "ودى"، هى فى ط، مب : « إحدى » وفى حـ : « أحذى » وفى سائر النسخ : « أحذوا » .

(٦) حى لقاح، بفتح اللام : لم يدينوا للملوك ولم يصبهم فى الجاهلية سباء .

(٧) الخيم، بالكسر : الطبع . والنشيل : ما ينشل من لحم القدر .

إذا الحسناء[1] لم ترحَضْ يدَيْها * ولم يُقصَر لها بَصَرٌ بسِتْرْ

قَرَوْا أضيافَهم رُبَحاً ببُحٍّ[2] * تجىءُ بعبقرىِّ الوَدقِ سُمْرِ

رماحٍ مثقَّفٍ حَملتْ نصالاً[3] * يَلُحْنَ كأنّهنّ نجومُ بحْرِ

جَلاها الصَّيقَلون فأخلَصُوها[4] * مواضىَ كلُّها يَفْرى بِبَتْرِ

همُ الأيسارُ[5] إن قَحَطَت جُمادَى * بكلِّ صَبيرِ ساريةٍ وقَطْرِ

يَصُدُّون المغيرةَ[6] عن هَواها * بطعنٍ يَفلِقُ الهاماتِ شَزْرِ

تعلَّمْ أنّ خيرَ الناسِ طُرًّا * لولدانٍ ـ غداةَ الريحِ[7] ـ غُبْرِ

وأرملةٍ ومُعترٍّ[8] مُسيفٍ * عديمِ المالِ، عِجزةُ أمِّ صخرِ

ومما رثت به الخنساء صخرا وغُنِّىَ فيه : ...نية أخرى فيه

صوت

أعينَىَّ جُودا ولا تَجْمُدا * ألا تبكيانِ لصخرِ النَّدَى

ألا تَبكيانِ الجرىءَ الجميلَ * ألا تبكيانِ الفتى السيِّدا

---

(١) فى جميع الأصول : « الخنساء » صوابه فى مب واللسان .

(٢) الربح، بالتحريك : الشحم، أو الفصيل . والبح : قداح الميسر، وإنما سميت بحا لرزانتها . ها : « ربحا بنبج » ما عدا ط، حـ، مب : « ربحا بسح » محرف . وعجز هذا البيت فى اللسان والمقاييس (بحح) : * يعيش بفضلهن الحى سمر *

(٣) فيما عدا ط، حـ، مب : « جنت نصالا » محرف .

(٤) ويروى : * خفافا كلها يتقى بأثر *

(٥) الأيسار : جمع يسر، بالتحريك، وهم الذين يقتسمون بالميسر .

(٦) المغيرة : يعنى الخيل والفرسان المغيرة . والطعن الشزر : ما كان عن يمين وشمال .

(٧) غداة الريح : أى حين تهب رياح الشتاء . ما عدا ط، حـ، ها، مب : « بنو عمرو غداة الريح نجرى » محرف .

(٨) المعتر : المعترض لمعروف من غير أن يسأل . والمسيف : الفقير المعدم . عجزة أم عمرو، أى آخر ولد ولد لها، وهو بكسر العين . وعجزة خبر « أن » فى البيت قبله .

طويلُ النِّجادِ رفيعُ العما * دِ ساد عشيرتَه أمْرَدا
إذا القومُ مَدُّوا بأيديهمُ * إلى المجد مَدَّ إليه يدا
فنال الذى فوقَ أيديهمُ * من المجدِ ثمَّ مضى مُصْعِدا
يحمِّلُه القومُ ما عالَهم * وإن كان أصغرَهمْ مَولِدا
٥ ترى المجدَ يهوِى إلى بيتِه * يرى أفضلَ المجد أن يُحمَدا
وإن ذُكِر المجدُ ألفيتَه * تأزَّرَ بالمجد ثمَّ ارتدَى

خبر مقتل معاوية أخى الخنساء

ونذكر الآن هاهنا خبرَ مقتل معاوية بن عمرو أخيهما، إذْ كانت أخبارهما وأخبارها يدعو بعضُها إلى بعض .

قال أبو عبيدة : حدّثنى أبو بلال بن سهم بن عباس بن مرداس بن أبى عامر
١٠ ابن حارثة بن عبد بن عبس بن رفاعة بن الحارث بن بُهثة بن سليم بن منصور قال :

غزا معاوية بن عمرو أخو خنساء، بنى مرة بن سعد بن ذبيان وبنى فزارة ، ومعه خُفَاف بن عمير بن الحارث، وأمه « نُدبة » سوداء، وإليها ينسب، فاعتَوره هاشمٌ ودريد ابنا حَرملة المرِّيَّان . قال ابن الكلبيّ : وحرملة هو حرملة بن الأسعر ابن إياس بن مُرَيطة بن ضَمرة بن مُرّة بن عوف بن سعد بن ذُبيان . قال أبوعبيدة :
١٥ فاستطردَ له أحدُهما ثم وقف، وشدَّ عليه الآخرُ فقتلَه، فلما تنادَوْا : قُتِل معاوية ! قال خُفاف : قتلنى الله إنْ رِمتُ حتّى أثأرَ به ! فشدَّ على مالك بن حِمارٍ الشمخى ، وكان سيد بنى شَمْخ بن فزارة، فقتله — [قال : وهو مالك بن حمار بن حزن بن عمرو ابن جابر بن عَقيل بن هلال بن مازن بن فزارة](١) — فقال خفاف فى ذلك :

فإنْ تكُ خيلى قد أُصِيبَ صميمُها * فعَمْدًا على عَينٍ تيممتُ مالكا

٢٠ (١) التكلة من ط ، ها فقط .

يعنى مالك بن حمار الشَّمْخى .

قال أبو عبيدة : فأجمل أبو بِلالٍ الحديث .

قال : وأما غيره فذكر أنّ معاوية وافَى عكاظَ فى موسم من مواسم العـرب ، فبينا هو يمشى بسُوق عُكاظ ، إذ لقى أسماءَ المرّيّة ، وكانت جَميلةً ، وزعم أنّها كانت بغيًّا ، فدعاها إلى نفسه فامتنعَتْ عليـه وقالت : أمَا علمتَ أنّى عند سـيِّد العرب هاشم بن حَرمَلة ؟ ! فقـال : أمَا والله لأقارعنّه عَنْـك . قالت : شأنَكَ وشأنَه . فرجعَتْ إلى هاشم فأخبرته بمـا قال معاوية وما قالت له ، فقال هاشم : فلعَمـرِى لا يَريم أبياتَنا حتّى ننظر ما يكون من جَهـده . قال : فلما خرجَ الشهرُ الحـرام وتراجَعَ الناس عن عكاظ ، خرج معاويةُ بن عمرو غازيًا يريد بنى مُرّة وبنى فزارة ، فى فرسانِ أصحابِه من بنى سُلَيم ، حتى إذا كان بمكانٍ يُدعَى الحَوْزة أو الجُوزة — والشك من أبى عبيدة — دَوَّمَتْ[1] عليـه طيرٌ وسنَح له ظبىٌ ، فتطيَّر منهما ورجع فى أصحابه ، وبلغ ذلك هاشمَ بن حَرملة فقال : ما مَنَعـه من الإقدام إلّا الجُبن ! قال : فلما كانت السنة المقبلة[2] غزاهم ، حتّى إذا كان فى ذلك المكان سنح له ظبى وغراب فتطيَّر فرجع ، ومضى أصحابُه وتخلف فى تسعةَ عشر فارسًا منهم لا يُريدون قتالًا ، [إنمـا تخلّفَ عن عُظْم الجيش راجعًا إلى بلادِه][3] ، فوردوا ماء وإذا عليه بيتُ شَعر ، فصاحوا بأهله فخرجَتْ إليهم امرأةٌ فقالوا : [ما أنتِ][3] ممن أنتِ ؟ قالت : امرأةٌ من جُهينة ، أحلاف لبنى سهم بن مُرة بن غطفان . فوردوا المـاءَ يَسقُون ، فانسلَّتْ فأتت هاشمَ بن حَرملة ، فأخبرتْه أنّهم غير بعيد ، وعَرَّفتـه عِدَّتَهم وقالت : لا أرى إلّا معاويةَ فى القوم . فقال : يا لَكَاع ، أمعاويةَ فى تسعةَ عشر

(١) التدويم : التحليق . ط ، مب : « رزمت » جـ : « ورمت » الأخيرة محرفة .

(٢) ط ، ها : « فلما كان فى السنة » .

(٣) التكملة من ط ، جـ ، ها ، مب .

رجلًا ، شبّهتِ أو أبطلْتِ . قالت : بل قلتُ الحقّ ، ولئن شئتَ لأَصِفنّهُم لكَ رجلًا رجلا . قال : هاتى .

قالت : رأيت فيهم شاباً عظيم الجُمّة ، جبهتُه قد خرجَتْ من تحت مِغفره ، صبيحَ الوجه ، عظيمَ البطن ، على فرسٍ غَرّاء . قال : نعم هذه صفتُه . يعنى معاويةَ وفرسَه الشَّمّاء .

قالت : ورأيتُ رجلًا شديد الأُدْمة شاعرًا يُنشِدهم . قال : ذلكِ خُفاف ابن عمير .

قالت : ورأيتُ رجلًا ليس يبرح وَسْطَهم ، إذا نادَوْه رفَعوا أصواتهم . قال : ذاكِ عباسٌ الأصمّ .

قالت : ورأيتُ رجلًا طويلا يكنّونه أبا حبيب ، ورأيتُهم أشدَّ شىءٍ له توقيرا . قال : ذاكِ نُبَيشة بن حبيب .

قالت : ورأيت شاباً جميلًا له وَفرةٌ حسَنة . قال : ذاكِ العباس بن مِرداس السُّلَمىّ .

قالت : ورأيتُ شيخًا له ضَفيرتان ، فسمعته يقولُ لمعاوية : بأبى أنتَ أطلتَ الوقوف ! قال : ذاكِ عبد العُزّى زوج الخنساء أخت معاوية .

قال : فنادى هاشمٌ فى قومه وخرج ، وزعم المرّىُّ(١) أنه لم يخرج إليهم إلا فى مثل عِدّتهم من بنى مرة . قال : فلم يشعر السُّلَميون حتّى طلعوا عليهم ، فثاروا إليهم فلقُوهم فقال لهم خُفاف : لا تنازلوهمْ رجلًا رجلا ؛ فإنّ خيلَهم تثبُت للطِّراد وتحمل ثِقْل السلاح ، وخيلَكم قد أَمَنَّها(٢) الغزوُ وأصابها الحَفَا .

(١) ما عدا ط ، جـ ، ها ، مت : « وزعم أن المرى » .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من ط ، جـ . وأمنها إمنانا : أضعفها وأعياها . وهذه رواية ط ، جـ ، مب ، وفى ها : « منها » ومعناه كالسابق . وفى سائر النسخ : « قد أنهكها » .

قال : فاقتتلوا ساعةً وانفرد هاشم ودريدٌ ابنا حرملة المريان لمعاوية، فاستطرد له أحدُهما فشدّ عليه معاويةُ وشغَله، واغترّه الآخَرُ فطعنه فقتَله . وآختلفوا أيُّهما استطرد له وأيهما قتله ، وكانت بالذى استطرد له طعنةٌ طعنهُ إياها معاوية .

ويقال : هو هاشم . وقال آخرون : بل دريد أخو هاشم .

قال : وشدّ خفاف بن عمير بن الحارث بن الشريد(١) على مالك بن حمار سيِّد بنى شَمْخ بن فَزارة فقتله . وقال خفاف فى ذلك وهو ابن نُدبة، وهى أمَةٌ سوداءُ كانت سباها الحارث بن الشريد حين أغار على بنى الحارث بن كعب [فوهبها لابنه عُمير فولدت له خفافا . ويقال فى نُدبة إنّها ابنة الشيطان بن بنان، من بنى الحارث ابن كعب . فقال](٢) :

شعر خفاف فى ذلك ١٤٢ / ١٣

أقولُ له والرمحُ يأطِرُ متْنَهُ(٣) * تأمّلْ خُفافاً إننى أنا ذلكا

وقفتُ له جَلْوَى(٤) وقد خام صُحبتى * لأبنىَ مجداً أو لأثأر هالكا

لَدُن ذرّ قرنُ الشّمس حين رأيتُهم * سراعاً على خيلٍ تؤمُّ المسالكا

فلمّا رأيتُ القوم لا وُدّ بينهم * شَريجَين(٥) شتّى طالبًا ومُواشِكا

(١) بعد هذا فى ط ، جـ ، ها ، مب : « وهو ابن ندبة وهى أمة سوداء كان سباها الحارث بن الشريد حين أغار على بنى الحارث بن كعب فوهبها لابنه عمير فولدت له خفافا ، فشد خفاف » . وقد ورد صدر هذه العبارة إلى كلمة « كعب » فى سائر النسخ فى الموضع التالى ، فأثبتها هناك ، وجعلت بقيتها تكملة هناك .

(٢) التكملة إلى هنا من بقية العبارة التى وردت متقدمة فى ط ، جـ ، ط ، ها ، مب . وما بعدها جاء فى أصله ، وهو ط ، جـ ، ها مباشرا لكلمة « بنى الحارث بن كعب » .

(٣) يأطره : يعطفه ويثنيه . وفعله من باب نصر وضرب .

(٤) جلوى : اسم فرسه . هذا ما فى ها . وفى سائر النسخ : « علوى » . خام : جبن . ط ، جـ : « نام » .

(٥) شريجان : ضربان . المواشك : السريع .

تيممتُ كبشَ القومِ حتى عرفتُه * وجانبتُ شُبّان الرجالِ الصعالكا

فجادت له يُمنى يَدَىَّ بطعنةٍ * كسَتْ متنَه من أسودِ اللون حالكا

أنا الفارسُ الحامى الحقيقةِ والذى * به أُدرِكُ الأبطالَ قِدماً كذلكا

فإن ينجُ منها هاشمٌ فبطعنةٍ * كسَتْه نجيعاً من دم الجوف صائكا

٥ فحقّق خفافٌ فى شعره أنّ الذى طعن معاويةَ هو هاشمُ بن حرملة .

رثاء الخنساء لأخيها معاو

وقالت الخنساء ترثى أخاها معاوية :

ألا لا أرى فى الناس مثلَ معاويهْ * إذا طرقَتْ إحدى الليالى بداهيهْ

بداهيةٍ يُصغِى الكلابَ حسيسُها[1] * وتُخرِج من سِرِّ النجىِّ عَلانيه

ألا لا أرى كفارسِ الوَرْد فارسًا[2] * إذا ما علَتْه جُرْأةٌ وغَلابيَه

وكان لِزازَ الحربِ عند شُبوبها[3] * إذا شمّرت عن ساقها وهى ذاكيه

١٠ وقوّادَ خيلٍ نحوَ أخرى كأنّها * سَعالٍ وعِقبانٌ عليها زَبانيه[4]

بلينا وما تبلَى تِعارُ وما تُرى[5] * على حدث الأيام إلا كما هيه

فأقسمْتُ لا ينفكُّ دمعى وعَولتى * عليكَ بحزنٍ ما دعا الله داعيَه

---

(١) يصغيها : يجعلها تميل رأسها وأذنها للتسمع . وفى أمثالهم : «شر أهر ذا ناب» . وللكلاب
١٥ حس صادق بالعدو ، تنذر قومها إذا شعرت به . والحسيس والحس : الحركة .

(٢) الورد : فرسه . ما عدا ط ، جـ ، ها : «كالفارس الورد» . الغلابية : القهر والغلبة .
وفى الأصول ما عدا «ها» علانية .

(٣) لزاز الحرب ، أى ملازم لها موكل بها .

(٤) سعال : جمع سعلاة ، وهى الغول .

٢٠ (٥) تعار ، بالكسر : جبل فى بلاد قيس . وأنثها على أنها جبال .

مرثية أخرى لها في معاوية

وقالت الخنساء فى كلمة أخرى ترثيه أيضا :

إلَا ما لعينيك أمْ مالهَا * لقدأخضَلَ الدمعُ سربالهَا
أبعد ابنِ عمرٍومنَ آلِ الشريـ * ـدِ حلّت به الأرضُ أثقالها
وأقسمتُ آسَى على هالكٍ * وأسألُ نائحةً مالهَا
سأحملُ نفسي على آلةٍ * فإمّا عليها وإمّا لها
نُهينُ النفوسَ وهُونُ النفو * سِ يومَ الكريهة أبقَى لها
ورجراجةٍ فوقَها بيضُها * عليها المضاعَفُ زفنًا لها [1]
ككِرفئةِ الغَيثِ ذاتِ الصَّبيـ * ـرِ ترمِى السحابَ ويرمِى لها
وقافيةٍ مثلِ حدِّ السِّنا * نِ تبقَى ويهلِكُ مَن قالها
نطقتَ ابنَ عَمرو فسهَّلتَها * ولم ينطِق الناسُ أمثالَها
فإن تكُ مُرَّةُ أودَتْ به * فقد كان يُكثِر تقتالَها
فزالَ الكواكبُ مِن فقده * وجُلِّلت الشمسُ أجلالَها
وداهيةٍ جَرَّها جارمٌ * تُبِيل الحَواصنَ أحبالَها [2]
كفاهاابنُ عمرٍو ولم يَستعِنْ * ولو كان غيرُك أدنى لها
وليس بأَولَى ولكنَّه * سيَكفِى العشيرةَ ما عالها [3]

(١) الرجراجة : الكتيبة تضطرب فى سيرها لكثرتها . المضاعف ، أى الحديد المضاعف من نسج الدروع ونحوها . زاف يزيف : أسرع .

(٢) الحواصن من النساء : الحبالى . وبعجز هذا البيت استشهد فى اللسان (حصن) . والأحبال : جمع حبل ، بالتحريك ، وهو حمل المرأة . أراد أن تلك الداهية تفزع الحبالى فيسقطن الأجنة . ماعدا ط ، حـ ، مب : « تبين الحواصن أحمالها » لكن فى ها : « تنيل الحواضن أحبالها » محرف .

(٣) ط ، جـ ، ها ، مب : « ما نالها » وفى سائر النسخ : « ما غالها » وتفسير أبى الفرج فيما سيأتى يقتضى أن تكون « ما عالها » .

بمعترَك ضيِّق بينَه * تجُرُّ المنيةُ أذيالَها
وبيض مَنعتَ غداة الصَّبا * ح تكشف للرَّوع أذيالَها (١)
ومُعمَلةٍ سقتَها قاعدًا * فأعلمت بالسيف أغفالَها (٢)
وناجيةٍ كأتانِ الثمِيـ * ـلِ غادرت بالخَلِّ أوصالَها (٣)
[إلى مَلِكٍ لا إلى سُوقة * وذلك ما كان إعمالَها] (٤)
وتمنح خيلَك أرضَ العدوِّ * وتَنبِذُ بالغَزْو أطفالَها
ونَوح بعثتَ كمثل الإرا * خِ آنستِ العِينُ أسبالَها (٥)

تفسير هذه المرثية

التفسير، عن أبى عبيدة:

قوله حلّت به الأرض، قال بعضهم: حلت من الحلية أى زيَّنت به الأرضُ موتاها، حين دفن بها. وقال بعضهم: حَلَّت من حللت الشىء. والمعنى ألقت مَراسِيهَا، كأنّه كان ثِقْلًا عليها. قال: اللفظ لفظ الاستفهام والمعنى خبر، كما قال جرير:

ألستم خيرَ مَن ركب المطايا * وأندى العالَمين بطونَ راح

(١) الصباح: الغارة صبحا. ما عدا ط، جـ، ها، مب: «الصياح».

(٢) ط، جـ، ها، مب: «ومعلمة» والتفسير التالى يقتضى ما أثبت من سائر النسخ. والأغفال: جمع غفل، بالضم، وهى التى لاسمة عليها.

(٣) الناجية: الناقة السريعة. والأتان: الصخرة. ما عدا ط، جـ، ها، مب: «لاقيات الثميل» محرف.

(٤) التكملة من ط، ها.

(٥) النوح، بالفتح، عنى بهن النساء يجتمعن للحزن مما أصابهن من ثكل. والإراخ، بالكسر: جمع إرخ، بكسر الهمزة وفتحها، وهى البقر أو البكر منها. آنست: أبصرت. والعين، بالكسر: جمع عيناء الواسعة العينين. والأسبال: جمع سبل، بالتحريك، وهو المطر.

قال : جوابُ « أَبْعَد » فى « آسى » أى أبعد ابنِ عمرو آسى وأسأل نائحةً مالها .
[وقال أبو عبيدة : هــذا البيت لمية بنت ضِرار بن عَمرو الضّبيّة ترثى أخاها](١) .
قال أبو الحسن الأثرم : سمعت أبا عمرو الشيبانى يقول : أمور النــاس جاريةٌ على
أذلالها، أى على مسالكها، واحدها ذِلٌّ(٢) . آلة : حالة . تقول : فإما أن أموت
وإما أن أنجو . ولو قالت [على آلَة](٣) لم تنج؛ لأن الآلة هى الحَدْبَة .

همت بنفسى، قال أبو عبيدة : هذا توعد . قال الأصمعى: « كلّ الهموم » .
قال الأثرم : كأنها أرادت أن تقتل نفسَها(٤) .

أبو عبيدة؛ التكدس: التتابع، يتبع بعضها بعضا، أى يغزو ويجاهد فى الغزو،
كما تتوقّل الوعولُ فى الجبال، عن أبى عبيدة. قال الأصمعى : التكدُّس : أن تحرِّك
مناكبَها إذا مشَتْ وكأنّهــا تنصبُّ إلى بين يديها، وإنمــا وصفَتْها بهذا . تقول :
لا تسرع إلى الحرب، ولكنْ تمشى إليها رويدا . وهذا أثبتُ له من أن يلقاها وهو
يركض . ويقال: جاء فلان يتكدّس، وهى مِشيةٌ من مَشْىِ الغِلاظ القِصار. وقال
أبو زياد الكلابىّ : الكُدَاس(٥) : [عُطَاس] الضأن . قال السُّلَمى : التكدُّس :
تكدس الأوعال، وهو التقحّم. والتكدس هو أن يرمى بنفسه رمياً شديدا فى جريه.

---

(١) هذه التكلمة من ط .
(٢) هذا تفسير لبيت لم يروه أبو الفرج، وهو :

لتجر المنيـــة بعد الفتى الـ * ـمغادر بالمحـــو أذلالها

وقد سبق التنبيه على مثل هذا ص ٨٢ حيث يرد التفسير لما لم ينشده أبو الفرج .
(٣) بهذه التكلمة يلتئم الكلام . ولم ترد فى نسخة من النسخ .
(٤) وهذا أيضا تفسير لبيت لم يروه أبو الفرج، وهو :

هممت بنفسى كل الهمـــوم * فأولى لنفسى أولى لها

(٥) التكلمة من ط، ها، مب .

نُهين النفوس ، تريد غداةَ الكريهة . وقولها : «أبقى لها» لأنها إذا تذامرت[1] وغشيت القتال كان أسلمَ لها من الانهزام . كقول بِشر بن أبى خازم :

ولا يُنجِى من الغَمَرات إلّا * بَرَاكاءُ القِتال أو الفِرارُ

قال بعضهم : أبقَى لها فى الذِّكر وحُسن القول . والرجراجة : التى تمخَّض من كثرتها . وقال الأصمعى : الكِرفئة، وجمعها كِرِفئٌ : قِطعٌ من السحاب بعضها فوقَ بعض . وقوله : « ترى السحاب » أى تنضمُّ إليه وتتَّصل به . و يرى لها، أى ينضمُّ إليها السَّحاب حتى يستوىَ . مثل حدِّ السنان، لأنها ماضية . سَهَّلتَها : جئتَ بها سهلة . وجُلِّلت الشمس، أى كَسَفت الشمسُ وصار عليها مثل الجُلّ . تُبِيل[2] الحواصن، وهى الحواملُ من النِّساء، أولادَها من شدّة الفزع . أى ما كان وَلِيَها ولا دَنا إليها، ولكنّه يكفى القريب والبعيد . ما عالها[3]، قال أبو عمرو : عالها : غلبها . وقال أبو عبيدة : يقال إنّه ليعولنى ماعالَك، أى يغمُّنى ما غمّك . و يقال : افعلْ كذا وكذا ولا يَعُلْكَ أن تأتىَ غيرَه ، أى لا يُعجِزْك . و يقال : قد يعولك أن تفعلَ كذا، أى قد دنا لك أن تفعل ذاك . وأنشد :

ضربًا كما تَكَدَّسُ الوُعولُ * يَعُول أن أُبِطَها يَعُول

(١) تذامرت : تحاضت وحث بعضها بعضا على القتال . ط ، حـ ، مب : «غامرت» ها : «عامرت» .

(٢) كلمة «تبيل» ساقطة من ط . و بدلها فى حـ : «تلق» وفى سائر النسخ : «تبين» ، وأثبت ما يقتضيه نص الشعر .

(٣) وردت هذه الكلمة ومشتقاتها فى سائر النسخ بالغين المعجمة ، والصواب إهمالها .

أى قد دنا ذلك . و يقال : عالِ كذا وكذا منك ، أى دنا منك . ويروى : «وليس بأدنى ولكنّه » . وقولها معملة[(١)] : إبل . وقولها : قاعدًا ، أى على فرسك . قال النابغة :

* قُعودًا على آل الوجيه ولاحقٍ[(٢)] *

والأغفال : ما لا سِمةَ عليها ، واحدها غُفل . [والأتان : الصخرة . و][(٣)] الثميل : بقيّة الماء فى الصخرة . والخَلُّ : الطريق فى الرمل . يقول : أعيَتْ فتركتَها هنالك . ويروى :

* غادرتَ بالنَّخْل أوصالها *

قال الأصمعىّ : ناجية : سريعة . ويروى : «إلى ملك وإلى شانئٍ» . تقول : تقود خيلك إلى ملك أو عدو . ويروى : «[ما كان][(٤)] إكلالها» . [ما صلة][(٥)] . الإراخ : بقر الوحش . تقول : خَرجت من بيوتهن كما خَرجت هـذه البقرُ من كُنُسها فرَحًا بالمطر . ومثله فى الفرح بالمطر لابنِ الأحمرِ قولهُ :

ماريّةٌ لُؤلُؤانُ اللونِ أوردَها * طَلٌّ وبَنَّسَ عنها فرقَدٌ خَصِرُ[(٥)]

(١) ط ، حـ ، مب : « وقولها معلمة ، معلمة » . وانظر ما سبق فى ٩٣ .

(٢) صدر بيت له فى ديوانه ٥٦ . وعجزه :

* يقيمون حولياتها بالمقارع *

(٣) التكملة من ط ، ها ، مب .

(٤) التكملة من ها .

(٥) المارية : البقرة الوحشية ، والمارية : البراقة اللون . لؤلؤان اللون أراد لؤلؤيته : براقته . وبنس عنها تبنيسا : تأخرعنها . والفرقد : ولدها . والخصر : الذى لحقه البرد . والبيت فى اللسان (لألأ ، بنس ، مرا) .

أى قوَّى أنفسَها المطرُ، لمـا رأته . ومثله :

ألا هَلكَ امرؤٌ قامَتْ عليـه * بجَنْب عُنيزةَ البقَــرُ الهجودُ (١)

أى لم يَقرَنَ فى البيوت فتستُرَهنّ البيوتُ، بل هُنّ ظَواهرُ . و إنما شبه اجتماعَ هؤلاء النساءِ باجتماع العِين وخُروجِهنّ للطر . قال : و بَقَر الوحش تفرح بالمطر .

٥ وقال دُريدٌ يرثى معاوية أخا الخنساء، لمـّا قتلته بنو مرة : رثاء دريد لمعاوية

ألا بَكرتْ تلومُ بغـير قَـدْرِ * فقد أحْفَيتِنى ودخلتِ سِترى (٢)

فإنْ لم تترُكى عَذَلى سَـــفَاهًا * تَلُمْكِ علىَّ نفسُـكِ أىَّ عَصرِ

أسَرّكِ أن يكونَ الدهرَ هذًا (٣) * علىَّ بشَرّه يغـــدو و يسرى

وألّا تُرزَئى نفسًـا ومالا * يضرُّكِ هُلكُه فى طُول عمرى

١٠ [فقد كذبَتْكِ نفسُكِ فا كذبيها * فإنْ جزَعٌ و إن إجمالُ صـبرِ (٤)

و إنّ الرزء يومَ وقفتُ أدعو * فلم أُسمِـع مُعاويةَ بنَ عمرِو]

رأيت مكانَه فعرَضتُ بَـدْءًا * وأىُّ مَقيـلِ رُزْءٍ يا ابنَ بكرِ

الى إرَمٍ وأحجـارٍ وصِـــيرٍ * وأغصانٍ من السَّلَماتِ سُمرِ

---

(١) البيت لامرأة من بنى حنيفة فى المفضليات (٢ : ٧٣ طبع المعارف) . وفى جميع النسخ :

١٥ «المجون» تحريف . عنيزة : قرى بالبحرين . حـ : «بعيب» تحريف ، وأثبت ما فى ط والمفضليات . وفى سائر النسخ : « بخيف » ، والخيف بالفتح : الناحية .

(٢) أحفاه : ألح عليه فى المسألة . ما عدا ط ، مب « أخفيتنى » لكن فى ها : « أحفظتنى » . تحريف .

(٣) هذا ما فى ها . وفى سائر النسخ : « يبدا » .

٢٠ (٤) ويروى : « فان جزعا و إن إجمال صبر » بالنصب . الخزانة (٤ : ٤٤٢) . وهذا البيت وما بعده من ط ، ها ، مب فقط .

— صِيَر، الواحدة صِيرة، وهى حظيرة الغنم. وقوله: وأغصان من السلمات، أى أُلقيتْ على قبره —

وبُنيان القبـــور أتَى عليهـا * طَوالُ الدّهرِ من سنة وشهرِ

ولـو أسمعتِه لسَرى حثيثـا * سَريعَ السّعى أو لأتاكِ يجرى

بِشِـكّةِ حازمٍ لا عيبَ فيــه * إذا لبِسَ الكُماةُ جلودَ نُمْـــرِ

— أى كأنّ ألوانَهم ألوانُ النمور، سوادٌ و بياض من السلاح. عن أبى عبيدة —

فإمّا تمسِ فى جَـــدَثٍ مقيمًا * بمَسْهكةٍ من الأرواح قَفْرِ[1]

فعـزّ علىّ هُلكُكَ يا ابنَ عمرٍو * ومالى عنـكَ من عَزْمٍ وصبرِ

لقاء صخر لابنى حرملة

١٤٥ / ١٣

قال أبو الحسن الأثرم: فلمّا دخل الشهر الحرام — فيما ذكر أبو عبيدة عن [أبى][2] بِلال بن سَهم — من السَّنَة المقبلة، خرجَ صخرُ بن عمرو حتّى أتى بنى مرة بن عوف ابن ذبيان، فوقف على ابنَىْ حرملة، فإذا أحدُهما به طعنةٌ فى عَضُده — قال: لم يسمّه أبو بلال بن سهم. فأمّا خُفاف بن عُمير فزعم فى كلمته تلك أنّ المطعون هاشم — فقال: أيّكما قَتل أخى معاويةَ؟ فسكتا فلم يُحيرا[3] إليه شيئا، فقال الصَّحيح للجريح: مالكَ لا تُجيبه؟ فقال: وقفتُ له فطعَنَنى هذه الطعنةَ فى عضدى، وشدّ أخى عليه فقتلَه، فأيّنا قَتلتَ أدركتَ ثأرَك، إلّا أنا لم نَسْلُبْ أخاك. قال: فما فعلَتْ فرسُه الشَّمّاء؟ قال: ها هِى [تلك][4] خُذْها[5]. فردّها عليه فأخذَها ورجع، فلمـا أتى صخرٌ

---

(١) المسهكة: ممر الريح. سهكت الريح: مرت مرا شديدا. وهذا الصواب من ط، ها، مب. وفى سائر النسخ: «بمسهلة». (٢) تكملة من ها.

(٣) لم يحيرا: لم يرجعا ولم يردا. وهــذا ما فى ط، حـ، م، ها، مب. وفى سائر النسخ: «فلم يخبراه شيئا». (٤) التكملة من مب.

(٥) هذا ما فى ط، ها، مب. وفى حـ، م: «فرد عليه». وفى سائر النسخ: «فرد عليها».

قومه قالوا له : اهْجُهُم . قال : إنَّ ما بيننا أجلُّ من القَذَع، ولو لم أكفُفْ نفسى إلّا رغبةً عن الخَنَا لفعلت .

شعره فى ذلك

وقال صخرٌ فى ذلك :

وعاذلة هَبَّتْ بليـــل تلومنى * ألا لَا تلومينى كَفَى اللومَ ما بِيا

— قال: أراد تباكره باللوم، ولم يرِدِ الليلَ نفسه، إنّما أراد عَجَلتَها عليه باللوم، كما قال النمر بن تَولب العُكْلىّ :

* بَكَرَتْ باللَّوم تلحانا *

وقال غيره : تلومه بالليل لشغله بالنهار عنها بفعل المكارم، والأضياف، والنظرِ فى الحَمَالات وأمورِ قومه، لأنه قِوامهم[1] —

تقــولُ ألا تهجو فَــوارسَ هاشم * ومالىَ إذْ أهجُــوهمُ ثم ماليــا

أبَى الشتمَ أنّى قد أصابوا كريمتى * وأنْ ليس إهداءُ الخَنَا من شِماليا[2]

— [أى من شمائلى . ويروى : « من فِعَاليا »[3]] —

إذا ذُكِرَ الإخوانُ رقرقتُ عبرةً * وحيَّيتُ رمسًا عند لِيَّـــة ثاويا[4]

إذا ما امرؤٌ أهدَى لميتٍ تحيّــةً * فحيّـاكَ ربُّ النـاس عنّى معاوِيا

وهوّنَ وجدِى أنّنى لم أقــلْ له * كذبتَ ولم أبخلْ عليه بمـاليا

فنعمَ الفــتى أدَّى ابن صِرمةَ بَزَّه * إذاالفحلُ أضحَى أحدبَ الظَّهرِعاريا

(١) يقال : هو قوام أهل بيته وقيامهم، أى الذى يقيم شؤونهم . وهذه رواية ط، ها، مب . وفى حـ : « قدامهم » وسائر النسخ : « قد رأسهم » .

(٢) كذا فى ط، حـ، ها، مب وهو ما يقتضيه التفسير بعد . وفى سائر النسخ : « من سماتيا » .

(٣) التكلة من ط، ها، مب فقط .

(٤) رقرقت على الصواب فى ط، ها، مب وفى سائر النسخ : « قرقرت » . ولية بالكسر : موضع بالطائف .

قال أبو عبيدة : ثم زاد فيها بيتا بعد أن أوقع بهم، فقال :

وذى إخوة قطّعتُ أقرانَ بينِهم * كما تَرَكونى واحـدًا لا أخاليـا (١)

غزو صخر لبنى مرة

قال أبو عبيدة : فلما كان فى العام المقبل غَزاهم وهو على فَرسه الشَّمَّاء، فقال : إنّى أخاف أن يعرفونى و يعرفوا غُرَّةَ الشمّاء، فيتأهّبوا . قال : فحَمَّمَ غُرّتها (٢) . قال : فلمـا أشرفَتْ على أدنى الحىِّ رأوها . فقالت فتاةٌ منهم : هذه واللهِ الشَّمّاء ! فنظروا فقالوا : الشماء غَرّاءُ وهذه بَهِيم ! فلم يشعروا إلّا والخيل دوائسُ (٣)، فاقتتلوا فقتل صخر دريدا، وأصاب بنى مرةَ فقال :

ولقد قتلتُكمُ ثُنـاءَ ومَوحَـدًا * وتركت مُرّةَ مثلَ أمسِ المُـدْبِرِ (٤)

ــ قال الأثرم : مثنى وثناء لا ينونان . قال ابن عَنَمة الضَّبِّىّ :

* يُباعُون بالنِّغْرانِ مَثنَى ومَوحَدا (٥) *

لا ينوّنان لأنّهما ممـا صُرِف عن جهته ، والوجه أن يقول : اثنين اثنين . وكذلك ثُلاث ورُباع . قال صخر [الغىّ] (٦) :

مَنَتْ لكَ أن تلاقيَنى المنـايا * أُحادَ أحادَ فى الشهر الحـلالِ (٧)

---

(١) الأقران : الحبال، عنى بها الصلات، وهو كناية عن القتل . ماعدا ط، ها، مب : «أفراق» تحريف . (٢) حممها : سودها .

(٣) كذا فى ط و حـ ، ها وهو جمع دائس . وفى سائر النسخ : « دواس » بمعناه .

(٤) روى فى اللسان (ثنى) : « مثل أمس الدابر » ، والصواب «المدبر» . والبيت كان سينشده أبو الفرج بعد قليل . وقد نبه ابن منظور فى اللسان (دبر) على هذا الصواب .

(٥) حـ : « بالبعران » جمع بعير . وفى ط، مب : « بالنغران » وفى حـ أيضا : « وواحدا » .

(٦) التكلة من ها . والصواب أنه أسرو ذى الكلب الكاهلى، وكان جارا لهذيل . والبيت التالى من قصيدة له فى ديوان الهذليين ٣ : ١١٣ مطلعها :

ألا قالت غزية إذ رأتنى * ألم تقتل بأرض بنى هلال

(٧) صواب الرواية من ط، مب مطابق لمـا فى ديوان الهذليين واللسان (منى) . وفى سائر النسخ : « الحرام » . منت لك المنايا، أى قدرت لك الأقدار والأحداث .

قال : ولا تجاوز العرب الرُّبَاع ، غير أنّ الكميت قال :

فـلم يستريثوك حـتّى رميـ * ـتَ فوقَ الرجال خصالاً عُشَارا[1]

١٤٦ / ١٣

ولقـد دفعتُ إلى دُرَيدَ بطعنةٍ * نجلاءَ تُزغِل مثـلَ عَطِّ المنحرِ[2]

تُزغِل : تخرج الدم قِطَعًا قطعا . قال : والزُّغلة : الدُّفعة الواحدة من الدم والبول . قال :

٥

* فأزغلَتْ فى الحلق إزغالةً[3] *

شعر صخر فيمن قتل من بنى مرة

وقال صخر أيضا فيمن قتل من بنى مُرّة :

قتلتُ الخالدَين به وبشـرا * وعمـرًا يوم حَـوْزةَ وابنَ بِشر

ومِن شَمْخ قتلتُ رجالَ صِـدقٍ * ومن بدر فقـد أوفيت نذرى[4]

١٠

ومُرّةُ قـد صَبحناها المنـايا * فروَّينا الأسـنّةَ ، غيرَ فخـر

ومن أفنـاءِ ثعلبـةَ بنِ سـعدٍ * قَتـلت ومـا أبِئهـمُ بـوِتر[5]

ولكّنا نُريد هـلاكَ قـومٍ * فنقتُلهم ونشـريهم بكَسر[6]

---

(١) لم يستريثوك : لم يجدوك رائثا ، أى بطيئا ، من الريث ، وهو البطء . رميت ، أى زدت ؛ يقال : رمى على الخمسين وأرمى ، أى زاد . خصالا ، هذا هو صواب الرواية ، كما فى اللسان (عشر) والخزانة (١ : ٨١) . وفى ط ، ها ، مب : « جمالا » ، وسائر النسخ : « خلالا » .

١٥

(٢) العط : الشق . والمنحر : موضع النحر من الدابة . ما عدا ط ، حـ ، ها ، مب : « مثل غط المنحر » تحريف .

(٣) هذا ما فى ط ، ها ، مب . وفى سائر النسخ : « إزغالها » محرف . فى اللسان ومقاييس اللغة (زغل) : « فى حلقه زغلةً » . والبيت لابن أحمر ، وعجزه :

٢٠

* لم تخطئ الجيـد ولم تشفتر *

(٤) شمخ وبدر : قبيلتان . ما عدا ط ، ها ، مب : « سمح » محرف .

(٥) أفناء القبائل : أخلاطها . ويقال : أبأت فلانا بفلان : قتلته به .

(٦) الكسر ، بالفتح : أخس القليل . قال ذو الرمة :

إذا مرئى باع بالكسر بنتـه * فما ربحت كف امرئ يستفيدها

وقال صخر أيضا :

ألا لا أرى مستعتِبَ الدهرِ مُعْتِبَا * ولا آخِذٌ منه الرضا إنْ تغضَّبا (١)

وذى إخوةٍ قطّعتُ أقرانَ بينِهم * إذا ما النفوسُ صِرنَ حَسرَى ولُغَّبا (٢)

أقولُ لرمسٍ بين أجراعِ بِيشةٍ * سقاكَ الغوادى الوابلَ المتحلِّبا (٣)

لَنِعمَ الفتى أدّى ابنُ صِرمةَ بَزَّه * إذا الفحلُ أمسى عارىَ الظهرِ أحدبا

٥

لقاء قيس بن الأصور لهاشم ابن حرملة

قال أبو عبيدة : ثم إنّ هاشم بن حرملة خرجَ غازيًا ، فلما كان ببلاد جُشَم بن بكر ابن هَوازن نزل منزلًا وأخذ صُفنًا (٤) وخلا لحاجته بين شَجَر ، ورأى غَفلتَه قيسُ ابن الأصوَر (٥) الجُشَمىّ فتبعه وقال : هذا قاتل معاوية ! لا وألَتْ نفسى إن وأل ! (٦) فلما قعدَ على حاجته تقتّر (٧) له بين الشجر ، حتى إذا كان خلفَه أرسل إليه مِعبلَةً (٨) فقتله ،

شعر الخنساء فى مقتل هاشم

فقالت الخنساء فى ذلك — قال ابن الكلبى : وهى الخنساء بنت عمرو بن الحارث ابن الشَّريد بن رِياح بن يَقَظة بن عُصَيَّة بن خُفاف بن امرئ القيس بن بُهثة ابن سُلَيم — :

١٠

فِدًى للفارسِ الجُشَمىِّ نفسى * وأَفديه بمن لى من حَميمِ

(١) يقال : أعتبه ، إذا أرضاه . ماعدا ط ، ها ، مب : « الرضا متعتبا » .

(٢) أقران ، سبق تفسيرها ص ١٠٠ . وفيا عدا ط ، ها ، مب : «أفواق» محرف . والحسرى : المعيية . واللغب : جمع لاغب ، وهو المتعب .

١٥

(٣) الأجراع : جمع جرع بالتحريك ، وهو الرملة السهلة المستوية . وبيشة : موضع . المتحلب : المتصبب .

(٤) الصفن ، بالضم ، مثل الدلو أو الركوة يتوضأ فيه . وهى فيا عدا ط ، ها « ضفنا » محرفة . وفى ط ، مب : « صفنة » . والصفنة ، بالفتح : كالعيبة يكون فيها متاع الرجل وأداته . وفى ها « صفينة » بالتصغير .

٢٠

(٥) ماعدا ط : « بن الأمرار » .　(٦) وأل : نجا وخلص .

(٧) تقتر : تهيأ للقتال . وتقتر أيضا : تنحى .　(٨) المعبلة ، بكسر الميم : نصل طويل عريض .

أفـدِّيه بجُـلِّ بنى سُـلَيم * بظاعِنِهم وبالأَنَسِ المُقِيم[1]

كما مِن هاشمٍ أقررتُ عينى * وكانت لا تَنام ولا تُنِيم

كان هاشم بن حرملة أسود العرب وأشدهم

قال أبو عبيدة : وكان هاشمُ بن حرملةَ بن صِرمة بن مُرّة أسودَ[2] العرب وأشدَّهم ، وله يقول الشاعر :

٥ أحيا أباه هاشمُ بن حرمَلَه * يومَ الهَبَاتَين ويومَ اليَعْمَلَه[3]

[يقتلُ ذا الذنبِ ومن لا ذنبَ له * إذِ الملوكُ حولَه مُغربَلَه][4]

* وسيفُه للوالدات مُثكِله *

حدّثنى على بن سليمان الأخفش قال : حدّثنى محمد بن الحسن بن الحَرُون قال : حدّثنا الكسروى عن الأصمعى قال : مررت بأعرابىٍّ وهو يَخْضِد شجرةً

١٠ وقد أعجبته سماحتُها، وهو يرتجز ويقول :

لو كنتِ إنسانًا لكنتِ حاتما * أو الغُلامَ الجُشَمىَّ هاشما

شعر هاشم فى الجود

قلت : من هاشم هذا ؟ قال : أو لا تعرفه؟ قلت : لا . قال : هو الذى يقول:

وعاذلةٍ هَبّتْ بليلٍ تلومُنى * كأنّى إذا أنفقتُ مالى أَضِيمها

١٤٧ ١٣

دعِينى فإنّ الجودَ لن يتلِفَ الفتى * ولن يُخْلِدَ النفسَ اللئيمةَ لُومُها

١٥ وتُذكَرَ أخلاقُ الفتى، وعظامُه * مفرَّقةٌ فى القبرِ بادٍ رميمُها

---

(١) هذا ما فى ط ، ها ، مب وفى حـ : « بجل من سليم » هذه محرفة ، وفى سائر النسخ : « بطل من سليم » . (٢) أسود ، من السيادة .

(٣) الهباتان واليعملة : موضعان ذكرهما ياقوت . ما عدا ط ، ها ، مب : « يوم الهباتين » محرف . . في اللسان (غربل) : « يوم الهباءات » فيكون جمعا ليوم الهباءة المعروف .

٢٠ (٤) هذه التكلة من ط ، ها ، مب . المغربل : المقتول المتفخ .

سَلِى كلّ قيس هل أُبارِى خيارَها[(١)] * ويُعرِض عنّى وغْدُها ولئيمُها

وتذكُر فِتيانيّتِى وتكرمى * إذا ذُمّ فِتيانيُّها وكريمُها[(٢)]

قلت : لا أعرفه . قال : لا عرفت، هو الذى يقول فيه الشاعر :

أحيا أباه هاشمُ بن حَرمله * يقتُل ذا الذنب ومَن لا ذنبَ له

* تَرى الملوكَ حولَه مُغربَلَه * ٥

صــوت

تأبد الربعُ من سَلْمَى بأحفار[(٣)] * وأقفرتْ من سُلَيمَى دِمنةُ الدّارِ

وقد تحُلُّ بها سَلمى تحدّثنى * تَسَاقُطَ الحَلْيِ حاجاتى وأسرارى

الشعر للأخطل، والغناء لعمرَ الوادىّ، هزج بالسبابة فى مجرى الوسطى، وفيهما رمل بالبنصر يقال إنه لابن جامع و يقال إنه لغيره، وفيهما خفيف رمل بالوسطى، ١٠ ذكر الهشامى أنه لحكم . وذكر حبش أن فيهما لإبراهيم خفيف ثقيل أوّل بالوسطى .

ومما يغنى فيه من هذه القصيدة :

---

(١) المباراة : المفاخرة . وهذا ما فى ط، مب . وفى ها « أبارى خيارهم »، وفى سائر النسخ : « تأتى خيارهم » . ١٥

(٢) الفتيانية : مصدر صناعى لم يرد فى المعاجم المتداولة، وكذا النسبة إليه فى قوله « فتيانيها » . وهو من الفتوة : السخاء والكرم . وفتيانيتى رواية ط، ها . وفى حـ : «رفقيا يداى» محرفة عن السابقة . وفى سائر النسخ : « وتذكر قيس منى » وأراها محرفة عنها أيضا . « وذم فتيانها » رواية ط، حـ، ها، مب . وفيما عداهما : « إذا ذمنى فتيانها » وليس بشىء .

(٣) تأبد : توحش . أحفار، بالحاء المهملة : موضع بالبادية . ما عدا ط، ها، مب : ٢٠ « بأجفار » محرف . والشعر فى ديوان الأخطل ١١٢ .

وشاربٍ مُرْبِحٍ بالكأس نادَمَنى * لا بالحَصُور ولا فيها بسآر (١)
نازعتُه طيِّبَ الراحِ الشَّمولِ وقد * صاح الدَّجاجُ وحانت وَقعةُ السارى (٢)
لما أتَوها بمصباحٍ ومِبزَلِهمْ * سَمَتْ إليهم سموَّ الأبجلِ الضارى (٣)

الغناء فى هذه الأبيات لابن سريج خفيفُ رملٍ بالبِنصر عن الهشامىّ . وذكر غيره أنها للدَّلال . ومنها :

فَرْدٌ تغنِّيه ذِبّانُ الرِّياض كما * غَنَّى الغُواةُ بصَنْجٍ عند أُسوارِ (٤)
كأنّه من ندَى القُرَّاص مُغتمِرٌ * بالوَرْسِ أو خارجٌ من بيت عطّارِ (٥)

غناه ابن سُرَيج ، ولحنه من القدر الأوسط ، من الثقيل الأوّل ، بإطلاق الوتر فى مجرى الوسطى عن إسحاق . وذكر الهشامىّ أن لمالكٍ فيه ثقيلا أوّلا . ووافقه يونسُ فى نسبته إلى مالك ، والحكم فى قوله :

* فردٌ تغنِّيه ذِبّانُ الرياض كما *

---

(١) المربح : الذى يربح صاحب الخمر . والحصور : البخيل . والسآر : الذى يسئر فى القدح ؛ يترك فيه فضلة . ط ، مب : « بسوار » وفوقها « بسآر » إشارة إلى الروايتين . والسوار : السيئ الخلق الذى يساور عليها ويقاتل فيها .

(٢) المنازعة : المناولة . والشمول : الطيبة الريح . وقعة ، هو صواب الرواية كما فى ط ، ها ، مب ، والديوان . يقال وقعت الإبل : بركت . وفيما سواهما : « وقفة » .

(٣) بمصباح ، أراد أنهم نزلوها ليلا . والمبزل : الحديدة التى يفتح بها الدن . الأبجل : عرق . الضارى : الذى يهتز وينعر بالدم . ويروى : « سارت إليهم سؤور » .

(٤) فرد : منفرد ، يعنى الثور فى أبيات قبله . والصنج : آلة بأوتار يضرب بها ، معرب . والأسوار بضم الهمزة وكسرها : قائد الفرس .

(٥) القراص ، كرمان : ضرب من البقل . والورس : نبت أصفر يكون باليمن تتخذ منه الغمرة للوجه . مغتمر : أى متطل به قد طلى بدنه . يقال جارية مغتمرة ومتغمرة : متطلية . فيما عدا ، ها ، مب : « معتمر » تصحيف . وفى سائر النسخ : « معترض » تحريف . وفى الديوان : « مغتسل » .

وبعده قوله :

صَهباء قد عَنَسَتْ من طُولِ ما حُبِست * فى مُخْدَعٍ بين جناتٍ وأنهارِ

خفيف ثقيل بالبنصر . ومنها :

لسَكَّنتنى قريشٌ فى ظِلالهمُ * ومَوّلتنى قريشٌ بعد إقتارِ (١)

قومٌ إذا حاربوا شَدُّوا مآزرَهم * عن النِّساءِ ولو باتتْ بأطهارِ (٢)

ليونس فيها لحن من كتابه ولم يجنِّسه .

خبر قصيدة الصوت ١٤٨/١٣

وهذه القصيدة مدح بها الأخطلُ يزيدَ بن معاوية لمَّا مَنَع من قَطْع لسانه حين هجا الأنصار ، وكان يزيدُ هو الذى أمره بهجائهم . فقيل : إن السبب فى ذلك كان تشبُّب عبدِ الرحمن بن حسانَ برملةَ بنتِ معاوية ، وقيل بل حَمِيَ لعبد الرحمن ابن الحكم .

تشبيب عبد الرحمن ابن حسان برملة

أخبرنى الجوهرى قال : حدّثنا عُمر بن شبّة قال : حدّثنى أبو يحيى الزُّهرى قال : حدّثنى ابن أبى زريق قال : شَبَّبَ عبدُ الرحمن بن حسانَ برملةَ بنت معاوية فقال :

رَمْلَ هل تذكرين يومَ غزالٍ * إذْ قطعنا مَسِيرنا بالتّمنّى

إذْ تقولين عمرَكَ الله هل شى * ءٌ وإنْ جلَّ سوف يُسليكَ عنّى

أمْ هَلُ اطمعتُ منكمُ يابن حَسّا * ن كما قد أراك أُطِمعتَ منّى

قال : فبلغ ذلك يزيد بن معاوية فغضب ، فدخل على معاوية فقال : يا أمير المؤمنين ، ألَا تَرى إلى هذا العِلج من أهل يثرب ، يتهكَّم بأعراضنا ويشبِّب (٣) بنسائنا ؟

(١) مولتنى : جعلتنى ذا مال . والإقتار : الافتقار وضيق العيش .

(٢) أى إذا حاربوا لم يغشوا النساء فى أطهارهن .

(٣) ما عدا ط ، مب : « ويتشبب » .

قال : ومَن هو ؟ قال : عبد الرحمن بن حسان ، وأنشده ما قال، فقال : يا يزيد ليست العقوبةُ من أحدٍ أقبحَ منها من ذوى القُدرة، ولكن أمهِلْ حتى يَقدَمَ وفدُ الأنصار ثم ذكِّرنى . قال : فلمّا قدِموا أذكره به[1]، فلما دخلوا عليه قال : يا عبدَ الرحمن ، ألم يبلغنى أنك تشبِّب برملةَ بنت أمير المؤمنين ؟ قال : بلى ، ولو علمتُ أنّ أحدًا أشرَف به شعرى أشرفَ منها لذكرتُه . قال : وأين أنت عن أختها هند ؟ قال : وإنّ لها لأختًا ؟ قال : نعم . قال : وإنما أراد معاوية أن يشبِّب بهما جميعا فيكذِبَ نفسَه . قال : فلم يَرضَ يزيدُ ما كان من معاوية فى ذلك : أن يشبِّب بهما جميعا، فأرسل إلى كعب بن جُعَيل فقال : اهجُ الأنصار . فقال : أَفرَق[2] من أمير المؤمنين، ولكنْ أدلّك على الشاعر الكافر الماهر . قال : ومن هو ؟ قال : الأخطل . قال : فدعا به فقال : اهجُ الأنصار . قال : أفرَقُ من أمير المؤمنين ! فقال : لا تَخَفْ شيئا ؛ أنا لك بذلك . قال : فهجاهم فقال :

هجاء الأخطل للأنصار

وإذا نسبْتَ ابنَ الفُريعةِ خِلتَه * كالجحش بين حِمارةٍ وحمارِ[3]

لعَنَ الإلهُ من اليهود عِصابةً * بالجزْع بين صُليصِلٍ وصِرارِ[4]

قومٌ إذا هدَرَ العصيرُ رأيتَهم * حُمرًا عيونُهمُ من المُصطارِ[5]

خَلُّوا المكارمَ لستمُ مِن أهلها * وخُذوا مساحِيَكم بنى النجّارِ[6]

(١) ماعدا ط ، ها ، مب : « ذكره به » .

(٢) أفرق : أخاف ؛ والفرق بالتحريك : الخوف .

(٣) يعنى بذلك أبويه .

(٤) صليصل : تصغير صلصل ، وهو موضع بنواحى المدينة . ومثله صرار بالكسر .

(٥) المصطار ، بالضم : الخمر الحامضة ، ويقال بالسين أيضا كما فى ماعدا ط ، ح ، مب .

(٦) المساحى : جمع مسحاة ، وهى المجرفة من حديد ، هجاهم بأنهم أهل زراعة . ماعدا ط ، ها ، مب : « مسائحكم » محرف .

إنّ الفوارس يَعلمون ظهورَكم * أولادَ كلِّ مقبَّح أكّارِ[(١)]

ذَهبت قريشٌ بالمكارم والعُلا * واللؤمُ تحتَ عمائم الأنصارِ

فبلغ ذلك النعمانَ بن بَشير فدخَل على معاوية فحسر عن رأسه عمامتَه، وقال: يا أمير المؤمنين: أتَرى لؤما؟ قال: لا بلْ أرى كرَمًا وخيرا، ما ذاك؟ قال: زعم الأخطل أن اللؤمَ تحت عمائمنا. قال: أوَ فعلَ؟ قال: نعم. قال: لك لسانُه. وكتب فيه أن يؤتى به. فلما أُتِيَ به سأل الرسولَ ليدخَل إلى يزيد أوّلا، فأدخله عليه، فقال: هذا الذى كنتُ أخاف. قال: لا تخَفْ شيئا. ودخل على معاوية فقال: علامَ أرسلَ إلىّ هذا الرجلِ وهو يَرمى من وراء حرمتنا؟ قال: هجا الأنصار. قال: ومن زعم ذلك؟ قال: النعمان بن بشير. قال: لا تقبلْ قوله عليه وهو يدّعى لنفسه، ولكن تدْعوه بالبيِّنة، فإن ثَبتَ[(٢)] شيئا أخذتَه به له. فدعاه بالبينة فلم يأتِ بها، فخلّى سبيلَه. فقال الأخطل:

مدح الأخطل ليزيد

وإنّى غداةَ استعبرَتْ أمُّ مالكٍ * لَراضٍ من السُّلطان أن يتهدّدا

ولولا يزيدُ ابنُ الملوك وسعيُه * تجلّلتُ حِدبارًا من الشرّ أنكدا[(٣)]

فكم أنقذَتْنى مِن خُطوبٍ حبالُه * وخرساءَ لو يرمَى بها الفيلُ بلّدا[(٤)]

ودافع عنّى يومَ جِلّق غَمرةً * وهَمًّا يُنسِّينى السُّلافَ المبرّدا[(٥)]

وباتَ نجِيًّا فى دمشق لحيّةٍ * إذا همّ لم يُنِم السليمَ فأقصدا[(٦)]

١٤٩ / ١٣

---

(١) الأكار: الحراث. (٢) ما عا ا ط ، حـ، ها، مب: «أثبت».

(٣) فى الديوان ٩٣: «وسيبه». الحدبار: الناقة التى بدا عظم ظهرها ونشزت حراقيفها.

(٤) أى من خرساء. والخرساء: الداهية. بلد: لصق بالأرض لما دهاه وحطمه.

(٥) الغمرة: الشدّة. وفى الديوان: «السلاف المهودا». وتهويد الشراب: إسكاره.

(٦) لحية، يعنى معاوية. والسليم: الملدوغ. والإنماء: أن ترمى الصيد فتصيبه ويذهب عنك فيموت بعد ما يغيب. والإقصاد من الحية: أن تلدغه فتقتله فى الحال.

يُخافِته طورًا وطورًا إذا رأى * من الوجه إقبالا ألحّ وأجهدا[1]

وأطفأتَ عنّى نارَ نُعمانَ بعدما * أعدّ لأمرٍ فاجرٍ وتجوّدا

ولما رأى النعمانُ دونى ابنَ حُرّةٍ * طَوَى الكشحَ إذ لم يستطعنى وعرّدا[2]

حدّثنا محمد بن العباس اليزيدى قال : حدّثنا أحمد بن الحارث الخراز قال

٥ حدّثنا المدائنى عن أبى عبد الرحمن بن المبارك قال :

خبر آخر فى تشبيب عبد الرحمن برملة

شبّب عبد الرحمن بن حسان بأخت معاوية ، فغضب يزيدُ فدخل على معاوية فقال : يا أمير المؤمنين ، اقتلْ عبدَ الرحمن بن حسان . قال : ولم ؟ قال : شبّب بعمّتى . قال : وما قال ؟ قال قال :

طال ليلى وبتُّ كالمحزونِ * ومللت الثّواءَ فى جَيرونِ

١٠ قال معاوية : يا بُنىّ وما علينا من طُول ليله وحزنه أبعده الله ؟ قال : إنه يقول :

فلذاكَ اغتربتُ بالشام حتّى * ظنّ أهلى مرجّماتِ الظنون

قال : يابنىّ ، وما علينا من ظَنّ أهله ؟ قال : إنّه يقول :

هى زهراءُ مثلُ لؤلؤةِ الغوّ * اص مِيزتْ من جوهرٍ مكنونِ

قال : صدق يابنىّ . قال : إنّه يقول :

١٥ وإذا ما نسبتَها لم تجِدْها * فى سناءٍ من المكارم دُونِ

قال: صَدَق يابنىّ، هى هكذا . قال : إنّه يقول :

ثم خاصرتُها إلى القُبّة الخضـ * ـراءِ تمشى فى مَرمرٍ مَسنونِ[3]

(١) المخافتة : الهمس فى الأذن . ما عدا ط ، ها ، مب : « يخافيه أطورا » تحريف .

(٢) ابن حرة ، يعنى يزيد . عرد : هرب . ما عدا ط ، حـ ، ها ، مب : « ورى ابن مرة » تحريف .

(٣) المسنون : المملس . وقد أورد ابن منظور بعض هذا الخبر فى مادة (سنن) .

٢٠

خاصرتُها : أخذتُ بخَصْرها وأخذَتْ بخصرى . قال : ولا كلُّ هــذا يابنى ! ثم ضحك وقال : أنشدنى ما قال أيضا . فأنشده قوله :

قُبّـــة من مَرَاجِلٍ نَصَبوها * عند حدِّ الشتاءِ فى قَيطـــونِ

عَن يسارى إذا دخلتُ من البا * ب وإن كنتُ خارجاً فيمينى

تجعل النَّـدَّ والأَلُوَّةَ[1] والعُــو * دَ صِــلاءً لهـا على الكانون

وقِبابٌ قد أُشْرِجَتْ[2] وبيوتٌ * نُطِّقت بالريحان والزَّرْجُــون

قال : يابنى، ليس يجبُ القتل فى هذا، والعقوبةُ دون القتل، ولكِنّا نكُفّه بالصلة له والتجاوز .

نسبة ما فى هذه الأبيات من الغناء

صـــوت

هِى زهراءُ مثــل لؤلؤة الغـ * ـوّ اصِ مِيزَتْ من جوهرٍ مكنونِ

وإذا ما نســبتَها لم تجِـدْها * فى ســناءٍ من المكارمِ دُونِ

نسخت من كتاب ابن النطاح : وذكر الهيثم بن عدى عن ابن دأب قال : حدّثنا شُعيب بن صفوان أنّ عبـد الرحمن بن حسان بن ثابت كان يشبِّب بابنة معاوية، ويذكُرها فى شـعره ، فقال الناس لمعاوية : لو جعلتَه نَكالًا ؟ فقال : لا، ولكن أُداويه بغير ذلك . فأذِن له[3] وكان يدخل عليه فى أخريات الناس،ثمّ أجلسه[4] على سريره

(١) الألوة، بضم اللام مع ضم الهمزة وفتحها : ضرب من عود البخور .

(٢) ط : « أسرجت » : أضيئت . وفيما عدا ط ، ها ، مب : « أشرجتْ » ، أى كما تشرج الخريطة ، تشد أجزاؤها بالعرى والحبال . نطقت : جعل لها نطاق . والزرجون : الكرم أو قضبانه .

(٣) فيما عدا ط ، جـ ، ها ، مب : « فلما وفد عليه » .

(٤) ما عدا ط ، جـ ، ها ، مب : « وكان يدخل فى أخريات الناس أجلسه » .

معه ، وأقبلَ عليـه بوجهه وحديثه ثم قال : ابنتى الأخرى عاتبـةٌ عليك . قال : فى أىِّ شىء ؟ قال : فى مدحتك أختَها وتركك إياها . قال : فلها العُتْبَى وكرامة ، أنا ذاكرها وممتدِحُهـا[1] . فلما فعلَ وبلغ ذلك الناس قالوا : قد كنا نرى أنّ نسيب[2] ابن حسان بابنـةِ معاويةَ لشىء ، فإذا هو عَنْ رأىِ معاويةَ وأمره . وعلم من كان

٥ يعرف أنه ليس له بنْتٌ أخرى ، أنّه إنمـا خَدَعه ليشبِّب بها ، ولا أصل لهـا فيعلم الناس أنه كذب على الأولى لمـا ذكر الثانية .

وقد قيل فى حمل يزيدَ بن معاوية الأخطلَ على هجاء الأنصار : إنّه فعلَ ذلك تعصُّباً لعبد الرحمن بن الحكم بن العاص بن أمية ، أخى مروانَ بن الحكم فى مهاجاته عبدَ الرحمن ، وغضبًا له ، لمَّـا استعلاه ابن حسان فى الهجاء .

١٠ ذكر خبرهما فى التهاجى والسبب فى ذلك

أخبرنى على بن سليمان الأخفش قال حدّثنا أبو سعيد السكرى . قال : حدّثنا أبو غَسّانَ دِماذ[3] ، عن أبى عبيدة قال : أخبرنى أبو الخطاب الأنصارى قال :

خبر تهاجى عبد الرحمن بن حسان وعبد الرحمن ابن الحكم

كان عبد الرحمن بن حسان خليلاً لعبـد الرحمن بن الحكم بن العـاص مخالطا له ، فقيل له : إن ابنَ حسانَ يَخلُفُكَ فى أهلك . فراسلَ امرأةَ ابن حسّان فأخبرتْ

١٥ بذلك زوجَها وقالت : أرسَلَ إلىّ : إنّى أحبُّك حبًّا أُراه قاتلى ! فأرسل ابنُ حسّانَ إلى امرأة ابن الحكم وكانت تواصلُه وقال للرسول : إذهب إليها وقل لهـا : إن

(١) ما عدا ط ، ها ، مب : « ومدها » .

(٢) ما عدا ط ، جـ ، مب : « أن تشبب » .

(٣) كذا ضـبط بكسر الدال فى ط ، ها ، مب . ودماذ لقب له واسمه رفيع بن سـلمة . انظر

٢٠ إنباه الرواة ٢ : ٥ بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم حيث تجد مراجع ترجمته .

امرأتى تزورُ أهلَها اليومَ فزُورينى حتَّى نخلوَ . فزارته فقعدَ معها ساعةً ثم قال لها :
قد والله جاءت امرأتى . فأدخلها بيتاً إلى جَنْبه وأمر امرأتَه فأرسلت إلى عبد الرحمن
ابن الحكم : إنّك ذكرتَ حبَّك إياى وقد وقعَ ذلك فى قلبى ، وإنّ ابن حسان
قد خرجَ اليوم إلى ضَيعته فهلمَّ فتهيّأ ثمّ أقبِلْ . فإنّه لقاعدٌ معها إذْ قالت له : قد
جاء ابنُ حسان فادخُلْ هذا البيتَ فإنّه[1] لا يشعر بك . فأدخلته البيتَ الذى فيه ٥
امرأتُه ، فلما رآها أيقنَ بالسَّوأة ووقعَ الشرُّ بينهما ، وهجا كلٌّ واحدٍ منهما صاحبه .

قال أبو عبيدة : هذه رواية أبى الخطّاب الأنصارى ، وأمّا قريش فإنّهم
يزعُمون أنّ امرأة ابن حسان كانت تحبُّ عبدَ الرحمن وتدعوه إلى نفسها فيأبَى ذلك ،
حفظًا لما بينه وبين زوجها ، وبلغ ذلك ابنَ حسانَ فراسلَ امرأة ابن الحكم
حتَّى فضحها ، وبلغ ذلك ابنَ الحكم وقيل له : إنكَ إذا أتيت ضَيعتَك أرسلَتْ ١٠
إلى ابن حسّانَ فكان معها . فأمر ابنُ الحكم أهلَه فقال : عالجوا سُفرةً حتَّى أطالعَ
مالى بمكان كذا وكذا . فخرج وبعثت امرأتُه إلى ابن حسانَ فجاء كما كان يفعل ، ورجع
ابنُ الحكم حين ظنَّ أن ابن حسانَ قد صار عندها ، فاستفتح فقالت : ابنُ الحكم
والله ! وخبّأته خلفها فى بيت ، ودخل عبدُ الرحمن فبعث إلى امرأة ابن حسان :
إنه قد وقعَتْ لك فى قلبى مِقَةٌ[2] ، فأقبلى إلىّ الساعةَ . فتهيأتْ وأقبلَتْ حتّى دخلت ١٥
عليه ، فوضعت ثيابَها وزوجُها ينظر فقال لها : قد كنتِ أكثرتِ الإرسال إلىّ فما ١٥١/١٣
شأنُك ؟ قالت : إنى والله هالكةٌ من حبِّك . قال : وزوجها يسمع ، وإنّما أراد
أن يُعلمه أنّها قد كانت ترسل إليه ويأبَى عليها . وزعم أنها هى التى قالت لابن
الحكم إنّ ابن حسان يخلفُكَ فى أهلك . فلما فرغَ من كلامه وأسمعه زوجَها قال

(١) كذا فى ها ، مب . وفى سائر الأصول : « لأنه » . ٢٠
(٢) المقة : الحب ، ومقها يمقها مقة .

لها : قد جاءت امرأتى . وأدخلها البيتَ الذى فيه ابن حسّان ، فلما جمعهما فى مكانٍ واحد خرجَ عنهما ، فخرجا وطلّقَ امرأته .

أخبرنى ابن دريد قال : أخبرنى الرياشى قال : حدّثنا ابن بكير عن هشام ابن الكلبى عن خالد بن سعيد عن أبيه قال :

دعاء مروان بن الحكم وأخيه

رأيت مروانَ بن الحكم يطوف بالبيت ويقول : اللهم أذهِبْ عنى الشِّعر ! وأخوه عبد الرحمن يقول : اللهم إنى أسألك ما استعاذَ منه ! فذهب الشعر عن مروان، وقاله عبد الرحمن .

خبر آخر فى التهاجى بين عبد الرحمن ابن حسان وعبد الرحمن ابن الحكم

وأمّا هشام بن الكلبىّ فإنه حدث عن خالدٍ وإسحاقَ ابنى سعيد بن العاصى ، أنّ سبب التهاجى بينهما أنّهما خرجا إلى الصيد بأكلبٍ لهما فى إمارة مَرْوان ، فقال ابن الحكم لابن حسان :

ازجر كلابك أنها قَلَطيّةٌ * بُقْعٌ ومثلُ كلابكم لم تَصْطَدِ[1]

فردّ عليه ابنُ حسان :

مَن كان يأكلُ من فَريسةِ صيده * فالتمْرُ يُغنينا عن المتصيَّدِ[2]

إنا أناس رَيِّقون وأمُّكم * ككلابكم فى الوَلْغ والمتَردَّدِ[3]

حُزْناكمُ للضبِّ تحترشونه * والريفِ، نمنعُكم بكلِّ مهنَّدِ[4]

(١) القلطى من الكلاب : ضرب منها قصير مجتمع . وانظر الحيوان للجاحظ (١ : ١٥٧) . والبقع : جمع أبقع وبقعاء، وهو ما فيه سواد وبياض .

(٢) ها : « فريسة كلبه » . المتصيد : ما يتصيده الصائد، أو هو الصيد، مصدر ميمى . يعيرهم بالصيد وحرش الضباب .

(٣) الريق : الذى على الريق لم يفطر . والمتردد : التردد، مصدر ميمى كذلك .

(٤) احتراش الضب : صيده . ماعدا ط : « يمنعكم » و « تمنعكم » تحريف .

ثم رجعا إلى المدينة فجعلا يتقارضان، فقال عبد الرحمن بن الحكم فى قصيدة :

ومثلُ أمِّك أمِّ العبدِ قد ضُرِبت * عنـدى ولى بفنائى مِزهرٌ جَرِم (١)

وأنتَ عنـد ذُنَابَاها تُعَاوِنها * على القُـدور تَحَسَّى خاثر البَرِم (٢)

فنقضها عبد الرحمن بن حسان عليه بقصيدته التى يقول فيها :

يا أيُّها الراكبُ المُزْجِى مَطِيَّته * إذا عرَضْت فسائل عن بنى الحكمِ (٣)

القـائلين إذَا لاقَـوْا عـدوَّهمُ * فِرُّوا فكُرُّوا على النِّسوان والنَّعَم

كم من أمينٍ نَصيحِ الجيبِ قال لكمْ * ألَّا نهيتمْ أخاكم يا بنى الحَكمِ

عن رجلٍ لا بَغِيضٍ فى عشيرتِهِ * ولا ذليلٍ قصيرِ الباع مُهتضِمِ (٤)

وقال ابن حسان :

صار الذليـل عزيزًا والعـزيزُ به * ذُلٌّ وصارَ فُروع النـاس أذنابا

إنِّى لمُلتمسٌ حتَّى يبيـنَ لكمْ * فيكمْ متـى كنتمُ للنَّاس أربابا

فارْقَوْا على ظَلْعكمْ ثمَّ انظروا وسَلُوا * عنَّا وعنكمْ قديمَ العلم نُسَّابا (٥)

فسوفَ يضحك أو تعتاده ذِكَرٌ * يا بؤسَ للدهرِ للإنسان رَيَّابا (٦)

ولهما نقائضُ كثيرة لا معنًى لذكر جميعها ههنا .

(١) بفنائى، هى الصواب من ط، ها، مب . وفى سائر النسخ : « بفناء » . والمزهر : العود . والجرم : الصافى الصوت، جرم . صـفا صوته . ط، حـ، مب : « حرم » بالحاء المهملة، ولا وجه له . ها : « هذم » .
(٢) ماعدا ط، ها، مب : « على القدور » تحريف . تحسى، أى تحسى : تشرب شيئا بعد شىء . والخاثر : الغليظ .

(٣) عرض : أتى العروض، وهى مكة والمدينة وما حولها .

(٤) ماعدا ط، حـ، ها، مب : « فى عشيرتكم » .

(٥) الظلع : غمز شبيه بالعرج . ارق على ظلعك، أى امش واصعد بقدر ما تطيق ولا تحمل على نفسك ما لا تطيقه، يضرب للرجل يطلب منـه أن يصلح أمره أولا . ماعدا ط، ها : « ففارقوا ظلكم »، تحريف .
(٦) ماعدا ط، ها، مب : « فكيف يضحك » .

قال دِماذ : وحدّثني أبو عبيدة عن أبي الخطاب قال :

عقاب معاوية لهم

١٥٢ / ١٣

لما كثُر التهاجي بينهما وأفحشا كتب معاويةُ يومئذ وهو الخليفة، إلى سعيد بنُ العاص وهو عامله على المدينة، أن يجلِد كلَّ واحدٍ منهما مائة سوط . قال : وكان ابنُ حسانَ صديقًا لسعيد، وما مَدح أحدًا قط غيرَه ، فكرِه أن يضربَه أو يضرب ابن عمِّه ، فأمسكَ عنهما ، ثم ولِيَ مروانُ فلما قدِم أخذَ ابن حسّان فضربَه مائةَ سوط ولم يَضرب أخاه ، فكتب ابنُ حسّان إلى النعمان بن بَشيرٍ وهو بالشام ، وكان كبيرا مكينًا عند معاوية :

ليتَ شِعرى أغائبٌ أنت بالشا * مِ خليلى أم راقدٌ نَعْمانُ

أيَّةً ما يكنْ فقد يرجع الغا (١) * ئب يومًا ويُوقَظ الوسنان

إنّ عَمرًا وعامرا أبوينا (٢) * وحرامًا قِدمًا على العهد كانوا

أفهُمْ مانِعُوك أم قِلّةَ الكُتْـ * ـتابِ أم أنتَ عاتبٌ غضبانُ

أم جفاءٌ أم أعوزَتك القراطيـ (٣) * ـسُ أم أمرِى به عليك هوانُ

يومَ أنبئتَ أنّ ساقِىَ رُضَّتْ * وأتاكم بذلك الرُّكبان

ثمَّ قالوا إنّ ابنَ عمّك فى بَلْـ (٤) * ـوى أمورٍ أتى بها الحَدَثان

فتنسَّطُ الأرحامُ والودُّ والصُّحـ (٥) * ـبةُ فيما أتى به الحدثان

إنما الرمح فاعلمنّ قناةٌ * أو كبعض العيدان لولا السِّنانُ

(١) ماعدا ط ، ح ، ها ، مب : « أية ماتكن » بالتاء .

(٢) حرام : أبو قبيلة .

(٣) ماعدا ط ، ح ، ها : « إنهم مانعوك » تحريف . وكلمة « به » من ط ، ها فقط .

(٤) ماعدا ط ، ح ، ها ، مب : « ابن عمك يلوى من أمور » .

(٥) تنط : تحن . ماعدا ح ، ط ، ها ، مب : «وقنيط» محرف عنه .

وهى قصيدة طويلة — فدخل النعمان على معاوية فقال له : يا أمير المؤمنين، إنك أمرتَ سعيدا أن يضرب ابنَ حسان وابن الحكم مائةً مائة فلم يفعَلْ، ثم ولَّيتَ مَروانَ فضرب ابنَ حسانَ ولم يَضرب أخاه . قال : فتريد ماذا؟ قال : أن تكتبَ إليه بمثل ماكتبتَ إلى سعيد . فكتب إلى معاوية يعزم عليه أن يضربَ أخاه مائة، وبعثَ إلى ابن حسّانَ بحُلّة، فلما قدِم الكتابُ على مروانَ بعث إلى ابن حسان : إنّى مُخرجك، وإنّما أنا مثلُ والدك، وما كان ماكان منّى إليك إلا على سبيل التأديب لك . واعتذر إليه، فقال حسان : ما بدا له فى هذا إلّا لشىء قد جاءه . وأبَى أن يَقبَل منه، فأبلغ الرسولُ ذلك مروانَ فوجَّهه إليه بالحُلّة فرمَى بها فى الحُشّ[1] . فقيل له : حُلّة أميرِ المؤمنين وترمى بها فى الحُشّ ؟ قال : نعم وما أصنعُ بها ! وجاءه قومُه فأخبروه الخبر فقال : قد علمت أنّه لم يفعل ما فعل إلا لأمرٍ قد حَدَث . فقال الرسول لمروان : ما تصنع بهذا ، قد أبى أن يعفوَ فهلُمَّ أخاك . فبعث مَروان إلى الأنصار وطلب إليهم أن يَطلبوا إليه أن يضربَه خمسين فإنّه ضعيف . فطلبوا إليه فأجابَهم ، فأخرجه فضربَه خمسين ، فلقى ابنَ حسّانَ بعضُ من كان لا يهوى ما تَرَكَ من ذلك ، فقال له : أضَرَبَك مائةً ويضربُه خمسين ، بئس ما صنعتَ إذْ وهبتَها له . قال : إنّه عبدٌ وإنّما ضربه ما يُضرَب العبدُ نِصفَ ما يُضرَب الحُرّ ! فحمل هذا الكلامُ حتّى شاع بالمدينة وبلغ ابنَ الحكَمَ فشقّ عليه، فأتى أخاه مروان فخبّره الخبر وقال : فضحتنى، لا حاجةَ لى فيما تركتَ فهلمّ فاقتصّ[2] . فضربَ ابنَ الحكم خمسين أخرى، فقال عبدُ الرحمن يهجو ابن الحكم :

هجاء عبد الرحمن لابن الحكم

(١) الحش، بتثليث الحاء : أصله البستان وجماعة النخل . وكانوا إذا أرادوا قضاء الحاجة ذهبوا إليها، ثم سمى المتوضأ به، نحو تسميتهم الفناء عذرة .

(٢) هذا الصواب فى ط، ها، مب فقط . وفى حـ : « فأتى أخاه مروان ابن حسان لا حاجة لنا فيما تركت » . وفى سائر النسخ : « فأتى أخاه مروان ابن حسان فقال له لا حاجة لنا فيما تركت » .

دَعْ ذا وعَدِّ قريضَ شعرك في امرئٍ * يَهْذِي ويُنشِد شعرَه كالفاخر[1]
عُثمانُ عمُّكمُ ولستم مثلَه * وبنو أميّةَ منكم كالآمِر
وبنو أبيه سَخيفةٌ أحلامُهم * فُحُشُ النفوس لدى الجليس الزائر
أحياؤهم عارٌ على أمواتهم * والميّتون مَسَبّةٌ للغابِر[2]
هم ينظرونَ إذا مَدَدتَ إليهمُ * نظرَ التيوس إلى شِفارِ الجازر
خُزْرَ العيونِ منكِّسِي أذقانِهم * نظرَ الذَّليلِ إلى العزيزِ القاهر

جواب ابن الحكم له

فقال ابن الحكم :

لقد أبقَى بنو مروانَ حُزنًا * مُبينًا عارُه ليَنِي سَوادِ
أطافَ به صَبيحٌ في مَشِيدٍ * ونادَى دعوةً : يابْنَيْ سُعادِ[3]
لقد أسمعتَ لو ناديتَ حيًّا * ولكن لا حياةَ لمن تنادِي

هجاء أبي واسع لابن حسان

قال أبو عبيدة : فاعتَنّ[4] أبو واسع أحدُ بني الأسعر[5] من بني أسد بن خُزَيمة ، لابن حَسان دون ابن الحكم ، فهجاه وعيَّره بضرب ابن المعطِّل أباه حسّانَ على رأسه ، وعيَّرهم بأكل الحُصَى ، فقال :

إنّ ابن المعطَّل من سُلَيم * أذَلَّ قِيادَ رأسِك بالخطامِ
عَمِدتَ إلى الحُصَى فأكلتَ منها * لقد أخطأتَ فاكهةَ الطعامِ
وما للجارِ حينَ يَحُلُّ فيكم * لديكم يا بني النجّار حامِ

(١) ما عدا ط ، ها ، مب : « كالفاجر » .
(٢) الغابر : الباقي . أي أمواتهم كذلك عار على الأحياء .
(٣) حـ : « يطيف » . فيما عدا ط ، حـ ، ها : « يا بني سعاد » .
(٤) اعتن : اعترض .
(٥) ما عدا ط ، حـ ، مب : « الأشعر » بالشين المعجمة .

يَظَلُّ الحمار مفترشًا يديه * [مخافتكم لدى مَلَث الظَّلام (١)
وينظُر نظرةً فى مِذرويه (٢)] * وأخرى فى استِه والطَّرفُ سامِ

قال : فلما عَمَّ بنى النجّار بالهجاء ولا ذنبَ لهم دَعَوُا الله عزّ وجل عليه ، فخرج من المدينة يريد أهلَه فعرَض له الأسدُ فقَضْقضه (٣) ، فقال ابنُ حسان فى ذلك :

شعر ابن حسان فى مصرع ابن واسع

أبلغ بنى الأسعرِ (٤) إن جئتَهم * ما بالُ أبناءِ بنى واسع
والليث يعلوهُ بأنيابه * معتفراً (٥) فى دمه الناقع
إذ تركوهُ وهو يدعوهمُ * بالنَّسب الدانى وبالشاسع (٦)
لا يرفع الرحمنُ مصروعَكم * ولا يُوهِّى قوّةَ الصارِع (٧)

فقالت له امرأته : ما دعا أحدٌ قبلك للأسد بخيرٍ قطّ . قال : ولا نَصَر أحدًا كما نصرنى .

دعوة مسكين الدارمى لابن حسان أن يتهاجيا

وقال ابن الكلبيّ : كان الأخطلُ ومسكينٌ الدارمىُّ صديقين لابن الحكم ، فاستعان بهما على ابن حسان ، فهجاه الأخطل ، وقال له مسكين : ما كنتُ لأهجوَ أحدًا أو أُعذِرَ إليه (٨) . فكتب إليه مسكينٌ بقصيدته اللامية يدعوه إلى المفاخرة والمنافرة ، فقال فى أوّلها :

(١) ملث الظلام : اختلاطه .
(٢) عجز البيت السابق وصدر هذا ، هما من ط ، ها ، مب فقط . أما سائر النسخ ففيها عجز هذا البيت مع صدر البيت السابق . والمذروان : فرعا الأليتين .
(٣) قضقضه : كسره وحطمه . ها : « فقصفه » . ط ، مب : « ففضفضه » حـ : « ففضفضه » وهاتان محرفتان .
(٤) ما عدا ط ، حـ ، ها ، مب : « بنى الأشعر » بالشين المعجمة .
(٥) اعتفره الأسد ، إذا افترسه .
(٦) الشاسع : البعيد . ما عدا ط ، ها ، مب : « بالسبب الدانى » .
(٧) ماعدا ط ، ها ، مب : « لا يرفع الرحمن مصدوعهم » و « الصادع » .
(٨) أعذر إليه : لم يبق فيه موضعا للاعتذار . ماعدا ط ، حـ ، ها ، مب : « واعتذر إليه » . تحريف .

ألا إنَّ الشّبابَ ثيابُ لُبسٍ * وما الأمـوالُ إلّا كالظِّـلالِ

فإن يبـلَ الشّبابُ فكلُّ شيءٍ * سمعتَ بهِ سـوى الرحمنِ بالِ

جواب ابن حسان

وهى طويلةٌ جدا، يفخرَ فيها بمآثرِ بنى تميم . فأجابه ابنُ حسان فقال :

أتانى عنك يا مسكينُ قولٌ * بذلتُ النِّصفَ فيـه غيرَ آلِ (١)

دعوت إلى التناضُل غيرَ قَحْمٍ * ولا غُمْـرٍ يَطير لدى النضالِ (٢)

وهى أطولُ من قصيدة مسكين . ثم انقطع التناضُل بينهما .

قال دِماذ : فحدّثنى أبو عبيدة قال : حدّثنى أبو حيـة النميرى قال : حدّثنى الفرزدق قال :

تحريض الأخطل على هجاء الأنصار

١٥٤ / ١٣

كُنّا فى ضيافةِ معـاويةَ ، ومعنا كعبُ بن جُعَيل التَّغلبى ، فحـدّثنى أنّ يزيد ابن معاويةَ قال له : إنّ ابن حسان فضحَ عبدَ الرحمن بن الحكم وغلَبه، وفضحنا، فاْهجُ الأنصـارَ . قال : فقلت له : أرادِّى أنت فى الشرك ، أأهجـو قومًا نصروا رسولَ الله صلى الله عليه وسـلم وآلهَ وآوَوْه ؟ ولكنّى أدلُّك على غلامٍ منّا نصرانىٍّ لا يبالى أن يهجوَهم ، كأنّ لسانَه لسانُ ثور . قال : من هو ؟ قلت : الأخطل . فدعاه وأمره بهجائهم ، فقال : على أن تمنعَنى ؟ قال : نعم .

قال أبو عبيدة : إن معاويةَ دسّ إلى كعبٍ وأمره بهجائهم ، فدلّه على الأخطل ، فقال الأخطل قصيدتَه التى هجـا فيها الأنصار ، وقـد مضت ومضى خبرُها وخبر النعمان بن بشير .

(١) النصف : الإنصاف والمعدلة . غير آل : غير مقصر ولا تارك .

(٢) القحم : الذى قد أقحمته السن تراه قد هرم من غير أوان الهـرم . والغمر : هو الجاهل الغر الذى لا تجربة له .

وزاد أبو عبيدة عمن روينا ذلك عنه : أن النعمان بن بشير ردّ على الأخطل فقال :

أبلغ قبائل تغلبَ ابنـةِ وائلٍ * مَن بالفرات وجانبِ الثرثار (١)

فاللؤمُ بين أنوفِ تغلبَ بيِّنٌ * كالرَّقْم فوقَ ذراعِ كلِّ حمارِ

قال : فخافه الأخطلُ أن يهجوَه، فقال فيه :

عذرت بنى الفُرَيعة أن هَجَونى * فما بالى و بالُ بنى بشير (٢)

أُفَيحِجُ من بنى النجّار شَثْنٌ * شديدُ القُصَرَيَيْنِ من السَّحورِ

ولم يرد على هذين البيتين شيئا فى ذكره .

قال أبو عبيدة فى خبره أيضا : إن الأنصار لمّا استعدَوْا عليه معاوية قال لهم : لكم لسانُه إلا أن يكون ابنى يزيدُ قد أجاره . ودسّ إلى يزيد من وقته : إنى قد قلتُ للقوم كيت وكيت فأجِرْه . فأجاره ، فقال يزيد بن معاوية فى إجارته إياه :

دعا الأخطلُ الملهوفُ بالشَّرِّ دعوةً * فأىَّ مجيبٍ كنتُ لمّا دعانيا

ففرّجَ عنه مَشهدَ القوم مشهدى * وألسِنةَ الواشين عنه لسانيا

---

(١) الثرثار : واد عظيم بالجزيرة .

(٢) أفيحج : تصغير أفحج ، وهو الذى تتدانى صدور قدميه وتتباعد عقباه وتنفحج ساقاه . ط ، مب : «أصحح» حـ : «أجحح» وفى سائر النسخ ما عدا ها «أفحج» ، صوابه من الديوان ٣١٣ . والشثن : الغليظ . ط فقط : «سير» و بعدها فى الديوان : «يضحى» . والقصريان : ضلعان تليان الترقوتين . ما عدا ط ، حـ ، ها ، مب والديوان : «شديد المصرتين» محرف . والسحور : طعام السحر . ط فقط : «من السيور» . و بعدهما فى الديوان بيتان آخران ، وهما :

وقد جاريت قد علمت معـد * بلا وانى اليدين ولا قصير

بذى شق على الضبرات حتى * يلين على التحفف والشخير

الضبرات : الوثبات ، جمع ضبرة . والتحفف ، بفاءين : دوى جرى الفرس .

صـــوت

كان لى يا شُقَيْر[1] حبُّك حَيْنا * كاد يقضى علىّ لمّا التقينا

يعلَمُ الله أنكم لو نأيتم * أو قَرُبتم أحبُّ شىء إلينا

الشعر لعمر بن أبى ربيعة ، والغناء لحبابة جارية يزيد بن عبد الملك ، ولحنها ثانى ثقيل بالوسطى ، وجعلت مكان «ياشقير»[1] : «يا يزيد» . وفى هذا الشعر للهذلى خفيف ثقيل أول مطلق بالوسطى . وزعم عمرو بن بانة أنه للأبجر . وقال الهشامى : لحن الأبجر ثقيل أول بالبنصر . وفيه للدارمى وابن فروخ[2] خفيف ثقيل ، ولحن الدارمى فيهما مطلق فى مجرى الوسطى عن إسحاق .

---

(١) ماعدا ط ، ها ، مب : « يا سقير » بالسين المهملة

(٢) ط ، مب : « ابن فروح » .

أخبار حَبابة

صفة حبابة

كانت حَبابة مولَّدة من مولدات المدينة، لرجل من أهلها يعرف بابن رمانة، وقيل ابن مِينا . وهو خَرَّجها وأدّبها . وقيل: كانت لآل لاحق المكّيين . وكانت حلوة جميلةَ الوجه ظريفةً حسنةَ الغناء، طيِّبة الصوت، ضاربةً بالعود . وأخذت الغناء عن ابن سريج، وابن مُحرز، ومالك، ومعبد، وعن جميلةَ وعَزّة الميلاء. وكانت تسمّى العالية[1] ، فسمّاها يزيد لما اشتراها حَبَابة . وقيل : إنّها كانت لرجل يعرف بابن مينا .

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدّثنا عمر بن شبة قال : حدّثنى إسحاق بن إبراهيم الموصلى قال : حدّثنى حاتم بن قبيصة قال :

شراء يزيد لحبابة

وكانت حبابة لرجل يدْعى ابنَ مينا ، فأُدخِلت على يزيد بن عبد الملك فى إزارٍ له ذَنَبانِ، وبيدها دف تَرمِى به وتتلقّاه، وتتغنّى :

ما أحسنَ الجيد من مُلَيكةَ واللـ * ـبّات إذْ زانَها ترائبُها
يا ليتنى ليلةً إذَا هجع النـ * ـاسُ ونام الكلاب صاحبُها
فى ليلةٍ لا يُرَى بها أحدٌ * يسعَى[2] علينا إلّا كواكبُها

ثم خرج بها مولاها إلى إفريقية، فلما كان بعد ما ولى يزيدُ اشتراها .

وروى حماد عن أبيه عن المدائنى عن جرير المدينى، ورواه الزبير بن بكار عن إسماعيل بن أبى أويس عن أبيه قال :

---

(١) حـ فقط : « الغالية » بالغين المعجمة .

(٢) تسعى هنا من السعاية، وهى الوشاية .

فرح يزيد بشراء سلامة وحبابة

قال لى يزيد بن عبد الملك : ما تقرُّ عينى بما أوتيتُ من الخلافة حتّى أشترىَ سَلّامة جارية مُصعب بن سهيل الزهرى ، وحَبابةَ جاريةَ لاحقٍ المكية . فأرسلَ فاشتُرِيتا له ، فلما اجتمعتَا عندَه قال : أنا الآنَ كما قال القائل[1] :

فألقَتْ عصاها واستقرَّت بها النوى * كما قَرَّ عينـا بالإيابِ المسـافر

٥ قال إسحاق : وحدّثنى أبو أيوب عن عَباية قال : كانت حبابة لآل رمّانة ، ومنهم ابتيعت ليزيد .

أخبرنى الحسن بن على قال : حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال : حدّثنى الزبير بن بكار قال : أخبرنى محمد بن سلمة عن ابن مافنـه[2] عن شيخ من أهل ذى خُشُب[3] قال :

لقاء حبابة بفتى خشب

١٠ خرجنا نريد ذا خُشب ونحن مُشاةٌ ، فإذا قبةٌ فيها جارية ، وإذا هى تغنّى :

سـلكوا بطنَ مَحِيص[4] * ثم ولَّـوْا راجعينـا

أورثونى حـينَ ولَّوْا * طُولَ حُزنٍ وأنينـا

قال : فسرنا [معها[5]] حتّى أتينا ذا خُشب ، فخرج رجل معها ، فسألناه ، وإذا هى حَبابةُ جارية يزيد ، فلما صارت إلى يزيد أخبَرتْه بنا ، فكتبَ إلى والى المدينة

١٥ يعطىَ كلَّ واحدٍ منّا ألفَ درهمٍ ألف درهم .

(١) هو معقر بن حمار البارق يصف امرأة كانت لا تستقر على زوج ، كلما تزوجت رجلا فارقته واستبدلت آخر به ، ثم تزوجها رجل فرضيت به . ونسب البيت التالى أيضا إلى عبد ربه السلمى ، وإلى سليم ابن ثمامة الحنفى . انظر اللسان (عصا) .

(٢) ما عدا ط ، ها ، مب : « ماقية » . (٣) ذو خشب : واد على مسيرة ليلة من المدينة .

٢٠ (٤) محيص : موضع بالمدينة . ما عدا ط : « مخيض » بالخاء المعجمة ، وهو اسم موضع ورد ذكره فى الغزوات . (٥) هذه الكلمة من ط ، ها ، مب فقط .

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدّثنا عمر بن شبة قال : حدّثنى إسحاق عن المدائنى . وروى هـذا الخبر حماد بن إسحـاق عن أبيه عن المدائنى ، وخبرُه أتمّ :

موال حبابة وذكر من اشتراها

أنّ حَبابة كانت تسمى العالية ، وكانت لرجل من الموالى بالمدينة ، فقدّم يزيد ابن عبد الملك فى خلافة سليمان فتزوّج سَعْدة بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان، على عشرين ألف دينار، وربيحة بنت محمد بن على بن عبد الله[1] بن جعفر على مثل ذلك، واشترى العـالية بأربعة آلاف دينـار[2] ، فبلغ ذلك سليمان فقال : لأحجُرنَّ عليه . فبلغ يزيدَ قولُ سليمان فاستقال[3] مولى حبابة ، ثم اشتراها بعـد ذلك رجلٌ من أهل إفريقية ، فلما ولى يزيدُ اشترتها سَعدة امرأتُه وعلمتْ أنه لا بدّ طالبها ومشتريها ، فلما حصلت عنـدها قالت له : هل بقى عليك من الدُّنيـا شىء لم تنله ؟ فقال : نعم ، العالية . فقالت : هذه هى ، وهى لك . فسمَّاها حَبابة ، وعظم قدر سَعدة عنده . ويقال إنهـا أخذَتْ عليها قبل أن تهبها له أن توطِّئ لابنها[4] عنده فى ولاية العهد وتحضرها ما تحب[5] [إذا حضرت[6]] .

١٥٦ / ١٣

وقيل إنّ أم الحجاج أم الوليد بن يزيد هى التى ابتاعتها له ، وأخذت عليها ذلك، فوفَتْ لها بذلك. هكذا ذكر الزبير فيما أخبرنا به الحسن بن على عن هارون بن محمد ، عنه عن عمه . قال : ومن زعم أن سعدة اشترتها فقد أخطأ .

(١) ما عدا ط ، هـ ، مب : « بن عبيد الله » بالتصغير ، تحريف . ولربيحة هـذه خبر فى كتاب المردفات من قريش . انظر نوادر المخطوطات تحقيق عبد السلام هارون المجلد الأول ص ٧٤ .
(٢) ما عدا ط ، ها ، مب : « بألف دينار » . وما فى ط ، ها ، مب يطابق ما سيأتى بعد .
(٣) استقاله : طلب منه أن يقيله ، أى يفسخ البيع .
(٤) ط ، حـ ، مب : « لابنه » ها « لأبيها » .
(٥) ها : « بما تحب » . (٦) التكلة من مب .

قال المدائنى : ثم خطب يزيدُ إلى أخيها خالدٍ بنتَ أخ له ، فقال : أما يكفيه أنّ سَعدة عنده حتّى يخطب إلى بناتِ أخى ؟ و بلغ يزيدَ فغضب ، فقدم عليه خالدٌ يسترضيه ، فبينا هو فى فُسطاطه إذ أتتْه جاريةٌ لحبابة فى خَدَمِها فقالت له : أُمُّ داود تقرأ عليك السلام وتقول لك : قد كلّمتُ أميرَ المؤمنين فرضى عنك . فالتفتَ فقال : مَن أم داود ؟ فأخبره من معه أنّها حبابة ، وذكر له قدرَها ومكانها من يزيد . فرفع رأسَه إلى الجارية فقال : قُولى لها : إنّ الرضا عنّى بسبب لستِ به . فشكت ذاك إلى يزيد فغضب، وأرسل إلى خالد فلم يعلم بشىء حتى أتاه رسولُ حَبابة به فيمن معه من الأعوان ، فاقتلعوا فُسطاطَه وقلَعوا أطنابه ، حتّى سقَط عليه وعلى أصحابه ، فقال : ويلكم ما هذا ؟ قالوا : رُسل حبابة ، هذا ما صنعتَ بنفسك . فقال : مالها أخزاها الله ، ما أشبه رضاها بغضبها !

شعر الحارث بن خالد فى حبابة

قال إسحاق : وحدّثنى محمد بن سلام عن يونس بن حبيب ، أنّ يزيد ابن عبد الملك اشترى حبابة ، وكان اسمها العالية ، بأربعة آلاف دينار ، فلما خرج بها قال الحارث بن خالد فيها :

ظَعن الأميرُ بأحسنِ الخلق * وغدَوْا بلُبِّك مطلعَ الشرق
مَرّت على قَرَن[1] يُقاد بها * تعدو أمامَ بَراذنٍ زُرق
فظللتُ كالمقمور[2] مُهْجتَه * هذا الجنونُ وليس بالعشق
يا ظبيةً عبِقَ العبيرُ بها * عَبَقَ الدِّهانِ بجانب الحُقِّ

(١) قرن ، بالتحريك : جبل ، ذكره ياقوت ، وأنشد هذه الأبيات فيه منسوبة إلى عبيد الله ابن قيس الرقيات ، وكذلك وردت هذه النسبة فى كتاب المردفات من قريش ٦٥ من نوادر المخطوطات المجلد الثانى . والصواب أن يكون : « القرن » هنا : البعير المقرون بآخر . تعدو ، أى يعدو بعيرها . ورواية ياقوت : « يقاد بها جمل » .

(٢) المقمور : المغلوب فى القمار . ورواية المردفات : « خلعته » بدل « مهجته » .

وغنته حبابة فى الشعر، وبلغ يزيد فسألها عنه فأخبرته، فقال لها : غنّينى به . فغنته فأجادت وأطربته ، فقال إسحاق : ولعمرى إنه من جيد غنائها .

قال أبو الفرج الأصبهانى : هذا غلط ممّن رواه فى أبيات الحارث بن خالد ؛ لأنه قالها فى عائشةَ بنت طلحة ، لمّا تزوّجها مصعب بن الزبير وخرج بها[1] .
وفى أبياته يقول :

فى البيت ذى الحسَب الرفيع ومِن * أهل التقَى والبِرّ والصِّدقِ

وقد شُرِح ذلك فى أخبار عائشة بنت طلحة .

قال إسحاق : وأخبرنى الزبيرى أنّ يزيد اشتراها وهو أمير ، فلما أراد الخروج بها قال الحارث بن خالد فيها :

قد سُلَّ جسمى وقد أودَى به سَقَمٌ * من أجل حَىٍّ جلَوْا عن بلدةِ الحَرَمِ[2]
يحنّ قلبى إليها حين أذكرها * وما تذكرتَ شوقًا آب من أَمَمِ[3]
إلّا حنينًا إليها إنّها رشأٌ * كالشّمس رُودٌ ثَقالٌ سهلةَ الشِيَمِ[4]
فضّلها اللهُ ربُّ الناس إذ خُلِقت * على النساءِ مِنَ أهل الحزم والكرمِ

أقوال الشعراء فيها

وقال فيها الشعراء فأكثروا ، وَغنَّى فى أشعارهم المغنُّون من أهل مكة والمدينة ، وبلغ ذلك يزيدَ فاستشنعه، فقال : هذا قَبلَ رحلتنا وقد هَمَمنا ، فكيف لو ارتحلنا؟ ! وتذكر القومُ شدّة الفراق ، وبلغه أيضا أن سليمانَ قد تكلّم فى ذلك ، فردّها ، ولم تزل فى قلبه حتّى مَلَكَ، فاشترتها سعدة امرأته العثمانية ، ووهبتها له .

١٣٧
ـــ
٥

(١) وهى إحدى نسختى كتاب المردفات .
(٢) فيما عدا ط ، مب : « قد خلوا » محرف .
(٣) الأمم ، بالتحريك : القرب .
(٤) الرود ، بالضم ، وأصلها الهمز : الشابة الحسنة . والثقال ، كسحاب : العظيمة الكفل .

أخبرنى ابن عمار قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثنى إسحاق قال : حدّثنى أبو ذُفافة المنهال بن عبد الملك ، عن مروان بن بشر بن أبى سارَةَ مولى الوليد ابن يزيد، قال :

منزلة حبابة عند يزيد

أوّل ما ارتفعت به[1] منزلةُ حبابة عند يزيد أنّه[2] أقبل يومًا إلى البيت الذى هى فيه، فقام من وراءِ الستر فسمعها تترنم وتغنّى وتقول :

كان لى يا يزيدُ حبُّكَ حَينا[3] * كاد يقضى علىَّ لما التقينا

— والشعر كان « يا شُقير »[4] — فرفع الستر فوجَدها مضطجعةً مُقْبِلة على الجدار ، فعلم أنها لم تَعلمْ[5] به ولم يكن ذاكَ لمكانه ، فألقى نفسَه عليها وحرّكت منه .

قال المدائنى : غلبت حبابة على يزيد ، وتَبنّى بها عمر بن هبيرة فعلت منزلته ، حتى كان يدخلُ على يزيد فى أىّ وقت شاء ، وحسَد ناسٌ من بنى أمية مَسلمة ابن عبد الملك على ولايته ، وقدَحوا فيه عند يزيد، وقالوا : إن مسلمة إنْ اقتطع الخراج لم يحسُن يا أمير المؤمنين أن تُفتِشه أو تكشفه[6] عن شىء ، لسِنّه وحقِّه[7] ، وقد علمتَ أنّ أمير المؤمنين لم يُدخل أحدًا من أهل بيته فى الخراج . فوقَر[8] ذلك فى قلب يزيد، وعزَم على عزله ، وعمل ابنُ هبيرة فى ولاية العراق من قبل حَبابة، فعمِلت له فى ذلك . وكان بين ابن هبيرة وبين القعقاع بن خالد عداوةٌ ، وكانا يتنازعان و يتحاسدان، فقيل للقعقاع لقد : نزل ابن هبيرة من أمير المؤمنين منزلةً،

(١) بدلها فيما عدا ط، ها، مب : « لما » .
(٢) كلمة « به » و« أنه » من ط ، حـ ، ها، مب .
(٣) الحين ، بالفتح : الهلاك . (٤) ما عدا ط، هـ ، مب : « يا سقير » .
(٥) الكلام بعده إلى نهاية السطر الأول بعد الأبيات الدالية التى ستأتى ، ناقص من نسخة ط .
(٦) هذا ما فى ها، مب . وفى س : «أن يستكشف» . وفى سائر النسخ : «أن يعيثه وأن يكسبه» تحريف . (٧) ما عدا « ها »، مب : « وخفته » . (٨) وقر فى قلبه، أى ثبت وسكن .

إنه لصاحب العراق غدا . فقال ومن يطيق ابن هبيرة؟! حبابة بالليل، وهداياه بالنهار ، مع أنه وإن بَلَغ فإنه رجلٌ من بنى سُكَين[1] . فلم تزل حبابة تعمل له حتى وليها .

حدّثنا أحمد بن عبد العزيز الجوهرى قال : حدّثنا عمر بن شبة قال : سمعت إسحاق بن إبراهيم يحدّث بهذا الحديث ، فحفظته ولم أحفظ إسناده . وحدّثنا محمد بن خلف وكيع قال حدّثنى أحمد بن زهير قال : حدّثنا مصعب الزبيرى ، عن مصعب بن عثمان . وقد جمعت روايتيهما قالا :

أراد يزيدُ بن عبد الملك أن يتشبّه بعمر بن عبد العزيز وقال : بماذا صار عمر أرْجَى لربّه[2] جل وعزّ منّى ؟ فشقّ ذلك على حبابة ؟ فأرسلت إلى الأحوص .

مسلمة ويزيد بن معاوية

هكذا فى رواية وكيع ، وأما عمر بن شبة فإنه ذكر أنّ مسلمة أقبلَ على يزيد يلومُه فى الإلحاح على الغناء والشُّرب ، وقال له : إنك وَليت بعقب عمر بن عبدالعزيز وعَدله ، وقد تشاغَلتَ بهذه الأمّة عن النظر فى الأمور ، والوفودُ ببابك ، وأصحابُ الظُّلامات يصيحون ، وأنت غافل عنهم . فقال : صدقتَ والله ، وأعتَبَه وهمّ بترك الشُّرب ، ولم يدخل على حبابة أيامًا ، فدسّت حَبابة إلى الأحوص أن يقول أبياتًا فى ذلك وقالت له : إن رددته عن رأيه فلك ألفُ دينار . فدخل الأحوص إلى يزيد ، فاستأذنَ فى الإنشاد ، فأذن له .

قال إسحاق فى خبره : فقال الأحوص :

---

(١) سكين ، بالتصغير : أحد أجداده ، كما فى ترجمة يزيد بن عمرو بن هبيرة ، فى وفيات الأعيان .

(٢) الرجاء : الخوف . قال عز وجل : «ما لكم لا ترجون لله وقارا» ، أى لا تخافون لله عظمة .

صوت

ألا لا تلمه اليوم أن يتبلدا * فقد غلب المحزون أن يتجلدا
بكيت الصبا جهدي فمن شاء لامني * ومن شاء آسى في البكاء وأسعدا
وإني وإن فندت في طلب الغنى * لأعلم أني لست في الحب أوحدا
إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى * فكن حجرا من يابس الصخر جلمدا
فما العيش إلا ما تلذ وتشتهي * وإن لام فيه ذو الشنان وفندا

الغناء لمعبد، خفيف ثقيل أول بالبنصر، وفيه رمل للغريض. ويقال إنه لحبابة.

قال[3]: ومكث جمعة لا يرى حبابة ولا يدعو بها، فلما كان يوم الجمعة قالت لبعض جواريها: إذا خرج أمير المؤمنين إلى الصلاة فأعلميني. فلما أراد الخروج أعلمتها، فتلقته والعود في يدها، فغنت البيت الأول، فغطى وجهه وقال: مه لا تفعلي. ثم غنت:

* وما العيش إلا ما تلذ وتشتهي *

فعدل إليها وقال: صدقت والله، فقبح الله من لامني فيك، يا غلام مر مسلمة أن يصلي بالناس[4]. وأقام معها يشرب وتغنيه، وعاد إلى حاله.

وقال عمر بن شبة في حديثه: فقال يزيد: صدقت والله، فعلى مسلمة لعنة الله! وعاود ما كان فيه، ثم قال لها: من يقول هذا الشعر؟ قالت: الأحوص. فأحضره ثم أنشده قصيدة مدحه فيها، وأولها قوله:

يا موقد النار بالعلياء من إضم[5] * أوقد فقد هجت شوقا غير منصرم

(١) التفنيد: التكذيب، والتعجيز وتخطئة الرأي. (٢) الشنان والشنآن: العداوة والبغض.
(٣) إلى هنا ينتهي سقط ط الذي سبق التنبيه عليه. (٤) ما عدا ء، ها، مب ط: «إلى حبابة».
(٥) إضم، كإرم: واد يشق الحجاز حتى يفرغ في البحر.

وهى طويلة . فقال له يزيد : ارفع حوائجك . فكتب إليه فى نحو من أربعين ألفَ درهم من دَيْنٍ وغيره، فأمر له بها .

وقال مصعب فى خبره : بل استأذن الأحوص على يزيد ، فأذن له ، فاستأذن فى الإنشاد ، فقال : ليس هذا وقتك . فلم يزل به حتى أذِن له . فأنشده هذه الأبيات، فلما سمعها وثَبَ حتّى دخل على حَبابة وهو يتمثل :

وما العيش إلا ما تلَذُّ وتشتهى * وإنْ لامَ فيه ذو الشَّنَانِ وفَنّدا

فقالت له : ما ردّكَ يا أمير المؤمنين ؟ فقال : أبياتٌ أنشدَنيها الأحوص ، فسلى ما شئت . قالت : ألف دينار تُعطيها الأحوص . فأعطاه ألف دينار .

نسبة ما فى هذا الخبر من الغناء

صــوت

يا مُوقِدَ النار بالعَلْياء من إضَم * أوقِدْ فقد هِجتَ شوقاً غيرَ منصرِم
يا مُوقِدَ النار أوقِدها فإن لها * سَنًا[1] يَهِيج فؤادَ العاشقِ السَّدِم

الشعر للأحوص ، والغناء لمعبد، خفيف ثقيل أوّل بالوسطى ، عن يونس و إسحاق وعمرو . وذكر حبَش أن فيه خفيف ثقيل آخر لابن جامع .

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال : حدّثنا عمر بن شبّة قال : حدّثنى على ابن القاسم بن بشير قال :

مولى خراسانى يعظ يزيد بن عبد الملك

لما غلبَ يزيدُ بن عبدالملك أهلَه وأبى أن يسمعَ منهم كلّموا مولًى له خراسانيا ذا قَدْر عندهم ، وكانت فيه لُكنة ، فأقبل على يزيدَ يعظه و ينهاه عما قد ألحّ عليه

(١) سنا النار : ضوؤها . ما عدا ط ، ها ، مب : «شيا» محرف . والسدم : الحزين المغتاظ .

من السّماع للغناء والشراب ، فقال له يزيد : فإنى أُحضرك هذا الأمرَ الذى تنهى عنه ، فإن نهيتَنى عنه بعد ما تَبلوه وتحضُره انتهيتُ ، و إنّى مخبر جوارِىّ أنك عمٌّ من عُمومتى ، فإياك أن تتكلّمَ فيعلمْنَ أنّى كاذب ، وأنّك لست بعمّى . ثم أدخله عليهنّ فغنّين ، والشيخُ يسمع ولا يقول شيئا ، حتّى غنين :

٥ وقـد كنتُ آتيكم بعِـلّةِ غيركم * فأفنيتُ عِـلاتِى فكيف أقـولُ

فطرِب الشيخ وقال : لا كَيف ، جعلنى الله فِداكنّ ! يريد : لا كيف . فعلمن أنه ليس عمّه ، وقمن إليه بعيدانهنّ ليضربْنه بها ، حتّى حجزهنّ يزيدُ عنـه . ثم قال له بعدما انقضى أمرُهن : ما تقول الآنَ أدعُ هذا أم لا ؟ قال : لا تدعه !

أخبرنى إسماعيل بن يونس قال : حدّثنا عمر بن شـبة قال : حدّثنى خالد

١٠ ابن يزيد بن بحـر الخزاعى الأسلمىّ ، عن محمد بن سَـلَمة ، عن أبيـه عن حمـادٍ الراوية قال :

حبابة ترد يزيد إلى ما كان عليه

كانت حَبابة فائقةً فى الجمالِ والحسن ، وكان يزيدُ لها عاشقا ، فقال لها يوما : قد استخلفتُك على ما وردَ علىّ ، ونصبتُ لذلك مولاىَ فلانًا فاستخلِفيه لأقيم معكِ أيّامًا وأستمتِـع بك . قالت : فإنّى قد عزلتُه . فغضب عليها وقال : قد استعملتُه

١٥ وتعزلينه ؟ وخرجَ من عندها مغضَبا ، فلما ارتفع النّهار وطال عليه هجرُها دعا خَصيًّا له وقال : انطلقْ فانظرْ أىّ شىء تصنع حَبابة ؟ فانطلق الخادم ثم أتاه ، فقـال : رأيتها مؤتزرة بإزار خَلوقىّ[1] قد جعلَتْ له ذَنَبين وهى تلعبُ بلُعَبها . فقال : ويحكَ احتلْ لها حتّى تمرّ بهـا علىّ . فانطلق الخادمُ إليها فلاعبَها ساعة ، ثم استلبَ لُعبـة من لعبها وخرجَ ، فجعلت تُحضِر فى أثَره ، فـرت بيزيدَ فوثب وهـو يقول : قـد

٢٠ (١) كلمة « مؤتزرة » من ط ، ها ، مب فقـط . وخلوق ، كأنه يريد لونه كلون الخـلوق . والخلوق بفتح الخاء : طيب يتخذ من الزعفران وغيره من أنواع الطيب ، وتغلب عليه الحمرة والصفرة .

عزلتُه ! وهى تقول : قد استعملته ! فعزل مولاه وولّاه وهو لا يدرى . فمكث معها خاليا أياما حتّى دخل عليه أخوه مَسلمة فلامه، وقال : ضيعتَ حوائج الناس واحتجبتَ عنهم، أترى هذا مستقيمًا لك؟! وهى تسمعُ مقالته. فغنّت لما خرج :

* ألا لا تلمْــهُ اليومَ أن يتبلدا *

فذكرت الأبيات . فطربَ وقال : قاتلك الله أبيتِ إلا أن تردينى إليـك . وعاد إلى ما كان عليه .

٥

أخبرنى إسماعيل قال : حدّثنى عمى قال : حدّثنى إسحاق قال : حدّثنى الهيثم ابن عدىّ، عن صالح بن حسان قال :

قال مسلمة ليزيد : تركتَ الظُّهور[1] وشهودَ الجمعة الجامعة، وقعدتَ فى منزلك مع هذه الإماء ! وبلغ ذلك حبابة وسلامة فقالتا للأحوص : قل فى ذلك شعرا . فقــال :

١٠

حبابة وسلامة تغنيان يزيد بشعر للأحوص فيعود إلى الصبا

وما العيشُ إلا ما تَلَذُّ وتَشـتهِى * وإنْ لامَ فيـه ذو الشَّنَانِ وفنّـدا

بكيتُ الصِّبا جَهدى فمن شاء لامنى * ومن شاءَ آسَى فى البكاء وأسعدا

وإنّى وإن أغرقتُ فى طَلَب الصبا * لأعلمُ أنّى لستُ فى الحبِّ أوحدا

إذا كنتَ عِزْهاةً[2] عن اللّهو والصبا * فكن حجرًا من يابس الصخر جَلمدا

١٥

قال : ففنتا يزيد فيه، فلما فرغتا ضرب بخيزرانته الأرض وقال : صدقتما صدقتما ! فعلى مسلمة لعنة الله وعلى ما جاء به .

(١) ما عدا ط، ها، مب : « الطهور » بالطاء المهملة .

(٢) العزهاة : المنقبض المعرض .

قال : وطرب يزيد فقال : هاتيا . فغنتاه من هذه القصيدة :

وعهدى بها صفراء رُودًا كأنما * نضا عَرَقٌ منها على اللون مُجْسَدا[١]

مهفهفة الأعلى وأسفل خلقها * جرى لحمُه ما دونَ أن يتخددا[٢]

من المدمجات اللحم جَدلًا كأنها * عنان صَناعٍ مدمجُ الفتل محصَدا[٣]

كأنّ ذكِيَّ المسك بادٍ وقد بدت * وريحَ خُزامَى طَلّةٍ تنفح الندى[٤]

فطرب يزيدُ وأخذ فيه من الشراب قدرَه الذى كان يطرب منه ويسرّه، ولم تَرَه أظهر شيئا مما كان يفعله عند طربه؛ فغنته :

ألا لا تَلُمه اليومَ أن يتبلّدا * فقد غُلِب المحزونُ أن يتجلّدا

نظرتُ رجاء بالموقّر أن أرى * أكاريس يحتلُّون خاخا فمنشدا[٥]

فأوفيتُ فى نَشْزٍ من الأرض يافع * وقد تُسعِف الأيفاعُ من كان مُقصَدا[٦]

فلما غنته بهذا طرب طرَبه الذى تعهده، وجعل يدور ويَصيح : الدُّخن بالنوى ، والسمَك فى بيطار جِنان[٧] . وشقّ حلته وقال لها : أتأذنين أن أطير ؟ قالت : وإلى من تدع الناس؟ قال : إليكِ[٨] .

---

(١) فى الأصول ماعدا « ها » : « رود » ، والوجه النصب . والمجسد : الثوب المصبوغ بالجساد، وهو الزعفران . (٢) مهفهفة : ضامرة . والتخدد : اضطراب اللحم من الهزال .

(٣) الجدل : شدة الفتل . كناية عن عدم الترهل . ط : « جذلا » صوابه فى حـ، ها، مب . وفى سائر النسخ : « جدلى » ، لعله مسهل « جدلاء » . والجدلاء : المحكمة النسج . والعنان، بالكسر : الحبل . والصناع : الحاذق بالصنعة ، يقال للذكر والأنثى . والمحصد : الشديد الفتل .

(٤) طلة : مطلولة . والطل : الندى . حـ : «ظلة » س، ب : « ظله » صوابهما فى ط ، ها .

(٥) الموقر : موضع بالبلقاء من نواحى دمشق . وخاخ : موضع بين الحرمين . ومنشد : موضع بين رضوى والساحل . والأكاريس : جمع أكراس، وهذه جمع كرس، بالكسر، وهو الجماعة من الناس . ماعدا ط ، حـ ، ها : « أكاديس » محرف .

(٦) ماعدا ط ، ها : « وقد ينفع » . المقصد : الذى طعن أو رمى فلم تخطئ مقاتله .

(٧) كلمات يهذى بها . وكلمتا « بيطار » و « جنان » مهملتان فى ط ، مب . وسيأتى الكلام برواية أخرى فيما بعد . (٨) الكلام من « قالت » إلى هنا ليس فى حـ ، ط ، مب .

قال : وغنته سَلّامةُ من هذه القصيدة :

فقلتُ ألا ياليت أسماءَ أصقبتْ * وهل قولُ ليتٍ جامعٌ ما تبدّدا (١)

وإنّى لأهواها وأهوى لِقاءها * كما يَشتهى الصادى الشرابَ المبرّدا

علاقةَ حبٍّ لَجّ فى سَنَن الصبا * فأبلَى وما يزداد إلّا تجدُّدا

سُهوبٌ وأعلام تخال سرابَها * إذا استَنّ فى القَيظ المُلَاءَ المعضَّدا (٢)

قال : وغنته حَبابة منها أيضا :

كريمُ قريشٍ حين يُنسَبُ والذى * أقرّت له بالملك كَهلًا وأمردا

وليس عطاءٌ كان منه بمانع * وإن جَلّ من أضعاف أضعافه غدا

أهانَ تِلاد المال فى الحمد أنه * إمامُ هدًى يجرى على ما تعوّدا

تردّى بمجدٍ من أبيه وأمّه * وقد أورثا بنيانَ مجدٍ مشيّدا

فقال لها يزيد : ويحكِ يا حبابة ، ومن مِن قريش هذا ؟ قالت : أنت . قال : ومن يقول هذا الشعر؟ قالت : الأحوص يا أمير المؤمنين . وقالت سلامة : فليسمع أميرُ المؤمنين باقى ثنائه عليه فيها . ثم اندفعت فغنته :

ولو كان بذلُ الجودِ والمالِ مُخلِدا * من الناس إنساناً لكنتَ المخلَّدا

فأقسمُ لا أنفكّ ما عِشتُ شاكرا * لنعماكَ ما طارَ الحمامُ وغرّدا

قضاء معبد بالمفاضلة بين حبابة وسلامة

أخبرنى إسماعيل قال : حدّثنا عمر بن شبة قال : على بن الجعد قال : حدّثنى أبو يعقوب الخُرَيمى ، عن أبى بكر بن عَيّاش : أن حَبابة وسَلّامة اختلفتا فى صوت معبد :

ألَا حىِّ الديار بسَعد إنّى * أحبُّ لحبِّ فاطمة الديارا

(١) أصقبت : دنت . ما عدا ط ، مب : « أصفيت » تحريف .

(٢) استن : أسرع . شبه السراب بالملاء المعضد ، وهو المخطط على شكل العضد . فى جميع الأصول : « المعمدا » ولا وجه له .

فبعثَ يزيد إلى معبد فأتى به، فسأل : لِمَ بَعَث إليه؟فأُخبِر، فقال : لأيّتهما المنزلة عند أمير المؤمنين ؟ فقيل : لحبابة . فلما عَرضَنا عليه الصوت قضى لحبابة ، فقالت سلامة : والله ما قَضَى إلا للمنزلة، وإنّه ليعلم أنّ الصوابَ ما غنّيت، ولكن ائذن لى ياأمير المؤمنين فى صِلته لأنّ له علىّ حقًّا . قال : قد أذنت . فكان ما وصلته به أكثر من حبابة .

نسبة هــذا الصوت

ألا حَىِّ الديارَ بسَعدَ إنّى * أحبُّ لحبِّ فاطمةَ الديارا[1]

إذا ما حَلّ أهلكِ ياسليمى * بدارة صُلصلٍ شَحَطوا مَزارا[2]

الشعر لجرير، والغناء لابن مُحرز، خفيف ثقيل أوّل بالسبابة فى مجرى البنصر .

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرى قال : حدّثنا عمر بن شبة قال :

بين الفرزدق والأحوص

نزل الفرزدق على الأحوص حين قدم المدينة فقال له الأحوص : ما تشتهى ؟ قال : شِواءً وطِلاءً[3] وغناء . قال : ذلكَ لك . ومضى به إلى قَينة بالمدينة فغنته :

ألا حَىِّ الديار بسعدَ إنّى * أحبُّ لحبِّ فاطمةَ الديارا[4]

أرادَ الظاعنون ليحزُنونى * فهاجُوا صَدعَ قلبى فاستطارا

---

(١) سعد، بالفتح : موضع قريب من المدينة . وقد أنشد ياقوت الأبيات فى (سعد) بضم السين على أنه ماء ونخل غربى اليمامة .

(٢) دارة صلصل لعمرو بن كلاب ، كما فى ياقوت . شحطوا : بعدوا . ط ، مب وديوان جرير ٢٨٠ : «المزارا» وأثبت ما فى ها . وفى سائر النسخ «الديارا» بالتكرار لما سبق .

(٣) الطلاء : الخمر ، أو ما طبخ من عصير العنب حتى ذهب ثلثاه ، وتسميه العجم « ميبختج » .

(٤) الكلام بعده إلى ما قبل الصوت التالى منقوص فى ط .

فقال الفرزدق : ما أرقّ أشعاركم يا أهلَ الحجاز وأملحَها ! قال : أو ما تدرى لمن هذا الشعر ؟ فقال : لا والله . قال : هو لجرير ، يهجوك به . فقال : ويل ابنِ المراغة ما كان أحوجَه مع عفافِه إلى صلابةِ شعرى ، وأحوجَنى مع شهواتى إلى رقّة شعره .

الصوت الذى فوضل به بين حبابة وسلامة وبيان ما كان من أمر المفاضلة

وقد روى صالح بن حسان أن الصوت الذى اختلفت فيه حبابة وسلامة هو: ٥

وترى لهـا دَلًّا إذا نطقَتْ به * تركَتْ بناتِ فُؤاده صُعْرا [(١)]

ذكر ذلك حماد عن أبيه عن الهيثم بن عدىّ : أنهما اختلفتا فى هذا الصوت بين يدَىْ يزيد ، فقال لهما : من أينَ جاء اختلافُكما ، والصوت لمعبد ومنه أخذتماه ؟ فقالت هذه : هكذا أخذته ، وقالت الأخرى : هكذا أخذته . فقال يزيد : قد اختلفتما ومعبدٌ حىٌّ بعد ؟ فكتبَ إلى عامله بالمدينة يأمره بحمله إليه . ١٠

ثم ذكر باقىَ الخبر مثل ما ذكره أبو بكر بن عيّاش .

قال صالح بن حسّان : فلما دخل مَعبدٌ إليه لم يسأله عن الصوت ، ولكنه أمَره أن يغنّى ، فغناه فقال :

فياعَزَّ إنْ واشٍ وشَى بىَ عندَكم * فلا تكرِميه أن تقولى له مَهلا [(٢)]

فاستحسنه وطرب ثم قال : إنّ هاتين اختلفَتا فى صوتٍ لك فاقضِ بينهما . ١٥

فقال لحبابة : غَنِّى . فغنّت ، وقال لسلامة : غنّى . فغنّت ، وقال : الصواب ما قالت حبابة . فقالت سلّامة : والله يا ابنَ الفاعلة إنك لتعلمُ أنّ الصواب ما قلت ، ولكنك سألت أيّتهما آثَرُ عند أمير المؤمنين فقيل لك حبابة ، فاتّبعتَ هواه ورضاه ! فضحِكَ يزيدُ وطرب ، وأخذ وِسادةً فصيَّرها على رأسه ، وقام يَدُور فى الدار ويرقص

(١) صعرا : مائلات . (٢) ء : « أهلا » .

ويصيح : «السمك الطرى أربعة أرطال، عند بيطار جبان» [1] حتى دار الدارَ كلَّها ثم رجع فجلس مجلسه وقال شعرا، وأمر معبدًا أن يغنّى فيه، فغنّى فيه وهو :

أبلغ حبابة أسقى ربعَها المطرُ * ما للفؤادِ سوى ذكراكمُ وطرُ

إنْ سار صحبى لم أملِكْ تذكُّرَكم * أو عرَّسوا فهمومُ النفس والسَّهرُ

٥ فاستحسنه وطرب . هكذا ذكر إسحاق فى الخبر . وغيره ذكر أن الصنعة فيه لحبابة، ويزعم ابنُ خُرداذبه أن الصنعة فيه ليزيد . وليس كما ذكر، وإنما أراد أن يوالىَ بين الخلفاء فى الصنعة ، فذكره على غير تحصيل، والصحيح أنه لمعبد .

ألطاف سلامة وحبابة لمعبد

قال معبد : فسُرَّ يزيدُ لمَّا غنيته فى هذين البيتين، وكسانى ووصلنى، ثم لما انصرم مجلسه انصرفتُ إلى منزلى الذى أُنزِلتُه ، فإذا ألطافُ سَلّامة قد سبقت ١٠ ألطافَ حَبابة، وبعثت إلىّ : إنى قد عذرتُك فيما فعلتَ، لكنْ كان الحقُّ أولى بك . فلم أزل فى ألطافهما جميعًا حتى أذِن لى يزيد، فرجعتُ إلى المدينة .

نسبة الصوت الذى غناه معبد الذى أوله

* فيا عزّ إنْ واشٍ وشَى بى عندَكم *

صوت

١٥ ألم يأنِ لى يا قلبُ أنْ أتركَ الجهلا * وأنْ يُحدث الشيبُ الملِمُّ لىَ العقلا

على حين صار الرأسُ منّى كأنما * علت فوقه ندافةُ العُطْب الغزلا [2]

فيا عزّ إن واشٍ وشَى بىَ عندَكم * فلا تُكرميه أنْ تقولى له مهلا [3]

(١) انظر ما سبق فى ص ١٣٣ .

(٢) العطب ، بضم وبضمتين : القطن . ما عدا ط ، جـ ، مط : «القطن» .

٢٠ (٣) جـ فقط : «أهلا» .

كما لو وشى واشٍ بودِّك عندنا * لقلنا تزحزحْ لا قريبًا ولا سهلا
فأهلًا وسهلا بالذى شدَّ وصلنا * ولا مرحبًا بالقائل اصرم لها حبلا

الشعر لكثير، والغناء لحنين، ثقيل أوّل بالسبابة فى مجرى الوسطى عن إسحاق. وذكر ابن المكى وعمرو والهشامى أنه لمعبد. وفيه ثانى ثقيل ينسب إلى ابن سريج، وليس بصحيح.

حبابة ويزيد ابن عبد الملك

أخبرنى الحرمى بن أبى العلاء قال: حدّثنى الزبير قال: حدّثتنى ظبيةُ قالت: أنشدَتْ حبابةُ يومًا يزيدَ بن عبد الملك:

لعمرِكَ إنّى لأحبُّ سَلْعًا * لرؤيتها ومَنْ بجنوب سَلعِ

ثم تنفّسَتْ تنفّسا شديدا فقال لها: مالكِ، أنتِ فى ذمة أبى، لئن شئتِ لأنقلنّه إليكِ حجرًا حجرا. قالت: وما أصنع به، ليس إياه أردتُ، إنّما أردت صاحبَه. وربّما قالت: ساكنَه.

نسبة هذا الصوت

لعمركَ إنّى لأحبُّ سَلعا * لرؤيتها ومَن بجنوبِ سَلعِ
تقرُّ بقربها عينى وإنّى * لأخشَى أن تكونَ تريدُ فجعى
حلفتُ بربِّ مكةَ والهدايا * وأيدى السّابحاتِ غداةَ جَمعِ (١)
لأنتِ على التنائى فاعلميه * أحبُّ إلىَّ مِن بصرى وسمعى

الغناء لمعبد خفيف ثقيل بالوسطى، مما لا يشك فيه من غنائه.

سماع يزيد لحبابة وسلامة وحكمه بينهما

قال الزبير: وحدّثتنى ظَبيةُ أنّ يزيد قال لحبابة وسلامة: أيتكُما غنّتْنى ما فى نفسى فلها حُكمها. فغنّت سلامة فلم تُصب ما فى نفسه، وغنّته حبابة:

حِلَقٌ من بنى كنانةَ حَولى * بفلسطين يُسرعون الركوبا

(١) جمع، بالفتح، هى المزدلفة.

فأصابتْ ما فى نفسه فقال : احتكمى . فقالت : سلامةُ ، تهبُها لى ومالَها . قال : اطلبى غيرَها . فأبتْ، فقال : أنتِ أولى بها وما لها . فلقيت سلّامة من ذلك أمرًا عظيما ، فقالت لهـا حبابة : لا ترَ ن إلا خيرا ! فجاء يزيدُ فسألها أن تبيعَـه إياها بحكمها، فقالت : أُشهِدكَ أنّها حرة، واخطُبْها إلىَّ الآنَ حتّى أزوّجَك مولاتى .

٥ أخبرنى أحمـد بن عبد العزيز قال : حدّثنا عمر بن شبة قال : حدّثنى إسحاق عن المدائنى بنحو هذه القصة . وقال فيها : فجزعت سلّامة، فقالت لها : لا تجزعى فإنّمـا ألاعبه .

نسبة هـذا الصوت

حلقٌ من بنى كنانة حـولى * بفلسطين يُسرعون الركوبا

١٠ هزِئتْ أن رأت مشيبِيَ عِرسى * لا تلُومى ذوائبى أن تشيبا

الشعر لابن قيس الرقيات ، والغناء لابن سريج ، ثانى ثقيل بالخنصر فى مجرى البنصر عن إسحاق .

قال حماد بن إسحاق : حدّثنى أبى عن المدائنى، وأيوب بن عباية قالا :

اعتراف حبابة سلامة بالفضل

كانت سـلامة المتقدّمةَ منهما فى الغناء[1]، وكانت حبابة تنظُر إليها بتلك العين، ١٥ فلما حَظِيت عنـد يزيد ترفّعت عليها فقالت لها سلّامة : ويحكِ أينَ تأديب الغناء[2] وحقُّ التعليم؟ أنسيتِ قولَ جميلة لك : خذى أحكامَ ما أطارحك إياه من سلّامة؟! فلن تزالى بخـيرٍ ما بقيتُ لكِ وكان أمركما مؤتلفا . قالت : صـدقتِ يا خليلتى ، والله لا عدتُ إلى شيء تكرهينه . فما عادت بعد ذلك لهـا إلى مكروه . وماتت حبابة وعاشت سلّامة بعدها دهرا

٢٠ (١) ط ، جـ ، مط : « منهن » .

(٢) ما عدا ط ، جـ ، ها ، مط : « أدبة الغناء » .

قال المدائنى : فرأى يزيدُ يومًا حَبابةَ جالسةً فقال : مالكِ؟ فقالت : أنتظر سلامة . قال : تحبّين أن أهبَها لك ؟ قالت : لا والله ، ما أحب أن تهب لى أختى .

ولوع يزيد بحبابة

قال المدائنى : وكانت حبابة إذا غنّتْ وطرب يزيدُ قال لها : أطير؟ فتقول له : فإلى من تَدعُ الناس ؟ فيقول : إليك . والله تعالى أعلم . ٥

وساطة حبابة للبيذق الأنصارى

أخبرنى إسماعيل بن يونس قال : حدّثنا عمر بن شبّة قال : حدّثنى أيوب ابن عَباية ، أن البيذق الأنصارى القارئ كان يَعرف حبابة ويدخُل عليها بالحجاز ، فلما صارت إلى يزيد بن عبد الملك وارتفعَ أمرُها عنده ، خرجَ إليها يتعرّضُ لمعروفها ويستميحها ، فذكرته ليزيدَ وأخبرتْه بحسن صوته . قال : فدعانى يزيدُ ليلةً فدخلتُ عليه وهو على فُرش مُشرفة قد ذَهَب فيها إلى قريب من ثدييه ، وإذا حَبابة على فُرش أُخَر مرتفعة ، وهى دونَه ، فسلّمتُ فردّ السلام ، وقالت حبابة : يا أمير المؤمنين ، هذا أبى . وأشارت إلىّ بالجلوس ، فجلست وقالت لى حَبابةُ : اقرأ يا أبتِ . فقرأتُ فنظرتُ إلى دموعه تَتحدر ، ثم قالت : إيهِ يا أبتِ حدِّث أمير المؤمنين ، وأشارتْ إلىّ أن غنِّه . فاندفعتُ فى صوت ابن سُرَيج : ١٠

من لصبّ مفنَّدِ[(1)] * هائم القلب مُقْصَدِ ١٥

فطربَ والله يزيدُ فحذَفنى بمُدهُنٍ فيه فصوصٌ من ياقوتٍ وزبرجد ، فضربَ صَدرى ، فأشارت إلىّ حَبابة : أن خُذْه . فأخذتُه فأدخلتُه كمى ، فقال : يا حَبابةُ ألا ترين ما صنعَ بنا أبوك ، أخذ مُدهُننا فأدخلَه فى كُمه؟ فقالت : يا أمير المؤمنين ما أحوجَه والله إليه ! ثم خرجتُ من عنده فأمر لى بمائة دينار .

---

(١) التفنيد : تخطىء الرأى ، والتكذيب . ماعدا ط ، ها ، مط : «مصعد» . وقد أشير فى ط إلى أنها رواية فى نسخة . والمقصد : المقتول ، الذى يرمى فيقتل مكانه . ٢٠

نسبة هذا الصوت

من لصبٍّ مُفَنَّدِ * هائم القلبِ مُقصَدِ
أنتِ زوّدته الضَّنَى * بئسَ زادُ المزوَّدِ
ولو آنى لا أرتجيـ * ـك لقد خفَّ عوّدى
ثاويا تحت تُربةٍ * رهنَ رمسٍ بقدفدِ
غيرَ أنِّى أعلِّل النـ * ـفسَ باليومِ أو غدِ

الشعر لسعيد بن عبد الرحمن بن حسان . وذكر الزبير بن بكار أنه لجعفر بن الزبير، والغناء لابن سريج، خفيف ثقيل بالسبابة فى مجرى الوسطى .

استدعاء يزيد لابن الطيار لمعرفة مدى طربه من الغناء

وقال حماد : حدّثنى أبى عن مخلد بن خِداش وغيره ، أن حبابة غنت يزيد صوتا لابن سريج، وهو قوله :

ما أحسنَ الجيدَ من مُليكةَ والـ * ـلَّبَّاتِ إذْ زانَها ترائبُها

فطرب يزيد وقال : هل رأيتِ أحدا أطرب منى ؟ قلت : نعم، ابن الطَّيَّار[1] معاوية ابن عبد الله بن جعفر، فكتب فيه إلى عبد الرحمن بن الضحاك فحمل إليه، فلما قدم أرسلَتْ إليه حبابةُ : إنما بعثَ إليكَ لكذا وكذا — وأخبرَتْه — فإذا دخلتَ عليه فلا تظهِرنّ طربًا حتّى أغنيه الصوتَ الذى غنّيته . فقال : سوأةً على كبر سنّى ؟ فدعا به يزيدُ وهو على طِنفسة خزّ، ووُضع لمعاوية مثلُها، فجاءوا بجامَين فيهما مسكٌ فوضعت إحداهما بين يدَىْ يزيد والأخرى بين يدَىْ معاوية، فقال : فلم أدر كيف أصنع . فقلت : انظر كيف يصنعُ فاصنعْ مثلَه . فكان يقلّبه فيفوحُ ريحه وأفعلُ

(١) الطيار هو جعفر الطيار بن أبى طالب ، قطعت يداه يوم مؤتة ، قالوا : فجعل الله له جناحين يطير بهما فى الجنة عوضا من يديه اللتين قطعتا . انظر الحيوان ٣ : ٢٣٣ وحواشيه .

مثل ذلك، فدعا بحبابة فغنّت، فلما غنّت ذلك الصوتَ أخذ معاويةُ الوسادة فوضعها على رأسه وقام يدورُ وينادى : « الدُّخن بالنوى » يعنى اللُّوبيا . قال : فأمر له بصلاتٍ عدّةَ دفَعات إلى أن خرج ، فكان مبلغُها ثمانيةَ آلافِ دينار .

أخبرنى إسماعيل بن يونس قال : أخبرنى الزبير بن أبى بكر ، عن ظَبية :

اختبار يزيد لطرب مولى حبابة

أنّ حَبابة غنّتْ يومًا بين يدى يزيدَ فطرِب ثم قال لها : هل رأيتِ قطُّ أطربَ منى ؟ قالت : نعم ، مولاى الذى باعنى . فغاظه ذلك فكتبَ فى حَمْلِه مقيَّدا ، فلما عرف خبره أمر بإدخاله إليه ، فأدخِل يرسُف فى قَيده ، وأمرها فغنّتْ بَغتةً :

تشُطُّ غدًا دارُ جيراننا * ولَلدارُ بعد غدٍ أبعدُ

فوثَب حتّى ألقى نفسَه على الشمعة فأحرقَ لحيتَه . وجعَل يصيح : الحريقُ يا أولاد الزنا ! فضحِكَ يزيد وقال : لعمرى إنّ هذا لأطربُ الناس ! فأمر بحلِّ قيوده ، ووَصَله بألفِ دينار ، ووصلته حبابةُ ، وردّه إلى المدينة .

أخبرنى إسماعيل بن يونس قال : حدّثنا عمر بن شبة قال : قال إسحاق :

يزيد وأم عوف المغنية

كان يزيدُ بن عبد الملك قبلَ أن تُفضِىَ إليه الخلافةُ ، تختلف إليه مغنِّيةٌ طاعِنةٌ فى السِّن تدعى أمَّ عَوف ، وكانت مُحسنة ، فكان يختار عليها :

متى أُجِرْ خائفًا تَسرحْ مطيتُه * وإن أُخِفْ آمِنًا تنبو به الدار[1]

سِيروا إلىَّ وأرخُوا من أعنّتِكم * إنّى لكلِّ امرئٍ من وِتره جارُ

(١) ما عدا ط ، ها ، مط : « تقلق به الدار » .

فذكرها يزيدُ يوما لحبابة، وقد كانت أخذَتْ عنها فلم تقدر أن تَطعن عليها إلا بالسنّ، فغنت :

أبى القلبُ إلّا أمّ عوفٍ وحبَّها * عجوزًا ومن يُحبِب عجوزًا يفنَّدِ[1]

فضحك وقال : لمن هذا الغناء؟ فقالت : لمالك . فكان إذا جلس معها للشرب يقول : غنِّينى صوتَ مالكٍ فى أم عوف .

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدّثنى عمر بن شبّة قال : حدّثنى عبد الله بن أحمد بن الحارث العدَوىّ قال : حدّثنى عمر بن أبى بكر المؤمّلى قال : حدّثنى أبو غانم الأزدى قال :

استنفاء يزيد بخفة حبابة بعد موتها، ثم موته ودفنه إلى جنبها

نزل يزيدُ بن عبد الملك ببيت رأس بالشام، ومعه حَبابة فقال : زعموا أنّه لا تصفو لأحدٍ عيشةٌ يومًا إلى الليل إلّا يكدرها شىءٌ عليه، وسأجرِّب ذلك . ثم قال لمن معه : إذا كان غدا فلا تُخبرونى بشىء ولا تأتونى بكتاب . وخلا هو وحَبابة فأُتيا بما يأكلان، فأكلَتْ رُمّانةً فشرِقت بحبّة منها فماتت، فأقام لا يَدفنها ثلاثًا حتّى تغيرت وأنتنت، وهو يشَمُّها ويرشُفها، فعاتبه على ذلك ذَوُو قرابته وصديقُه[2]، وعابوا عليه ما يصنع، وقالوا : قد صارت جيفةً بين يديك ! حتّى أذِن لهم فى غسلها ودَفْنها، وأمر فأُخرِجتْ فى نِطع، وخرجَ معها لا يتكلّم حتّى جلس على قَبرِها، فلما دُفِنت قال : أصبحتُ والله كما قال كُثيِّر :

---

(١) البيت لأبى الأسود الدؤلى فى الحماسة (٢ : ١٣٨) . وقد غيرت رواية البيت لتستقيم لها الفكاهة ويتم العبث بأم عوف . والرواية : « أم عمرو » . وبعده :

كثوب اليمانى قد تقادم عهده * ورقعته ما شئت فى العين واليد

(٢) صديقه، أى أصدقاؤه . والصديق يقال للواحد والجمع والمذكر والمؤنث .

فإن يسلُ عنك القلبُ أو يدعِ الصبا * فباليأس يَسلو عنك لا بالتجلُّدِ
وكلُّ خليلٍ راءنى فهو قائلٌ * مِنَ أجلك : هذا هامة اليومِ أو غدِ (١)

فما أقام إلّا خمسَ عشرةَ ليلةً حتى دُفن إلى جنبها .

أخبرنى أحمد قال : حدّثنى عمر قال : حدّثنى إسحاق الموصلى قال : حدّثنى الفضل بن الربيع عن أبيه عن إبراهيم بن جبلة بن مَخرمة عن أبيه أنّ مسلمةَ ابن عبد الملك قال :

جزع يزيد على حبابة

ماتت حَبابة فجزع عليها يزيد ، فجعلْتُ أؤسّيه وأعزّيه ، وهو ضاربٌ بذَقَنه على صدره ما يكلّمنى حتّى دفنَها ورجع ، فلما بلغ إلى بابه التفتَ إلىّ وقال :

فإنْ تسلُ عنكَ النفسُ أو تدعِ الصّبا * فباليأس تَسلو عنك لا بالتجلُّدِ

ثم دخل بيتَه فمكث أربعين يومًا ثم هلك .

قال : وجزع عليها فى بعض أيامه فقال : انبِشُوها حتّى أنظرَ إليها . فقيل : تصيُر حديثًا ! ! فرجع فلم ينبشها .

وقد روى المدائنى أنّهُ اشتاق إليها بعدَ ثلاثةِ أيام من دفنه إياها ، فقال : لابدّ من أن تُنبَش . فنُبِشت وكُشِف له عن وجهها وقد تغيّر تغيُّرًا قبيحا فقيل له : يا أميرَ المؤمنين ، اتّقِ الله ، ألا ترى كيفَ قد صارت ؟ فقال : ما رأيتُها قطُّ أحسَن منها اليومَ ، أخرِجوها . فجاءه مسلمةُ ووجوهُ أهله ، فلم يزالوا به حتّى أزالوه عن ذلك ودفَنوها ، وانصرف فكمِد كمَدًا شديدا حتّى مات ، فدفن إلى جانبها .

---

(١) راءنى : رآنى . ورواية ل : هذا هامة اليوم أو غد ، أى يموت اليوم أو غدا . وبهذا البيت استشهد فى اللسان على ذلك المعنى .

الصلاة على حبابة بعد موتها

قال إسحاق : وحدّثني عبد الرحمن بن عبد الله الشفافي[1] عن العباس بن محمد ، أنّ يزيد بن عبد الملك أرادَ الصلاةَ على حبابة ، فكلّمه مَسلمةُ في أن لا يخرج وقال : أنا أكفيك الصلاةَ عليها . فتخلّفَ يزيدُ ومضى مَسلَمة ، حتّى إذا مضى النّاسُ انصرفَ مسلمةُ وأمر من صلّى عليها .

٥ وروى الزبير ، عن مصعب بن عثمان ، عن عبد الله بن عروة بن الزبير قال :

صورة أخرى لجزع يزيد على حبابة

خرجت مع أبي إلى الشام في زمن يزيدَ بن عبد الملك ، فلما ماتت حَبابةُ وأخرِجت لم يستطع يزيدُ الركوب من الجزع ولا المشي ، فحُمِل على مِنبرٍ على رقاب الرجال ، فلما دُفنت قال : لم أُصلِّ عليها ، انبشوا عنها . فقال له مسلمة : نَشَدتك الله يا أمير المؤمنين ، إنّما هي أَمَةٌ من الإماء ، وقد واراها الثرى ! فلم يأذن للناس بعدَ ١٠ حبابةَ إلّا مرةً واحدة . قال : فوالله ما استتمّ دخولُ النّاس حتى قال الحاجب : أجيزُوا رحمكم الله . ولم ينشب يزيدُ أن مات كمدًا .

١١٦/١٣

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدّثنا عمر بن شبة قال : حدّثني إسحاق قال حدّثني ابن أبي الحويرث الثقفي ، قال :

لما ماتت حَبابةُ جزع عليها يزيدُ جزعاً شديدا ، فضمّ جُويريةً لها كانت تخدُمها ١٥ إليه ، فكانت تحدّثه وتؤنسه ، فبينا هو يوما يدُور في قصره إذ قال لها : هذا الموضع الذي كنّا فيه . فتمثّلتْ :

كفى حَزَنًا للهائم الصبِّ أن يَرى * منازلَ مَن يهوى معطّلةً قَفرا

فبكى حتّى كاد يموت . ثم لم تزل[2] تلك الجويريةُ معه يتذكّر بها حبابة حتّى مات .

(١) ط : « الشفافي » ، هـ : « الشعافي » مط : « السغافي » وأثبت ما في سائر النسخ .

٢٠ (٢) ط ، ح ، ها ، مط : « ثم ترك » .

صـــوت

أيدعوننى شيخًا وقد عِشتُ حِقبةً * وهنّ من الأزواج نحـوى نوازعُ

وما شابَ رأسى من سِنِين تتابَعَتْ * عـلىّ ولكنْ شيّبَتْه الوقائع

الشعر لأبى الطّفيل صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والغناء لإبراهيم، خفيف ثقيل أوّل بالوسطى، عن عمرو وغيره .

أخبار أبي الطُّفَيل ونسبه

نسب أبي الطفيل

هو عامر بن واثلة بن عبد الله بن عُمير(١) بن جابر بن حُمَيس(٢) بن جُدَيّ بن سعد ابن لَيث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خُزيمة بن مُدركة بن الياس بن مُضر ابن نزار .

صحبته وتشيعه

وله صحبةٌ برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ورواية عنه . وعُمّر بعده عُمرا طويلا ؛ وكان مع أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وروى عنه أيضا ، وكان من وجوه شيعته ، وله منه مَحَلّ خاصّ يستغنى بشهرته عن ذكره ، ثم خرج طالبًا بدم الحسين بن عليّ عليهما السلام ، مع المختار بن أبي عُبيد ، وكان معه حتّى قُتل وأفلت هو ، وعمّر أيضا بعد ذلك .

رؤيته الرسول في حجة الوداع

حدثني أحمد بن الجعد قال حدّثنا محمد بن يوسف بن أسوار الجمحيّ بمكة ، قال : حدّثنا يزيد بن أبي حَكيم قال : حدّثني يزيد بن مُلَيل ، عن أبي الطُّفيل أنه رأى النبيّ صلى الله عليه وسلم في حجّة الوداع يَطُوف بالبيت الحرام على ناقته ، ويَستلم الرُّكن بمِحجنه .

أخبرناه محمد بن العباس اليزيديّ قال : حدّثنا الرياشي قال : حدّثنا أبو عاصم عن معروف بن خرّبوذ عن أبي الطفيل بمثله ، وزاد فيه : « ثم يقبل المحجن » .

حدّثني أبو عبيد الله الصيرفي قال : حدّثنا الفضل بن الحسن المصري قال : حدّثنا أبو نعيم عن بَسّام الصَّيرفي عن أبي الطُّفيل قال :

---

(١) ماعدا ط ، ها ، مط : « عمرو » . تحريف ، وما في ط مطابق لما في الإصابة ٤٤٢٧ .

(٢) ما عدا ط : « خميس » بالخاء المعجمة .

رؤيته لعلى بن أبى طالب وهو يجيب عن أسئلة شتى

سمعتُ علياً عليه السلامُ يخطب فقال : سَلُونى قبل أن تفقِدونى . فقام إليه ابن الكَوّاء، فقال : ما ﴿الذّارِياتِ ذرْوًا﴾؟ قال : الرياح . قال : فـ﴿ـالجارِياتِ يُسْرا﴾ ؟ قال : السُّفن . قال : فـ﴿ـالحاملاتِ وِقْرًا﴾ ؟ قال : السحاب . قال : فـ﴿ـالمقسِّمات أمرًا﴾ ؟ قال : الملائكة . قال : فمن ﴿الذين بَدَّلوا نِعمةَ الله كُفْرًا﴾ ؟ قال : الأفجرانِ من قريشٍ : بنو أُميّة وبنو مخزوم . قال : فما كان ذُو القرنين ، أنبيا أم ملكا ؟ قال : كان عبداً مؤمنا — أو قال صالحا — أحبَّ اللهَ وأحبّه ، ضُرِب ضربةً على قرنِهِ الأيمنِ فمات ، ثم بُعِث وضُرِب ضربةً على قرنه الأيسرِ فمات . وفيكم مثله .

١٦٧ / ١٣

[وكتب إلىّ إسماعيل بن محمد المرىّ الكوفى يذكر أن أبا نعيم حدّثه بذلك عن بسام . وذكر مثله[1]] .

شهادة له بالتقدم فى شعره

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال : بلغَنى أن بشر بن مروان حين كان على العراق قال لأنس بن زُنَيم : أنشِدْنى أفضلَ شعرٍ قالته كنانة . فأنشده قصيدةَ أبى الطُّفيل :

أيدْعُوننى شيخًا وقد عِشتُ برهةً * وهنَّ من الأزواجِ نَحوِى نوازِعُ

فقال له بشر : صدقتَ هذا أشعر شعرائكم . قال : وقال له الحجاج أيضاً : أنشدنى قولَ شاعركم : « أيدعُوننى شيخا » فأنشده إياه[2] فقال : قاتله الله مُنافقا، ما أشعره!

---

(١) التكلة من ط ، ها ، مط . لكن فى ها : « عن يسار » وقد سبق أنه « بسام الصيرفى » .

(٢) هذه الكلمة من ط ، مط ، وفى ها : « فأنشده إياها » .

حدّثني أحمد بن عيسى العجلي الكوفي، المعروف بابن أبي موسى، قال: حدّثنا الحسين بن نصر بن مُزاحم قال: حدّثني أبي قال حدّثني عمرو بن شمر[1] عن جابر الجُعفي قال: سمعت ابن حِذْيَم الناجيّ[2] يقول:

محاورة معاوية لأبي الطفيل

لما استقامَ لمعاوية أمرُه لم يكن شيءٌ أحبَّ إليه من لقاء أبي الطُّفيل عامر ابن واثلة، فلم يزل يكاتبُه ويَلطُف له[3] حتّى أتاه، فلما قدِم عليه جعلَ يسائله عن أمر الجاهلية، ودخل عليه عَمرو بن العاص ونفرٌ معه، فقال لهم معاوية: أمَا تعرفون هذا؟ هذا خليل أبي الحسَن. ثم قال: يا أبا الطفيل ما بلَغَ من حبِّك لعليّ؟ قال حبَّ أمِّ موسى لموسى. قال: فما بلغ من بكائك عليه؟ قال: بكاء العجوز الثَّكلَى والشَّيخِ الرقوبِ[4]، وإلى الله أشكو التقصير. قال معاوية: إنّ أصحابي هؤلاءِ لو سُئلوا عنّي ما قالوا فيّ ما قلتَ في صاحبك. قالوا: إذًا والله ما نقولُ الباطلَ. قال لهم معاوية: لا والله ولا الحقَّ تقولون. ثم قال معاوية: وهو الذي يقول:

إلى رجَبِ السَّبعينَ تعترِفونني * مع السيف في حَوّاءَ جَمٍّ عديدُها[5]
رَجوفٍ[6] كمَتنِ الطَّود فيها معاشرٌ * كغُلْبِ السِّباع نُمرُها وأسودُها
كُهولٌ وشبّان وساداتُ معشرٍ * على الخيل فُرسانٌ قليلٌ صدودها

(١) ما عدا ط، ها، مط: «عمر بن شبة»، وإنما كان نصر بن مزاحم يروى عن «عمرو بن شمر» ويكثر الرواية عنه. انظر وقعة صفين في غير موضع، ولا سيما صفحة ١٨٩ ففيها هذا السند بعينه.

(٢) ويقال: «ابن حذلم» أيضا، وهو تميم بن حذيم الناجي الضبي الكوفي المتوفى سنة ١٠٠. انظر حواشي وقعة صفين ص ١٨٩.

(٣) يلطف له، من اللطف، وهو الرفق والمداناة.

(٤) الرقوب: الذي مات ولده، أو الذي لا يبق له ولد.

(٥) الحواء: السوداء، عنى بها الكتيبة التي يعلو الصدأ سلاحها

(٦) رجوف: تضطرب من كثرتها. والغلب: جمع أغلب، وهو الغليظ الرقبة.

كأنّ شعاع الشّمس تحتَ لوائها * إذا طَلعت أعشَى العيونَ حديدُها
يَمُورون مَــوْرَ الرِّيحِ إما ذُهلتمُ * وزَلّت بأكفالِ الرجال لبودُها (١)
شِــعارهمُ سِيما النبيِّ، ورايةٌ * بها انتقم الرحمنُ ممن يَكيدها
تَخطَّفُهم إياكمُ عنــدَ ذكرِهم * تَخَطُّف ضوارِى الطّيرطيرًا تصيدها (٢)

فقال معاويةُ لجلسائه : أعَرَفتموه؟ قالوا : نعم، هذا أفحش شاعرٍ وألأم جليس. ٥
فقال معاوية : يا أبا الطُّفيل أتعرفهم ؟ فقال : ما أعرِفُهم بخيرٍ، ولا أُبعدهم من شرّ . قال : وقام خُزيمة الأسديُّ فأجابه فقال :

إلى رجبٍ أو غُرّةِ الشهرِ بعده * تصبّحكم حُمــرُ المنايا وسودُها
ثمانون ألفًا دِينُ عثمانَ دينُهم * كتائبُ فيهـا جِــبرَئيلُ يقودها
فمن عاش منكم عاش عبدًا ومن يمت * ففى النار سُقياهُ هنـاك صديدُها ١٠

أخبرنى عبد الله بن محمد الرازى قال : حدّثنا أحمد بن الحارث قال : حدّثنا المدائنى عن أبى مِخنف عن عبد الملك بن نوفل بن مُساحق، قال :

قيادته جيشا لإخراج محمد بن الحنفية من الحبس

لما رجع محمد بن الحنفية من الشام حبسه ابن الزبير فى سِجنِ عارم، فخرج إليه جيشٌ من الكوفة عليهم أبو الطُّفيل عامر بن واثلة، حتى أتوا سجنَ عارمٍ فكسروه وأخرجوه، فكتب ابنُ الزُّبير إلى أخيه مُصعب : أن يسيِّرَ نساءَ كلِّ من خرج لذلك. ١٥
فأخرج مصعبٌ نساءهم وأخرج فيهن أمَّ الطفيل امرأةَ أبى الطفيل، وابنًا له صغيرا يقال له يحيى، فقال أبو الطفيل فى ذلك :

١٦٨ / ١٣

إن يكُ سيَّرها مصعبٌ * فإنى إلى مصعبٍ مُذنِب

(١) زلل اللبود : كناية عن اشتداد المعركة واضطرابها .
(٢) تخطفهم ، هى فيما عدا ها ، مط : « تخطفكم » تحريف . ما عدا ط ، ح ، ها ، مط : « آباؤكم » . وفيما عدا ط ، ها : « صيدا يصيدها » ، محرفتان . ٢٠

أقودُ الكتيبةَ مستلئما * كأنّى أخو عُرّةٍ أجربُ (١)
علىّ دِلاصٌ تخيّرتُها * وفى الكفّ ذو رونقٍ مِقضبُ (٢)

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال : حدّثنا عمر بن شبة قال : حدّثنا محمد بن حميد الرازى قال : حدّثنا سَلَمة بن الفضل عن فِطر بن خليفة (٣) قال :

تشيع أبى الطفيل

٥ سمعت أبا الطفيل يقول : لم يبق من الشّيعة غيرى . ثم تمثّل :

وخُلِّفتُ سهمًا فى الكنانة واحدًا * سيُرمَى به أو يكسِر السهمَ كاسرُهْ (٤)

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال : حدّثنا عمر بن شبة قال : حدّثنى أبو عاصم قال : حدّثنى شيخٌ من بنى تيم اللات قال :

كانَ أبو الطفيل مع المختار فى القصر، فرَمى بنفسه قبل أن يُؤخَذ وقال :

١٠ ولما رأيت البابَ قد حِيلَ دونه * تكسّرت باسم الله فيمن تكسّرا

أخبرنى محمد بن خلف وكيع قال : حدّثنا أحمد بن عبد الله بن شداد النُّشابى قال : حدّثنى المفضّل بن غسان قال : حدّثنى عيسى بن واضح ، عن سليم بن مسلم المكى، عن ابن جُريج عن عطاء قال :

دخل عبد الله بن صفوانَ على عبدِ الله بن الزُّبير ، وهو يومئذ بمكة ، فقال :

١٥ أصبحتُ كما قال الشاعر (٥) :

فإنْ تصبكَ من الأيامِ جائحةٌ * لا أبكِ منكَ على دُنيا ولا دينِ

(١) العرة ، بالضم : الجرب .

(٢) الدلاص ، بالكسر : الدرع الملساء اللينة . ذو رونق ، أى سيف . ورونق السيف : ماؤه وصفاؤه وحسنه . والمقضب : القاطع . ماعدا ط ، حـ ، ها ، مط : « يقضب » .

٢٠ (٣) فطر بن خليفة ، ترجم له فى تهذيب التهذيب . ط : « قطن بن خليفة » تحريف .

(٤) ما عدا ط ، حـ ، ها ، مط : « وخليت » .

(٥) هو ذو الإصبع العدوانى . وقصيدته مشهورة فى المفضليات .

قال : وما ذاك يا أعرج ؟ قال : هذا عبد الله بن عباس يفقِّه الناس ، وعبيد الله أخوه يُطعم الناس ، فما بَقّيا لك ؟ فأحفَظَه ذلك فأرسلَ صاحبَ شُرطته عبد الله ابنَ مطيع فقال له : انطلق إلى ابنَىْ عباسٍ فقل لهما : أعَمدتما إلى رايةٍ تُرابية[1] قد وضَعَها الله فنصبتماها ، بدِّدا عنّى جَمْعَكما ومن ضَوى[2] إليكما من ضُلّال أهل العراق ، وإلّا فعلتُ وفعلت ! فقال ابن عباس : قل لابن الزبير : يقول لك ابن عباس : ثكِلَتْك أُمّك ، والله ما يأتينا من النّاس غيرُ رجلين : طالبِ فقه أو طالبِ فَضل ، فأىّ هذين تمنَع ؟ فأنشأ أبو الطفيل عامرُ بن واثلة يقول :

قوله الشعر فى ذلك

لا دَرّ درُّ الليالى كيف تُضحِكنا * منها خطوب أعاجيبٌ وتبكينا

ومثلُ ما تحدِث الأيامُ من غِيَرٍ * يا ابنَ الزبير عن الدنيا يُسلِّينا

كنّا نجىءُ ابنَ عباسٍ فيُقبِسنا * علمًا ويُكسِبنا أجرًا ويَهدينا

ولا يزال عبيدُ الله مترَعةً * جِفانُه مُطعِمًا ضَيفًا ومسكينا

فالبِرُّ والدِّينُ والدُّنيا بدارِهما * ننال منها الذى نبغى إذا شِينا

إن النبىَّ هو النور الذى كُشِفت * به عَمَاياتُ باقينا وماضينا

ورهطُه عِصمةٌ فى ديننا ولهمْ * فضلٌ علينا وحقٌّ واجبٌ فينا

ولستَ فاعلَمْهُ أولى منهمُ رحِمًا * يا ابنَ الزبير ولا أولَى به دِينا

ففيمَ تمنعُهُمْ عنّا وتمنعنا * منهم ، وتؤذيهمُ فينا وتؤذينا

لن يؤتِىَ اللهُ مَنْ أخزى ببغضهم * فى الدين عِزًّا ولا فى الأرض تمكينا[3]

(١) منسوبة إلى أبى تراب ، وهى كنية على بن أبى طالب .

(٢) ضوى إليه : أوى وانضم .

(٣) ط : « من أجرى » بالجيم .

أخبرنى الحسن بن على قال: حدّثنى هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال: حدثنى الزبير بن بكار قال: حدّثنى بعض أصحابنا:

شدّة حزنه حين سمع غناء فيه رثاء ولده

أن أبا الطفيل عامر بن واثلة دُعِى فى مأدُبة، فغنَّت فيها قينةٌ قولَه يرثى ابنه:

خَلَّى طفيلٌ علىَّ الهمَّ وانشعبا * وهدَّ ذلك ركنى هَدَّةً عجبا

فبكَى حتّى كاد يموت

وقد أخبرنى بهذا الخبر عمى عن طلحة بن عبد الله الطلحى، عن أحمد بن إبراهيم: أنَّ أبا الطفيل دُعِى إلى وليمة فغنت قينة عندهم:

خَلَّى علىَّ طُفيلُ الهمَّ وانشعبا * وهدَّ ذلك ركنى هدّةً عَجَبا

وابنَىْ سُميةَ لا أنساهما أبدا * فيمن نسيت وكلٌّ كان لى وَصَبا

فجعل يَنْشِج ويقول: هاه هاه طُفيل! ويبكى حتَّى سقط على وجهه ميتا.

وأخبرنى محمد بن مزيد قال: حدّثنا حماد عن أبيه بخبر أبى الطفيل هذا، فذكر مثل ما مضى، وزاد فى الأبيات:

فاملِكْ عزاءَكَ إنْ رزءٌ بليتَ به * فلن يردَّ بكاءُ المرء ما ذهبا

وليس يَشفِى حزينًا من تذكُّره * إلّا البكاءُ إذا ما ناح وانتحبا

فإذْ سلكتَ سبيلًا كنتَ سالكَها * ولا محالةَ أن يأتِى الذى كُتبا

فما لبطنك من رىٍّ ولا شِبَعٍ * ولا ظلِلتَ بباقِى العيش مُرْتغبا[1]

وقال حماد بن إسحاق حدّثنى أبى قال: حدّثنى أبو عبد الله الجمحى عن أبيه قال:

---

(١) المرتغب: الراغب، كما فى القاموس. وفى عدة أصول: «بنا فى العيش مرتعبا» تحريف.

غناء طويس بشعر لأبى الطفيل

بينا فتيةٌ من قريش ببطنِ محسِّر يتذاكرون الأحاديثَ و يتناشدون الأشـعار ، إذْ أقبلَ طُويسٌ وعليه قميص قُوهِىٌّ وحبَرة قد ارتدى بها[1] ، وهو يَخطِر فى مِشيته ، فسلَّم ثم جلس ، فقال له القومُ : يا أبا عبـد المنعم ، لو غنّيتنا ؟ قال : نَعَمْ وكرامةً أغنيكم بشـعرِ شيخ من أصحاب رسـول الله صلى الله عليه وسـلم ، من شيعة علىّ ابن أبى طالب عليه السلام ، وصاحِبِ رايته ، أدركَ الجاهلية والإسلام ، وكان سيّدَ قومه وشاعرَهم . قالوا : ومن ذاك يا أبا عبد المنعم فَدَتك أنفسُـنا ؟ قال : ذلك أبو الطُّفيل عامر بن واثلة ، ثم اندفع فغنّى :

أيَدعوننى شيخًا وقد عِشتُ حِقبةً * وهُنَّ من الأزواج نَحـوِى نوازعُ

فطرِب القومُ وقالوا : ما سمعنا قطُّ غناءً أحسنَ من هذا .

وهذا الخبر يدلُّ على أن فيه لحنًا قديمـا ولكنّه ليس يُعرف .

صـــوت

لمن الدّارُ أقفــرت بمَعـانِ * بين شاطى اليَرموك فالصَّمّانِ[2]

فالقُرَيّات من بلاس فـدَارَ * يّا فسَـكّاءَ فالقُصـورِ الدوانى[3]

ذاكَ مغنًى لآلِ جفنةَ فى الدّهـ * ـرِ وحقٌّ تصرُّفُ الأزمانِ[4]

صلواتُ المسيح فى ذلك الديـ * ـرِ دعاءُ القِسّيس والرُّهبانِ

(١) القوهى : ثياب بيض منسوبة إلى قوهستان . والحبرة ، بالتحريك وكعنبة : ضرب من برود اليمن منمر .

(٢) معان ، بالفتح والمحدثون يقولونه بالضم : مدينة فى طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحى البلقاء . والصمان هى أيضا رواية ياقوت ، وقال : « فيما أحسب من نواحى الشام بظاهر البلقاء » . قلت : وصواب الرواية « الخمان » كما فى ديوان حسان ٤١٤ وهى من نواحى البثنية من أرض الشام .

(٣) بلاس بالفتح : بلد بينه وبين دمشق عشرة أميال . وداريا : بفتح الراء : قرية كبيرة من قرى دمشق بالغوطة ، ينسب إليها الدارانى . وسكاء ، بالسين المهملة : قرية من قرى دمشق فى الغوطة . ص ، ها ، مط : « شكاء » تحريف .

(٤) رواية الديوان ٤١٥ : « فى الدهر » كما أثبت من ها . وفى سائر الأصول هنا : « فى الدار » .

الشعر لحسان بن ثابت ، والغناء لحُنَين بن بَلوع ، خفيف ثقيل أوّل بالسبابة فى مجرى الوسطى .

وهذا الصوت من صُدور الأغانى ومختارها ، وكان إسحاقُ يقدّمه و يفضّله .

ووجدتُ فى بعض كتبه بخطه قال : الصَّيحة التى فى لحن حنين :

* لمن الدارُ أقفرت بمَعَانِ *

أُخرِجَت من الصدر ، ثم من الحلق ، ثم من الأنف ، ثم من الجبهة ، ثم نُبِرت[1] فأخرجت من القِحف ، ثم نُوِّنت[2] مردودةً إلى الأنف ، ثم قُطِعت .

وفى هذه الأبيات وأبياتٍ غيرها من القصيدة ألحانٌ لجماعة اشتركوا فيها ، واختلف أيضا مؤلفو الأغانى فى ترتيبها ونسبة بعضها مع بعض إلى صاحبها الذى ١٠ صنعها ، فذكرتُ هاهنا على ذلك وشرح ما قالوه فيها . فمنها :

صــــوت

قد عفا جاسمٌ إلى بيت رأسٍ * فالحَوانِى فجانبُ الجَولانِ[3]

فحِمَى جاسمٍ فأبنيةُ الصُّفَّرِ مغنَى قنابلٍ وهِجانِ[4]

فالقُرَيات من بَلاسَ فداريّا فسَكّاءَ فالقصورِ الدّوانى

١٥ قد دنا الفِصحُ فالولائدُ يَنظِمْـ * ـنَ سِراعاً أكِلّةَ المَرجانِ[5]

---

(١) نبرت : بفتح . فى ها : « نترت » ، وفى مط : « مرت » . وأثبت ما فى ط . وفى سائر الأصول : « نبرت » .

(٢) ما عدا ط ، ها ، مط : « بوثت » . (٣) الجولان ، بالفتح : جبل من نواحى دمشق .

(٤) القنابل : جمع قنبل وقنبلة بالفتح ، وهى الطائفة من الناس ومن الخيل . والهجان من ٢٠ الناس : الخالص الكريم ، ومن الإبل : البيض الكرام .

(٥) الفصح من أعياد النصارى واليهود ، انظر تحقيق لفظه وتاريخه فى حواشى الحيوان (٤ : ٥٢٤) .

يتبـارَيْنَ فى الدعاء إلى اللّـ ـــ ـهِ وكلُّ الدّعاءِ للشـــيطان

ذاك مغنًى لآل جفنةَ فى الدهـ * ـرِ وحَقٌّ تصـــرُّف الأزمان (١)

صلواتُ المسيح فى ذلك الدَّيـ * ـر دعاءُ القسّيس والرُّهبـان

قد أرانى هُنـاك حقَّ مَكينٍ * عند ذى التاج مَقعدِى ومكانى

ذكر عمرو بن بانة أنّ لابن محرز فى الأوّل من هــذه الأبيات والرابع خفيف ثقيل أوّل بالبنصر . ٥

وذكر على بن يحيى أنّ لابن مسريج فى الرابع والخامس رمــلا بالوسطى ، وأن لمعبدٍ فيهما وفيما بعدهما من الأبيات خفيفَ ثقيل، ولمحمد بن إسحاق بنُ برثع (٢) ثقيلَ أوّل فى الرابع والثامن .

وذكر الهشامى أنّ فى الأوّل لمـالك خفيفَ ثقيل ، ووافقه حبش . وذكر حبشٌ أنّ لمعبد فى الأوّل والثانى والرابع ثقيلا أوّل بالبنصر . ١٠

---

(١) فى جميع الأصول «ابتداء هذا» . «فى الدير» ، صواب هذه من الديوان .

(٢) فى القاموس : «برثع كقنفذ : اسم» . والكلمة فى ط ، مط : «بزيع» وفيما سواها : «برثع»

٢
١٤

أخبار حَسّانَ وجَبَلة بن الأَيْهَم

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرى وحبيبُ بن نصر المهلّبى قالا : حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنى هارون بن عبد الله الزُّهرى قال : حدّثنى يوسف ابن الماجِشُون عن أبيه قال :

لقاء حسان لجبلة واستنشاد جبلة له بعد النابغة وعلقمة وإجازته

قال حسان بن ثابت : أتيتُ جبلةَ بن الأيهم الغسّانى وقد مدحتُه ، فأذِن لى فجلستُ بين يديه ، وعن يمينه رجلٌ له ضَفيرتانِ ، وعن يساره رجلٌ لا أعرفه ، فقال : أتعرف هذين ؟ فقلت : أمّا هذا فأعرفه ، وهو النابغة ، وأما هذا فلا أعرفه . قال : فهو عَلقمة بن عَبَدة ، فإن شئتَ استنشدتَهما وسمعتَ منهما ، ثم إنْ شئتَ أن تُنشِد بعدهما أنشدتَ ، وإن شئتَ أن تسكتَ سكتَّ . قلت : فذاك . قال : فأنشده النابغة :

كِلِينِى لهَمٍّ يا أُميمةَ ناصِبِ * وليلٍ أُقاسيه بطىءِ الكواكِبِ

قال : فذهبَ نِصفى . ثم قال لعلقمة : أنشدْ . فأنشدَ :

طَحابك قلبٌ فى الحسان طروبُ * بُعيدَ الشباب عصرَ حانَ مَشيبُ (١)

فذهب نصفى الآخَر فقال لى : أنت أعلم ، الآنَ إن شئت أن تنشِدَ بعدهما أنشدتَ ، وإن شئت أن تسكت سكتَّ . فتشدّدتُ ثم قلت : لا بل ، أُنشِد . قال : هات . فأنشدتُه :

لله دَرُّ عصابةٍ نادمتُها * يومًا بجِلّقَ فى الزّمان الأوّلِ (٢)

أولادِ جَفنة عندَ قبر أبيهم * قبرِ ابن ماريةَ الكريمِ المفضلِ

يَسقُون مَن وَرَدَ البريصَ عليهم (٣) * كأسا تُصفَّق بالرحيق السلسلِ

(١) طحا به قلبه : ذهب به فى كل مذهب . (٢) هذا البيت لم يرو فى ط ، ها ، مط .
(٣) البريص : نهر بدمشق .

٣/١٤

يُغشَون حتّى ما تهِرُّ كلابُهم * لا يسألون عن السّواد المقبل

بيضُ الوجوهِ كريمةٌ أحسابهم * شمُّ الأنوف من الطرازِ الأوّل

فقال لى : ادنُه ادنه ، لعمرى ما أنتَ بدونهما . ثم أمر لى بثلثمائة دينار ، وعشرةِ أقمصةٍ لها جيبٌ واحد ، وقال : هذا لك عندنا فى كلّ عام .

٥ وقد ذكر أبو عمرو الشّيبانى هذه القصة لحسانَ ووصفها وقال : إنّما فضّله عمرو بن الحارث الأعرج ، ومدحه بالقصيدة اللامية . وأتى بالقصّة أتمّ من هذه الرواية .

قدومه على عمرو ابن الحارث ولقاؤه النابغة وعلقمة

قال أبو عمرو : قال حسان بن ثابت : قدمتُ على عمرِو بن الحارث فاعتاصَ الوصولُ علىّ إليه ، فقلتُ للحاجب بعد مدّة : إنْ أذنتَ لى عليه وإلا هجوتُ اليمنَ كلّها ثم انقلبتُ عنكم . فأذِن لى فدخلتُ عليه فوجدتُ عنده النابغةَ وهو جالسٌ ١٠ عن يمينه، وعلقمةَ بن عَبَدة وهو جالسٌ عن يساره، فقال لى : يا ابن الفُرَيعة ، قد عرَفتُ عِيصَك(١) ونَسَبك فى غسّان فارجعْ فإنّى باعثٌ إليك بِصلة سَنيّة، ولا أحتاجُ إلى الشعر، فإنّى أخاف عليك هذين السَّبُعين : النابغة وعلقمة ، أن يفضحاك ، وفضيحتُك فضيحتى، وأنتَ والله لا تحسنُ أن تقول :

١٥ رِقاق النِّعال طيّبٌ حجزاتهم * يُحَيَّون بالريحانِ يوم السّباسِب

فأبيتُ وقلت : لا بدّ منه . فقال : ذاك إلى عمّيك . فقلت لهما : بحقّ الملك إلّا قدّمتمانى عليكما . فقالا : قد فعلنا . فقال عمرو بن الحارث : هات يا ابن الفُرَيعة . فأنشأت :

استنشاد عمرو ابن الحارث له وتفضيله عليهما

أسألتَ رسمَ الدّارِ أم لم تسألِ * بينَ الجوابى فالبُضَيع فحوملِ(٢)

(١) العيص ، بالكسر : الأصل . (٢) الجوابى ، هى فى الديوان : « الجوابى » . وفى شرحه : « أراد جابية الجولان . والجولان ما بين دمشق إلى الأردن » . البضيع ، بالتصغير : جبل بالشام أسود . ٢٠ حـ : «بالنصيع» وفى سائر النسخ ما عدا ط : «فالبصيع» صوابهما فى ط .

فقال : فلم يزل عمرو بن الحارث يزحل[1] عن موضعه سروراً حتى شاطر البيت وهو يقول : هذا وأبيكَ الشِّعرُ ، لا ما تُعلِّلانى به منذُ اليوم ! هذه والله البتَّارة[2] التى قد بَتَرت المدائح ، أحسنتَ يا ابن الفريعة ، هات له يا غلامُ ألفَ دينار مرجوحة[3] وهى التى فى كلِّ دينار عشرةُ دنانير . فأُعطِيتُ ذلك ثم قال : لك علىَّ فى كلِّ سنة مثلُها .

النابغة يقول الثناء المسجوع فى عمرو ابن الحارث

ثم أقبلَ على النابغة فقال : قم يا زيادُ فهاتِ الثَّناءَ المسجوع . فقام النابغة فقال :

ألا انعم صباحًا أيُّها الملك المبارَك ، السَّماء غطاؤك ، والأرض وطاؤك ، ووالداىَ فداؤك ، والعربُ وِقاؤك ، والعجم حِماؤك[4] ، والحكماء جُلساؤك ، والمَدَاره[5] سُمّارك ، والمقاول[6] إخوانك ، والعقل شِعارُك ، والحلم دِثارك ، والسكينة مِهادُك ، والوَقار غِشاؤك ، والبِرُّ وِسادك ، والصِّدق رداؤك ، واليُمْن[7] حِذاؤك ، والسَّخاء ظِهارتك ، والحَمِيّة بِطانتُك ، والعَلاء عَلايتك[8] ، وأكرم الأحياء أحياؤك[9] ، وأشرفُ الأجداد أجدادك ، وخير الآباء آباؤك ، وأفضل الأعمام أعمامك ، وأسْرَى الأخوالِ أخوالك ، وأعفُّ النساء حلائلك ، وأفخر الشّبان أبناؤك ، وأطهر الأمّهات أمّهاتك ،

(١) يزحل : يتنحى ويتباعد . (٢) أ ، ط ، حـ ، ها ، مط : «البتَّاتة» . والبت والبتر بمعنى .
(٣) ط ، ها ، مط : «مرموجة» أ : «مرجوجة» . وأثبت ما فى سائر النسخ . وقد تكون هذه التسمية من قبيل التسمية بالأضداد ، كما يقال للديغ سليم .
(٤) فى اللسان : «ويقال حماء لك بالمد ، فى معنى فداء لك» .
(٥) المداره : جمع مدره كمنبر ، وهو المقدم فى اللسان واليد عند الخصومة والقتال .
(٦) المقاول : جمع مقول بالكسر ، وهو الملك من ملوك حمير دون الملك الأعلى .
(٧) اليمن ، البركة وخلاف الشؤم . أى تسير البركة تحت قدميه .
(٨) العلاية ، بالفتح : كل موضع مرتفع . ط ، ها ، مط : «غايتك» أ ، حـ : «غلايتك» وأثبت ما فى سائر النسخ . (٩) الأحياء : جمع حى ، وهو البطن من بطون العرب .

وأعلى البنيان بُنيانك، وأعذبُ المياه أمواهُك، وأفيح الدارات داراتك،[1] وأنزه الحدائق حدائقُك،[2] وأرفع اللباس لباسُك، قد حالف الإضريجُ عاتقيك،[3] ولاءم المسكُ مَسْكَك،[4] وجاورَ العنبر ترائبك، وصاحَبَ النعيمُ جسدَك. العسجدُ آنيتك. واللُّجين صحافُك، والعَصْب مناديلك،[5] والحُوّارَى طعامُك،[6] والشّهد إدامُك. واللذات غذاؤك،[7] والخرطوم شرابك،[8] والأبكار مستراحك، والأشراف مناصفك،[9] والخير بفنائك، والشّر بساحة أعدائك، والنّصر منُوطٌ بلوائك، والخذلان مع ألوية حُسّادك، والبر فعلُك. قد طحطح عدوّك غضبك،[10] وهزم مغايبهم مشهدُك،[11] وسارَ فى الناس عدلُك، وشسَع بالنصر ذكرك،[12] وسكّن قوارعَ الأعداء ظفرك.

٤/١٤

(١) أفيح: أوسع. دار فيحاء: واسعة. ط، مط «دارتك» بالإفراد. ها: «وأفيح الديار دارك».

(٢) مكان نزه: بعيد عن الريف وغمق المياه وذبان القرى.

(٣) الإضريج: ضرب من الأكسية أصفر، أو هو الخز الأحمر.

(٤) لاءم: وافق. والمسك، بالفتح: الجلد.

(٥) العصب: ضرب من برود اليمن.

(٦) الحوارى، بضم الحاء وتشديد الواو وفتح الراء مع القصر: الدقيق الأبيض، وهو لباب الدقيق وأجوده وأخلصه. وفى جمهور الأصول: «الحوار» مع ضبطها فى ط بضم الحاء وتشديد الراء. وفى حـ بتشديد الواو فقط. والصواب ما أثبت من ها.

(٧) اللذات: اللذيذات من الأطعمة. واللذ واللذة: اللذيذ.

(٨) الخرطوم: الخمر السريعة الإسكار. والسلاف: الذى سال من غير عصير.

(٩) المناصف: جمع منصف، كمقعد ومنبر، وهو الخادم.

(١٠) طحطحهم: بددهم وفرقهم وكسرهم. والعدو هنا: الأعداء.

(١١) المغايب: جمع مغيب مقابل المشهد. والكلمة محرفة فى الأصول. فهى فى ط، حـ، أ، ها، مط: «مقانبهم» وهى مع صحتها لا تلائم نسج القول. وفى سائر الأصول: «مغانيهم».

(١٢) شسع: صار بعيدا ذائعا.

الذهبُ عطاؤك ، والدواة رمزك[1] ، والأوراق لحظُك و إطراقك ، وألف دينارٍ مرجوحةٍ[2] إنماؤك[3] . أيفاخرك المنـذرُ اللخمى ، فوالله لَقفاكَ خيرٌ من وجهه ، ولشمالك خيرٌ من يمينه ، ولأخمَصُك[4] خيرٌ من رأسه ، ولخطاؤك[5] خير من صـوابه ، ولصمتُك خيرٌ من كلامه ، ولأمّك خير من أبيه ، ولخدمك خيرٌ من قومه . فهبْ لى أسارَى قومى ، واسْتَرْهن[6] بذلك شكرى ؛ فإنّك من أشراف قحطان ، وأنا من سَرَوات عدنان .

إعجاب عمرو ابن الحارث بالنابغة ومدح حسان.

فرفع عمرٌو رأسَه إلى جاريةٍ كانت قائمةً على رأسه وقال : بمثل هذا فليُثْنَ على الملوك ، ومثلُ ابن الفُريعة فليمدحْهم ! وأطلق له أسرى قومه .

وذكر ابن الكلبى ، هـذه القصّة نحوَ هـذا وقال : فقال له عمـرو : اجعَل المفاضلةَ بينى و بين المنذر شعرًا فإنه أسيَر[7] . فقال :

ونُبِّئت أن أبا منـذرٍ * يُسـاميك للحدَث الأكبرِ

قَذَالك أحسنُ من وجهه * وأمّكَ خـيرٌ من المنـذرِ

ويُسراك أجْوَدُ من كفّه الـ * يمين فقُـولا له أخّـرِ[8]

(١) الرمز : الإشارة .

(٢) ط ، ها ، مط : «مرموجة» أ : « مرجوجة » . وقد سبق الكلام على تحقيقه فى ١٥٩ .

(٣) الإنماء : الزيادة .

(٤) الأخمص : هو من باطن القدم ما لا يصيب الأرض .

(٥) الخطاء : الخطأ . ماعدا ط ، حـ ، أ ، ها ، مط « ولخطؤك » .

(٦) استرهن ، من الرهن ، رهن لك الشىء : أقام ودام .

(٧) أسير : أكثر سيرا بين الناس وشهرة .

(٨) ماعدا ط ، حـ ، أ ، ها ، مط : « أبر » ، تحريف .

وقد ذكر المدائنى أنّ هذه الأبيات والسجعَ الذى قبلها لحسان، وهذا أصحّ .

قدوم جبلة بن الأيهم على عمر ثم تنصره ورحلته إلى هرقل

قال أبو عمرو الشيبانى : لمّا أسلم جبَلة بن الأيهم الغسانى وكان من ملوك آل جَفنة ، كتب إلى عمر رضى الله عنه يستأذنه فى القُدوم عليه ، فأذِنَ له عمر فخرج إليه فى خمسمائة من أهل بيته ، من عَكّ وغسان ، حتّى إذا كان على مرحلتين كتب إلى عُمر يُعلمه بقدومه ، فسُرّ عمر رضوان الله عليه ، وأمر الناسَ باستقباله ، وبعث إليه بأنزالٍ[1] ، وأمر جبلةُ مائتى رجلٍ من أصحابه فلبِسوا الدِّيباج[2] والحرير ، وركبوا الخيول معقودةً أذنابُها ، وألبسوها قلائدَ الذهب والفضة ، ولبس جبلةُ تاجَه وفيه قُرطَا مارية — وهى جدّته — ودخل المدينة ، فلم يبقَ بها بكرٌ ولا عانسٌ إلّا تبرجت وخرجَتْ تنظر إليه وإلى زِيّه ، فلما انتهى إلى عُمر رحّب به وألطفَه وأدنى مجلسَه ، ثم أراد عمرُ الحجَّ فخرج معه جبلةُ ، فبينا هو يطوف بالبيت وكان مشهوراً بالموسم ، إذ وطئ إزارَه رجلٌ من بنى فزارة فانحلّ ، فرفع جبلةُ يدَه فهشم أنفَ الفزارى ، فاستعدى عليه عمرَ رضوان الله عليه ، فبعثَ إلى جبلة فأتاه فقال : ما هذا ؟ قال : نَعَمْ يا أمير المؤمنين ، إنّه تعمّدَ حلَّ إزارى ، ولولا حُرمة الكعبة لضربتُ بين عينيه بالسّيف ! فقال له عمر : قد أقررت فإمّا أنْ رضىَ الرجلُ وإمّا أن أقيدَه منك . قال جبلة : ما ذا تصنع بى ؟ قال : آمُر بهشْم أنفك كما فعلتَ . قال : وكيف ذاك يا أمير المؤمنين ، وهو سُوقةٌ وأنا ملك ؟ قال : إنّ الإسلام جَمَعك وإياه ، فلستَ تفضُله بشىءٍ إلا بالتُّقى والعافية ! ! قال جبلة : قد ظننتُ يا أمير المؤمنين أنّى أكون فى الإسلام أعزّ منى فى الجاهلية . قال عمر : دَعْ عنك هذا فإنّك إن لم تُرضِ الرجلَ أقدتُه منك . قال : إذاً أتنصّر . قال :

(١) الأنزال : جمع نزل ، بضم وبضمتين ، وهو ما يهيأ للضيف أن ينزل عليه .

(٢) ما عدا ط ، ها ، مط : « السلاح » .

٥/١٤

إنْ تنصّرتَ ضربتُ عنقك، لأنّك قد أسلمت، فإن ارتددتَ قتلتُك . فلما رأى جبلةُ الصِّدقَ من عمر قال : أنا ناظرٌ فى هذا ليلتى هذه . وقد اجتمع بباب عمر من حىٍّ هذا وحىٍّ هذا خلقٌ كثير، حتى كادت تكون بينهم فتنة، فلما أمسَوْا أذِن له عمر فى الانصراف ، حتّى إذا نام الناس وهدءوا تحمل جبلةُ بخيله ورَوَاحله إلى الشأم، فأصبحتْ مكةُ وهى منهم بَلاقع، فلما انتهى إلى الشأم تحمل فى خمسمائة رجل من قومه حتّى أتى القُسطنطينية ، فدخل إلى هِرَقل ، فتنصّر هو وقومه ، فسُرّ هرقلُ بذلك جداً وظنّ أنه فتحٌ من الفتوح عظيم ، وأقطعه حيثُ شاء ، وأجرى عليه من النُّزل ما شاء ، وجعلَه من محدِّثيه وسُمّاره . هكذا ذكر أبو عمرو .

وذكر ابن الكلبى أنّ الفزارىّ لما وطئ إزارَ جبلة لطم جبلةَ كما لطمه ، فوثبت غَسّان فهشموا أنفه وأتوا به عمر، ثم ذكر باقى الخبر نحو ما ذكرناه .

وذكر الزبير بن بكار فيما أخبرنا به الحرمى بن أبى العلاء عنه أن محمد بن الضحاك حدثه عن أبيه :

قصة أخرى فى سبب تنصره

أن جبلةَ قدم على عمر رضى الله عنه فى ألف من أهل بيته فأسلم . قال : وجرى بينه وبين رجلٍ من أهل المدينة كلامٌ، فسبّ المدينى(1) فرد عليه، فلطمه جبلة فلطمه المدينى، فوثب عليه أصحابُه فقال: دَعُوه حتّى أسألَ صاحبه وأنظرَ ما عنده. فجاء إلى عمر فأخبره فقال : إنك فعلتَ به فعلاً ففَعَل بك مثلَه . قال : أوَ ليس عندك من الأمر إلا ما أرى . قال : لا فما الأمر عندكَ يا جبلة ؟ قال : من سبَّنا ضربناه، ومن ضربَنا قتلناه . قال : إنما أُنزل القرآن بالقصاص . فغضب وخرج بمن معه ودخلَ أرضَ الروم فتنصّر، ثم ندم وقال :

* تنصّرتِ الأشرافُ من عارِ لطمة *

(1) ما عدا ط، أ، ها : «المدنى»، تحريف.

وذكر الأبيات، وزاد فيها بعد :

ويا ليتَ لى بالشأم أدنى معيشةٍ * أجالسُ قومى ذاهبَ السمع والبصَرْ

أدين بما دانوا به من شريعةٍ[1] * وقد يحبس العَود الضَّجور على الدَّبَرْ

وذكر باقى خبره فيما وجّه به إلى حسان مثله، وزاد فيه :

دعوة معاوية وعمر جبلة بن الأيهم الرجوع إلى الإسلام

أنّ معاويةَ لما ولى بعثَ إليه فدعاه إلى الرجوع إلى الإسلام، ووعده إقطاع الغُوطة بأسْرها، فأبى ولم يقبل . ثم إنّ عمر رضى الله عنه بدا له أن يكتبَ إلى هرقل يدعوه إلى الله جل وعز وإلى الإسلام، ووجّه إليه رجلاً من أصحابه، وهو جَثّامة بنُ مساحِق الكنانى، فلما انتهى إليه الرجُل بكتاب عمرَ أجاب إلى كلِّ شيء سوى الإسلام، فلما أراد الرسولُ الانصرافَ قال له هرقل : هل رأيتَ ابن عمِّك هذا الذى جاءنا راغباً فى ديننا ؟ قال : لا . قال : فالقَه . قال الرجل : فتوجهتُ إليه فلما انتهيت إلى بابه رأيتُ من البهجة والحسن والسُّرور ما لم أرَ بباب هرقلَ مثله، فلما أدخِلت عليه إذا هو فى بهوٍ عظيم، وفيه من التصاوير ما لا أحسن وصفَه، وإذا هو جالس على سريرٍ من قَوارير، قوائمه أربعةُ أُسْدٍ من ذهب، وإذا هو رجلٌ أصهبُ سِبالٍ وعُثنون، وقد أمر بمجلِسه فاستُقبِل به وجه الشمس، فما بينَ يديه من آنية الذهب والفضّة يلوح، فما رأيتُ أحسنَ منه . فلمّا سلمتُ ردّ السلام ورحّب بى، وألطفَنى ولامنى على تركى النزول عنده، ثم أقعدَنى على شىء لم أثبته، فإذا هو كرسىٌّ من ذهَب، فانحدرت عنه فقال : مالكَ ؟ فقلت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نَهَى عن هذا . فقال جبلةُ أيضا مثلَ قولى فى النبى صلى الله عليه وسلم حين ذكرته، وصلّى عليه . ثم قال : ياهذا إنّك إذا طهّرتَ قلبك

[1] ط، مط : « بما كانوا» . العود، بالفتح : المسن من الإبل . والدبر : قرحة الدابة .

لم يَضرك ما لبسته ولا ما جلست عليه . ثم سألنى عن الناس وألحفَ فى السؤال عن عمر، ثم جعل يفكّر حتى رأيت الحزنَ فى وجهه، فقلتُ : ما يمنعك من الرجوع إلى قومك والإسلام؟ قال : أبعدَ الذى قد كان؟ قلت : قد ارتد الأشعثُ بن قيس ومنَعهُم الزكاةَ وضربهم بالسّيف ثم رجَع إلى الإسلام . فتحدّثنا مليًّا ثم أومأ إلى غلامٍ على رأسه فولّى يُحْضِر، فما كان إلّا هنيهةً حتّى أقبلت الأخونةُ يحملها الرجال فوضِعت ، وجِيء بخِوان من ذهبٍ فوضِع أمامى فاستعفيتُ منه . فوضع أمامى خُوانُ خَلَنج[1] وجاماتُ[2] قواريرٍ ، وأديرت الخمرُ فاستعفَيت منها ، فلما فرغنا دعا بكأسٍ من ذهب فشرب به[3] خمسًا عددا . ثم أومأ إلى غلامٍ فولّى يُحضِر ، فما شعَرتُ إلا بعشر جَوارٍ يتكسّرن فى الحَلْى ، فقعد خمسٌ عن يمينه وخمسٌ عن شِماله، ثم سمعتُ وسوسةً من ورائى، فإذا أنا بعشرٍ أفضلَ من الأولِ عليهن الوشىُ والحَلْى ، فقعد خمسٌ عن يمينه وخمس عن شماله ، وأقبلت جاريةٌ على رأسها طائر أبيض كأنّه لؤلؤة ، مؤدّب ، وفى يدها اليمنى جامٌ فيه مِسك وعنبر قد خُلِطا وأنعِم سحقُهما ، وفى اليسرى جامٌ فيه ماء ورد، فألقت الطائر فى ماء الورد، فتمعّك[4] بين جناحيه وظهره وبطنه ، ثم أخرجتْه فألقته فى جام المسك والعنبر ، فتمعّك فيها حتى لم يدَعْ فيها شيئا . ثم نَفّرته فطار فسقط على تاج جَبَلة ، ثم رفرف ونفض ريشَه فما بقى عليه شىءٌ إلّا سَقط على رأس جبلة . ثم قال للجوارى : أطرِبْننى . فخفَقن بعيدانهنّ يغنين :

تسرف جبلة ابن الأيهم

(١) الخلنج : شجر تتخذ من خشبه الأوانى ونحوها ، فارسى معرب . وما عدا ط ، أ ، ها ، مط . « خليج » محرف .

(٢) الجام : إناء ذكر اللغويون أنه من الفضة . والقوارير : الزجاج .

(٣) هذا ما فى ها . وفى ط ، أ ، مظ : « فيه » وسائر النسخ : « منه »

(٤) تمعك : تمرغ .

لله درُّ عصابةٍ نادمتُهم * يومًا بجِلَّق فى الزمان الأوّلِ
بيضِ الوجوه كريمةٍ أحسابُهم * شُمِّ الأنوف من الطِّراز الأوّلِ
يُغشَونَ حتّى ما تهرُّ كلابُهم * لا يسألون عن السَّواد المقبلِ

فاستهلّ واستبشر وطرِب ثم قال : زِدنَنى . فاندفَعن يغنّين :

لمن الدارُ أقفرَتْ بمَعَانِ * بين شاطِى اليرموك فالصَّمّانِ [1]
فحِمَى جاسم فأبنيةِ الصُّفْرِ مغنَى قنابلٍ وهِجانِ [2]
فالقُرياتِ من بلَاس فدارَ * يّا فسَكّاءَ فالقصورِ الدوانى
ذاكَ مغنًى لآل جفنة فى الدّا * رِ وحقٌّ تعاقُبُ الأزمانِ
قد دنا الفِصحُ فالولائدُ ينظِمـ * نَ سِراعًا أكِلّةَ المرجانِ
لم يُعلَّلْنَ بالمغافير والصَّمـ * غِ ولا نَقْفِ حَنظلِ الشِّريانِ [3]
قد أرانى هناكَ حقًّا مكينًا * عندَ ذى التاج مَقعدِى ومكانى

فقال : أتعرف هذه المنازل ؟ قلت : لا . قال : هذه منازلُنا فى مُلكنا بأكناف دمشق ، وهذا شعر ابنِ الفُريعة حسّانَ بن ثابت ، شاعرِ رسول الله صلى الله عليه وسلم . قلت : أمَا إنّه مضرورُ البصرِ كبيرُ السنّ . قال : يا جاريةُ هاتِى . فأتته بخمسمائةِ دينارٍ وخمسة أثوابٍ من الدِّيباج ، فقال : ادفعْ هذا إلى حسانَ وأقرِئه منّى السلام . ثم أرادنى على مثلها ، فأبيتُ فبكى ، ثم قال لجواريه : أبكِيَنَنى . فوضعن عِيدانَهنّ وأنشأن يقلن : [4]

إرساله صلة إلى حسان عند ما علم أنه مضرور

بكاؤه من سماع شعر حسان

(١) سبق الكلام على البيت وروايته فى ص ١٥٤ .
(٢) ما عدا ط ، أ ، مط : « قبائل » وقد مضى تفسير البيت فى ص ١٥٥ .
(٣) الشريان ، بالكسر : موضع .
(٤) ما عدا ط ، ها ، مط ، جـ : « راودنى » .

تنصّرت الأشرافُ من عار لطمة * وما كان فيها لو صبرتُ لها ضَرَرْ
تكنّفنى فيهــا لجَــاجٌ ونَخــوةٌ * وبِعتُ بها العينَ الصحيحةَ بالعوَر
فيا ليتَ أمّى لم تلِدْنى وليتَــنى * رجَعتُ إلى القول الذى قال لى عمر
و ياليتَــنى أرعَى المخاضَ بقَفرةٍ * وكنتُ أسيرًا فى ربيعةَ أو مُضَر [1]
٥ وياليت لى بالشأم أدنى معيشةٍ * أجالِسُ قومى ذاهبَ السّمعِ والبصرْ

ثم بكى وبكيتُ معــه حتّى رأيت دموعَه تجول على لحيته كأنّها اللؤلؤ ، ثم سلّمت عليه وانصرفت ، فلما قدمتُ على عمَر سألنى عن هِرَقل وجَبَلة ، فقصصتُ عليه القصّــةَ من أوّلها إلى آخرها ، فقال : أوَ رأيتَ جبلةَ يشرب الخمر ؟ قلت : نعم . قال : أبعده الله ، تعجّلَ فانيةً اشتراها بباقية ، فما رَبِحتْ تجارته ، فهل سَرّح معك ١٠ شــيئًا ؟ قلت : سَرح إلَى حسان خمسمائة دينار وخمســةَ أثواب ديباج . فقال : هاتها . و بعثَ إلى حسّــان فأقبل يقودُه قائده حتّى دنا فسلّم ، وقال : يا أمير المؤمنين ، إنّى لأجد أرواحَ آلِ جفنة . فقال عمــر رضى الله عنــه : قد نزع الله تبارك وتعالى لك منه على رَغْم أنفه ، وأتاك بمعونة . فانصرفَ عنه وهو يقول :

إنّ ابنَ جفنةَ من بقيّة مَعشرٍ * لم يَغــذُهم آباؤهم باللّــومِ
١٥ لم يَنسنِى بالشّام إذ هو ربُّهــا * كــلّا ولا متنصّرًا بالرومِ
يُعطى الجزيل ولا يَراه عنده * إلّا كبعض عطيّــةِ المذمومِ
وأتيتُــه يومًا فقــرّب مجلسى * وســقَى فروّانى من الخُرطومِ [2]

---

(١) ما عدا ط ، ها ، مط : « بدمنة » . وما أثبت من هــذه النسخ يوافق ما فى شروح سقط الزند ٣٠٢ . والخبر فيهــا برواية أخرى ٢٩٥ — ٣٠٣ .
٢٠ (٢) الخرطوم ، سبق تفسيرها فى ص ١٦٠ .

فقال له رجلٌ فى مجلس عمر : أتذكر قومًا كانوا ملوكا فأبادهم الله وأفناهم ؟ ! فقال : ممن الرجل ؟ قال : مُزَنِىّ . قال : أمّا والله لولا سوابقُ قومِك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لطَوّقتُك طَوقَ الحمامة . وقال : ما كان خليلى لِيُخلّ بى ، فما قال لك ؟ قال : قال إنْ وجدتَه حيًّا فادفعها إليه ، وإن وجدتَه ميّتا فاطرح الثيابَ على قبره ، وابتعْ بهذه الدنانير بُدْنًا فانحرها على قبره . فقال حسان : ليتَك وجدتنى ميّتا ففعلتَ ذلك بى ؟

أخبرنى الحرمى بن أبى العلاء قال : حدّثنا الزبير قال : قال لى عبد الرحمن ابن عبد الله الزبيرى : قال الرسولُ الذى بعثَ به إلى جبلة . ثم ذكر قصته مع الجارية التى جاءت بالجامَين والطائر الذى تمعّك فيهما ، وذكر قولَ حسان :

* إن ابنَ جفنةَ من بقية معشرٍ *

ولم يذكر غير ذلك . هكذا روى أبو عمرو فى هذا الخبر .

وقد أخبرنى به أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال : قال عبد الله ابن مَسعدة الفزارىّ :

رسول معاوية إلى ملك الروم ولقاؤه جبلة

وجّهنى معاويةُ إلى ملك الروم ، فدخلتُ عليه ، فإذا عنده رجلٌ على سرير من ذهب دونَ مجلسه ، فكلّمنى بالعربية فقلت : من أنتَ يا عبد الله ؟ قال : أنا رجلٌ غلَب عليه الشّقاء ، أنا جبلة بن الأيْهَم ، إذا صرتُ إلى منزلى فالقَنى . فلما انصرفَ وانصرفتُ أتيتُه فى داره فألفيته على شرابه ، وعنده قَينتانِ تغنّيانه بشعر حسان بن ثابت :

قد عَفا جاسمٌ إلى بيت رأسٍ * فالحوانِى بجانب الجَوْلانِ[1]

---

(١) سبق الكلام على البيت فى ص ١٥٥ .

٨/١٤

وذكر الأبيات . فلما فرغنا من غنائهما أقبل عليّ ثم قال : ما فعل حسّانُ بن ثابت؟ قلت : شيخٌ كبير قد عَمِى . فدعا بألف دينــار فدفعها إلىّ ، وأمرنى أن أدفعها إليه ثم قال : أترى صاحبَك يَفِى لى إن خرجتُ إليــه ؟ قال : قلت قل ما شئت أعرِضْه عليــه . قال : يُعطينى الثنيّة(١) فإنهــا كانت منازلَنــا ، وعشرين قريةً من الغُوطة منها داريّا وسَكّاء ، ويفرضُ لجماعتنا ويحسِنُ جوائزَنا . قال : قلت أبلغُه . فلمــا قدِمتُ على معاوية قال : وددتُ أنّك أجبتَه إلى ما سأَلَ فأجزتُه له . وكتب إليه معاوية يُعطيه ذلك ، فوجَده قد مات .

قال : وقدِمتُ المدينةَ فدخلت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلقيتُ حسانَ فقلت : يا أبا الوليد ، صديقُك جَبَــلة يقرأ عليك السلام . فقال : هات ما معــك . قلت : وما عِلمُك أنّ معى شيئا ، قال : ما أرســل إلىّ بالسلام قطّ إلّا ومعَه شىء . قال : فدفعت إليه المــال .

أخبرنى إبراهيم بن محمــد بن أيوب قال : حدّثنــا عبد الله بن مُسلم قال : حدّثنى عبد الرحمن ابن أخى الأصمعيّ عن عمه ، عن أهل المدينة قالوا :

حديث حسان مع رسول جبلة

بعث جبــلةُ إلى حسّانَ بخمسمائة دينــارٍ وكُسًى وقال للرســول : إنْ وجدتَه قد مات فابسُط هذه الثيابَ على قبره . فجاء فوجدهُ حيا ، فأخبره فقال : لوددت أنكَ وجدتَنى ميتا .

(١) الثنية : ثنية العقاب ، بضم العين ، وهى ثنية مشرفة على غوطة دمشق .

نسبة ما فى هذه الأخبار من الأغانى

صوت

تنصَّرت الأشرافُ من عارِ لطمةٍ * وما كانَ فيها لو صبرتُ لها ضَرَرْ

الأبيات الخمسة .

الشعر لجبلة بن الأيهم ، والغناء لعريب نصبٌ[1] خفيف ، وبسيط رملٍ بالوسطى . ومنها :

صوت

إنّ ابن جفنَة من بقيةِ معشرٍ * لم يَغذُهم آباؤهم باللُّومِ

الأبيات الأربعةُ[2] . الشعر لحسان بن ثابت ، والغناء لعريب ، هزج بالبنصر .

أخبرنى محمد بن العباس اليزيدىّ قال : حدّثنا عمى يوسف بن محمد قال : حدّثنى عمى إسماعيل بن أبى محمد قال : قال الواقدىّ : حدّثنى محمد بن صالح قال :

حديث حسان مع الحارث بن أبى شمر

كان حسّان بن ثابت يَغدُو على جبلة بن الأيهم سنةً ويقيم سنةً فى أهله ، فقال : لو وفدتُ على الحارث بن أبى شِمر الغَسّانى ، فإنّ له قرابةً ورحِمًا بصاحبى ، وهو أبذل الناس للمعروف ، وقد يئِس منّى أن أفِدَ عليه ، لما يَعرِف من انقطاعى إلى جَبَلة .

قال : فخرجتُ فى السنة التى كنت أقيم فيها بالمدينة ، حتى قدمت على الحارث وقد هيّأتُ له مديحًا ، فقال لى حاجبُه ، وكان لى ناصحًا : إنّ الملك

(١) كذا على الصواب فى ط ، ها ، مط . وفى ء : « نصيب » ، وفى سائر النسخ : « نصف » محرّفان .

(٢) ط ، أ ، ها ، مط : « الثلاثة » .

قد سُرّ بقدومك عليه ، وهو لا يدعُك حتّى تذكر جبلة . فإياك أن تقعَ فيه فإنّه إنما يختبرك ، وإن رآك قد وقعتَ فيه زهِدَ فيك ، وإن رآك تذكر محاسنه ثقُل عليه فلا تبتدئ بذكره ، وإن سألكَ عنه فلا تُطنب فى الثناء عليه ولا تَعِبْه ، امسحْ ذكره مَسْحًا ، وجاوزه إلى غيره ، فإنّ صاحبك — يعنى جبلةَ — أشدُّ إغضاءً عن هذا [من هذا][1] ، أى أشدُّ تغافلًا وأقلّ حَفْلا به . وذلك أنّ صاحبك أعقلُ من هذا وأبين ، وليس لهذا بيان ، فإذا دخلتَ عليه فسوف يدعُوك إلى الطعام ، وهو رجلٌ يثقُل عليه أن يؤكل طعامُه ولا يبالى الدرهمَ والدينار ، ويثقل عليه أن يشرب شرابُه أيضا ، فإذا وضع طعامُه فلا تضَعْ يدك حتّى يدعوَك ، وإذا دعاك فأصِبْ من طعامه بعضَ الإصابة . قال : فشكرتُ لحاجبه ما أمرنى به .

قال : ثم دخلتُ عليه فسألنى عن البلاد وعن النّاس ، وعن عَيشنا بالحجاز ، وعن رجالِ يهودَ ، وكيف ما بَيْننا من تلك الحروب . فكلَّ ذلك أخبره حتّى انتهى إلى ذكر جبلة ، فقال : كيف تجدُ جبلة ، فقد انقطَعْتَ إليه وتركتَنا ؟ فقلت : إنّما جبلة منك وأنت منه . فلم أجْرِ إلى مدح ولا عيب ، وجاز ذلك إلى غيره ثم قال : الغَداءَ . فأتى بالغَداء ووضع الطعام ، فوضع يدَه فأكل أكلًا شديدا ، وإذا رجلٌ جبّار ، فقال بعد ساعة : ادنُ فأصِبْ [من هذا][2] . فدنوتُ فخطّطتُ تخطيطا ، فأُتِىَ بطعام كثير ، ثم رُفع الطعام وجاء وُصفاءُ كثيرٌ عددهم ، معهم الأباريقُ فيها ألوانُ الأشربة . ومعهم مناديلُ اللِّين[3] فقاموا على رءوسنا ، ودعا أصحابَ برابِط[4]

(١) التكلة من ط ، مط ، وهى فى أ مع أثر ترميج .

(٢) التكلة من ط ، مط .

(٣) اللين ، وقد ضبط فى ط بفتح اللام ، كأنه مخفف اللين ، وهى قرية من كورة بين النهرين التى بين الموصل ونصيبين .

(٤) جمع بربط ، وهى آلة ذات أوتار .

من الروم فأجلسهم وشرب فألهوْه، وقام الساقى على رأسى فقال : اشربْ . فأبيتُ حتى قال هو : اشربْ . فشربت ، فلما أخذ فينا الشرابُ[1] أنشدتُه شعرًا فأعجبه ولَذَّ به ، فأقمتُ عنده أيامًا فقال لى حاجبه : إنّ له صديقًا هو أخفُّ الناس عليه، وهُو جاءٍ، فإذا هو جاءَ جفاكَ وخلص به وقد ذُكِر قدومه، فاستأذِنْه قبل أن يقدم عليه ، فإنه قبيحٌ أن يجفوكَ بعد الإكرام، والإذنُ اليوم أحسن . قلت : ومن هو؟ قال : نابغة بنى ذبيان . فقلت للحارث : إنّ رأى الملكُ أن يأذنَ لى فى الانصراف إلى أهلى فعل . قال : قد أذنتُ لك وأمرتُ لك بخمسمائة دينار وكُسًى وحُمْلانٍ[2] . فقبضتُها وقدم النابغةُ وخرجتُ إلى أهلى .

صـــوت

أَلَا إنّ ليلَى العامريّةَ أصبحَتْ * على النأى منّى ذنبَ غيرى تنقِمُ
وما ذاك من شىءٍ أكونُ اجترمتُه * إليها فتجزِينى به حيثُ أعلم[3]
ولكنّ إنسانًا إذا ملَّ صاحبًا * وحاول صَرمًا لم يزل يتجرّم[4]
وما زال بى ما يُحدِث النأىُ والّذى * أعالج حتّى كدت بالعيش أبرَمُ
وما زال بى الكتمانُ حتّى كأنّنى * برجع جوابِ السائلى عنكِ أعجمُ
لأسلمَ من قول الوُشاة وتسلمى * سَلِمتِ وهل حىٌّ من الناس يسلمُ

(١) ما عدا ط ، أ ، ها ، مط : « أخذ بنا الشراب » .
(٢) الحملان ، بالضم ، مصدر حمل ، والمراد بها الإبل ونحوها .
(٣) ما عدا ط ، ها ، مط : « فتخبرنى به » تحريف .
(٤) تجرم عليه : ادّعى عليه ذنبًا لم يعمله .

عروضه من الطويل . الشعر لنُصَيب ، ومن الناس من يروى الثلاثة الأبيات الأول للمجنون . والغناء لبديح مولى عبد الله بن جعفر رحمهما الله .

وفى الأبيات الأول منها ثانى ثقيل بالوسطى عن الهشامى وحبش . وذكره حمّاد بن إسحاق ولم يجنّسه . وفيه لابن سُريج هزج خفيف بالبنصر فى مجراها عن إسحاق فى البيتين الأخيرين . وفيه لمعبد فى البيتين الأولين خفيف ثقيل أول بالخنصر فى مجرى البنصر عن إسحاق .

خبر بُديح فى هذا الصوت وغيره

صنعة بديح

بُديح مولى عبد الله بن جعفر، وكان يقال له بديح المليح. وله صنعة يسيرة وإنما كان يغنّى أغانى غيره مثل سائب خاثر، ونَشيط، وطُوَيس، وهذه الطبقة. وقد روى بُديح الحديثَ عن عبد الله بن جعفر.

١٠/١٤

أخبرنى محمد بن خلف وكيع قال: حدّثنا العباس بن محمد الدُّورى قال: حدّثنا أبو عاصم النَّبيل[1] عن جُويرية بن أسماء، عن عيسى بن عمر بن موسى، عن بديح مولى عبد الله بن جعفر قال:

روايته لخبر يحيى ابن الحكم

لمّا قدم يحيى بن الحكم المدينةَ دخل إليه عبدُ الله بن جعفر فى جماعة فقال له يحيى: جئتنى بأوباش من أوباش خِبثة[2]؟ فقال عبد الله: سمّاها رسول الله صلى الله عليه وسلم طَيبةَ وتسمّيها أنت خِبثة[3]؟!

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: قال داود بن جميل حدّثنى من سمع هذا الحديث من ابن العتبى يذكره عن أبيه قال:

حيلة عبد الله ابن جعفر فى رقبة بديح لعبد الملك ابن مروان

دخل عبد الله بن جعفر على عبد الملك بن مروان وهو يتأوّه، فقال: يا أمير المؤمنين، لو أدخلتَ عليك من يُؤْنسك بأحاديث العرب وفُنون الأسمار؟ قال: لستُ صاحبَ هزل. والجِدّ مع عِلّتى أحْجَى بى. قال: وما علّتك يا أمير المؤمنين؟

---

(١) ما عدا ط، ها، مط: «عاصم النبيل». تحريف. وأبو عاصم هو الضحاك بن مخلد الشيبانى البصرى، ترجم له فى تهذيب التهذيب. وانظر القاموس (عصم).

(٢) خبثة، بكسر الخاء، كنى بها عن طيبة مدينة الرسول.

(٣) ما عدا ط، ها، مط: «خبيثة».

قال : هاجَ بى عِرق النَّسا فى ليلتى هذه، فبلغَ منى . قال : فإنّ بُديحا مولاى أرقى[1] الناس منه . فوجَّه إليه عبد الملك فلما مضَى الرسول سُقِط فى يدَىْ[2] ابن جعفر وقال : كِذبةٌ قبيحة عندَ خليفة . فما كان بأسرعَ من أن طلع بديح فقال : كيف رُقيتك من عِرق النَّسا . قال : أرقَى الخلقِ يا أمير المؤمنين . قال : فسُرِّى عن عبد الله لأنّ بُديحًا كان صاحبَ فكاهة يُعرف بها ، فمدَّ رجلَه فتفَل عليها ورقَاها مِرارا ، فقال عبد الملك : الله أكبر ، وجدتُ والله خِفًّا[3] ، يا غلامُ ادعُ فلانةَ حتَّى تكتب الرُّقية ، فإنّا لا نأمنُ هَيْجَها بالليل فلا نَدْعر بُديحا . فلما جاءت الجاريةُ قال بديح : يا أمير المؤمنين ، امرأته الطلاقُ[4] إن كتبَتْها حتى تعجِّل حِبائى . فأمَر له بأربعة آلاف درهم فلما صار المالُ بين يديه قال : وامرأته الطلاقُ إن كتبَتْهُ أو يصيرَ المالُ فى منزلى . فأمر به فحُمِل إلى منزله ، فلما أحرزه قال : يا أمير المؤمنين ، امرأتُه الطلاق إن كنتُ قرأت على رجلك إلّا أبياتَ نصيب :

أَلا إنَّ لَيلَى العامريةَ أصبحَتْ * على النَّأْى منِّى ذنبَ غيرِى تَنقِم

وذكر الأبياتَ وزاد فيها :

ومازلتُ أستصفِى لكِ الودَّ أبتغى * مُحاسَنةً حتَّى كأنِّىَ مُجرِمُ

قال : ويلَك ما تقول ؟ قال امرأتُه الطلاق إنْ كان رقاك إلّا بما قال . قال : فاكتمْها علىّ . قال : وكيف ذاكَ وقد سارت بها البُردُ إلى أخيك بمصر ؟ ! فطفق عبد الملك ضاحكًا يفحَص برجليه .

---

(١) أرقى ، من الرقية . ط : « أرقا » أ : « رقا » .

(٢) سقط فى يده وأُسقط ، بالبناء للمفعول فيهما ، أى ندم وتحير . ط ، أ ، ها : « أسقط » .

(٣) الخف ، بفتح الخاء وكسرها : الخفة . ط فقط : « خفافا » تحريف .

(٤) كذا فى ط ، أ ، جـ ، ها : ط فى المواضع الأربعة من هذا الخبر . وفى ب ، س : « طالق » .

أخبرنى إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شبّة قال : حدّثنى الأصمعى عن المنتجع النّبهانى، عن أبيه بهذا الخبر مثل الذى قبله . وزاد فى الشعر :

فلا تصرمينى حينَ لالِىَ مرجِعٌ * ورائى ولا لى عنكمُ متقدَّم

وقال فيه : فسكّن ما كان يجدُه عبد الملك، وأمر لبُديح بأربعة آلاف درهم، فقال ابن جعفر لبديح : ما سمعتُ هذا الغناءَ منكَ مذْ ملكتُكَ ! فقال : هذا من نُتَف سائب خاثر .

أخبرنى إسماعيل قال حدّثنا عمر قال حدّثنى القاسم بن محمد بن عباد عن الأصمعى عن ابن أبى الزناد عن نافع — أراه نافع الخير مولى ابن جعفر — بهذا الخبر مثلَه ، وزاد فيه أنّ بُديحا رفع صوتَه يغنيه به لمّا قال له أن يكتبَ الرقية . وزاد فيه : فجعل عبدُ الملك يقول : مهلًا يا بُديح . فقال : إنّما رقيتُكَ كما علمتَ[1] يا أمير المؤمنين .

أخبرنى إسماعيل قال حدّثنا عمر بن شبة قال : حدّثنى أبو سلمة الغفارىّ عن عبد الله بن عِمران بن أبى فَروة قال :

كان ابن جعفر يحبُّ أن يُسمعَ عبدَ الملك غناء بُديح، فدخل إليه يوماً فشكا إليه عبدُ الملك رُكبته فقال له ابنُ جعفر : يا أمير المؤمنين، إن لى مولىً كانت أمّه بربريّة ، وكانت تَرقِى من هذه العلّة ، وقد أخذَ ذلك عنها . قال : فادعُ به . فدُعِى بُديح، فجعل يتفُل على ركبة عبد الملك ويُهمهِم، ثم قال : قُم يا أمير المؤمنين جعلنى الله فِداك . فقام عبد الملك لا يجدُ شيئا، فقال عبد الله : يا أميرَ المؤمنين مولاك لا بدَّ له من صلة . قال : حتّى تكتب رُقيتَه . ثم أمر جاريةً له فكتبتْ :

(١) كذا فى ط، أ، جـ، ما بهذا الضبط . وفى سائر النسخ : «ما علمت» .

بسم الله الرحمن الرحيم . فقال : ليس فيها بسم الله الرحمن الرحيم . قال : كيف تكون ويلك رقيةٌ ليس فيها بسم الله الرحمن الرحيم ؟ قال : فهو ذاك . قال : فاكتبها على ما فيها . فأملى عليها :

دِيارَ سُليمى بين عَيقة(١) فالمُهدِى * سُقيتِ، وإن لم تَنطقى، سَبَلَ الرعدِ

ثم قال له ابن جعفر : لو سمعتَه منه . قال : أوَ يُجيد ؟ قال : نعم . قال : هات . فما برح والله حتّى أفرغَها فى مسامعه .

٥

أخبرنى محمد بن العباس اليزيدى، قال حدّثنى عمى عبيد الله قال : حدّثنى سليمان بن أبى شَيخ قال :

تنصل الفضل بن دكين من الرفض

كنا عند أبى نعيم الفَضل بن دُكَين فجاءه رجل فقال : يا أبا نُعيم ، إن الناس يزعُمون أنّك رافضىّ . قال : فأطرق ساعةً ثم رفع رأسَه وهو يبكى وقال : يا هذا أصبحتُ فيكم كما قال نُصَيب :

١٠

وما زال بى الكِتمان حتّى كأنّنى * برَجعِ جوابِ السّائلِى عنكِ أعجمُ

لأسلمَ من قول الوشاةِ وتَسلمى * سَلمتِ وهل حىٌّ من الناس يسلمُ

صوت

يا غرابَ البينِ أسمعتَ فقُلْ * إنّما تنطق شيئاً قد فُعِلْ

١٥

إنّ للخيرِ وللشّر مَدًى * لِكلا ذَينِكَ وقتٌ وأجَلْ

---

(١) ط فقط : « عنقه » ها : « عفة » مض « عنقة » . تحريف . وعيقة : اسم موضع . وفى أسماء مواضعهم أيضا : « غيقة » بالغين المعجمة . والمهدى، كذا ورد فى عامة النسخ .

كلُّ بؤسٍ ونعيمٍ زائلٌ * وبناتُ الدهرِ يَلعبنَ بكلّْ
والعطياتُ خِساسٌ بينهم * وسواءٌ قبرُ مُثْرٍ ومقِلّْ[1]

الشعر لعبد الله بن الزِّبَعْرى السّهمى، يقوله فى غَزاة أحد، وهو يومئذ مشرك. والغناء لابن سُريج خفيف ثقيلٍ أوّلَ بالبنصر، عن عمرو على مذهب إسحاق. وفيه لحنٌ لابن مُسْجِح من رواية حماد عن أبيه فى كتاب ابن مسجح.

---

(١) يقال: هذه الأمور خساس بينهم، أى دول يتداولونها. ولم ترد هذه الكلمة فى اللسان، ووردت فى القاموس ومقاييس اللغة، حيث استشهد الأخير بصدر البيت ملفقا مع عجز البيت السابق.

نسب ابن الزِّبعَرَى وأخبارُه وقصّة غَزْوة أُحُد

نسب ابن الزبعرى

هو عبد الله بن الزِّبعرى بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم بن عمرو ابن هُصَيص بن كعب بن لؤىّ بن غالب بن فِهر بن مالك بن النَّضر بن كِنانة ابن خُزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار .

حاله قبل الإسلام وبعده

٥ وهو أحدُ شعراءِ قريشٍ المعدودين . وكان يهجو المسلمين ويحرِّض عليهم كفارَ قريش فى شعره ، ثم أسلَمَ بعد ذلك فقبِل النبىُّ صلى الله عليه وسلم إسلامَه وأمَّنه يومَ الفتح .

١٢/١٤

وهذه الأبياتُ يقولها ابنُ الزبعرى فى غزوة أحد .

حدّثنا بالخبر فى ذلك محمد بن جرير الطبرى قال حدّثنا ابن حميد قال : حدّثنا ١٠ سلَمة عن محمد بن إسحاق قال حدّثنى محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزُّهرى ، ومحمد بن يحيى بن حَبّان (١) ، وعاصم بن عمرو بن قتادة ، والحُصين بن عبد الرحمن ابن عمرو بن سعد بن مُعاذ وغيرهم من علمائنا ، كلُّهم قد حدَّث ببعض هذا الحديث ، فقد اجتمع حديثُهم كلُّهم فيما سُقت من الحديث عن يوم أحد . قالوا :

خبر غزوة أحد

لمّا أصيبت قريشٌ ، أو من قاله منهم يومَ بدرٍ من كفار قريش ، من ١٥ أصحاب القَليب ، فرجَع فَلُّهم إلى مكة (٢) ، ورجع أبو سفيانَ بن حرب بعيره ، مشى عبد الله بن أبى ربيعة ، وعكرمةُ بن أبى جَهل ، وصَفْوان بن أمية ، فى رجالٍ من

(١) حبان هذا ، بفتح الحاء وتشديد الباء كما فى القاموس وتقريب التهذيب . ولمحمد بن يحيى بن حبان ترجمة فى تهذيب التهذيب . أ : « حسان » وس : « حيان » ، صوابه فى سائر النسخ .

(٢) الفل : القوم المنهزمون .

قريش، ممن أصيب آباؤهم [وأبناؤهم](1) و إخوانهم ببدر، فكلّموا أبا سفيان بن حرب ومَن كان له(2) فى تلك العير من قريش تجارة ، فقال أبو سفيان : يا معشرَ قريش ، إنّ محمداً قد وَتَرَكم وقتَل خياركم، فأعينونا بهذا المال على حَربه، لعلّنا أن ندرك ثأرًا ممن أصيبَ منا . ففعلوا، فاجتمعتْ قريش لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حينَ فعل ذلك أبو سفيانَ وأصحاب العير بأحابيشها(3) ومَن أطاعها من قبائل كِنانة وأهل تهامة ، وكلّ أولئك قد استغووا(4) على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان أبو عَزّة عمرو بن عبد الله الجُمَحى قد منَّ عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يومَ بدر، وكان فى الأسارى فقال : يا رسول الله ، إنّى فقيرٌ ذو عيال وحاجةٍ قد عرفْتَها ، فامنُنْ علىّ صلى الله عليك . فمنّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال صفوان بن أميّة : يا أبا عزّة ، إنك امرؤٌ شاعر فاخرجْ معنا فأعنّا بنفسك . فقال : إن محمدًا قد منّ علىّ ، فلا أريد أن أظاهرَ عليه . فقال : بلى فأعنّا بنفسك، ولك الله إن رجعتَ أن أعينَك ، وإن أصبتَ أن أجعل بناتِك مع بناتى ، يصيبهنّ ما أصابهنّ من عُسر أو يسر . فخرج أبو عزة يسير فى تهامة و يدعو بنى كنانة، وخرج مُسافع بن عَبْدة بن وهب بن حُذافة بن جُمَح إلى بنى مالك بن كنانة يحرّضهم و يدعوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودعا جُبير بن مُطعِم غلامًا يقال له وحشىّ، وكان حبشيا يَقذِف بحربةٍ له قَذْفَ الحبشة ، قلّما يخطئ

(1) من ط، ها، مط، مب فقط .

(2) ماعدا ط، ها، مط، مب : « لهم » .

(3) الأحابيش : الجماعة أيا كانوا ، أو أحابيش قريش ، هم بنو المصطلق و بنو الهون بن خزيمة اجتمعوا عند جبل يسمى « حبشيا » بأسفل مكة فحالفوا قريشا .

(4) استغووا ، بالغين المعجمة فى ط ، ها ، مط ، مب . وفى سائر النسخ بالعين المهملة ، وهما سيان . يقال : هو يستغوى القوم ويستعويهم ، أى يستغيث بهم .

بها، فقال : اخرجْ مع الناس، فإن أنت قَتلتَ عمَّ محمدٍ بعمى طُعَيمة بن عدىّ فأنت عتيق . وخرجت قريشٌ بحدِّها وأحابيشها ومَن معها من بنى كنانة وأهل تهامة، وخرجوا بالظُّعُن[1] التماسَ الحفيظة، ولئلا يفرّوا . وخرج أبوسفيانَ بن حرب وهو قائد الناس، معه هنـدُ بنت عتبة بن ربيعـة، وخرج عِكرمة بن أبى جهل بن هشام بن المغيرة،[2] وخرج صَفْوان بن أمية بن خَلَف ببرزةَ ـ وقيل ببَرَّة من قول أبى جعفر ـ بنت مسعود ابن عمرو بن عُمير الثقفية، وهى أم عبد الله بن صَفْوان . وخرج عمرو بن العاص،[3] وخرج طلحة بن أبى طلحة وأبو طلحة عبدُ الله بن عبد العُزَّى بن عثمان بن عبد الدار بسُلافةَ بنت سعدِ بن سُهيل[4]، وهى أم بنى طَلْحة : مُسافع، والجُلَاس، وكلاب، قُتلوا يومئذ وأبوهم . وخرجت خُناسُ بنت مالك بن المضرِّب إحدى نساء بنى مالك ابن حِسل مع ابنها أبى عَزّة[5] بن عمير، وهى أمُ مصعب بن عمير . وخرجت عمرة بنت عَلقمة إحدى نساء بنى الحارث بن [عبد مناة بن][6] كنانة .

وكانت هنـدُ بنتِ عتبة بن ربيعـة إذا مرّتْ بوحشىّ أو مرّ بهـا قالت : إيه أبا دَسمة[7] اشتفِ[8] . فنزلوا ببطن السَّبخة[9] من قَناةٍ على شفير الوادى مما يلى المدينة،

---

(١) الظعن : جمع ظعينة، وهى المرأة ما دامت فى الهودج .

(٢) فى السيرة ٥٥٧ جوتنجن والطبرى (٣ : ١٠) : « وخرج عكرمة بن أبى جهل بأم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة » .

(٣) فى السيرة والطبرى : « وخرج عمرو بن العاصى بريطة بنت منبه بن الحجاج » .

(٤) كذا فى ط، ها، مط، مب . وفى سائر النسخ : « سعيد بن سهم » وفى السيرة : « سعد بن شهيد » . (٥) فى السيرة : « أبى عزيز » . (٦) التكملة من السيرة . وفى ها : « بنى الحارث بنى مناة بنى كنانة » . (٧) ط، مط : «أبو رسمة» ها : « أبو رشمة » وهى فى السيرة والطبرى بالدال أيضا كما أثبت من سائر النسخ .

(٨) فى الأصول : « استف » بالسين المهملة، صوابه فى السيرة وتاريخ الطبرى (٣ : ١٠) . والنص فيها : « ويها أبا دسمة اشف واشتف » .

(٩) ط، مط، مب : « الشيحة » مخالفة ما فى السيرة وسائر النسخ .

فلمّا سمع بهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون قد نزلُوا حيثُ نزلوا ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين : «إنى قد رأيتُ بقرا تُذبح فأوّلتها خيرًا ، ورأيتُ فى ذُباب سيفى ثَلْما ، ورأيت أنّى أَدخلتُ يدى فى درعٍ حصينة[1] ، وهى المدينة ، فإنْ رأيتم أن تُقيموا بالمدينة وتَدَعوهم حيث نزلوا فإنْ أقاموا أقاموا بشرِّ مُقام ، وإن هم دَخلوا علينا فيها قاتلناهم» .

ونزلت قريشٌ منزلَها من أحد يوم الأربعاء، فأقاموا به ذلك اليوم ويوم الخميس ويوم الجمعة ، وراح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حينَ صلَّى الجمعة فأصبح بالشِّعب من أحد ، فالتقوا يومَ السبت للنصف من شوال . وكان رأىُ عبد الله بن أُبَىّ ابن سلول مع رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم، يَرى رأيَه فى ذلك : أن لا يخرج إليهم ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يكره الخروجَ من المدينة ، فقال رجالٌ من المسلمين ، ممن أكرم الله جلَّ شأنُه بالشهادة يوم أحد وغيرُهم ممن فاته بدر وحضوره : يا رسولَ الله صلى الله عليك وسلم اخرجْ بنا إلى أعدائنا لا يَرَون أنا جَبُنَّا عنهم وضَعُفنا . فقال عبد الله بن أُبَىّ بن سلول : يا رسولَ الله أقِمْ بالمدينة ، ولا تخرجْ إليهم ، فوالله ما خرجْنا منها إلى عدوٍّ قط إلا أصابَ منّا ، ولا يدخلُها علينا إلّا أصبنا منهم ، فدَعْهم يا رسول الله ، فإن أقاموا أقاموا بشرِّ مجلس ، وإن دخلُوا قاتلهم الرجال فى وجوههم ، ورماهم النساءُ والصِّبيان بالحجارة من فوق رءوسهم ، وإن رجعوا رجَعوا خائبين كما جاءوا . فلم يزل برسول الله صلى الله عليه وسلم الذين كان من أمرهم حُبُّ لقاءِ العدو ، حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلبس لأْمتَه ، وذلك يومَ الجمعة ، حين فرغَ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة . وقد مات فى ذلك

(١) فى السيرة : « فأولتها المدينة » .

اليوم رجل من الأنصار يقال له مالك بن عمرو، أحد بنى النجّار فصلّى عليه رسول الله عليه وسلم ثم خرج عليهم، وقد ندم الناس: وقالوا استكرهنا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن ذلك لنا! فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم فقالوا: يارسول الله استكرهناك ولم يكنْ ذلك لنا، فإن شئتَ فاقعدْ صلى الله عليك. فقال عليه السلام: «ما ينبغى لنبىٍّ إذا لبس لأمَتَه أن يضعَها حتّى يقاتل» قال: فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ألفِ رجلٍ من أصحابه، حتّى إذا كانوا بالشوط، بين أحد والمدينة، انخزلَ عنه عبد الله بن أبىّ بن سَلول بثلث الناس، وقال: أطاعهم فخرجَ وعصانى، والله ما ندرى علامَ نقتلُ أنفسَنا هاهنا أيُّها الناس. فرجَع بمن اتَّبعه من الناس من قومه، من أهل النِّفاق والرِّيب، واتَّبعهم عبدُ الله بن عمرو بن حرام أحد بنى سلمة يقول: يا قوم أذكِّركم الله[1] أن تخذُلوا نبيَّكم وقومَكم عند ما حضر من عدوّهم. فقالوا: لو نعلم أنّكم تقاتلون ما أسلمناكم، ولكنّا لانرى أنّه يكون قتال. فلما استعصَوْا عليه وأبَوا إلّا الانصرافَ قال: أبعدَكم الله أعداءَ الله، فسيُغنى الله عز وجلّ عنكم.

وقال محمد بن عمر الواقدى: انخزل عبد الله بن أبىّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشَّيخين[2] بثلثمائة، فبقى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى سبعمائة، وكان المشركون فى ثلاثة آلاف، والخيل مائتا فرس، والظُّعن خمسَ عشرةَ امرأة. قال: وكان فى المشركين سبعُمائة دارع، ولم يكن معهم من الخيل إلّا فرسان: فرسٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وفرس لأبى بُردة بن نيار الحارثى. فادّلج[3] رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشَّيخين حتّى طلع الحمراء[4]، وهما أُطُمان كان يهودىٌّ

(١) كذا فى ط، مط، مب والسيرة. وفى سائر النسخ: «اذكروا».
(٢) الشيخان: موضع بالمدينة كان فيه معسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم.
(٣) ادلج: سار فى آخر الليل. (٤) أى الشيخان.

ويهودية أعميان يقومان عليهما فيتحدّثان ، فلذلك سميا الشيخين ، وهما فى طـرف المدينـــة .

قال : وعرضَ رسول الله صلى الله عليه وسلم المقاتلةَ بعد المغرب ، فأجاز من أجاز ، وردّ من ردّ . قال : وكان فيمن ردّ زيد بن ثابت ، وأبوعمرو أُسيد بن ظهير ، والبَرَاء بن عازب ، وعَرابة بن أوس . قال : وهو عَرابة الذى قال فيه الشماخ : ٥

إذا ما رايةٌ رفعتْ لمجـــد * تلقّـاها عَـــرابةُ باليمـين

قال : وردَّ أبا سعيد الخدرىَّ ، وأجاز سَمُرة بن جُنـدب ، ورافعَ بن خَدِيج . وكان رســول الله صلى الله عليه وسلم قد استصْغَر رافعًا ، فقام على خفّين له فيهما رِقاع ، وتطاولَ على أطراف أصابعه ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم أجازَه .

قال محمد بن جرير : فحدّثنى الحارث قال : حدّثنا ابن سعد قال : أخبرنا محمد ابن عمر قال : ١٠

كانت أمُّ سمرة تحتَ مُرَىّ[1] بن سِنان بن ثعلبة ، عمِّ أبى سعيد الخدرى ، وكان ربيبَه[2] ، فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أحدٍ وعَرض أصحابَه فردَّ مَن استصغر ، ردَّ سمرة بن جندب ، وأجاز رافعَ بن خديج ، فقال سَمُرة لربيبه مُرَىّ بن سِنان : أجاز رافعًا وردّنى وأنا أصرعُه ! فقال يا رسول الله : رددتَ ابنى وأجزتَ رافع بن خَدِيج وابنى يصرعُه ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم لرافع وسَمُرة : اصطرِعا . فصرعَ سمرةُ رافعا ، فأجازه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشهدها مع المسلمين ، وكان دليلَ النبى صلى الله عليه وسلم أبو خَيثمة الحارثى . ١٥

(١) مرى ، بالتصغير ، كما فى الإصابة ٧٩١٢ . وفيها « مرى بن سنان بن عبيد بن ثعلبة » .
(٢) الربيب : ابن امرأة الرجل من غيره ، وزوج الأم أيضا . ٢٠

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق

ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سلك فى حَرّة بنى حارثة، فذبَّ فرس بذَنبه فأصاب كُلّابَ سيفٍ[1] فاستلّه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم — وكان يحبُّ الفأل ولا يعتاف — لصاحبِ السيف : « شِمْ سيفَك فإنّى أرى السيوفَ ستُستَلُّ اليوم» ! ثم قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : «مَنْ رجلٌ يخرجُ بنا على القوم مِن كثَبٍ مِن طريقٍ لا يمرُّ بنا عليهم؟» ، فقال أبو خيثمة، أخو بنى حارثة بن الحارث : أنا يا رسول الله . فقدّمه فنفذ به فى حَرّة بنى حارثة وبين أموالهم ، حتّى سلك به فى مال المِرْبع[2] بن قَيظىّ ، وكان رجلاً منافقا ضرير البصر، فلما سمع حِسّ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين قام يَحْثِى التراب فى وجوههم ويقول: إن كنتَ رسولَ الله فلا أُحلّ[3] لك أن تَدخُل حائطى . قال : وقد ذُكِر لى أنّه أخذ حَفنةً من ترابٍ فى يده ثم قال : لو أنّى أعلم أنّى لا أصيبُ بها غيرَك لضربتُ بها وجهَك ! فابتدره القومُ ليقتلوه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تفعلوا فهذا الأعمى البصرِ الأعمى القلب! » وقد بدر إليه سعد بن زيد أخو بنى عبد الأشهل حين نَهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه ، فضربه بالقوس فى رأسه فشجّه ، ومضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على وجهه حتّى نزل الشعب من أُحدٍ فى عُدوة الوادى إلى الجبل ، فجعل ظهره وعسكره إلى أحد ، وقال : لا يُقاتلن أَحدٌ أحدًا حتى نأمره بالقتال . وقد سرّحت قريشٌ الظَّهر[4] والكراع

(١) فى الأصول : « سيفه » والصواب من السيرة واللسان (كلب) وتاريخ الطبرى (٣ : ١٣) . وكلاب السيف ، بوزن رمان : الحلقة أو المسمار الذى فى قائم السيف تكون فيه علاقته .

(٢) فى السيرة : « لمربع » . (٣) ما عدا ط ، ح ، ها ، مط ، مب : «فلا يحل» .

(٤) الظهر : الإبل . والكراع : الخيل .

فى زُروع كانت بالصَّمْغة[1] من قناةٍ للسلمين ، فقال رجلٌ من المسلمين حين نَهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القتال : أتُرعَى زروعُ بنى قَيلة ولمَّا نضارب ! وتعبَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى سبعمائة رجلٍ ، وتعبأت قريشٌ وهم ثلاثة آلافٍ، ومعهم مائتا فارس قد جَنَبوا خيولهم ، فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد وعلى ميسرتها عكرمة بن أبى جهل ، وأمَّر رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرماة عبدَ الله بن جُبير[2] أخا بنى عمرو بن عوف[3] ، وهو يومئذ مُعلِمٌ بثيابٍ بيض ، والرماة خمسون رجلا ، وقال : انضَحْ عنا الخيلَ بالنَّبل لا يأتونا من خلفنا إنْ كانت لنا أو علينا ، فاثبتْ بمكانك لا نُؤتَيَنَّ من قِبلك . وظاهَر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين درعين .

قال محمد بن جرير : فحدّثنا هارون بن إسحاق قال : حدّثنا مُصعب بن المقدام قال : حدّثنا أبو إسحاق عن البراء قال :

لمّا كان يومَ أحد ولَقِىَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المشركين أجلَسَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم رجالًا بإزاء الرماة ، وأمَّر عليهم عبد الله بن جُبير وقال لهم : « لا تبرحوا مكانكم وإنْ رأيتمونا ظَهَرنا عليهم ، وإن رأيتموهم ظَهَروا علينا فلا تعينونا » . فلما لقِىَ القومَ هزمَ المشركين ، حتّى رأيت النساء قد رفعن عن سُوقهن وبدت خَلاخيلهنّ فجعلوا يقولون : الغنيمةَ الغنيمةَ ! ! فقال عبد الله : مهلًا أمَا علمتم ما عهِدَ إليكم رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأبوا فانطلقوا ، فلما أتوهم صُرِفَتْ [وجوههم][4] فأصيب من المسلمين سبعون رجلا .

(١) كذا فى جميع النسخ بالعين المهملة . وفى معجم البلدان وتاريخ الطبرى (٣ : ١٣٠٣) بالغين المعجمة . وفى السيرة : « بالصبغة » . وفى الروض الأنف : « بالسبخة » . (٢) التكملة من ط ، مب والسيرة .
(٣) ص فقط : « عبد الله بن أبى جبير » .
(٤) التكملة من ء ، مب . وفى الطبرى ٣ : ١٤٠٤ : « صرف الله وجوههم » .

قال محمد بن جرير : حدّثنى محمد بن سعد قال : حدّثنى أبى قال : حدّثنى عمى قال : حدّثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال :

أقبل أبو سفيانَ فى ثلاثِ ليالٍ خَلَون من شوّال حتّى نزل أحدا ، وخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فأذّنَ فى الناس فاجتمعوا ، وأمّر الزبيرَ على الخيل ، ومعه يومئذ المقداد الكندىّ ، وأعطى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الرايةَ رجلًا من قُريش يقال له مصعب بن عمير ، وخرجَ حمزةُ بن عبد المطلب رضى الله عنه بالجيش ، وبُعث حمزةُ بين يديه . وأقبل خالدُ بن الوليد على خيل المشركين ، ومعه عِكرمة بن أبى جهل ، فبعثَ رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير ، وقال : استقبلْ خالد بنَ الوليد فكُنْ بازائه حتّى أوذِنَك . وأمَر بخيلٍ أخرى فكانوا من جانبٍ آخر ، فقال : لا تبرحُنّ حتى أوذِنَكم . وأقبل أبو سفيانَ يحمل اللات والعزى ، فأرسل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى الزبير أن يَحمِل ، فحملَ على خالد بن الوليد فهزَمه الله تعالى ومَن معه ، فقال جل وعز : ﴿ولقد صَدَقَكُم اللهُ وَعْدَهُ إذْ تَحُسُّونَهم بإذنه﴾ إلى قوله تبارك اسمه وتعالى : ﴿مِنْ بَعدِ ما أرَاكُمْ ما تُحِبُّونَ﴾ وإنّ الله تعالى وَعد المؤمنين النَّصرَ وأنّه معهم . وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثَ ناسًا من الناس فكانوا من ورائهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كونوا ها هنا ، فردُّوا وجهَ من فَرَّ منَّا وكونوا حرسًا لنا مِن قِبل ظهورنا . وإنّه عليه السلام لما هزم القومَ هو وأصحابه قال الذين كانوا جُعلوا من ورائهم بعضُهم لبعض — ورأوا النساء مُصْعِداتٍ فى الجبل ، ورأوا الغنائم — : انطلِقوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدرِكوا الغنائم قبل أن تُسبَقوا إليها . وقالت طائفةٌ أخرى : بل نطيع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنثبتُ مكاننا . فقال ابن مسعود : ما شعرتُ أنّ أحدًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يريد الدنيا وعَرَضَها حتّى كان يومئذ .

قال محمد بن جرير : حدثنى محمد بن الحسين قال : حدثنا أحمد بن الفضل قال حدثنا أسباط عن السُّدِّى قال :

لمّا برز رسول الله صلى الله عليه وسلم بأُحُدٍ إلى المشركين أمر الرماة فقاموا بأصل الجبل فى وُجوه خيل المشركين وقال لهم : لا تبرحوا مكانكم إنْ رأيتم قد هزمناهم ، فإنّا لا نزال غالبين ما ثبتُّم مكانكم . وأمّر عليهم عبدَ الله بن جُبير أخا خَوّات بن جُبير . ثم إنّ طلحة بن عثمان صاحبَ لواء المشركين قام فقال : يا معاشرَ أصحابِ محمد ، إنّكم تزعمون أنّ الله عز وجل تَعجّلنا بسيوفكم إلى النار ، وتعجّلكم بسيوفنا إلى الجنة ، فهل منكم أحدٌ يعجّله اللهُ بسيفى إلى الجنة ، أو يعجّلنى بسيفه إلى النار ؟ فقام إليه على بن أبى طالب عليه السلام فقال : والذى نفسى بيده لا أفارقُك حتّى يعجّلك الله عز وجل بسيفى إلى النار ، أو يعجّلنى بسيفك إلى الجنة ! فضربه علىٌّ فقطع رِجلَه فبدت عورتُه فقال : أنشُدك اللهَ والرحمَ يا ابنَ عمّ . فتركه فكبّر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال لعلىّ وأصحابه : ما مَنعك أن تُجهِزَ عليه ؟ قال : إنّ ابن عمى ناشَدنى حين انكشفت عورتُه ، فاستحييتُ منه . ثم شدَّ الزبيرُ بن العوام والمقداد بن الأسود على المشركين فهزماهم ، وحَمل النبىُّ صلى الله عليه وسلم وأصحابُه فهزموا أبا سفيان ، فلما رأى ذلك خالدُ ابن الوليد وهو على خَيل المشركين حَمَل فرمته الرماة فانقمع [1] ، فلما نظر الرماةُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابِه فى جوف عَسكر المشركين يَنتهبونه بادَرُوا الغنيمةَ فقال بعضهم : لا نترك أمرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم . وانطلق عامّتهم فلحقوا بالعسكر ، فلما رأى خالدٌ قِلّةَ الرماة صاحَ فى خيله ، ثم حَمل فقتل الرماة ، وحَمل على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلمّا رأى المشركون أنّ خيلَهم تُقاتِل تبادَرُوا فشدُّوا على المسلمين فهزموهم وقتلوهم .

(١) انقمع : اختفى .

رجع إلى حديث ابن إسحاق

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَن يأخذ هذا السيفَ بحقِّه ؟ فقام إليه رجالٌ، فأمسكه بينهم، حتّى قام إليه أبو دُجانة سِماكُ بن خَرَشة أخو بنى ساعدةَ فقال : ما حقُّه يارسولَ الله ؟ قال : أن تضربَ به فى العدوِ حتّى ينحنىَ . فقال : أنا آخُذه بحقِّه يا رسول الله . فأعطاه إياه . وكان أبو دُجانة رجلًا شجاعا يختال عند الحرب إذا كانت ، وكان إذا أعلَمَ على رأسه بعصابةٍ له حمراءَ علِم الناس أنّه سيقاتل ، فلما أخذَ السيفَ من يدِ رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله أخذَ عِصابتَه تلك فعصَب بها رأسه، ثم جعل يَتبختر بين الصَّفّين .

قال محمد بن إسحاق : حدثنى جعفر بن عبد الله بن أسلم مولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، عن رجل من الأنصار من بنى سَلمة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأى أبا دُجانة يتبختر : إنّها مِشيةٌ يُبغِضها الله إلّا فى هذا الموطن . وقد أرسل أبو سفيان رسولا فقال : يا معشرَ الأوس والخزرج، خلّوا بيننا وبين ابن عمنا نَنصرفْ عنكم ، فإنّه لا حاجةَ بنا إلى قتالكم . فردّوه بما يكره .

وعن محمد بن إسحاق عن عاصم بن عُمر بن قَتادة أنّ أبا عامر عمرو بن صيفىّ ابن النعمان بن مالك بن أمية ، أحد بنى ضُبيعَة وقد خرج إلى مكة مباعِدًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه خمسون غلاما من الأوس، منهم عثمان بن حُنَيف — وبعض الناس يقول : كانوا خمسة عشر — فكانَ يعِدُ قريشًا أنْ لو قد لقِىَ محمدًا لم يختلف عليه منهم رجلان . فلما التقى الناس كان أوّلَ من لقيهم أبو عامرٍ فى الأحابيش وعُبدانِ أهلِ مكة، فنادى : يا معشر الأوس . أنا ابو عامر . قالوا : فلا أنعَمَ الله بك عينًا يا فاسق . وكان أبو عامرٍ يسمّى فى الجاهلية الراهب ، فسماه رسول الله

صلى الله عليه وسلم الفاسق . فلما سمع ردّهم عليه قال : لقد أصابَ قومى بعدى شَرٌّ ! ثم قاتلهم قتالًا شديدا ثم راضَخَهم بالحجارة [(١)] . وقد قال أبو سفيان لأصحاب اللواء من بنى عبد الدار يحرّضهم بذلك على القتال : يا بنى عبد الدار ، إنكم وَلِيتم لواءنا يومَ بدر فأصابنا ما قد رأيتم ، وإنّما يُؤتَى الناس من قِبَل راياتهم ، إذا زالت زالوا ، فإمّا أن تكفُونا لواءنا ، وإمّا أن تُخلُّوا بيننا وبينه فسنكفيكُوه . فهمُّوا به وتوعّدوه وقالوا : نحن نسلم إليك لواءنا ؟! ستعلمُ غدًا إذا التقينا كيف نصنع ! وذلك الذى أراد أبو سفيان . فلما التقى الناسُ ودنا بعضُهم من بعض قامت هند بنت عتبة فى النّسوة اللواتى معها ، وأخذن الدُّفوف يَضربن خلف الرجال ، ويحرضنهم ، فقالت هند فيما تقول :

إنْ تُقبِلوا نُعانِقْ * ونَفرِش النَّمارِقْ

أو تدبروا نفارِقْ * فِراقَ غيرِ وامِقْ

وتقول :

إيهًا بنى عبدِ الدارْ * إيهًا حُماةَ الأدبارْ [(٢)]

* ضربًا بكلِّ بتّارْ *

واقتتل الناسُ حتّى حميت الحرب ، وقاتل أبو دُجانة حتّى أمعن فى الناس ، وحمزة ابن عبد المطلب وعلى بن أبى طالب عليهما السلام فى رجالٍ من المسلمين ، فأنزل الله نَصره ، وصَدَقهم وعده ، فحسُّوهم بالسّيف [(٣)] حتى كَشَفوهم ، وكانت الهزيمة .

---

(١) المراضخة : المراماة .

(٢) فى السيرة ٥٦٢ جوتنجن : « ويها » فى هذا الموضع وسابقه .

(٣) حسوهم : استأصلوهم قتلا . وفى الكتاب : « إذ تحسونهم بإذنه » .

وعن محمد بن إسحاق عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن جده قال قال الزبير : والله لقد رأيتني أنظر إلى هند بنت عتبة وصواحبها مشمّرات هوارب ، ما دون أخذهنّ قليلٌ ولا كثير ، إذ مالت الرماة إلى الكرّ حتّى كشفنا القومَ عنه يريدون النهب ، وخلّوا ظهورنا للخيل ، فأُتينا من أدبارنا وصرخ صارخٌ : ألَا إنّ محمّدا قد قُتل ! فانكفأنا وانكفأ علينا القومُ بعد أن أصبنا أصحابَ اللواء ، حتّى ما يدنو إليه أحدٌ من القوم .

وعن محمد بن إسحاق عن بعض أهل العلم أنّ اللواءَ لم يزل صريعًا حتّى أخذته عَمرة بنت علقمةَ الحارثيّة ، فرفعته لقريش فلاذُوا بها ؛ وكان اللواء مع صُوَاب غلام لبني أبي طلحة حَبَشيّ ، فكان آخرَ من أخذه منهم ، فقاتَل حتّى قُطعت يداه ، فبرك عليه وأخذ اللواءَ بصدره وعُنقه حتّى قُتل عليه وهو يقول : اللهم قد أعذَرْت ! فقال حسّان بن ثابت في قَطع يد صوابٍ حين تقاذفوا بالشعر :

فَخَرتم باللواءِ وشرُّ فخرٍ * لواءٌ حين رُدّ إلى صَوابِ
جَعلتم فخرَكم فيها لعبدٍ * منَ ٱلأمِ من وطِى عَفَرَ التُرابِ
ظننتم والسَّفيه له ظُنونٌ * وما إن ذاكَ من أمرِ الصَّوابِ
بأنّ جِلادَنا يوم التقينا * بمكّةَ بيعُكم حُمرَ العِيابِ[1]
أقَرّ العينَ إن عُصِبت يداه * وما أن يُعصَبانِ على خِضابِ

قال محمد بن جرير : وحدثنا أبو كُريب قال : حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا حِبّان[2] بن علي عن محمد بن عبيد الله بن أبي رافع ، عن أبيه عن جده قال :

(١) أي ظننتموه من الهوان بمنزلة بيع العيب ، والعياب : جمع عيبة ، وهي زبيل من أدم ، أو ما يجعل فيه الثياب .

(٢) ذكره في تهذيب التهذيب ، فيمن يقال له « حبان » بالكسر . ص ، مط ، سب مقط : « حيان » ، تحريف .

لمّا قُتِل[1] أصحابُ الألوية يوم أحد — قتلهم على بن أبى طالب عليه السلام — أبصرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم جماعةً من مشركى قريش فقال لعلى : آحمل عليهم . فحمَل علىٌّ ففرّق جَمعَهم، وقتل عَمرو بنَ عبد الله بن الجمحى، ثم أبصر جماعةً من مشركى قريش فقال لعلى : آحمِلْ . فحمَل علىٌّ ففرّق جمعهم، وقتل شَيبة ابن مالك أحد بنى عامر بن لؤى، فقال جبريل عليه السلام : [يا رسولَ الله][2] إنَّ هذه لَلمواساةُ[3] . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هو منّى وأنا منه »، فقال جبريل عليه السلام : وأنا منكم ! قال : فسمعوا صوتا :

لا سيفَ إلّا ذو الفَقا * رِ ولا فتًى إلّا عَلِى

فلما أُتِىَ المسلمون مِن خَلفهم انكشفوا، وأصاب منهم المشركون، وكان المسلمون لمّا أصابهم ما أصابهم من البلاء أثلاثًا : ثلثٌ قتيل، وثلثٌ جريح، وثلث منهزمٌ وقد جهدَته الحربُ حتّى ما يدرى ما يصنع . وأصيبت رَباعِيَة[4] رسول الله صلى الله عليه وسلم السُّفلى، وشُقّت شَفته، وكُلِم فى وجنته وجَبْهته فى أصول شعره، وعلاه ابن قمئة بالسّيف على شِقّه الأيمن، وكان الذى أصابه عتبة بن أبى وقاص .

قال محمد بن جرير : وحدثنا ابن بَشّار[5] قال حدثنا ابن أبى عدىّ عن حميد عن عن أنس بن مالك قال :

لمّا كان يوم أحد كسرت رباعِية رسول الله صلى الله عليه وسلم وشُجَّ، فجعل الدمُ يسيل على وجهه، وجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول : « كيف يُفلح قومٌ

---

(١) ما عدا ط، مط، مب : « لما ولى » وفى ها والطبرى (٣ : ١٧) : « لما قتل على ابن أبى طالب أصحاب الألوية » . (٢) التكملة من مب .

(٣) هذا ما فى ط، مط، مب . وفى ها : « إن هذا للمواساة » . وفى سائر النسخ : « إن هذه المواساة » . (٤) الرباعية : السن التى بين الثنية والناب .

(٥) ط، ها، مب : « ابن بشار » . مط : « أبو يسار » .

خَضَبوا وجهَ نبيِّهم بالدم، وهو يدعوهم إلى الله تعالى ! » . فأنزل الله عز وجل : ﴿ لَيْسَ لكَ مِنَ الأمرِ شيءٌ أَوْ يَتُوبَ عليهم ﴾ . الآية . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين غشِيَه القومُ : «مَن رجلٌ يَشرِى لى نفسه ؟» .

دفاع الصحابة عن الرسول الكريم

قال محمد : فحدثنى ابن حميد قال حدثنا سلمة قال حدثنى محمد بن إسحاق قال : حدثنى الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ، عن محمود ابن عمرو بن يزيد بن السَّكَن [قال : فقام زياد بن السَّكن] (١) فى نفرٍ خمسةٍ من الأنصار — وبعضُ الناس يقول : إنّما هو عُمارة بن زياد بن السكن — فقاتلوا دونَ رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلًا ثم رجلا ، يُقتَلون دونه حتّى كان آخرهم زياد بن عُمارة (٢) بن زياد بن السكن، فقاتَل حتّى أثبتته الجراحة، ثم فاءتْ من المسلمين فِئةٌ حتّى أَجهضُوهم عنه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَدنُوه منّى . فأدنَوه منه فوسَّده قدمَه، فمات وخدُّه على قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم . وتَرَّس مِن دون النبي صلى الله عليه وسلم أبو دُجانة بنفسه، يَقعُ النَّبل فى ظهره وهو منحنٍ عليه حتّى كَثرت فيه النَّبل . ورَمَى سعدُ بن أبى وقاص دونَ رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال سعد : فلقد رأيته يُناوِلنى ويقول : فداكَ أبى وأمّى، حتّى إنّه ليَناوِلُنى السهمَ ما فيه نصلٌ فيقول : ارمِ به !

١٩ / ١٤

قوس الرسول صلى الله عليه وسلم

وعن محمد بن إسحاق قال حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم رَمَى عن قوسه حتّى اندقّت سِيَتُها، فأخذَها قَتادةُ بن النعمان فكانت عنده، وأصيبت يومئذ عينُ قَتادة حتى وقعَتْ على وَجنته .

(١) هذا الإكمال من ها وتاريخ الطبرى (٣ : ١٨) .

(٢) فى الطبرى : « زياد أو عمارة » .

وعن محمد بن إسحاق قال : حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ردَّها بيــده فكانت أحسنَ عينيه وأحدَّهما . وقاتل مُصعبُ بن عُمــير دونَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه لواؤُه حتّى قُتل، وكان الذى أصابه ابن قمئة اللَّيثى وهو يظنُّ أنه رســول الله صلى الله عليــه وسلم ، فرجَع إلى قريش فقــال : قد قتلتُ محمداً ! فلما قُتِل مصعب بن عمير أعطَى رســولُ الله صلى الله عليه وســلم اللواءَ علىَّ بن طالب عليه السلام . وقاتَل حمزةُ بن عبد المطلب رضى الله عنه حتّى قتل أرطاةَ بن شُرَحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصىّ، وكان أحدَ النَّفر الذين يحملون اللواء . ثم مَرّ به سِباعُ بن عبد العُزَّى الغُبْشانى ، وكان يُكنَى أبا نِيار، فقــال له [حمزة](١): هَلُمَّ إلىَّ يا ابنَ مقطِّعة البظور — وكانت أمُّه(٢) ختّانة [بمــكة](٣) مولاةَ شَريق بن عمرو بن وهب الثقفى — فلما التقَيا ضربه حمزةُ عليه السلام فقتله ، فقال وحشىٌّ غلامُ جُبير بن مُطعِم : إنّى لأنظرُ إلى حمزةَ يهذُّ(٤) الناس بسيفه ما يُلِيق(٥) شيئًا يمرّ به ، مثــلَ الجملِ الأورَق ، إذْ تقدَّمَنى إليه سِباع بن عبــد العُزّى فقال له حمزة : هلُمَّ إلىَّ يا ابن مقطِّعة البظور . فضربه فمــا أخطأ رأســه ، وهززتُ حربتى حتَّى إذا ما رضيتُ دفعتُهــا عليه فوقعَتْ عليه فى لَبَّته حتَّى خرجَتْ من بين رجليه، وأقبَلَ نحوى فغُلِب فوقَع، فأمهلتُه حتَّى إذا مات جئتُ فأخذتُ حربتى ثم تنحَّيتُ إلى العسكر، ولم يكن لى بشىءٍ حاجة غيره . وقد قتَــل عاصمُ بن ثابت ابن أبى الأقلَح، أحدُ بنى عمرو بن عَوف، مُسافعَ بنَ طلحة وأخاه كلابَ بن طلحة،

(١) التكملة من ط ، هـ ، مط ، مب الطبرى .
(٢) فى الطبرى : « أمه أم أنمار مولاة شريق بن عمرو بن وهب الثقفى » .
(٣) التكملة من ط ، ها ، مط ، مب والطبرى .
(٤) هذه بالسيف هذا : قطعه .
(٥) ما يليق : ما يترك وما يبق .

كلاهما يُشعِره سهمًا[1] فيأتى أمّه فيضعُ رأسَه فى حجرها فتقول : يا بُنىَّ مَن أصابك ؟ فيقول : سمعتُ رجلا يقول حين رمانى : خُذْها إليكَ وأنا ابن أبى الأقلح ! فتقول : أَقْلَحىٌّ ؟ ! فنذَرَتْ لله إن اللهُ أمكنَها من رأس عاصمٍ أن تشربَ فيه الخمر . وكان عاصمٌ قد عاهَدَ الله عز وجل أن لا يمسّ مشركًا ولا يمسّه .

٥ عن ابن إسحـاقَ قال حدّثنى القاسم بن عبد الرحمن بن رافع ، أخو بنى عدىّ ابن النجار قال :

جهاد أنس بن النضر

انتهى أنسُ بن النضر، عمُّ أنس بن مالك، إلى عمَر بن الخطاب وطلحةَ بن عبيدالله، فى رجالٍ من المهاجرين والأنصار ، وقد ألقَوْا بأيديهم ، فقال : ما يُجلسكم ههنا ؟ فقالوا : قُتِـل رسول الله صلى الله عليه وسلم ! قال : فمـا تَصنعون بالحياة بعدَه ؟ ١٠ قوموا فموتوا كِرامًا على ما ماتَ عليه . ثم استقبل القومَ فقاتَل حتى قُتِل . وبه سمى أنسُ بن مالك .

عن ابن إسحاق قال : حدّثنى حُميد الطَّويل عن أنس بن مالك قال :

لقد وجدنا بأنسِ بن النضر يومئذ سبعينَ ضربةً وطعنة، فما عرفَتْه إلا أختُه، عَرَفَتْه بحُسْن بَنانه .

١٥ عن ابن إسحاق قال :

معرفة رسول الله بعد الهزيمة

كان أوّلَ من عرف رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بعد الهزيمة وقولِ الناس : قُتِـل رسول الله صلى الله عليه وسـلم — كما حدّثنى ابن شهابٍ الزُّهرى — كعبُ ابن مالكٍ أخو بنى سَـلِمة . قال : عرفتُ عينيه تَزْهَران تحت المِغفـر ، فناديتُ

٢٠/١٤

(١) أشعره السهم : خالطه به . قال أبو عازب الكلابى :

٢٠ فأشـعرته تحت الظلام وبيننا * من الخطر المنضود فى العين ناقع

بأعلى صوتى : يا معشر المسلمين ، أبشروا، هذا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم !
فأشار إلىّ عليه السلام : أنْ أنصتْ . فلما عرَف المسلمون رسولَ الله صلى الله
عليه وسلم نَهَضوا به ، ونهض نحوَ الشعب معه أبو بكر بن أبى قُحافة ، وعمر
ابن الخطاب ، وعلىُّ بن أبى طالب ، وطلْحة بن عبيد الله ، والزُّبير بن العوّام ،
والحارث بن الصِّمّة ، فى رهطٍ من المسلمين رضى الله عنهم أجمعين . فلما أَسند[1] ٥
رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى الشِّعب ،أدركه أُبىّ بن خَلَف وهو يقول : يا محمد[2]

قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبىّ بن خلف

لا نجوتُ إنْ نجوتَ ! فقال القوم : يا رسولَ الله أيعطف عليه رجلٌ منا ؟ فقال :
دَعُوه. فلمّا دنا تناولَ رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربةَ من الحارث بن الصِّمّة.
قال : يقول بعض الناس فيما ذُكِر لى : فلما أخذَها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم
انتفضَ بها انتفاضةً تطايَرْنا عنه تَطايُرَ الشَّعْراء[3] عن ظهر البعير إذا انتفض ، ١٠
ثم استقبلَه فطعنَه فى عُنقه طعنةً تَدأدأ[4] بها عن فرسه مِرارا . وكان أُبىُّ بن خلف
ـــ كما حدّثنا ابن حميد قال حدّثنا سلمة عن ابن إسحاق عن صالح عن إبراهيم
ابن عبد الرحمن بن عوف ـــ يَلْقَى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فيقول :
يا محمد ، إنَّ عندى العَوْدَ أَعلِفُه كلَّ يومٍ فَرَقًا من ذُرة[5] أقتُلك عليه! فيقول رسول الله
صلى الله عليه وسلم : بل أنا أقتلك إن شاء الله تعالى . فلما رجَع إلى قريش وقد ١٥
خَدَشه فى حَلْقه[6] خدشًا غير كبير ، فاحتقَن الدم قال : قتلَنى والله محمد ! قالوا :
ذَهب والله فؤادُك ، والله ما بكَ بأس . قال : إنّه كانَ بمكة قال لى : أنا أقتلُك ،

(١) أسند فيه : رقى فيه . (٢) فى الطبرى (٣ : ١٩) : « أين محمد » ، لعلها
« أى محمد » . (٣) فى ها : « الفراش » وفى سائر الأصول : « الشعر » صوابه من الطبرى
والسيرة ٥٧٥ جوتنجن . والشعراء : ذباب أحمر وقيل أزرق ، يقع على الإبل و يؤذيها أذى شديدا . ٢٠
(٤) تدأدأ : تدحرج . (٥) الفرق : مكيال لأهل المدينة يسع ثلاثة أصواع .
(٦) الطبرى : « فى عنقه » .

دعاء رسول الله على محاربيه

فوالله لو بَصَق عليّ لقتلني . فمات عدوّ الله بسَرِف[1] وهم قافلون به إلى مكة ، فلما انتهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى فم الشِّعب خرج عليّ بن أبي طالب حتى ملأ دَرَقته من المِهراس[2] ثم جاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرِبَ منه[3] وغسَلَ عن وجهه الدم ، وصَبّ على رأسه وهو يقول : « اشتدّ غضبُ الله ٥ عزّ وجل على من دَمّى وجهَ نبيه » .

قال محمد بن إسحاق : حدّثني صالح بن كيسان عمن حدّثه عن سعد بن أبي وقاص أنه كان يقول : والله ما حَرَصت على قتل رجلٍ قطّ ما حَرَصت على قتل عتبة ابن أبي وقّاص ، و إنْ كان ما علمت لسيّئ الخلق مبغَضًا في قومه ، ولقد كفاني منه قولُ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « اشتدّ غضَبُ الله على مَن دَمّى وجه ١٠ رسول الله » .

قال حدّثنا محمد بن إسحاق قال : حدّثني صالح بن كيسان قال :

تمثيل هند وصواحباتها بقتلى المسلمين

خرجَتْ هندٌ والنسوة اللواتي معها يمثّلن[4] بالقتلى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجدَعْنَ الآذانَ والآنُف ، حتّى اتخذت هندٌ من آذان الرجال وآنفهم خدَمًا وقلائد ، وأعطت خَدَمها[5] وقلائدها وقُرطَها وحشيا غلامَ جُبير بن مُطعِم ، و بقَرت عن[6] كبد حمزة عليه السلام ، فأخرجَتْ كبده فلاكتْها ، فلم تستطع أن تُسيغها ١٥

---

(١) سرف : موضع على ستة أميال من مكة . (٢) المهراس : ماء بجبل أحد .
(٣) صواب النص كما في السيرة والطبري (٣ : ٢٠) : « ليشرب منه فوجد له ريحًا فعافه ولم يشرب منه » . (٤) في بعض النسخ : « تمتاز القتلى » . ولم ترد « امتاز » متعدية ، وإنما هي مطاوعة . والصواب ما أثبت من ها والطبري . (٥) الخدم : جمع خدمة ٢٠ بالتحريك ، وهي الخلخال . (٦) هذا الصواب من ط ، مط ، مب والطبري . وفي سائر النسخ : « عن بطن » .

فلفظتها ، ثم علَتْ على صخرةٍ [مشرفةٍ][1] فصاحتْ بأعلى صوتها بما قالتْ من الشعر حين ظفروا بما أصابوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : حدّثنى صالح بن كيسان أنّه حُدِّث أنّ عمر بن الخطاب رضوان الله عليه قال لحسان : يا ابنَ الفُرَيعة ، لو سمعتَ ما تقول هند ورأيتَ أَشَرها قائمةً على صخرةٍ ترتجز بنا وتذكر ما صنعَتْ بحمزة ؟ قال له حسان : والله إنّى لأنظرُ إلى الحربة تهوِى وإنّى على رأس فارع — يعنى أُطُمَه — فقلت : والله ، إنّ هذه لسلاحٌ ما هى بسلاح العرب ، وكأنّها إنّما تهوِى [إلى حمزة][2] ولا أدرى ، أَسمِعْنى بعضَ قولها أَكفِكُموها . قال : فأنشده عمرُ بعضَ ما قالتْ ، فقال حسان يهجو هندًا :

هجا حسان لهند

أَشِرَتْ لَكاعِ[3] وكان عادتُها * لؤمًا إذا أَشِرت من الكُفرِ
لعنَ الإلهُ وزوجَها معها * هندَ الهنود طويلةَ البَظْرِ[4]
أخرجتِ مرقِصةً إلى أُحُدٍ * فى القوم مُقتبةً على بَكْرِ[5]
[بَكْرٍ ثَفالٍ لا حَراكَ به * لا عن مُعاتبةٍ ولا زجرِ][6]
وعصاكِ إستُكِ تتّقين بها * دُقّى العجايةَ منكِ بالفِهْرِ[7]

(١) هذه من ط ، ها ، مط ، مب والطبرى . (٢) التكملة من تاريخ الطبرى (٣ : ٢٣) والسيرة ٥١٢ (٣) لكاع ، كنى بها عن هند . وامرأة لكاع كقطام : لئيمة . وفى الطبرى والديوان ٢٢٩ : « مع الكفر » . (٤) البظر : لحمة بين شفرى المرأة . الطبرى : « عظيمة البظر » . (٥) الإرقاص : أن يحمل البعير على الخبب . (٦) البيت من ط ، مط ، مب والطبرى والديوان . والثفال ، كسحاب : البطىء من الإبل . مب « ثقال » تحريف .

(٧) يقال عصاه استه ، أى ليس معه عصا فهو يحرّك استه على المطية حتى تسير . انظر مجالس ثعلب ٣٨٠ والبيان (٣ : ٧٧) . دقى العجاية ، هى على هذا صواب فى هذا وفى الطبرى : « دق العجاية هند بالفهر » ، وفى الديوان : « دق العجاية عارى الفهر » . وفى سائر النسخ « دق عجانك منك » تحريف . وأنشدوا لمزرد بن ضرار :

فجاء على بكر ثفال يكده * عصاه استه وجى العجاية بالفهر

قَرِحت عجيزتُها ومَشرجُها * مِن دأبِها نصاً على القُتُر [1]

ظلّتْ تُداويها زميلتُها * بالماء تنضَحه وبالسِّدر

أخرجتِ ثائرةً مبادِرةً * بأبيك فاتِك يومَ ذى بدر [2]

وبعمِّك المستُوه فى رَدَع * وأخيك مُنعَفِرين فى الجَفْر [3]

ونَسيتِ فاحشةً أتيتِ بها * يا هندُ ويحكِ سَيْئَةَ الذكر [4]

فرجعتِ صاغرةً بلا تِرةٍ * منّا ظَفِرتِ بها ولا نَصر

زعمَ الولائدُ أنَّها ولدت * ولَدًا صغيرا كان من عَهْر

قال محمد بن جرير : ثم إنّ أبا سفيان بن حرب أشرف على القوم فيما حدّثنا هارون بن إسحاق قال : حدّثنا مصعب بن المقدام قال حدّثنا إسرائيل ، وحدّثنا ابن وكيع قال : حدّثنا أبي عن إسرائيل قال حدّثنا ابن إسحاق عن البراء قال :

تعقب أبي سفيان للمسلمين ووعيده لهم

ثم إن أبا سفيان أشرَف علينا فقال : أفى القوم محمد؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تُجيبوه ! مرّتين ، ثم قال : أفى القوم ابنُ أبى قحافة ؟ ثلاثا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [5] لا تجيبوه !] . ثم التفتَ إلى أصحابه فقال : أمّا هؤلاء فقد قتلوا ، لو كانوا فى الأحياء لأجابوا ! فلم يملك عمرُ بن الخطاب

(١) ط ، حـ ، ها ، مط ، مب : «عجينتها» تحريف ، صوابه فى سائر النسخ والطبرى والديوان والنص : ضرب من السير السريع . والقتر ، بالضم : الناحية والجانب . وفى الديوان : «من عملها نصا على القهر» . (٢) الطبرى والديوان : «بأبيك وابنك» ، وهو الصواب . و «ذو» تزاد كثيرا فى كلامهم . (٣) المستوه : المضروب فى استه . والردع : الدم . ط ، والطبرى : «ودع» . وفى الديوان : «المسلوب بزته» . والجفر : البئر . وهذه رواية ط ، مط والديوان ؛ وفى الطبرى وسائر النسخ : «الحفر» بالحاء المهملة . (٤) فى الديوان والطبرى : «سبة الدهر» . وسيئة ، فى رواية أبى الفرج ، هو تخفيف السيئة . قال :

أنى جزوا عامرا سيئا فعلهم * أم كيف يجزوننى السوأى من الحسن

(٥) التكملة من ط ، ها ، مط ، مب والطبرى (٣ : ٢٣) .

رضى الله عنه نفسه أن قال : كذبتَ يا عدوَّ الله ، قد أبقَى الله لك ما يُخزيك.
فقال : أَعلِ هُبَل ، أَعلِ هُبل ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أجيبوه .
قالوا : ما نقول ؟ قال : قولوا « الله أعلَى وأجلّ » قال أبو سفيان : لنَا العُزَّى
ولا عُزّى لكم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أجيبوه . قالوا : ما نقول ؟
قال : قولوا الله مولانا ولا مولى لكم . قال أبو سفيان : يومٌ بيومِ بدر ، والحربُ ٥
سِجال، أمَا إنكم ستجدون فى القوم مُثَلًا لم آمُرْ بها ولم تسؤنى .

قال ابن إسحاق فى حديثه :

لمـا أجابَ عمـر رضى الله عنه أبا سـفيان قال له أبو سفيان : هلمَّ يا عمر .
فقـال رسول الله صـلى الله عليه وسـلم : ايتِهِ فانظرْ ما شأنه ؟ فجاءه فقـال له
أبو سفيان : أنشُدك الله يا عمر أقتَلْنا محمدا ؟ فقال عمر : اللهمَّ لا ، وإنّه ليسمعُ ١٠
كلامَك الآن . قال : أنت أصـدقُ عندى من ابن قمئـة وأبرّ ، لقول ابن قمئـة
لهم : إنّى قتلتُ محمدا . ثم نادى أبو سفيان فقال : إنّه قد كان مُثَلٌ[1] والله مارضِيتُ
ولا سَخِطت ، ولا أمرتُ ولا نهيت ، وقد كان الحُلَيس بن زَبّان ، أخو بنى الحارث
ابن عَبـد مَناة ، وهو يومئذ سيّد الأحابيش ، قد مرّ بأبى سفيان بن حرب وهـو
يَضرِب فى شِـدق حمزةَ عليه السـلام وهو يقـول : ذُقْ عُقَق[2] ! فقال الحُلَيس : ١٥ ٢٢/١٤
يا بنى كنانة ، هذا سيّد قريش يصنع بابن عمه كما تَرَوْن لحما[3] ! فقال : اكتمْها علىّ فإنّها
كانت زَلّةً قال : فلما انصرفَ أبو سفيانَ ومن معه نادى : أنْ موعدُكم بدرٌ ، العامَ

---

(١) الطبرى : « قد كان فى قتلاكم مثل » . والمثل : جمع مثلة .

(٢) فى اللسان : « ذق عقق ، أى ذق جزاء فعلك يا عاق » ... وعقق معدول عن عاق للمبالغة ،
كغدر من غادر ، وفسق من فاسق » . ٢٠

(٣) مطابق لما فى الطبرى والسيرة ٥٨٦ جوتنجن . أراد وهو قتيل .

المقبل . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله لرجلٍ من أصحابه : « قل : نعم، هى بيننا و بينك مَوعد » . ثم بعثَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم علىَّ بن أبى طالب عليه السلام فقال : اخرجْ فى آثار القوم فانظرْ ماذا يصنعون، فإنْ كانوا قد جَنَبوا وامتطَوا الإبلَ فإنّهم يريدون مكة ، و إنْ ركبوا الخيلَ وساقوا الإبل فهم يريدون المدينة، فو الذى نفسى بيده لئن أرادوها لأسيرنّ إليهم ثم لأناجزنّهم . قال على : فخرجتُ فى آثارهم أنظرُ ما يصنعون، فلما جَنَبوا الخيل وامتَطَوا الإبل توجّهوا إلى مكّة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى : أىَّ ذلك كان فأخفه حتّى يأتينى . قال علىّ : فلما رأيتهم قد توجّهوا إلى مكة أقبلتُ أصيح، ما أستطيع أنْ أكتم الذى أمَرَنى به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، لما بى من الفرح ، إذْ رأيتهم انصرفوا إلى مكّة عن المدينة، وفَرِغ الناس لقتلاهم(١) . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم — كما حدّثنا ابن حُميد قال : حدّثنا سلمة قال حدّثنى محمد ابن إسحاق عن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى صعصعة(٢) المازنى أخى بنى النجار، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «مَنْ رجلٌ ينظُر لى ما فعلَ سعد بن الربيع — وسعدٌ أخو بنى الحارث بن الخزرج — أفى الأحياء هو أم فى الأموات ؟» . فقال رجلٌ من الأنصار : أنا أنظُر لك يا رسول الله ما فعل . فنظر فوجَده جريحًا فى القتلى به رَمق . قال : فقلت له : إنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أمرنى أن أنظر له أفى الأحياء أنت أم فى الأموات؟ قال : فأنا فى الأموات . أبلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وقلْ له : إنّ سعد بن الربيع يقول لك : جزاكَ الله خيرَ

خروج على بن أبى طالب فى أثر المشركين

سؤال رسول الله عن سعد بن الربيع

---

(١) فى الأصول : « لقتالهم » ، صوابه من الطبرى (٣ : ٢٤) والسيرة ٥٨٣ جوتنجن .

(٢) كذا فى الطبرى . وفى الأصول : « بن عبد الرحمن أخى صعصعة » . لكن فى ها : « بن أخى صعصعة » .

ما جَزى نبيًّا عن أمته ، وأبلغ قومَك عنّى السلام وقل لهم : إنّ سعد بن الربيع يقول : لا عُذرَ لكم عند الله جل وعز إنْ خُلِص إلى نبيكم وفيكم عينٌ تَطرِف . ثم لم أبرح حتّى مات رحمه الله. فجئتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرته .

التماس الرسول حمزة بين القتلى وحزنه عليه

وخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني يلتمس حمزةَ بن عبد المطلب عليه السلام، فوجده ببطن الوادي قد بُقِر بطنُه عن كبده ، ومُثِّل به فجُدِع أنفُه وأذناه .

وعن ابن إسحاق قال : فحدّثنى محمد بن جعفر بن الزبير أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال حين رأى بحمزة ما رأى : « لولا أنْ تَحزَنَ صفيةُ أو تكونَ سنةً من بعدى لتركتُه حتّى يكون فى أجواف السباع وحَواصل الطير ، ولئنْ أنا أظهرنى اللهُ على قريش فى موطنٍ من المواطن لأُمثِّلنّ بثلاثين رجلا منهم » . فلما رأى المسلمون حُزنَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيظَه على ما فُعِل بعمّه قالوا : والله لئن أظفَرنا الله عليهم يومًا من الدهر لنُمثِّلنّ بهم مُثْلة لم يمثّلها أحدٌ من العرب بأحدٍ قطّ .

وعن محمد بن إسحاق قال : حدّثنى بريدة بن سفيان بن فروة الأسلمى عن محمد ابن كعب القُرَظى ، عن ابن عباس . قال ابن حميد قال سلمة ، وحدّثنى محمد ابن إسحاق قال : فحدّثنا الحسن بن عمارة عن الحكم بن عُتيبة عن مِقْسم عن ابن عباس : أنّ الله عز وجل أنزل فى ذلك من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] : ﴿ و إنْ عاقبتُم فعاقِبوا بمثل ما عُوقِبتم به ولئن صَبرتم لهو خيرٌ للصّابرين ﴾ إلى آخر السورة. فعفا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وصبر ونَهى عن المُثْلة .

خروج صفية بنت عبد المطلب لتنظر إلى حمزة

قال ابن إسحاق فيما بلغني : خرجتْ صفيةُ بنت عبد المطلب لتنظرَ إلى حمزة وكان أخاها لأمها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنها الزبير : القَها فأرجعْها لا ترى ما بأخيها . فلقيَها الزبير فقال : يا أُمَّه ، إنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمُرك أن ترجعي . فقالت : ولِمَ، فقد بلغني أنَّه مُثِّل بأخي، وذلك في الله جل وعز قليلٌ، فما أرضانا بما كان من ذلك، لأحتسبنَّ ولأصبرنَّ إن شاء الله تعالى ! فلما جاء الزبير رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك قال : خلِّ سبيلها . فأتته فنظرَتْ إليه وصَلَّت عليه واسترجَعت واستغفرتْ له ، ثم أمَرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم به فدُفِن .

قال : حدّثني محمد بن إسحاق قال : حدّثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود ابن لبيد قال :

استشهاد حسيل ابن جابر وثابت ابن وقش

لمَّا خرجَ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أُحُد ، رجع حُسَيل بن جابر — وهو اليمانِ أبو حذيفة بن اليمان — وثابت بن وَقْش[1] بن زعُورا في الآطام مع النساء والصبيان ، فقال أحدُهما لصاحبه وهما شيخانِ كبيران : لا أبا لك ما تنتظر . فوالله إنْ بقيَ لواحدٍ منّا من عُمره إلّا ظِمْءُ حمار[2]، إنَّما نحن هامةُ اليوم أو غد[3] ، أفلَا نأخذ أسيافَنا ثم نلحقُ برسول الله صلى الله عليه وسلم لعلَّ الله يرزقنا شهادةً معه . فأخذا أسيافَهما ثم خرجا حتَّى دخلا في الناس ، ولم يعلمْ أحدٌ بهما . فأمّا ثابت بن وقش[1] فقتلَه المشركون، وأما حُسَيل بن جابرٍ اليمانِ فاختلفَتْ عليه

(١) كذا في ط ، مب والطبري وفي مط : « ثابت بن زعورا » وفي ها : « بن قيس » وفي سائر النسخ « بن قريش » ، تحريف .

(٢) ظمء الحمار : ما بين الشربين له ، وليس شيء من الدواب أقصر ظمأ من الحمار، يرد الماء كل يوم في الصيف مرتين .

(٣) أي سنموت اليوم أو غدا .

أسيافُ المسلمين فقتلوه ولم يعرفوه، فقال حذيفة : أبى ! قالوا : والله إنْ عرفناه . وصَدَقوا . قال حذيفة : يغفرُ الله لكم وهو أرحمُ الراحمين . فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنْ يَدِيَه (١) ، فتصدَّق حذيفةُ بديته على المسلمين ، فزادته عند رسول الله صلى الله عليه وسلم خَيرًا .

مصرع قزمان

قال حدّثنى محمد بن إسحاق عن عاصم بن عُمر بن قتادة قال : كان فينا رجلٌ أَتِىٌّ (٢) لا ندرى من أين هو، يقال له قُزمان ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا ذكَره : « إنّه لمن أهلِ النار » فلما كان يومَ أحد قاتلَ قتالًا شديدا فقتَل هو وحدَه ثمانيةً من المشركين أو تسعة، وكان شهمًا شجاعا ذا بأس، فأثبتَتْه الجراحة فاحتمِلَ إلى دار بنى ظَفَر ، قال : فجعل رجالٌ من المسلمين يقولون : والله لقد أبلَيتَ اليومَ يا قُزمان ، فابشِرْ (٣) . قال : بم أُبْشِر؟ فوالله أنْ قاتلتُ إلّا على أحسابِ قومى ، ولولا ذلك ما قاتلتُ . فلما اشتدّت عليه جِراحتُه أخذ سهمًا من كِنانته فقطع رواهِشَه فنزفَه الدمُ فمات؛ فأُخبِر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال : إنّى رسولُ الله حقا .

وعن محمد بن إسحاق قال : حدّثنى حسين بن عبد الله عن عِكرِمة قال :

استئذان جابر بن عبد الله فى الخروج

كان يومُ أحد يومَ السبت للنصف من شوّال . فلما كان الغد من يوم أحد، وذلك يومَ الأحد لستّ عشرةَ ليلةً خلت من شوّال، إذّن مؤذّن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس بطلبِ العدوّ، وأذّن مؤذّنه أن لايخرجنّ معنا إلّا من حضَر يومنا بالأمس . فكلّمه جابر بن عبد الله [بن عمرو (٤)] بن حَرامٍ (٥) الأنصارى فقال : يارسول

(١) وداه : أدى ديته . (٢) الأتى : الغريب، ليس من القوم . (٣) كذا فى ها والطبرى ، وفى سائر النسخ : « القوم » . (٤) التكلة من الطبرى (٣ : ٢٨) والإصابة ١٠٢٢ (٥) كذا على الصواب فى ط ، ها ، مط ، مب . وفى ا : «حزام» وفى سائر النسخ « حزم » .

الله، إن أبي كان خلّفني على أخواتٍ لى سبع وقال لى: يابنىّ، إنه لا ينبغى لى ولا لك أن نترك هؤلاء النسوةَ بلا رجلٍ فيهن، ولستُ بالذى أوثرك بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسى، فتخلَّفْ على أخواتك. فتخلّفت عليهنّ. فأذِن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج معه، وإنّما خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مُرهِبًا للعدو، وأنّهم خرجوا فى طلبهم فيظنون أنّ بهم قوة، وأن الذى أصابهم لم يُوهِنْهم عن عدوّهم.

خروج بعض الجرحى لمعاودة القتال

عن محمد بن إسحاق: قال فحدّثنى عبد الله بن خارجة[1] بن زيد بن ثابت، عن أبى السائب مولى عائشة بنت عثمان بن عفان، أنّ رجلًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى عبد الأشهل كان شهد أحدا. قال: فشهدتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أنا وأخٌ لى، فرجَعنا جريحين، فلما أذّن مؤذّن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج فى طلب العدوّ قلتُ لأخى وقال لى: أتفوتُنا غزوةٌ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، والله ما لنا من دابةٍ نركبها، وما منّا إلا جريحٌ ثقيل. فخرجْنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت أيسرَ جُرحاً منه، فكنتُ إذا غُلِب عليه حملتُه عُقبة[2] حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون، فخرجَ إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتّى انتهينا إلى حمراء الأسد، وهى من المدينة على ثمانية أميال، فأقام بها ثلاثًا: الاثنين والثلاثاءَ والأربعاء، ثم رجَع إلى المدينة.

تخذيل معبد الخزاعى وهو مشرك لأبى سفيان

قال ابن إسحاق عن عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عَمْرو بن حَزْم، أنه مرّ برسول الله صلى الله عليه وسلم معبدٌ الخزاعى، وكانت خُزاعة مسلمُهم ومشركهم

(١) كذا على الصواب فى ط، ا، ها، مط، مب. وفى حـ «عبد الله بن خارجة» أيضا لكن كتب فوقها «محمد» وفى سائر النسخ: «محمد بن خارجة».

(٢) العقبة، بالضم: النوبة. الطبرى: «حمله عقبة ومشى عقبة».

عَيبة[1] رسولِ الله صلى الله عليه وسلم لا يُخفون عليه شيئا كان بها، ومعبدٌ يومئذ مشرك، فقال : يا محمد لقد عَزّ علينا ما أصابَك فى أصحابك ، ولوددتُ أنّ الله قد أعفاك منهم . ثم خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمراء الأسد حتّى لقى أبا سفيان ابن حَرب بالرّوحاء ومَن معه، وقد أجمعوا الرَّجعةَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : أصبنا جِدّ[2] أصحابِه وقادتهم وأشرافهم، ثم رجَعْنا قبل أن نستأصلَهم ، لَنكُرَّنَّ على بقيّتهم فلنفْرُغنّ منهم! فلما رأى أبو سفيان معبدًا قال: ماوراءك يامعبد؟ قال : محمدٌ قد خرج فى أصحابه يَطلبكم فى جمع لم أر مثلَه قطّ يتحرّقون عليكم تحرُّقا ، قد اجتمعَ معه مَن كان تخلّف عنه فى يومكم، وندموا على ما صنعوا فيهم من الحَنَق عليكم ، شىء لم أرَ مثلَه قطّ . قال : ويلكَ ما تقول ! قال : والله ما أراكَ ترتحل حتّى ترى نواصىَ الخيل . قال : فوالله لقد أجمعنا الكَرّةَ لنستأصلَ شأفتهم[3] . قال: فإنّى أنهاكَ عن ذلك ، فوالله لقد حَملَنى ما رأيتُ على أن قلتُ فيه أبياتا من شعر . قال : وماذا قلت ؟ قال قلت :

كادت تُهَدُّ من الأصوات راحلتى * إذْ سالت الأرضُ بالجُرد الأبابيل[4]

فظَلْتُ عدْوًا أظنُّ الأرضَ مائلة * لمّا سَمَوْا برئيس غيرِ مخذول

فقلتُ ويلَ ابنِ حربٍ من لقائكم * إذا تَغَطمطتِ البطحاءُ بالجِيل[5]

---

(١) عيبة الرجل : موضع سره، على المثل .

(٢) ط، مط، مب : «حد» بالحاء المهملة .

(٣) الطبرى (٣ : ٢٩) : «لنستأصل بقيتهم» .

(٤) تهد : يبلغ منها وتكسر. والجرد : جمع أجرد، وهو الفرس القصير الشعر . والأبابيل : الجماعات . وقوله : «سالت الأرض» هو من قوله :

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا * وسالت بأعناق المطى الأباطح

(٥) تغطمطت : اضطربت . والجيل : الأمة، وكل صنف من الناس .

إنّى نذيرٌ لأهل السّـيل ضاحـيةً (١) * لكلّ ذى إربةٍ منهــم ومعقول

من جيش أحمدَ لا وَخْشٍ (٢) تنابلةٍ * وليس يوصَف ما أنذرت بالقيــل

٢٥/١٤

قال: فثنى ذلك أبا سفيان ومَن معه ، ومرّ به ركبٌ من عبـد القيس فقال : أين تريدون ؟ قالوا : نريد المدينـة . قال : فلم ؟ قالوا : نُريد الميرة . قال : فهـل أنتم مبلغون عنّى محمّدًا رسالةً أرسلُكم بها إليه، وأحمل لكم إبلكم هذه غداً زبيباً بعكاظَ إذا وافيتموها ؟ قالوا : نعم . قال : فإذا جئتموه فأخبروه أنْ قد أجمعْنا السّير إليه وإلى أصحابه ، لنستأصلَ شأفتهم . فمرّ الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه بالذى قال أبو سفيان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه : « حَسبنا الله ونعم الوكيل » .

صــــوت

أمِن ريحانةَ الداعى السّــميعُ * يؤرّقُــنى وأصحابى هُجُــوع

برانى حبُّ مَن لا أستطيعُ * ومن هو للذى أهـوَى مَنــوعُ

إذا لم تســتطعْ شــيئاً فدَعْه * وجاوِزْهُ إلى ما تســتطيع

الشعر لعمرو بن معديكرب الزبيدى ، والغناء للهذلى ، ثقيل أول بإطلاق الوتر فى مجرى الوسطى ، من رواية إسحاق . وفيه ثقيل أول على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة . وفيه لابن سُرَيج رمل بالوسطى من رواية حماد عن أبيه .

---

(١) السيل : اسم من أسماء مكة ، عن نصر . ما عدا ط ، ا ، مب : « السبل » وفى الطبرى : « البسل » . ضاحية ، أى علانية . المعقول : العقل .

(٢) الوخش : رذالة الناس وصغارهم . ما عدا ط ، ا : « وحش » صوابه فى سائر النسخ والطبرى . والتنبل : القصير .

ذكر عمرو بن معديكرب وأخباره

نسبه

هو عمرو بن معد يكرب بن عبد الله بن عمرو بن عُصْم بن عمرو بن زُبَيد ، وهو منبِّه .

هكذا ذكر محمد بن سلام فيما أخبرنا به أبو خليفة عنه .

وذكر عمر بن شبّة عن أبى عبيدة أنه عمرو بن معد يكرب بن ربيعةَ بن عبدالله ابن عمرو بن عُصْم بن زبيد بن منبِّه بن سَلَمة بن مازن بن ربيعة بن مُنبِّه بن صَعب ابن سَعد العشيرة بن مَذْحِج بن أُدد بن زيد بن يشجُب بن عَرِيب بن زيد بن كهلان ابن سبأ بن يشْجُب بن يعرب بن قحطان .

ويكنى أبا ثور، وأُمُّه وأم أخيه عبدِ الله امرأةٌ من جرم فيما ذُكر، وهى معدودة من المنجِبات .

تقديمه على زيد الخيل

أخبرنا محمد بن دريد قال : أخبرنا أبو حاتم عن أبى عبيدة قال : عمرو بن معديكرب فارس اليمن، وهو مقدَّم على زيد الخيل فى الشدّة والبأس .

استعداده لقتال خثعم

وروى على بن محمد المدائنى عن زيد بن قُحَيف الكلابىّ قال : سمعتُ أشياخنا يزعمون أنَّ عمرو بن معد يكرِب كان يقال له « مائق بنى زبيد » ، فبلغهم أنّ خثعم تريدُهم، فتأهَّبوا لهم ، وجمع معديكرِبُ بنى زُبيد، فدخل عمرٌو على أخته فقال : أشبِعينى إنّى غدًا لِكتيبةٍ[(١)] . قال : فجاء معديكرب فأخبرته ابنتُه فقال : هذا المائق يقول ذاك ؟ قالت : نعم . قال : فسَليه ما يُشبعه . فسألَته فقال : فَرقٌ من ذرة ، وعَتُودٌ رَبَاعية . قال : وكان الفَرَق يومئذ ثلاثةَ أصْوُع[(٢)] . فصنَع له ذلك ،

(١) كذا فى ط ، ا ، مط ، مب : وفى سائر النسخ : « إن غدا الكتيبة » .

(٢) أصوع : جمع صاع ، وهو مكيال لأهل المدينة يأخذ أربعة أمداد . ويجمع أيضا على «أصؤع» بالهمز ، وأصواع ، وصوع ، وصيعان .

حلوله محل أبيه في القتال وقهره للعدو

وذبح العنز وهيأ له الطعام . قال : فجلس عليه فسلته(١) جميعا . وأتتهم خثعم الصباح فلقوهم ، وجاء عمرو فرمى بنفسه ، ثم رفع رأسه فإذا لواء أبيه قائم ، فوضع رأسه فإذا لواء أبيه قد زال ، فقام كأنه سرحة محرقة ، فتلقى أباه وقد انهزموا فقال : انزل عنها ، فاليوم ظلم(٢) . فقال له : إليك يا مائق ! فقال له بنو زبيد : خله أيها الرجل وما يريد ، فإن قتل كفيت مؤنته ، وإن ظهر فهو لك . فألقى إليه سلاحه فركب ، ثم رمى خثعم بنفسه حتى خرج من بين أظهرهم ، ثم كر عليهم وفعل ذلك مرارا ، وحملت عليهم بنو زبيد فانهزمت خثعم وقهروا ، فقيل له يومئذ : فارس زبيد .

٣٦ / ١٤ ق

وفود عمرو ابن معد يكرب على الرسول الكريم

قال أبو عمرو الشيباني : كان من حديث عمرو بن معد يكرب بن ربيعة ابن عبد الله بن زبيد بن منبه [بن سلمة بن مازن بن ربيعة بن منبه](٣) بن صعب ابن سعد العشيرة بن مالك — وهو مذحج — بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب(٤) ابن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، أنه قال لقيس ابن مكشوح المرادي ، وهو ابن أخت عمرو ، حين انتهى إليهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا قيس ، إنك سيد قومك ، وقد ذكر لنا أن رجلا من قريش يقال له محمد قد خرج بالحجاز ، يقال له نبي ، فانطلق بنا حتى نعلم علمه ، وبادر [فروة](٥) لا يغلبك على الأمر . فأبى قيس ذلك وسفه رأيه وعصاه ، فركب عمرو متوجها إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال : خالفتني يا قيس ! وقال عمرو في ذلك :

أمرتك يوم ذي صنعا * ء أمرا بينا رشده(٦)

(١) سلته ، يقال سلت القصعة : مسحها بإصبعه . والسلت أيضا : القطع والاستئصال .
(٢) عنها ، أي عن الفرس . اليوم ظلم ، عبارة يقولها العرب بمعنى حقا . طلب من أبيه أن يتنحى له فرسه ليحارب عليها . (٣) التكملة من ط ، مط ، مب . (٤) كذا في ط ، أ ، مط ، مب على الصواب . وفي سائر النسخ : « يعرب » تحريف . (٥) هذه من ط ، مط ، مب ، وموضعها بياض في أ فقط . (٦) ذو ، زائدة ، وكثيرا ما تزاد في كلامهم . وأراها زائدة في البيت الثالث .

امرتُــك باتِّقــاء الله * بِه تأتيـــه وتتَعـــده (١)
فكنتَ كذى الحُميِّرِ غَرَّه من أيرِه وَتــده (٢)

وفود فروة ابن مسيك على الرسول

قال أبوعبيدة: حدّثنا غير واحدٍ من مَذحِج قالوا: قدم علينا وفدُ مذحِج، مع فَروَة ابن مُسيكٍ المرادىّ، على النبى صلى الله عليه وسلم، فأسلَموا و بعثَ فروةُ صدقاتِ من أسلمَ منهم وقال له: ادعُ الناس وتألّفْهم، فإذا وجدتَ الغفلةَ فاهتبلْها واغزُ.

قال أبو عمرو الشيبانى: وإنّما رحلَ فروةُ مفارقاً لملوك كندة مباعِداً لهم، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد كانت قبل الإسلام بين مُراد وهَمدانَ وقعةٌ أصابت فيها همدانُ من مرادٍ حتّى أثخنوهم، فى يومٍ يقال له يوم الرَّزْم (٣)، وكان الذى قاد هَمْــدانَ إلى مراد الأجدعَ بن مالك بنَ حريم (٤) الشـاعر الهمْدانى بن مسروق ابن الأجدَع، ففضحَهم يومئذ، وفى ذلك يقول فَروة بنُ مسيك المرادى:

فإن نَغلِبْ فغلاّبون قِدمًا * وإن نُهزَمْ فغير مهزّمينا

فلما توجّه فروةُ إلى النبى صلى الله عليه وسلم أنشأ يقول:

لمّا رأيتُ ملوكَ كندةَ أعرضَتْ * كالرِّجل خانَ الرجلَ عِرقُ نَساها
يمّمتُ راحلتى أمامَ محمــدٍ (٥) * أرجــو فواضلَها وحسنَ ثَراها (٦)

---

(١) فى السيرة ٩٥٢: «والمعروف تتعده».

(٢) الحمير: مصغر الحمار. ط، مط، مب: «من عيره». وفى السيرة:

خرجت من المنى مثل الـ * ـحمير غره وتــده

(٣) الرزم، براء بعدها زاى، هو الصواب من ط، مط، مب ومعجم البلدان ومعجم ما استعجم. وفى السيرة والخزانة (٢: ١٢٣): «الردم»، وفى سائر النسخ: «الروم» كلاهما محرف.

(٤) حريم، بالراء المهملة. وهذا الصواب من ط، مط، مب، وفى سائر النسخ «حزيم» بالزاى.

(٥) كذا فى الأصول. وفى السيرة ٩٥١: «قربت راحلتى أؤم محمدا».

(٦) الثرى: مقصور الثراء، وهو الثروة والغنى.

فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له فيما بلغنا : هل ساءكَ ما أصاب قومَك يوم الرزْم[(١)] ؟ قال : يا رسول الله ، مَن ذا الذى يصيب قومَه مثلُ الذى أصابَ قومى ولا يسوءه . فقال له : أمَا إنّ ذلك لم يزد قومَك فى الإسلام إلّا خيرا ! واستعملَه على مرادٍ وزُبيد ومَذحِج كلّها .

ارتداد عمرو ابن معد يكرب

٥ قال أبو عبيدة : فلم يلبثْ عمرٌو أن ارتدَّ عن الإسلام ، فقال حين ارتد :

وجدنا مُلْك فروةَ شرَّ ملك * حمارٌ سافَ منخرَه بقَذْرِ[(٢)]
وإنّك لو رأيتَ أبا عميرٍ * ملأتَ يديك من غَدرٍ وختْرِ

حرب مذحج

قال أبو عبيدة : فلما ارتدَّ عمرو مع من ارتدَّ عن الإسلام من مَذحِج ، استجاش فروةُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، فوجَّه إليهم خالد بن سَعيد بن العاص وخالد بن الوليد ،

٢٧ / ١٤

١٠ وقال لهما : إذا اجتمعتم فعلىُّ بن أبى طالب أميركم وهو على الناس . ووجَّه عليا عليه السلام فاجتمعوا بكُسَرٍ[(٣)] من أرض اليمن ، فاقتتلوا وقُتِل بعضهم ونجا بعض ، فلم يزل جعفرٌ وزُبيد وأودٌ بنو سعد العشيرة بعدَها قليلة . وفى هذا الوجه وقعت الصمصامةُ إلى آل سعيد ، وكان سببُ وقوعها إليهم أنّ ريحانةَ بنت معد يكرب سُبِيت يومئذ ، ففداها خالد ، وأثابَه عمرٌو الصمصامةَ[(٤)] ، فصار إلى أخيه سعيد ،

حديث الصمصامة

١٥ فوُجِد سعيدٌ جريحًا يوم عثمان بن عفان رضى الله عنه حين حُصِر وقد ذهب السيف والغِمد ، ثم وُجد الغمد ، فلما قام معاويةُ جاءه إعرابىٌّ بالسيف بغير غمد ، وسعيد

(١) ما عدا ط ، مط ، مب : « الروم » . وانظر ما سلف من التحقيق فى الصفحة السابقة .
(٢) ساف سوفا : شم ، وقد زاد الباء مع الفعل . والقذر ، بالفتح وسكون الذال وصف من قولهم : قذر قذارة فهو قذر . ط ، أ ، مط ، مب : « بقدر » . وفى السيرة : « حمارا ساف منخره بثفر » .
٢٠ وثفر الدابة : حياؤها .
(٣) فى معجم البلدان : « الكسر : قرى كثيرة بحضرموت يقال لها كسر قشاقش ، سكنها كندة » .
(٤) كذا الصواب فى ط ، مط ، مب . وفى سائر النسخ : « وأصابه غمد الصمصامة » .

حاصر ، فقال سعيد : هذا سيفى ! فجحَد الأعرابىُّ مقالتَه، فقال سعيد : الدليلُ على أنّه سيفى أنْ تبعث إلى غِمدِه فتغْمِده فيكون كِفافَه . فبعث معاويةُ إلى الغمد فأتى به من منزل سعيد فإذا هو عليه، فأقرّ الأعرابىُّ أنّه أصابه يومَ الدار ، فأخذه سعيدٌ منه وأثابه، فلم يزل عنـده حتّى أصعد المهدىُّ من البصرة ، فلما كان بواسطٍ بعث إلى سعيدٍ فيــه ، فقال : إنّه للسبيل . فقال : خمسون سيفًا قاطعا أغنَى من سيفٍ واحد . فأعطاهم خمسين ألفَ درهم وأخذه .

وذكر ابن النطّاح أنّ المدائنى حكى عن أبى اليقظان عن جُوَيرية بن أسماء قال :

حديث إسلام عمرو بن معديكرب

أقبلَ النبىّ صلى الله عليه وسلم من غزاةِ تبَوك يريد المدينة ، فأدركه عمرو ابن معديكرِب الزُّبيدى فى رجالٍ من زبيد، فتقدم عمرٌو ليلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمسك حتّى أوذِنَ به ، فلما تقدّم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يسير قال : حيّاك الله إلهُك، أبيتَ اللعن ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنّ لعنةَ الله وملائكته والناسِ أجمعين على الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر . فآمِنْ بالله يؤمنْك يومَ الفَزع الأكبر » . فقال عمرو بن معديكرب : وما الفزع الأكبر؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنّه فزعٌ ليس كما تحسَب وتظُنّ . إنّه يُصاح بالنـاس صَيحة لا يبقى حىٌّ إلّا مات ، إلا ما شاء الله من ذلك ، ثم يُصاح بالناس صَيحة لا يبقى ميّتٌ إلا نُشِر ، ثم تَلجُ تلك الأرضُ بدوىٍّ تنهدّ منه الأرض ، وتخرّ منه الجبـال ، وتنشق السماءُ انشقاقَ القُبْطية[1] الجـديد ما شاء الله فى ذلك ، ثم تَبرز النارُ فيُنظر إليها حمراءَ مظلمةً قد صار لها لسانٌ فى السماء ، تَرمى بمثل رءوس الجبال من شَرَر النار ، فلا يبقى ذو رُوح إلّا انخلعَ قلبه ، وذكر ذنبه . أين أنتَ يا عمرو » قال : إنّى أسمع أمرا عظيما ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا عمرو أسلِمْ

(١) القبطية : ثياب مصرية رقيقة بيضاء . الجديد : المجدودة ، أى المقطوعة .

تَسلم» . فأسلَمَ و بايَعَ لقومه على الإسلام، وذلك مُنصرَفَ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزاة تبوك، وكانت فى رجب من سنة تسع (١) .

ضخامة بدنه

وقال أبو هارون السَّكسكى البصرىّ : حدّثنى أبو عمرو المدينىّ أنّ عمر ابن الخطاب رضى الله عنه كان إذا نظَر إلى عمرو قال : «الحمد لله الذى خَلَقنا وخلق عمرا!» تعجّبًا من عِظَم خَلقه .

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهرى قال : حدّثنا عمر بن شبّة عن خالد ابن خِداش عن أبى نُميلة قال : أخبرنى رُمَيح عن أبيه قال :

رأيت عمرو بنَ معد يكربَ فى خلافة معاوية شيخًا أعظمَ ما يكون من الرجال، أجشَّ الصوت، إذا التفتَ التفتَ بجميع جسده .

موته وقبره ٢٨ / ١٤

وهذا خطأ من الرواية، والصحيح أنّه مات فى آخر خلافة عمر رضى الله عنه، ودُفن بِرُوذَة (٢) بين قُمّ والرىّ . ومن الناس من يقول إنّه قتل فى وقعة نَهاوَند، قبرُه فى ظاهرها موضعٌ يعرف بقبدِشجان (٣)، وأنّه دُفن هناك يومئذ هو والنعمان بن مقرِّن .

وروى أيضا من وجهٍ ليس بالموثوق به، أنّه أدرك خلافةَ عثمان رضى الله عنه، روى ذلك ابن النطّاح عن مَروان بن ضِرار عن أبى إياس البصرىّ، عن أبيه، عن جُويرِيَة الهذَلىّ فى حديث طويل قال :

رأيت عمرو بن معديكربَ وأنا فى مسجدِ الكوفة فى خلافة عثمان، حين وجّهه إلى الرىّ، كأنه بعيرٌ مهنوء .

(١) أسلم عمرو ثم ارتدّ ثم عاود الإسلام بعد أن أسر . الإصابة ٥٩٦٥ .

(٢) روذة ، بضم أوله ، كما فى ياقوت .

(٣) كذا فى أ . وهى فى ط ، مب مهملة النقط ، وفى حـ : «بفيديشخان» وفى مط «بقيدسيحان» وفى ها «بفنديسجان» وفى سائر النسخ : «بقبد يشخان» .

وقال ابن الكلبي : حدثني أسعر ، عن عمرو بن جرير الجُعفي قال : سمعت خالد بن قطن يقول :

خرج عمرو بن معد يكرب في خلافة عثمان رضي الله عنه إلى الري ودَستَبي[1] ، فضربه الفالجُ في طريقه فمات بِرُوذة .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبّة قال : أخبرني خالد بن خداش قال حدثنا حماد بن زيد عن مجالد عن الشعبي :

طلبه الزيادة في العطاء

أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه فَرَضَ[2] لعمرو بن معديكرب في ألفين ، فقال له : يا أمير المؤمنين ألفٌ ههنا وأومأ إلى شقّ بطنه الأيمن ، وألف ههنا وأومأ إلى شقّ بطنه الأيسر — فما يكون ها هنا؟ وأومأ إلى وسط بطنه . فضحك عمر رضوان الله عليه وزاده خمسمائة .

خوفه من الحرين والعبدين

قال علي بن محمد[3] : قال أبو اليقظان : قال عمرو بن معد يكرب : لو سرت بظعينة وحدي على مياه معدّ كلّها ما خفتُ أن أُغلبَ عليها ، ما لم يَلقَني حُرَّاها أو عبداها[4] . فأما الحُرّان فعامر بن الطفيل وعُتيبة بن الحارث بن شهاب ، وأما العبدان فأسودُ بني عبس ، يعني عنترةَ والسُّليك بن السُّلَكة ، وكلّهم قد لقيت . فأما عامر ابن الطُّفيل فسريع الطَّعن على الصوت ، وأما عتيبة فأوّل الخيل إذا غارت ، وآخرها إذا آبت . وأما عنترة فقليل الكَبوة ، شديدُ الكَلَب[5] . وأما السُّليك فبعيد

(١) دستبي : كورة كبيرة كانت مقسومة بين الري وهمذان . ط ، حـ ، مط ، ها ، مب : « دستى » أ « دسبق » وسائر النسخ « دستى » ، والصواب ما أثبت .

(٢) هذه الكلمة من ط ، حـ ، مط .

(٣) هو أبو الحسن علي بن محمد المدائني .

(٤) ط ، مط ، مب : « وعبداها » .

(٥) الكلب : الغضب والإلحاح في القتال . ما عدا ط ، حـ ، مط ، ها ، مب : « الجلب » .

الغارة ، كالليث الضارى . قالوا : فما تقول فى العباس بن مرداس ؟ قال : أقول فيه ما قال فىّ :

إذا مات عمرٌو قلتُ للخيل أَوطئوا * زُبيدًا فقـد أودى بنجدتها عَمـرو

وقام مُغضَبا وعلم أنّهم أرادوا توبيخَه بالعباس .

قال على : وقال أبو اليقظان : أحسب فى اللفظ غَلطًا وأنه إنّما قال : « هَجينا مُضَر » ؛ لأنّ عنترة استرقّ ، والعباس لم يسترقّ قطّ .

أخبرنى أبو خليفة قال حدثنا أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنـا عمر بن شبّةَ قال حدثنا أحمد بن جَناب (١) عن عيسى بن يونس (٢) ، عن إسماعيـل (٣) ، عن قيس : أن عمر رضى الله عنه كتَبَ إلى سعد بن أبى وقاص :

كتاب عمر إلى سعد وتقديره لعمرو ابن معد يكرب

١٠ إنّى قـد أمددتُك بألفَىْ رجل عمرو بن معـد يكرب ، وطليحة بن خويلد — وهو طليحة الأسدى — فشاوِرْهما فى الحرب ولا تولِّهما شيئا .

أخبرنى أحمد بن عبـد العزيز قال حدّثنا عمر بن شـبة قال : حدثنا أحمد آبن جناب قال حدثنا عيسى بن يونس ، عن إسماعيل ، عن قيس قال :

شجاعة عمرو وتحضيضه على القتال

شهدتُ القادسيةَ وكان سعدٌ على النـاس ، فجاء رُستم فجعـل يمرّ بنا وعمرو

١٥ آبن معد يكرب الزبيـدى يمرّ على الصفوف يحضّ النـاس و يقـول : يا معشر المهاجرين ، كونوا أسدًا أغنى شأنَه (٤) ، فإنّما الفارسىّ تيسٌ بعـد أن يُلقِىَ نيزَكه (٥) .

(١) ترجم له فى تهـذيب التهذيب وقال : « روى عن عيسى بن يونس » . ما عدا ط ، حـ : « حباب » محرف . (٢) هو إسماعيل بن أبى خالد الأحمسى . روى عن قيس بن أبى حازم وأكثر فى الرواية عنه ، كما فى تهذيب التهذيب . (٣) هو قيس بن أبى حازم الأحمسى ، ترجم له

٢٠ فى تهذيب التهذيب . (٤) أغنى شأنه : كفى نفسه ، لم يستعن بشىء . قال المتلمس :

أغنيت شأنى فأغنـوا اليـوم شأنكم * واستحمقوا فى مراس الحرب أو كيسوا

(٥) النيزك : الرمح القصير ، فارسى معرب . والرمح بالفارسية « نيزه » بكسر النون . وفى اللسان أن النيزك « حقيقته تصغير الرمح بالفارسية » . والكاف تستعمل للتصغير فى الفارسية : فكلمة « مرد » بمعنى رجل ، تصغر على « مردك » أى رجيل . حـ : « ببركة » أ ، مط ، مب « يبركه » بالإهمال ،

٢٥ والصواب فى ط ، ها .

قال : وكان مع رستم أسوارٌ لا تسقُط له نُشَّابة . فقال له : يا أبا ثور، اتّق ذاك ! فإنا لنقولُ له ذلك إذْ رماه رميةً فأصاب فرسَه، وحمل عليه عمرٌو فاعتنقه ثم ذبحَه، وسلبه سِوارَىْ ذهبٍ كانا عليه، وقَباءَ ديباج .

٢٩/١٤

قال أبو زيد[1] : فذكر أبو عبيدة أنّ عمراً حملَ يومئذٍ على رجلٍ فقتلَه ثم صاح: يا معشرَ بنى زبيد، دونَكم فإنّ القوم يموتون !

٥

وقال على بن محمد المدائنى : وأخبرنا محمد بن الفضل وعبدُ ربِّه بنُ نافع، عن إسماعيل عن قيس بن أبى حازم قال :

شجاعته فى حرب القادسية

حضر عمرٌو الناسَ وهم يقاتلون، فرماه رجلٌ من العجم بنُشَّابةٍ فوقعت فى كَتفه، وكانت عليه درعٌ حصينة فلم تنفُذ، وحمَلَ على العِلج فعانقه فسقطا إلى الأرض، فقتله عمرٌو وسلبهُ، ورجَع بسلبِه وهو يقول :

١٠

أنا أبو ثَور وسيفِى ذو النُّونَ * أضربُهم ضربَ غلامٍ مجنون

* يالَ زُبيد إنّهم يموتون *

قال أبو عبيدة : وقال فى ذلك عمرو بن معد يكرب :

صوت

أَلِم بسلمَى قبلَ أن تظْعنا * إنَّ لنا من حبِّها ديدنا

١٥

قد علمتْ سَلمى وجاراتُها * ما قطَّرَ الفارسَ إلا أنا

شككتُ بالرمح حيازيمَه * والخيلُ تعدو زِيَمًا[2] بيننا

غنى فيه الغريضُ ثانىَ ثقيلٍ بالسبابة فى مجرى البِنصر . وفيه رَملٌ بالبنصر يقال إنه لمعبَد . ويقال إنه من منحول يحيى المكى .

(١) أبو زيد : كنية عمر بن شبة . (٢) زيما : متفرقة .

٢٠

قال أبو عبيدة فى رواية أبى زيد عمر بن شبة :

شهد عمرو بن معد يكرب القادسية وهو ابن مائة وستّ سنين . وقال بعضهم: بل ابن مائة وعشر . قال : ولما قَتَل العلجَ عبَر نهر القادسية هو وقيسُ بن مكشوح المرادى، ومالك بن الحارث الأشتر .

٥ قال : فحدّثنى يونس أنّ عمرو بن معد يكرب كان آخرَهم، وكانت فرسُه ضعيفةً فطلبَ غيرَها ، فأُتِىَ بفرسٍ فأخَذ بعُكْوة[1] ذنبه وأخلدَ به إلى الأرض، فأقعى الفَرس فردّه ، وأُتِىَ بآخرَ ففعل به مثلَ ذلك فتحلحلَ ولم يُقْعِ فقال : هـذا على كلّ حالٍ أقوى من تلك ، وقال لأصحـابه : إنّى حاملٌ وعابرٌ الجسر ، فإنْ أسرعتم بمقدار جَزْرِ الجزور وجدتمونى وسيفى بيدى أقاتلُ به تلقاءَ وجهى ، وقد عَقَر بى القـومُ[2]

١٠ وأنا قائمٌ بينهم وقد قَتلتُ وجَرَّدت . وإنْ أبطأتم وجدتمونى قتيلاً بينهم وقد قُتِلتُ وجُرِّدت . ثم انغمَس فحمل فى القوم فقال بعضُهم : يابنى زُبيد، تدَعون صاحبَكم والله ما نرى أن تُدرِكوه حيا . فحملوا فانتهَوْا إليه وقد صُرِع عن فرسه ، وقد أخذ برِجْلِ فـرسٍ رجُلٍ من العجم فأمسكَها، وإنّ الفارس ليضربُ الفرسَ فمـا تقدر أن تتحرّك من يده . فلما غَشِيناه رمَى الأعجمىُّ بنفســه وخلّى فرسَــه، فركبه عمرو

١٥ وقال : أنا أبو ثور، كدتم والله تفقدوننى ! قالوا : أين فرسُك ؟ قال رُمِى بنُشّابةٍ فشَبَّ فصرعَنى وعار[3] .

ورَوَى هذا الخبر محمد بن عمر الواقدى عن[4] ابن أبى سَبْرة[5] عن أبى عيسى الخياط . ورواه علىُّ بن محمـد أيضا عن مُرّة عن أبى إسماعيل الهمذانى عن طَلحة ابن مصرِّف . فذكرا مثل هذا .

٢٠ (١) العكوة، بالضم : أصل الذنب . (٢) عقروا به ، أى عقروا فرسه . ومنه الحديث : « فعقر حنظلة الراهب بأبى سـفيان بن حرب » أى عرقب دابته . ما عدا ط ، مط ، ها : « عقرنى القوم » ، محرف . (٣) عار يعير عيارا : ذهب كأنه منفلت . (٤) كذا على الصواب فى ها ، مب . وفى سائر النسخ : « عن أبى سبرة » . (٥) مط ، ها : « عن عيسى » .

قال الواقدى : وحدّثنى أسامة بن زيد، عن أبان بن صالح قال :

ضربه فيل رستم

٣٠
——
١٤

قال عمرو بن معد يكرب يوم القادسية : ألزِمُوا خراطيمَ الفيلة السُّيوف ، فإنه ليس لها مقتلٌ إلّا خراطيمها . ثم شدّ على رُستمَ وهو على الفيل فضربَ فيلَه بجَذَم عُرقوبيه فسقط ، وحُمل رستم على فرسٍ وسَقَط من تحته خُرجٌ فيه أربعون ألف دينار، فحازه المسلمون، وسقط رُستُم بعد ذلك عن فرسه[1] فقتله .

٥

قال على بن محمد المدائنى : حدّثنى على بن مجاهد عن ابن إسحاق قال :

مصرع رستم

لمّا ضرب عَمْرو الفيل وسَقَط رستم ، سقط على رستم خُرجٌ كان على ظهر الفيل فيه أربعون ألف دينار، فمات رستمُ من ذلك، وانهزم المشركون .

وقال الواقدى : حدّثنى ابن أبى سَبْرة ، عن موسى بن عقبة عن أبى حبيبة مولى آل الزبير قال : حدّثنا نيار[2] بن مُكرم الأسلمى، قال :

١٠

تنكيله بالفرس يوم القادسية

شهدت القادسيةَ فرأيتُ يومًا اشتدّ فيه القتال بيننا وبين الفُرس، ورأيت رجلًا يفعل يومئذ بالعدوّ أفاعيل ، يُقاتل فارسًا ثم يقتحم عن فرسه ويربط مِقودَه فى حَقْوِه فيقاتل ، فقلت : مَن هذا جزاهُ الله خيرا ؟ قالوا : هذا عمرو بن معد يكرب .

أخبرنى محمد بن الحسن بن دريد قال : أخبرنا السكن بن سعيد، عن محمد ابن عباد، عن ابن الكلبىّ، عن خالد بن سعيد، عن أبى محمد المرهبىّ قال :

١٥

كان شيخٌ يجالس عبدَ الملك بن عُمير ، فسمعته يحدّث قال :

(١) ط ، مط ، مب : « من فرسه » . ها : « عن الفرس » وأثبت ما فى سائر النسخ .

(٢) نيار ، بكسر النون ، بن مكرم بضم أوله وسكون ثانيه ، اختلف فى صحبته . ترجم له فى تهذيب التهذيب والإصابة . ط ، مط ، ها ، مب : « سيار » محرف .

٢٠

قدوم عيينة ابن حصن على عمرو

قدم عيينةُ بن حصنٍ الكوفةَ فأقام بها أياما ثم قال : والله مالى بأبى ثَور عهدٌ منذُ قدِمنا هذا الغائط — يعنى عمرو بن معد يكرب — أسرِجْ لى يا غلامُ . فأسرج له فرسًا أنثى من خَيله ، فلما قرّبها إليه قال له : ويحكَ أرأيتَنى ركبتُ أنثى فى الجاهلية فأركبَها فى الأسلام ؟ فأسرجَ له حِصاناً فركبه ، وأقبل إلى مَحَلّة بنى زبيد فسأل عن مَحلّة عمرو فأرشدَ إليها ، فوقف ببابه ونادى : أى أبا ثور ، اخرجْ إلينا . فخرج إليه مؤتزرًا كأنما كُسِر وجبر ، فقال : انعِمْ صباحاً أبا مالك . فقال : أو ليس قد أبدلَنا الله تعالى بهذا : السَّلامُ عليكم ؟ قال : دَعْنا مما لا نعرف ، انزِلْ فإنّ عندى كبشًا ساحًا(١) . فنزَل فعمَد إلى الكبش فذبَحه ثم كشط عنه وعَضّاه(٢) ، وألقاه فى قِدر جِماع(٣) ، وطبخَه حتّى إذا أدرك جاء بجَفْنة عظيمة فثَرَد فيها فأكفأ القدر عليها ، فقعدا فأكلاه ، ثم قال له : أىُّ الشراب أحبُّ إليك : آللبنُ أم ما كنّا نتنادم عليه فى الجاهلية؟ قال : أو ليس قد حرّمها الله جل وعزّ علينا فى الإسلام؟ قال : أنت أكبر سنا أم أنا ؟ قال : أنت . قال : فأنت أقدمُ إسلاما أم أنا ؟ قال : أنت . قال : فإنّى قد قرأت ما بين دَفّتى المصحف فوالله ما وجدتُ لها تحريمًا إلا أنّه قال : ﴿ فهل أنتم مُنتَهون ﴾ فقلنا : لا . فسكتَ وسكتْنا ! فقال له : أنت أكبرُ سِنًّا وأقدم إسلاما . فجاءا فجلسا يتناشدان ويشربان ، ويذكران أيام الجاهلية ، حتى أمسيا ، فلما أراد عيينة الانصراف ، قال عمرو : لئن انصرفَ أبو مالك بغير حِباءٍ إنّه لوصمةٌ علىَّ . فأمر بناقةٍ له أرحَبيةٍ(٤) كأنّها جَبيرة لُجَين(٥) ، فارتحلَها وحمَله عليها ، ثم قال : يا غلامُ هاتِ المِزْود .

(١) ساحا : بالغا غاية السمن . ما عدا ط ، مط ، مب : « سياحا » محرف .
(٢) أى كشط عنه جلده وسلخه . وهذا ما فى ط ، مط . وفى أ : « كشف » وسائر النسخ : « كشف » محرفتان . وعضاه : قطعه عضوا عضوا . (٣) قدر جماع ، بالكسر ، أى عظيمة ، وقيل هى التى تجمع الجزور . (٤) أرحبية : نسبة إلى بنى أرحب بطن من همدان ، أو أرحب موضع أو فحل تنسب إليه تلك النجائب . (٥) الجبيرة : السوار من الذهب أو الفضة . س : « حيرة » صوابه فى سائر النسخ .

فجاء بمزودٍ فيه أربعةُ آلافِ درهم، فوضَعها بين يديه ، فقال : أمّا المال فوالله لا قَبِلتُه . قال : والله إنّه لمن حِباءِ عمر بن الخطاب رضى الله عنه . فلم يَقبلْه عيينة وانصرفَ وهو يقول :

جُزيتَ أبا ثَـورٍ جزاءَ كرامـةٍ * فنعم الفتى المـزدارُ والمتضيَّفُ
قريتَ فأكرمتَ القِرى وأفدتنا * تَخِيلةَ عِلمٍ لم يكن قطُّ يعـرف (١)
وقلت : حَلالٌ أن تُديرَ مُدامةً * كلونِ انعقاقِ البرقِ والليلُ مسدِفُ
وقـدّمتَ فيها حُجّـةً عربيةً * تَردُّ إلى الإنصاف مَن ليس ينصف
وأنت لنا والله ذى العرش قُدوةٌ * إذا صـدَّنا عن شربها المتكلِّف
نقـول : أبو ثورٍ أحلَّ حرامَهـا * وقولُ أبى ثور أسـدُّ وأعرف (٢)

وقال على بن محمد : حدّثنى عبد الله بن محمد الثقفى عن أبيه ، والهذلىّ عن الشّعبى قال :

قدومه على عمر بالمدينة وما كان من شراهته فى الطعام

جاءت زيادةٌ من عند عمر بعد القادسية فقال عَمرو بن معديكرب لطُليحة : أمَا ترى أنّ هذه الزعانفَ تُزاد ولا نُزاد (٣) ، انطلقْ بنا إلى هذا الرجل حتّى نكلّمه . فقال : هيهاتَ، كلّا والله لا ألقاه فى هذا أبدًا (٤) ، فلقد لقيَنى فى بعض فجاج مكّة فقال: يا طليحة، أقتَلتَ عكاشةَ (٥) ؟ ! فتوعّدَنى وعيدًا ظننتُ أنّه قاتلى، ولا آمنُهُ .

(١) تخيلة هو ما ورد فى ها ، وفى مط « خبيئة علم » . وفى ط ، مب « محمه » مهملة وفى أ : « نخبة » وفى سائر النسخ « تحية علم » . و « يكن » و « يعرف » هى بالتاء فى س .
(٢) هذا البيت ساقط من جـ . ما عدا ط : « يقول» لكن فى مط : « تقول » .
(٣) هذه الكلمة من ط ، مط ، مب . (٤) ما عدا ط ، مط ، مب : « كلا والله ألقاه فى هذا المعنى أبدا » محرف . (٥) فى الأصول ما عدا مط ، مب : « أقبلت » ، تحريف . وفى الإصابة ٤٢٨٣ : « وهرب طليحة إلى الشام ثم أحرم بالحج فرآه عمر فقال: إنى لا أحبك بعد قتل الرجلين الصالحين : عكاشة بن محصن وثابت بن أقرم ، وكانا طليقين لخالد، فلقيهما طليحة وسلمة فقتلاهما » . وسلمة، هو أخو طليحة بن خويلد الأسدى .

قال عمرو : لكنّى ألقـاه . قال : أنتَ وذاك . فخرجَ إلى المدينة فقدِم على عُمر رضى الله عنه وهو يغدّى الناس وقد جَفّن لعَشرةٍ عشرة ، فأقعـده عمرُ مع عشرة فأكلوا ونَهَضوا ، ولم يقُم عمرو ، فأقعد معه تكلمةَ عشرةٍ [فأكلوا ونهضوا ولم يقم عمرو ، فأقعـده مع عشرة] (١) حتّى أكل مع ثلاثين ثم قام، فقال : يا أمير المؤمنين إنّه كانت لى مآكلُ فى الجاهلية منعنى منها الإسلام ، وقد صررتُ فى بطنى صرّتين وتركت بينهما هواءً فسُدّه . قال : عليك حجارةً من حجارةِ الحَرّة فسُدّه به يا عمرو، إنّه بلغَنى أنّك تقول إنّ لى سيفًا يقال له الصمصامة ، وعندى سيفٌ أسمّيه المصمِّم ، و إنى إنْ وضعتُه بين أذنيك لم أرفَعْه حتّى يخالطَ أضراسك .

لقاء جبيلة وربيعة لعمرو وشدتهما عليه

وذكر ابن الكلبي ومحمد بن كناسة (٢) أنّ جُبيلة بن سُويد بن ربيعة بن رباب ، لقِى عَمرو بن معديكرب وهو يسوقُ ظُعنًا له فقال عمرو لأصحابه : قِفُوا حتّى آتيَكم بهذه الظعن . فقرّبَ نحوه حتى إذا دنا منه قال : خلِّ سـبيلَ الظُّعن . قال : فلِمَ إذًا ولَدْتنى؟ ثم شدّ على عمرو فطعنه فأذراه عن فرسِه وأخذَ فرسَه ، فرجع إلى أصحابه فقالوا : ما وراءك ؟ قال : كأنّى رأيت منيّتى فى سِنانه .

وبنو كنانة يذكُرون أنّ ربيعةَ بن مكدّم الفراسيّ ، طعن عمرو بن معد يكرب فأذراه عن فَرسـه وأخذ فرسَه . وأنّه لقيـه مرّةً أخرى فضربه فوقعت الضربةُ فى قَرَبوس السَّرج فقطعه حتّى عض السيفُ بكاثبة (٣) الفَرس، فسأله عمرٌو وانصرف.

قال المدائنى : حدّثنى مسلمةُ بن محارب ، عن داود بن أبى هند قال :

سؤال عمرو لمجاشع ابن مسعود

حمل عمرو بن معد يكرب حَمالةً (٤) ، فأتَى مجاشعَ بن مسعود يسأله فيها .

---

(١) هذه التكلمة من ط ، مط ، مب . (٢) ما عدا مط ، ها ، مب ، ط «ابن النطاح» .

(٣) الكاثبة : هى من الفرس مجتمع كتفيه قـدام السرج . (٤) الحمالة ، كسحابة : الدية يحملها قوم عن قوم .

وقال خالد بن خداش : حدّثنى أبو عَوانة عن حُصين بن عبد الرحمن قال :

بلغنى أنّ عَمْرًا أتَى مجاشعَ بن مسعود فقال له : أسألكَ حُملانَ مثلى[1] ، وسلاحَ مثلى . قال : إنْ شئتَ أعطيتُك ذاك من مالى . ثم أعطاه حُكْمه . وكان الأحنف أَمَر له بعشرين ألف درهم ، وفرسٍ جَواد عتيق ، وسيفٍ صارم ، وجارية نفيسة ، فمرّ ببنى حنظلةَ فقالوا له : يا أبا ثور ، كيف رأيتَ صاحبَك؟ فقال : لله بنُو مجاشع ما أشدّ فى الحرب لقاءها ، وأجزلَ فى اللَّزْبات[2] عطاءها ، وأحسن فى المكْرُمات ثناءها ، لقد قاتلتُها فما أقللتُها[3] ، وسألتُها فما أبخلتُها ، وهاجيتُها فما أفحمتها ! !

وقال أبو المِنهال عُيينة بن المنهال : سمعت أبى يحدث قال :

قوة عمرو ابن معديكرب

جاء رجلٌ وعمرو بن معد يكرب واقفٌ بالكُناسة[4] على فرسٍ له ، فقال : لأنظرنّ ما بقىَ من قُوّة أبى ثور . فأدخل يدَه بين ساقَيه وبين السَّرج ، وفطن عمرٌو فضمّها عليه وحرك فرسَه ، فجعل الرجلُ يعدو مع الفرس لا يقدِر أن ينزع يدَه ، حتّى إذا بلَغ منه قال : يا ابن أخى ، مالَكَ ؟ قال : يدى تحتَ ساقك ! فخلّى عنه ، وقال : يا ابنَ أخى ، إنّ فى عمك لَبقيّة ! !

٣٢/١٤

شهرته بالكذب

وكان عمرو مع ما ذكرنا من محلّه مشهورًا بالكذب :

أخبرنى على بن سليمان الأخفش قال : حدّثنا محمد بن يزيد النحوى المبرّد ولم يتجاوزه . وذكر ابن النطاح هذا الخبرَ بعينه عن محمد بن سلام ، وخبر المبرد أتمّ قال :

(١) الحملان ، مصدر حمل . عنى به ما يحمل عليه . (٢) اللزبة : الشدة والقحط . والجمع بسكون الزاى لأنه صفة . (٣) أقللتها ، بالقاف ، أى عددتها قليلة . وفى ط ، أ : « أفللتها » فإن صحت كانت مأخوذة من الفل ، وهم القوم المنهزمون وفى ها : « فللتها » .
(٤) الكناسة ، بالضم : محلة بالكوفة .

كانت الأشراف بالكوفة يخرجون إلى ظاهرها يتناشدون الأشعار، ويتحدثون ويتذاكرون أيامَ النـاس ، فوقف عمرٌو إلى جانب خالد بن الصَّـقعب النهدىّ ، فأقبلَ عليـه يحدِّثه ويقول : أغَرتُ على بنى نهدٍ فخرجـوا إلىَّ مسترعِفين (١) بخالد ابن الصَّقعب يقدُمهـم ، فطعنتُه طعنةً فوقع ، وضربتُه بالصمصامة حتّى فاضت نفســه (٢) ! فقال له الرجل : يا أبا ثور إنّ مقتولك الذى تحدِّثه . فقال : اللهم غَفرًا إنّما أنتَ محدِّثٌ (٣) فاسمع ، إنّما نتحدث بمثل هذا وأشباهه لنُرهِب هذه المعدِّيّة .

قال محمد بن ســلام : وقال يونس : أبَت العربُ إلّا أنّ عمرًا كان يكذب . قال : وقلتُ لخلف الأحمر وكان مولى الأشعريين، وكان يتعصَّب لليمانية ، أكان عمرٌو يَكذب ؟ قال : كان يكذب باللِّسان، ويصدُق بالفعال .

أخبرنى إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة (٤) :

هو وسعد يتقارضان الثناء

أنّ ســعدًا كتبَ إلى عُمر رضى الله عنه يُثنى على عمرو بن معد يكرب ، فسأله عُمر عن سعد فقال : « هو لنا كالأب أعرابىٌّ فى نَمِرته (٥) ، أسدٌ فى تامورته (٦) ، يقسِم بالسويّة ، ويَعـدِل فى القضية ، ويَنفِر فى السريّة ، وينقُـل إلينا حقَّنا كما تنقُل الذرة » فقال عمر رضوان الله عليه : لشَدَّ ما تقارضتُما الثناء (٧) .

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدثنا الحارث عن ابن ســعد عن الواقدى عن بُكير بن مِسمار (٨) عن زيادٍ مولى سعد قال :

(١) الاسترعاف : السـبق والتقدم . (٢) جـ ، أ ، ها ، مب : « فاظت نفســه » بالظاء، وهما بمعنى ، أى خرجت . وعن بعض اللغويين أنه لا يقال فاظت نفسه ، وإنمـا يقال فاظ ، بدون ذكر النفس ، فاذا ذكرت النفس قيل فاضت بالضاد . (٣) المحدث : الملهم ما يقول . (٤) الخبر التالى فى الشـعر والشعراء ٣٢٣ . (٥) النمرة : شملة فيها خطوط بيض وسود ، أو بردة من صوف تلبسها الأعراب . (٦) التامورة : عرين الأسد . (٧) ما عدا ط هـ ، مط ، مب : « الشهادة » وما فى ط يطابق الشعر والشعراء والبيان (٢ : ٦٨) .

(٨) س : « يسار » « تحريف » . ولبكير بن مسمار ترجمة فى تهذيب التهذيب .

ثناء سعد عليه

سمعت سعدًا يقول و بلغه أنّ عمرو بن معد يكرب وقع فى الخمر، وأنّه قد دُلِّه . فقال : لقد كان له موطنٌ صالح يوم القادسية ، عظيم الغَنَاء ، شديد النِّكاية للعدوّ . فقيل له : فقيس بن مكشوح؟ فقال : هذا أبذلُ لنفسه من قَيس ، و إنّ قيسا لَشُجاع .

٥

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرى ، قال : حدثنا عمر بن شبة وأخبرنى إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة . ونسخت هذا الخبر من رواية ابن الكلبى خاصة : حدثنى أسعر بن عمرو بن جرير، عن خالد بن قَطَن قال: حدّثنى من شهد موتَ عمرو بن معد يكرب ، والرواية قريبة ، وحكايتا عُمَر بن شبّة وابنِ قتيبة عن أنفسهما ولم يتجاوزاها، قالا :

موت عمرو

١٠

كانت مَغازِى العرب إذ ذاك الرىّ ودستَبى[1]، فخرج عمرٌو مع شباب من مَذحِج حتّى نزل الخان الذى دُون روذَة، فتغدّى القومُ ثم ناموا، وقام كلُّ رجلٍ منهم لقضاء حاجته ، وكان عمرٌو إذا أراد الحاجة لم يجترئْ أحدٌ أن يدعوه و إن أبطأ ، فقام الناسُ للرحيل وترحّلوا إلّا من كان فى الخان الذى فيه عمرو ، فلما أبطأ صِحْنا به : يا أبا ثور . فلم يُجِبنا وسمعنا عَلَزا[2] شديدا، ومراسا فى الموضع الذى دخله ،وقصَدناه فإذا به محمرّةٌ عيناه، مائلا شِدقُه مفلوجا، فحملناه على فرس وأمَرنا غلاماً شديد الذِّراع فارتدفَه ليعدِلَ ميله ، فمات بِرُوذة ودُفن على قارعة الطريق . فقالت امرأته الجُعفية ترثيه :

١٥

رثاء امرأته الجعفية له

(١) كذا على الصواب فى أ، ها . وفى ط، مط، مب : « دستى » وسائر النسخ « دسّى » . وانظر ما سبق فى ص ٢١٤ .

(٢) العلز، بالتحريك : الكرب والقلق عند الموت .

لقـد غادَرَ الركْبُ الذين تحمّلوا * بُروذَة شخصًا لا ضعيفا ولا غُمْرا

فقـل لِزُبيــدٍ بل لمذحِجَ كلِّها * فقـدتم أبا ثورٍ سِـنانَكم عَمْـرا

فإن تجـزعوا لا يُغنِ ذلك عنكمُ * ولكن سَلُوا الرحمن يُعقِبكمُ صـبرا

٣٣ / ١٤

شعره في أخته ريحانة لما سباها الصمة

والأبيات العينية التي فيها الغناء، وبها افتُتِح ذكرُ عمرو[1]، يقولها في أخته ريحانة بنت معـد يكرب لمّا سـباها الصِّمة بن بكر، وكان أغار على بني زُبيـد في قيس فاستاق أموالَهم وسَبى رَيحانة ، وانهزمت زُبيـد بين يديه ، وتبعه عمرو وأخوه عبد الله ابنا معد يكرب، ثم رجع عبد الله واتّبعه عمرو .

فأخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سـلام أنّ عمـرًا اتّبعه يناشِـدُه أن يخلّيَ عنها، فلم يفعل ، فلما يئس منها ولّى وهي تناديه بأعلى صوتها : يا عمرو ! فلم يقـدرْ على انتزاعها، وقال :

أمِنْ ريحانَةَ الدّاعي السَّـميعُ * يؤرِّقــني وأصحابي هُجُــوعُ

سَـباها الصِّمّةُ الجشميُّ غَصْبًا * كأنّ بيـاضَ غرّتها صَـديع[2]

وحالت دونَهـا فُرسانُ قيـسٍ * تكشَّفُ عن سـواعدها الدُّروع

إذا لم تسـتطِـع شـيئًا فدعْـهُ * وجاوِزْه إلى ما تسـتطيع

وزاد الناس في هذا الشعر وغنّى فيه :

وكيف أحبُّ من لا أسـتطيع * ومن هو للذى أهـوى مَنـوعُ

ومَن قـد لامني فيــه صديقي * وأهـلي ثم كُلًّا لا أطيــع

ومَن لو أظهـرَ البغضاءَ نحـوى * أتاني قابضُ المـوتِ السريع[3]

فـدًى لهـمُ معًا عمّي وخالي * وشَرخُ شـبابهم إن لم يُطيعـوا

وقد أخبرني الحسين بن يحيى[4] قال : قال حماد : قرأت على أبي :

---

(١) انظر ما سبق في ص ٢٠٠ . (٢) الصديع : الفجر ؛ شبهها به لإشراقه .

(٣) كذا في ط ، ء ، [illegible] ، وفي سائر النسخ : «قانص» . (٤) ط : «الحسن» .

قصته مع ريحانة

وأما قصّة ريحانة فإن عمرو بن معد يكرب تزوّج امرأةً من مُراد، وذهب مُغيرًا قبل أن يدخُل بها؛ فلما قدم أُخبر أنّه قد ظهر بها وضَح — وهو داءٌ تحذره العرب — فطلّقها وتزوّجها رجلٌ آخر من بنى مازن بن ربيعة، وبلغ ذلك عمرًا وأن الذى قيل فيها باطلٌ، فأخذ يشبّب بها، فقال قصيدتَه وهى طويلة:

أمِن ريحانةَ الداعى السميعُ * يؤرّقنى وأصحابى هجوعُ

مقتل عبد الله ابن معد يكرب

وكان عبد الله بن معد يكرب، أخو عمرو، رئيسَ بنى زبيد، فجلس مع بنى مازن فى شَربٍ[1] منهم. فتغنّى عنده حبشىٌّ عبدٌ للخزَم، أحد بنى مازن، فى امرأةٍ من بنى زُبيد، فلطمه عبدُ الله وقال له: أمَا كفاك أن تشربَ معنا حتى تشبب بالنساء؟ فنادى الحبشىُّ: يا آل بنى مازن! فقاموا إلى عبد الله فقتلوه، وكان الحبشىُّ عبدًا للخزم، فرئّس عمرٌو مكانَ أخيه، وكان عمرٌو غزا هو وأبىٌّ المرادىّ فأصابوا غنائم، فادّعى أبىٌّ أنه قد كان مساندا، فأبى عمرٌو أن يعطيَه شيئا، وكرِه أبىٌّ أن يكون بينهما شرّ، لحداثة قتل أبيه، فأمسَكَ عنه. وبلغ عمرًا أنّه توعّده،

شعر عمرو فى توعد أبى له

فقال عمرو فى ذلك قصيدةً له أوّلها:

صوت

أعاذلَ شِكّتى بدَنى ورُمحى * وكلُّ مقلّص[2] سَلِسِ القِيادِ

أعاذل إنّما أفنَى شبابى * وأقرحَ عاتقى ثِقَلُ النِّجاد

تمنّانى ليلقانى أبىٌّ[3] * وددتُ وأينَما منّى ودادى

(١) الشرب: جماعة الشاربين.

(٢) المقلص: الفرس الطويل القوائم المنضم البطن.

(٣) فى سمط اللآلى ٦٣: «ليلقانى قيس» مصغر قيس بن مكشوح المرادى. انظر التنبيه التالى.

٣٤ / ١٤

ولـو لاقيتَنِى ومعى سِـلاحى * تكشَّف شحمُ قلبِك عن سـوادِ

أريد حِباءَه ويريـدُ قتـلى * عذيرَك مِن خليـلك من مرادِ (١)

وتمام هذه الأبيات :

تمنَّانى وسابغـتى دِلاصٌ * كأنَّ قتيرَها حـدَقُ الجراد (٢)

٥ وسيفى كان من عهدِ ابن صـدٍّ * تخـيَّره الفـتى من قـوم عاد

ورمحى العنـبرىُّ تخال فيـه * سِـناناً مثـلَ مِقباس الزِّناد

وعِجـلِزة يزِلُّ اللِّبـدُ عنها * أمَرَّ سَراتَها حَـلقُ الجياد (٣)

إذا ضُرِبَتْ سمعتَ لها أزيزًا * كوقع القَطْـر فى الأدم الجـلادِ (٤)

إذًا لوجدتَ خالكَ غـيرَ نِكسٍ * ولا متعلِّما قتـلَ الـوحاد (٥)

١٠ يقلِّب للأمـور شَرنبثـاتٍ * بأظفـارٍ مَغـارِزُها حـداد

لابن سُريج فى الأول والثانى ثانى ثقيل بالبنصر ، ولابن محرز فى السادس والخامس ثانى ثقيل بالخنصر فى مجرى الوسطى ، وفى الرابع والخامس والسادس لحنٌ للهذلى من رواية يونس .

---

(١) فى الإصابة ٧٣٠٧ ومعجم المرزبانى ٢٠٩ وسمط اللآلى والكامل ٥٥٠ ليبسك ، أن الذى قيل فيه الشعر هو قيس بن مكشوح المرادى ، وهو ابن أخت عمرو .

(٢) الدلاص : الدرع الملساء اللينة . والقتير : رءوس مسامير الدرع . ماعدا ط ، ها ، مط ، مب : « حلق الجراد » تحريف .

(٣) العجلزة : الفرس الشديدة الخلق . حـ : « خلق » بالخاء المعجمة . ط : « الحياد » بالحاء المهملة .

(٤) الجداد ، فى ها . وفى سائر النسخ : « الجلاد » .

(٥) ماعدا ط ، ها ، مط ، مب : « قبل » . والوحاد ، هى فى حـ « الوخاد » .

تمثل على ببيت من شعره

وهذا البيت الخامس كان علىّ بن أبى طالبٍ عليه السلام إذا نظر إلى ابن مُلجَم تمثل به .

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرى قال حدّثنا عمر بن شبة قال : حدّثنا حَيّان[1] بن بشر قال حدّثنا جرير عن حمزة الزيات قال :

كان علىٌّ عليه السلام إذا نظر إلى ابنِ مُلجَم قال :

أريد حِباءه ويريدُ قتلى * عَذيرَكَ من خليلك من مرادِ

حدّثنى العباس بن على بن العباس، ومحمد بن خلفٍ وكيع قالا : حدّثنا أحمد ابن منصور الرمادى قال : حدّثنا عبد الرّزاق قال : أخبرنا مَعمر ، عن أيوب ، عن ابن سيرين، عن عَبيدة السَّلْمانى قال :

كان علىٌّ بن أبى طالب إذا أعطى الناس فرأى ابنَ ملجَم قال :

أريد حِباءه ويريد قتلى * عَذيرَكَ من خليلك من مُرادِ

حدّثنى محمد بن الحسن الأُشنانى قال : حدّثنا على بن المنذر الطَّريفى قال : حدّثنا محمد بن فُضَيل قال : حدّثنا فِطر بن خليفة[2] عن أبى الطفيل عامر بن واثلة،[3] والأصبغ بن نباتة قال :

مقال على فى ابن ملجم

قال على عليه السلام : ما يحبس أشقاها[4] ؟ والذى نفسى بيده لتُخضبَنَّ هذه من هذا .

---

(١) مط : « حسان » .

(٢) فى الأصول : « قطن بن خليفة » صوابه ما أثبت .

(٣) الكلام بعده إلى « ونهض على الحال » فى ص ٢٣٤ ساقط من أ .

(٤) اقتبسه من قول الله تعالى : « إذ انبعث أشقاها » ، وهو عاقر ناقة صالح الذى بعقره أصيب قومه بعذاب الله .

قال أبو الطفيل : وجمع عليٌّ النّاسَ للبَيعة فجاء عبد الرحمن بن ملجَم المرادىّ ، فردّه مرّتين أو ثلاثًا ثم بايعه ، ثم قال : ما يحبس أشقاها ؟ فوالذى نفسى بيده لتُخضَبنَّ هذه من هذا . ثم تمثل بهذين البيتين :

اشدُدْ حيازيمَكَ للموتِ * فإنَّ الموت يأتيــكَ[1]

٥ ولا تجزعْ من القتلِ * إذا حــلَّ بواديـكَ

---

(١) هذا ما يسميه علماء العروض بالخــزم ، بالزاى ، وهو الزيادة على وزن البيت فى أوله . انظـر العمدة (١ : ٩٢) والكامل ٥٥٢ ليبسك . وهذا أقصى ما يزاد فى الخزم ، كما نص ابن رشيق ، إذ زاد أربعة أحرف ، وهى « اشدد » . هنا : « آتيك » .

رجع الخبر إلى سياقة خبر عمرو

تعيير أخته كبشة له حين هم بأخذ الدية

قال : وجاءت بنو مازن إلى عمرو فقالوا : إن أخاك قتَله رجلٌ منا سفيه وهو سكرانُ، ونحن يدُك وعَضُدك، فنسألك الرحِمَ وإلّا أخذت الديةَ ما أحببت! فهمَّ عمرو بذلك . وقال :

* إحدى يدىَّ أصابتنى ولم ترد (١) *

فبلغ ذلك أختًا لعمرو يقال لها كَبْشة، وكانت ناكحًا فى بنى الحارث بن كعب، فغضبت، فلما وافى الناسُ من الموسم قالت شعرًا تعيِّر عمرا :

٣٥ / ١٤

أرسلَ عبدُ الله إذ حانَ يومُه * إلى قومه لا تَعقِلوا لهُم دمِى

ولا تأخذوا منهم إفالًا وأبكُرًا * وأُتركَ فى بيتٍ بصَعدةَ مظلمِ (٢)

ودَعْ عنك عَمْرًا إنّ عمْرًا مسالمٌ * وهل بطنُ عمرو غيرُ شبرٍ لمطعمِ

فإن أنتمُ لم تقبَلوا واتَّديتمُ * فمشُّوا بآذان النَّعام المصلَّمِ (٣)

أَيقتُل عبــدَ الله سيِّدَ قومه * بنو مازن أن سُبَّ راعى المخزَّمِ

فقال عمرٌو قصيدةً له عند ذلك يقول فيها :

---

(١) البيت لأعرابى قتل أخوه ابنا له، مما اختاره أبو تمام فى الحماسة (١ : ٦٦) . وهو :

أقول للنفس تأساء وتعزية * إحدى يدى أصابتنى ولم ترد

كلاهما خلف من فقد صاحبه * هذا أخى حين أدعوه وذا ولدى

(٢) الإفال : جمع أفيل، وهو من أولاد الإبل ما بلغ سبعة أشهر . وإنما ذكر الإفال والأبكر تحقيرا لشأن الدية، إذ الدية لا تكون منهما . وصعدة : مخلاف باليمن .

(٣) فى الحماسة : « لم تثأروا » . واتديتم : قبلتم الدية . المصلم : المجدع .

صـــوت

أرِقتُ وأمسيتُ لا أرقُدُ * وساوَرَنى الموجِعُ الأسودُ
وبتُّ لذِكرى بنى مازنٍ * كأنّىَ مرتفِقٌ أرمدُ[1]

فيه لحن من خفيف الثقيل الأوّل بالوسطى ، نسبه يحيى المكى إلى ابن محرز ، وذكر الهشامى أنّه منحول .[2]

ثم أكبَّ على بنى مازنٍ وهم غارُّونَ[3] فقتلهم ، وقال فى ذلك شعرا :

خُذُوا حُقُقًا[4] مخطَّمة صفايا * وكَيدِى يا مخزِّم أن أكيدا
قتلتم سادتِى وتركتمونى * على أكتافكم عبئا جديدا[5]
[فمن يأبى من الأقوام نصرا * ويتركنا فإنا لن نزيدا

وأرادت بنو مازن أن تردّ عليهم الدِّية لما آذنهم بحرب ، فأبى عمرو ، وكانت بنو مازن من أعداء مذحج ، وكان عبد الله أخا كبشة لأبيها وأمّها دون عمرو ، وكان عمرو قد همّ بالكف عنهم حين قَتَلَ من قتل منهم ، فركبت كبشةُ فى نساءٍ من قومها وتركت عمرًا أخاها وعيّرته فأحمته ، فأكبَّ عليهم أيضا بالقتل ، فلما أكثر فيهم القتلَ تفرّقوا ، فلحقت بنو مازنٍ بصاحبهم بتميم ، ولحقت ناشرة ببنى أسد ، وهم رهطُ الصقعب بن الصحصح ، ولحقت فالج بسليم بن منصور . وفالج وناشرة ابنا أنمار بن مازن بن ربيعة بن منبِّه بن صعب بن سعد العشيرة ، وأمّهما هند بنت عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم . فقال كابية بن حرقوص بن مازن :

(١) المرتفق : المتكئ على مرفق يده . (٢) الكلام بعده إلى ما قبل الصوت التالى ناقص من ط . (٣) غارون : فى غرة وغفلة . (٤) الحقق ، بضمتين : جمع حق وحقة بالكسر فيهما ، وهو من الإبل ما استكمل الثالثة ودخل فى الرابعة . وفى الأصول ما عدا مط ، مب : « حقا » وفيها ما عدا مب : « ما أكيدا » . (٥) كذا فى ها ، مب . وفى سائر النسخ : « سادتى عرضا فإنى على أكتافكم عث » .

يا ليلتى ما ليلتى بالبلدةِ * رُدَّتْ علىَّ نجومُها فارتدتِ
مَن كان أسرعَ فى تفرُّق فالجٍ * فلبُونه جربتْ معًا وأغدّتِ
هلّا كناشرة الذى ضيّعتمُ (١) * كالغصن فى غلوائه المتنبت]

وقال عمرو فى ذلك :

تمنَّت مازنٌ جهلًا خِلاطى * فذاقتْ مازن طَعم الخِلاط
أَطَلتُ فِراطَكم عامًا فعامًا (٢) * ودين المَذحِجىِّ إلى فِراط
أطلتُ فراطكم حتّى إذا ما * قتلتُ سراتكم كانت قَطَاط (٣)
غدرتم غدرة وغدرتُ أخرى * فما إنْ بيننا أبدًا يَعَاط (٤)

٥

أخبرنى الحسين بن يحيى قال : قال حماد : قرأت على أبى قال المدائنى :

غناء إحدى الجوارى ببيت من شعره

حدّثنى رجلٌ من قريش قال : كنا عند فلانٍ القرشىّ فجاءه رجلٌ بجارية فغنته :

بالله يا ظبى بنى الحارث * هل مَن وفى بالعهد كالناكث

وغنته أيضا بغناء ابن سُرَيج :

يا طولَ ليلى وبتُّ لم أنم * وسادىَ الهمُّ مُبطنٌ سَقمى

فأعجبته واستام مولاها ، فاشتطّ عليه فى شرائها، وأُعجبت الجارية بالفتى ،
فلما امتنع مولاها من البيع إلّا بشططٍ قال القرشى : فلا حاجة لنا فى جاريتك .
فلما قامت الجارية للانصراف رفعَتْ صوتها تغنّى وتقول :

١٥

إذا لم تستطعْ شيئًا فدعْه * وجاوِزْه إلى ما تستطيعُ

(١) التكملة من ها ، مب . (٢) أى أطلت إمهالكم والتأنى بكم إلى أن قتلتكم .
(٣) قطاط ، بوزن قطام ، أى حسبى . وفى اللسان (قطط) : « قالت قطاط » .
(٤) يعاط : زجر فى الحرب ، وهى كلمة ينذر بها الرقيب أهله إذا رأى جيشا . يقول : ليس بيننا إنذار ، إنما نفاجئ بالحرب مفاجأة . وفى الأصول : « تعاطى » .

٢٠

قال : فقال الفتى القرشي: أفأنا لا أستطيع شراءك ، والله لأشترينّك بما بلغتِ . قالت الجارية : فذاكَ أردتُ . قال القرشيُّ : إذا لأجبتُك . وابتاعها من ساعته . والله أعلم .

نسبة ما فى هذا الخبر من الغناء

٣٦/١٤

صـــوت

بالله يا ظَبيَ بنى الحارثِ * هل مَن وفى بالعهد كالناكثْ
لا تخدَعَنِّى بالمنى باطلاً * وأنت بى تلعبُ كالعابثْ

عروضه من السريع ، الشعر لعمر بن أبى ربيعة ، والغناء لابن سُريج ، رمل بالبنصر ، وفيه لسياطٍ خفيفُ ثقيلٍ أوّلَ بالوسطى ، وفيه لإبراهيمَ الموصليِّ لحنٌ من رواية بَذْل . ومنها :

١٠

صـــوت

يا طولَ ليلى وبتُّ لم أنَمِ * وِسادِىَ الهمُّ مبطَنٌ سَقَمى
إذ قمتُ ليلاً على البلاط فأبـ * ـصرتُ ربيبًا(١) فليتَ لم أقم
فقلتُ عُوجى تُخبّرِى خبرًا * وأنتِ منه كصاحب الحُلُمُ
قالت بلَ اخشى العيونَ إذ حضرت * حولى وقلبى مُباشِرُ الألم

١٥

[عروضه من المنسرح(٢) . والشعر(٣)] الغناء لابن سريج ، رمل بالسبابة فى مجرى الوسطى عن إسحاق .

(١) الربيب : المربى ، عنى ظبيا ربيا شبه به صاحبته . مط ، مب : «فأبصرت زينبا» . وفى سائر النسخ ما عدا ط : «رشاقا» وصواب هذه «رشا فياليت لم أقم» .

(٢) فى الأصل ، وهو هنا ط ، مط ، مب : «من الخفيف» .

٢٠

(٣) التكملة من ط ، مط ، مب .

وذكر محمد بن الفضل الهاشمى قال حدّثنا أبى قال :

مناظرة محمد ابن العباس الصولى وعلى بن الهيثم فى حضرة المأمون

كان المأمونُ قد أطلق لأصحابه الكلامَ والمناظرةَ فى مجلسه ، فناظرَ بين يديه محمّدُ بن العباس الصولىُّ علىَّ بنَ الهيثم جُونقا(١) فى الإمامة ، فتقلّدها أحدُهما ودفَعها الآخر ، فلجّت المناظرةُ بينهما إلى أن نبّط(٢) محمدٌ عليا فقال له على : إنّما تكلّمتَ بلسان غيرك ، ولو كنتَ فى غير هذا المجلس لسمعتَ أكثر مما قلت ! فغضب المأمونُ وأنكر على محمد ما قاله وما كان منه من سُوء الأدَب بحضرته ، ونَهَض عن فَرشه ونهض الجلساءُ فخرجوا ، وأراد محمدٌ الانصرافَ فمنعه على بن صالح صاحبُ المصلَّى ، وهو إذْ ذاك يحجُب المأمون ، وقال : أفعلتَ ما فعلتَ بحضرة أمير المؤمنين ونَهَض على الحال(٣) التى رأيتَ ، ثم تنصرفُ بغير إذن ، اجلسْ حتى نعرفَ رأيه فيك . وأمر بأن يحَلِس .

غضب المأمون على محمد الصولى

قال : ومكث المأمونُ ساعةً فجلسَ على سريره ، وأمَرَ بالجلَساء فرُدُّوا إليه ، فدخل إليه علىُّ بن صالح فعرّفه ما كان من قَول على بن محمد فى الانصراف ، وما كانَ من مَنْعه إياه ، فقال : دَعْه ينصرف إلى لعنة الله . فانصرف ، وقال المأمون لجلسائه : أتدرونَ لمَ دخَلتُ إلى النساء فى هذا الوقت ؟ قالوا : لا . قال : إنّه لمّا كان من أمر هذا الجاهل ما كان لم آمَنْ فلتاتِ الغضَب ، وله بنا حُرمة ، فدخلتُ إلى النساء فعابثتُهن(٤) حتّى سكن غضبى .

قال : وما مضى محمدٌ عن وجهه إلاّ إلى طاهر ، فسأله الركوبَ إلى المأمون ، وأن يستوهبَه جُرْمه ، فقال طاهر : ليس هذا من أوقاتى ، وقد كتب إلىّ خليفتى

(١) ما عدا ط ، ها ، مط ، مب : « حولنا » وصوابه وضبطه من هذه النسخ ، كما هو فى مواضع أخرى من الأغانى . (٢) نبط ، كذا وردت فى الأصول . ولعل معناها شبهه بالنبط ونسبه إليهم .
(٣) إلى هنا ينتهى مقط أ الذى نبهت على مبدئه فى ص ٢٢٨ (٤) كذا فى ط . وفى حـ : « فعاتبتهن » و أ ، ها ، مط ، مب « فعاتبتهن » وسائر النسخ : « فعانقتهن » والأخيرة صحيحة كالأولى .

فى الدار أنّه قد دعا بالجلساء . فقال : أكرهُ أن أبيتَ ليلةً وأميرُ المؤمنين علىّ ساخط . فلم يزلْ به حتّى ركب طاهرٌ معه ، فأذِن له فدخل ومجيرٌ الخادم واقفٌ على رأس المأمون ، فلما بَصُر المأمون بطاهر أخذَ منديلاً فمسح به عينَيه مرّتين أو ثلاثا ، إلى أنْ وصل إليه وحرّك شفتَيه بشيء أنكره طاهر ، ثم دنا فسلّم ، فردّ السلامَ وأمره بالجلوس فجلسَ فى موضعه ، فسأله عن مجيئه فى غير وقته ،(١) فعرّفه الخبرَ واستوهبه ذنبَ محمد ، فوهبه له وانصرف ؛ وعرّف محمدا ذلك . ثم دعا بهارون بن خنعويه ، وكان شيخًا خراسانيًّا داهيةً ثقةً عنده ، فذكر له فعلَ المأمون وقال له : الْقَ كاتب مُجير والطُفْ له ، واضمنْ له عَشرةَ آلاف درهم على تعريفك ما قاله المأمون . ففعل ذلك ولطَف له ، فعرّفه أنّه لما رأى طاهرًا دمعت عيناه وترحّم على محمد الأمين ، ومسح دمعَه بالمنديل . فلما عرّف ذلك طاهرٌ ركب من وقته إلى أحمدَ بن أبى خالد الأحول — وكان طاهرٌ لا يركب إلى أحد من أصحاب المأمون ، وكلُّهم يركب إليه — فقال له : جئتكَ لتولّيَنى خراسان وتحتالَ لى فيها . وكان أحمد يتولّى فضَّ الخرائط بين يدَى المأمون ، وغسّان ابن عبّاد يتولّى إذْ ذاك خراسان ، فقال له أحمد : هلّا أقمتَ بمنزلك وبعثت إلىّ حتى أصيرَ إليك ولا يُشْهَر الخبرُ فيما تريده بما ليس من عادتك ، لأنّ المأمون يعلم أنّك لا تركب إلى أحد من أصحابه ، وسيبلُغه هذا فينكره ، فانصرف وأغض(٢) عن هذا الأمر وأمهلْنى مدّةً حتّى أحتال لك . ولبث مدّةً ، وزوّر ابن أبى خالد كتابًا عن غسّان بن عباد إلى المأمون ، يذكر فيه أنّه عليل وأنه لا يأمن على نفسه ، ويسأل أن يستخلف غيرَه على خراسان ، وجعلَه فى خريطةٍ وفَضَّها بين يدى المأمون ،

احتيال أحمد الأحول لتولية طاهر خراسان

٣٧ / ١٤

(١) بعده سقط فى ط ينتهى إلى : « فغناه واحتفل فقال » فى ص ٢٣٦ .

(٢) س ، ب : « وغض » .

فى خرائط وردَتْ عليه، فلما قرأ على المأمون الكتابَ اغتمّ به وقال له : ما ترى؟ فقال : لعلّ هذه علّةٌ عارضة تزول، وسيرِدُ بعد هذا غيره فيرى حينئذ أمير المؤمنين رأيَه . ثم أمسك أياما وكتب كتابا آخر ودسّه فى الخرائط، يذكُرُ فيه أنه تناهى فى العلّة إلى ما لا يرجو معه نفْسَه، فلما قرأه المأمونُ قلِق وقال : يا أحمد، إنه لا مَدفعَ لأمر خراسان فما ترى ؟ فقال : هذا رأى إن أشرت فيه بما أرى فلم أصب لم أستقبله ، وأمير المؤمنين أعلَمُ بخَدَمه ومن يصلُح بخراسان منهم . قال : فجعلَ المأمونُ يسمّى رجالًا ويطعن أحمد على واحدٍ واحدٍ منهم، إلى أن قال : فما ترى فى الأعور؟ قال : إن كان عندَ أحدٍ قيامٌ بهذا الأمر ونهوضٌ فيه فعنده . فدعا به المأمون فعقد له على خراسان، وأمره أن يُعسكِر، فعسكر بباب خراسان . ثم تعقّب الرأىَ فعلِم أنّه قد أخطأ، فتوقّف عن أمضائه وخشِى أن يُوحِش طاهرا بنقْضه، فمضى شهرٌ تامٌّ وطاهرٌ مقيم بمعسكره . ثم إنّ المأمون فى السَّحر من ليلة أحدٍ وثلاثين يوما من عَقْدِه له، عقد اللواءَ لطاهرٍ ظاهرا ، وأمر بإحضار مُخارق المغنّى، فأُحضِر وقد صلّى المأمون الغداةَ مع طلوع الفجر، فقال : يا مخارق، أتغنى :

إذا لم تستطع شيئًا فدَعْهُ * وجاوزْهُ إلى ما تستطيعُ

وكيف تريدُ أن تُدعَى حكيما * وأنت لكلِّ ما تهوى تَبوع

قال : نعم . قال : هاته . فغنّاه فقال : ما صنعتَ شيئا ، فهل تعرفُ مَن يقوله أحسنَ مما تقوله ؟ قال : نعم ، علويه الأعسر . فأمر بإحضاره فكأنّه كان وراء السِّتر ، فأمره أن يغنّيَه ، فغنّاه واحتفلَ فقال[1] : ما صنعتَ شيئًا أتعرف مَن يقوله أحسنَ مما تقوله ؟ قال : نعم عَمرو بن بانة شيخُنا . فأمر بإحضاره فدخَلَ فى مقدار

(١) إلى هنا ينتهى سقط ط الذى بدأ فى ص ٢٣٥ .

دُخول علويه ، فأمر بأن يغنيه الصوتَ ، فغناه [فأحسن](١) فقال : أحسنتَ ما شئتَ ،(٢) هكذا ينبغى أن يُقال .. ثم قال : يا غلام اسقِنى رِطلًا واسق صاحبيه رِطلاً رطلا . ثم دعا له بعشرة آلاف درهم ، وخِلعةٍ ثلاثة أثواب ، ثم أمره بإعادته ، فأعاده فردّ القولَ الذى قاله ، وأمر له بمثـلِ ما أمر ، حتّى فعل ذلك عشراً ، وحصل لعمرو مائة ألف درهم وثلاثون ثوبا ، ودخَل المؤذّنون فأذّنوه بالظهـر ، فعقد(٣) إصـبعه الوسطى بإبهامه وقال : «بَرِقٌ يَمـانٍ، برقٌ يمـانٍ» . وكذلك كان يفعل إذا أراد أن ينصرفَ من بحضرته من الجلساء . فقال عمرو : يا أمير المؤمنين ، قد أنعمتَ علىّ وأحسنتَ إلىّ ، فإن رأيتَ أن تأذنَ لى فى مقاسمة أخوىّ(٤) ما وصـل إلىّ فقد حَضَراه ؟ فقال : ما أحسنَ ما استَحْثثتَ لهما ، بل نُعطيهما نحنُ ولا نُلحقهما بك .

وأمر لكلّ واحد بمثـل [نصف](٥) جائزة عمرو ، وبكَّر إلى طاهر فرحَّله ، فلما ثنى عِنانَ دابته منصرفاً دنا منه حُميـدٌ الطوسىّ فقال : اطرح على ذَنَبه ترابا . فقال : اخسأْ يا كلب ! ونفَـذ طاهرٌ(٦) لوجهه ، وقدِم غسّان بن عبّاد فسأله عن علّتـه وسببها ، فحلف له أنّه لم يكن عليـلا ، ولا كتبَ بشىء فى هذا . فعلم المـأمون أنَّ طاهرًا احتال عليه بابن أبى خالد ، وأمسكَ على ذلك . فلما كان بعد مدّةٍ من مقدمِ طاهرٍ إلى خراسان قَطَعَ الدعاءَ للمأمون على المنـبر يوم الجمعة ، فقال له عونُ ابن مجاشـع بن مَسعدة صاحب البريد : لِمَ تَدْعُ فى هـذه الجمعة لأمير المؤمنين ؟ فقال : سهوٌ وقع فلا تكتبْ به . وفعل مثل ذلك فى الجمعة الثانية ، وقال لعون : لا تكتبْ به ، وفعله فى الجمعة الثالثـة فقال له عون : إنّ كتب التجّارِ لا تنقطع

(١) هـذه من ط فقط . (٢) كذا فى ط ، ح ، [illegible] «ما غنيت» . (٣) ط ، [illegible] : «فنقد» . (٤) [illegible] مط : «اخوتى» تحريف . (٥) هذه من [illegible]
(٦) هذا الصواب فى [illegible]

من بغداد ، و إن اتّصلَ هذا الخبر بأمير المؤمنين مِن غيرنا لم آمَنْ أن يكون سببَ زوالِ نعمتى . فقال : اكتبْ بما أحببت . فكتب إلى المأمون بالخبر، فلما وصل كتابُه دعا بأحمدَ بنِ أبى خالد وقال : إنّه لم يذهب علىّ احتيالك على فى أمر طاهر، وتمويهُك له ، وأنا أعطى اللهَ عهداً لئن لم تَشخص حتّى تُوافينى به كما أخرجتَه من قَبْضتى وتُصلِحَ ما أفسدته علىّ من أمر مُلكى لأبيدَنَّ غَضراءك[(1)] ! فشخَص أحمدُ وجعل يتلَوّم فى الطريق[(2)] ، ويقول لأصحاب البُرُد[(3)] : اكتبوا بخبرِ علّةٍ أجدُها . فلما وصل الرىَّ لقيته الأخبارُ ووافاه رسلُ طلحة بن طاهر بوفاة طاهر، فأغذَّ السيرَ حتّى قدم خراسانَ ، فلقيه طلحةُ على حَدِّ غَفلة[(4)] فقال له أحمد : لا تكلّمْنى ولا تُرِنى وجهَك فإنّ أباك عرَّضنى للعطَبِ وزوال النعمة، مع احتيالى له وسعيى كان فى محبّته . فقال له : أبى قد مضى لسبيله ولو أدركتَه لما خرجَ عن طاعتك، وأمّا أنا فأحلف لك بكلِّ ما تسكن به نفسُك[(5)] وأبذل كلَّ ما عندى من مالٍ وغيره، فاضمنْ له عنّى حسنَ الطاعة، وضبط الناحية، والإخلاصَ فى النصيحة . فكتب أحمد بخبره وخبر طاهر وخبر طلحة إلى المأمون ، وأشار بتقليده، فأنفذ المأمونُ إليه اللواءَ والخلعَ والعهد، وانصرفَ أحمد إلى مدينة السلام .

أخبرنى وكيع قال حدّثنى هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال : حدّثنى حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

هجاء ابن هرمة لرجل من قريش وفيه اجتلاب بيت لعمرو

مدح ابنُ هَرْمةَ رجلًا من قريش فلم يُثِبه، فقال له ابنُ عمٍّ له : لا تفعل، فإنه شاعرٌ مفوّه . فلم يقبلْ منه، فقال فيه ابن هَرْمة :

(1) الغضرا : النعمة والخير وسعة العيش . (2) التلوم : التلبث والانتظار .
(3) البرد : جمع بريد . (4) حد كل شىء : نهايته . وكذا وردت العبارة فى ط ، ا ، ها ، مط ، مب . وفى سائر النسخ : « على حين غفلة » . (5) أشير فى ط إلى أنها فى نسخة : « بكل يمين تسكن إليها » .

فهلّا إذ عجزتَ عن المعالى * وعمّا يفعل الرجلُ القريعُ[1]

أخذتَ برأى عمرٍو حين ذكّى * وشُبَّ لناره الشرفُ الرفيع

إذا لم تستطع شيئا فدَعْه * وجاوزْه إلى ما تستطيع

مما قاله فى أخته ريحانة مما يتغنى به ٣٩ / ١٤

ومما قاله عمرو بن معد يكرب فى ريحانةَ أخته، وغُنِّىَ فيه، قولُه:

هاج لك الشوقُ من ريحانةَ الطربا * إذْ فارقتكَ وأمست دارها غُرُبا[2]

ما زلتُ أحبِس يومَ البينِ راحلتى * حتّى استمروا وأذرتْ دمعَها سَرَبا[3]

حتّى ترفّعَ بالحُزّان يركُضها * مثلَ المهاة مَرَتْه الريحُ فاضطربا[4]

والغانياتُ يقتّلنَ الرجال إذا * ضَرَّجن بالزعفران الرَّيْطَ والنُّقَبا[5]

من كلِّ آنسةٍ لم يَغْذُها عدمٌ * ولا تَسُدُّ لشىءٍ صوتَها صَخَبا[6]

إنّ الغوانىَ قد أهلكننى وأرى * حبالهنَّ ضعيفاتِ القُوى كُذُبا[7]

غنّى فى هذا الشعر ابن سريج خفيفَ ثقيلٍ من رواية حماد، وفيه رمل نسبه حبش إليه أيضا.

قصة نسبه هذا الشعر لسهيل الغنوى

وقال الأصمعىّ: هذا الشعر لسهلِ بن الحنظلية الغَنَوى ثم الضُّبينى ثم الجابرى، وهو جابر بن ضبينة.

---

(١) القريع: السيد والرئيس. (٢) الغرب، بضمتين: الغريب، وذكره لتأويل الدار بالمنزل. (٣) أذرت: أرسلت. س: «درت». تحريف. والسرب: السائل.

(٤) الضمير فى «ترفع» للراحلة، والراحلة تكون للذكر والأنثى. ترفع: ارتفع فى سيره. والحزان بضم الحاء وكسرها: جمع حزيز، وهو ما غلظ من الأرض. المهاة: البقرة الوحشية.

(٥) الريط: جمع ريطة، وهى الملاءة غير ذات لفقين. وفى الأصول: «النبط». والنقب: جمع نقبة، وهى ثوب كالإزار تجعل له حجزة مطيفة من غير نيفق.

(٦) ما عدا ط، ا، ها، مط، مب: «ولا تسدد بشىء صوتها صخبا».

(٧) ما عدا ط، مط، مب: «قد أهلكننى تعبا وخلتهن».

قال أبو الفرج الأصبهانى : وسهل بن الحنظلية أحدُ أصحاب رسـول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد روى عنه حديثا كثيرا .

فذكر الأصمعىُّ أنّ السببَ فى قوله هـذا الشعرَ أنّه اجتمع ناسٌ من العـرب بعكاظ ، منهم قُرّة بن هُبيرة القشَـيرى . فى سنينَ تتابعَتْ على النـاس ، فتواعَدُوا وتواقفوا[1] أن لا يتغاوروا حتّى يُخصب الناس ثم قالوا : ابعثوا إلى المنتشر بن وهب الباهلى ثم الوائلى فليشهدْ أمرنا ، ولنُدخلْه معنا . فأتاهم فأعلموه ما صنعوه ، قال : فـا يأكلُ قومى إلى ذاك ؟ فقال له ابن جارمٍ الضبّى[2] : إنّك لهناك يا أخا باهلة؟ قال : أمّا أنا فالغسـل والنساءُ علىّ حرامٌ حـتّى آكلَ من قَمَـع[3] إبلك . فتفـرقوا ولم يكن إلّا ذاك . وقال ابن جارم للمنتشر عنـد قوله : استُكَ أضيقُ من ذاك !

فأغار المنتشرُ على ابن جارم ، فلما رآه ابن جارم رمى بنفسه فى وجارِ ضبعٍ ، وأطرد المنتشرُ إبلَه ورعاءها . فقال سهل فى ذلك :

هاج لك الشّوقَ من ريحانة الطرب *

فى قصيدة طويلة له حسنة . وقال فى ذلك أعشى باهلة :

فدًى لك نفسى إذ تركتَ ابنَ جارمٍ * أجبَّ السّنام بعـدَ ما كان مُصعبا[4]

وقال المخبّل فى ذلك :

إنّ قشَـيرا من لقاح ابن جارمٍ * كغاسـلةٍ حَيضًا وليست بطاهرِ
وأنبأتمـانى أنّ قُـرّةَ تمن[5] * فـتاك أباه من مجيرٍ وخافرِ

---

(١) تواقفوا : وقفوا جميعا . والتغاور : تبادل الغارات . (٢) ابن جارم الضبى بالجيم والراء المهملة . وفى [illegible] : « حازم » فى كل موضع من هذا الخبر .

(٣) القمع بالتحريك : جمع قمعة ، وهى أعلى السنام . (٤) الأجب : المقطوع السنام [illegible] والمصعب : الفحل المكرم . (٥) ح : « فتاك [illegible] لا » .

فــلا تُوكِلوها الباهــلىَّ وتقعُــدوا * لَدى غــرضٍ أرميكُمُ بالنــواقر(١)

إذا هى حلّتْ بالذِّهاب وذى حُسًى * وراحت خِفافَ الوطء حُوسَ الخواطر(٢)

أخبرنا أحمد بن عمار قال أخبرنى يعقوب بن إسرائيــل، قال حدّثنى قعنب ابن المحرز قال أخبرنا الهيثم بن عدى عن ابن عياش(٣) عن محمد بن المنتشر قال :

تلاحى الأشعث وعمرو بن معديكرب

أخبرنى من شهد الأشعثَ بن قيس وعمرو بن معديكرب وقد تنازعا فى شىء، فقال عمرٌو للأشعث : نحن قتلنا أباك ونِكنا أمَّك! فقال سعد: قُوما أفٍّ لكما! فقال الأشعث لعمرو : والله لأضرِّطنَّك . فقال : كلّا إنها عَزوزٌ(٤) موثقة .

قال جرير بن عبد الله البجلى : فأخذتُ بيد الأشعث فنترته(٥) فوقَع على وجهه ، ثم أخذتُ بيد عمرٍو فجذبته فما تحلحَل والله، لكأنّما حركت أسطوانة القصر .

ما كان من عمرو والأجلح الفهمى فى حضرة عمر ابن الخطاب

٤٠ / ٤١

وقال أبو عبيدة : قدِم عمرو بن معــد يكرب والأجلحُ بن وقّاصٍ الفهمىّ على عُمر بن الخطّاب رضى الله عنه ، فأتياه وبين يديه مالٌ يوزَن، فقال : متى قدمتما ؟ قالا : يومَ الخميس . قال : فما حبَسَكما ؟ قالا : شُغلنا بالمنزل يوم قدِمنا، ثم كانت الجمعة، ثم غدونا عليكَ اليوم. فلما فَرغَ من وزن المــالِ نحّاه، ثم أقبل عليهما فقال: هِيه ! فقال عمرو : يا أمير المؤمنين، هذا الأجلح بن وقّاص، شديد المِرّة، بعيــد

---

(١) النواقر : السهام الصائبة . ما عدا ط ، ها : « بالنوافر » تحريف .

(٢) الذهاب ، بضم أوله وكسره : غائط من أرض بنى الحارث بن كعب . وذو حسى : وادبأرض الشربة من ديار عبس وغطفان . والحوس : جمع أحــوس وحوساء، وهو البطىء التحرك من المرعى . والخواطر : جمع خاطر وخاطرة، وهو الذى يخطر بذنبه من الخيلاء . س : «حوش» .

(٣) ط ، مط ، مب : «عن ابن عياش عن عمه» . (٤) الأصل فى معنى العزوز أنها الناقة أو الشاة الضيقة الإحليل . حـ : « عزوز » مط « غروز » وفى سائر النسخ ما عدا ط ، ها ، مب : « غرور » . (٥) النتر : الجذب بجفاء .

الفترة. وشيكُ الكرة، والله ما رأيت مثلَه من الرجال صارعًا ومصروعا، والله لكأنه لا يموت! فقال عُمر للأجلح بن وقّاص، وأقبلَ عليه: هيه. قال: وأنا أعرف الغضبَ فى وجهه، فقلت: يا أمير المؤمنين، النـاسُ صالحون كثير نسلهُم، دارّة أرزاقُهم، خصبٌ نبـاتُهم، أجْرِياءُ على عدوّهم، جبان عدوُّهم عنهم، صالحـون بصلاح إمامهم، والله ما رأينا مثـلَك إلّا مَن تقدمك، فنستمتعُ اللهَ بك. فقال: ما منعك أن تقول فى صاحبك مثلَ الذى قال فيك؟ قال: منعَنى ما رأيتُ فى وجهك. قال: قـد أصبتَ، أمّا لو قلت له مثـلَ الذى قال لك لأوجعتُكما عقـوبة، فإن تركْتُكَ لنفسك فسوف أتركه لك، والله لوددتُ لو سـلمتْ لكم حالُكم هذه أبدا، أمَا إنّه سيأتى عليك يومٌ تعضّه وينهشك، وتَهِرّه وينبحك، ولستَ له يومئذ وليس لك، فإنْ لم يكن بعهدكم فما أقربهُ منكم[1].

قال أبو عبيدة: حدّثنا يونس وأبو الخطاب قالا:

طمع عمرو فى العطاء من غنائم القادسية

لمـا كان يوم القادسية أصاب المسلمون أسلحةً وتيجانًا ومناطق ورِقابا[2] فبلغت مالًا عظيما، فعزل سعدٌ الخُمْس ثم فضّ البقية، فأصاب الفارسُ ستة آلاف، والراجلُ ألفان، فبقى مالٌ دَثْر[3]. فكتب إلى عمر رضى الله عنه بمـا فعل، فكتب إليه أنْ ردَّ على المسلمين الخمس، وأعطِ من لحِـقَ بك ممن لم يشهدَ الوقعة. ففعل فأجراهم مجرى من شَهِد، وكتب إلى عمر بذلك، فكتب إليه أنْ فُضَّ ما بقى على حَمَلة القرآن. فأتاه عمرو بن معد يكربَ فقال: ما معك من كتاب الله تعالى؟ فقال: إنّى أسلمتُ باليمن، ثم غزوتُ فشُغلت عن حفظ القرآن. قال: ما لك فى هذا المـال نصيب.

(١) العهد: المعرفة والرؤية. س: «بعدكم» تحريف. وفيما عدا ط، ها، مط، مب: «فما أقربكم منكم»، تحريف أيضا. (٢) رقابا، كذا وردت فى معظم الأصول، ولعلها ضرب من حلى الرقاب. وبدلها فى ها: «وذوائب». (٣) مال دثر: كثير.

شعره وشعر بشر بن ربيعة فى حرمانهما من العطاء

قال : وأتاه بشر بن ربيعة الخثعمى ، صاحبُ جبّانة بِشر [1] فقال : ما معك من كتاب الله ؟ قال : بسم الله الرحمن الرحيم . فضحِكَ القوم منه ولم يُعطِه شيئا ، فقال عمرو فى ذلك :

إذا قُتِلنا ولا يبكى لنا أحدٌ * قالت قريشٌ ألاَ تلك المقاديرُ

٥ نُعطَى السوِيّةَ من طَعنٍ له نفذٌ * ولا سوِيّةَ إذ تُعطَى الدنانير [2]

وقال بشر بن ربيعة :

أنختُ بباب القادسيّةِ ناقتى * وسعدُ بن وقّاصٍ علىَّ أميرُ

وسعدٌ أمير شرُّه دونَ خيره * وخيرُ أميرٍ بالعراق جرير

وعند أمير المؤمنين نوافلٌ * وعند المثنّى فِضّةٌ وحرير

١٠ تذكّرْ هداكَ الله وَقْعَ سيوفنا * ببابِ قُدَيس [3] والمكرُّ عسير

عشيةَ ودَّ القومُ لو أنّ بعضَهم * يُعارُ جَناحَىْ طائرٍ فيَطير

إذا ما فرغنا من قِراعِ كتيبةٍ * دلَفنا [4] لأخرى كالجبال تسير

ترى القومَ فيها واجمين [5] كأنّهم * جمالٌ بأحمالٍ لهنّ زفير

جائزة عمر لهما على بلائهما فى الحرب

فكتب سعدٌ إلى عمر رضى الله تعالى عنه بما قال لهما وما ردّا عليه ، ١٥ وبالقصيدتين، فكتبَ أنْ أعطِهما على بلائهما . فأعطى كلَّ واحدٍ منهما ألفَى درهم .

٤١ / ١٤

(١) أى الذى تنسب إليه جبانة بشر . وفى معجم البلدان : « وأهل الكوفة يسمون المقابر جبانة كما يسميها أهل البصرة المقبرة » . (٢) السوية : العدل . (٣) قديس : موضع بناحية القادسية . وفى معجم البلدان : « والمكر ضرير » . (٤) دلفنا : تقدمنا . (٥) الوجوم : السكوت على غيظ . س : « فيها أجمعين » .

كتاب عمر إلى سلمان بن ربيعة فى شأن عمرو

قال : وحدّثنى أبو حفص السلمى قال : كتب عمر إلى سلمان بن ربيعة الباهلى[(١)] : إنّ فى جندك عَمرو بن معديكرب، وطلحةَ بن خُويلد الأسدىّ، فإذا حضر النّاسُ فادنهما وشاورْهما وابعثْهما فى الطّلائع ، و إذا وضعت الحربَ أوزارها فضعْهما حيثُ وضَعا أنفسَهما . يعنى بذلك ارتدادهما ، وكان عمرٌو ارتدّ وطليحةُ تنبأ .

بين سلمان بن ربيعة وعمرو

قال : وحدّثنا أبو حفص السلمى قال : عرض سَلمانُ[(١)] بن ربيعة جُندَه بأرمينية ، فجعلَ لا يقبل إلّا عتيقًا ، فمر به عمرو بن معد يكرب بفرسٍ غليظ ، فقال سلمان : هذا هَجِين . فقال عمرو : والهجينُ يعرف الهجين ! فبلغ عمرَ رضى الله تعالى عنه قولُه فكتب إليه : أمّا بعد فإنك القائلُ لأميرك ما قلتَ ، و إنّه بلغنى أنّ عندك سيفًا تسمّيه الصمصامة ، وعندى سيفٌ أسميه مصمِّما[(٢)] ، وأقسم لئنْ وضعتُه بين أذنيك لا أُقلِع حتّى يبلغ قِحْفَك[(٣)] » . وكتب إلى سَلمانَ يلومه فى حلمه عنه .

تقدير عمر ابن الخطاب له

قال : وزعموا أنّ عَمرًا شهد فتح اليرموك ، وفتحَ القادسية ، وفتح نهاوند مع النُّعمان بن مقرِّن المزنى ، وكتب عُمر إلى النعمان : إنّ فى جندك رجُلين : عمرو ابن معد يكرب ، وطُليحة بن خويلد الأسدى من بنى قُعَين ، فأحضِرْهما الحربَ وشاوِرْهما فى الأمر ، ولا تولِّهما عملا . والسلام .

---

(١) سلمان بن ربيعة بن يزيد الباهلى ، وهو سلمان الخيل ، يقال إن له صحبة ، شهد فتوح الشام ثم سكن العراق وولاه عمر قضاء الكوفة ، وهو أول قاض استقضى بها ، ثم ولى غزو أرمينية فى زمن عثمان ، فقتل ببلنجر سنة ٢٥ . تهذيب التهذيب . وفيا عدا ط ، ها ، مط ، مب : « سليان » فى كل موضع من هذا الخبر وتاليه ، والصواب ما أثبت من ط .

(٢) س : « اسمه مصمم » .

(٣) القحف ، بالكسر : العظم فوق الدماغ .

صـــوت

خليلَّ هُبَّا طالما قد رقدتُما * أجدَّكما لا تقضِيان كَرَاكما

سأبكيكما طولَ الحياة وماالذى * يردُّ على ذى لَوعةٍ إن بكاكما[1]

ويروى : «ذى عولة» .

الشعر لقُس بن ساعدةَ الإيادى، فيما أخبرنا به محمد بن العباس اليزيدىّ فى خبرٍ أنا ذاكُره هاهنا .

وذكر يعقوبُ بن السكّيت أنّه لعيسى بن قُدامة الأسدى[2] .

وذكر العتبي أنّه لرجلٍ من بنى عامر بن صعصعة، يقال له الحسن بن الحارث .

والغناء لهاشم بن سليمان، ثقيلٌ أوّل بالوُسطى عن عمرو .

---

(١) ما عدا ط، ها، مط، مب : «على ذى عولة» . وبعده : «ويروى : ذى لوعة» .

(٢) الكلام بعده ساقط من ط إلى «قال : بينا أنا» فى ص ٢٤٧ .

ذكر خبر قُسّ بن ساعدةَ ونَسَبه وقصته فى هذا الشعر

نسبه

هو قُسّ بن ساعدة بن عمرو — وقيل مكان عمرو شِمْر — بن عدىّ بن مالك ابن أيدعان بن النَّمر بن واثلة بن الطَّمَثان[1] بن زيد[2] مناة بن يقدم بن أفصى بن دُعمىّ ابن إياد . خطيبُ العرب وشاعرها ، وحليمها وحكيمها فى عصره . يقال : إنه أولُ مَن علا على شَرَفٍ وخطب عليه . وأوّل من قال فى كلامه : أمّا بعد ، وأول من اتّكأ عند خطبتــه على سَيفٍ أو عصا .

هو أول من خطب على شرف ، وقال أما بعد

٥

أدركه الرسول قبل النبوة

وأدركه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قبل النبوة ، ورآه بعكاظ فكان يأثُرعنه كلامًا سمعه منه ، وسئل عنه فقال : « يُحشر أُمّةً وحدَه » .

وقد سمعت خبرَه من جهاتٍ عِدّة ، إلّا أنّه لم يحضُرنى وقتَ كتبتُ هذا الخبر غيره ، وهو و إن لم يكن من أقواها على مذهب أهل الحديث إسنادًا ، فهو من أتمها .

١٠

أخبرنى محمد بن العباس اليزيدى قال : حدّثنا أبو شعيب صالح بن عمــران قال : حدّثنى عمر بن عبد الرحمن بن حفص النسائى قال : حدّثنى عبد الله بن محمد قال : حدّثنى الحسن بن عبد الله قال : حدّثنى محمد بن السائب عن أبى صالح عن ابن عباس قال :

٤٢/٤٠

وفد إياد وما قيل فى قس بن ساعدة

لمّــا قدم وفدُ إيادٍ على النبي صلى الله عليه وسلم قال : مافعَلَ قُسّ بن ساعدة ؟ قالوا : مات يا رســول الله . قال : « كأنّى أنظرُ إليــه بسوقِ عُكاظَ على جمــلٍ له أورق[3] ، وهو يتكلّم بكلامٍ عليه حلاوةٌ ماأجِدُنى أحفظه» . فقال رجلٌ من القوم : أنا أحفظُه يارسولَ الله . قال : كيف سمعتَه يقول ؟ قال سمعتُه يقول :

١٥

(١) جـ ، مط ، مب : « عوذ مناة » ها « عبد مناة » . (٢) ضبط فى أ بضم الدال .

(٣) الأورق : مالونه الورقة ، وهى بياض إلى سواد .

٢٠

خطبته

أيُّها الناس اسمَعُوا وعُوا ، من عاشَ مات ، ومن مات فات ، وكلُّ ما هو آتٍ آت . ليلٌ داجٍ، وسماءٌ ذاتُ أبراجٍ، بحارٌ تزخَر، ونجومٌ تزهر[1]، وضوءٌ وظلام، وبِرٌّ وآثام ، ومَطعَمٌ ومشرَب ، وملبَس ومركب . مالى أرى الناسَ يذهبونَ ولا يرجعون، أرَضُوا بالمُقام فأقاموا، أم تُرِكوا فناموا . وإلهِ قُسِّ بن ساعدةَ ما على وجهِ الأرض دينٌ أفضلُ من دينٍ قد أظلَّكم زمانُه ، وأدركَكم أوانه ، فطُوبَى لمن أدركَه فاتَّبعه، وويلٌ لمن خالفه . ثم أنشأ يقول :

فى الذّاهبين الأوّليـ * ـنَ من القُرون لنا بصائرْ
لمَّا رأيتُ مواردًا * للموت ليس لها مَصادر
ورأيتُ قومى نحوها * يَمضى الأصاغرُ والأكابر
أيقنتُ أنّى لا محا * لةَ حيثُ صار القومُ صائر

فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : « يرحم الله قُسًّا ، إنى لأرجو أن يُبعَثَ يوم القيامة أمّةً[2] وحده » .

قصة شعر منسوب إلى قس

فقال رجلٌ يا رسول الله : لقد رأيتُ من قسٍّ عجبا . قال : وما رأيت ؟ قال : بينا أنا بجبلٍ يقال له سِمعان[4] فى يومٍ شديد الحرّ[3]، إذْ أنا بقُسِّ بن ساعدةَ تحت ظلِّ شجرةٍ عند عينِ ماء ، وعنده سباعٌ، كلما زأر سَبعٌ منها على صاحبه ضربَه بيده وقال : كُفّ حتى يشربَ الذى وَرَد قبلَك . قال : ففرِقتُ[5]، فقال : لا تخَفْ .

---

(١) تزهر : تتلألأ وتضىء . (٢) الأمة : الرجل المتفرد بدين ، كقوله تعالى : « إن إبراهيم كان أمة » . وجاء مثله الحديث أنه قال : « يبعث يوم القيامة زيد بن عمرو بن نفيل أمة على حدة» . وذلك أنه كان تبرأ من أديان المشركين وآمن بالله قبل مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم .
(٣) إلى هنا ينتهى سقط ط الذى بدأ فى ص ٢٤٥ . (٤) سمعان بالكسر : جبل فى ديار بنى تميم . (٥) فرقت ، بكسر الراء من الفرق ، وهو الخوف والفزع .

و إذا أنا بقبرين بينهما مسجدٌ، فقلت له : ما هذان القبران ؟ قال هذان قبرا أخوين كانا لى فماتا ، فاتّخذتُ بينهما مسجدًا أعبدُ الله جلّ وعزّ فيه حتّى ألحق بهما . ثم ذكر أيامَهما فبكى ، ثم أنشأ يقول :

خليلى هبّا طالما قد رقدتما * أجِدّكما لا تقضيان كراكما
ألم تعلما أنّى بسمعانَ مفردٌ * وما لىَ فيه من حبيبٍ سواكما
أقيمُ على قبريكما لستُ بارحًا * طوالَ الليالى أو يجيبَ صداكما
كأنّكما والموتُ أقربُ غايةٍ * بجسمىَ فى قبريكما قد أتاكما
فلو جُعِلت نفسٌ لنفسٍ وقايةً * لجُدتُ بنفسى أن تكون فداكما

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « يرحم الله قُسًّا » .

الشعر السابق لعيسى ابن قدامة

وأما الحكاية عن يعقوب بن السكيت أنّ الشعر لعيسى بن قُدامة الأسدى فأخبرنى بها علىّ بن سليمان الأخفش، عن السكونى قال: قال يعقوب بن السكيت :

قال عيسى بن قُدامة الأسدىّ ، وكان قدم قاسان[1]، وكان له نديمان فماتا ، وكان يجيءُ فيجلس عند القبرين ، وهما براوَند[2]، فى موضع يقال له خُزَاق ، فيشرب ويصبُّ على القبرين حتّى يقضىَ وطرَه ، ثم ينصرف وينشد وهو يشرب :

خليلىّ هُبّا طالما قد رقدتما * أجِدّكما لا تقضيان كراكما
ألم تعلما مالى براوَند هذه * ولا بخُزاقٍ من نديمٍ سواكما
مقيمٌ على قبريكما لستُ بارحا * طوالَ الليالى أو يجيبَ صداكما
جَرى الموتُ مجرى اللحمِ والعظمِ منكما * كأنّ الذى يَسقِى العُقارَ سَقاكما

٤٣
―
١٤

(١) قاسان ، وأهلها يقولون كاسان : مدينة كانت بما وراء النهر فى حدود بلاد الترك . ياقوت .
(٢) راوند ، بفتح الواو : بليدة قرب قاسان وأصبهان .

تحمّلَ مَنْ يهوى القُفولَ وغادَروا * أخاكما أشجاه ما قد شجاكما (١)

فأىُّ أخٍ يجفو أخًا بعد موته * فلستُ الذى من بعد موتٍ جفاكما

أصبُّ على قبريكما من مُدامةٍ * فإلّا تذوقا أُروِ منها ثَراكما (٢)

أناديكما كيما تجيبا وتَنطقا * وليس مجابًا صوتُه مَن دعاكما

أمِن طولِ نومٍ لا تُجيبان داعيًا * خليلىَّ ما هذا الذى قد دهاكما ٥

قضَيتُ بأنّى لا محالةَ هالكٌ * وأنّى سيعرونى الذى قد عراكما

سأبكيكما طولَ الحياة وما الذى * يردُّ على ذى عَولةٍ إنْ بكاكما

وأخبرنى ابن عمّارٍ أبو العباس أحمد بن عبيد الله بخبر هؤلاء، عن أحمد ابن يحيى البَلاذُرى قال: حدّثنا عبد الله بن صالح بن مُسلم العجلىّ قال:

نسبته إلى رجل من أهل الكوفة

١٠ بلغنى أنّ ثلاثةَ نفرٍ من أهل الكوفة كانوا فى الجيش الذى وجّهه الحجاج إلى الدَّيلم، وكانوا يتنادمون لا يُخالطون غيرَهم، فإنّهم لعلىَ ذلك إذْ ماتَ أحدُهم فدفنه صاحباه، وكانا يشربان عند قبره، فإذا بلغَه الكأسُ هَراقاها على قبره وبكيا. ثم إنّ الثانىَ مات فدفنه الباقى إلى جَنْب صاحبه، وكان يجلسُ عند قبريهما فيشرب ويصبُّ الكأسَ على الذى يليه ثم على الآخر ويبكى، وقال فيهما:

١٥ * نديمىّ هُبّا طالما قد رقدتما *

وذكر بعضَ الأبيات التى تقدم ذكرها. وقال مكان «براوند هذه»: «بقزوين»، وسائر الخبر نحو ما ذكرناه. قال ابن عمار: فقبورهم هناك تُعرف بقبور الندماء.

نسبته إلى الحزين ابن الحارث

وذكر العُتبى عن أبيه أن الشّعر للحزين بن الحارث، أحد بنى عامر ابن صَعصعة، وكان أحدُ نديميه من بنى أسد والآخر من بنى حَنيفة، فلما ماتَ ٢٠ أحدُهما كان يشرب ويصبُّ على قبره ويقول:

(١) القفول: العودة. س: «النقول»، محرف.

(٢) ط: «صداكا»، وكتب فوقها «ثراكا».

لا تصرِدْ هامةً من كأسها * واسقِهِ الخمرَ وإن كان قُبِر[1]

كان حُرًّا فهوى فيمن هوى * كلُّ عودٍ ذى شُعوبٍ ينكسر

قال : ثم مات الآخر فكان يشرب عند قبريهما وينشد :

خليلىَّ هبّا طالما قد رقدتما * .. ..

الأبيات .

قال : ثم قالت له كاهنةٌ : إنك لا تموت حتى تنهشَك حيةٌ فى شجرةٍ بوادى كذا وكذا . فورد ذلك الوادىَ فى سفرٍ له وسأل عنه فعرَفَه[2]، وقد كان خَطَّ فى أصل شجرة، ومدّ[3] رجلَه عليها ، فنهشته حية فأنشأ يقول :

خليلىَّ هذا حيثُ رمسِى فعرِّجا * علىَّ فإنّى نازلٌ فمعرِّسُ

لبست رداءَ العيش أحْوَى أجُره الـ * ـعَشيّاتِ[4] حتّى لم يكنْ فيه مَلبس

تركتُ خِبائى حيثُ أرسَى عمادَه * علىَّ، وهذا مَرمَسِى حيث أُرمَس

أحَتْفِى الذى لا بدَّ أنّك قاتلى * هلُمَّ فما فى غابر العيش مَنْفَس[5]

أبعدَ نديمىَّ اللذَين بكيتُهما[6] * بعاقلٍ حولًا مَدَى أتوجّس

(١) التصريد : قطع الشرب، أو تقليله . وعنى بالهامة هنا الميت . الضمير فى « كأسها » للهامة، أو للخمر . ما عدا ط ، ا، ها ، مط ، مب : « لا يصرد » .

(٢) أى خط له قبرا فى هذا الموضع . (٣) هذه الكلمة من ط ، ها ، مب .

(٤) أحوى، أى أسود الشعر حين الشباب . ما عدا ط ، ا ، ها ، مب : « عشيات » .

(٥) الغابر، هنا : الباق . منفس ، أى متسع ومهلة ، يقال زدنى نفسا فى أجلى ، أى طولا فيه ، ولك فى هذا الأمر نفسة ، بالضم ، أى مهلة .

(٦) ما عدا ط ، ها، مب : « بكيتكا » .

٤٤
١٤

ذكر هاشم بن سليمان وبعض أخباره

اسمه وكنيته ولقبه

هو هاشم بن سليمان مولى بنى أميّة، (١) ويكنى أبا العباس، وكان موسى الهادى يسمّيه أبا الغَرِيض . وهو حَسَن الصنعة عزيزها ، وفيه يقول الشاعر :

يا وَحشتى بعدك يا هاشمُ * غِبتَ فشجوى بك لى دائمُ
اللهــوُ واللــذّةُ يا هاشمُ * مالم تكن حاضرَه مأتمُ (٢)

٥

أخبرنى على بن عبد العزيز قال حدثنا عبيد الله بن عبد الله بن خُرداذبه قال: كان موسى الهادى يميل إلى هاشم بن سليمان ويمازحه ، ويلقّبه أبا الغريض .

غنـاؤه لموسى الهادى وإجازته على ذلك

وأخبرنى الحسين بن يحيى عن حمـاد قال : بلغنى أن هاشم بن سليمان دخل يوماً على موسى الهادى فغناه :

١٠

صـــوت

لو يُرسل الأَزْلُ الظِّبا * ء تَرودُ ليس لهنّ قائد (٣)
لتيمّمتـك تـدُلُّها * رَيّاكَ للسُّبل الموارد
وإذا الرياحُ تنكّرتْ * نُكْبًا هواجرها صَوَارِدْ (٤)
فالنـاس سائـلةٌ إليـ * كَ فصادرا تُغنِى ووارد (٥)

١٥

الشعر لطريح بن إسماعيل الثقفى ، يقوله فى الوليـد بن يزيد بن عبد الملك . والغناء لهاشم بن سليمان ، خفيف ثقيل أوّل بالبنصر .

(١) ماعدا ط ، ها ، مب : « مولى الهادى » . (٢) المأتم : مجتمع النساء للحزن والنياحة . ماعدا ط ، ا ، ها : «مام» . والمأثم : الإثم والذنب . (٣) الأزل ، بالفتح : الشدة والضيق . (٤) النكب : جمع نكباء ، وهى كل ريح بين ريحين ، وكلها لا خير فيه .
٢٠ (٥) سائلة من السيل ، يعنى كثرة الوارد .

فطرب موسى، وكان بين يديه كانونٌ كبير ضخمٌ عليه فحم، فقال له : سَلْنى ما شئت . قال : تملأ لى هذا الكانونَ . فأمر له بذلك، وفُرِّغ الكانونُ فوسع ستَّ بُدور[1]، فدفعها إليه .

وقد أخبرنى بهذا الخبر الحسنُ بن على قال حدّثنا ابن مهرويه قال : حدّثنا عبد الله بن أبى سعد، عن أبى توبة، عن محمد بن جَبْر، عن هاشم بن سليمان قال:

أصبح موسى أمير المؤمنين يومًا وعنده جماعةٌ منّا، فقال : يا هاشم غنّى :

* أبَهَارُ قد هيَّجتِ لى أوجاعا *

فإنْ أصبتَ مُرادى فيه فلك حاجةٌ مقضيّة . فغنيته فقال : قد أصبتَ وأحسنت سَلْ حاجَتك . فقال : يا أمير المؤمنين تأمُرُ أن يُملأ هذا الكانون دراهمَ . قال: وبين يديه كانونٌ عظيم، فأمَر به فملئ فوسع ثلاثين ألف درهم، فلما حَصَّلتها قال : يا ناقص الهمّة ، والله لو سألتنى أن أملأه دنانيرَ لفعلت . فقلت : أقِلْنى يا أمير المؤمنين . فقال : لا سبيل إلى ذلك فلم يُسعِدْك الجَدُّ به .

نسبة هذا الصوت

أبهارُ قد هيَّجتِ لى أوجاعا * وتركتِنى عبدًا لكم مِطواعا
بحديثِك الحسنِ الذى لو كُلِّمتْ * وَحشُ الفلاةِ به لجِئنَ سِراعا
وإذا مررتُ على البَهار منضَّدا * فى السُّوق هَيَّج لى إليك نِزاعا[2]
والله لو عَلِم البَهارُ بأنّها * أضحَتْ سَمِيَّته لصار ذِراعا

الغناء لهاشم، ثانى ثقيل بالبنصر عن عمرو، وفيه ثقيل أول بالبنصر، ينسب إلى إبراهيم الموصلى، وإلى يحيى المكى، وإلى إسحاق .

(١) البدور : جمع بدر، والبدر والبدرة : كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم، أو سبعة آلاف دينار .
(٢) النزاع : الشوق ، نازع إلى أهله : اشتاق .

٤٥ / ١٤

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز وإسماعيل بن يونس قالا : حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثنى بعض أصحابنا قال :

مجلس غناء

كنّا فى منزل محمد بن إسماعيل بن على بن عبد الله بن عباس، وكان عالمًا بالغناء والفقه جميعا، وقد كان يحيى بن أكثم وصَفَه للمأمون بالفقه، ووصَفَه أحمد بن يوسف بالعلم بالغناء، فقال المأمون : ما أعجبَ ما اجتمع فيه : العلم بالفقه، والغناء! فكتبتُ إلى إسحاقَ بن إبراهيم الموصلى أن يتحوّلَ إلينا وكان فى جوارنا ، وعندنا يومئذ محمد ابن أيوب بن جعفر بن سليمان ، وذُكاءُ وصغيرٌ غلامَا أحمد بن يوسف الكاتب ، فكتب إلينا إسحاق : جُعلتُ فداءكم ، قد أخذت دواءً ، فإذا خرجتُ منه حَملتُ قِدرى وصرتُ إليكم . وكتب فى أسفل كتابه :

أنا شماطيط الذى حُدِّثتَ به * متى أنبَّــه للغَــداءِ أنتبهْ

ثم أدور حــولَه وأحتبِــهْ * حتّى يقــال شرِهٌ ولستُ به

ثم جاءنا ومعه بُديح غلامه ، فتغدَّينا وشربنا ، فغنّى ذكاء غلام أحمد بن يوسف :

* أبهارُ قد هيّجتِ لى أوجاعا *

فسأله إسحاق أن يعيدَه فأعاده مِرارًا، ثم قال له : ممَّن أخذت هذا ؟ فقال : من مُعاذ بن انطّبيب. قال : والصنعة فيه له . فقال له إسحاق : أحبُّ أن تُلقيَه على بُديح . ففعل . فلمـا صلّيت العِشاءَ انصرفَ ذكاء ، وقعـد أبو جعفرٍ يشرب — يعنى مولاه[1] — وعنده قومٌ، وتخلّف صَغير فغنّانا ، فقال له إسحاق : أنت والله يا غلامُ ماخوريٌّ . وسكر محمد بن إسماعيل فى آخر النّهار فغنانا :

دَعُونى أغُضُّ إذا ما بدت * وأملكُ طـرفى فـلا أنظـرُ

(١) أى مولى ذكاء، وهو أبو جعفر أحمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح، كاتب المأمون . توفى سنة ٢١٣، تاريخ بغداد ٢٦٩٢ ، ما عدا ط ، ها : « يغنى مولاه » ، تحريف .

فقال إسحاق لمحمد بن الحسن : آجَرك الله فى ابنِ عمِّك! أى قد سَكِرَ فأقدَمَ على الغناء بحضرتى .

نسبة هــذا الصــوت

صــــوت

هَبُـونى أغضُّ إذا ما بـدَتْ * وأملِك طَـرفِى فلا أنظُـر ٥
فكيف احتيالى إذا ما الدموعُ * نَطقنَ فبُحن بمـا أضمِرُ
أيا مَن سرورى به شِقوةٌ * ومَن صفوُ عيشى به أكدر
أمنِّى تخاف انتشارَ الحديثِ * وحظِّىَ فى سَـتره أوفَـرُ
ولو لم أصُنْه لِبُقيَـا عليـك * نظـرتُ لنفسى كما تنظـر

الشعر للعباس بن الأحنف ، والغنـاء للزبير بن دُحمان ، ثقيل أول بالوسطى ١٠ عن عمرو فى الأبيات الثلاثة الأول . وفيها لعمرو بن بانة ماخورى . وفى :

* أيا مَن سُرورى به شِقوةٌ *

لسُلَيم هزَج . وفيه ثانى ثقيل ينسَب إلى حُسين بن محرز ، و إلى عباسٍ مِنقار .

صــــوت

هذا أوانُ الشدِّ فاشتدِّى زِيَمْ * قد لَفَّها الليـلُ بسوّاقٍ حُطَمْ ١٥
ليس براعى إبـلٍ ولا غَـنَمْ[(١)] * ولا بجـزّارٍ على ظهـرِ وَضَمْ

عروضه من الرجز . الشـعر لرُشَيد بن رُمَيض العنَزى يقوله فى الحُطَم، وهو شُريح بن ضُبيعة ، وأمه هنـدُ بنت حسّانَ بن عمرو بن مَرثد ، والغنـاء ليزيد حوراء ، خفيف ثقيل أوّل بالبنِصر ، وفيه خفيفُ رملٍ يقال إنّه لأحمد المكى .

٤٦/١٤

(١) جـ ، أ : « لست براعى » . ٢٠

الحطم ونجاته بقومه فى المفازة

قال أبو عبيدة : كان شُريح بن ضُبيعة غزا اليمنَ فى جموع جَمَعها من ربيعة، فغنم وسَبى بعد حربٍ كانت بينه وبين كِندة، أسر فيها فُرعانَ(١) بن مهدىّ بن معديكرب عم الأشعث بن قيس ، وأخذَ على طريق مفازةٍ فضـلَّ بهم دليلُهم ثمّ هرب منهم ومات فُرعان فى أيديهم عطَشا، وهلكَ منهـم ناسٌ كثير بالعطش . وجعل الحُطمُ يسوق بأصحابه سَوقا عنيفا . حتّى نَجَوْا ووردُوا المـاء(٢) . فقال فيه رُشَيد :

٥

هذا أوانُ الشدِّ فاشتدّى زِيَمْ * ليسَ براعى إبـلٍ ولا غـنم

ولا بجـزّار على ظهرِ وضَـمْ * نامَ الحداةُ وابن هنـدٍ لم ينم

باتَ يقاسِـيها غـلامٌ كالزّلَمْ * خَدلَّجُ السّاقين خَفّاقُ القـدمْ

* قد لفّها الليلُ بسَوّاقٍ حُطَمْ *

١٠

فلقِّب يومئـذ « الحُطَم » لقول رُشيدٍ هذا فيه .

وأدرك الحطمُ الإسلامَ فأسلم، ثم ارتدّ بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

حدّثنا محمد بن جرير الطبرى قال حدّثنا عبد الله بن سعد(٣) الزهرى قال أخبرنا عمى يعقوب قال : أخبرنى سيف قال :

إسلام الجارود ابن المعلى

خرج العلاء بن الحضرمىّ نحو البحرين، وكان من حديث البحرين أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لمـا ماتَ ارتدّوا(٤) ففاءت عبدُ القيس منهم ، وأمّا بكر فتمّت على رِدّتها . وكان الذى ثَنَى عبدَ القيس الجارودَ بن المعلّى .

١٥

(١) فرعان، بضم الفاء، والعين مهملة . وفى ط ، ح : « فرعان » بالغين المعجمة .

(٢) بعده سقط فى ط إلى ما قبل (ذكر على بن أديم) بسطر واحد .

(٣) فى الطبرى (٣ : ٢٥٤) : « عبيد الله بن سعيد » . وفى الأصول : « عبد الله بن سعد » وأثبت ما فى تهذيب التهذيب .   (٤) نص الطبرى : «أن النبى صلى الله عليه وسلم والمنذر بن ساوى اشتكيا فى شهر واحد، ثم مات المنذر بعد النبى صلى الله عليه وسلم بقليل وارتد بعده أهل البحرين » .

٢٠

فذكر سيفٌ عن إسماعيل بن مسلم [عن الحسن بن أبى الحسن قال :

قدم الجارود بن المعلّى على النبى صلى الله عليه وسلم مُرتاداً، وقال : أسلِمْ يا جارود . فقال : إنَّ لى ديناً . فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : إنّ دينك يا جارود ليسَ بشىء ، وليسَ بدين . فقال له الجارود : فإن أنا أسلمْتُ فما كان من تبعةٍ فى الإسلام فعليك ؟ قال : نعم][1] . فأسلم وأقام بالمدينة حتّى فَقُهَ .

حدّثنا محمد بن جرير قال حدّثنا محمد بن حميد، قال : حدّثنا سلمة بن الفضل عن أبى إسحاق قال :

خبر المنذر الغرور

اجتمعت ربيعةُ بالبحرين، فقالوا : رُدُّوا الملكَ فى آل المنذر، فملّكوا المنذر ابن النعمان بن المنذر، وكان يسمَّى الغَرُور، ثم أسلم بعد ذلك وقال : لستُ بالغَرور ولكنّى المغرور .

حدّثنا محمد بن جرير قال : حدّثنا عبد الله بن سعد[2] قال : أخبرنى عمى قال أخبرنا سيفٌ عن إسماعيل بن مسلم عن عُمَير بن فلان العبدى قال :

ارتداد الحطم وتأليبه للقبائل

لما ماتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الحُطَم بن ضُبَيعة ، فى بنى قيس[3] ابن ثعلبة ومن اتّبعه من بكر بن وائلٍ على الردّة، ومَن تأشّبَ [إليه][4] من غير المرتدّين ممن لم يزلْ كافرا، حتّى نزل القطيف وهَجَر، واستغوى [الخَطَّ و][4] من كان بهما من الزُّطّ والسيابجة ، وبعثَ بعثًا إلى دارينَ فأقا[موا][4] له ليجعلَ عبد القَيس بينهم وبينه، وكانوا مخالفينَ له يُمدّون [المنذر و][4] المسلمين، وأرسل إلى الغَرور بن سويد

(١) التكملة من تاريخ الطبرى (٣ : ٢٥٤) فى حوادث سنة ١١ .

(٢) فى الأصول : « عبيد الله بن سعد » . وانظر ما سبق فى ص ٢٥٥ .

(٣) فى الطبرى (٣ : ٢٥٥) : « أخو بنى قيس » .

(٤) التكملة من الطبرى . وتأشبوا : تجمعوا من ها هنا وهنا .

ابن المنذر بن أخى النعمان بن المنذر ، فقال له : اثبت فإنى إنْ ظفرتُ ملّكتك البحرين، حتّى تكون كالنّعمان بالحيرة . وبعث إلى رواثا وقيل إلى جُؤاثا ، فحاصرهم وألح عليهم، فاشتدّ الحصار على المحصورين من المسلمين، وفيهم رجلٌ من صالحى المسلمين يقال له عبد الله بن حَذَف، أحد بنى أبى بكر بن كلاب، فاشتدّ عليه وعليهم الجوعُ حتّى كادوا يَهلِكون، فقال عبد الله بن حَذَف :

شكوى المحصورين من المسلمين إلى أبى بكر

ألَا أبلغْ أبا بكرٍ رسولًا * وفتيانَ المدينةِ أجمعينا
فهلْ لكُمُ إلى قومٍ كرامٍ * قُعودٍ فى جُؤاثا مُحصَرينا
كأنّ دماءهمْ فى كلّ فجٍ * شُعاعُ الشمس يُعشى الناظرينا
توكّلْنا على الرحمنِ إنا * وجَدنا النّصرَ للمتوكلينا

٤٧ / ١٤

حدّثنى محمد بن جرير قال كتب إلى السرىّ بن يحيى عن شُعيب بن إبراهيم، عن سيف بن عمر، عن الصقعب[1] بن عطية بن بلال، عن سهم بن مِنجاب، عن [منجاب][2] ابن راشد قال :

قتال أهل الردة بالبحرين

بعث أبو بكرٍ العلاءَ بن الحضرمىّ على قِتال أهل الرِّدّة بالبحرين[3] ، فتلاحَق به مَن لم يرتدّ من المسلمين، وسلك بنا الدَّهناء حتّى إذا كنا فى بُحبوحتها أراد الله عزّ وجل أن يُرِيَنا آية ، فنزل العلاءُ وأمر الناسَ بالنزول ، فنفرت الإبلُ فى جوف الليل، فما بقى بعيرٌ ولا زادٌ ولا مَزاد[4] ولا بِناءٌ — يعنى الخيم قبل أن يحطّوا — فما علمت جمعًا هم عليه من الغمّ ما هَجم علينا، وأوصى بعضُنا إلى بعض، ونادى منادى العلاء: اجتمِعُوا . فاجتمعنا إليه فقال: ما هذا الذى ظَهر فيكم وغلبَ عليكم؟ فقال الناس:

(١) فى الطبرى : «الصعب» . (٢) التكلة من ا ، مب والطبرى .
(٣) اختزل أبو الفرج قدرا كبيرا من نص الطبرى فى أول هذا الخبر .
(٤) كذا فى الطبرى . وفى الأصول ما عدا مب ، ها : «مراد» بالراء المهملة .

وكيف نلام ونحن إن بلغنا غدًا لم تحمَ شمسُه حتى نصيرَ حديثا . فقال : أيُّها الناس، لا تُراعوا، ألستم مسلمين ؟ ألستم فى سبيل الله ؟ ألستم أنصارَ الله ؟ قالوا : بلى . قال : فأبشروا، فوالله لا يخذُل الله تبارك وتعالى مَن كان فى مثل حالكم . ونادى المنادى بصلاة الصبح حينَ طلع الفجر ، فصلَّى بنا ومنا المتيِّم ومنا من لم يزل على طَهوره، فلما قضى صلاتَه جثا لركبتيه، وجثا الناس معه، فنصِبَ فى الدعاء ونَصِبوا (١) فلمع لهم سرابٌ فأقبلَ على الدعاء، ثم لمع لهم آخر كذلك فقـال الرائد : ماء . فقام وقام النـاسُ فمشينا حتّى نزلنا عليـه فشربنا واغتسلنا، فـا تعالى النهارُ حتّى أقبلت الإبل من كلّ وجه وأناخت إلينا ، فقام كلُّ رجلٍ إلى ظهره فأخذَه، فـا فقدنا سِلكا (٢)، فأروبناها العَلَلَ بعد النَّهَل وتروَّحنا. وكان أبو هريرةَ رفيق، فلما غِبْنا عن ذلك المكانِ قال لى : كيف عِلمُك بموضع ذلك المـاء؟ فقلت : أنا أهدَى الناس (٣) بهذه البـلاد . قال : فكُرَّ معى حتى تُقيمَنى عليـه . فكررتُ به فأنخت على ذلك المكان بعينه، فإذا هو لا غديرَ به ، ولا أثرَ للـاء، فقلت له : والله لولا أنِّى لا أرى الغديرَ لأخبرتك أنّ هـذا هو المكان ، وما رأيتُ بهـذا المكان ماءً قبـل ذلك (٤) . فنظـر أبو هريرة فإذا إداوةٌ مملوءَة فقـال : يا سهمُ ، هـذا والله المكانُ ولهـذا رجعتُ ورجعت بك. وملأتُ إداوتى هذه ثم وضعتها على شفير الوادى فقلت : إن كان مَنًّا من المن وكانت آيةً عرفتها ، [و إن كان غِياثًا عرفته . فإذا مَنٌّ من المنّ] (٥) وحمدت الله جلّ وعز . ثم سرنا حتّى نزلنا هجر فأرسل العلاءُ إلى الجارود ورجلٍ آخر : أن انضمَّا فى عبد القيس حتّى تنزلَا على الحُطَم ممـا يليكما . وخرج هو فيمن معه وفيمن

(١) نصب ينصب فى الدعاء، إذا تعب فيه واجتهد . و به فسر قوله تعالى : «فإذا فرغت فانصب» أى اتعب فى الدعاء . (٢) السلك : جمع سلكة، وهو الخيط الذى يخاط به الثوب .
(٣) الطبرى : « أنا من أهـدى الناس » . (٤) الطبرى : «ماء ناقعا قبل اليوم» .
(٥) التكلة من تاريخ الطبرى .

قدِم عليه حتّى[1] نزل ممـا يلى هجر . وتجمع المسلمون كلُّهم إلى العـلاء بن الحضرمىّ ، ثم خندق المسلمون والمشركون فكانوا يتراوحون القتال ويرجعون إلى خنـدقهم ، فكانوا كذلك شهرًا . فبينا النـاسُ ليلةً كذلك إذ سمع المسلمون فى عسكر المشركين ضوضاءَ شديدة ، فكأنّها ضوضاءُ هزيمة فقال العلاء : مَن يأتينا بخبر القوم ؟ فقال عبد الله بن حَذَف : أنا آتيكم بخبر القوم — وكانت أمُّه عِجليّـة — فخرج حتّى إذا دنا من خندقهم أخذوه فقالوا له : مَن أنت ؟ فانتسب لهم وجعل ينادى ياأبجراه! فجاء أبجر بن بُجَـير فعرفه فقال : ما شأنك ؟ فقال لا أَضيعنّ الليـلةَ بين اللَّهازم ، علامَ أُقتَل وحولى عساكرُ من عجل وتَيم اللات وعَنَزة وقيس ، أيتلاعبُ بى الحطَم ونُزّاعُ القبائل وأنتم شهود ! فتخلَّصه وقال : والله إنّى لأظنـك بئسَ ابن الأخت لأخوالك الليلةَ . قال : دَعْنى من هذا وأطعمنى ، فقـد مِتُّ جوعا . فقرب إليه طعامًا فأكل . ثم قال : زوِّدنى واحملنى وجوِّزنى انطلق إلى طِيّتى . ويقول ذلك لرجلٍ قد غلبَ عليه الشراب ، ففعل وحَمَله على بعير وزوّده وجوّزه . وخرج عبدُالله حتّى دخل عسكر المسلمين ، فأخبرهم أنّ القـوم سُكارى ، فخرج القـومُ عليهم حتى اقتحموا عَسكرَهم فوضعوا فيهم السيوفَ حيث شاءوا ، واقتحموا الخندقَ هُرّابا ، فمترَدٍّ ، وناجٍ ، ودَهِشٌ ، ومقتولٌ ، ومأسور . واستولى المسلمون على ما فى العسكر ، ولم يُفلت رجلٌ إلّا بما عليه . فأمّا أبجر فأفلتَ ، وأمّا الحطم فإنه بَعِـل[2] ودُهِش وطار فؤاده ، فقام إلى فرسِـه والمسلمون خِلالهم يَجُوسونهم ليَركبَه ، فلما وضـع رِجلَه فى الركاب انقطع ، فمرّ به عفيف بن المنذر أحد بنى عمرو بن تميم ، والحطم يستغيث ويقول : ألَا رجلَ من بنى قيس بن ثعلبة يَعقِلنى ؟ فرفع صوتَه فعرفه عفيفٌ فقال : أبو ضبيعة ؟

(١) فى الأصـول : « وفيمن قدم عليه » . وأثبت ما فى الطبرى .

(٢) بعل : دهش وفرق فلم يدر ما يصنع .

قال : نعم . قال : أعطنى رجلَك أعقلك . فأعطاه رجلَه يعقُلها فنفحَها فأطنَّها من الفخذ وتركه ، فقال : أجهِزْ علىّ . فقال : إنِّى لأحبُّ أن لاتموتَ حتى أمضَّك (١) .
وكان مع عفيف عِدّةٌ من ولدِ أبيه فأصيبوا ليلتئذ ، وجعل الحطم يقول ذلك لمن لا يعرفه حتَّى مرَّ به قيس بن عاصم فقال له ذلك فعرفَه ، فمَالَ (٢) عليه فقتله ، فلما رأى فخذَه نادرة (٣) قال : واسوأتاه ! لو عرفتُ الذى به لم أحرِّكه . وخرج المسلمون ، بعد ما أحرزُوا الخندق ، على القوم يطلبونهم ، فاتّبعوهم فلحق قيسُ بن عاصم أبجَر ، وكان فرس أبجـر أقوى من فرس قيس ، فلما خشى أن يفوتَه طعنَه فى العرقوب فقَطَع العصبَ وسَلِم النَّسا . فقال عفيفُ بن المنذر فى ذلك :

فإن يرقأ العـرقوبُ لا يرقأ النَّسا * وما كلُّ مَن تلـقى بذلك عالمُ
ألم تر أنَّا قـد فَللنـا حُماتَهـم * بأسرةِ عمـرو والرِّباب الأكارمِ

وأسر عفيف بن المنذر ، الغرورَ بن أخى النعمان بن المنذر ، فكلّمته الرِّباب فيه وكان ابنَ أختهم (٤) وسألوه أن يُجيره ، فجاء به إلى العلاء قال : إنّى أجرته . قال : ومن هو ؟ قال : الغرور . قال العلاء : أنت غررتَ هؤلاء ؟ قال : أيُّها الملك إنِّى لست بالغَرور ، ولكنِّى المغرور . قال : أسلِمْ . فأسلمَ وبقى بهجَر . وكان الغَرور اسمَه ، ليس بلقب . وقتل العفيف أيضا المنذرَ بن (٥) سويد أخا الغرور لأمّه ، وكان له يومئذ بلاءٌ عظيم فأصبح العلاء يقسِّم الأنفال ، ونفَّل رجالًا من أهل البلاء ثيابًا ، [فكان فيمن نَفَّل

---

(١) نفحه بالسيف : تناوله به . أطنّها : قطعها . (٢) حـ : « فات عليـه » وأثبت ما فى ها ، مب وفى سائر النسخ : « فصلت عليه » ، صوابهما من الطبرى (٣ : ٢٥٨) .
(٣) نادرة : ساقطة . فى الأصول : « نادرا » ، والفخذ مؤنثة . وجاء على الصواب فى الطبرى .
(٤) الطبرى : « وكان أبوه ابن أخت القوم » . (٥) وقتل ، هى فى أ : « وقيل » وفى سائر النسخ : « وكان » ، صوابها من ها ، مب والطبرى . وكلمة « أيضا » هى فيما عدا حـ ، أ ، ها ، مب « بن » . وهذه الكلمة ليست فى الطبرى .

عفيفُ بن المنذر ، وقيسُ بن عاصم ، وثُمَـامة بن أُثال . فأما ثُمَـامة فنفّل ثيابا [(١)
فيهـا خَميصةٌ ذات أعلام ، وكان الحُطَم(٢) يُباهِي فيها . و باع الباقى ، وهرب الفَـلّ
إلى دارِينَ فركبوا إليهـا السُّفن ، فجمعَهم الله عزّ وجل بها ، وندبَ العلاءُ الناسَ
إلى دارِينَ، وخطبهم فقال : إنّ الله عز وجل قد جمـعَ لكم أحزابَ الشـيطان ،
٥ وشُذّاذ(٣) الحرب فى هـذا اليوم(٤) ، وقد أراكم من آياته فى البرّ لتعتبروا بها فى البحر ،
فانهضُوا إلى عدوّكم ثم استعرِضوا البحرَ إليهم ، فإنّ الله جل وعزّ قد جمعهم به .
فقالوا : نفعلُ ولا نَهاب والله بعـدَ الدهناء هَولًا(٥) ما بقينا ! فارتحلَ وارتحلوا حتى
أتى ساحلَ البحـر فاقتحموا على الخيل ، هم والحَمولة والإبلُ والبغال، الراكـب
والراجل(٦)، ودعا ودعَوا، وكانَ [دعاؤه و](٧) دعاؤهم: يا أرحمَ الراحمين، يا كريمُ يا حليم،
١٠ يا صمـدُ يا حىُّ يا محيي الموتى ، يا حىُّ يا قيوم ، لا إله إلا أنتَ يا ربّنـا . فأجازوا
ذلك الخليجَ بإذن الله ، يمشُون على مثل رملةٍ مَيثاء فوقها ماءٌ يغمرُ أخفافَ الإبل ،
و بين الساحل ودارينَ مسـيرةُ يومٍ وليلةٍ لسُـفُن البحر . ووصلَ المسلمون إليهـا
فمـا تركوا من المشركين بها مُخبِرا(٨) ، وسبَوا الذَّرارى ، واستاقُوا الأموالَ ، فبلغ من
ذلك نَفَل الفارس من المسلمين ستّةَ آلاف ، والراجلِ ألفين . فلمـا فرغُوا رجَعوا
١٥ عَودَهم على بَدئهم ، وفى ذلك يقول عَفيف :

ألم تر أنّ الله ذلّل بحـرَه * وأنزلَ بالكفّار إحدى الجـلائل
دعَونا الذى شَـقَّ البحارَ فجـاءنا * بأعجبَ من(٩) شـقّ البحار الأوائل

(١) التكملة من تاريخ الطبرى (٣ : ٢٥٩) . (٢) الخميصـة : كساء أسود مربع له علمان . (٣) فى الطبرى : « وشرد الحرب » . (٤) فى الطبرى : « البحر »
٢٠ (٥) فى الأصول : « هؤلاء » ، صوابه من الطبرى . (٦) فى الطبرى : « فاقتحموا على الصاهـل والجامل والشاحج والناهق ، الراكب والراجل » . (٧) التكملة من الطبرى .
(٨) مخبرا ، أى أحدا يخبر بما كان . يريد أنهم استأصلوهم . (٩) فى الطبرى : « من فلق » .

٤٩/١٤

وأقفل العلاءُ الناسَ(١) إلّا من أحبَّ المُقام، فاختار ثُمامة بن أثال الذى نفّله العلاء خميصةَ الحُطَم حين نزل على ماءٍ لبنى قيس بن ثعلبة ، فلمّا رأوه عَرَفوا الخميصة فبعثوا إليه رجلًا فسألوه : أهو الذى قتل الحُطَم ؟ قال : لا، ولوددتُ أنّى قتلته . قال : فأنّى لك حُلّته ؟ قال: نُفِّلتها . قالوا : وهل يُنفَّل إلا القاتل . قال : إنها لم تكن عليه إنّما كانت فى رَحله . قالوا : كذبت . فقتلوه ، وكان بهجرٍ راهبٌ فأسلم فقيل له : ما دعاكَ إلى الإسلام فقال : ثلاثة أشياءَ خشيتُ أن يمسخنى الله بعدها إن أنا لم أفعل : فَيضٌ فى الرمال ، وتمهيدُ أثباج البحور ، ودعاءٌ سمعته فى عسكرهم فى الهواء من السَّحر . قالوا : وما هو ؟ قال : «اللهمّ إنك أنت الرحمن الرحيم ، لا إله غيرَك ، والبديع ليس قبلَك شىء ، والدائم غيرُ الغافل ، والحىُّ الذى لا يموت ، وخالقُ ما يُرى وما لا يُرى ، وكلَّ يومٍ أنتَ فى شأن، وعلِمْتَ اللهم كلَّ شىء بغير تعليم(٢)» . فعلمتُ أنَّ القوم لم يُعاوَنوا بالملائكة إلّا وهم على أمرِ الله جلّ وعز .

فلقد كان أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمعون هذا من ذلك الهجرىّ بعد .

صوت

يا خليلىَّ من مَلامٍ دعانِى * وألِمَّا الغداةَ بالأظعانِ
لا تَلوما فى آل زينبَ إنّ الـ * ـقلبَ رهنٌ بآلِ زينبَ عانِ(٣)

الشعر لعمر بن أبى ربيعة ، والغناء للغريض ، خفيف رمل بالبنصر . وهذا الشعر يقوله فى زينب بنت موسى ، أخت قُدامة بن موسى الجمحىّ .

(١) أقفلهم : أرجعهم . والقفول : الرجوع . (٢) فى الطبرى : « تعلم » .
(٣) العانى : الأسير .

أخبرنى حرمى بن أبى العلاء قال : حدّثنا الزُّبير بن بكار قال : حدّثنى عبدالملك بن عبدالعزيز بن عبدالله بن أبى سلمة، قال: حدّثنى قُدامة بن موسى قال :

عمر بن أبى ربيعة وزينب بنت موسى

خرجتُ بأختى زينبَ بنت موسى إلى العُمرة ، فلما كنتُ بسَرِف(١) لقينى عمرُ بن أبى ربيعة على فرسٍ فسلَّم علىّ، فقلت : إنّى أراك متوجِّها يا أبا الخطاب؟ قال : ذُكرت لى امرأةٌ من قومى بَرْزَة الجمال(٢)، فأردت الحديث معها . قلت : أمَا علمتَ أنَّها أختى؟ قال : لا والله . واستحيا وثَنَى عنقَ فرسه راجعًا إلى مكة .

٥

أخبرنى حرمى قال حدّثنى الزبير : قال حدّثنى عبد الرحمن بن عبد الله ابن عبد العزيز(٣) الزهرى قال :

نَسَب(٤) ابن أبى ربيعة بزينبَ بنت موسى الجمحىّ، أخت قُدامة بن موسى ، فقال :

١٠

* يا خليلىَّ من ملامٍ دَعانى *

٥٠
١٤

وذكر البيتين وبعدهما :

لم تَدَعْ للنِّساء عندى نصيبًا * غيرَ ما قلتُ مازحًا بلسانى

فقال له ابن أبى عتيق : أمّا قلبك فغيَّب عنّا ، وأمّا لسانُك فشاهدٌ عليك .

أخبرنى الحرمى قال : حدّثنى الزبير قال : قال عبد الرحمن بن عبد الله ابن عبد العزيز الزهرى : لمّا نسَب عمر بن أبى ربيعة بزينب قال :

١٥

لم تدَعْ للنِّساء عندى نصيبًا * غيرَ ما قلتُ مازحًا بلسانى

(١) سرف : موضع على ستة أميال من مكة . (٢) برزة الجمال : بارزة المحاسن .
(٣) أ : « عبد الرحمن بن عبد العزيز » ، لكنه ورد كاملا فى السند التالى .
(٤) كذا على الصواب فى أ ، ها ، مب . وفى سائر النسخ : « تشبب » .

٢٠

قال له ابن أبى عتيق : رضيت لها بالمودّة ، وللنساء بالدَّهفشة[1] .

قال : والدهفشة : التجميش[2] والخديعة بالشىء اليسير .

أخبرنى الحرمى بن أبى العلاء قال : حدّثنا الزبير قال : أخبرنى مثلَ ذلك عبدُ الملك بن عبد العزيز ، عن يوسف بن الماجشون قال :

٥ فبلغ ذلك أبا وداعة السهمى فأنكره ، فقيل لابن أبى عتيق : أبو وداعة قد اعترض لعمر بن أبى ربيعة دونَ زينب بنت موسى الجمحىّ وقال : لا أُقرُّله أن يذكرَ فى الشعر امرأةً من بنى هُصَيص . فقال ابن أبى عتيق : لا تلوموا أبا وداعة أن يُنْعِظَ من سمرقند على أهل عدن .

قال عبد الملك : وفيها يقول أيضا عمر :

١٠ طالَ عن آل زينب الإعراضُ * للتعزِّى وما بنا الإبغاضُ

وليدًا قد كانَ عُلِّقها القلـ * ـبُ إلى أنْ علا الرءوسَ البياض

حبلُها عندنا متينٌ وحَبلِى * عندَها واهنُ القوى أنقاضُ

غنّاه ابن محرز رمل بالبنصر عن حبش . وفيها يقول أيضا :

صوت

١٥ أيها الكاشح المعيِّر بالصُّر * مِ تزحزَحْ فما بها الهجرانُ

لا مطاعٌ فى آل زينبَ فارجِعْ * أو تكلَّمْ حتّى يملَّ اللسانُ

فاجعلِ الليلَ موعدًا حين يمسى * ويُعفِّى حديثَنا الكتمانُ

كيف صبرى عن بعضِ نفسى وهل يصـ * ـبِر عن بعض نفسه إنسان

(١) الدهفشة ، فسرت فى اللسان تفسيرا مطابقا لما سيأتى . أ ، ها ، مب : « بالدهشنة » حـ :
٢٠ « بالدهشة » محرفتان عما أثبت من سائر النسخ .

(٢) التجميش : المغازلة والتقريص والملاعبة . وفى س ، أ « التخميش » ، محرف .

ولقد أشهدُ المحدّث عند ال * مَقصِر فيه تعفّف وبَيان
فى زمانٍ من المعيشة لَذٍّ * قد مضى عصرُه وهذا زمانُ

عروضه من الخفيف ، غناهُ ابن سريج ، ولحنه رمل بالوسطى من نسخة عمرو بن بانة الثانية ، ووافقته دنانير . وذكر يونس أنّ فيه لابن محرز ولابن عباد الكاتب لحنين ، ولم يجنّسهما . وأوّل لحن عباد : « لا مطاع فى آل زينب » ، وأوّل لحنِ ابن محرز : « ولقد أشهد المحدّث » .

قال : وفيها يقول أيضا :

صوت

أحدّث نفسى والأحاديثُ جمّةٌ * وأكبر همّى والأحاديثِ زينبُ
إذا طلعَتْ شمسُ النهار ذكرتُها[1] * وأحدِث ذكراها إذا الشمسُ تغرب

ذكر حمّادٌ عن أبيه أنّ فيه للهذلىّ لحنًا لم ينسبْه .

صوت

يا نُصبَ عينىَ لا أرى * حيثُ التفتُّ سواكِ شيّا
إنّى لمَيْتٌ إنْ صَدَدْ * تِ وإن وصلتِ رجعتُ حيّا

الشعر لعلىّ بن أديم الجعفى الكوفى ، والغناء لعمرو بن بانة ، رمل بالوسطى .

(١) ما عدا ح : « فأحدث » .

ذكر على بن أديم[1] وخبره

حب على بن أديم لمنهلة وشهرته بذلك

هو رجلٌ من تجار أهل الكوفة كان يبيع البَزّ، وكان متأدِّبا صالحَ الشِّعر، يهوى جاريةً يقال لها مُنهلة ، واستُهِيم[2] بها مدّة ثم بيعت فمات أسفاً عليها . وله حديثٌ طويل معها فى كتابٍ مفرد مشهور ، صنعهُ[3] أهلُ الكوفة لهما ، فيه ذكر قصصهما وقتاً وقتا ، وما قال فيها من الأشعار . وأمرُهما متعالَم عند العامّة، وليس مما يصلح الإطالة به .

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدّثنى محمد[4] بن داود بن الجراح قال حدّثنا أحمد بن أبى خيثمة قال : قال دعبل بن على :

كان بالكوفة رجلٌ يقال له علىّ بن أديم، وكان يهوَى جاريةً لبعض أهلها ، فتعاظَم أمرُه و بيعت الجاريةُ فمات جزعًا عليها ، و بلغها خبرُه فماتت .

قال : وحدّثنى بعضُ أهل الكوفة أنّه عَلِقها وهى صبيةٌ تختلفُ[5] إلى الكتّاب ، فكان يجىء إلى ذلك المؤدِّب فيجلس عنده لينظرَ إليها ، فلما أن بلغَتْ باعها مواليها لبعض الهاشميين ، فمات جزعا عليها . قال: وأنشدنى له أيضا :

---

(١) هذا ما فى ط فى كل موضع ورد فيه الاسم من هذه الترجمة . وط هذه هى أوثق نسخ الأغانى وأصحها على الإطلاق . وتوافقها فى هذا نسخة أ ، ها ، مب ، وهى تلى ط فى الجودة . وفى سائر النسخ «آدم» . وقد جاء على الصواب فى فهرست ابن النديم ٣٠٦ ليبسك ٤٢٦ فى أسماء العشاق من سائر الناس : « كتاب على بن أديم ومنهلة » .

(٢) كذا على الصواب فى حـ . وفى سائر النسخ : « استهام » محرف .

(٣) ما عدا حـ : « صنفه » .

(٤) أ : « عمر بن داود بن الجراح » .

(٥) حـ : « تخلف » ، وفى سائر النسخ : « فتختلف » ، والوجه ما أثبت .

صوت

صاحُوا الرَّحيلُ وحثّنى صحبى * قالوا الرواحُ فطيِّروا لبِّى
واشتقتُ شوقاً كاد يقتلنى * والنفسُ مشرفة على نَحْبِ (١)
لم يلقَ عند البينِ ذو كلفٍ * يوماً كما لاقيتُ من كَرْبِ
٥ لا صبرَ لى عند الفراق على * فَقْدِ الحبيب ولوعةِ الحبِّ (٢)

الشعر لعلىّ بن أديم الكوفى الجعفى، والغناء لحكم الوادىّ. وذكر حبشٌ أن لإبراهيم ابن أبى الهيثم فيه لحناً (٣). والله أعلم.

أخبرنى محمد بن خلف بن المرزُبان قال: حدّثنى أبو بكر العمرى قال: حدّثنى دِعبل بن علىّ قال:

١٠ كان بالكوفة رجلٌ من بنى أسد يقال له علىّ بن أديم، فهوِىَ (٤) جارية لبعض نساءِ بنى عبس، فباعتْها لرجلٍ من بنى هاشم، فخرج بها عن الكوفة، فمات على ابن أديم جزعاً عليها بعد ثلاثةِ أيام من خُروجها، وبلغها خبرُه فماتت بعده، فعمل (٥) أهلُ الكوفة لهما أخبارا هى مشهورةٌ عندهم.

جزعه على منهلة

حدّثنى محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدّثنا أبو بكر العمرى (٦) قال حدّثنا

١٥ أبو صالح الأزدىّ قال: حدّثنا محمد بن الحسين الكوفىّ قال: حدّثنا محمد ابن سَماعة قال:

---

(١) النحب: الموت. (٢) إلى هنا ينتهى سقط ط الذى بدأ فى ص ٢٥٥.
(٣) كذا الصواب فى ط، ا. وفى سائر النسخ: «لحنان» محرف.
(٤) ما عدا ط، ا، ها، مب: «يهوى». (٥) هذه الكلمة من ط، ا، مب.
٢٠ (٦) حـ: «العميرى».

آخر مَن مات من العشق علىُّ بن أديم الجُعْفى ، مرّ بمكتب فى بنى عبس بالكوفة ، فرأى فيه جارية تسمَّى مَنهلة ، عليها ثيـابُ سوادٍ ، فاستُهِيم بها وأعجبتْه ، وكلِف بها وقال فيها :

إنّى لمـا يعتـادنى * من حبِّ لابسة السوادِ
فى فتنـةٍ وبليّـةٍ * ما إنْ يطيقهما فُـؤادى
فبقيتُ لا دنيـا أصبـ * ـتُ وفاتنى طلبُ المَعادِ

٥٢ / ١٤ ٥

وسأل عنها فإذا لهـا مالكةٌ عبسية ، وكان ابن أديم خزّازا[1] ، فتحمّل أبوه بجماعة من التّجار على مولاتها لتبيعَها فأبت ، وخرج إلى أمّ جعفر ورفع إليها قصّته يسألها فيها المعونة على الجارية ، فخرج له توقيعٌ بما أحبّ ، وأقام يتنجّز تمامَ أمره . فبينا هو ذاتَ يومٍ على باب أم جعفر إذْ خرجت امرأةٌ من دارها فقالت : أينَ العاشق ؟ فأشاروا إليه فقالت : أنت عاشقٌ و بينك و بين من تحب القناطرُ والجسور ، والمياه والأنهار، مع ما لا يُؤمنَ من حدوث الحوادث ، فكيف تصبر على هذا ، إنّك لجَسُورٌ صَبـور ! فخامر قلبَه هـذا القولُ وجزع ، فبادر فاكترى[2] بغـلًا إلى الكوفة ، على الدخول ، فمـاتَ يوم دخول الكوفة .

١٠

(١) الخزاز : بائع الخز ، وهى ثياب تنسج من صوف و إبريسم . ما عدا حـ ، ها : «خرازا» وهذا لا يوافق ما فى أوّل خبره أنه كان يبيع البز .   (٢) ما عدا ط ، ها ، مب : « فنادى » .

١٥

ذكر عمرو بن بانة

نسبه وغناؤه

هو عَمْرو بن محمد بن سليمان بن راشد، مولى ثقيف . وكان أبوه صاحبَ ديوانٍ ووجهًا من وجوه الكتّاب، وينسب إلى أمه بانة [بنت روح][1] القَحطبية[2] . وكان مغنّيًا مُحسنا، وشاعرًا صالح الشعر، وصنعته صنعةٌ متوسّطة، النادِرمنها ليس بالكثير[3]، وكان يُقعده عن اللّحاق بالمتقدِّم[4] في الصنعة أنه كان مرتجلا، والمرتجل من المحدَثين لا يلحق الضُّرّابَ . وعلى ذلك فما فيه مَطعن، ولا يقصِّر جيِّد صنعته عن صنعة [غيره من][5] طبقته وإن كانت قليلة، وروايته أحسنُ رواية . وكتابه في الأغاني أصلٌ من الأصول، وكان يذهبُ مذهبَ إبراهيم بن المهدي في الغناء وتجنيسه،

تعصبه لإبراهيم ابن المهدى وتعصبه على إسحاق

ويخالف إسحاقَ ويتعصّب عليه تعصُّبا شديدا، ويواجهُه بذلك وينصرُ إبراهيم ابن المهديّ عليه . وكان تيّاها معجبا شديدَ الذهاب بنفسه ؛ وهو معدودٌ في ندماء الخلفاء ومغنّيهم، على ما كان به من الوضَح . وفيه يقول الشاعر :

أقولُ لعمرٍو وقد مرَّ بي * فسلّم تسليمةً جافيه
لئن فضّلوك بفَضْل الغناء[6] * لقد فضّل الله بالعافيه

حسن حكايته لأستاذه

وقال ابن حمدون : كان عمرو حسن الحكاية لمن أخذ الغناءَ عنه، حتّى كان مَن يسمعُه لو توارى عن عينه عمرو ثم غنّى لم يشكُك في أنّه هو الذى أخذ عنه، لحسْن حكايته ؛ وكان محظوظًا[7] ممن يعلّمه، ما علّم أحدًا قطُّ إلا خرج نادرًا مبرِّزا .

---

(١) التكملة من مب . (٢) ما عدا ط ها، مب : « القحطية » ، تحريف . ولعلها منسوبة إلى آل قحطبة، ومنهم حميد والحسن ابنا قحطبة . (٣) ما عدا ط، ها، مب : « النادور منها ما ليس بالكثير » . (٤) ما عدا ط، حـ، ها، مب : « بالتقدم » .
(٥) التكملة من ط . (٦) ما عدا ط، ها، مب : « لئن فضل الله فضل الغناء » .
(٧) ما عدا ط، ها، مب : « محفوظا » تحريف .

فأخبرنى جحظة قال حدّثنى أبو العُبَيْس بن حمدون قال: قال لى عمرو ابن بانة: علّمتُ عشرةَ غلمان كلُّهم تبيّنتُ[1] فيهم الثقافة والحِذق، وعلمتُ أنهّ يتقدم[2] أحدهم أنت، وتمرة، وما تبيّنت[1] قطُّ من أحدٍ خلافَ ذلك فعلمتُه .

وقال محمد بن الحسن الكاتب : حدّثنى أبو حارثةَ الباهلىّ[3] عن أخيه أبى معاوية قال :

بين إسحاق وعمرو ابن بانة

سمعتُ عمرو بن بانةَ يقول لإسحاقَ فى كلامٍ جرى بينهما : ليس مثلى يقاس بمثلك ، لأنّك تعلّمت الغناء تكسُّبًا ، وتعلّمتُه تطرّبا، وكنت أُضرَب لئلا أتعلّمه، وكنتَ تضرب حتّى تتعلّمه .

وأخبرنى على بن سليمان الأخفش[4] قال حدّثنى محمد بن الحسن [بن] الحَرُون قال :

اتهامه بخادم يقال له مفحم

٥٣ / ١٤

اجتمع عمرو بن بانة والحُسين بن الضحّاك فى منزل ابن شَعوف، وكان له خادمٌ يقال له مُفحِم[5]، وكان عمرو يتّهم به، فلما أخذَ فيه[6] الشراب سأل عمرٌو الحسينَ ابن الضحاك أن يقول فى مُفْحَم شعرًا ليغنى فيه، فقال الحسين :

وا بأبى مُفحم لِغِـرّته[7] * قلتُ له إذ خلوتُ مكتتِما
تحب بالله من يخصُّك بالحـ[8] * ـبِّ فما قال لا ولا نعما

الشعر للحسين بن الضحاك، والغناء لعمرو بن بانة، ثانى ثقيل بالبنصر .

---

(١) ما عدا ط ها، مب: «ثبتت»، محرف . (٢) هذه الكلمة من ط، ها، مب، وموضعها بياض فى حـ. ويتقدم، هى فيا عدا ط: «متقدم» . (٣) ما عدا ط، ها، مب: «أبو جارية الباهلى» . (٤) هذه من ط، ها، مب . (٥) ما عدا ط، ها، مب: «مقحم» بالقاف، فى كل موضع ورد فيه من هذه الأخبار . (٦) ما عدا ط، ها، مب: «فيهم» . (٧) الغرة والغرارة: الغفلة وضعف التجربة . ما عدا ط، جـ، ها: «لعزته» . (٨) ما عدا ط، ها، مب: «من يخصك بالود» .

قال : فغنى فيه عمرو . ولم يزل هذا الشعرُ غناءهم، وفيه طربُهم، إلى أن تفرّقوا . وأتاهم فى عشيّتهم إسحاق بن إبراهيم الموصلى فسألوا ابن شَعوف[(1)] أن لا يأذن له، فحجبَه، وانصرف إسحاق بن إبراهيم الموصلى إلى منزله، فلما تفرّقوا مرّ به الحسينُ بن الضحاك وهو سكران، فأخبره بجميع ما دارَ بينهما فى مجلسهم، فكتب إسحاق إلى ابن شعوف :

٥

يا ابن شعوف أمَا سمعتَ بما * قد صار فى الناس كلّهم عَلَما

أتاك عمرٌو فبات ليلتَه * فى كلّ ما يُشتهَى كما زَعَما

حتّى إذا ما الظلامُ خالطَه * سرى دبيبًا بخامع الخَدَما

ثمّتَ لم يرضَ أن يفوز بذا * سرًّا ولكن أبدى الذى كتما

حتّى تغنّى لفرط صَبوته * صوتًا شفَى من فؤاده السَّقَما ١٠

« وا بأبى مفحَم لغِرته * قلتُ له إذ خلوت مكتتما[(2)]

تحبّ بالله من يخصّك بال * ودّ فما قال لا ولا نعما »

فهجر ابن شعوف عمرو بن بانة مدّةً وقطع عِشرته .

وأخبرنى محمد بن العباس اليزيدى بهذا الخبر قال : حدّثنى ميمون بن الأزرق[(3)] قال : ١٥

عشقه لحسين الغلام

كان لمحمد بن شعوف الهاشمىّ ثلاثةُ غلمانٍ مغنّين ، ومنهم اثنان صَقْلبيان محبوبان : خاقانُ وحسين، وكان خاقانُ أحسنَ الناس غِناء ، وكان حسين يغنّى غناءً متوسطا، وهو مع ذلك أضْرَبُ الناس، وكان قليلَ الكلام جميلَ الأخلاق،

(١) ما عدا ط ، ها ، مب : « ابن شفوف » فى هذا الموضع وسائر المواضع التالية . وقد سبق اتفاق النسخ على « شعوف » فى أول موضع ورد فيه . (٢) ما عدا ط ، جـ ، ها ، مب : « لمزته » . (٣) ما عدا ط ، ها ، مب : « ميمون بن هارون » . ٢٠

أحسنَ النـاس وجهًا وجسمًا، وكان الغلام الثـالث خلًّا يقال له حجّاج، حسن الوجه رومىٌّ [حسن] (١) الغناء، فتعشّق عمُرو بن بانة منهم المعروفَ بحسين وقال فيه :

وا بأبى مفحـم لغـرته * قلتُ له إذ خلوت مكتتما
تحبُّ بالله من يخصُّك بالـ * ـودّ فـا قال لا ولا نعـما

ولم يذكر غير هذا . ٥

وقال محمد بن الحسن : حدّثنى أبو الحسين (٢) العاصمى قال :

جـودة غنـائه

دخلت أنا وصـديقٌ لى على عمـرو بن بانة فى يومٍ صائف، فصادفْناه جالسا فى ظلّ طويلٍ مُمتع (٣)، فدعانى إلى مشاركته فيه، وجعل يغنّينا (٤) يومه كلّه لحنَه :

صـــوت

نِقابُكِ فاتنٌ لا تفتنينا * ونَشرُكِ طيّبٌ لا تحرمينا ١٠
وخاتَمك اليمـانِى غيرَ شكٍّ * خَتمتِ به رقابَ العالمينـا

الغناء لعمرو بن بانة، هزج خفيف بالبنصر .

٥٤/١٤

قال : فما طربت لغناءٍ قطّ طربى له، ولا سمعت أشجى ولا أكثر نغمًا، ولا أحسنَ من غنائه (٥) .

أخبرنى جحظة قال : حدّثنى أبو حشيشة قال : ١٥

عمـرو بن بانة وجعفـر الطبـال

كنت يومًا عند عمرو بن بانة، فزاره خادمٌ كان يحبّه [فأقام عنده] (٦)، فطلب عمرٌو فى الدنيا كلّها مَن يضرب عليه فلم يجد أحدا، فقال له جعفرٌ الطبّال : إنّ أنا

(١) هـذه من ط، ها، مب فقط . (٢) ها، مب : « أبو الحسن » وفى سائر النسخ ط : «أبو الحسين» . وفى سائر النسخ : « عمرو بن الحسين » . (٣) ما عدا ط، ها، مب : « ممتنع » . (٤) ما عدا ط جـ، ها، مب : « يومنا » . ٢٠
(٥) ما عدا ط، ها، مب : «ولا أحسن مما غناه» . (٦) هذه من ط، ها، مب فقط .

غَنيتكَ اليوم على عُودٍ يُضرَب به عليك، أَىُّ شىء لى عندك ؟ قال : مائة درهم ودَستيجة(١) نبيذ . وكان جعفرٌ حاذقًا متقدّما نادرا(٢) طيبا، وكان نذلَ الهمّة(٣)، فقال : أسمعنى مخرجَ صوتِك . ففعلَ فسوَّى عليه طبلَه كما يسوى الوَتر، واتكأ عليه بركبته فأوقَعَ عليه(٤) . ولم يزل عمرٌو يغنِّى بقية يومه على ايقاعه لا ينكِر منه شيئاً حتّى انقضى يومُنا ودفع إليه مائةَ درهم، وأحضر الدستيجة فلم يكن له مَن يحملها، فحملها جعفرٌ على عنقه، وغطّاها بطيلسانه وانصرفْنا .

مقاضاة جعفر لطبال لإبراهيم ابن المهدى

قال أبو حشيشة : فحدّثت بهذا الحديث إسحاق بن عمرو بن بَزيع، وكان صديقَ إبراهيم بن المهدى، فحدّثنى أنّ إبراهيم بن المهدى قال له : يا جعفر حذِّقْ فلانةَ جاريتى ضربَ الطبل، ولك مائةُ دينار أعجِّل لك منها خمسين . قال : نعم . فعجِّلت له الخمسون وعلَّمها، فلما حَذَقت طالبَ إبراهيمُ بتتمَّة المائة فلم يعطِه، فاستعدَى عليه أحمد بن أبى دُوادٍ(٥) الحسنى خليفتَه فأعداه، ووكَّل إبراهيم وكيلًا، فلما تقدّم مع الوكيل إلى القاضى(٦) أراد الوكيلُ أن يكسِر حجّة جعفر فقال : أصلحَ الله القاضى، سَلْه من أين له هذا الذى يدّعى ؟ وما سببه ؟ فقال جعفر : أصلح الله القاضى أنا رجلٌ طبّالٌ، وشارطنى إبراهيمُ على مائة دينارٍ على أن أحذِّق جاريتَه فلانة، وعجّل لى بخمسين دينارا ومنعنى الباقىَ بعد أن رَضى حِذقَها، فيُحضِر القاضى الجارية

(١) الدستيجة : مأخوذة من « دستى » الفارسية ، جاء فى القاموس : « الدستيج : آنية تحول باليد، معرب دستى » ; وفى المعجم الفارسى الانجليزى لاستينجاس ٥٢٥ أنها كل وعاء يمكن رفعه باليد :

" any vessel wich can be lifted up by the hand ".

ها، مب : « دستجة » . ما عدا ط، جـ : « دستبيجة » محرف .

(٢) ما عدا ط، ها : « بادرا نادرا » . (٣) ما عدا ط، ها، مب : « وكان بذل الهمة » وفى هامش ط : « بذ الهيئة » . (٤) هذا ما فى ط . وفى جـ، أ، ها، مب : « وأوقع عليه » س : « ووقع عليه » ، والأخيرة محرفة . (٥) س : « داود » .

(٦) ما عدا ط، ها، مب : « فلما تقدموا القاضى مع الوكيل » .

وطبلَها، وأُحضر أنا طبلى، ويسمعنا القاضى، فإن كانت مثلى قضَى لى عليه، وإلّا حذّقتها فيه حتى يرضى القاضى. فقال له القاضى: قُمْ عليك وعليها لعنة الله، وعلى من يرضى بذلك منك ومنها. فأخذ الأعوانُ بيده فأقاموه.

وقال على بن محمد الهشامى[1]: حدّثنى جدى ابن حمدون قال:

عمرو بن بانة ورزق غلام علويه

كنت عند عمرو بن بانة يومًا ففتح بابَ داره فإذا بخادمٍ أبيضَ شيخٍ قد دخَل يقود بغلًا له عليه مَزادة، فلما رآه عمرٌو صرخ: لا إله إلا الله، ما أعجب أمرك يادنيا! فقلت له: مالك؟ قال: يا أبا عبد الله[2]، هذا الخادم رِزقٌ غلام علُّوية[3] المغنى، الذى يقول فيه الحسين بن الضحاك الشاعر:

يا ليت رزقًا كان من رزقى * ياليتَه حظّى من الخلق

قد صار إلى ما ترى. ثم غنّانى لحنًا له فى هذا الشعر، فما سمعت أحسن منه منذ خلقت.

نسبة هذا اللحن

صوت

ياليت رزقًا كان من رِزقى * ياليتَه حظِّى من الخلق
يا شادنًا ملّكتُه رقّى * فلستُ أرجُو راحةَ العتق

إنشاد المتوكل له بيتا

الشعر للحسين بن الضحاك، والغناء لعمرو بن بانة، ولحنه من الثقيل الأول بالوسطى.

وقال على بن محمد الهشامى: حدّثنى جدّى — يعنى ابن حمدون — قال: كنا عند المتوكّل ومعنا عمرو بن بانة، فى آخر يومٍ من شعبان فقال له عمرو: ياأمير المؤمنين،

(١) كذا فى ط، ها. وفى جـ، مب: «البسامى» وأشير إليها فى هامش ط. وفى سائر النسخ: «الشامى».
(٢) ماعدا ط، ها، مب: «يا عبد الله».
(٣) ط، مب: «خادم».

جعلنى الله فداءك، تأمرُ لى بمنزلٍ فإنه لا منزل لى يَسَعُنى . فأمر المتوكّل عبيدَ الله ابن يحيى بأن يبتاع له منزلًا يختاره . قال : وهجم الصوم وشُغِل عبيد الله، وانقطع عمرٌو عنا، فلما أهلَّ شوالٌ دعا بنا المتوكل فكان أولَ صوتٍ غناه عمرٌو فى شعرٍ هذا :

صـــــوت

٥ مَلَّاك ربِّى الأعيادَ تُخلِقها * فى طولُ عمرٍ ياسيدَ الناس [1]

دُفعتُ عن منزل أمرتَ به * فإنَّنى عنـــه مباعَد خاس [2]

[فمــرْ بتسليمه إلىّ على * رَغْم عدوِّى بحرمة الكاس] [3]

أعــوذ بالله والخليفة أن * يرجــع ما قلته على راسى

لحن عمرو فى هذا الموضع هزج بالبنصر .

١٠ فدعا المتوكِّل بعبيد الله بن يحيى فقال له : لمَ دافعتَ عمرًا بابتياع المنزل الذى كنت أمرتُك بابتياعه ؟ فاعتــلّ بدخول الصوم وتشعُّب الأشغال . فتقدَّمَ إليــه أن لا يؤخرَ ابتياعَ ذلك إليــه، فابتاعَ له الدور التى فى دورِ سُرَّ من رأى، بحضرة المعلَّى بن أيوب . وفيها توفى عمرو .

امتحان عبـد الله ابن طاهر للفنين وفيهم عمرو

أخبرنى محمــد بن إبراهــيم قريص [4] قال : سمعت أحمــد بن أبى العــلاء ١٥ [يحدث أستاذى — يعنى محمد بن داود بن الجراح [5]] قال : جمع عبد الله بن طاهر بين المغنين وأراد أن يمتحنهم ، وأخرج بَدرةَ دراهمَ سَبَقًا [6] لمن تقدم منهم وأحسن ، فحضره مُخــارق ، وعلُّويه ، وعمرو بن بانة ، ومحمــد بن الحارث بن بسخنَّر ، فغنى

(١) ملاك الأعيـاد : متعك بها وأعاشك معهـا طويلا . تخلقها : تبليهـا . ماعدا ط ، ها ، مب « تخلفها » بالفـاء . (٢) س : « رفعت » و « معبد » . الخاسئ : المبعد .

٢٠ (٣) هذا البيت من ط ، ها ، مب ، ف فقط . (٤) ماعدا ط ، ها ، مب : « قريض » .

(٥) التكملة من ط ، ها ، مب ، ف . (٦) السبق ، بالتحريك : ما يجعل رهنا على المسابقة .

فلم يصنعْ شيئا، وتبعه محمد بن الحارث فكانت هذه سبيلَه ، وامتدت الأعينُ إلى مخارقٍ وعمرو، فبدأ مخارقٌ فغنّى :

إنى امرؤٌ من خيرهم * عمّى وخالى من جذامْ

فما نهنهُ عمرٌو مع انقطاعِ نَفَسه حتى غنى :

يا ربعَ سلّامة بالمنحنى * بخَيف سَلْع جادكَ الوابلُ

وكان إبراهيم بن المهدى حاضرًا فبكى طربا وقال: أحسنتَ والله واستحققت، فإن أعطيتَه و إلا نخذه من مالى ، ياحبيبى عنّى أخذتَ هذا الصوت ، وقد والله زدتَ علىّ فيه وأحسنتَ غاية الإحسان ، ولا يزال صوتى عليك أبدا . فقال له عبد الله : مَن حكَمت له بالسّبق فقد حَصَل . وأمر له بالبَدرة فحُملت إلى عمرو.

ثم حدّثنا بعد ذلك أن إسحاق لقى عمرو بن راشد الخناق فقال له : قد بلغنى خبرُ المجلس الذى جمع عبدُ الله فيه المغنّين يمتحنهم ، ولو شاء لكان فى راحةٍ من من ذلك . قلت : وكيف ؟ قال : أمّا مخارق فأحسنُ القوم غناء إذا اتّفق له أن يحسن، وقلّما يتفق له ذلك . وأما محمد بن الحارث فأحسنهمْ شمائلَ ، وأملحهم إشارةً بأطراف وجهه فى الغناء، وليس له غير ذلك . وأما عمرو بن بانة فأعلمُ القوم وأرقاهم . وأما علّويه فمن أدخله ابنُ الزانية مع هؤلاء ؟

نسبة هذين الصوتين

صوت

إنّى أمرؤ من خيرهمْ * عمّى وخالى من جُذامْ
خَودٌ كضوء البدر أو * أضوا(١) لدَى الليل التمامْ
يجرى(٢) وشاحاها على * نحرٍ نقىٍّ كالرُّخام

والغناء لابن جامع ، رمل مطلق فى مجرى البنصر عن إسحاق .

(١) أضوا : أضوأ وأشد إشراقا .

(٢) هذا ما فى ها : وفى مب « تجرى » . وفى سائر النسخ : « يجرى » .

صـــوت

يا خليلَّى من بنى شـيبانِ * أنا لاشـكَّ ميتٌ فابكيانى

إنّ روحى لم يَبق منها سوى شي * ءٍ يسـير مُعلَّقٍ بلسـانى

الشعر لأبى العتاهية ، والغناء لإبراهيم ، رمل بالوسطى عن عمرو والهشامى

٥ وإبراهــيم .

غضب يزيد بن معن على أبى العتاهية

وهـذا الشعر يخاطب به أبو العتاهية عبدَ الله ، وزائدة بن معـن بن زائدة الشيبانى ، وكان صديقًا وخاصا بهما . ثم إنّ يزيد بن معن غضب لمولاةٍ لهم يقال لها سُعدى ، وكان أبو العتاهية يشبِّب بها ، فضربه مائة سوط ، فهجاه وهجا إخوته . ثم أصلَح بينهم مندلُ بن علىٍّ العبـدى ، وهو مولى أبى العتاهية ، فعادَ إلى ما كان

١٠ عليه لهم .

فأخبرنى وكيع قال : حدّثنى حماد بن إسحاق عن أبيه . وأخبرنى أحمد ابن عبيد الله بن عمـار قال : حدّثنى على بن محمد النوفلى عن أبيـه قالا : قولُ أبى العتاهية :

* يا خَليلىَّ من بنى شيبان *

١٥ يخاطب به عبدَ الله ويزيد ابنى مَعن بن زائدة ، أو قال عبد الله وزائدة .

شعر أبى العتاهية فى سعدى

أخبرنى ابن عمار قال : حدّثنى زيد بن موسى بن حماد . وأخبرنى محمد بن يحيى قال : حدّثنى محمد بن سعيد . قال حدّثنى أبو سويد عبد القوى بن محمد بن أبى العتاهية قال : كان أبو العتاهية فى حداثتـه يهوى امرأةً من أهل الحيرة نائحة[1] ، لها حُسنٌ

(١) كذا فى ها ، مب . وفى س : « نالحة » . وفى جـ : « باحة » . وفى ا : « يالحة » .

وجمال ودَمامة ، وكان ممن يهواها أيضا عبدُ الله بن معن بن زائدة أبو الفضل ؛ وكانت مولاةً لهم يقال لها سعدى ، وكان أبو العتاهية مغرما بالنساء فقال فيها :

ألا يا ذواتِ السحق فى الغرب والشرق * أفقنَ فإنّ النيكَ أشهى من السحقِ
أفقن فإنّ الخبز بالأدم يشتهى * وليس يسوغ الخبزُ بالخبز فى الحلق
أراكنّ ترقعن الخروقَ بمثلها * وأىُّ لبيب يرقع الخرق بالخرق
وهل يَصلُح المهراسُ إلّا بعوده * إذا احتيج منه ذاتَ يومٍ إلى الدقّ

قال وقال فيه أيضا :

قلتُ للقلب إذ طوى وَصلَ سُعدى * لهواهُ البعيدة الأنسابِ
أنتَ مثل الذى يفرُّ من القَطْـ * ـرِ حِذارَ الندى إلى الميزاب

قال محمد بن محمد فى خبره : فغضبَ عبد الله بن معنٍ لسُعدى[1] ، فضرب أبا العتاهية مائةً فقال :

جلَدتنى بكفِّها * بنتُ معن بن زائده
جلدتنى بكفِّها * بأبى أنتِ جالده
جلدتنى وبالغَتْ * مائةً غيرَ واحده
اجلدى اجلدى اجلدى * إنّما أنتِ والده

أخبرنى وكيع قال : حدّثنى أبو أيوب المدينىّ قال :

عبد الله بن معن وأبى العتاهية

احتال عبد الله بن معن فضربَ أبا العتاهية ضربا غير مبرِّح ، إشفاقًا مما يغنى[2] به ، فقال :

اجلدى اجلدى اجلدى * إنما أنت والده

(١) أ : «بسعدى» يقال غضب له ، ولا يقال غضب به إلا لميت . أنشد فى اللسان لدريد بن الصمة :
فإن تعقب الأيام والدهر فاعلموا * بنى قارب أنا غضاب بمعبد
(٢) ت، من عانه هـ ، مب : «من كثرة من» وفى سائر النسخ ما عدا جـ : «ممن» .

٥٧
١٤

أخبرنى محمد بن يحيى قال : حدّثنا الغلابى قال : حدّثنى مهدى قال :
تهدد عبدُ الله بن معن أبا العتاهية وخوّفه ونهاه أن يعرِض لمولاته سُعدى،
فقال أبو العتاهية قوله :

ألا قل لابن معن و الـذِ * ى فى الودّ قـد حالا
لقـد بلِّغتُ ما قال * فـا باليتُ ما قالا
ولو كان من الأُسـد * لمـا راعَ ولا هـالا
فصُغْ ما كنتَ حلّيتَ * به سـيفَك خلخالا
فـا تصنع بالسيف * إذا لم تـكُ قتّالا
ولـو مـدّ إلى أذنيـ * ـه كفّيـه لمـا نالا
قصير الطُّول والطَّوْل * فـلا شبَّ ولا طالا
أرى قومَـك أبطالا * وقـد أصبحتَ بطّالا

أخبرنى محمـد بن يحيى قال حدّثنى الحسن بن على الرازى قال حدّثنى أحمد
ابن أبى فنَن قال :

فزع عبد الملك وعبد الله بن معن من الهجاء.

كنّا عند ابن الأعرابى فذكرَ قول يحيى بن نوفل فى عبد الملك بن عمير القاضى :

إذا كلّمتْـهُ ذاتُ دلٍّ لحـاجةٍ * فهمَّ بأن يقضى تنحنحَ أو سعَلْ

وأن عبد الملك بن سليمان بن عمير (١) قال : تركَنى والله و إنّ السَّعلة لتَعرِض لى فى الخلاء
فأذكر قولَه فأتركها . قال : فقلت له : هـذا عبدُ الله بن معن بن زائدة يقول له
أبو العتاهية :

فصُغْ ما كنت حلّيتَ * به سـيفك خلخالا
وما تصنعُ بالسـيف * إذا لم تـكُ قتّالا

(١) ط ، ها ، مب : « عبد الملك بن عمير ».

قال : فقال عبد الله : ما لبست السيفَ قطُّ فلمحنى إنسانٌ إلا قلت إنّه يحفظ شعر أبى العتاهية فىّ ، فينظر إلىّ بسببه . فقال ابن الاعرابى : اعجبوا إليه لعنه الله يهجو مولاه (١) ! وكان أبو العتاهية من موالى بنى شيبان .

هجاء أبى العتاهية لعبد الله بن معن

وقال محمد بن موسى فى خبره : وقال أبو العتاهية يهجو عبدَ الله بن معن :

لا تُكثِرا يا صاحبَىَّ رحلِى * فى شتم مَن أكثرَ من عذلى

سبحانَ من خصَّ ابنَ معنٍ بما * أرى به من قلّة العقلِ

قال ابن معن وجلا نفسَه * علَىَّ من الجِلوةُ (٢) يا أهلى

أنا فتاةُ الحىِّ من وائلٍ * فى الشّرف الباذخ والنُّبلِ

مافى بنى شيبان أهلِ الحِجى * جاريةٌ واحدةٌ مثلى

يا ليتنى أبصرتُ دلّالةً * تدلُّنى اليوم على فحلِ

والمفتا اليومَ على أمردٍ * يُلصق منّى القُرط بالحجْلِ

أتيتُه يوماً فصالحتُه * فقال دَعْ كفِّى وخذْ رِجلى

يُكنَى أبا الفضل فيامَن رأى * جاريةً تكنى أبا الفضلِ

قد نقّطتْ فى خدِّها نقطةً * مخافةَ العين من الكُحلِ (٣)

إنْ زُرتموها قال حُجّابُها * نحنُ عن الزوّار فى شغلِ

مولاتُنا خاليةٌ عندَها * بعلٌ ولا إذنَ على البعلِ

قولا لعبد الله لا تجهلَنْ * وأنتَ رأس النَّوك والجهلِ

أتجلد النّاسَ وأنت امرؤٌ * تُجلَدَ فى الدُّبْر وفى القُبْلِ

(١) ط ، ها ، مب : « اعجبوا لعبد يهجو مولاه » . (٢) الجلوة ، بالفتح والكسر : مصدر جلا العروس على بعلها . والجلوة بالكسر : ما تعطاه عند ذلك من مال أو هدية .

(٣) بعد هذا سقط فى مب ينتهى فى ٣٠١ .

تبـــذُل ما يمنع أهلُ النـدى * هذا لعمرى مُنتهى البـــذلِ
ما ينبغى للنـاس أن يَنسـبُوا * من كان ذا جـودٍ إلى البخلِ

وقال فى ضربه إياه :

ضربَتْـنى بكفِّهـا بنت معنٍ * أوجَعتْ كفَّها وما أوجعتْنى
ولعمرى لولا أذى كفِّها إذ * ضربَتْنى بالسَّـوط ما تركتنى

٥

هجاء أبى العتاهية ليزيد بن معن

أُخبرنى ابن عمار قال حدّثنى محمـد بن موسى . وأخبرنى محمـد بن يحيى قال حدّثنى جبلة بن محمد(١) قالا : لمـا اتصل هجاء أبى العتاهية بعبد الله بن معن غَضِبَ من ذلك أخوه يزيدُ بن معن ، فهجاه أبو العتاهية فقال :

بَنَى معنٌ ويهـــدِمُهُ يزيدُ * كذاك الله يفعلُ ما يريدُ
فمعنٌ كانــ للحساد غَمًّا * وهذا قد يُسَرُّ به الحسود
يزيدُ يزيد فى مَنع وبُخل * وينقُصُ فى النوال ولا يزيد

١٠

استغاثة بنى معن بمندل وحبان لذلك

أخبرنى محمـد بن يحيى عن جبلة بن محمد قال حدّثنى أبى قال : [لمـا](٢) هجـا أبو العتاهية بنى معن فمضَوا إلى مندلٍ وحَبانَ(٣) ابنى علىٍّ العَنَزيَّين الفقيهَين ، وكانا من سادات أهل الكوفة ، وهما من بنى عمرو بن عمرو ، بطن من يقدم بن عنزة(٤) ، فقالوا لهما : نحن بيتٌ واحد وأهلٌ ولا فرق بيننا(٥) ، وقد أتانا من مولاكم هذا مالو أتى من بعيد الولاء لوجَبَ أن تَردَعاه . فأحضَرا أبا العتاهية ولم يكن يمكنه الخلاف عليهما ، فأصلحا بينه وبين عبد الله ويزيدَ ابنىْ معن ، وضَمِنا عنه خُلوصَ النيـة ، وعنهما ألاّ يتَتَبَّعاه

١٥

(١) ما عدا ط ، ها : « على بن محمد » . (٢) هذه من ط ، ها .
(٣) ما عدا ط ، ها : « حبان » بالباء الموحدة . (٤) كذا على الصـواب فى ها .
وفى حـ ، « تقدم بن عنزة » وفى ط : « صدم بن عنزة » وسائر النسخ : « تقدم من عنزة » .
(٥) ما عدا ط ، ها : « نحن واحد وأهل بيت لا فرق بيننا » .

٢٠

بسوء، وكانا ممن لا يمكن خلافهما، فرجعت الحال إلى المودّة والصفاء، وجعل الناس يعذلون إبا العتاهية فيما فرط منه، ولامه آخرون على صلحه لهم، فقال:

ما لعذّالى ومالى * أمرونى بالضلال
عذلونى فى اغتفارى * لابن معن واحتمالى
أنا منه كنت أكبَى * زَندةً فى كل حال ٥
كلّ ما قد كان منه * فلقُبح من فعالى
إنّما كانت يمينى * صَرَمتْ جهلاً[1] شمالى
مالُه بل نفسُه لى * وله نفسى ومالى
قل لمن يعجَب من حسـ * ـن رُجوعى وانتقالى
قد رأينا ذا كثيرًا * جاريًا بين الرجال ١٠
رُبَّ وصلٍ بعد صَدّ * وقِلًى بعد وصال

أخبرنى محمد بن يحيى قال حدّثنا محمد بن موسى قال:

رثاء أبى العتاهية لزائدة بن معن

كان أبو العباس زائدة بن معن صديقًا لأبى العتاهية، ولم يعُنْ أخويه عليه، فمات فرثاه فقال:

٥٩ / ١٤

حزنتُ لموت زائدةَ بنِ معن * حقيقٌ أن يطولَ عليه حزنى ١٥
فتى الفتيانِ زائدةُ المصفّى * أبو العباس كان أخى وخِدنى
فتَى قومى وأىُّ فتًى توارت * به الأكفانُ تحت ثرًى ولِبْنِ[2]
ألا يا قبرَ زائدةَ بنِ معن * دعوتُك كى تجيبَ فلم تجبْنى
سلِ الأيامَ عن أركان قومى[3] * أصِبتَ بهنّ ركنًا بعد ركن

(١) صرمت: قطعت. ما عدا ط، ها: «ضربت». (٢) اللبن بالكسر: جمع لبنة، بالكسر أيضا، وهى لغة فى اللبنة كفرحة، وهى ما يضرب من الطين مربعا. ٢٠
(٣) كذا على الصواب فى ط، ها. وفى جـ: «عن أن كان» وسائر النسخ: «عنى إن قومى».

صــــوت

فما روضةٌ بالحَزْن طيّبةُ الثرى * يمجُّ الندى جَثجاثُها وعَرارُها
بأطيبَ من أردانِ عَزّة موهِنًا * وقد أُوقدتْ بالمَنْدَلِ الرَّطبِ نارُها
فإنْ خفِيتْ كانت لعينيك قُرّةً * وإن تبدُ يومًا لم يعمِّمْك عارُها[1]
٥ من الخفِرات البيض لم تَرَ شِقوةً * وفى الحسب المكنون صافٍ نِجارُها

الشعر لكثيّر، والغناء لمعبد فى الأوّل والثانى، ولحنه من الثقيل الأوّل بالسبابة فى مجرى الوسطى عن إسحاق .

وذكر عمرو بن بانة أنه لابن سُريج . وللغريض فى الرابع والثالث[2] ثقيل أوّل بالبنصر عن عمرو وحبش .

١٠ وذكر الهشامى أنّ فى الأوّل والثانى رملاً لابن سريج بالوسطى .

وذكر عمرو وحبش أنّ فيه رملاً لابن جامع بالبنصر .

وفى الأبيات خفيف ثقيل يقال إنه لمعبد ، ويقال إنه للغريض، وأحسبه للغريض .

لقاء كثير لقطام صاحبة ابن ملجم وما جرى بينهما من هجاء

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال : حدّثنا عمر بن شبة هكذا موقوفا
١٥ لم يتجاوز . وأخبرنى أنّ كثيّر بن عبد الرحمن كان غاليا فى التشيّع . وأخبر عن قَطامِ صاحبةِ ابن مُلجَم فى قَدمةٍ قدِمَها الكوفة فأرادَ الدخول عليها ليوبّخها، فقيل له : لا تُردها فإن لها جوابا . فأبى وأتاها فوقَف على بابها فقرعَه فقالت : من هذا ؟ فقال : كثيّر بن عبد الرحمن الشاعر . فقالت لبناتِ عمٍّ لها : تنحّينَ حتى يدخل الرجل . فولجنَ البيتَ وأذِنت له ، فدخلَ وتنحت من بين يديه ، فرآها وقد ولّت

٢٠ (١) ما عدا ط : «لم يعمك» . (٢) إلى هنا تنتهى نسخة ط .

فقال لها : أنت قطام؟ قالت : نعم . قال: صاحبة على بن أبى طالب عليه السلام ؟ قالت : صاحبة عبد الرحمن بن مُلجم . قال : أليس فيك قُتِل على بن أبى طالب ؟ قالت : بل مات بأجَلِه . قال : أما والله لقد كنتُ أحبُّ أن أراكِ ، فلما رأيتك نبَتْ عيني عنك، فما احلوليتِ فى خَلَدى . قالت : والله إنّك لقصير القامة، عظيم الهامة، قبيحُ المنظر، و إنك لكما قال الأوّل : «تسمع بالمعَيدِىّ خير من أن تراه»[1] .

فقـال :

رأتْ رجلًا أودَى السِّفارُ بوجهه * فلم يبـقَ إلا منظـرٌ وجَناجن[2]

فإنْ أكُ معروقَ العظام فإننى * إذا وُزِنَ الأقوامُ بالقوم وازن[3]

وإنى لـما استودعتِنى من أمانةٍ * إذا ضاعت الأسرار للسر دافن

فقالت : أنت لله أبوكَ كثيِّر عزة ؟ قال : نعم . قالت : الحمدُ لله الذى قصّر بك فصرتَ لا تُعـرَف إلا بامرأة ! فقال : الأمر كذلكِ ، فوالله لقد سار بهـا شعرى وطار بها ذِكرى ، وقُرِّبَ من الخليفة مجلسى ، وأنا لكما قلتُ :

فإن خفيتْ كانت لعينك قُرّةً * و إن تبـدُ يوما لم يعمَّك عارُها

فمـا روضةٌ بالحـزنِ طيبة الثرى * يمجُّ النـدى جَثجاثهـا وعَرارها

بأطيبَ من أردانِ عزّة مَوهِنـا * وقد أُوقِدتْ بالمندلِ اللَّدنِ نارُها

فقالت : بالله ما رأيتُ شاعرًا قطّ أنقصَ عقلا منـك ، ولا أضعفَ وصـفا ، أين أنت من سيدك امرئ القيس حيث يقول :

(١) المعيدى هذا هو شقة بن ضمرة بن جابر، رآه المنذر بن ماء السماء، وكان يعجبه ما يبلغه عنه ، فلما رآه حقره وأرسل فيه هذا المثل ، فقـال له شقة : أبيت اللعن وأسعدك إلهك ، إن القوم ليسوا بجزر — يعنى الشاء — إنما يعيش الرجل بأصغريه : لسانه وقلبه . فأعجب المنذر كلامه وسره ما رأى منه . انظر مجمع الأمثال للميدانى . (٢) السفار : السفر . والجناجن : جمع جنجن ، وهى عظام الصدر . وفى البيان (١ : ٢٢٧) : « فلم يبق إلا منطق » . (٣) معروق العظام ، أى نحيلا .

ألم تَرَيانى كلّما جئتُ طارقا * وجدت بها طيباً و إن لم تَطَيَّبِ

فخرج وهو يقول :

الحقُّ أبلج لا يُخِيل سبيلُه * والحقّ يعرفه ذوو الألباب(١)

صوت

هاكَ فاشرَبْها خليلى * فى مَدَى الليل الطويل

قهوةً فى ظلّ كرم * سُبِيَتْ من نهر بِيل(٢)

فى لسان المرء منها * مثلُ طعم الزنجبيل

قل لمن يلحاكَ فيها * من فقيهٍ أو نبيل(٣)

أنتَ دعْها وارجُ أخرى * من رحيق السلسبيل

تَعطش اليومَ وتُسقَى * فى غدٍ نعتَ الطُّلول

الشعر لآدم بن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز، والغناء لإبراهيم الموصلى ، هزج بالنصر عن حبش . ولإبراهيم بن المهدى فى الخامس والسادس والأوّل خفيف رمل بالوسطى عن الهشامى . ولهاشم فيها ثانى ثقيل بالبنصر، وقيل لعبد الرحيم(٤) .

(١) لا يخيل : لا يشتبه ولا يلتبس .

(٢) سبي الخمر يسبيها : حملها من بلد إلى بلد . نهر بيل : طسوج من سواد بغداد متصل بنهر بوق . وأنشد ياقوت هذه الأبيات فى (نهر بيل) ، وهى كذلك فى تاريخ بغداد ١ : ٣٤٩ .

(٣) وكذا الرواية فى تاريخ بغداد . وفى معجم البلدان : « من وضيع أو نبيل » .

(٤) ها ، حـ : « لعبد الرحمن » .

ذكر آدم بن عبد العزيز وأخباره

نسبه

آدم بن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبى العاص ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف .

وأمه أم عاصم بنت سفيان بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم أيضا .

من عليه السفاح

وهو أحد من مَنَّ عليه أبو العباس السفاحُ من بنى أمية لمَّا قتلَ من وجَد منهم . ٥

كان خليعا ثم نسك

وكان آدم فى أوّل أمره خليعاً ماجنـا منهمكا (١) فى الشراب ، ثم نسَك بعد ما عُمِّر ، ومات على طريقة محمودة .

وأخبرنى الحسين بن على عن أحمد بن سعيد الدمشقى ، عن الزبير بن بكار عن عمّه :

عتاب المهدى له فى شعر قاله

أنّ المهدىَّ أنشِدَ هذه الأبياتَ وغنِّى فيها بحضرته : ١٠

أنت دَعْها وارجُ أخرى * من رحيق السلسبيل

فسئل عن قائلها فقيل آدم بن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، فدعا به فقال له : ويلَك تزندقتَ ؟ قال : لا والله يا أمير المؤمنين ، ومتى رأيتَ قرشياً تزندق ؟ والمحنة (٢) فى هذا إليك ، ولكنّه طرَبٌ غلبنى، وشِعرٌ طفَح على قلبى فى حال الحَداثة فنطقتُ به . فخلّى سبيله . ١٥

قال : وكان المهدىُّ يحبه ويكرمه ، لظَرفه وطِيب نفسه .

---

(١) ح ، ا ، م : «منهوكا» . والمنهوك : المجهد المغلوب . والمنهمك : ذو اللجاجة والتمادى . وفى حديث خالد بن الوليد : « انهمكوا فى الخمر » . ها : « متهتكا » .

(٢) المحنة : الامتحان . وفى حديث الشعبى : المحنة بدعة . وهى أن يأخذ السلطان الرجل فيمتحنه ، يقول فعلت كذا وفعلت كذا ، فلا يزال به حتى يقول ما لم يفعله ، أو ما لا يجوز قوله . ٢٠

٦١/١٤

ورُوِى هذا الخبر عن مصعب الزبيرى و إسحاق بن إبراهيم الموصلى قال :

كان آدمُ بن عبد العزيز يَشرب الخمر ويُفرِط فى المجون، وكان شاعرًا، فأخذه المهدىُّ فضربه ثلثمائة سوط على أن يُقرَّ بالزندقة، فقال : والله ما أشركتُ بالله طَرفةَ عين، ومتى رأيتَ قرشيًّا تزندق ؟ قال : فأين قولك :

اسقِنى واسقِ غُصَينا * لا تبِعْ بالنقد دينا

اسقِنيها مُزّةَ الطعـ * ـم تُريك الشَّينَ زَينا (١)

— فى هذين البيتين لعمرو بن بانة ثانى ثقيل بالوسطى، ولإبراهيم هزج بالبنصر —

قال : فقال لئن كنتَ ذاك فما هو ممّا يشهدُ على قائله بالزندقة . قال : فأينَ قولك :

اسقنى واسقِ خليلى * فى مَدَى الليلِ الطويلِ

قهوةً صهباءَ صِرفًا * سُبِيت من نهر بيل

لونُها أصفرُ صافٍ * وهْى كالمسك الفتيل (٢)

فى لسانِ المرء منها * مثلُ طعم الزنجبيل

ريحُها يَنفَح منها * ساطعًا من رأس ميل

مَن يَنَلْ منها ثلاثًا * يَنْسَ مِنهاجَ السبيل (٣)

فمتى ما نال خمسًا * تركَتْه كالقتيل

(١) فى الأصول : « مرة الطعم » ، وصوابه بالزاى ، كما فى تاريخ بغداد .

(٢) أنشد هذا البيت فى اللسان (فتل) وقال : « قال أبو حنيفة : ويروى كالمسك الفتيت . قال : وهو كالفتيل . قال أبو الحسن : وهذا يدل على أنه شعر غير معروف ، إذ لو كان معروفا لما اختلف فى قافيته . فتفهمه جدا » .

(٣) المنهاج : الطريق الواضح .

ليس يَدرى حينَ ذاكمْ * ما دَبيرٌ من قَبيــل [(١)]

إنّ سمعى عن كلام ال * لائمى فيهـا الثقيـل

لشَـديدُ الوَقْرِ ، إنّى * غير مطواعٍ ذليـــل

قـلْ لمن يلحاك فيهـا * مِن فقيهٍ أو نبيل

أنتَ دعها وارجُ أخرى * مِن رحيــق السلسبيل

نعطش اليومَ ونسـقى * فى غـــدٍ نعتَ الطلول

فقال : كنت فتًى من فتيان قريش ، أشربُ النبيذ وأقول ما قلتُ على سبيل المجون ، والله ما كفرتُ بالله قطُّ ، ولا شككتُ فيه . فخلَّى سبيلَه ورقَّ له .

قال مصعب : وهو الذى يقول :

صـــــوت

اسقنى يا معــاويه * سـبعةً أو ثمــانيهْ

اســقنيها وغنِّـنى * قبــلَ أخذِ الزَّبانيه

اســقنيها مُدامــةً * مُزَّةَ الطعم صافيــه [(٢)]

ثمَّ مَن لامَنـا عليـ * ـها فذاك ابنُ زانيه

فيه خفيف رملٍ بالبنصر ينسب إلى أحمد بن المكى ، وإلى حكم الوادى .

شعر له فى الخمر وفى الغزل

قال : وآدم الذى يقول :

أقولُ وراعنى إيوانُ كسرى * برأس مَعَــانَ أو أدروسفان [(٣)]

وأبصرتُ البِغــالَ مربّطاتٍ * به من بعد أزمنةٍ حسان [(٤)]

---

(١) اختلف فى تفسيره ، ومعظم الأقوال أنه فى الفتل ، فما أقبل به إلى صدره فهو قبيل ، وما أدبر به عنه فهو دبير . والمعنى أنه لا يعرف شيئا . (٢) جاءت هنا على الصواب فى حـ : « مزة » . وفى سواها بالراء المهملة . (٣) كذا ورد هذا العجز ، وفى حـ ، أ ، م ، ها : « ادرواسفان » .
(٤) حـ : « حصان » .

٦٢ / ١٤

يعزُّ على أبى ساسان كسرى * بموقفِكنّ فى هذا المكان
شربتُ على تذكُّرِ عيشِ كسرى * شرابًا لونُه كالزعفران
ورحتُ كأنّنى كسرى إذا ما * عَلاهُ التاجُ يوم المِهرجان

قال وهو الذى يقول :

أحبُّك حُبّينِ لى واحدٌ * وآخر أنّك أهلٌ لذاكْ
فأما الذى هو حبُّ الطباعِ * فشىءٌ خُصِصتُ به عن سواكْ
وأما الذى هو حبُّ الجمال * فلستُ أرى ذاكِ حتّى أراكْ
ولستُ أمنُّ بهذا عليكِ * لك المَنُّ فى ذا وهذا وذاكْ

أخبرنى الحرمى بن أبى العلاء قال : حدّثنا الزبير بن بكار قال : حدّثنى عمى عن فليح بن سليمان قال :

عتاب صديقه فليح له بعد لقائه خالصة

مررنا يوما مع خالصةَ[1] فى موكبها ، فوقفَتْ على آدم بن عبد العزيز فقالت : يا أخى طلبتَ منا حاجةً فرفعناها لك إلى السيِّدة[2] وأمرَتْ بها وهى فى الديوان ، فساء ظنُّك بها فقعدتَ عن تنجُّزها . قال : فسوِّدا هذا عذرًا اعتذرَ به فوقفت عن الموكب حتّى مضت ، ثم قلت له : أخملْتَ نفسَك ، والله ما أحسبُ أنّه حبسك عنها إلا الشراب، أنت ترى الناسَ يركُضون خلفها وهى ترِقّ[3] عليك لحاجتك . فقال : والله هو ذاكَ ، إذا أصبحْتَ فكُلْ كِسرةً ولو بملح ، وافتحْ دَنّكَ فإن كان حامضًا دبغَ معدتك، و إن كان حُلوًا خَرطك[4]، و إن كان مدرِكًا فهو الذى أردت .

(١) خالصة هذه جارية من جوارى الخيزران أم الهادى والرشيد ، وكانت ذات نفوذ عظيم . انظر الطبرى (١٠ : ٣٠ ، ٣٧) ومجالس ثعلب ٤٧٥ . (٢) هى الخيزران . أ ، ف : « إلى الميرة » ، حـ « إلى الميدة » ، محرّفتان . (٣) رقه : حاطه وعطف عليه ، ونصح وأشفق .
(٤) يقال خرطه الدواء ، أى مشاه ، وكذلك خرطه تخريطا .

قلت : لا باركَ الله عليك . ومضيت ، ثم أقلع بعد ذلك وتاب . فاستأذن يوما على يعقوب بن الربيع وأنا عنده فقال يعقوب : ارفعوا الشراب فإنّ هذا قد تاب وأحسَبه يكره أن يراه . فرُفع وأُذِن له ، فلما دخَل قال: ﴿ إنّى لأجد ريحَ يوسفَ لولا أن تفنّدون ﴾ . قال يعقوب : هو الذى وجدتَ ، ولكنّنا ظنّنّا أن يثقل عليك لتركك الشراب . قال : إى والله ، إنّه ليثقُل علىّ ذاك . قال : فهل قلتَ فى ذلك شيئًا منذُ تركتَه ؟ قال قلت :

ألا هل فتًى عن شُربها اليومَ صابر * لِيَجــزِيَه يومًا بذلك قادرُ
شربتُ فلمّــا قيل ليس بنــازِع * نزَعتُ وثوبى من أذَى اللّوم طاهرُ

أخبرنى على بن صالح بن الهيثم قال : حدّثنى أبو هفان عن إسحاق قال :

هجاؤه لسليمان ابن المختار ، ولأسيد لطول لحيتهما

كان مع المهدى رجلٌ من أهل الموصل يقال له سليمان بن المختار ، وكانت له لحيةٌ عظيمة ، فذهب يومًا ليركَبَ فوقعت لحيتُــه تحت قدمه فى الركاب وذهَبَ عامّتُها ، فقال آدمُ بن عبد العزيز قولَه :

قد استوجَبَ فى الحكمِ * سليمانُ بنُ مختــارِ
بمــا طَــوّل من لحيـ * ـتـهِ جَــزًّا بمنشــارِ
أو السيفِ أو الحَـلْقِ * أو التحـريقِ بالنــارِ
فقــد صار بهــا أشهـ * ـرَ من رايةِ بَيطــارِ (١)

فقال : ثم أنشدها عُمرُ بن بَزِيغ المهدىَّ فضحك ، وسارت الأبياتُ ، فقال أسيد ابن أسـيد ، وكان وافر اللحية : ينبغى لأمير المؤمنين أن يكفَّ هذا المــاجنَ عن الناس . فبلغت آدمَ بنَ عبد العزيز فقال :

---

(١) ذكرها الثعالبى فى ثمار القلوب ١٩٣ . وأنشد هذا البيت .

لحيةٌ تمّتْ وطالت * لأَسِيد بن أَسِيدِ
كشِراعٍ من عَباءٍ[(١)] * قطعت حَبْلَ الوريد
يَعجب الناظرُ منها * مِن قريبٍ وبعيدِ
هي إنْ زادت قليلًا * قطعَتْ حبلَ الوريدِ

٦٣
―
١٤

وقال : وكان المهديُّ يُدْنى آدمَ ويحبّه ويقرّبه ، وهو الذى قال لعبد الله بن على لما أمر بقتله فى بنى أمية بنهر أبى فُطْرُس[(٢)] : إنَّ أبى لم يكن كآبائهم ، وقد علمتَ مذهبَه فيكم . فقال : صدقتَ ، وأطلقه . وكان طيِّب النفس متصوِّفا ، ومات على توبةٍ ومذهب جميل .

صـــوت

ألا يا صاحِ للعجَبِ * دعَوتُكَ ثم لم تُجِبِ
إلى القَيناتِ واللّذا * تِ والصَّهباءِ والطَّربِ
ومنهنّ التى تَبَلَتْ * فؤادَك ثم لم تَتبِ

الشعر ليزيد بن معاوية ، يقوله للحسين بن على بن أبى طالب عليه السلام . والغناء لسائب خاثر ، خفيف رمل بالوسطى عن حبش .

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرى قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدّثنى المدائنى قال :

منادمة سلم ابن زياد ليزيد ابن معاوية

قدِمَ سَلْم بن زياد على يزيدَ فنادمه ، فقال له ليلةً : ألا أولّيك خراسان ؟ قال : بلى وسِجِستان . فعقَد له فى ليلته فقال :

---

(١) كذا ورد هذا العجز لهذا البيت والبيت الرابع . حـ ، م : « لشراع » .

(٢) نهر أبى فطرس ، بضم الفاء والراء : موضع قرب الرملة من أرض فلسطين كانت به وقعة عبد الله بن على بن عبد الله بن العباس مع بنى أمية سنة ١٣٢ . وفى الأصول ماعدا « ها » : « أبى قرطس » ، تحريف .

اِسقِنى شَربةً فروِّ عظامى * ثم عُدْ واسقِ مثلَها ابنَ زيادِ
موضعَ السرِّ والأمانةِ منِّى * وعلى ثغرِ مَغْنمى وجهادى

لوم الحسين بن على ليزيد بن معاوية

قال: ولمَّا رجع فى خلافة أبيه جَلس بالمدينة على شراب، فاستأذن عليه عبدُ الله ابن العباس، والحسينُ بن على، فأمر بشَرابه فرفع وقيل له: إنَّ ابن عباس إن وجَد ريح شرابك عرَفه. فحجَبه وأذن للحسين، فلما دخَل وجد رائحة الشراب مع الطِّيب فقال: لله درُّ طِيبك هذا ما أطيبه، وما كنت أحسبُ أحدًا يتقدّمنا فى صنعة الطيب، فما هذا يا ابنَ معاوية؟ فقال: يا أبا عبد الله، هذا طِيبٌ يصنع لنا بالشأم. ثم دعا بقَدح فشربه، ثم دعا بقدح آخر فقال: اسق أبا عبد الله ياغلام. فقال الحسين: عليك شرابَك أيها المرء، لا عينَ عليك منِّى. فشرب وقال:

ألا يا صاحِ للعجبِ * دعوتُك ثم لم تُجِبِ
إلى القينات واللذّا * تِ والصَّهباءِ والطربِ
وباطيةٍ (١) مُكلَّلةٍ * عليها سادةُ العربِ
وفيهن (٢) التى تَبَلَتْ * فؤادَك ثم لم تتبِ

فوثب الحسينُ عليه السلام وقال: بل فؤادُك يا ابن معاوية!

صوت

أأن نادَى هديلًا (٣) يومَ فَلْجٍ * مع الإشراق فى فَنَنٍ حمامُ
ظِلتَ كأنّ دمعَك دُرُّ سِلكٍ * وهَى خيطًا وأسلمَه النِّظام

(١) الباطية: إناء من الزجاج عظيم يملأ من الشراب و يوضع بين الشرب يغرفون منه و يشربون، إذا وضع فيه القدح سح به ورقص من عظمه وكثرة ما فيه من الشراب. مكللة: محفوفة بالنور والزهر، كأن لها منه إكليلا. (٢) فيهن، أى فى القينات. (٣) فى الأصول: «هذيلا» تحريف. ونادى الحمام اهديل، هو على ما يزعم العرب أن الهديل فرخ حمام كان على عهد نوح فات ضيعة وعطشا، فيقولون إنه ليس من حمامة إلا وهى تبكى عليه. أو الهديل مصدر هدل يهدل هديلا. قال ذو الرمة:

أرى ناقتى عند المحصب شاقها * رواح اليمانى والهديل المرجع.

تموتُ تشــوُّقا طورًا وتحيـا * وأنت جديرُ أنكَ مُســتهام
كأنّك من تذكّرِ أمّ عمــرو * وحبــلُ وصالهـا خَلَقٌ رِمام[1]
ســلامُ الله يا مطــر عليها * وليس عليكَ يا مطرُ السلام[2]
فإنْ يكن النــكاحُ أحلَّ أنثى * فإنَّ نكاحها مطــرًا حرام[3]
ولا غفَــر الإله لمُنكِحيها * ذُنوبهمُ وإنْ صلّوا أو صاموا
فطلّقْها فلســتَ لهـا بكُفء * وإلّا عضَّ مَفــرِقَك الحسام[4]

الشعر للأحوص ، والغناء لمعبد من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بالبنصر في مجرى الوسطى . ولإبراهيم الموصلي في الأربعة الأبيات الأول ثاني ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى البنصر .

أخبرني الحرمي قال : حدّثنا الزبير قال : حدّثني محمد بن ثابت بن إبراهيم ابن خَلّاد الأنصاري قال : حدّثني أبو عبد الله بن سعد الأنصاري قال :

الأحوص وازدراؤه لسلفه مطر وقوله الشعر فيه

قدم الأحوص البصرةَ فخطب إلى رجل من تميم ابنته، وذكر له نسبه، فقال: هات لي شاهدًا واحدا يشهد أنّكَ ابن حميّ الدَّبْر[5] وأزوّجك . فجاءه بمن شهد له على ذلك، فزوّجه إياها، وشرطت عليه ألا يمنعها من أحد من أهلها ، فخرج إلى المدينة وكانت أختها عند رجل من بني تميم قريبًا من طريقهم، فقالت له : اعدل بي إلى أختي . ففعل ، فذبحت لهم وأكرمتهم، وكانت من أحسن النـاس، وكان

(١) الخلق : البالي ، والرمام مثله . (٢) البيت من شواهد النحويين . انظر الخزانة (١ : ٢٩٤) وسيبويه (١ : ٣١٣) . (٣) س والخزانة : «أحل شيء» وفي أمالي الزجاجي ٥٣ : «أحل شيئا» ، وسائر النسخ : «أنثى» (٤) في الخزانة : «وإلا يعل» .

(٥) الدبر، بالفتح : جماعة النحل ، وحميا ، أي محميا . وحمي الدبر هو جد أبيه ، عاصم بن ثابت ابن أبي الأقلح . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه في بعث فقتله المشركون وأرادوا أن يصلبوه ويمثلوا به ، فبعث الله عليه مثل الظلة من الدبر فحمته منهم . الإصابة ٣٢٤٠ والخزانة (١ : ٢٣٢) .

زوجُها فى إبله ، فقالت زوجة الأحوص له : أقِمْ حتّى يأتى . فلما أمسَوْا راح مع إبله ورِعائه، وراحت غنمُه فراح من ذلك أمرٌ[1] كثير . وكان يسمّى مَطَرا ، فلما رآه الأحوصُ ازدراه واقتحمتْه عينُــه ، وكان قبيحًا دميا[2] ، فقالت له زوجتُه : قم إلى سِلْفك[3] وسلِّم عليه . فقال وأشار إلى أخت زوجته بإصبعه :

سـلامُ الله يا مطرٌ عليها * وليس عليكَ يا مطرُ السلام ٥

وذكر الأبياتَ وأشار إلى مطرٍ بإصبعه، فوثب إليه مطرٌ وبنوه، وكاد الأمر يتفاقم حتى حُجز بينهم .

قال الزبير : قال محمــد بن ثابت : أبو عبــد الله[4] بن سعد الذى حدّث بهــذا الحديث، أمه بنت الأحوص، وأمها التيميّة أخت زوجة مطر .

وأخبرنا الحسين بن يحيى قال : حدّثنا حمـاد عن أبيــه، أنّ امرأة الأحوص ١٠ التى تزوّجها، إحدى بنى سعد بن زيد مناه بن تميم . وذكر باقى القصيدة، وهو قوله :

كأنكَ مِن تذكُّرِ أمِّ عمـرٍو * وحبـلُ وِصالها خَلَقٌ رِمامُ

صَريع مُدامةٍ غَلبتْ عليـه * تموتُ لهـا المفاصِلُ والعِظامُ

وأنّى مِن بلادِك أمُّ عمـرٍو * سـقَى دارًا تحُــلُّ بهـا الغَمامُ

تحُــلُّ النَّعفَ[5] من أُحدٍ وأدنى * مَسا كنَها الشُّبيكةَ أو سَـنامُ ١٥

فلو لم ينكِحـوا إلا كفِيًّا * لكان كفيَّها الملِــكُ الهُمامُ

(١) فى الخزانة (١ : ٢٩٥) نقلا عن الأغانى : « شيء كثير » . (٢) فى الخزانة : « شيخا دميا » . (٣) السلف بالكسر، وبفتح فكسر أيضا : هو للرجل زوج أخت امرأته .

(٤) فى الأصول : «قال محمد بن ثابت بن عبد الله بن سعد» . والوجه ما أثبت .

(٥) فى الأصول : «تحل النهد» ، صوابه من أمالى الزجاجى . والنعف هذا هو نعف سويقة ٢٠ قرب المدينة ، وفيه يقول الأحوص :

وما تركت أيام نعف سـويقة * لقلبك من سلماك صبرا ولا عزما

والشبيكة : موضع بين مكة والزاهر . وفى الأصول : « السكينة » صوابه فى أمالى الزجاجى . وسنام : جبل بالحجاز بين ماوان والربذة .

أخبرني الحسين قال : قال حماد : قرأت على أبي : حدّثنا ابن كاسة قال :

مرّ بنا أشعبُ ونحن جماعةٌ في المجلس ، فأتى جارٌ لنا صاحب جَوارٍ يقال له أبان بن سُليمان، وعليه رداء خَلَق، قد بدا منه ظهرُه وبه آثار، فسلَّم علينا فردَدْنا عليه السلامَ ، فلما مضى قال بعضُ القوم: مَدَنيٌّ مجلود! فأراه سمعَها أو سمعها رجلٌ يمشي معه فأخبره، فلما انصرفَ وانتهى إلى المجلس قال :

أشعب وأبان بن سليمان

٦٥ / ١٤

سـلامُ الله يا مطـرٌ عليهـا * وليس عليكَ يا مطرُ السـلامُ

فقلت للقوم : أنتم والله مَطَر .

ومثل ما جرى في هـذا الخبر من قوله في المـرأة ، خبرٌ له آخر شبيـه به مع ابن حزم .

أخبرني الحـرمي قال حدّثنا الزبير قال : حدّثنا محمـد بن فضالة ، عن جميع ابن يعقوب قال :

الأحوص يدس أبياتا لمعمر ابن عبد الله يلومه فيها على تزويجه لأخته

خطب أبو بكر بن محمـد بن عمـرو بن حزم ، بنت عبد الله بن حنظـلة بن أبي عامر ، إلى أخيها مَعمـر بن عبد الله ، فزوّجَه إياها، فقـال الأحوص أبياتًا وقال لفتًى من بني عمرو بن عوف : أنشِدْها معمرَ بنَ عبدِ الله في مجلسه ولك هذه الجُبّة . فقال الفتى : نَعم . فجاءه وهو في مجلسه فقال :

يا معمر يا ابن زيدٍ حين تَنكحها * وتسـتبدُّ بأمر الغيِّ والرشَـدِ

فقال : كان ذلك الرجل غائبا . فقال الفتى :

أما تذكّرتَ صـيفيًّا فتحفظه * أو عاصمًا أو قتيلَ الشِّعب من أُحُدِ

قال : ما فعلتُ ولا تذكّرتُ . فقال الفتى :

أكنتَ تجهل حزمًا حين تَنكِحها * أم خفتَ، لازلتَ فيها جائع الكبِدِ

قال معمر : لم أجهَل حزمًا . فقال الفتى :

أَبعدَ صهرِ بنى الخطّاب تجعلهمُ * صِهرًا و بعــد بنى العوّامِ من أسدِ

فقال معمر : قد كان ذلك . فقال الفتى : ٥

هَبْها سليلةَ خَيــلٍ غيرِ مُقْــرِفةٍ (١) * مظلومةً حُبِست للعَير فى الجــدَدِ

قال : نعم أعانَها الله وصَبّرها . فقال الفتى :

فكلُّ ما نالَنا من عارِ مَنكَحِها * شَـــوًى (٢) إذا فارقتْه وهى لم تــلدِ

قال : نعم إلى الله عزّ وجلّ فى ذلك الرغبة .

قال الزبير : أمّا قــوله « صهر بنى الخطــاب » فإنّ جميــلةَ بنتَ أبى الأقلح ١٠ كانت عند عمر بن الخطاب، فولدت له عاصم بن عمرو . وأمّا «صهر بنى العوام» فإنّ نهيسة بنت النعمان بن عبد الله بن أبى عُقبة، كانت عند يحيى بن حمزة بن عبد الله ابن الزبير، فولدت له أبا بكر ومحمدا .

كراهية أم جعفر لأصوات من الغناء القــديم ومن بينها شعــر للأحوص

أخبرنى الحرمى بن أبى العــلاء ، قال : حدّثنا الزبير قال : حدّثنى مصعب قال : قال الهذيم : كرِهَتْ أمُّ جعفر أصواتًا من الغِناء القديم، فأرسلَتْ لها رسولا ١٥ يُلقيها فى البحر ، ثم غنتها جاريةٌ بعد ذلك :

ســلامُ الله يا مطرٌ عليهــا * وليس عليك يا مطرُ السلامُ

(١) المقرف : ما يدانى الهجنة ، أى أمه عربية لا أبوه، لأن الإقراف من قبل الفحل ، والهجنة

فقالت : هذا أرسلوا به رسولًا مفردا إلى دَهلك (١) ليلقيَه فى البحر خاصّة . قال : والذى حمل أمَّ جعفرٍ على هذا التطير على ابنها محمد بن الأمين من هذه الأصوات ، أيام محاربته المأمون فمنها قوله :

كُليبٌ لَعمرِى كان أكثرَ ناصرًا * وأيسَرَ جرمًا منك ضُرِّج بالدمِ (٢)

ومنها قوله :

هُمُ قتَلوه كى يكونوا مكانَه * كما غدرَتْ يوما بكِسرى مَرازِبُه (٣)

ومنها قوله :

رأيت زهيرًا تحت كلكلِ خالدٍ * فأقبلتُ أسعى كالعَجُول أبادر (٤)

ومنها قوله :

أبا منذرٍ أفنيتَ فاستبقِ بعضَنا * حنانَيك بعضُ الشرِّ أهوَنُ من بعضِ (٥)

مضى الحديث .

صــوت

وكنّا كنَدْمانَىْ جَذيمةَ حِقبةً * من الدَّهرِ حتّى قيل لن يتصدَّعا

فلما تفرّقنا كأنى ومالكًا * لِطولِ اجتماعٍ لم نَبِتْ ليلةً معا

الشعر لمتمِّم بن نُوَيرة، يرثى أخاه مالكا . والغناء اسياط .

---

(١) دهلك : جزيرة بين اليمن والحبشة ضيقة حارة ،كان بنو أمية إذا سخطوا على أحد نفوه إليها .

(٢) البيت للنابغة الجعدى ، وقد سبق فى ترجمته من الأغانى . فى معظم الأصول : « وأكثر جرما » صوابه من ها، مب . ومما سبق فى الأغانى .

(٣) البيت للوليد بن عقبة بن أبى معيط ، كما فى الكامل ٤٤٤ ليبسك .

(٤) فى الأصول : «أبادره» تحريف . وقد سبق البيت منسوبا إلى زهير، فى ترجمته . وبعده :

إلى بطلين ينهضان كلاهما * يريغان نصل السيف والسيف نادر

(٥) البيت لطرفة فى ديوانه ٤٨ .

ذكر متمم وأخباره وخبر مالك ومقتله

هو متمّمُ بن نويرة بن عمرو[1] بن شداد بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن حنظلة ابن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مُرّ بن أدّ بن طابخة بن اليـاس بن مضر ابن نزار . ويكنى متمّم بن نويرَةَ أبا نهشل .

كنية أخيه مالك ولقبه

ويكنى أخوه مالك أبا المِغوار . وكان مالكٌ يقال له فارسُ ذى الخمَار، قيل له ذلك بفرسٍ كان عنده يقال له "ذو الخمار"، وفيه يقول وقد أحمَدَه فى بعض وقائعه :

جزانى دَوائى ذُو الخمار وصَنعتى * بمـا باتَ أطْـواءً بنىَّ الأصاغرُ[2]

أخبرنى أبو خليفة عن محمد بن سلام قال :

مقتل مالك ابن نويرة

كان مالك بن نويرة شريفًا فارسا، وكان فيـه خُيَلاءُ وتقدُّم ، وكان ذا لِمّة كبيرة، وكان يقال له الجَفول[3] .

وكان مالكٌ قُتِل فى الرِّدّة ، قتـله خالدُ بن الوليد بالبِطاح فى خلافة أبى بكر ، وكان مقيمًا بالبطاح، فلما تنبأتْ سَجاح اتّبعها ثم أظهرَ أنّه مسلم، فضربَ خالدٌ عنقه صَبْرا، فطَعن عليه فى ذلك جماعةٌ من الصحابة، منهم عُمر بن الخطاب،وأبو قَتادة الأنصارىّ، لأنه تزوّج امرأةَ مالكٍ بعـده، وقد كان يقال إنّه يهواها فى الجاهلية واتُّهم لذلك أنّه قَتله مسلمًا ليتزوّج امرأتَه بعده .

---

(١) فى شرح المفضليات لابن الأنبارى : « بن جمرة » بدل « بن عمرو » .

(٢) الدواء، بفتح الدال : ما عولج به الفرس من تضمير، وبكسرها : مصـدر داواه يداويه . والصنعة : حسن القيام عليه . وأطواء : جمع طوى بالتحريك ، وهو الطاوى البطن الجائع . يقول : جزانى ذوالخمار الذى أحسنت القيام عليه وآثرته باللبن على عيالى فباتوا على الطوى زمنا ، يقول : جزانى خيرا بما كان منه من إنقاذ لى فى مأزق الحـرب . فى الأصول : « جزانى بلائى ذو الخمار وضيعتى » صوابه من كتاب أسماء الخيل لابن الأعرابى ص ٦٤ .

(٣) إلى هنا ينتهى النقل من ابن سلام طبق ما فى النسخة المطبوعة ص ٧٦ .

حدّثنا بالسبب فى مقتل مالك بن نويرة محمد بن جرير الطبرى قال :

كتب إلىّ السرىّ بن يحيى، يذكر عن شعيب بن إبراهيم التيمى، عن سيف ابن عُمر، عن الصَّقعب بن عطية عن أبيه :

أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل عمالَه على بنى تميم ، فكان مالك ابن نويرة عاملَه على بنى يربوع . قال : ولمّا تنبأت سَجاح بنتُ الحارث بن سويد ابن عُقْفان وسارت من الجزيرة، راسلت مالكَ بن نويرة ودَعَتْه إلى الموادعة، فأجابها وقنّاها (١) عن غَزْوها، وحَمَلها على أحياءٍ [من] (٢) بنى تميم ، فأجابته وقالت : نَعَمْ فشأنَكَ بمن رأيت ، وإنّما أنا امرأةٌ من بنى يربوع، وإن كان مُلكٌ فهو مُلككم . فلمّا تزوّجها مسيلمةُ الكذّاب ودخل بها انصرفَتْ إلى الجزيرة وصالحتْه أن يحمل عليها النِّصفَ من غَلّات اليمامة، فارعوَى حينئذٍ مالكُ بن نُويرة وندِم وتحيَّر فى أمره، فلحق بالبِطاح ، ولم يبق فى بلاد بنى حنظلة شىء يُكره إلّا ما بقى من أمر مالك بن نويرة ومَنْ تأشّب (٣) إليه بالبِطاح، فهو على حاله متحيِّر ما يدرى ما يصنع .

وقال سيف : فحدّثنى سهلُ بن يوسف، عن القاسم بن محمد وعمرو بن شعيب قالا : لما أراد خالدُ بن الوليد المسيرَ خرج [من ظَفَر (٤)] وقد استبرأ أسدًا وغطفان وطيئًا (٥)، فسار يريد البِطاح دون الحَزْن، وعليها مالكُ بن نويرة وقد تردّد عليه أمرُه وقد تردّدت الأنصار على خالد وتخلّفتْ عنه ، وقالوا : ما هذا بعهد الخليفة إلينا ؛

(١) قناها : كفها وردها . فى م : « فهاما » . وفى أ : « نهاها » ، صوابهما فى حـ . وفى ها ، والطبرى (٣ : ٢٣٧) : « قنأها » ، وهى بمعنى كفها أيضا .

(٢) التكملة من الطبرى . على أن أبا الفرج قد اختصر نص الطبرى اختصارا شديدا .

(٣) تأشب : تجمع . وفى معظم الأصول : « وما ناسب » ، صوابه فى ها والطبرى (٣ : ٢٤١) .

(٤) التكملة من الطبرى . وظفر : موضع قرب الحوأب فى طريق البصرة إلى المدينة .

(٥) كذا فى حـ ، ها والطبرى . وفى سائر الأصول : « وغنيا » تحريف .

٦٧ / ١٤

فقد عهد إلينا إن نحنُ فرَغنا من البُزاخة[1] واستبرأنا بلادَ القوم ، أن يكتب إلينا بما نعمل . فقال خالد : إن يكنْ عَهِد إليكم هـذا فقد عَهِد إلىّ أن أمضى ، وأنا الأميرُ وإلىّ تنتهى الأخبار، ولو أنّه لم يأتنى له كتابٌ ولا أمْر ثم رأيتُ فرصةً إن أعلمته بها فاتتنى لم أعلمه حتّى أنتهزَها . وكذلك لو ابتُلينا بأمرٍ ليس منه عهدٌ إلينا فيه لم ندع أن نرى أفضل[2] ما بحضرتنا ونَعمَل به . وهـذا مالك بن نُو يرة بحِيالنا ، وأنا قاصدٌ له بمن معى من المهاجرين والتابعين لهم باحسان، ولستُ أُكرههم[3] . ومضى خالدٌ و برِمت الأنصارُ[4] وتذامروا وقالوا : لئن أصاب القومُ[5] خيراً إنّه لخيرٌ حُرِمتموه، ولئن أصابتهم[6] مصيبةٌ ليجتَنِبنَّكُم النـاس . فأجمعوا على اللَّحاق بخالد ، وجَرّدوا إليه رسولا، فأقام عليهم حتّى لحِقوا به، ثم سار حتّى لحق البِطاح فلم يجد به أحداً .

قال السرى عن شعيب ، عن سيف عن خزيمة بن شجـرة العُقفانى[7] عن عثمان ابن سُويد، عن سويد بن المنعبة[8] الرياحى قال : :

قدم خالد بن الوليد البطاحَ فلم يجدْ عليه أحدًا ، ووجد مالك بن نويرة قد فرّقهم[9] فى أموالهم ونهاهم عن الاجتماع ، فبعثَ السرايا وأمرهم بداعيةِ[10] الإسلام، فمن أجابَ

---

(١) البزاخة : ماء لبنى أسد كانت به وقعة طليحة . حـ : «البراهة» وفى سائر النسخ : «البراهمة» ، والصواب من ها والطبرى . (٢) كذا الصـواب من الطبرى . وفى حـ : « لم ندع أن تدع لفضل » . وفى سائر النسخ : « لم ندع أن نرعى لفضل » . (٣) الطبرى : « أكرهكم » . وهما من الإكراه . (٤) كذا فى الطبرى و ها . وفى سائر الأصـول : « وندمت الأنصار وترامو ا » ، وإنمـا هى تذامروا ، كما فى الطبرى . والتذامر : أن يحض القوم بعضهم بعضا على الجد فى القتال . (٥) فى الأصول ما عدا ها : « اليوم » ، وصحته من الطبرى .

(٦) فى الأصول : «أصابتكم» . والوجه ما أثبت من الطبرى ، و ها . (٧) فى الأصول : « جذيمة » و « سحـرة » وفى بعضها « منحره » و « الفقفانى » . وأثبت ما فى الطبرى .

(٨) فى الطبرى : « المثبة » . (٩) كذا فى ها . وفى سائر الأصول « ملك قد فرقهم » محرّف . وفى الطبرى : «مالكا قد فرقهم» . (١٠) فى معظم الأصول : « برماية الإسلام » ووجهه من الطبرى و ها .

فسالمُوه ومن لم يُجبْ وامتنعَ فاقتلوه . وكان فيما أوصاهم أبو بكر : إذا نزلتم [منزلًا](١)
فأذّنوا وأقيموا ، فإنْ أذّن القومُ وأقاموا فكفُّوا عنهم ، وإنْ لم يفعلوا فلا شيء
إلّا الغارة . ثم اقتلوهم كلَّ قِتلة : الحرق فما سواه . فإن أجابوكم إلى داعية الإسلام
فسائلوهم(٢) ، فإن هم أقرّوا بالزكاة فَبِلّوا منهم ، وإلّا فلا شيء إلا الغارة ولا كلمة .
فجاءته الخيلُ بمالك بن نويرة في نفر معه من بني ثعلبة بن يربوع ، ومن بني عاصم(٣) ، ٥
وعبيد ، [وعرين](٤) ، وجعفر ، واختلفت السرية فيهم ، وفيهم أبو قتادة . وكان ممن
شهد أنّهم قد أذّنوا وأقاموا وصلّوا . فلما اختلفوا فيهم أمرَ بحبسهم ، في ليلة باردة
لا يقوم لها شيء ، وجعلتْ تزداد بردا ، فأمر خالدٌ مناديا فنادى : «دافئوا أسرا كم» .
وكان في لغة كنانة إذا قالوا : دافأنا الرجل وأدفئوه ، فذلك معنى اقتلوه من الدفء .
فظنّ القوم أنّه يريد القتل فقتلوهم(٤) . فقتل ضرار بن الأزور مالكًا ، فسمع خالدٌ ١٠
الواعيةَ(٥) ، فخرج وقد فرغوا منهم فقال : إذا أراد الله أمرًا أصابه . وقد اختلف
القومُ فيهم فقال أبو قَتادة : هذا عملك . فزبره خالد [فغضب](٦) ومضى حتّى أتى
أبا بكر ، فغضب عليه أبو بكر حتّى كلّمه عمر بن الخطاب فيه ، فلم يرضَ إلا بأن يرجع
إليه ، فرجَع إليه فلم يزل معه حتّى قدم المدينة ، وقد كان تزوج خالدٌ أم تميم بنت
المنهال(٧) وتركها لينقضيَ طُهرها ، وكانت العرب تكره النساءَ في الحرب وتعايَره ، ١٥

غضب أبي بكر لقتل مالك

(١) هذه التكملة من الطبري . (٢) س : « فسالموهم » وفي سائر النسخ : « فسلوهم » .
وأثبت الصواب من ها والطبري . (٣) الطبري : « من بني عاصم » بدون واو قبلها .
(٤) هذا نهاية سقط مب الذي بدأ في ص ٢٨٠ .
(٥) الواعية : الجلبة ، والصراخ على الميت ونعيه . حـ : « الراعية » . وفي سائر النسخ ما عدا ها
ومب : « الداعية » صوابها من النسختين والطبري . (٦) هذه التكملة من الطبري . ٢٠
(٧) في الأصول : « المهلب » ، صوابه في الطبري والإصابة ٧٦٩٠ في ترجمة مالك بن نويرة .
والمنهال هذا هو المنهال بن عصمة الرياحي ، وهو الذي كفن مالكا في ثوبيه .

فقال عُمر لأبى بكر : إنّ فى سيف خالد رَهَقا ، وحقّ عليه أن تُقيده[1] . وأكثَرَ عليه فى ذلك . وكان أبو بكر لا يُقيد من عُماله ولا من وزَعَته[2] ، فقال : هَبْه يا عمر تأوّل فأخطأ . فارفع لسانك عن خالد . ووَدَى مالكًا ، وكتب إلى خالد أن يقدَم عليه ، ففعل وأخبره خبره فعذَره . وقَبِل منه ، وعنّفه بالتزويج الذى كانت العرب تعيب عليه من ذلك .

فذكر سيف عن هشام بن عروة عن أبيه قال : شهد قوم من السرية أنّهم أذّنوا وأقاموا وصلّوا ، وشهد آخرون أنه لم يكن من ذلك شىء فقُتِلوا . وقدم أخوه متمم يَنشُد أبا بكر دمَه ويَطلب إليه فى سَبْيهم ، فكتب له بردّ السّبى ، وألحّ عليه عمر فى خالد أن يعزله وقال : إن فى سيفه لرَهَقا ! فقال له : لا يا عمر ، لم أكن لأَشِيمَ سيفًا سلّه الله على الكافرين .

٦٨ / ١٤

حدّثنا محمد بن إسحاق قال : كتب إلى السرى عن شعيب عن سيف عن خزيمة[3] عن عثمان عن سويد[4] قال :

كان مالك طويل الشعر

كان مالكٌ من أكثر الناس شَعَرًا، و إنّ أهل العسكر أنّفوا[5] القُدور برءوسهم ، فما منها رأسٌ إلا وَصَلت النارُ إلى بشرته ، ما خلا مالكًا فإنّ القدر نضِجت وما نضِج رأسُه من كثرة شَعره ، ووقى الشعر البشرةَ من حرّ النار أن تبلغَ منه ذلك .

(١) الطبرى : « وإن لم يكن هذا حقا حق عليه أن تقيده » .

(٢) الوزعة : أصحاب السلطان . فى جمهور الأصول : « من درعيه » والصواب من ها ومب والطبرى .

(٣) هو خزيمة بن شجرة . انظر ما مضى فى ص ٣٠٠ . وفى الأصول ما عدا مب : « عن سيف ابن جذيمة » ، صوابه من مب والطبرى .

(٤) هذا ما فى الطبرى . وفى الأصول : « عن عثمان بن سويد » .

(٥) أنف القدر تأنيفا : وضعها على الأثافى . وفى معظم الأصول : « اتقوا » ، صوابه من مب والطبرى .

قال : وأنشد متمم عمر بن الخطاب، ذكر خَمْصه — يعنى قوله :

لقد كفن المِنهالُ تحت ردائه * فتًى غيرَ مِبطانِ العشيّاتِ أروَعا

فقال : أكذاكَ كان يا متمم ؟ قال : أمّا ما أعنى فنعم .

أخبرنى اليزيدىّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثنى محمد بن فليح ، عن موسى
٥ ابن عُقبة، عن ابن شهاب . وحدّثنيه أحمد بن الجعد قال : حدّثنا محمد بن إسحاق
المسيَّبى قال : حدّثنا محمد بن فليح، عن موسى بن عقبة، عن ابن شهاب :

أنّ مالك بن نويرة كان من أكثر الناس شَعرا، وأن خالدًا لما قَتله أَمر برأسه
فجعل أُثفيّة لقدر، فنضج ما فيها قبل أن تبلغ النارُ إلى شَواته .

أخبرنى محمد بن جرير قال : حدّثنا محمد بن حميد قال حدّثنا سلمة[1] عن
١٠ ابن إسحاق، عن طلحة بن عبيد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصدّيق رضى الله عنه .

خطأ خالد بن الوليد فى قتله

أن أبا بكر كان مِن عهده إلى جيوشه : أنْ إذا غَشِيتم دارًا من دُور الناس
فسمعتم فيها أذانًا للصلاة فأمسِكوا عن أهلها حتّى تسألوهم ماذا نَقِموا ، وإذا لم
تسمعوا أذانًا فشُنّوا الغارةَ واقتلُوا[2] وحَرِّقوا . فكان ممن[3] شهدَ لمالك بالإسلام
أبو قَتادة الأنصارى ، واسمه الحارث بن رِبعىّ أخو بنى سَلِمة ، وقد كان عاهَدَ الله
١٥ أنّه لا يشهد حربًا بعدها أبدا . وكان يحدّث أنّهم لما غَشُوا القومَ راعُوهم تحت
الليل، فأخذَ القومُ السلاحَ . قال : فقلنا لهم : إنّا المسلمون . فقالوا : ونحن المسلمون .

(١) هو مسلمة بن الفضل ، ذكر فى ترجمته من تهذيب التهذيب أنه روى عن محمد بن إسحاق ، وكذا ورد فى ترجمة محمد بن إسحاق أن سلمة بن الفضل روى عنه . فى معظم الأصول : « مسلمة » ، والوجه ما أثبت من مب والطبرى .

٢٠ (٢) فى الأصول ماعدا ها ، مب : « فاقتتلوا » ، وفى الطبرى : « فقتلوا » .

(٣) فى معظم الأصول : « من » ، وأثبت ما فى الطبرى ، وها ، مب .

قلنا[(١)] : فما بال السلاح معكم ؟ فإن كنتم كما تقولون فضَعُوا السلاح . ففعلوا ثم صلينا وصلّوا . وكان خالدٌ يعتذر فى قتله أنّه قال له وهو يراجعه : ما إخال صاحبكم — يعنى النبيّ صلى الله عليه وسلم — إلا وقد كان يقول كذا وكذا . فقال خالد : أوَ ما تعدّه صاحبًا ؟ ! ثم قدّمه فضربَ عنقَه وأعناق أصحابه ، فلما بلغ قتلهُم عمرُ ابن الخطّاب تكلّم فيه عند أبى بكر رضى الله عنه ، وقال : عدوُّ الله عَدَا على امرئ مسلم فقتلَه ، ثم نَزَا على امرأته . وأقبل خالدُ بن الوليد قافلًا حتّى دخل المسجدَ وعليه قباءٌ له ، وعليه صدأُ الحديد ، معتجرًا بعمامة قد غرز فيها أسهُما ، فلما أنْ دخل المسجدَ قام إليه عُمر فانتزع الأسهمَ[(٢)] من رأسه فحطّمها ثم قال : أقتلتَ امرأً مسلما ثم نَزَوتَ على امرأته ، والله لأرجُمنّك بأحجارك[(٣)] ! ولا يكلّمه خالد ابنُ الوليد ولا يظنُّ إلّا أن رأى أبى بكر على مثل رأى عمرَ فيه ، حتّى دخل على أبى بكر فأخبره الخبرَ واعتذر إليه ، فعذَره أبو بكرٍ وتجاوَزَ له عمّا كان فى حربه تلك . فخرج خالدٌ حين رضى عنه أبو بكر ، وعمرُ جالسٌ فى المسجد الحرام ، فقال : هلمّ إلىّ يا ابن أم شَملة[(٤)] . فعرف عمرُ أن أبا بكرٍ قد رضى عنه ، فلم يكلّمه ودخل بيتَه . وكان الذى قتل مالكَ بنَ نويرة عبدُ [بن][(٥)] الأزوَر الأسدىّ .

ضرار قاتل مالك

وقال محمد بن جرير : قال ابن الكلبى : الذى قتل مالكَ بن نويرة ضِرارُ ابن الأزور .

٦٩
١٤

(١) التكملة من ها ومب والطبرى .
(٢) فى معظم الأصول : « المهم » ، والوجه ما أثبت من ها ، مب الطبرى .
(٣) هذا الصواب من ا ، م والطبرى . وفى حـ : « بأحجاره » وفى س : « بأحجار » .
(٤) حـ ، ا ، مب : « سلمة » وفى سائر النسخ « مسلمة » وأثبت ما فى الطبرى .
(٥) التكملة من الطبرى . وترجمة عبد بن الأزور فى الإصابة ٥٢٦٢ ، وهو أخو ضرار .

وهكذا روى أبو زيد عُمر بن شَبّة[1] عن أصحابه ، وأبو خليفة عن محمد ابن سلّام[2] قال :

قدِم مالكُ بن نُويرة على النبي صلى الله عليه وسلم فيمن قَدِم من أمثاله من العرب ، فولّاه صدقاتِ قومه بني يربوع ، فلما ماتَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم اضطربَ فيها فلم يُحمَد أمرُه ، وفرّقَ ما فى يده من إبل الصدقة ، فكلّمه الأقرع ابن حابسٍ المُجاشعيّ ، والقَعقاع بن مَعبد بن زُرارة[3] الدارميّ فقالا له : إنَّ لهذا الأمر قائمًا وطالبا ، فلا تَعجَلْ بتفرقة ما فى يدك . فقال :

أَرانى الله بالنَّعَمِ المنـدّى[4] * ببُرقة رحرحانَ وقد أرانى
تَمشّى يابنَ عَوذَةَ فى تميـم * وصاحبُك الأقيرعُ تَلْحيانى
حميتُ جميعَها بالسَّيف صَلتًا * ولم تُرعَش يداى ولا بنانى

يعنى أمَّ القعقاع ، وهى مُعاذَةُ بنت ضِرار بن عمرو . وقال أيضا :

وقلتُ خُذوا أموالَكم غيرَ خائفٍ[5] * ولا ناظرٍ فيما يجىءُ من الغدِ
فإنْ قامَ بالأمر المَخوف قائمٌ * مَنعنا وقلنا الدينُ دينُ محمّدِ

قال ابن سلام[6] : فمن لا يعذر خالدًا يقول : إنه قال لخالد : وبهذا أمرك صاحبُك — يعنى النبى صلى الله عليه وسلم — وأنّه أراد بهذه القرشية . ومَن يعذر خالدا يقول : إنّه أراد انتفاءً من النبوّة ، ويحتجّ بشعرَيه المذكورين آنفا . ويذكُر خالدٌ أن النبيّ

---

(١) أبو زيد : كنية عمر بن شبة . وفى الأصول ما عدا حـ ، مب : «أبو زيد عن عمر بن شبة» . وكلمة «عن» مقحمة . (٢) طبقات الشعراء لابن سلام ٧٩ — ٨٢ .
(٣) فى الأصول ما عدا «ها» مب : «زيادة» صوابه فى ها والطبقات .
(٤) النعم : الإبل . وتنديتها : أن يوردها فتشرب قليلا ثم يجىء بها ترعى ثم يردّها إلى الماء . الخزانة (١ : ٢٣٦) ، وفى الخزانة ستة أبيات . (٥) البيتان فى الإصابة أيضا ٧٦٩٠ .
(٦) فى الأصول ما عدا «ها» ، مب : «أبو سلام» والكلام لابن سلام فى الطبقات ٨٠ .

صلى الله عليه وسلم لمـا وجّهه إلى ابن جُلندَى قال له : يا أبا سليمان، إنْ رأت عينُك مالكًا فلا تزايلْه أو تقتلَه .

قال محمد بن سلام : وسمعنى يومًا يونُس وأنا أُرادُّ التميمية فى خالدٍ وأعذرُه ، فقال لى : يا أبا عبد الله ، أمَا سمعتَ بساقَىْ أم تميم ؟ يعنى زوجةَ مالك التى تزوّجها خالدٌ لمـا قتله — وكان يقال إنّه لم يُرَ أحسَنُ من ساقيها . قال : وأحسنُ ما سمعتُ من عذر خالد قول متمم بأنّ أخاه لم يُستشهَدْ . ففيه دليلٌ على عذر خالد .

أخبرنا اليزيدى قال : حدّثنا الرياشى قال : حدّثنى محمـد بن الحكم البجلى عن الأنصارى قال :

أنشد متمم أبا بكر شعرا فى مقتل مالك

صلّى متمم بن نويرةَ مع أبى بكرٍ الصُّبح ، ثم أنشدهُ قوله :

نِعمَ القتيلُ إذا الرياحُ تَنـاوحَتْ * تحت الإزار قَتلتَ يا ابن الأزورِ (١)

أدعـوتَه بالله ثُمّ قتلتَـه * لو هُو دَعاكَ بذِمّةٍ لم يَغـدِرِ (٢)

فقال أبو بكر : والله ما دعوتُه ولا قتلته . فقال :

لا يُضمِر الفحشاءَ تحت ردائه * حلوٌ شمـائله عفيفُ المـئزرِ

ولَنِعمَ حَشْوُ الدِّرعِ أنت وحاسرًا * ولنعم مأوى الطـارقِ المتنـوِّر (٣)

قال: ثم بكى حتّى سالت عينُه، ثم انخرطَ (٤) على سِيَة قوسه [متكئًا] (٥). يعنى مغشيًّا عليه .

(١) فى الكامل ٧٦١ : « خلف البيوت » . وفى الخزانة (١ : ٢٣٧) : « فوق الكنيف » .
(٢) ها ، مب : « وإذا دعاك بربه لم يغدر » .
(٣) الكامل : « كنت وحاسرا » . الخزانة : « يوم لقائه » .
(٤) الكامل : « ثم بكى وانحط على سية قوسه » .
(٥) التكلة من ها ، مب .

أخبرني اليزيدي قال حدثنا الرياشي قال حدثني محمد بن صخر بن خلخلة قال:

وصف متمم لأخيه مالك

ذكر متمم بن نويرة أخاه في المدينة فقيل له: إنك لتذكر أخاك، فما كانت صفته، أو صفه لنا؟ فقال: «كان يركب الجمل الثفال(١)(٢) في الليلة الباردة، يرتوي(٣) لأهله بين المزادتين المضرّجتين(٤)، عليه الشّملة الفلوت(٥)، يقود الفرس الجرور(٦)، ثم يصبح ضاحكا».

٥

تكفين المنهال لمالك

٧٠/١٤

أخبرني اليزيدي قال: حدثنا أحمد بن زهير، عن الزبير بن حبيب بن بدر الطائي وغيره: أن المنهال: رجلا من بني يربوع، مرّ على أشلاء مالك بن نويرة لما قتله خالد، فأخذ ثوبا وكفّنه فيه ودفنه، ففيه يقول متمم:

صوت

١٠

لعمري وما دهري بتأبين مالكٍ(٧) * ولا جزِعٍ مما أصاب فأوجعا

لقد كفّن المنهال تحت ردائه * فتًى غير مبطانِ العشيات أروعا

غنّاه عمرو بن أبي الكنّات، ثقيل أول بالوسطى عن حبش.

---

(١) في الكامل: «كان والله أخي في الليلة المظلمة ذات الأزيز والصراد». وانظر البيان (٣ : ٢٥)، وشروح سقط الزند ٥٨٧.

١٥

(٢) الثفال، كسحاب: البطيء الذي لا يكاد ينبعث.

(٣) هذا الصواب من مب. وفي سائر النسخ: «يرتمي».

(٤) المضرجتين: المشققتين. وفي البيان وها، مب: «النضوحين»، أي اللتين تنضحان الماء.

(٥) الشملة: كساء أو مئزر يتشح به. والفلوت: التي لا ينضم طرفاها لصغرها.

(٦) الجرور: الذي لا يكاد ينقاد مع من يجنبه، إنما يجر الحبل.

٢٠

(٧) ها: «بتأبين هالك» مادهري كذا، ومادهري بكذا، أي ما هو همي وإرادتي. التأبين: مدح الميت. جزع بالخفض عطف على تأبين لفظه، وبالنصب عليه لمحله على أن الباء زائدة.

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار ، قال : حدّثنا الحسن بن محمد البصرى ، قال : حدّثنا الحسن بن إسماعيل القُضاعى قال حدّثنى أحمد بن عمار العبدى [(١)] ، وكان من العلم بموضع قال : حدّثنى أبى عن جدى قال :

متمم ينشد عمر رثاءه لأخيه مالك

صلّيتُ مع عمر بن الخطاب الصبحَ ، فلما انفتلَ من صلاته إذا هو برجلٍ قَصير أعورَ متنكِّبًا قوسا [(٢)] ، وبيده هِراوة ، فقال : مَن هذا ؟ فقال : متمم بن نويرة . فاستنشده قولَه فى أخيه ، فأنشده :

لعمرِى وما دَهرِى بتأبين مالك * ولا جَزِعٍ مما أصابَ فأوجعا

لقد كفّن المنهالُ تحتَ ثيابه * فتًى غيرَ مبطانِ العشياتِ أروعا

حتّى بلغ إلى قوله :

وكنّا كنَدمانَىْ جَذيمةَ حِقبةً * من الدهر حتّى قيل لن يتصدّعا [(٣)]

فلما تفرّقنا كأنّى ومالكا * لِطُول اجتماعٍ لم نَبِتْ ليلةً معا

فقال عُمر : هذا والله التأبين ، ولَوددتُ أنّى أُحسِنُ الشِّعر فأرثى أخى زيدًا بمثل ما رثَيتَ به أخاك . فقال متمم : لو أنّ أخى ماتَ على ما مات عليه أخوك ما رثيته — وكان قُتل باليمامة شهيدا ، وأمير الجيش خالدُ بن الوليد — فقال عمر : ما عزّانى أحد عن أخى بمثل ما عزّانى به متمم .

قال : وكان عمر يقول : ما هبت الصَّبا من نحو اليمامة إلّا خُيِّل إلىّ أنّى أشم ريح أخى زيد [(٤)] .

---

(١) كذا فى ط ، ها ، مب : « محمد بن عمران العبدى » وسائر النسخ « أحمد بن عمران العبدى » .

(٢) ها : « متنكب قوسه » .

(٣) لن يتصدعا : لن يتفرقا .

(٤) الخبر فى الكامل وابن سلام وابن قتيبة فى الشعراء ٢٩٧ برواية أخرى .

جزع متمم لمقتل أخيه

قال : وقيل لمتمم : ما بلغ من وجدك على أخيك ؟ فقال أُصبتُ باحدى عينيّ فما قَطرت منها دمعةٌ عشرينَ سنة ، فلما قُتِل أخي استهلّت فما تَرقأ[1] .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال : حدّثنا عمر بن شبة قال : حدّثنا أبو أحمد الزبيري قال : حدّثنا عبد الله بن لاحق ، عن ابن أبي مليكة قال :

عائشة تتمثل بشعر متمم

٥ مات عبد الرحمن بن أبي بكر بالحُبْشِيّ[2] خارج مكّة ، فحُمِل فدفن بمكّة ، فقدمت عائشةُ فوقفَتْ على قبره وقالت متمثلة :

وكنّا كندمانَيْ جذيمةَ حِقبةً * من الدهر حتّى قيل لن يتصدّعا

فلما تفرّقنا كأني ومالكا * لطول اجتماعٍ لم نبِتْ ليلةً معا

أمَا والله لو حضرتُكَ لدُفنتُ حيث مِتّ ، ولو شَهِدتك مازرتك .

١٠ أخبرني إبراهيم بن أيوب قال حدّثنا عبد الله بن مسلم بن قتيبة :

متمم يصف نفسه وأخاه

أنّ متمم بن نويرة دخل على عمر بن الخطاب فقال له عمر : ما أرى في أصحابك مِثلَك . فقال : يا أمير المؤمنين أمَا والله إنّي مع ذلك لأركب الجمَل الثّفال ، وأعتقل الرُّمحَ الشَّطونَ[3] ، وألبَسُ الشَّملةَ الفَلُوت . ولقد أسَرَتْني بنو تغلبَ في الجاهلية فبلغ ذلك أخي مالكًا فجاء ليفديَني[4] منهم ، فلما رآه القومُ أعجبهم جمَالُه ، وحدّثهم فأعجبهم

١٥ حديثُه ، فأطلقوني له بغير فداء .

(١) الخبر برواية أخرى عند ابن سلام . (٢) حبشى ، بالضم : جبل بأسفل مكة بنعمان الأراك . والخبر عند ياقوت في رسمه هذا . ها ، مب « حبل بمكة » .

(٣) في معظم الأصول : « المثلوب » ولا وجه له ، وفي ها ، مب : « الشطوب » . وأثبت ما في الشعر والشعراء . والشطون : الطويل الأعوج . وقد تكون « المثلوث » ولكني لم أجدها في المعاجم .

٢٠ وفي المعاجم أن المربوع والمخموس من الرماح : ما طوله أربع وخمس أذرع .

(٤) ها : « لينقذني منهم » .

إنقاذ مالك لأخيه متمم

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنى النوفلى عن أبيه وأهله قالوا :

لما أنشد متمم بن نويرة عمرَ بن الخطاب قولَه يرثى أخاه مالكا :

وكنا كندمانَىْ جذيمة حِقبةً * من الدهر حتّى قيل لن يتصدعا

فلمّا تفرقنا كأنّى ومالِكاً * لطول اجتماعٍ لم نبتْ ليلةً معا

قال له عمر : هل كان مالكٌ يحبُّك مثلَ محبّتك إياه، أم هل كان مثلَك ؟ فقال : وأين أنا من مالك، وهل أبلغُ مالكا، والله يا أمير المؤمنين لقد أسَرنى حىٌّ من العرب فشدّونى وَثاقًا بالقِد، وألقَونى بفنائهم، فبلغه خبرى فأقبلَ على راحلته حتى انتهى إلى القوم وهم جلوسٌ فى ناديهم، فلما نظر إلىّ أعرضَ عنّى، ونظر القومُ إليه فعَدَل إليهم، وعرفتُ ما أراد، فسلّم عليهم وحادثهم وضاحكهم وأنشدهم، فوالله إنْ زال كذلك حتّى ملأهم سرورا، وحضرَ غَدَاؤهم فسألوه ليتغدّى معهم فنزلَ وأكل، ثم نظر إلىّ وقال : إنّه لقبيح بنا أن نأكلَ ورجلٌ ملقًى بين أيدينا لا يأكل معنا! وأمسكَ يدَه عن الطعام . فلما رأى ذلك القومُ نهَضُوا وصبُّوا الماء على قِدّى حتى لانَ وخلّونى، ثم جاءوا فأجلسونى معهم على الغَدَاء، فلمّا أكلنا قال لهم : أما ترون تحرُّمَ هذا بنا وأكلَه معنا، إنّه لقبيح بكم أن تردّوه إلى القِدّ . فخلّوا سبيلى فكان كما وصفت . وما كذبتُ فى شىء من صفته إلا أنّى وصفتُه خميصَ البطن، وكان ذا بطن .

أخبرنى الحسن بن على قال : حدّثنا أحمد بن نصر العتيقى قال : حدّثنى محمد بن الحسن بن مسعود الزرقى، عن أبيه عن مروان بن موسى . ووجدت هذا الخبر أيضا فى كتاب محمد بن على بن حمزة العلوىّ، عن على بن محمد النوفلى عن أبيه :

أن عمر بن الخطاب قال لمتمِّم بن نويرة : إنكم أهلُ بيت قد تَفانيتم ، فلو تزوجتَ عسى أن تُرزقَ ولدًا يكون فيه بقيّةٌ منكم . فتزوّج امرأةً بالمدينة فلم تَرضَ أخلاقه لشدّة حُزنه على أخيه ، وقلّة حَفْلِه بها ، فكانت تُماظُّه[1] وتؤذيه ، فطلّقها وقال :

أقول لهندٍ حينَ لم أرضَ فعلَها * أهذا دلالُ الحب أم فعلُ فاركِ[2]

أمِ الصرمُ ما تبغى ، وكلُّ مُفارقٍ * يسيرٌ علينا فقدُه بعدَ مالكِ

أخبرنى محمد بن جعفر الصيدلانى النحوى قال : حدّثنا محمد بن موسى ابن حماد قال : حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال : حدّثنى أحمد بن معاوية ، عن سلمويه بن أبى صالح[3] ، عن عبد الله بن المبارك عن نعيم بن أبى عمرو الرازى قال :

بينا طلحةُ والزُّبير يسيران بين مكّة والمدينة إذ عرَضَ لهما أعرابىّ ، فوقفا ليمضىَ فوقف ، فتعجّلا ليسبقاه فتعجّل ، فقالا : ما أثقلكَ يا أعرابىّ ، تَعجّلنا لنسبقَك فتعجّلت[4] ، فوقفنا لتمضىَ فوقفت ؟ فقال : لا إله إلا الله مُغْنى[5] أغدرَ الناس ، أغدر بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ؟ هَبانى خِفتُ الضَّلالَ فأحببت أن أستدلَّ بكما ، أو خِفتُ الوَحشةَ فأحببت أن أستأنس بكما . فقال طلحة : من أنت ؟ قال : أنا متمم بن نويرة . فقال طلحة : . واسوأتاه ، لقد مَلِلْتنا غيرَ مملول . هاتِ بعض ما ذكرتَ فى أخيك من البكاء . فزوجوه أمَّ خالد ، فبينا هو واضعٌ رأسَه على فخذها إذ بكى فقالت : لا إله إلا الله ، أما تنسى أخاك . فأنشأ يقول :

أقولُ لها لما نَهتْنى عن البُكا * أفى مالكٍ تلحَيْننى أمَّ خالدِ

فإنْ كان إخوانى أصيبوا وأخطأتْ * بنى أمك اليومَ الحُتوف الرواصدُ

---

(١) فى حـ ، أ ، م : « تماطه » ، وإنما هى بالظاء المعجمة . والمماظة : المنازعة والمخاصمة والمشاتمة . (٢) الفارك : التى تفرك زوجها ، تبغضه . (٣) كذا فى مب وفى حـ ، أ : « سلمويه أبى صالح » . (٤) ما عدا ها ، مب : « فوقفت » تحريف . (٥) أ : « معنى » . وما عدا حـ ، ها : « أعدى الناس » . والخبر مختصر فى الإصابة فى ترجمة متمم .

فـكلُّ بنى أم سيُمسـونَ ليـلةً * ولم يَبـقَ من أعيانِهـم غيرُ واحدِ

ندمى جذيمة الأبرش

أمّا معنى قول متمم :

* وكنا كنَدمانَىْ جذيمة حِقبةً *

فإنّه يعـنى نديمى جذيمة الأبرش الملك ، وهو جذيمة [بن مالك][1] بن فهم[2] بن غانم ابن دوس بن عدثان[3] الأسْدىّ[4] .

٥

وكان الخـبر فى ذلك ما أخبرنا به على بن سـليمان الأخفش ، عن أبى سـعيد السكرى ، عن محمد بن حبيب . وذكر ابن الكلبى عن أبيه والشرقىّ وغيره من الرواة أن جذيمة الأبرش — وأصله من الأزد ، وكان أوّل من ملك قُضاعة بالحيرة ، وأوّل من حَذَا النعال ، وأَدلج من الملوك ، ورُفِـع له الشّمع[5] — قال يوماً لجلسائه : قد ذُكر لى عن غلامٍ من لخم ، مُقيم فى أخواله من إياد ، له ظَرف ولُبٌّ ، فلو بعثتَ إليـه يكون فى ندمانى ، وولّيته كأسى والقيامَ بمجلسى ، كانَ الرأى . فقالوا : الرأى ما رأى الملكُ ، فليبعَثْ إليه . ففعـل فلما قدم فَعـل به ما أراد له ، فمكث كذلك مدّة طويلةً ثم أشرفَتْ عليـه يوما رَقاشِ ابنةُ الملك ، أختُ جذيمة ، فلم تزلْ تراسـلُه حتّى اتصل بينهما ، ثم قالت له : ياعدىّ ، إذا سقيتَ القوم فامزِجْ لهم واسقِ الملك صِرفًا ، فإذا أخذَتْ منـه الخمر فاخطُبنى إليـه فإنّه يزوّجك ، وأَشهِد القومَ عليـه

١٠

١٥

---

(١) التكلة من كتاب أسماء المغتالين لابن حبيب والاشتقاق ٢٩١ والعمدة (٢ : ١٧٨) والمعارف ٢٧٩ ، ٢٨١ ومروج الذهب (٢ : ٩٠) . (٢) فى الأصول : « فهر » ، صوابه من كتاب ابن حبيب والعمدة والاشتقاق . (٣) حـ : « عوثان » ها « غوثان » وفى سائر النسخ ما عدا مب : « عدنان » والوجه ما أثبت من مب وكتاب ابن حبيب والاشتقاق . (٤) الأسدى ، بسكون السين . والأسـد لغة فى الأزد ، بل هو بالسـين أفصح كما فى اللسان . وفى ها و مب وكتاب ابن حبيب : « الأزدى » . (٥) ت ، س : « وصنع له الشمع » . وما فى سائر النسخ يطابق ما أثبت من المعارف .

٢٠

إنْ هو فعل . ففعل الغلام ذلك فخطبها فزوّجه ، وانصرف الغلام بالخبر إليها فقالت : عرِّس بأهلك . ففعل فلما أصبح غدا مضرَّجًا بالخَلُوق ، فقال له جذيمة : ما هذه الآثارُ يا عديّ ؟ قال : آثار العُرس . قال : أيّ عرس ؟ قال : عرس رَقاش . قال : فنخَرَ وأكبَّ على الأرض ، ورفع عديٌّ جرامِيزه ، فأسرع جذيمةُ في طلبه فلم يحسسْهُ[1] ، وقيل إنه قتله وكتب إلى أخته :

حَدِّثيني رَقاشِ لا تَكذِبيني * أبِحُرٍّ زنيتِ أم بهجين[2]

أم بعبدٍ فأنتِ أهلٌ لعبدٍ * أم بِدُونٍ فأنت أهلٌ لدونِ

قالت : بل زوّجْتني أمرأً عربيًا . فنقلها جذيمة وحصّنها في قصره ، واشتملت على حَمْلٍ فولدت منه غلامًا وسمّته عمرًا وربّته ، فلما ترعرع حَلَّته وعطّرته وألبسته كُسوةَ مثلِه[3] ، ثم أرته خالَه فأعجِبَ به ، وألقيتْ عليه منه محبّةٌ ومودّة ، حتى إذا وَصُف[4] خرجَ الغلمان يجتنون الكمأة في سنةٍ قد أكمأتْ ، وخرجَ معهم ، وقد خرج جذيمة فبسط له في روضةٍ ، فكان الغلمانُ إذا أصابوا الكمأة أكلوها ، وإذا أصابها عمرو خَبَأها ، ثم أقبلوا يتعادَوْن وهو معهم يَقدُمهم ويقول :

هــذا جناىَ وخِياره فيــه * إذْ كلُّ جانٍ يده إلى فيــه

فالتزمه جذيمةُ وحبَاه وقرَّبَ من قلبه ، وحلَّ منه بكلّ مكان . ثم إنّ الجن استطارته ، فلم يزلْ جذيمةُ يرسل في الآفاق في طلبه فلم يُسمع له بخبر ، فكفّ

---

(١) في مروج الذهب : «فلم يجده» . (٢) بدله في مروج الذهب :

أنت زوجتني وما كنت أدري * وأتاني النساء للتزيين

ذاك من شربك المدامة صرفا * وتماديك في الصبا والمجون

(٣) في مروج الذهب : «كسوة فاخرة» .

(٤) كذا على الصواب في ح ، ها ، مب ، يقال وصف الغلام بضم الصاد ، وأوصف أيضا : إذا شب ، فهو غلام وصيف ، والأنثى وصيفة . وفي سائر النسخ : «وصب» ، تحريف .

عنه . ثم أقبل رجلانِ يقال لأحدهما عَقيل والآخر مالك ، ابنا فالج، وهما يريدان الملكَ بهدية، فنزلا على ماء ومعهما قينةٌ يقال لها أمّ عمرو، فنصبَتْ قدرا وأصلحت طعامًا، فبينا هما يأكلانِ إذ أقبل رجلٌ أشعثُ أغبر، قد طالت أظفارُه وساءت حاله، حتّى جلس مَزْجَرَ الكلب، فمدّ يدَه فناولتْه شيئًا فأكله، ثم مدّ يده فقالت : « إن يُعطَ العبدُ كُراعًا يتّسع ذراعا »[1] فأرسلتْها مثلا . ثم ناولتْ صاحبيها من شرابها وأوكأت دَنّها ، فقال عمرو بن عدىّ :

٧٣
١٤

صـــــوت

صَددتِ الكأسَ عنا أمَّ عمرو * وكان الكأسُ مَجراها اليمينـا
وما شرُّ الثـلاثة أمَّ عمـرو * بصاحبِك الذى لا تَصـبَحينا

غناه معبد فيما ذكر عن إسحاق فى كتابه الكبير . وقد زعم بعض الرواة أن هذا الشعر لعمرو بن معد يكرب[2] .

وأخبرنا اليزيدى قال : حدّثنا الخليل بن أسد النُّوشجانىّ قال : حدّثنا حفص ابن عمرو، عن الهيثم بن عدى، عن ابن عياش[3]، أنّ هذا الشعر لعمرو بن معديكرب فى ربيعة بن نصر اللخمى .

(١) فى مروج الذهب : « طلب ذراعا » .
(٢) بل الأصح فى نسبتهما أنهما لعمرو بن كلثوم فى معلقته .
(٣) فى الأصـول : « عن ابن عباس » ، وإنمـا هو : « ابن عياش » وهو عبد الله بن عياش المنتوف، ترجم له فى لسان الميزان (٣ : ٣٢٢)، وذكر أن الهيثم بن عدى يروى عنه ، وأنه كان ينادم المنصور ويجترئ عليه ويضحكه . وكذا ذكر فى ترجمة الهيثم بن عدى أنه يروى عن عبـد الله بن عياش .

رجع الحديث إلى سياقه

فقال الرجلان : ومن أنت ؟ فقال : « إن تنكرانى أو تنكرا نسبى، فإنّى عمرو وعدىّ أبى »[١]، فقاما إليـه فلثماه، وغسَلا رأسه وقلّما أظفاره، وقصّرا من لِمّته، وألبساه من طرائف ثيابهما وقالا : ما كُنّا لنهـدىَ إلى الملك هديةً أنفس عنـده ولا هو عليها أحسن صَفَدا[٢] من ابن أخته، فقد ردّه الله عز وجل إليه. فخرجا حتّى إذا دَفَعا إلى باب الملك بشّراه به[٣]، فصرفَه إلى أمّه، فألبسَتْه ثيابًا من ثياب الملوك، وجعلَتْ فى عنقه طوقًا كانت تُلبسه إيّاه وهو صغير، وأمرَتْه بالدخول على خاله، فلما رآهُ قال : « شبَّ عَمْرٌو عن الطوق » فأرسلَها مثلا . وقال للرجلين اللذين قدما به : احكما فلكما حكمكما . قالا : منادمتُك ما بقيتَ و بقينا . قال : ذلك لكما . فهما نديمـا جذيمةَ اللذان ذكرهما متمّم، وضَربت بهما الشعراءُ المثَـل . قال أبو خِراش الهذَلى :

ألم تَعلمى أنْ قد تفرّقَ قبلنـا * خليلَا صـفاءٍ مالكٌ وعقيلُ

قال ابن حبيب فى خبره[٤] : وكان جذيمةُ من أفضل الملوك رأيا، وأبعدِهم مُغارا، وأشدّهم نكاية، وهو أوّل من استجمع له الملكُ بأرض العراق، وكانت منازلُه ما بين الأنبار وبقّة وهِيت وعَين التمر، وأطراف البر والقُطقطانة[٥] والحيرة، فقَصد فى جموعه

---

(١) جاء هذا الكلام فى الأصول على هيئة الشعر، ولا يستقيم وزنه . وفى مروج الذهب : « إن تنكرانى فلن تنكرا حسبى، أنا عمرو بن عدى » . (٢) الصفد، بالفتح، وبالتحريك : العطية .

(٣) دفعا إلى الباب، بالبناء للعلوم والمجهول : انتهيا إليه . وفى الأصول ماعدا ها، مب : « رفعا » .

(٤) هذا الخبر، هو فاتحة كتاب أسماء المغتالين من الأشراف لابن حبيب، نسخة دار الكتب المصرية .

(٥) القطقطانة، بضم القافين : موضع قرب الكوفة من جهة البرية . وفى الأصول : « القطقطانية »، صوابه فى كتاب ابن حبيب .

عمرو بن الظَّرِب بن حسان[1] بن أذينة بن السميدع بن هَوبر[2] العاملى ، من عاملة العماليق[3] ، فجمع عمرو جموعه ولقيه ، فقتله جذيمةُ وفضّ جموعه ، فانفلُّوا[4] وملّكوا عليهم ابنته الزبّاء ، وكانت من أحزم الناس ، فخافت أن تغزوها ملوكُ العرب فاتخذت لنفسها نَفقا فى حصنٍ كان لها على شاطئ الفرات ، وسَكَرت[5] الفراتَ فى وقت قلّة الماء ، و بنتْ أزجا[6] من الآجُرّ والكِلْس ، متّصلا بذلك النفق ، وجعلت نفقًا آخر فى البرِّيّة متّصلا بمدينةٍ لأختها ، ثم أجرت الماء عليه ، فكانت إذا خافت عدُوًّا دخلت النفق . فلما اجتمعَ لها أمرُها واستحكم مُلكها أجمعت على غزو جذيمة ثائرةً بأبيها ، فقالت لها أختُها وكانت ذاتَ رأيٍ وحزم : إنّكِ إن غزوتِ جذيمة فإنّه امرؤٌ له ما بعده ، فإن ظفرتِ أصبتِ ثأركِ ، و إن ظفر بك فلا بقيّة لك ، والحربُ سِجال ، ولا تدرين كيفَ تكون[7] ألكِ أم عليك ، ولكن ابعثى إليه فأعلميه أنّكِ قد رغبتِ فى أن تتزوّجيه وتجمعى ملكَكِ إلى ملكه ، وسَليه أن يجيبَكِ إلى ذلك ، لأنّه إن اغترّ ففعل ظفرتِ به بلا مُخاطَرة . فكتبت الزباءُ فى ذلك إلى جَذيمة تقول له : إنها قد رغِبت فى صلة بلدها ببلده ، و إنّها فى ضعفٍ من سلطانها ، وقلّة ضبطٍ لمملكتها ، و إنها لم تجد كفئًا غيره ، وتسأله الإقبالَ عليها و جَمْعَ ملكِها إلى مُلكه . فلما

---

(١) كذا على الصواب فى مب . وفى حـ : «حنان» وسائر النسخ : «حيان» ، صوابه فى مب وكتاب ابن حبيب ومروج الذهب . (٢) حـ : «هوبز» وسائر النسخ : «هويز» ، محرفتان .

(٣) فى معظم الأصول : «العمالين» صوابه فى مب وكتاب ابن حبيب ومروج الذهب .

(٤) كذا فى مب . وانفلوا : انهزموا وانكسروا . وفى أ : «انقلبوا» : رجعوا . حـ : «وأنفلوا» وسائر النسخ : «وأنفلوا» . (٥) سكر النهر سكرا : سده ، وكل شق سد فقد سكر . وفى الأصول ماعدا ها ، مب : «وسكنت» صوابه فى ها وكتاب ابن حبيب . (٦) الأزج : بيت يبنى طولا . حـ : «أرخا» ها : «أزجاء» وسائر النسخ : «أرحاء» صوابها فى مب وكتاب ابن حبيب .

(٧) فى الأصول ما عدا ها ، مب : «تكونين» تحريف .

وصَل ذلك إليه استخفَّه وطمع فيه ، فشاور أصحابَه فكلٌّ صوَّبَ رأيهُ فى قصدها وإجابتهـا ، إلّا قصيرَ بنَ سـعدِ بن عمرو بن جَذيمة بن قيس بن هلال بن نُمـارة[1] ابن لخم ، فقال : هـذا رأىٌ فاتر ، وغَدرٌ حاضر ، فإن كانتْ صادقة فلتُقبِلْ إليـك وإلّا فلا تمكّنْها من نفســك فتقعَ فى حبالها وقدْ وتَرتها فى أبيها . فلم يوافقْ جذيمةَ ما قال وقال له : « أنت امرؤٌ رأيك فى الكِنّ لا فى الضِّحّ[2] » . ورحلَ فقال له قصير فى طريقه : انصرفْ ودمُك فى وجهـك . فقال جذيمة : « ببَقَّـةَ قُضِىَ الأمر » فأرسلَها مثـلا . ومضى حتّى إذا شارف مدينتَها قال لقَصـير : ما الرأى ؟ قال : « ببقّة تركتُ الرأى » . قال : فما ظنُّك بالزباء؟ قال : « القولُ رِدافٌ ، والحزمُ عَثَرَاتُهُ لا تخاف[3] » . واستقبله رسُلها بالهدايا والألطاف فقال : ياقَصير ، كيف ترى ؟ قال « خَطَر يسير فى خطب كبير[4] » ، وستلقاك الخيول ، فإن سارتْ أمامَك فالمرأةُ صادقة ، وإن أخذَتْ فى جنبيك وأحاطت بك فالقومُ غادرون . فلقيته الخيولُ فأحاطت به ، فقال له قصير : اركبِ العصا فإنّها لا تُدرَك ولا تُسبَق — يعنى فرسًا له كانت تُجنَب — قبلَ أن يَحُولوا بينك و بين جنودك . فلم يفعلْ ، فجال قصيرٌ فى ظهرها فمرّتْ به تعــدو فى أوّل أصحاب جذيمة . ولمـا أُحيط بجذيمةَ التفَتَ فرأى قصــيرا على فرسه العصا فى أوّل القوم ، فقال : « لحَـازِمٌ مَنْ يُجرِى العصا فى أوّل القوم[5] » . فذكر

(١) عند ابن حبيب : « بن هليل بن دمى بن نمـارة » .

(٢) الكن : ما يرد الحر والبرد من الأبنية والمساكن . والضح : كل ما أصابته الشمس .

(٣) الرداف : جمع ردف ، وهو الذى يركب خلف الراكب . والعيرانة : الناقة السريعة فى نشاط . أراد أن الحزم يمضى فى شأنه فى ثقة ولا يعبأ بالقول ، بل ربما حطمه . وكلمة « لا » ساقطة من ب ، س والميدانى ، إذ فيها : « عثراته تخاف » ، وفى حـ : « عيران لا يخاف » ، وفى م ، أ : « عراف لا يخاف » .

(٤) فى الميدانى : « خطب يسير فى خطب كبير » .

(٥) فى ب ، س : « الحازم » . ها ، مب : « لحازم ما تجرى » وفى سائر الأصول : « ما يجرى » . وفى مروج الذهب (٢ : ٩٤) : « ما ضل من تجرى به العصا » . وفى الميدانى : « و يل أمه حزما على متن العصا » .

أبو عبيـدة والأصمعى أنها لم تكن تقف، حتّى جرت ثلاثين ميلا، ثم وقفت فبالت هناك ، فبُنى على ذلك الموضع برجٌ يسمَّى العصا — وأُخذ جذيمةُ فأدخل على الزباء فاستقبلته قد كشفت عن فرجها ، فإذا هى قد ضَفَرت الشعر عليه ، فقالت : ياجذيم أذاتَ عروسٍ تَرى ؟ قال : بل أرى مَتاع أمـةٍ لَكْعاءَ غيرِ ذاتِ خفر . ثم قال : بلغ المَدَى ، وجفَّ الثَّرَى ، وأمرَ غدرٍ أرى . قالت : والله ما ذلك من عَدم مَوَاسٍ[1]، ولا قلة أَواسٍ[2] ، ولكنَّها شيمةُ ما أُناسٍ[3] . ثم قالت لجواريها : خُذْنَ بعَضُدِ سـيِّدِكُنّ . ففعلنَ ثم دعَتْ بنِطع فأجلسته عليه ، وأمرَتْ برواهشه[4] فقُطعت فى طَستٍ من ذهب يسيلُ دمه فيه ، وقالت له : يا جَذيم لا يضيعنّ من دمك شىءٌ فإنِّى أريده للخَبْل[5]. فقال لها : وما يَحْزُنك من دمٍ أضاعَه أهله . وإنما كان بعض الكهّان قال لها : إنْ نَقط من دمه شىءٌ فى غير الطست أُدرِكَ بثأره . فلم يزلْ دمُه يجـرى فى الطَّست حتّى ضعُف ، فتحرّكَ فنقطت من دمه نُقطة على أسطوانة رخامٍ ومات .

قال : والعرب تحدّث فى أنّ دماء الملوك شفاءٌ من الخَبْل[6] . قال المتلمس :

من الدارميِّينَ الذين دماؤهم * شِـفاءٌ من الداءِ المَجَنَّةِ والخبلِ[7]

---

(١) المواسى : جمع موسى التى يحلق الشعر بها . (٢) الأواسى : جمع آسية ، وهى كناية عن الخاتن فى لغة أهل البادية . (٣) هذا ما فى حـ ومروج الذهب . و« ما » فيه زائدة . وفى سائر الأصول : « من أناس » . (٤) الرواهش : عروق فى باطن الذراع . (٥) الخبل ، بفتح الخاء وضمها ، وبالتحريك أيضا : الجنون أو شبهه . (٦) فى الحيوان (٢ : ٦) وعيـون الأخبار (٢ : ٧٩) أنه الفرزدق ، ولم أجد البيت فى أحد الديوانين . ونسب فى مروج الذهب إلى البعيث . وفى ها : « قال البعيث » . وأشير فى حاشيتها إلى أنه فى نسـخة أخرى « المتلمس » . (٧) المجنة : الجنون . وفى معظم الأصول : « المحبة » صوابه من ها ومن الحيوان وعيون الأخبار ، واللسان (جنن) ومقاييس اللغة (كلب) .

قال : و جمعت دمَه فى بَرْنيّة وجعلته فى خزانتها ، ومضى قصيرٌ إلى عمرو بن عبد الجُرّ[(١)]
التَّنُوخى فقال له : اطلبْ بدم ابن عمك و إلاّ سبَّتْك به العرب . فلم يحفِل بذلك ،
فخرج قصيرٌ إلى عمرو بن عدىّ ابن أخت جذيمة فقال : هل لك فى أن أصرفَ
الجنودَ إليك على أن تطلبَ بثأر خالك ؟ فجعلَ ذلك له ، فأتى القادةَ والأعلام
فقال لهم : أنتم القادةُ والرؤساء ، وعندنا الأموالُ والكنوز . فانصرفَ إليه منهم بَشَرٌ
كثير ، فالتقى بعمرو التنوخى فلما صافُّوا القتالَ[(٢)] تابعَه التنوخى ومالك بن عمرو
ابن عدىّ ، فقال له قصير : انظرْ ما وعدتنى فى الزباء . فقال : وكيف وهى أمنعُ
من عُقاب الجو ؟ فقال : أمّا إذْ أبيتَ فإنى جادعٌ أنفى وأذنى ، ومحتالٌ لقتلها ،
فأعِنّى وخَلاك ذمّ . فقال له عمرو : وأنت أبصر . فجدعَ قصيرٌ أنفه ثم انطلق
حتّى دخل على الزباء فقالت : من أنت ؟ قال : أنا قصير ، لا وربِّ البشَر ما كان
على ظهر الأرض أحدٌ أنصحَ لخدمته منّى ولا أغشّ لكِ حتّى جدَع عمرو بن عدىّ
أنفى وأذنى ، فعرفتُ أنّى لن أكونَ مع أحد أثقلَ عليه منك . فقالت : أى قصيرُ
نقبَل ذلك منك ، ونصرِّفك فى بضاعتنا . وأعطتْه مالا للتجارة ، فأتى بيت مال
الحيرة فأخذ منه بأمر عدىّ ما ظنَّ أنه يُرضيها ، وانصرف إليها به ، فلما رأت
ما جاء به فرحَتْ وزادته ، ولم يزلْ حتّى أنستْ به فقال لها : إنه ليس من ملكٍ
ولا ملِكة إلّا وقد ينبغى له أن يتّخذ نفَقا يهرُب إليه عند حُدوث حادثة يخافها .
فقالت : أمَا أنّى قد فعلتُ واتّخذْت نفَقا تحت سريرى هذا ، يخرُج إلى نفَقٍ تحت
سرير أختى . وأرتْه إياه ، فأظهرَ لها سرورًا بذلك ، وخرج فى تجارته كما كان
يفعل ، وعرف عمرُو بنُ عدىّ ما فعله ، فركب عمرو فى ألفَىْ دارعٍ على ألف بعير

(١) كذا فى الأصول . وفى الميدانى ومروج الذهب : « عبد الجن » .
(٢) مب : « خافوا القتال » . وفى مروج الذهب : « خافوا القناء » .

فى الجَوالِق حتى إذا صاروا إليها تقدّمَ قصيرٌ يسبق الإبل ودخَل على الزباء فقال لها : اصعَدى فى حائط مدينتك فانظُرى إلى مالكِ، وتَقدّمى إلى بوابك فلا يعرضْ لشىءٍ من أعكامنا[1] ، فإنى قد جئتُ بمالٍ صامت . وقد كانت أَمِنته فلم تكن تتّهمه ولا تخافه، فصعِدت كما أمرها فلما نظَرتْ إلى ثِقل مَشْى الجمال قالت — وقيل إنه مصنوع منسوب إليها — :

مالِلجمالِ مشيُها وئيدا * أجندلًا يحملنَ أم حديدا
أم صَرَفانًا[2] باردا شديدا * أم الرجالُ جُثّمًا قُعودا

فلما دخل آخرُ الجمال نخَس البوّابُ عِكمًا من الأعكام بمِنخسةٍ معه ، فأصابت خاصرةَ رجلٍ فضَرط، فقال البوّاب: «شرٌّ والله عكتم به فى الجُوالقات[3]» . فثاروا بأهل المدينة ضربًا بالسيف ، فانصرفت راجعةً فاستقبلها عمرو بن عدى فضربها فقتلها، وقيل بل مَصّت خاتمها وقالت : «بيدى لا بيدِ عَمرو»، وخُربت المدينة وسُبيت الذرارىّ، وغنم عمرو كلَّ شىء كان لها ولأبيها وأختها، وقال الشعراء فى ذلك تَذكُر ما كان من قصيرٍ فى مَشُورته على جَذيمة ، وفى جدعه أنفَه ، فأكثروا . قال عدىّ بن زيد :

(١) الأعكام : جمع عكم ، بالكسر ، وهو العدل ما دام فيه المتاع .

(٢) الصرفان : الرصاص القلعى ، والموت ، وبهما فسر بيت الزباء فى اللسان (صرف)، ثم روى تفسيرا ثالثا لأبى عبيد، أن الصرفان : ضرب من التمر . قال أبو عبيد : ولم يكن يهدى لها شىء أحب من التمر الصرفان . وأنشد :

ولما أتتها العير قالت أبارد * من التمر أم هذا حديد وجندل

(٣) كذا فى حـ ، وسيبويه لا يجوز هذا الجمع . والجوالق ، بضم الجيم يجمع على جوالق بفتحها ، وكذلك على جواليق . ما عدا حـ : «فى الجواليق» .

ألا يأيها المُـثْرِى المـرجّى * ألم تَسـمع بخَطْب الأوّلينا[1]
دَعا بالبَقّـة الأُمراءُ يوما * جذيمـةَ ينتحى عُصَبا ثُبِينا[2]
فطاوَعَ أمرَهم وعصى قَصيراً * وكان يقول لو تَبِـع اليقينا

وهى طويلة . وقال المتلمس يذكر جَدْع قصيرٍ أنفه :

٧٦
١٤

٥ ومن حَذَر الأيامِ ما حَزَّ أنفَـه * قصيرٌ وخاضَ الموتَ بالسيف بيهسٌ[3]

وفى هذا المعنى أشعارٌ كثيرة يطول ذِكرها .

كان جذيمة ملكا شاعرا

وكان جَذيمـة الملكُ شاعرا ، وإنّما قيـل له الوضاح لبرص كان به ، وكان يُعظِم أن يسمَّى بذلك ، فجعل مكانه الأبرَش والوضّاح . وهو الذى يقول :

والمُلكُ كان لذى نُوا * سٍ حَـوله تَرِدى يحابر[4]
١٠ بالسابغـات وبالقَنـا * والبِيض تَبرق والمَغَافر
أزمانَ لا مُلكٌ يُجِيـ * ـر ولا ذِمامَ لمن يُجاور
أودَى بهـم غِـيَرُ الزما * نِ فمنجِدٌ منهـم وغائر

وهو الذى يقول :

ربّمـا أوفيتُ فى عَلَمٍ * تَرفَعَن ثوبِى شَمالاتُ[5]
١٥ فى شبابٍ أنا رابئُهـم * همْ لدَى العَورة صِمّاتُ[6]

(١) فى مروج الذهب : « أيها الملك المرجى » . (٢) البقة : موضع قرب الحيرة . ينتحى : يقصد . الثبون : جمع ثُبَـة بضم ففتح ، وهى الجماعة من الناس . المروج ومعجم البلدان : « يجوهم » صوابه بالحاء . مب : « عصر يجوهم ثبينا » . (٣) ويروى : « جز » بالجيم .
(٤) ذو نواس : أحد ملوك اليمن وأذوائهم . المعارف ٢٧٧ والعمدة (٢ : ١٧٧) . وفى معظم
٢٠ الأصول : « لذى براش » صوابه فى ها ومب ومروج الذهب . فى ب ، س : « يزرى بجابر » ، وفى حـ : « بجابر » وفى مروج الذهب : « من ذى يحابر » وأثبت ما فى مب . (٥) ها ، مب : « ترفع الأثواب شملات » . (٦) رابئهم ، أى ربيئتهم يستطلع لهم خبر العدو . وفى الأصول : « رابيهم » . العورة : الخلل فى الثغر يخاف منه العدو ويخشى . والصمة ، بالكسر : الشجاع .

ليتَ شعرى ما أطافَ بهم * نحن أدلجنا وهُم باتوا

ثُمَّ أبنا غانمِينَ وكم * كمْ أناسٌ قبلنا ماتوا

فيه غناء يقال إنه ليمانٍ ، ويقال إنه لمعبد، ولم يصح .

صـــوت

فى كَفِّه خَيْزُرانٌ ريحُه عَبِقٌ * من كفّ أروعَ فى عِرنينه شَمَمُ

يُغضى حياءً ويُغضَى من مَهابته * فما يُكلَّم إلا حين يبتسم

الشعر لحزينٍ بن سُليمان الدِّيلىّ ، والغناء لإسحاق ، ثانى ثقيل بالبنصر عن حبش ، وفيه لعريب رملٌ عِملَه على لحن ابن سُريج .

أخبار الحزين ونسبه

لقب الحزين ونسبه

ذكر الواقدى أنه من كنانة وأنه صليبة [(١)] ، وأن الحزين لقب غلب عليه ، وأن اسمه عمرو بن عبيد بن وهيب بن مالك — ويكنى أبا الشعثاء — بن حريث بن جابر ابن بجير [(٢)] — وهو راعى الشمس الأكبر — بن يعمر بن عدى بن الديل بن بكر ابن عبد مناة بن كنانة .

أخبرنى بذلك أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شبة ، عن الواقدى .

الحزين شاعر أموى من الهجائين

قال : وأما عمر بن شبة فإنه ذكر أن الحزين مولى ، وأنه الحزين بن سليمان ، ويكنى سليمان أبا الشعثاء ، ويكنى الحزين أبا الحكم . من شعراء الدولة الأموية حجازى مطبوع ليس من فحول طبقته . وكان هجاء خبيث اللسان ساقطا ، يرضيه اليسير ، ويتكسب بالشر [(٣)] وهجاء الناس ، وليس ممن خدم الخلفاء ولا انتجعهم بمدح ، ولا كان يريم الحجاز حتى مات .

عبد الله بن عبد الملك الذى قال فيه الحزين الشعر

وهذا الشعر يقوله الحزين فى عبد الله بن عبد الملك بن مروان . وكان عبدالله من فتيان بنى أمية وظرفائهم ، وكان حسن الوجه حسن المذهب ، وأمه أم ولد . وزوجة عبد الله رملة بنت عبد الله بن عبد الله [(٤)] — وعبد الله هذا هو عبد الحجر ابن عبد المدان بن الديان [(٥)] بن قطن [(٦)] بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب

---

(١) صليبة ، أى خالص النسب . يقال عربى صليبة .

(٢) س ، ب : « بكر » حـ : « بجير » ها ، مب : « بجر » وأثبت ما فى سائر النسخ .

(٣) كذا فى الأصول . وليس ما يوجب أن تكون « بالشعر » .

(٤) كذا فى ها . وفى سائر الأصول : « وعبد الله هذا هو عبد الحجر » .

(٥) ما عدا حـ ، م ، ها ، مب : « الريان » بالراء فى هذا الموضع وتاليه .

(٦) كذا فى ها ، مب . وفى سائر الأصول : « بن قطر بن الديان » .

ابن الحارث بن عمرو. وزوجته هند بنت أبى عبيدة بن عبد الله بن ربيعة بن الأسود ابن مطّلب بن أسد بن عبد العزى(١) بن قُصىّ — تزوّجها(٢) لمّا كان يُقال إنها ناتق(٣) فى ولادها، فمات عنها ولم تلد(٤) له، فخلفه محمد بن على بن عبد الله بن العباس على رملة فولدت له محمدا وإبراهيمَ وموسى، وبناتٍ.

٧٧ / ١٤

أخبرنى بذلك عُمر(٥) بن عبد الله بن جميل العَتَكى، وأحمد بن عبد العزيز الجوهرى، ويحيى بن على بن يحيى، قالوا: حدّثنا عمر بن شبة عن ابن رَوَاحة وغيره. وأخبرنى به الطوسىّ والحرمى عن الزبير عن عمه.

خشية عبد الله ابن عبد الملك من الحزين

أخبرنى حبيب بن نصر المهلّبى قال: حدّثنى الزبير قال: حدّثنى عمى أنّ عبد الله بن عبد الملك حجّ، فقال له أبوه: سيأتيك الحزينُ الشاعر بالمدينة، وهو ذَرِب اللسان، فإياك أن تحتجبَ عنه، وأرضِه. وصفتُه أنّه أشعرُ(٦) ذو بطنٍ عظيمُ الأنف. فلما قدِمَ عبد الله المدينة وصفَه لحاجبه وقال له: إيّاك أن تردّه. فلم يأتِ الحزين حتّى قام فدخل لينام، فقال له الحاجب: قد ارتفع. فلما ولّى ذكَر فلحقَه فقال: ارجعْ، فاستأذنَ له فأدخلَه، فلما صار بين يديه ورأى جمالَه وبهاءه، وفى يده قضيبُ خيزُران، وقف ساكتًا، فأمهله عبدُ الله حتّى ظنّ أنه قد أراح ثم قال له: السلامُ رحمك اللهُ أوّلًا. فقال: عليك السلامُ وحيّا الله وجهَك أيّها الأمير، إنّى قد كنت مدحتُك بشعر، فلما دخلتُ عليك ورأيت جمالَك

(١) فى الأصول ما عدا «ها»، مب: «عبد العزيز» تحريف. انظر الاشتقاق ٥٧، ١٠١.
(٢) أى تزوج عبد الله بن عبد الملك رملة. (٣) الناتق والمتاق: الكثيرة الأولاد. والولاد: الولادة. م: «فاترة فى أولادها». ها، مب: «أنه كائن فى أولادها» وفى سائر النسخ: «فاتن». وفى أ أيضا: «أولادها». (٤) أ، م: «فمات عنها ولم تلدا».
(٥) حـ: «عمرو». (٦) الأشعر: الكثير الشعر.

وبهاءك أذهلنى عنه فأُنسيتُ ما كنتُ قلتُــه ، وقد قلتُ فى مقامى هــذا بيتين .
فقال : ما هما؟ قال :

فى كفّه خيزرانٌ ريحُهـا عبِقٌ * من كفّ أروعَ فى عِرنينه شَمَمُ
يُغضِى حياءً ويُغضَى من مهابته * فما يكلَّمُ إلا حين يبتسم

٥ فأجازه فقال : أخدِمْنى[1] أصلحك الله ، فإنّه لا خادم لى . فقال : اختر أحد هذين الغلامين . فأخذ أحدَهما فقال له عبد الله : أعلينا تُرذِل[2] ، خذْ الأكبر .

اختلاف فى نسبة بيتين للحزين

والناس يروون هذين البيتين للفرزدق فى أبياته التى يمدح بهـا على بن الحسين ابن أبى طالب عليه السلام ، التى أوّلها :

هذا الذى تعرف البطحاءُ وطأتَه * والبيتُ يعرفه والحِـلُّ والحَـرَمُ

١٠ وهو غلطٌ ممن رواه فيهـا . وليس هذان البيتان ممـا يُمدح به مثل على بن الحسين عليهما السلام وله من الفضل المتَعالَم ما ليسَ لأحد .

حدّثنى محمد بن محمد بن سليمان الباغندى قال : حدّثنى محمد بن عمر العــدنى قال : حدّثنى ســفيان بن عيينة عن الزهرى قال : ما رأيت هاشميا أفضلَ من على ابن الحسين .

أخبار فى فضل على بن الحسين

١٥ حدّثنى محمد قال حدّثنا يوسف بن موسى القطان قال : حدّثنا جرير بن المغيرة قال : كان على بن الحسين يُبخَّل ، فلما مات وجدُوه يَعول مائةَ أهل بيتٍ بالمدينة.

حدّثنى الحسن بن على قال : حدّثنى محمد بن معرّس قال حدّثنا محمد بن ميمون قال حدّثنا سفيان عن ابن أبى حمزة الثُّمَالى قال :

كان على بن الحسين يحمل جِرابَ الخبز على ظهره فيتصدّق به ويقول : « إنّ
٢٠ صدقة اللّيل تطفئ غضبَ الربّ » .

(١) أى اجعل لى خادما . (٢) أراد تأخذ الرذل ، وهو الدون الخسيس .

حدّثنى أبو عبد الله الصَّيرفى قال حدّثنا الفضل بن الحسين[(١)] المصرى قال : حدّثنا أحمد بن سليمان قال حدّثنا ابن عائشة قال : حدّثنا سعد بن عامر ، عن جويرية بن أسماء ، عن نافع قال :

قال على بن الحسين : ما أكلتُ بقرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قطّ .

حدّثنا الحسن بن على قال : حدّثنى عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : حدّثنى إسحاق بن موسى الأنصارى قال : حدّثنا يونس بن بكير ، عن محمد ابن إسحاق قال :

٧٨ / ١٤

كان ناس من أهل المدينة يعيشون ما يَدرون من أين عَيشُهم ، فلما مات على ابن الحسين فَقَدوا ما كانوا يُؤتَون به بالليل .

الأبيات التى مدح بها الفرزدق على بن الحسين

وأما الأبيات التى مدح بها الفرزدق على بن الحسين وخبره فيها ، فحدّثنى بها أحمد بن محمد بن الجعد ، ومحمد بن يحيى قالا : حدّثنا محمد بن زكريا الغلابى قال : حدّثنا ابن عائشة قال :

حجّ هشام بن عبد الملك فى خلافة الوليد أخيه ، ومعه رؤساءُ أهل الشام ، فجهد أن يستلم الحَجَر فلم يقدر من ازدحام الناس ، فنُصِب له منبرٌ فجلس عليه ينظر إلى الناس ، وأقبل على بن الحسين وهو أحسنُ الناس وجها ، وأنظفهُم ثوبا ، وأطيبهم رائحة ، فطاف بالبيت ، فلما بلغ الحجَر الأسود تنحّى الناس كلُّهم وأخلَوْا له الحجَر ليستلمه ، هيبةً وإجلالا له ، فغاظ ذلك هشامًا وبلغ منه ، فقال رجل لهشام : مَن هذا أصلح الله الأمير؟ قال : لا أعرفه ، وكان به عارفا ، ولكنه خافَ أن

---

(١) ح : « الحسن » .

يَرغب فيه أهل الشام ويَسمعوا منه . فقال الفرزدق وكان لذلك كلّه حاضرا : أنا أعرِفه ، فسَلْنى يا شامىّ . قال : ومن هو ؟ قال :

هذا الذى تعرِفُ البطحاء وطأتَه * والبيتُ يعرِفه والحِلُّ والحرم
هــذا ابنُ خيرِ عبادِ الله كلِّهم * هــذا التقىُّ النقىُّ الطاهر العلم
إذا رأته قــريشٌ قال قائلهــا * إلى مكارم هــذا ينتهى الكرم
يكاد يُمسِــكه عِرفانَ راحتــه * رُكنُ الحطيم إذا ما جاء يستلمُ
فليس قولُك مَن هذا بضائِرِه * العُربُ تعرِف من أنكرتَ والعجم
أىُّ الخلائق ليست فى رقابهم * لأوّليــةِ هــذا أو لَهُ نِعَـم[1]
مَن يعرِف الله يعرِفْ أوّليّةَ ذا * فالدينُ من بيتِ هذا ناله الأمم

حبس هشام للفرزدق بسبب مدحه للحسين ثم عفوه عنه

١٠ فحبسه هشام فقال الفرزدق :

أيحبسنى بين المدينــة والتى * إليها قلوبُ الناس يَهوِى مُنيبها
يُقلِّب رأسًا لم يكن رأسَ سيدٍ * وعينًا له حَولاءَ بادٍ عيوبُهــا

فبعث إليه هشامٌ فأخرجه ، ووجّه إليه علىُّ بن الحسين عشرةَ آلاف درهم وقال : اعذِرْ يا أبا فراس ، فلو كان عندنا فى هــذا الوقت أكثرُ من هــذا لوصَلْناك به .
١٥ فردّها وقال : ما قلت ما كانَ إلا لله ، وما كنتُ لأرزأ عليه شيئا . فقال له علىّ : قد رأى الله مكانَكَ فشكرك ، ولكنّا أهــلُ بيت إذا أنفــذنا شيئًا ما نرجع فيــه . فأقسم عليه فقبِلها .

الخلاف فى نسبة الشعر السالف

ومن الناس أيضا من يروى هــذه الأبياتَ لداود بن سَلْمٍ فى قُثَم بن العباس ، ومنهم من يرويها لخالد بن يزيد فيه ؛ فهى فى روايته :

٢٠ (١) الأوّلية : مفاخر الآباء والأجداد . والمراد أصحاب المفاخر من آبائه . انظر اللسان (وأل) .

كم صارخٍ بك من راجٍ وراجيةٍ * يرجوك يا قُثَمَ الخيراتِ يا قُثَمُ
أىُّ العمائر ليست فى رقابهمُ * لأوّليّةِ هذا أو له نِعَمُ [1]
فى كفّه خيزرانٌ ريحُها عَبِقٌ * من كفّ أروعَ فى عِرنينه شَمَمُ
يُغضِى حياءً ويُغضَى من مهابته * فما يُكلَّم إلا حينَ يبتسِمُ

٧٩ / ١٤

٥ وممن ذكر لنا ذلك الصولى عن الغلابى عن مَهدىّ [2] بن سابق، أنّ داود بن سلم قال هذه الأبيات الأربعة سوى البيت الأوّل فى شعره فى على بن الحسين عليه السلام.

وذكر الرياشى عن الأصمعى أنّ رجلاً من العرب يقال له داود وقف لقثم فناداه وقال :

يكاد يُمسكه عِرفانَ راحتِه * رُكنُ الحطيم إذا ما جاء يستلمُ
١٠ كم صارخٍ بك من راجٍ وراجيةٍ * فى الناس يا قثمَ الخيراتِ يا قثمُ

فأمر له بجائزة سنية .

والصحيح أنّها للحزين فى عبدالله بن عبد الملك . وقد غلط ابن عائشة فى إدخاله البيتين فى تلك الأبيات . وأبيات الحزين مؤتلفة منتظمة المعانى متشابهة ، تنبئ عن نفسها . وهى :

١٥ الله يعلمُ أنْ قد جُبت ذا يمنٍ * ثمّ العراقَين لا يَثنينى السّأمُ
ثم الجزيرةَ أعلاها وأسفلَها * كذاك تَسرى على الأهوال بى القدمُ
ثم المواسمَ قد أوطنْتُها زمنًا * وحيث تُحلَق عند الجمرة اللِّمَمُ
قالوا دِمشقُ يُنبّيك الخبيرُ بها * ثم ائتِ مصرَ فثمَّ النائلُ العَمَمُ
لمّا وقفت عليها فى الجموع ضُحًى * وقد تعرّضتِ الحُجّابُ والخدمُ

٢٠
(١) العمائر : جمع عمارة ، وهى الحى العظيم ، أو هى أصغر من القبيلة .
(٢) كذا فى أ ، م ، ها ، مب . وفى حـ : « العلا » وسائر النسخ : « العلاف » .

حَيَّيته بسَــلامٍ وهو مرتفــقٌ * وضجَّــةُ القومِ عنــد الباب تزدحمُ
فى كفّه خيزُران ريحُها عبِــقٌ * من كفّ أروعَ ، فى عِرنينه شمَمُ
يُغضِى حيـاءً ويُغضَى مِنْ مهابته * فــا يكلَّــم إلّا حيــن يبتسمُ
ترى رءوسَ بنى مَرْوانَ خاضعةً * يمشُون حولَ ركابَيه وما ظلموا
٥ إنْ هشَّ هشُّوا له واستبشَروا جذَلا * وإنْ همُ آنسوا إعراضَه وجَموا (١)
كلتا يديه ربيعٌ عنــد ذى خُلُف * بحرٌ يفيض وهادِى عارضٍ هزِم (٢)

ومن الناس من يقول : إن الحزينَ قالهـا فى عبد العزيز بن مروان ، لذكره دمشق ومصر . وقد كان ثَمّ عبدُ الله بن عبد الملك أيضًا فى مصر ، والحزين بها .

أخبرنى الحرمى قال : حدّثنـا الزبير قال حدّثنى محمــد بن يحيى أبو غسان
١٠ عن عبد العزيز بن عمران (٣) الزهرى قال :

وفود الحزين على عبد الله ابن عبد الملك وإهداؤه غلاما له

وفد الحزين على عبدالله بن عبدالملك ، وفى الرقيق أخَوانِ ، فقال عبدُ الله للحزين : أىُّ الرقيق أعجبُ إليك ؟ قال : ليختَرْ لى الأمير . قال عبد الله : قد رضيتُ لك هذا — لأحدهما — فإنّى رأيتُه حسنَ الصلاح . قال الحزين : لا حاجة لى به فأعطنى أخاه . فأعطاه إياه . قال : والغــلامان مزاحمٌ مولى عمر بن عبد العزيز ، وعــم
١٥ أبو محمد بن تميم ، وهو الذى اختاره الحزين . قال : فقال فى عبد الله يمدحه :

* الله يعلم أنْ قد حَيِّيتَ ذا يمن (٤) *

وذكر القصيدة بطولها على هذا السبيل .

(١) حـ ، أ ، م : « إن يمشى يمشوا » تحريف . (٢) حـ : « عند ذى خلق » . الهادى : المقدّم . والعارض : السحاب يعترض الأفق . والهزم : المتبعق الذى لا يستمسك .

٢٠ (٣) عبد العزيز بن عمران الزهرى ، ترجم له فى تهذيب التهذيب ، وذكر ممن روى عنــه أبا غسان محمد بن يحيى الكنانى . م ، أ : « بن عمران أن الزهرى » وفى سائر النسخ : « بن عمر أن الزهرى » والوجه ما أثبت . (٤) ب ، س : « أن قد جبت » .

أخبرنى وكيع عن محمد بن على بن حمزة العلوى قال: حدّثنا أبو غسان دَماذ، عن أبى عبيدة قال :

خبر الحزين مع صفوان الطائف

كان على المدينــة طائفٌ يقال له صفوان ، مولى لآلِ مَخرمةَ بن نوفل، فجاء الحزينُ الدّيلى إلى شيخ من أهل المدينة فاستعاره حماره(١) وذهب إلى العقيق فشرب، وأقبــل على الحمار وقد سكِر، فجاء به الحمارُ حتّى وقف به على باب المسجد كما كان صاحبُه عوّده إياه، فمرّ به صــفوانُ فأخذه فحبسه وحبس الحمار ، فأصبح والحمارُ محبوسٌ معه . فأنشأ يقول :

٨٠ / ١٤

أيا أهل المدينــة خبِّرونى * بأىِّ جريرة حُبِس الحمــارُ

فما للعَير من جُرمٍ إليكم * وما بالعير إنْ ظُلِم انتصارُ

فردّوا الحمــار على صاحبه ، وضربوا الحزينَ الحــدّ ، فأقبل إلى مولى صفوان وهو فى المسجد فقال :

نشــدْتُك بالبيت الذى طِيفَ حولَه * وزمزمَ والبيتِ الحـــرامِ المحجّبِ

لِزانيــةٍ صفوانُ أم لعفيفــةٍ * لأعــلمَ ما آتى وما أتجنّب(٢)

فقال مولاه : هو لِزانية . فخرج وهو ينادى : إنّ صفوان ابن الزانية ! فتعلّق به صفوانُ فقال : هذا مولاك يشهدُ أنك ابنُ زانية . فخلّى عنه .

نصيحته لابن عم فى عدم زواجه من امرأة وما قال فى ذلك

وقال محمد بن على بن حمزة: وأخبرنى الرياشى أنّ ابن عمٍّ للحزين استشارَه فى امرأةٍ يتزوّجها، فقــال له : إن لها إخوةً مشائيم وقد ردّوا عنهــا غيرَ واحد، وأخشى أن يردّوك فتُطْلِقَ عليك ألسُنًا كانت عنكَ خُرْسًا . فخطبها ولم يُقبل منه فردّوه، فقال الحزين :

(١) يقال استعاره ثوبا فأعاره إياه ، يتعدى إلى اثنين . مب ، ها : « فاستعار » . حـ : « فاستعاذه » وهذا تحريف .

(٢) فى البيت إقواء .

نهيتُك عن أمرٍ فلم تَقبـل النُّهَى * وحذَّرتك اليومَ الغُواةَ الأشائمـا[1]

فصرتَ إلى ما لم أكنْ منه آمنـا * وأشمتَّ أعدائى وأنطقتَ لائمـا

وما بهمُ مِن رغبةٍ عنك قلْ لهم * فإن تسـألونى تسألوا بِىَ عالمـا[2]

نسخت من كتاب لعلى بن محمد الشامى[3] : حدّثنى أبو علّم . ولم يتجاوزه .

وأخبرنى عيسى بن الحسـن قال : حدّثنا سليمان بن أبى شـيخ قال : حدّثنى عمر بن سلام مولى عمر بن الجعّاب[4] :

شعره فى هجاء سهيل أبى عبدالرحمن ومدح سفيان ابن عاصم

أنّ الحزين الديلى خرجَ مع ابنٍ لسهيل بن عبد الرحمن بن عوف، إلى منتزهٍ لهم، فسكر الحزينُ وانصرف، فبات فى الطريق وسُلِب ثيابَه، فأرسل إلى سُهيلٍ يخبره الخبرَ ويستمنحه فلم يمنحْه، وبلغ الخبرُ سفيانَ بن عاصم بن عبـد العزيز بن مروان فأرسل إليه بجميع ما يحتاج إليه، وعوضه ثمنَ ثيابه، فقال الحزينُ فى ذلك :

هَلّا سُهيلًا أشبهتَ أو بعض أعمْا * مك يا ذا الخـلائق الشكسهْ[5]

ضيَّعتَ ندمانك الكريمَ ولم تُنْـ * ـفِقْ عليـه من ليـلةٍ نَحِسه

ثم تعـالَلتَ إذْ أتاك لـه * صُبحًا رسولٌ بعـلّةٍ طفسه[6]

لكنّ سفيانَ لم يكن وَكَلًا * لمّـا أتتنـا صِـلاتُه سلِسه[7]

سمـا به أروعٌ ونفسُ فـتًى * أروعَ ليست كنفسك الدنِسـه

(١) النهى : جمع نهية، بالضم، وهى اسم من النهى .

(٢) فى بعض الأصول : « تسألونى عالما » .

(٣) ب، س : « الساعى » مب : « السامى » .

(٤) مب، ها : « مولى عمر بن الخطاب » .

(٥) ما، فى هذا زائدة .

(٦) الطفسة : القذرة .

(٧) الوكل، بالتحريك : الضعيف العاجز الذى يتكل على

حدّثنا الصولى قال : حدّثنا ثعلب قال حدّثنى عبد الله بن شبيب قال :

هجاؤه لبنى كعب حين ضحكوا عليه

مرّ الحزين الدّيلى على مجلس لبنى كعب بن خُزاعة وهو سكران ، فضحكوا عليه ، فوقف عليهم وقال :

لا بارك الله فى كعب ومجلسهم * ماذا تجمّع من لؤم ومن ضَرَع[1]

لا يدرُسون كتابَ الله بينهمُ * ولا يصومون من حِرص على الشبع

فوثب إليه مشايخُهم فاعتذروا منه، وسألوه الكفّ وأن لا يزيد شيئا على ما قاله ، فأجابهم وانصرف .

أخبرنى الحرمى قال : حدّثنا الزبير قال : حدّثنا عمرو[2] بن أبى بكر المؤمّلى قال : حدّثنى عبد الله بن أبى عبيدة قال :

٨١ / ١٤

الحزين يضرب على كل قرشى درهمين ويأبى إلا أن يهجو كثيرا

كان الحزين قد ضرب على كلّ رجلٍ من قريش درهمين درهمين فى كلّ شهر، منهم ابن أبى عَتيق، فجاءهُ لأخذ دِرهميه وهو على حمارٍ أعجف ، قال : وكثيّر مع ابن أبى عتيق ، فدعا ابن أبى عتيق للحزين بدرهمين فقال له الحزين : مَن هذا معك ؟ قال : هذا أبو صخر كثيّر بن أبى جمعة . قال : وكان قصيرًا دميما، فقال له الحزين : أتأذن لى أن أهجوَه ببيت ؟ قال : لا لعمرى لا آذنُ لك أن تهجو جليسى، ولكن أشترى عرضَه منك بدرهمين آخرين . ودعا له بهما، فأصغَى ثم قال : لابدّ لى من هجائه ببيت . قال : أوَ أشترى ذلك منك بدرهمين آخرين ؟ ودعا له بهما فأخذهما وقال : ما أنا بتاركه حتّى أهجوَه . قال : أو أشترى ذلك منك بدرهمين آخرين ؟ فقال له كثير : ائذن له ، وما عسى أن يقول فىّ؟! فأذن له ابن أبى عتيق فقال :

(١) الضرع : الذل والمهانة . (٢) حـ، مب ، ها : « عمر » .

قصير القميص فاحش عند بيته * يَعَضُّ القُراد باسْتِه وهو قائمُ

شجاره مع كثير

فوثب كثيِّر إليه فوكَزه[1] فسقط هو والحمار، وخلّص ابن أبى عتيق بينهما وقال لكثير: قَبَحك الله أتأذن له وتبسط إليه يدك . قال كثيِّر : وأنا ظننته يبلغ فى هذا كلّه فى بيتٍ واحد !

٥ ولكثير مع الحزين أخبار أخر قد ذُكرت فى أخبار كثيّر .

أخبرنى الحرمى قال : حدّثنى عمى عن الضحاك بن عثمان قال : حدّثنى ابن عُروة[2] بن أذينة قال :

جزعه لبيع قينة أخرجت عن المدينة

كان الحزين صديقًا لأبى وعشيرًا على النبيذ، وكان كثيرًا ما يأتيه، وكان بالمدينة قَينةٌ يهواها الحزينُ ويُكثِر غِشيانَها ، فبيعت وأُخرجت عن المدينة،

١٠ فأتى الحزينُ أبى وهو كئيبٌ حزين كاسِف ، فقال له أبى : مالك يا أبا حكيم ؟ قال : أنا والله يا أبا عامر كما قال كثيّر :

لعمرى لئن كانَ الفؤادُ من الهوى * بَغَى سقَمًا إنى إذًا لسقيمُ[3]

سألت حكيما أين شطّت بها النوى * فخبّرنى ما لا أحبُّ حكيم

فقال له أبى : أنت مجنونٌ إن أقمتَ على هذا .

١٥ أخبرنى أحمد بن سليمان الطوسى قال: حدّثنا الزُّبير قال: حدّثنى مصعب قال:

---

(١) وكزه : دفعه وضربه . مب ، ها ، ف : « فلكزه » . حـ ، أ ، م : « فذكره » ، وهذه محرفة .

(٢) ما عدا حـ، مب ، « ابن أبى عروة » ، محرف .

(٣) بغاه يبغوه و يبغيه : أصاب منه ونال . قال :

٢٠ صحا القلب بعد الإلف وارتد شأوه * وردت عليه ما بغته تماضر

حـ : « نبى » أ ، م : « نغى » ، صوابهما فى س ، ب . مب ، ها ، ف : « بغى » .

مديحه لجعفر ابن محمد حين كساه ليزور عبد الله ابن عبد الملك

مرّ الحزينُ على جعفر بن محمد بن عبد الله بن نوفل بن الحارث، وعليه أطمارٌ، فقال له : يا ابنَ أبى الشعثاء ، إلى أين أصبحتَ غادياً ؟ قال : أمتع الله بك ، نزل عبدُ الله بن عبد الملك الحرّةَ يريد الحجّ، وقد كنت وفدتُ إليه بمصرَ فأحسنَ إلىّ . قال : أفما وجدتَ شيئاً تلبسُه غير هذه الثياب؟ قال : قد استعرت من أهل المدينة فلم يُعِرنى أحد منهم غير هذه الثياب . فدعا جعفرٌ غلاماً فقال : ائتنى بجبّة صوف ، وقميص ورداء . فجاء بذلك فقال : أَبْلِ وأخلِقْ . فلما ولّى الحزينُ قال جُلساء جعفرٍ له : ما صنعتَ ؟ ! إنّه يَعمِد إلى هذه الثياب التى كسوتَه إيّاها فيبيعها ، ويُفسد ثمنها . قال : ما أبالى إذا كافأتُه بثيابه ما صنعَ بها . فسمع الحزينُ قولَهم وما ردّ عليهم ، ومضى حتّى أتى عبدَ الله بن عبد الملك فأحسنَ إليه وكساه . فلما أصبح الحزينُ أتى جعفراً ومعه القومُ الذين لاموه بالأمس وأنشده:

وما زال ينمو جعفرُ بنُ محمّدٍ * إلى المجد حتّى عَبَّلتَهُ عواذله (١)
وقُلن له هل من طريفٍ وتالدٍ * من المال إلاّ أنت فى الحقّ باذله (٢)
يُحاولنَه عن شيمةٍ قد علِمنَها * وفى نفسه أمرٌ كريمٌ يُحاوله (٣)

ثم قال له : بأبى أنتَ وأمى، سمعتُ ما قالوا وما رددتَ عليهم .

٨٢ / ١٤

أخبرنى الحرمى قال حدّثنا الزبير قال حدّثنى محمد بن الضحاك عن أبيه قال:

هجاؤه لأبى بعرة

صحبَ الحزينُ رجلاً من بنى عامر بن لؤىّ يلقب أبا بعرة، وكان استُعمل على سِعايات (٤) فلم يصنعْ إليه خيراً (٥)، وكان قد صحب قبله عَمرو بن مُساحق وسعد بن نوفل فأحمدهما (٦)، فقال له :

(١) عبلته : تركته وأهملته . ف، مب : « جهلته » . (٢) الحق : واحد الحقوق ، ما يحق على المرء ويجب . (٣) فى الأصول ما عدا مب، ها، ف : « قد علمتها » بالتاء .
(٤) السعاية : العمل على الصدقات . ب، س : « فلم يصنع معه خيرا » .
(٥) حـ، أ، م : « عمرو بن مساحق » فقط . (٦) أحمد فلانا : رضى فعله ومذهبه . ب، س : « فحمدها »، وسائر النسخ : « فأحمدها » .

صحِبتُك عامًا بعد سَـعدِ بن نوفلٍ * وعمرٍو فما أشبهتَ سعدًا ولا عمرا

وجادًا كما قصّرت فى طلب العلا * فحُـزتَ به ذمًّا وحازا به شـكرا

أبو بعرة وابن أبي عتيق

قال : وأبو بعرة هذا هو الذى كان يعبث[1] بجاريةٍ لابن أبى عتيق، فشكته إليه فقال لها : عِديه فإذا جاءك فأدخليه إلىّ . ففعلتْ فأدخلته عليه، وهو وشيخ من نظرائه جالسان فى حَجَلة[2]، فلما رآهما قال : أقسم بالله ما اجتمعتما إلّا على ريبة . فقال له ابن أبى عتيق : استُر علينا سـتَرَ الله عليك .

قال : وآل أبى بعرة هم موالى آل أبى سمير . قال : فلما ولِىَ المهدىُّ باعوا ولاءهم منه .

بقية هجو الحزين لأبي بعرة

قال الزبير : وأنشدنى عمى تمـامَ الأبياتِ التى هجـا بها أبا بعرة — وسمّاه لى فقال : وكان اسمه عيسى — وهى :

أولاك الجعادالبيض من آل مالكٍ * وأنتم بنـو قَينٍ لحقتم به نَزْرا

— نصب « نزرا » على الحال، كأنه قال : لحقتم به نزرًا قليلا من الرجال —

تسـوق بيعورا أمـيرا كأنمـا[3] * تسـوق به فى كلّ مَجمعـةٍ وبرا

فإن يكن البيعـور ذمّ رفيقَـه * قـراه فقـد كانت إمارتُه نكرا

ومتبِّع البيعـور[4] يرجُـو نوالَه * فقد زاده البيعورُ فى فَقـره فقـرا

(١) فى جمهور الأصول : « يبعث » ، والوجه ما أثبت من س، ش، ف .

(٢) الحجلة : بيت كالقبة يستر بالثياب .

(٣) كذا فى م، مب . وهو عبث باسمه « أبو بعرة » . وفى حـ، أ : « بيعورا » وفى ها، ف : « بيقورا » وفى س، ب : « بغبورا » ، و بغبور، بالضم : لقب ملك الصين، وليس مرادا . ف « دبرا » . وفى سائر النسخ ماعدا مب : « زبرا » تحريف . والوبر : دويبة على قدر السنور من دواب الصحراء حسنة العينين شديدة الحياء، يشبه بها الرجل تحقيرا له . انظر اللسان (وبر) .

(٤) كذا فى م، مب . وفى حـ، أ : « البيغور » وفى ها، ف : « البيقور » ، وفى س، ب : « البغبـور » .

أخبرنى الحرمى قال : حدّثنى الزبير قال : حدّثنى صالح ، عن عامر ابن صالح قال :

مدح الحزينُ عمرو بن عمرو بن الزبير فلم يُعطه شيئا .

وأخبرنى بهذا الخبر عمى تامًّا واللفظ له ، ولم يذكر الزبير منه إلّا يسيرا ، قال : حدّثنا الكُرانى قال : حدّثنا العمرى قال : حدّثنى عطاء بن مصعب ، عن عاصم ابن الحدثان قال :

هجاء الحزين لعمرو بن عمرو ابن الزبير

دخل الحزين على عمرو بن عمرو بن الزُّبير بن العوام منزلَه ، فامتدحَه وسأله حاجةً ، فقال له : ليس إلى ما تطلبُ سبيل ، ولا نقدر أن نملأ الناس معاذيرَ ، وما كلُّ مَن سألَنا حاجةً استحقّ أن نقضيها ، ولرُبَّ مستحقٍّ لها قد منعناه حاجتَه . فقال الحزين : أفمِنَ المستحقِّين أنا ؟ قال : لا والله ، وكيف تكون مستحقًّا لشيء من الخير وأنت تشتم أعراضَ الناس[1] وتهتك حريمَهم ، وترميهم بالمُعضِلات ، إنّما المستحق من كفَّ أذاه ، وبذل نداه ، ووقَمَ[2] أعداه . فقال له الحزين : أفمن هؤلاء أنت ؟ فقال له عمرو : أين تُبعِدنى لا أمّ لك من هذه المنزلة وأفضلَ منها ! فوثب الحزينُ من عنده وأنشأ يقول :

حَلفتُ وما صبَرتُ على يمينٍ * ولو أُدعى إلى أيمانِ صبرِ[3]
بربِّ الراقصاتِ بشُعثِ قومٍ[4] * يُوافون الجِمارَ لصُبحِ عشرِ
لوَ انَّ اللؤمَ كان مع الثريّا * لكان حليفَه عمرُو بنُ عمرو
ولو أنّى عرفتُ بأنّ عمرًا * حليفُ اللؤمِ ماضيّعت شِعرى

(١) بعده سقط فى سب ، ما ينتهى فى ص ٣٤٠ . (٢) الوقم : الإذلال والقهر . ماعدا ح : « وأرغم أعداه » . (٣) ف : « حلفت يمين صبر » . (٤) الراقصات : الإبل ترقص فى سيرها ، وهو ضرب من الخبب . شعث : جمع أشعث . ماعدا ح : «بشعب قوم» تحريف .

هجاؤه لعمرو بن عمرو ومديحه لمحمد بن مروان

فقال العمرى : وحدّثنى لقيطٌ أنّ الحزين قال فيه أيضا يهجُوه ويمدح محمد ابن مروان بن الحكم، وجاءه فشكا إليه عَمرًا، فوصله وأحسن إليه . قال :

٨٣ / ١٤

إذا لم يكنْ للمرء فضلٌ يَزِينُه * سوى ما ادَّعَى يوما فليس له فَضلُ

وتَلقَى الفتى ضخمًا جميلا رُواؤه * يَرُوعك فى النَّادى وليس له عقلُ

٥ وآخرُ تنبو العينُ عنه مهذَّب * يجود إذا ما الضَّخمَ نَهْنَهَهُ البخل

فيا راجيًا عمرو بنَ عمرٍو وسَيبَه * أتعرف عمرًا أم أتاهُ بك الجهل (١)

فإن كنتَ ذا جهلٍ فقد يُخطِئ الفتى * وإن كنتَ ذا حزمٍ إذًا حارت النَّبل (٢)

جهِلتَ ابنَ عمروٍ فالتمس سيبَ غيره * ودونك مرمًى ليس فى جدّه هزلُ

عليك ابنَ مروان الأغرَّ محمّدًا * تجِدْه كريمًا لا يطيش له نَبلُ

١٠ قال لقيط : فلما أنشد الحزينُ محمد بن مروان هذا الشّعرَ أمر له بخمسة آلاف درهم، وقال له : اكفُف يا أخا بنى ليث عن عمرو بن عمرو ولك حكمُك . فقال : لا والله ولا بحُمْرِ النَّعَم وسُودِها، لو أُعطيتها ما كففتُ عنه، لأنه ما علمتُ كثيرُ الشرِّ، قليل الخير، متسلِّط على صديقه، فَظٌّ على أهله . « وخير ابن عمرو بالثريا معلق » .

استثاره محمد بن مروان فهجا عمرو بن عمرو

١٥ فقال له محمد بن مروان : هذا شعر . فقال : بعد ساعةٍ يصير شعرًا، ولو شئت لعجّلته . ثم قال :

شرُّ ابنِ عمرٍو حاضرٌ لصديقه * وخَيرُ ابن عمرٍو بالثريّا معلَّقُ

ووجهُ ابنِ عمرٍو باسرٌ إن طلبته * نوالًا إذا جاد الكريم الموفّق (٣)

---

(١) أى أتى بك الجهل إليه . (٢) كذا فى م ، أى ضلت سهامك سبيل القصد . وفى أ : « حازت » . وفى سائر النسخ : « جازت » . (٣) بسر بسورا : كلح .

٢٠

فبئس الفتى عمرو بن عمرو إذا غدَتْ * كتائب هيجاء المنيّـــة تبرق (١)

فلا زال عمـرٌو للبـــلايا دريّةً * تبـاكره حتّى يموت وتطـرق (٢)

يهِز هريرَ الكلب عمرٌو إذا رأى * طعامًا فما ينفـكّ يبكى ويَشهَقُ

قال : فزجره محمد عنـه ، وقال له : أفٍّ لك ، قـد أكثرتَ الهجاء ، وأبلغت فى الشّتيمة . ٥

قال العمرى : وحدّثنى عطاء بن مصعب عن عبد الله بن الليث الليثى، قال :

أبيات أخرى فى هجائه لعمرو بن عمرو

قال الحزين الدّيلى يهجو عمرو بن عمرو بن الزبير :

لعمرك ما عمرو بن عمرٍو بماجدٍ * ولكنّه كزّ اليدينِ بخيـــلُ

ينـام عن التقوى ويُوقظه الخنا * فيخبطُ أثنـاءَ الظلام يجـــولُ (٣)

فلا خَـير فى عمـرٍو لجارٍ ولا له * ذِمامٌ ولكنْ للئـام وصولُ (٤) ١٠

مواعيـدُ عمرٍو تُرَّهاتٌ ووجهُـه * على كلّ ما قد قلت فيه دليـل

جبانٌ وفحّاشٌ لئـيمٌ مذمَّمٌ * وأكذبُ خَلقِ الله حين يقول

كلام ابنِ عمرٍو صُوفةٌ وسطَ بلقع * وكفُّ ابنِ عمرٍو فى الرَّخاء تطول (٥)

[وإن حَزَبته الحازباتُ تَشنَّجتْ * يداه ورمحٌ فى الهَيـاج كليـلُ] (٦)

فبلغ شعرُه عمرًا فقال : ماله لعنَه الله ولعن مَن ولده، لقـد هجانى بنيّة صادقة ١٥ ولسان صَنَع ذَلْق ، وما عدَانى إلى غيرى . قال: فلقِىَ الحزين عروة بن أذينة الليثى فأنشده هذه الأبيات فقال له : وَيحك ، بعضُها كان يكفيكَ ، فقد بنيتَها ولم تُقِمْ

تعليـق عروة بن أذينة على هـذا الهجاء

(١) فى جميع الأصول ما عدا ف : « فنفس الفتى » ، تحريف . (٢) الدرية : مسهل الدريئة ، وهى الحلقة يتعلم الطعن والرمى عليها . تطرق : تجيئه ليلا . (٣) هـذا ما ف . وفى سائر النسخ : « فسول » ولعلها « نسول » من النسلان ، وهو الإسراع فى المشى . ٢٠

(٤) ما عدا ف : « فلا بشر من عمرو » تحريف . (٥) ب ، س : « الرخال » ، وهى جمع رخل ، وهى الأنثى من ولد الضأن . (٦) التكملة من ف .

أوَدَها ، وداخلتُها وجعلتَ معانيها فى أكَمّتها . قال الحزين : ذلك والله أرغبُ للناس فيها . فقال له عروة : خيرُ النـاس من حَلُم عن الجهّال، وما أراه إلا قد حَلُم عنك . فقال الحزين : حلُم والله عنّى شاءَ أو أبى، برغمه وصَغَره[1] .

قال العمرى : حدّثنا عطاء عن عاصم بن الحدثان قال :

هجاؤه لبنى الزبير ما عدا بنى مصعب

لقى شُبّانٌ من ولد الزّبير الحزينَ ، فتناولوه بألسنتهم ، وهمّوا بضربه ، فحال بينهم و بينه ابنٌ لمُصعب بن الزبير[2]، فقال الحزينُ يهجوهم و يهجو جماعةً من بنى أسد ابن عبد العُزّى ، سوى بنى مصعب الذين منعوهم منه ، قال :

لحا الله حيًّا من قُريش تحالفوا * على البُخل بالمعروف والجود بالنُّكْرِ

فصاروا لخلق الله فى اللؤم غاية * بهم تضرب الأمثال فى النثر والشعرِ

فيا عمرو لو أشبهت عمرا ومصعبا * حُمدتَ ولكنْ أنت مقبضُ البِشرِ

بنى أسد، سادَتْ قريشٌ بجودها * معدًّا وسادتْكُمْ معـدٌّ يَدَ الدّهرِ[3]

تجود قريشٌ بالنّـدى ورضيتمُ * بنى أسد باللُّؤم والذّلّ والغـدرِ

أعمرو بنَ عمرو، لست ممن تعدّه * قريشٌ إذا ما كاثَروا الناسَ بالفخرِ[4]

أبتَ لك يا عمرو بنَ عمرو دناءةٌ * وخُلْقٌ لئيم أن تَريش وأن تَبرِى

أخبرنى الحرمى قال : حدّثنا الزبير قال : حدّثنى محمد بن الضحاك الحزامى قال : حدّثنى أبى قال :

هجاؤه لعاصم بن عمرو حين لم يقره

كان الحزين سفيهاً نَذْلًا يمدح بالنّزْر إذا أُعطِيَه، و يهجو على مثله إذا مُنِع، فنزل بعاصم بن عمرو بن عثمان فلم يَقْرِه، فقال يهجوه بقوله .

(1) الصـغر ، بالتحريك : الذل والمهانة . (2) ما عدا ف : « بينهم و بينه مصعب ابن الزبير » ، تحريف . (3) يد الدهر ، أى طول الدهر . ب ، س : « مدى الدهر » . ف : « وسادتكم عليا معد » . (4) ما عدا ف : « هاتروا الناس » . والمعروف فى المهاترة أنها المسابة بالباطل من القول .

سيروا فقد جُنَّ الظّلامُ عليكمُ (١) * فباستِ الذى يرجو القِرى عند عاصم

ظَلِلنا عليه وهو كالتّيس طاعماً (٢) * تَشُدّ على أكبادنا بالعمائم

ومالى من ذنبٍ إليه علمتُه * سوى أنّنى قد جئتُه غيرَ صائم

فقيل له : إنّ عاصم كثيرًا ما تسمَّى به قريش . فقال : أمَا والله لأبيّننّه لهم فقال :

إليك ابن عثمان بن عفان عاصم بـ * ـنَ عمرو سرَتْ عَنْسِى (٣) نخابَ سُراها

فقد صادفَتْ كزَّ اليدَين مبخَّلا * جباناً إذا ما الحرب شُبَّ لظاها

بخيلًا بما فى رحلِه غير أنهُ * إذا ما خَلَتْ عِرسُ الخليل أتاها

أخبرنى الحرمى قال حدّثنا الزبير قال حدّثنى محمد بن الضحاك عن أبيه قال:

مديحه لهلال بن يحيى

قال الحزين لهلالِ بن يحيى بن طلحة قوله :

هلالُ بن يحيى غُرّةٌ لا خفَا بها * على الناس فى عُسرِ الزمان ولا اليُسرِ

وسعدُ بن إبراهيمَ ظُفرٌ موسَّخٌ * فهل يستريح (٤) الناسُ من وسَخَ الظفرِ

يعنى سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، وكان ولِىَ قضاءَ المدينة من هشام ابن عبد الملك ، فلم يُعطِ الحزينَ شيئاً فهجاه . وقال فيه أيضا :

أتيتُ هلالًا أرتجى فضْلَ سَيبه * فأفلتَنى ممّا أحبُّ (٥) هلالُ

هِلال بن يحيى غُرّةٌ لا خفا بها * لكلّ أُناسٍ غُرّةٌ وهلال (٦)

(١) يقال للقوم إذا استذلوا واستخف بهم : باست بنى فلان ، وهو شتم لهم . قال الحطيئة :

فباست بنى عبس وأستاه طيئٍ * وباست بنى دودان حاشا بنى نصر

حـ : «فاست» وفى معظم النسخ : «فأنت» ، والصواب ما أثبت من ف مطابقا لما فى البيان (٣ : ١٠٥) والبخلاء ١٨٥ ساسى . وقد نسب فى البخلاء إلى مصعب بن عمر الليثى . (٢) فى البيان والبخلاء : «دفعنا إليه وهو كالذيخ خاظيا» . ما عدا حـ ، ف : «فشد» ، تحريف . وكانوا يشدون على أوساطهم بالعمائم عند المجهدة . (٣) فى معظم النسخ : «عيسى» ، العيس : الإبل البيض يخالط بياضها شقرة . والأوفق «عنسى» كما أثبت من ف . والعنس : الناقة الصلبة . (٤) ف : «متى يستريح» . (٥) حـ ، ف : «بما أحب» . (٦) هنا ينتهى سقط مب ، الذى نبهت عليه فى ص ٣٣٦ .

صـــوت

ألم تَشهدِ الجونين والشِّعب ذا الصَّفا (١) * وكَرَّاتِ قَيس يوم دَيْرِ الجماجِمِ
تحرِّض يا بنَ القَين قيسًا ليَجعلوا (٢) * لقـومك يومًا مثـلَ يوم الأراقِمِ
بسـيفِ أبى رَغْوان سـيفِ مُجاشِعٍ * ضربتَ ولم تَضربْ بسيفِ ابنِ ظالمِ
ضربتَ به عنـد الإمام فأُرعِشَتْ * يداك وقالوا مُحدَثٌ غـير صارمِ

٨٥ / ١٤

الشعر لجرير، والغناء لابن محرز، ثقيل أول بالبنصر .

جرير يعير الفرزدق بضربة الرومى والخبر فى ذلك

وهـذه الأبياتُ يقولها جريرٌ يهجو الفرزدق ، ويعـيِّره بضربةٍ ضربَها بسيفه رجلًا من الروم ، لحضره سليمان بن عبد الملك فلم يَصنعْ شيئا .

حدّثنا بخبره فى ذلك محمّد بنُ العباس اليزيدى قال : حدّثنا سليمان بن أبى شيخ قال : حدثنـا صالح بن سليمان ، عن إبراهيم بن جبلة بن مَخْـرَمة الكندىّ ، وكان شيخًا كبيرا ، وكان من أصحاب عبد الملك بن مروان ، ثم كان من أصحاب المنصور ، قال : كنتُ حاضرًا سليمان بن عبد الملك .

وأخبرنا على بن سليمان الأخفش واليزيدى عن السكّرىّ عن محمد بن حبيب عن أبى عبيـدة ، وعن قتادة عن أبى عبيدة فى كتاب النقائض ، عن رؤبة ابن العجاج قال :

حَجَّ سليمانُ بنُ عبد الملك ومعه الشُّعراءُ ، وحججْتُ معهم ، فمرّ بالمدينة منصرفا فأُتِىَ بأسرى من الرُّوم نحـوٍ من أربعمائة (٣) ، فقعدَ سليمانُ وعنده عبـد الله بن الحسن

(١) حـ : « ذى الغضا » وفى سائر النسخ : « والغضا » تحريف . وأثبت ما فى مب ، ها ، ف والديوان ٥٦٣ والنقائض ٤٠٩ . وفى تفسير النقائض : « يعنى شعب جبلة » .

(٢) فى الأصول ما عدا مب ، ها ، ف : « لخرض بابن القين » تحريف . وفى الديوان ٥٦١ والنقائض ٤٠٠ : « تحضض يا ابن القين » .

(٣) فى معظم الأصول : « أربع » وصوابه من مب ، ها ، ف ، والنقائض ٣٨٣ .

ابن الحسَن[1] بن على عليهم السلام، وعليه ثوبان ممصَّران[2]، وهو أقربهم منه مجلسا، فادنَوْا إليه بِطْرِيقِهم وهو فى جامعةٍ[3]، فقال لعبد الله بن الحسن: قُمْ فاضرِب عنقه. فقام فما أعطاه أحدٌ سيفًا حتّى دفع إليه حَرَسِىٌّ سيفًا كليلا، فضربَه فأبانَ عنقَه وذراعَه، وأطَنَّ[4] ساعدَه وبعضَ الغُلّ. فقال له سليمان: اجلسْ فوالله ما ضربتَه بسَيفك ولكن بحسَبك[5]. وجعل يدفع الأسرى إلى الوجوه [و إلى الناس][6] فيقتلونهم، حتّى دفع إلى جريرٍ رجلًا، فدسَّتْ إليه بنو عبس سَيفًا قاطعا فى قِرابٍ أبيض، فضربَه فأبانَ رأسَه، ودفع إلى الفرزدق أسيرًا فدسَّت إليه القيسية سيفا كليلا، فضرب به الأسيرَ ضَرَباتٍ فلم يصنع شيئا. فضحك سليمانُ وضحِك الناس معه.

هذه رواية أبى عبيدة عن رؤبة.

وأمّا سليمان بن أبى شَيخ فإنّه ذكر فى خبره أنّ سليمان لمّا دَفَع إليه الأسيرَ دفعَ إليه سيفًا وقال له: اقتلْه به. فقال: لا بل أضربُه بسيف مُجاشِع، واخترط سيفَه فضربَه به فلم يُغْنِ شيئا، فقال له سليمان: أمَا والله لقد بقِىَ عليك عارُها وشنَارُها!

فقال جرير قَصيدتَه التى يهجوه فيها، ومنها الصوت المذكور، وأوّلها قوله:

ألَا حىِّ رَبْعَ المنزِلِ المتقادِمِ * وما حُلَّ مُذْ حَلَّتْ به أمُّ سالمِ

وهى طويلة. فقال الفرزدق:

---

(١) فى معظم الأصول: «الحسين» وصوابه فى مب، ها، ف، والنقائض وأنساب الخلفاء ٨.

(٢) ثوب ممصر: مصبوغ بحمرة خفيفة، أو بصفرة خفيفة.

(٣) الجامعة: الغل، لأنها تجمع اليدين إلى العنق.

(٤) أطنه: قطعه.

(٥) فى النقائض: «فقال سليمان: والله ما هو من جودة السيف أجاد الضريبة، ولكن بجودة حسبه وشرف مركبه».

(٦) التكملة من النقائض.

صـــوت

اعتذار الفرزدق عن ضربة الرومى وما قال من الشعر فى ذلك

فهل ضَربةُ الرُّومىِّ جاعلةٌ لكم * أبًا عن كُليبٍ أو أبًا مِثلَ دارمِ

كذاك سيوفُ الهندِ تَنْبو ظُباتُها * وتَقطع أحيانًا مَناط التمائم

ولا نَقتلُ الأسرى ولكنْ نفكُّهمْ * إذا أثقلَ الأعناقَ حملُ المَغارمِ

٥ ذكر يونس أنّ فى هذه الأبيات لحنًا لابن محرز ، ولم يجنِّسه .

وقال يعرِّض بسليمان ويعيِّرد بنبوِّ سيف ورقاءَ بنِ زهيرٍ العبسىِّ عن خالد بن جعفر — وبنو عبس أخوال سليمان — قال :

٨٦ / ١٤

فإنْ يكُ سيفٌ خانَ أو قدَرٌ أتى * بتعجيلِ نفسٍ حَتْفُها غير شاهدِ (1)

فسيفُ بنى عَبسٍ وقد ضَربوا به * نَبَا بيدَىْ ورقاءَ عن رأسِ خالدِ

١٠ كذاك سيوفُ الهند تنبو ظُباتُها * وتقطع أحيانًا مَناطَ القلائدِ

ورُوىَ هذا الخبرُ عن عَوانة بن الحكم، قال فيه :

إنّ الفرزدق قال لسليمان : يا أميرَ المؤمنين ، هبْ لى هذا الأسير . فوهبَهُ له فأعتقَه ، وقال الأبياتَ التى تقدّم ذِكرُها ، ثم أقبلَ على رُواته وأصحابه. فقال : كأنّى بابنِ المراغة وقد بلغه خَبرى فقال :

١٥ بسَيفِ أبى رَغْوانَ سيفِ مُجاشعٍ * ضَربتَ ولم تضرِبْ بسيفِ ابنِ ظالمِ

ضربتَ به عِندَ الإمام فأُرعِشَت * يداك وقالوا مُحْدَثٌ غيرُ صارمِ

قال : فما لبثنا غيرَ مدّةٍ يسيرة حتّى جاءتنا القصيدةُ وفيها هذان البيتان ، فعجبنا من فِطنة الفرزدق .

---

(1) فى معظم الأصول : « بتعجيل نفس » وظاهره أنه عكس المعنى ، ويمكن أن يحمل على أنه عجل بإحضاره على حين أن حتفه بعيد . وفى مب وف والديوان ١٨٦ : « بتأخير نفس » .
٢٠ وفى النقائض ٣٨٤ والعمدة (١ : ١٢٦) : « لتأخير نفس » . وفى الحيوان (٣ : ٩٧) : « لميقات يوم » .

وأخبرنى بهذا الخبر محمد بن خلف وكيع قال : حدّثنا محمد بن عيسى ابن حمزة العلوى، قال : حدّثنا أبو عثمان المازنى قال :

زعم جهم بن خلف أنّ رؤبة بن العجاج حدّثه . فذكر هذه القصيدةَ وزاد فيها .

قال : واستوهب الفرزدقُ الأسيرَ فوهبه له سليمان، فأعتقه وكساه، وقال قصيدَتَه التى يقول فيها :

ولا نقتلُ الأسرى ولكن نفكّهمْ * إذا أثقلَ الأعناقَ حملُ المغارمِ

قال : وقال فى ذلك :

تَباشَرُ يربوعٌ بنبوةِ ضربةٍ * ضربتُ بها بين الطُّلا والحراقد[1]

ولو شئتُ قدَّ السيفُ ما بين عُنْقه * إلى عَلَق بين الحجابَين جامدِ[2]

فإنْ يَنْبُ سيفٌ أو تراخَتْ منيّةٌ * لميقاتِ نَفْسٍ حتفُها غيرُ شاهدِ

فسيفُ بنى عبسٍ وقد ضَربوا به * نَبَا بيدَىْ ورقاءَ عن رأسِ خالدِ

قال : وقال فى ذلك :

أيَضحَكُ الناسُ أن أضحكتُ سيّدَهم * خليفةَ الله يُستَسْقَى به المطرُ

فما نبا السيفُ عن جُبنٍ ولا دَهَش * عند الإمام ولكنْ أُخّرَ القدرُ

ولو ضَربتُ به عمرًا مقلَّدَه * لخرّ جُثمانُه ما فوقَه شَعَرُ[3]

وما يقدِّم نفسًا قبل ميتَتِها * جَمعُ اليَدينِ ولا الصَّمصامةُ الذكَرُ

---

(١) الطلا : جمع : طلوة وطلية، وهى أصل العنق . والحراقد، جمع حرقدة، وهى عقدة الحنجور . حـ، أ، م : « الحرائد » مب، ها، ف : « الحدائد » س، ب : « المحارد »، والصواب ما أثبت .

(٢) فى النقائض ٣٨٤ :

ولو شئت قط السيف ما بين أنفه * إلى علق بين الشراسيف جامد

(٣) هذا البيت لم يرد فى النقائض .

خبر يوم الجونين

فأمّا يوم الجونين الذى ذكره جرير، فهو اليوم الذى أغار فيه عتيبة بن الحارث ابن شهاب على بنى كلاب، وهو يوم الرِّغام[1].

أخبرنى بخبره علىّ بن سليمان الأخفش ومحمد بن العباس اليزيدى، عن السكرى عن ابن حبيب، ودماذ عن أبى عبيدة وعن إبراهيم بن سعدان عن أبيه:

٥ أنّ عتيبةَ بن الحارث بن شهابٍ أغار فى بنى ثعلبة بن يربوع على طوائفَ من بنى كلابٍ يوم الجونين فاطّرد إبلَهم، وكان أنسُ بن العباس الأصمُّ، أخو بنى رِعلٍ من بنى سليم، مجاورًا فى بنى كلاب، وكان بين بنى ثعلبة بن يربوع وبين بنى رِعْل عهد: لا يُسفَك دم ولا يؤكل مال. فلمّا سمع الكلابيون الدّعوى: يال ثعلبة! يال عبيد! يال جعفر![2] عرفوهم، فقالوا لأنس بن العباس: قد عَرَفنا ما بين بنى رِعل وبنى ثعلبة

٨٧/١٤

١٠ ابن يربوع، فأدركهم فاحبسْهم علينا حتّى نلحق. فخرج أنسٌ فى آثارهم حتى أدركَهم، فلما دنا منهم قال عُتيبة بن الحارث لأخيه حنظلة: أغنِ عنّا هذا الفارس فاستقبله حنظلةُ فقال له أنس: إنّما أنا أخوكم وعَقيدُكم، وكنتُ فى هؤلاء القوم فأغرتم على إبلى فيما أغرتم عليه، وهو معكم. فرجع حنظلة إلى أخيه فأخبره الخبر فقال له: حيّاك الله، وهلم فَوَالِ إبلك[3]، أى اعزلْها. قال: والله ما أعرفها،

١٥ وبنو أخى وأهل بيتى معى وقد أمرتُهم بالركوب فى أثرى، وهم أعرفُ بها منّى. فطلع فوارس بنى كلاب فاستقبلَهم حنظلة بن الحارث فى فوارس فقال لهم أنس: إنّما هم بَنِىّ وبنو أخى[4]. وإنما يريثُهم لتلحق فوارسُ بنى كلاب. فلحقوا فحمل

(١) الرغام، بالفتح: رملة بعينها من نواحى اليمامة. وانظر العمدة ٢: ١٦٧.
(٢) فى الأصول: «قال ثعلبة قال عبيد قال جعفر»، صوابه فى النقائض ٤١٠.
٢٠ (٣) من الموالاة. فى معظم الأصول: «توال» وأثبت ما فى مب، ها، ف والنقائض.
(٤) فى معظم الأصول: «إنما هم منى وبنو أخى»، وأثبت ما فى مب، ها، ف والنقائض.

الحَوثَرة بن قيس بن جَزء بن خالد بن جعفر على حنظلة فقتَله[١] ، وحمَل لأمِ بن سَلَمة أخو بنى ضِبَارَى بن عبيد بن ثعلبة على الحوثرة هو وابن مُزنة[٢] أخو بنى عاصم بن عبيد ، فأسَراه ودفعاه إلى عتيبة فقتله صَبْرًا ، وهُزِم الكلابيّون ومضَى بنو ثَعلبة بالإبل وفيها إبلُ أنس ، فلم تُقِرَّ أنسًا نفسُه حتى اتبعهم رجاءَ أن يُصيب منهم غِرة وهم يسيرونَ فى شَجْراء[٣] . فتخلّف عتيبةُ لقضاء حاجته ، وأمسك برأس فرسه فلم يشعرْ إلاّ بأنس قد مرّ فى آثارهم . فتقدّم حتى وثب عليه فأسَره ، فأتى به عتيبةُ أصحابَه فقال بنو عبيدة : قد عرفنا أنّ لأم بن سلمة وابن مزنة[٢] قد أسرا الحوثرة فدفعاه إليك فضربت عنقه ، فأعقِبْهما[٤] فى أنس بن عبّاس ، فمن قَتَلْتَه خيرٌ من أنَس . فأبى عتيبةُ أن يفعل ذلك حتّى افتدَى أنسٌ نفسَه بمائتى بعير . فقال العبّاس ابن مرداس يعيِّر عتيبة بن الحارث بفعله :

تعيير العباس بن مرداس لعتيبة بن الحارث

كثُر الضَّجاجُ وما سمعتُ بغادرٍ * كعُتيبةَ بنِ الحارث بن شهابِ

جَلّلتَ حنظلةَ المَخانةَ[٥] والخنا * ودنِسْتَ آخرَ هذه الأحقابِ

وأسَرتمُ أنسًا فما حاولتمُ * بإسارِ جاركمُ بنى الميقابِ

— الميقاب : التى تلد الحمق . والوقْب : الأحمق — .

باستِ التى ولدتك واستِ معاشرٍ * تركوك تمرسهم من الأحسابِ[٦]

رد عتيبة بن الحارث عليه

فقال عتيبة بن الحارث :

---

(١) هذا ما فى مب وهـ ، ف ، والنقائض . وفى سائر النسخ : « فقتل » .

(٢) كذا فى النقائض مب ، ها ، ف « امرأته » . وفى أ ، حـ ، م : « مدية » وسائر النسخ « مدنة » .

(٣) الشجراء : الأرض الكثيرة الشجرة . وهذا ما فى مب، هد ، ف النقائض : « فى سخواء » ، وهى الأرض السهلة الواسعة . وفى سائر النسخ : « صحراء » .

(٤) فى معظم الأصول : « فأعفهما » تحريف . صوابه فى مب ، ها ، ف .

(٥) المخانة : الخيانة : وفى معظم الأصول : « المجانة » ، صوابه فى مب ، ها ، ف والنقائض ٤١١ .

(٦) تقدّم مثل هذا فى ص ٣٤٠ س ١ .

غدرتمْ غدرةً وغدرتُ أُخرى * فليسَ إلى توافينا سبيلُ
كأنّكمُ غداةَ بنى كلابٍ * ـ تفاقدتمْ ـ علىَّ لكم دليلُ

قوله : تفاقدتم ، دعاء عليهم أن يفقد بعضُهم بعضاً .

صوت

وبالغُفْر دارٌ من جميلةَ هيّجت * سوالفَ حُبٍّ فى فؤادكَ مُنْصِبِ[1]
وكنتَ إذا نامت بها غربةُ النوى * شديدَ القوَى لم تدرِ ماقولُ مِشْغَبِ[2]
كريمةُ حُرِّ الوجه لم تدعُ هالكاً * من القوم هُلْكاً فى غدٍ غيرِ مُعْقِبِ
أَسِيلةُ مَجرى الدمع خُمصانةُ الحشا * بَرُوقُ الثّنايا ذاتُ خَلْقٍ مُشرعَبِ[3]

الغُفْر[4] : منازل لقيس بالعالية . سوالف : مواضٍ . يقول : هيّجَتْ حبّاً قد كان ثُمّ انقطع . ومُنصِب : ذو نصب . ونأت ونامت وبانت[5] بمعنًى واحد ، أى بعدت . ومِشْغَب : ذو شغَبٍ عليك وخلافٍ فى حبها . ويروى : « مشعب » أى متعدّد يصرفك عنها . وقوله : « لم تدعُ هالكاً » أى لم تندبْ هالكاً هلكَ فلم يُخْلِف غيره

---

(١) الغفر ، بضم الغين وسكون الفاء : كثبان حمر عالية فى بلاد قيس ، كما فى معجم ما استعجم ، وقد استشهد بهذا البيت . وفى معظم الأصول : « وبالعقر » بالقاف ، صوابه فى المعجم وديوان طفيل ص ٢ ، مب ، ها ، ف .

(٢) فى معظم الأصول : « ما تركْ » ، صوابه من مب ، ها ، والديوان ص ٢ .

(٣) فى معظم الأصول : « بدور » ، وأثبت ما فى مب ، ها ، ف . وفى الديوان ص ٣ وسمط اللآلى ٥٤٥ : « برود » .

(٤) فى معظم الأصول : « العقر » . وانظر ما مضى قريبا .

(٥) فى معظم الأصول : « ونأيت » ولا وجه له . وأثبت ما فى مب ، ها ، ف .

ولم يُعْقِب . ومعنى ذلك أنها فى عددٍ وقوم يخلُف بعضُهم بعضًا فى المكارم ، لا كمن إذا إذا مات سيد قومها أو كريمٌ منهم لم يقُمْ أحد منهم مقامه . والمشرعب : الجسيم الطويل . والشَّرعبيّ : الطويل .

الشعر لطفيل الغنوى ، والغناء لجميلة[1] ثقيل أول بالوسطى عن الهشامى . وذكره حماد عن أبيه لها ولم يجنّسه . وروى إسحاق عن أبيه عن سياط عن يونس أنّ هذا أحسن صوتٍ صنعته جميلة .

(١) لعل فى اسمها ما دعا إلى اختيار هذه المقطوعة لطفيل فى غنائها .

نسب الطُّفَيل الغَنَوِىّ وأخباره

نسب طفيل الغنوى

قال ابن الكلبى : هو طفيـل بن عوف [بن كعب بن خلف](١) بن ضُبَيْس ابن خُليف(٢) بن مالك بن سعد بن عوف بن كعب بن غَنْم بن غَنِىّ بن أعصُر بن سعد ابن قيس بن عيلان .

٥ ووافقه ابن حبيب فى النسب إلا فى خلف [بن ضبيس](٢) فإنه لم يذكر خلفًا وقال : هو طفيل بن عوف بن ضبيس . قال أبو عبيدة : اسم غنىّ عمرو(٣)، واسم أعصُر منبه ، و إنما سُمِّىَ أعصُرَ لقوله :

قالتْ عُمَـيرةُ ما لرأسِـكَ بعد ما * فَقَـدَ الشبابُ أتَى بلونٍ منكَـرِ

أعُمَيرَ إنّ أباكِ غيَّرَ رأسَـه * مرُّ الليـالى واختـلافُ الأعصرِ

١٠ فسمِّى بذلك .

هو شاعر جاهلى فحل من أوصف العرب للخيل

وطفيلٌ شاعر جاهلى من الفحول المعدودين، و يكنى أبا قُرّان، يقال إنه من أقدم شعراء قيس . وهو [من](١) أوصف العرب للخيل .

أخبرنى هاشم بن محمد بن هارون بن عبد الله بن مالك أبو دُلَف الخُزاعىّ ، قال : حدّثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن قُريب الأنصارىّ قال : قال لى عمى :

نعات الخيل من الشعراء

١٥ إنّ رجلاً من العرب سمِـعَ الناسَ يتذاكرون الخيل ومعرفتها والبصَرَ بها، فقال : كان يقال إنّ طفيلاً رَكِبَ الخيلَ وليها لأهله ، و إنّ أبا دُوادٍ الأياديّ ملَكها لنفسه

(١) التكلة من مب ، ها ، ف . (٢) فى الديوان برواية السجستانى عن الأصمعى : «طفيل بن عوف بن ضبيس بن دليف بن كعب بن كعب بن عوف بن كعب بن جلان بن عثم بن غنى بن أعصر» . وفى ب ، س : « طفيل بن عوف بن خليف بن ضبيس » . (٣) ما عدا حـ ، مب ، ها ،

٢٠ ف : « عمر » ، تحريف .

ووليها لغيره، كان يليها للملوك ، وأن النابغة الجعدى لما أسلم الناسُ وآمنوا اجتمعوا وتحدّثوا ووصفوا الخيل، فسمع ما قالوه فأضافه إلى ما كان سمع وعرف قبل ذلك فى صفة الخيل . وكان هؤلاء نعاتَ الخيل .[1]

أخبرنى هاشم بن محمد قال حدّثنا عبد الرحمن، قال حدّثنى عمى قال :

كان طفيل أكبر من النابغة
كان طفيلٌ أكبرَ من النابغة ، وليس فى قيس فحلٌ أقدمَ منه .

اعتزاز معاوية به
قال : وكان معاوية يقول : خلُّوا لى طُفيلًا وقولوا ما شئتم فى غيره من الشعراء.

أخبرنى عبد الله بن مالك النحوى قال : حدّثنا محمد بن حبيب قال :

تلقيبه بطفيل الخيل
كان طفيلٌ الغنوى يسمّى « طُفيلَ الخيل » لكثرة وصفه إياها .

أخبرنى محمد بن الحسين الكندى خطيب مسجد القادسية ، قال : حدّثنى الرياشى قال : حدّثنى الأصمعى قال :

كان أهل الجاهلية يسمّون طفيلاً الغنوىّ « المحبِّر » ؛ لحُسْن وصْفه الخيل .[2]

أوصف العرب للخيل
أخبرنى على بن سليمان الأخفش قال : حدّثنى محمد بن يزيد قال : قال أبو عبيدة : طُفيلٌ الغنوىّ ، والنابغة الجعدىّ ، وأبو دُوَادٍ الإيادىّ ، أعلمُ العربِ بالخيل وأوصفُهم لها .

أعف بيت
أخبرنى عمى قال حدّثنا محمد بن سعد الكُرّانى قال : حدّثنا العمرى عن لقيط قال : قال قتيبة بن مسلم لأعرابىّ من غَنِىّ قدمَ عليه من خُراسان: أىُّ بيتٍ قالته العربُ أعفُّ ؟ قال : قولُ طفيلٍ الغنوىّ :

---

(١) ح ، أ ، م : « وروداها » ، تحريف . ف ، هد : « ورآها » .

(٢) ب ، س ، م : « يسمون طفيلا الغنوى طفيل الخيل لشدة وصفه الخيل » .

ولا أكونُ وِكاءَ الزاد أحبسه * لقد علمت بأنّ الزاد مأكولُ[1]

أجود بيت فى الحرب وفى الصبر

قال : فأىُّ بيتٍ قالته العرب فى الحرب أجْوَد ؟ قال : قول طفيل :

بحىٍّ إذا قيل اركبوا لم يقل لهم * عَواوِيرُ يخشَوْنَ الرَّدَى أين نَركبُ[2]

قال : فأىّ بيتٍ قالته العرب فى الصَّبر أجود؟ قال: قول نافع بن خليفة الغنوى :

٥ ومن خيرِ ما فينا من الأمر أنّنا * متى ما نُوافِ مَوطِنَ الصَّبر نصبرِ

قال : فقال قتيبة : ما تركت لأخوانك من باهلة ؟ قال : قول صاحبهم :

وإنا أُناسٌ ما تَزالُ سَوامُنا[3] * تنوِّر نيرانَ العدوِّ مَناسِمُه

وليس لنا حىٌّ نُضافُ إليهمُ * ولكن لنا عَودٌ شديد شكائمه

[حرامٌ وإن صَلَّيتَه ودَهنته * تأوُّده ما كان فى السيف قائمُه][4]

أبيات الصوت قالها طفيل فى وقعة أوقعها قومه بطيئ

١٠ وهذه القصيدة المذكورة فيها الغناء يَقولها طفيلٌ فى وقْعةٍ أوقعَها قومُه بطيئٍ ، وحربٍ كانت بينَه وبينهم .

وذكر أبو عمرٍو الشيبانىُّ والطُّوسىُّ فيما رواه عن الأصمعىّ وأبى عبيدة :

سبب وقعته بطيئ

أنَّ رجلًا من غنىّ يقال له قَيس النَّدامى[5]، وفَد على بعض الملوك، وكان قيسٌ سَيدًا جوادا، فلما حفَل المجلسُ أقبلَ الملك على مَن حضره من وفود العرب فقال:

١٥ لأضعَنّ تاجى على أكرمِ رجلٍ من العرب، فوضعه على رأسِ قيس واعطاه ما شاء،

(١) فى الديوان ٣٢ : «بنى لأعلم أن الزاد» . (٢) فى معظم الأصول : «يجى،» و«عواوين» صوابهما فى مب ، ف والديوان ص ٢٠ وفى الشعر والشعراء ٤٢٣ : «بخيل» . والعواوير: جمع عوار، كرمان ، وهو الضعيف الجبان السريع الفرار . (٣) نسب البيتان فى ملحق ديوان طفيل ص ٦٥ إليه ، مع أن النص هنا يقطع بأنهما لشاعر من باهلة .

٢٠ (٤) التكملة من مب ، هذ ، ف . (٥) فى معظم الأصول : «الدارى» ، صوابه فى مب ، وها ، ف ومعجم البلدان (رمان) وسمط اللآلى ٥٤٦ .

ونادمه مُدّة ، ثم أذن له فى الانصراف إلى بلده ، فلما قرُب من بلاد طيّئ خرجوا إليه وهم لا يعرفونه ،[فلقُوه برَمّان](١) فقتلوه ، فلما علموا أنّه قيس ندِموا لأياديه(٢) كانت فيهم ، فدفنوه وبنوا عليه بيتا . ثم إنّ طفيلا جمع جموعًا من قيس فأغارَ على طيّئ فاستاقَ من مواشيهم ما شاء ، وقتل منهم قتلى كثيرة . وكانت هذه الوقعة بين القنَان وشرقىّ سَلمى(٣) ، فذلك قول طفيل فى هذه القصيدة :

فذُوقــوا كما ذُقْنــا غَداةَ محجَّرٍ * من الغَيظ فى أكبادنا والتحوُّبِ(٤)

فبِالقتــلِ قَتْلٌ والسّــوامُ بمثله * وبالشَّلِّ شَــلُّ الغائط المتصوِّبِ(٥)

أخبرنى(٦) على بن الحسن بن على قال : حدّثنا الحارث بن محمد ، عن المدائنى ، عن سلمة بن محارب قال :

تمثل أعرابى ببيت من شعر طفيل حين شمت بالحجاج بن يوسف

لمّــا مات محمد بن الحجاج بن يوسف جزِعَ عليه الحجاجُ جزعًا شــديدا ، ودخل النّاسُ عليه يعزُّونه ويسلُّونه ، وهو لا يَسلُو ولا يزداد إلاّ جزَعًا وتفجُّعا ، وكان فيمن دخَلَ عليه رجلٌ كان الحجاج قتلَ ابنَه يومَ الزاوية ، فلما رأى جزعَه وقلّة ثَباته للمصيبة شمِتَ به وسُرّ لمــا ظَهَر له منه ، وتمثّلَ بقول طُفيل :

فذُوقــوا كما ذُقْنــا غداةَ محجَّرٍ * من الغَيظ فى أكبادنا والتحوب

وفى هذه القصيدة يقول طفيل :

(١) التكملة من ح ، أ ، مب ، ها ، ف . وهى فى أ : « برقان » ، تحريف . وقد أورد القصة ياقوت فى رسم (رمان) . (٢) ما عدا ح ، مب ، ها ، ف : « لأياد له » . (٣) سلمى : أحد جبلى طيئ . (٤) رواية الديوان ص ١٤ : « فى أجوافنا » . والتحوب : التوجع . (٥) يقال غاط فى الوادى يغوط ، إذا ذهب فيه . والتصوب : الانحدار . وانظر ديوان طفيل ص ١٤ . (٦) ح : « الحسين » .

تَرى العينُ ما تَهوى وفيها زيادةٌ * من اليُمنِ إذ تبدو ومَلْهًى لِملعب[1]
وبيت تهبُّ الرِّيحُ فى حَجَراته * بأرضٍ فضاءٍ بابُه لم يُحجَّب[2]
سَماوتُه أسمالُ بُرْدٍ محبَّرٍ * وصَهوتُه مِن أتحمِيٍّ مُعصَّب[3]

أخبرنى عيسى بن الحسين بن الوراق قال : حدثنا الرياشى عن العتبى عن
٥ عن أبيه قال :

90 / 14

سؤال عبد الملك عن أكرم بيت وصفته العرب

قال عبد الملك بن مَرْوان لولده وأهله : أىُّ بيتٍ ضربته العربُ [على عصابة][4] ووصفَتْه أشرفُ حِواء ، وأهْلاً وبناء ؟ فقالوا فأكثروا ، وتكلَّمَ مَن حضرَ فأطالوا ، فقال عبد الملك : أكرم بيتٍ وصفته العرب بيت طُفَيل الذى يقول فيه :

وبيتٍ تهبُّ الرِّيحُ فى حَجَراته * بأرضٍ فضاءٍ بابُه لم يُحجَّب
١٠ سَماوتُه أسمالُ بُرْدٍ محبَّرٍ * وصَهوتُه مِن أتحمِيٍّ مُعصَّب[5]
وأطنابُه أرسانُ جُرْدٍ كأنّها * صُدورُ القَنا من باديءٍ ومُعقِّب[6]
نصبتُ على قومٍ تُدِرّ رماحُهم * عروقَ الأعادِى من غَرِيرٍ وأشْيَب[7]

(١) هذا الصواب من مب ، ها ، ف ، والديوان ٣ . وفى معظم الأصول :

يرى السين ما يهوى وفيها زيادة * من اليمن أن تبدو وملهى وملعب

١٥ وفى تفسير الديوان : « وفيها لمن أراد اللهو ملهى فلعب » .

(٢) الحجرات ، بفتحتين : جمع حجرة ، بالفتح ، وهى الناحية .

(٣) سماوة كل شىء : أعلاه . والمعصب ، كأنه مأخوذ من العصب ، وهو ضرب من برود اليمن يعصب غزله ويشد ثم يصبغ وينسج فيأتى موشيا ، لبقاء ما عصب منه أبيض لم يأخذه صبغ . ويروى : « مشرعب » . (٤) التكلة من مب ، ها ، ف . والعصابة : الجماعة .

٢٠ (٥) ما عدا حـ ، مب : « أحمى » ، تحريف . وفى جميع الأصول ما عدا مب ، ها ، ف : «مصعب» . (٦) البادىء : الذى غزا أول غزوة . والمعقب : الذى غزا غزوة بعد غزوة .

(٧) الغرير : الشاب الذى لا تجربة له . حـ : « غرين » وسائر النسخ « عرين » صوابه فى مب ، ها ، ف والديوان ٤ .

شعر طفيل فى المن على قبيلتين من العرب

وقال أبو عمرو الشيبانى: كانت فزارةُ لقيتْ بنى أبى بكر بن كلاب وجيرانَهم من مُحارب، فأوقعت بهم وقعةً عظيمة، ثم أدركتْهم غنىٌّ فاستنقذتْهم، فلما قتلتْ طيّئٌ قيسَ النّدامى، وقتلتْ بنو عبس هُرَيم بنَ سنان بن عمرو بن يربوع بن طريف ابن خرشة(١) بن عبيد بن سعد بن كعب بن جِلّان(٢) بن غَنْم بن غنىّ، وكان فارساً حسيبا قد ساد ورأس، قتله ابن هِدْم العبسىّ طريد الملك(٣)، فقال له الملك: كيف قتلته؟ قال: «حملت عليه فى الكَبّة، وطعنتُه فى السَّبّة، حتى خرجَ الرمح من اللَّبّة(٤)». وقُتل أسماءُ بن واقد بن رُقَيد بن رياح بن يربوع بن ثعلبة بن سعد ابن عوف بن كعب بن جِلّان، [وهو من النجوم]، وحصن بن يربوع بن طريف وأمُّهم جُندع بنت عمرو بن الأغرّ بن مالك بن سعد بن عوف. فاستغاثت غنىٌّ بنى أبى بكر وبنى محارب فقعدوا عنهم، فقال طفيل فى ذلك يمنُّ عليهم بما كان منهم فى نُصرتهم، ويرثى القتلى، قال:

تأوّبَنى همٌّ من الليل مُنْصِبُ * وجاء من الأخبار ما لا أُكَذِّبُ
تتابعْنَ حتى لم تكنْ لِىَ رِيبةٌ * ولم يكُ عمّا خبّروا مُتعقَّبُ(٥)
وكان هُرَيمٌ من سِنانٍ خليفةً * وحصنٍ ومن أسماءَ لمّا تَغيّبوا(٦)

(١) فى الديوان ١٨: «خرشبة». (٢) كذا فى ء، مب، ها، ف. وفى سائر النسخ: «جلان بن تميم». (٣) فى اللسان (سبب) أنه النعمان بن المنذر.

(٤) الكبة، بالفتح: الحملة فى الحرب والدفعة فى القتال. والسبة: الاست. واللبة: وسط الصدر والمنحر. وفى اللسان (سبب، كبب): «طعنة فى السبة». وفى اللسان (سبب): «فقلت لأبى حاتم: كيف طعنه فى السبة وهو فارس؟ فضحك وقال: انهزم فاتبعه فلما رهقه أكب ليأخذ بمعرفة فرسه فطعنه فى سبته».

(٥) فى ديوان طفيل ١٧: «تظاهرن»، «ولم يك عما أخبروا». وفى شرحه: «تظاهرن: تتابعن جاء بعضهن فى إثر بعض. متعقب: لم أستطع تعقب أخبارهم بتكذيب لما ظهر».

(٦) فى تفسير الديوان: «سنان بن عمرو بن يربوع بن طريف بن خرشبة. وهريم عم سنان. أسماء بن واقد بن وقيد بن رياح بن يربوع».

ومن قيس الثّاوى برَمّانَ[1] بيتُه * ويومَ [حَقِيلٍ[2] فادَ آخرُ] مُعجِب

أشمُّ طويلُ السّاعدين كأنه * فَنيقُ[3] هِجانٍ فى يديه مُركَّب

وبالسَّهبِ[4] ميمونُ النّقيبة قولُه * لملتمس المعروف أهلٌ ومَرحَب

صـــوت

٥ كواكبُ دَجْنٍ كلّما انقضّ كوكبٌ * بَدا وانجلت عنه الدُّجُنّةُ كوكبُ

الغناء لسليم أخى بابويه، ثانى ثقيل عن الهشامى. وهى قصيدةٌ طويلة، وذكرتُ منها هذه الأبياتَ من أجلِ الغناء الذى غنيا . ومن مختار مرثيته فيها قوله :

لعمرى لقد خَلّى ابنُ جندع[5] ثلمةً * ومن أينَ إنْ لم يرأب اللهُ تُرأَبُ

نداماىَ أمسَوْا[6] قد تخلَّيتُ عنهـمُ * فكيف أَلَذُّ الخمرَ أم كيف أشرب

١٠ مضَوا سلَفاً قَصْدَ السَّبيل عليهـم * وصَرْفُ المنـايا بالرجال تقلّبُ

صـــوت

فَـدَيت من باتَ يغنّينى * وبتُّ أُسـقيه ويَسْـقينى

ثم اصطبَحْنا قَهـوةً عُتِّقتْ * مِن عَهدِ سابورَ وشِيرينِ

٩١ / ١٤

الشعر والغناء لمحمد بن حمزة بن نصير وجه القَرْعة، ولحنه فيه رمل أول بالبنصر،

١٥ لا نعرف له صنعة غيره .

---

(١) الثاوى : المقيم . رمان، سبق ذكره فى ص ٣٥٢ . حـ، ا : «بريثان» وفى سائر النسخ ماعدا مب : «برثيان» صوابه من الديوان . (٢) حقيل : موضع فى بلاد بنى أسد . فاد يفيد : مات . وموضع هـذه التكملة بياض فى حـ ، ا ، م وإثباتها من مب ، ها ، ف ، والديوان ١٨ ومعجم البلدان (رمان، حقيل) ، وفى س، ب : «ويوم الوغى ليث لدى الكر معجب» . (٣) الفنيق : الفحل المكرم . والبيت لم يرو فى الديوان . (٤) فى معظم الأصول : «وبالشهب» ، تصحيف ، ٢٠ صـوابه فى مب وها ، ف والديوان ١٩ وسـيبويه (١ : ١٤٩) . (٥) فى الديوان : «ابن جيدع» . (٦) أمسـوا ، هى فى ب ، س ، ا : «سواء» وم : «سوا» حـ : «انبسوا» والوجه ما أثبت من مب . وفى الديوان : «أضحوا» . وفيه أيضا «منهم» بدل «عنهم» .

نسب محمد بن حمزة بن نُصَير الوصيف وأخباره

نسب محمد بن حمزة وتلقيبه وجه القرعة

هو محمد بن حمزة بن نصير الوصيف مولى المنصور، ويكنى أبا جعفر، ويلقب وَجهَ القَرعة.

مكانه بين المغنين

وهو أحد المغنِّين الحُذّاق الضُّرّاب الرُّواة. وقد أَخَذ عن إبراهيم الموصلىّ وطبقته، وكان حسنَ الأداء طيِّبَ الصوت، لا علّة فيه، إلا أنّه كان إذا غنّى الهَزَجَ خاصّةً خرج بسببٍ لا يعرف[1]، إلا لآفة تعرض للحِسّ فى جنسٍ من الأجناس فلا يصحُّ له بتّةً.

فذكر محمد بن الحسن الكاتب أن إسحاق بن محمد الهاشمى حدثه عن أبيه، أنه شهد إسحاقَ بن إبراهيم الموصلىَّ عند عمه هارون بن عيسى، وعنده محمد بن الحسن ابن مُصعَب، قال: فأتانا محمدُ بن حمزةَ وجهُ القَرعة، فسرَّ به عمِّى[2]. وكان شرِسَ

تقدير إسحاق الموصلى له

الخُلُق أبِىَّ النَفس، فكان إذا سُئل الغِناءَ أباهُ، فإذا أُمسِكَ عنه كان هو المبتدِئ به، فأمسكْنا عنه حتى طلبَ العُودَ فأُتِىَ به فغنّى، وقال:

مرَّ بى سِربُ ظِباءِ ... رائحاتٍ من قُباءِ[3]

قال: وكان يُحسنه ويُجيده، فجعل إسحاقُ يشرب ويستعيده حتى شرب ثلاثة أرطال ثم قال: أحسنتَ يا غلام، هذا الغناء لى وأنت تتقدّمُنى فيه، ولا يُخلَقُ الغناءُ ما دام مثلُك ينشأ فيه[4].

---

(١) مب، ها، ف: «لا لسبب يعرف».

(٢) فى معظم النسخ: «فسمى به عمى» والوجه ما أثبت من مب، ها، ف.

(٣) قباء، بالضم: قرية على ميلين من المدينة.

(٤) هذا الصواب من مب، ها، ف، وفى ب، س: «ينشر لحنه». وفى سائر النسخ: «لغة». وفى جميع النسخ: «ولأدعن» بدل «ولا يخلق».

قال : وحدثنى إسحاق الهاشمى عن أبيه قال :

إعجاب مخارق بغنائه

كنا فى البستان المعروف ببستان خالص النصرانىّ ببغداد، ومعنا محمد بن حمزة وجهُ القرعة، فيغنّينا[1] قولَه :

يا دارُ أقفـرَ رسمُهـا * بين المحصَّب والحَجُونِ
يا بشـرَ إنّى فاعلمى * واللهِ مجتهـدًا[2] يمينى

فإذا برجلٍ راكب على حمارٍ يؤمُّنا وهو يصيح : أحسنتَ يا أبا جعفر، أحسنتَ واللهِ ! فقلنا : اصعد إلينا كائنًا مَن كنت . فصعِد وقال : لو منعتمونى من الصُّعود لمـا امتنعتُ . ثم سَفَرَ اللِّثامَ عن وجهه فإذا هو مُخارق ، فقـال : يا أبا جعفر أعِدْ علىَّ صوتَك . فأعاده فشرِب رِطلاً من شرابنا وقال : لولا أنّى مدعوُّ الخليفةِ لأقمتُ عندكم واستمتعتُ هذا الغناء الذى هو أحسنَ من الزَّهَر ، غِبَّ المَطَر .

نسبة ما فى هـذه الأخبار من الغناء

منهـا :

صـــوت

مرّ بى سِـربُ ظِبـاءٍ * رائحـاتٍ من قُبـاءِ
زُمَرًا[3] نحـوَ المصلَّى * يتمشَّيـنَ حِـذائى
فتجاسَــرتُ وألقيْـ * ـتُ سَرابيـلَ الحيـاء
وقديمًـا كان لَهْـوى * وفُتـونى[4] بالنسـاءِ

(١) ا ، م : « فتغنينا » . (٢) ما عدا ح ، م ، مب ، ها ، ف : « مجتهد » .
(٣) زمرا : جماعات (٤) الفتون : الفتنة .

الغناء لإسحاق مما لا يشكّ فيه من صنعته ، ولحنه من ثقيل أوّل مطلق فى مجرى الوسطى. وذكر محمد بن أحمد المكى أنه لجدّه يحيى. وذكر حبشٌ أنّ فيه لابن جامع ثانىَ ثقيلٍ بالوسطى

٩٢/١٤

ومنها :

صــــوت

٥

يا بِشْـــرُ إنى فاعِلِى * واللهِ مُجتهـدًا يمينى[1]
ما إن صرمتُ حِبالَكم * فصِلى حبالى أو ذَرِينى
استبدَلُوا طَلَبَ الحِجا * زِ وسُرّةِ البلدِ الأمين
بحـدائِقٍ محفـوفةٍ * بالبهتِ من عِنَبٍ وتينِ
يا دارُ أقفـرَ رسمُها * بين المحصَّب والحَجُون
أقـوَتْ وغـيَّرَ آيَها * طُولُ التَّقادُم والسّنينِ

١٠

الشـعر للحارث بن خالد ، والغناء لابن جامع فى الأربعـة الأبيات الأوّل ، رمل بالوسـطى ، ولابن سريج فى الخامس والسـادس والأول والثـانى ثقيل أول بالبنصر .

١٥

أخبرنى الحسن بن على قال : حدثنى محمد بن مهرويه قال : حدثنا عبد الله ابن أبى سعد قال : حدثنى الفضل بن المغنّى ، عن محمد بن جبر قال :

علو كعبه فى الغناء وانتصار إسحاق له

دخلنا على إسحاقَ بن إبراهيم الموصلىّ نعودُه من علّةٍ كانَ وجدَها، فصادفْنا عنده مُخارِقًا، وعَلُّويَةَ، وأحمد بن المكى وهم يتحدّثون، فاتّصل الحديث بينهم، وعرَضَ إسحاقُ عليهم أن يقيموا عندَه ليتفرّجَ[2] بهم ، ويُخرِجَ إليهم سِتارتَه يغنُّون من ورائها،

٢٠

(١) ما عدا ــ ، م ، مب ، ها ، ف : « مجتهد » .

(٢) ب ، س ، أ : « ليفرح » وسائر النسخ : « ليفرج » والصواب ما أثبت من مب ، ها ، ف .

ففعلوا وجاء محمدُ بن حمزة وجهُ القرعة على بقيّة[1] ذلك فاحتبسه إسحاقُ معهم، ووُضع النبيذ وغنّوا ، فغنّى مخارقٌ أو علّويةُ صوتا من الغناء القديم ، فخالفه محمدٌ فيه وفى صانعه، وطال مراؤهما فى ذلك، وإسحاق ساكت، ثم تحاكما إليه فحكم لمحمد وراجعه علوية، فقال له إسحاق : حسُبك، فوالله ما فيكم أدرى بما يخرج من رأسه منه . ثم غنّى أحمد بن يحيى المكّىّ قوله :

٥

* قل للجُمانة لا تَعجَلْ بإسراج[2] *

فقال محمد : هذا اللحن لمعبد ولا يُعرف له هزَجٌ غيره . فقال أحمد : أمّا على ماشرَط أبو محمد آنفًا من أنه ليس فى الجماعة أدرَى بما يَخرُج من رأسه منك فلا مُعارِضَ لك . فقال له إسحاق : يا أبا جعفر، ما عنيتُك والله فيما قلتُ ، ولكنْ قد قال إنّه لا يُعرف لمعبد هزَجٌ غير هذا ، وكلّنا نعلم إنّه لمعبد ، فأكذِبْه أنت بهزَجٍ آخرَ له مما لا يُشَكّ فيه . فقال أحمد : ما أعرف .

١٠

نسبة هـذا الصوت

قال محمد بن الحسن : وحدثنى إسحاقُ الهاشمىّ عن أبيه :

استماع جوارى إسحاق إلى غنائه وإعجابهن به

أنّ محمدًا دخلَ معه على إسحاقَ الموصلىّ مهنئا له بالسلامة من عِلّة كان فيها ، فدعا بعُود، فأمرَ به إسحاقُ فدُفع إلى محمد، فغنّى أصواتًا للقدماء وأصواتا لإبراهيم، وأصواتًا لإسحاق، فى إيقاعاتٍ مختلفة، فوجّه إسحاقُ خادمًا بين يديه إلى جوارى أبيه، فخرجْنَ حتّى سمعْنَه من وراء حجاب، ثم ودّعَهُ وانصرف. فقال إسحاقُ للجوارى : ما عندكنّ فى هذا الفتَى ؟ فقلن : ذكّرْنَا والله أباك فيما غنّاه . فقال : صَدَقتنّ . ثم أقبلَ علينا فقال : هو مغنٍّ مُحْسن، ولكنّه لا يصلحُ للطارحة لكثرة زوائده، ومثاله إذا طارحَ جَسَر[3] الذى يأخُذُ عنه فلم ينتفعْ به، ولكنّهُ ناهيكَ به مِنْ مغنٍّ مُطْرب .

١٥

٢٠

(١) مب ، ها ، ف : « على تقية ذلك » . (٢) أ ، م : « الجماعة » .

(٣) جسر ، بالجيم فى جميع النسخ ، أى جَسر . وأصله من قولهم : جسر الفحل وفدر وجفر ، إذا ترك الضراب . مب ، ها ، ف : « حير » .

طلب مخارق منه أن يصلح غناء جواريه

٩٣ / ١٤

قال إسحاق: وحُدِّثت أنه صار إلى مخارق عائدا، فصادف عنده المغنّين جميعا، فلما طلَع تغامَزوا عليه، فسلَّمَ على مخارق وسأله به، فأقبل عليه مخارقٌ ثم قال له: يا أبا جعفر، إنّ جواريَك اللواتى فى ملكى قد تَركن الدَّرسَ مِن مُدّة، فأحبُّ أن تدخلَ إليهن وتأخذَ عليهنّ وتُصلح من غنائهن. ثم صاح بالخدم فسعوْا بين يديه إلى حُجرة الجوارى، ففعلَ ما سأله مخارق، ثم خرجَ، فأعلمَه أنه قد أتى ما أحبَّه، والتفت إلى المغنّين فقال: قد رأيتُ تَغمزكم، فهل فيكم أحدٌ رضىَ أبو المهَنّا أعزّه الله حِذقَه وأدبَه وأمانته، ورضَيه لجواريه غيرى؟ ثم ولّى فكأنما ألقمَهم حَجرا، فما أجابه أحد.

صــــوت

عَفَتِ الدِّيارُ مَحلُّها فمُقامُها * بِمِنًى تأبّدَ غَوْلُها فرِجامُها

فمَدافعُ الرَّيّانِ عُرِّى رسمُها * خَلَقًا كما ضَمِنَ الوُحِىَّ سِلامُها

فاقنعْ بما قسمَ الإلهُ فإنّما * قَسَم الخلائقَ بيننا علّامُها[1]

عروضه من الكامل. عفت: درست. ومِنًى: موضعٌ فى بلاد بنى عامر، وليس منى مكّة. تأبّد: توحّش. والغَول والرِّجام: جبلان بالحِمى. والرَّيّانُ: وادٍ. مدافعهُ: مَجارى الماء فيه. وعُرِّىَ رسمها، أى تُرِك[2] وارتُحِل عنه. يقول: عُرِّىَ من أهله. وسِلامها: صُخورها، واحدتها سَلِمة.

الشعر للبيد بن ربيعة العامرىّ، والغناء لابن سُرَيج، رملٌ بالسبابة فى مجرى البنصر عن إسحاق، وفيه لابن مُحرز خفيفُ رملٍ أوّلَ بالوسطى عن حَبَش، وذكر الهشامىّ[3] أنّ فيه رملا آخر للهذلى فى الثالث والأول.

(١) ما عدا مب، ها، ف: «عارض بها».
(٢) ب، س: «نزل» وسائر النسخ «ترل»، والصواب ما أثبت من مب، ها، ف.
(٣) ما عدا مب: «الهاشمى».

نسب لبيد وأخبـاره

نسبه

هو لَبِيد بن ربيعة بن مالك[1] بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ابن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عِكرمة بن خَصَفة بن قيس بن عيلان ابن مضر .

والد لبيد ومقتله

٥ وكان يقال لأبيه "ربيعُ المقترين"[2] لجوده وسخائه . وقتله بنو أسد[3] في الحروب التي كانت بينهم وبين قومهم وقومه .

عمه أبو براء

وعمُّه أبو بَرَاء عامرُ بن مالك ملاعب الأسنة ، سمى بذلك لقول أوس ابن حجر فيه :

فلاعَبَ أطرافَ الأسنّة عامرٌ * فراحَ له حظُّ الكتيبة أجمعُ[4]

أم لبيد

١٠ وأمُّ لبيد تامرة[5] بنت زِنباع العبسية، إحدى بنات جَذيمة بن رَوَاحة .

صفات لبيد

ولبيدٌ أحد شعراء الجاهلية المعدودين فيها والمخضرمين ممّن أدرك الإسلام ، وهو من أشراف الشُّعراء المجيدين الفُرسان القُرّاء المعمَّرين ، يقال إنه عمِّر مائةً وخمسا وأربعين سنة .

أخبرني بخبره في عُمره أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال : حدثنا عُمَر ١٥ ابن شبّة عن عبد الله بن محمد بن حكيم . وأخبرني الحسن بن علي قال : حدثنا

---

(١) في الخزانة (١ : ٣٣٧) : « بن ربيعة بن عامر بن مالك » .

(٢) هذا يطابق ما في الشعر والشعراء ٢٣١ . وفي مب ، هـ ، ف، « المقتر » . وسائر النسخ « المعترين » . والصواب في ذلك كله « ربيع المقترين » . ومما يشهد له قول لبيد نفسه يذكر أباه :

ولا من ربيع المقترين رزئته * بذى علق فاقنى حياءك واصبرى

٢٠ انظر معجم البلدان (علق) .

(٣) في معظم الأصول : « بنو لبيد » ، صوابه من مب ، ها ، ف الشعر والشعراء .

(٤) في معظم الأصول : « لها » ، صوابه في مب ، ها ، ف والديوان ١١ والخزانة (١ : ٣٣٨) والشعر والشعراء ٢٣٥ (٥) ها ، ف : « تامر » .

ابن مهرويه قال حدثنا عبد الله بن أبى سعد، عن على بن الصباح، عن ابن الكلبى، وعن علىّ بن المِسور عن الأصمعىّ، وعن المدائنى وعن رجالٍ ذكرهم، منهم أبو اليقظان وابن دأب، وابن جعدبة، والوقاصى .

عمر لبيد
٩٤
١٤

أن لبيدَ بن ربيعة قدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وفدِ بنى كلاب بعدَ وفاة أخيه أرْبَدَ وعامرِ بن الطُّفيل، فأسلَمَ وهاجر وحسُن إسلامه، ونزل الكوفةَ أيام عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فأقامَ بها . ومات بها هناك فى آخر خلافة معاوية، فكان عمره مائةً وخمسا وأربعين سنة، منها تسعون سنةً فى الجاهلية، وبقيّتُها فى الإسلام .

ما قاله من الشعر فى طول عمره

قال عمر بن شبة فى خبره : فحدثنى عبد الله بن محمد بن حكيم أنّ لبيدًا قال حين بلغ سبعا وسبعين سنة :

قامت تَشَكَّى إلىّ النّفسُ مُجْهِشةً * وقد حَمَلتك سبعا بعد سبعينا[1]

فإنْ تُزادِى ثلاثًا تبلُغى أملًا * وفى الثلاثِ وفاءٌ للثمانينا

فلما بلغ التسعينَ قال :

كأنّى وقد جاوزتُ عِشرين حِجّةً * خلعتُ بها عن مَنكِبىَّ ردائيا

فلما بلغ مائةً وعشرا قال :

أليسَ فى مائةٍ قد عاشَها رجلٌ * وفى تكامُلِ عَشْرٍ بعدَها عُمُرُ

فلما جاوزها قال :

ولقد سئِمتُ من الحياة وطُولها * وسُؤالِ هذا الناسِ كيفَ لَبِيدُ

غَلَب الرّجالَ وكان غيرَ مغلَّبٍ * دَهرٌ طويلٌ دائمٌ ممدود

(١) فى معظم النسخ : «سبعين» و «الثمانين» . وأثبت ما فى مب ، ها ، ف ، والخزانة والمعمرين للسجستانى ٦٢ .

يومًا أرى يأتى علىّ وليلةً * وكلاهما بعدَ المضاء يعودُ

وأراه يأتى مثلَ يوم لقيتُه * لم يُنتقَص وضَعُفتُ وهو يزيد

أخبرنى محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم[1] السجستانى قال حدثنا الأصمعى قال :

وفوده على النعمان ونكايته بالربيع ابن زياد

٥ وفد عامر بن مالك ملاعبُ الأسنّة ، وكان يكنَى أبا البَرَاء ، فى رهط من بنى جعفر ، ومعه لبيدُ بن ربيعة ، ومالكُ بن جعفر ، وعامر بن مالك عمّ لبيد ، على النُّعمان ، فوجدوا عنده الربيعَ بن زيادٍ العبسيّ وأمُّه فاطمةُ بنت الخُرشُب ، وكان الربيع نديماً للنُّعمان مع رجلٍ من تُجّار الشام يقال له زَرجون بن توفيل[2] ، وكان حريفًا[3] للنُّعمان يُبايعه ، وكان أديباً حسنَ الحديث والنِّدام ، فاستخفّه[4] النعمان ، وكان

١٠ إذا أراد أن يخلوَ على شرابه بعثَ إليه وإلى النِّطاسيّ : متطبِّب[5] كان له ، وإلى الربيع ابن زياد فخلاَ بهم ، فلما قدم الجعفريُّون كانوا يحضُرون النعمانَ لحاجتهم ، فإذا خرجوا من عنده خلا به الربيعُ فطعَن فيهم وذكر معايبَهم ، وكانت بنو جعفرٍ له أعداء[6] ، فلم يزل بالنُّعمان حتّى صدّه عنهم ، فدخلوا عليه يوماً فرأوا منه جفاءً ، وقد كان يُكرمهم ويُقرِّبهم ، فخرجوا غِضاباً ولبيدٌ متخلِّف فى رحالهم يحفَظ متاعهم ، ويغدو بإبلهم

١٥ كلَّ صباحٍ يرعاها ، فأتاهم ذاتَ ليلةٍ وهم يتذاكرون أمرَ الربيع ، فسألهم عنه فكتَموه ، فقال : والله لا حفِظتُ لكم متاعا ، ولا سرّحتُ لكم بعيراً أو تُخبِرونى

(١) فى معظم الأصول : « أبو حامد » ، تحريف ، صوابه فى مب ، ها ، ف .

(٢) ح : « تفيل » وسائر النسخ : « نوفل » وأثبت ما فى مب ، ها .

(٣) حريف الرجل : معامله فى حرفته ، وهو العميل . (٤) م : « فاستحقه » .

٢٠ (٥) المتطبب : الذى يعانى الطب . وفى معظم الأصول : « متطيب » صوابه فى مب ، ها ، ف .

(٦) فى معظم الأصول : « لهم أعداء » صوابه فى مب ، ها ، ف .

فيم أنتم ؟ وكانت أم لبيد يتيمةً فى حِجْر الربيع ، فقالوا : خالُكَ قد غَلَبَنا على المَلِك وصَدّ عنا وجهَه . فقال لبيد : هل تقدرون على أن تجمعوا بينى و بينه فأزجُرَه عنكم بقولٍ مُمِضٍّ[1] لا يلتفت إليه النعمان أبدًا ؟ فقالوا : وهل عندك شىء ؟ قال : نعم . قالوا : فإنّا نَبْلُوك . قال : وما ذاك ؟ قالوا : تشتِم هذه البَقْلة — وقدّامهم بَقلةٌ دقيقة القُضْبان، قليلةُ الورق، لاصقة بالأرض، تدعى التَّرِبَة[2] — فقال : «هذه التَّرِبة التى لا تُذكِى نارا ولا تُؤهِل دارا، ولا تَسُرّ جارا، عودُها ضئيل، وفرعها كليل، وخيرها قليل، أقبح البقول مرعًى، وأقصرها فرعا، وأشدُّها قلعا . بلدها شاسع، وآكلها جائع، والمقيم عليها قانع، فالقُوا بى أخا عَبْس، أردّه عنكم بتَعْس، وأترُكه من أمره فى لَبْس» . قالوا : نصبحُ ونَرَى فيك رأينا . فقال عامر : انظروا إلى غلامكم هذا — يعنى لبيدًا — فإن رأيتموه نائمًا فليس أمره بشىء، إنما هو يتكلّم بما جاء على لسانه ، وإن رأيتموه ساهرًا فهو صاحبه . فرمَقوه فوجدوه وقد ركب رحْلًا وهو يكدِم[3] وسطه حتّى أصبح، فقالوا : أنت والله صاحبُه . فعَمَدوا إليه فحلقوا رأسَه وتركوا ذؤابته، وألبسوه حُلّةً ثم غدا معهم وأدخلوه على النعمان ، فوجدوه يتغدّى ومعه الربيعُ بن زيادٍ، وهما يأكلان لا ثالثَ لهما، والدار والمجالس مملوءة من الوُفود، فلما فَرَغ من الغداء أذِن للجعفريِّين فدخلوا عليه ، وقد كان أمرُهم تقارَبَ، فذكروا الذى قدِموا له من حاجتهم، فاعترض الربيعُ بن زياد فى كلامهم، فقال لبيد فى ذلك :

أكلَّ يومٍ هامتى مقَزَّعَهْ * ياربَّ هيجا هى خيرٌ من دَعَهْ
نحن بنى أمِّ البنينَ الأربعه * سيوفُ حَزٍّ وجِفانٌ مُترَعَهْ

---

(١) فى معظم الأصول : « محيص » صوابه فى مب ، ها ، ف . (٢) الترِبة بكسر الراء وفتحها : شجرة شاكة وثمرتها كأنها بسرة معلقة . اللسان (ترب) . ب ، س : «الثربة» ومعظم الأصول « الثربة » وأثبتنا ما فى مب . (٣) الكدم : العض .

نحن خيارُ عامر بن صعصعه * الضاربون الهامَ تحتَ الخَيْضَعه

والمطعمون الجفنةَ المُدعدَعه[1] * مهلاً أبيتَ اللَّعنَ لا تأكلْ معه

إنّ استَه من بَرَص مُلَمَّعه[2] * وإنّه يُدخِل فيها إصبعه

يُدخِلها حتّى يُوارِى أشجَعه[3] * كأنّه يطلُب شيئًا ضيَّعه

٥ فرفع النعمانُ يدَه من الطعام وقال : خَبُثْتَ واللهِ علىّ طعامى يا غلام ؛ وما رأيتُ كاليوم . فأقبل الربيعُ على النعمان فقال : كذَبَ واللهِ ابنُ الفاعلة[4]، ولقد فعلتُ بأمّه كذا وكذا . فقال له لبيد : مثلُك فعل ذلك بربيبةِ أهلِه والقريبةِ من أهله ، وإن أمى من نساءٍ لم يكنّ فواعلَ ما ذكرت . وقضى النعمانُ حوائجَ الجعفريّين ، ومضى من وقتِه وصَرَفهم ، ومضى الربيعُ بن زياد إلى منزله من وقته ، فبعث إليه النعمانُ

١٠ بضعفِ ما كان يحبوه ، وأمره بالانصراف إلى أهله ، فكتب إليه الربيع : إنّى قد عرفتُ أنّه قد وقَعَ فى صدرك ما قال لبيد ، وإنّى لستُ بارحًا حتّى تبعثَ إلىّ من يجرّدنى فيعلمَ مَنْ حضرَكَ من الناس أنّى لست كما قال لبيد . فأرسل إليه : إنّك لستَ صانعًا بانتفائك ممّا قال لبيدٌ شيئا ، ولا قادراً على ردِّ ما زلّت به الألسُن ، فالحقْ بأهلك . فلحقَ بأهله ثم أرسل إلى النعمان بأبياتِ شعرٍ قالها ، وهى :

الشعر الذى أرسل به إلى النعمان

١٥ لئن رحلتُ جِمالى لا إلى سَعةٍ * ما مثلُها سَعةً عرضًا ولا طُولا

بحيثُ لو وردَتْ لخمٌ بأجمعها * لم يَعدِلوا ريشةً من ريشِ سَمْويلا[5]

---

(١) المدعدعة : المملوءة .

(٢) الملمعة : ذات اللمع . واللمعة : كل لون خالف لونا .

(٣) الأشجع : مغرز الإصبع .

٢٠ (٤) م ، أ ، ء ، ب ، ها ، ف : « ابن الحمق » .

(٥) فى اللسان (سمل) : « سمويل : طائر . وقيل بلدة كثيرة الطير » .

ترعى الروائمُ أحرارَ البقولِ بها * لا مثلَ رَعيكم مِلحًا وغَسْوِيلا (١)

فاثبُتْ بأرضك بعدى واحلُ متكئًا * مع النِّطاسىِّ طورًا وابن تُوفيلا

إجابة النعمان له بالشعر ٩٦ / ١٤

فأجابه النعمانُ بقوله :

شرِّدْ برحلكَ عنِّى حيثُ شئتَ ولا * تُكثِر علىَّ ودعْ عنكَ الأباطيلا

فقد ذُكِرتَ بشىءٍ لستُ ناسيَه * ما جاورت مصرُ أهلَ الشام والنِّيلا

فما انتفاؤك منه بعد ما جَزَعَتْ * هُوجُ المطىِّ به نحو ابن سَمْويلا (٢)

قد قيل ذلك إنْ حقًّا وإنْ كذبًا * فما اعتذارُك من قولٍ إذا قيلا

فالحقْ بحيثُ رأيتَ الأرضَ واسعةً * فانشر بها الطَّرفَ إنْ عرضًا وإن طُولا

شعره فى هجاء الربيع بن زياد

قال : وقال لبيد يهجو الربيعَ بنَ زياد — ويزعمون أنها مصنوعة . قال :

رَبيعُ لا يَسُقكَ نحوى سائقُ * فتَطلبَ الأذحالُ والحقائقْ (٣)

ويَعلمَ المُعْيا به والسابقُ (٤) * ما أنتَ إن ضُمَّ عليك المازِقْ (٥)

إلاّ كشىءٍ عاقَه العوائقْ * إنّك حاسٍ حُسوةً فذائقْ

لا بدّ أن يغمز منك العاتقْ (٦) * غمزًا ترى أنك منه ذارقْ (٧)

إنّك شيخٌ خائنٌ منافقُ * بالمخزيات ظاهرٌ مطابقُ

---

(١) الروائم : التى ترأم أولادها : تعطف عليها . فى معظم الأصول : « حراز البقول » والصواب ما أثبت من ف . وأحرار البقول : ما رق منها ورطب ، وذكورها : ما غلظ وخشن . والغسويل بفتح الغين المعجمة : نبت ينبت فى السباخ . فى الأصول ما عدا مب ، ها ، ف : « عسويلا » ، تصحيف .

(٢) جزعت : قطعت . م : « ابن شمويلا » . ف : « عيرا شماليلا » .

(٣) الأذحال : جمع ذحل ، وهو الثأر . فى معظم الأصول : « الادخال » تصحيف ، صوابه فى مب وها والديوان ٩ . (٤) فى معظم الأصول : « المعسى » ، صوابه من مب ، ها والديوان . (٥) ما عدا حـ ، مب ، ها ، ف والديوان : « إليك المازق » تحريف .

(٦) العاتق : ما بين المنكب والعنق . وفى معظم الأصول : « العائق » وفى مب ، ها « الفائق » .

(٧) ذارق ، من قولهم ذرق يذرق : خذق بسلحه . أ ، م ، حـ : « ذائق » ، وأثبت ما فى الديوان ، مب ، ها ، ف .

كان يخفى بعض شعره ثم أظهره

وكان لبيد يقول الشعر ويقول : لا تُظْهِروه، حتى قال :

* عفَت الدِّيارُ محلُّها فمُقامها *

وذكر ما صنع الربيع بن زياد، وضَمْرة بن ضَمْرة[1]، ومَنْ حَضَرهم من وجوه الناس، فقال لهم لبيدٌ حينئذ : أظهروها .

٥ قال الأصمعي في تفسير قوله : الخيضعة ، أصله الخضعة بغير ياء ، يعني الجلبة والأصوات ، فزاد فيها الياء . وقال في قوله « بالمخزيات ظاهر مطابق » : يقال طابق الدابةُ، إذا وضَعَ يديه ثم رفعهما فوضع مكانَهما رجليه، وكذلك إذا كان يطأ في شوك . والمأزق : المضيق . والنازق : الخفيف .

نسخت من كتاب مرويّ عن أبي الحكم قال : حدثني العلاء بن عبد الله ١٠ الموقِّع قال :

سؤال الوليد له عما كان بينه وبين الربيع

اجتمع عندَ الوليد بن عقبة سُمّارُه وهو أمير الكوفة وفيهم لبيدٌ ، فسأل لبيداً عما كان بينه وبين الربيع بن زيادٍ عند النُّعمان ، فقال له لبيد : هذا كانَ من أمر الجاهلية وقد جاء اللهُ بالإسلام . فقال له : عزمتُ عليك — وكانوا يَرَوْن لعزْمة الأمير حقًّا — فجعَلَ يحدّثُهم، فحسده رجلٌ من غنيّ فقال : ما علِمْنا بهذا . قال : ١٥ أجَلْ يا ابن أخي ، لم يُدرِكْ أبوك مثلَ ذلك ، وكان أبوك ممّن لم يشهد تلك المشاهدَ فيحدّثك .

أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال حدثني العمريُّ قال : حدثني الهيثم عن ابن عياش عن محمد بن المنتشر قال .

---

(١) في معظم الأصول : «حمزة بن ضمرة» ، تحريف صوابه في مب ، ها ، ف . وانظر الاشتقاق ٢٠ ١٤٩ والبيان (١ : ١٧١) .

لم يسمع منه نفر في الإسلام غير يوم واحد

لم يُسْمَع من لبيد فخرُه فى الإسلام غيرَ يومٍ واحد ، فإنّه كان فى رَحَبة غنىّ مستلقيا على ظهره قد سَجَّى نفسه بثوبه ، إذ أقبل شابٌّ من غنىّ فقال : قبّحَ الله طُفيلاً حيث يقول :

جزى الله عنّا جعفرًا حيثُ أشرفَتْ * بنا نعلُنا فى الوَاطئين فزلّتِ

أبَوْا أن يَملُّونا ولو أنّ أُمّنا * تُلاقى الذى يلقَوْن منّا لملّتِ

فذو المال موفورٌ وكل مُعصَّبٍ[1] * إلى حُجُرات أدفأت وأظَلّتِ

وقالت هلمُّوا الدارَ حتّى تبيّنوا[2] * وتنجلىَ الغمّاءُ عمّا تجلّتِ

ليت شعرى ما الذى رأى من بنى جعفرٍ حيثُ يقول هذا فيهم ؟ قال : فكشفَ لبيدٌ الثوبَ عن وجهه وقال : يا ابن أخى ، إنّكَ أدركتَ الناس وقد جُعلت لهم شُرطةٌ يزعُون[3] بعضَهم عن بعض ، ودارُ رزقٍ تَخرُجُ الخادمُ بجرابها فتأتى برزقِ أهلها ، وبيتُ مال يأخذون منه أعطيتَهم ، ولو أدركتَ طُفيلاً يوم يقول هذا لم تَلُمْه . ثم استلقى وهو يقول : أستغفر الله . فلم يزل يقول : أستغفر الله ، حتّى قام .

أخبرنى إسماعيل بن يونس قال : حدّثنا عمر بن شبة قال : حدّثنا محمد ابن حكيم ، عن خالد بن سعيد قال :

سؤال بنى نهد له عن أشعر العرب

قال مَرّ لبيدٌ بالكوفة على مجلس بنى نهد[4] وهو يتوكأ على مِحجنٍ له فبعثوا إليه رسولا يسأله عن أشعر العرب . فسأله فقال : الملك الضِّليل ذو القُروح . فرجع

(١) المعصب ، بكسر الصاد المشددة كما فى القاموس : من يعصب بطنه بالخرق من الجوع . فى معظم الأصول : « مصعب » تحريف صوابه فى مب ، ها . وانظر مجالس ثعلب ٦١ ؛ وديوان طفيل ٥٧ .

(٢) فى معظم الأصول : «العمياء» مب ، ها : «العوراء» والصواب من ف .

(٣) الكلمة محرفة فى الأصل . فهى فى م ، حد ، ها ، ف : « يرعون » ب ، س : « يدعون » . والصواب فى ا .

(٤) فى معظم النسخ : « نهل » ج : « بهر » وكلاهما محرف عما أثبت من مب ، ها ، ف .

فأخبرهم فقالوا : هذا امرؤ القيس . ثم رجع إليه فسأله : ثم من ؟ فقال له : الغلامُ المقتول من بنى بكر . فرجَع فأخبرهم فقالوا : هذا طرفة . ثم رجع فسأله ثم من ؟ فقال : ثم صاحب المحجَن ، يعنى نفسه .

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبة قال : حدثنى أبو عبيدة قـــال :

٥

لم يقل فى الإسلام إلا بيتا واحـدا

لم يقل لبيدٌ فى الإسلامِ إلّا بيتًا واحدا ، وهو :

الحمـــد لله إذ لم يأتنى أجَـــلى * حتّى لبستُ من الإسلام سِربالا[1]

أخبرنى أحمـد قال : أخبرنى عمى قال : حدثنى محمـد بن عباد بن حبيب المهلّبى قال : حدثنا نصر بن دأب عن داود بن أبى هند عن الشّعبى قال :

١٠

كتاب عمر إلى المغيرة أن يستنشد من قبله من الشعراء

كتبَ عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى المغيرة بن شُعبة وهو على الكوفة : أن ٱستنشِد من قِبَلك من شُعراء مِصرك ما قالوا فى الإســلام . فأرسل إلى الأغلب الراجزِ العِجْلىّ ، فقالَ له : أنشدنى . فقال :

أرجَزًا تريـدُ أم قصيـدا * لقد طلبتَ هيِّناً موجودا

ثم أرسل إلى لبيدٍ فقال : أنشِدْنى . فقال : إنْ شئت ما عُفِىَ عنه — يعنى الجاهلية — فقـال : لا ، أنشِدْنى ما قلتَ فى الإسلام . فانطلق فكتب سُورة

١٥

تفضيله على الأغلب العجلى فى العطاء

البقرة فى صحيفة ثم أتى بها وقال : أبدلَنى الله هذه فى الإسلام مكانَ الشعر . فكتب بذلك المغيرةُ إلى عمرَ ، فنقص من عَطاءِ الأغلبِ خمسمائة وجعلَها فى عطاء لبيد ،

(١) فى الإصابة ٧٥٢٥ : « قال أبو عمرو : البيت الذى أوله « الحمد لله إذ لم يأتنى أجلى » ليس للبيد ، بل هو لقردة بن نفاثة » . وقيل إن البيت الذى قاله فى الإسلام :

٢٠

ما عاتب الحـــر الكريم كنفسه * والمـرء يصلحـه الجليس الصالح

الخزانة (١ : ٣٣٧) .

فكان عطاؤه ألفين وخمسمائة ، فكتب الأغلب : يا أمير المؤمنين أتنقُص عطائى أَن أطعتُك ؟! فردّ عليه خمسمائة وأقرّ عطاءَ لبيد على ألفين وخمسمائة .

محاولة معاوية انتقاص عطائه

قال أبو زيد : وأراد معاويةُ أن ينقُصه من عطائه لمّا ولى الخلافة ، وقال : هذان الفَودان[1] — يعنى الألفين — فما بال العِلاوة ؟ يعنى الخمسمائة . فقال له لبيد : إنما أنا هامةُ اليوم أو غد ، فأعِرنى اسمها[3] ، فلعلّ لا أقبضُها أبدا فتبقى لك العلاوة والفودان[2] . فرقّ له وترك عطاءَه على حاله ، فمات ولم يقبضْه .

وقال عمر بن شبّة فى خبره الذى ذكره عن عبد الله بن محمد بن حكيم . وأخبرنى به إبراهيم بن أيوب عن عبد الله بن مسلم قالا :

خبر جوده وإعانة الوليد له على جوده

كان لبيد من جُودَاء العرب[4] ، وكان قد آلَى فى الجاهلية أن لا تَهُبَّ صبا إلاّ أطعم ، وكان له جفنتان يغدو بهما ويروحُ فى كلّ يوم على مسجد قومه فيُطعمهم ، فهبّت الصبا يومًا والوليد بن عقبة على الكوفة ، فصعد الوليدُ المنبر فخطبَ الناس ثم قال : إن أخاكم لبيدَ بن ربيعة قد نذَر فى الجاهلية ألا تَهبّ صَبًا إلّا أطعم ، وهذا يومٌ من أيامه ، وقد هبّتْ صبًا فأعينوه ، وأنا أوّلُ من فَعَل . ثم نزل عن المنبر فأرسل إليه بمائةِ بكرة ، وكتب إليه بأبياتٍ قالها :

أرى الجزّارَ يشحَذُ شفرتَيه * إذا هبّتْ رياحُ أبى عَقيل
أشمُّ الأنف أصيدُ عامرىٌّ * طويلُ الباع كالسّيف الصّقيل
وَفَى ابنُ الجعفرىّ بحَلْفَتيه * على العِلّاتِ[5] والمالِ القليل
بِنَحرِ الكُوم إذ سُحِبت عليه * ذيولُ صبًا تَجَاوبُ بالأصيل

(١) هذه الكلمة من ها ، ف . (٢) فى معظم الأصول : «العودان» صوابه من مب ، ها ، ف والشعر والشعراء ٢٣٣ والخزانة . والفود فى الأصل : العدل من الأعدال . والعلاوة : ما يكون بين عدلين من حشية ونحوها . وانظر الخبر برواية أخرى فى المعمرين ٦١ . (٣) هذا الصواب من مب ، [illegible] النسخ : «فأعدنى اسمها» . وفى أ : «فأعد فى اسمها» . (٤) الجوداء : جمع جواد . (٥) على العلات : على أى كل حال فى عسره ويسره .

فلما بلغت أبياتُه لبيدًا قال لابنته : أجيبيه ، فلعمرى لقد عشتُ برهةً وما أعيا بجوابِ شاعر . فقالت ابنته :

إجابة بنته للوليد

إذا هبّتْ رياحُ أبى عَقيلٍ * دعَوْنا عند هبّتها الوليدا

أشمَّ الأنف أروعَ عبشميًّا * أعانَ على مروءته لَبيدا

بأمثالِ الهضابِ كأنّ رَكْبًا[1] * عليها من بنى حامٍ قُعودا

أبا وهبٍ جَزاكَ اللهُ خيرًا * نحرناها فأطعَمْنا الثَّريدا

فعُدْ إنَّ الكريمَ له معَادٌ * وظنِّى يا ابنَ أروى أن تَعُودا[2]

فقال لها لبيد : أحسنتِ لولا أنكِ استطعمتِه . فقالت : إنّ الملوك لا يستحيا من مسألتهم . فقال : وأنتِ يابنيةُ فى هذه أشعَر .

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثنى محمد بن عمران الضبى قال : حدّثنى القاسم بن يعلى عن المفضّل الضبى قال :

سجود الفرزدق عند سماع شعر له

قدم الفرزدق فمرّ بمسجد بنى أُقيصر، وعليه رجلٌ يُنشد قول لبيد :

وجَلا السُّيولُ عن الطُّلول كأنها * زُبُرٌ تُجِدُّ متونَها أقلامُها

فسجَد الفرزدق فقيل له : ما هذا يا أبا فِراس ؟ فقال : أنتم تعرفونَ سجدة القرآن، وأنا أعرِفُ سجدةَ الشعر .

أخبرنا أحمد بن عبد الله بن عمار قال: حدّثنا يعقوب الثقفى، وابن عَيّاش، ومسعر بن كِدَام، كلُّهم عن عبد الملك بن عُمَير قال :

(١) ماعدا أ ، م ، مب ، ها ، ف : « تجاذب » .

(٢) هذا ما فى مب ، ها ، وفى ف : « يابن اروى أن يعودا » . وفى سائر النسخ : « لا أبالك أن تعودا » .

سؤال القراء الأشراف له عن أشعر الشعراء

أخبرنى مَنْ أرسله القراء الأشراف — قال الهيثم : فقلت لابن عياش : من القرّاءِ الأشراف ؟ قال : سُليمان بن صُرَد الخُزاعىّ، والمسيَّب بن نَجَبة الفزارى[1]، وخَالد بن عُرفُطة الزُّهرى، ومسروق بن الأجْدَع الهَمْدانى ، وهانئ ابن عروة المُرادى[2] — إلى لبيد بن ربيعة وهو فى المسجد، وفى يده مِحجَن فقلت : يا أبا عَقيل، إخوانك يُقرونك السلام ويقولون : أىّ العربِ أشعر ؟ قال : الملك الضِّليل ذو القروح . فرَدُّونى إليه وقالوا : ومَنْ ذو القروح ؟ قال : امرؤ القيس . فأعادونى إليه وقالوا : ثم مَنْ ؟ قال : الغلام ابن ثمانِ عَشْرة سنة . فرَدُّونى إليه فقلت : ومن هو ؟ فقال : طَرَفة . فردُّونى إليه فقلت : ثم من ؟ قال : صاحب المحجَن حيث يقول :

إنَّ تقوى ربِّنا خيرُ نَفَلْ * وبإذن الله رَيْثى وَعَجَلْ
أحمَدُ اللهَ ولا نِدَّ لهُ * بيديهِ الخيرُ ما شاءَ فعَلْ
مَن هَداه سُبلَ الخيرِ اهتدى * ناعمَ البالِ ومَنْ شاءَ أضلّ[3]

يعنى نفسه . ثم قال : أستغفرُ الله .

أخبرنى إسماعيل بن يونس الشيعى قال : حدّثنا عمر بن شَبَّة عن ابن البواب قال :

جلس المعتصم وغناه بعض المغنين شعرا للبيد بعد تغييره

جلس المعتصمُ يومًا للشراب، فغنّاه بعض المغنّين قولَه :

وبَنُو العباسِ لا يأتون "لا" * وعلى ألسنهم خفّتْ "نعَمْ"
زَيّنت أحلامُهم أحسابَهُمْ * وكذاك الحِلمُ زَيْنٌ للكرَمْ

(١) كان المسيب ممن شهد القادسية وحروب على . ترجم له فى تهذيب التهذيب .

(٢) هانئ بن عروة المرادى، مخضرم سكن الكوفة، وكان من خواص على . ترجم له فى الإصابة .

(٣) ديوان لبيد ص ١١ .

فقال : ما أعرِفُ هذا الشعر ، فلمن هو ؟ قيل : للبيد . فقال : وما للبيد وبنى العبّاس ؟ قال المغنّى : إنما قال :

* وبنو الدَّيانِ[1] لا يأتون *

فجعلتُه « وبنو العباس » . فاستَحْسَنَ فعلَه ووصلَه .

إعجاب المعتصم بشعر لبيد

وكان يُعجَب بشعر لبيدٍ فقال : من منكم يروى قوله :

* بلينا وما تَبلَى النجومُ الطوالع *

فقال بعض الجلساء : أنا . فقال : أنشِدْنيها . فأنشد :

بَلِينا وما تَبلَى النُّجومُ الطَّوالعُ * وتَبقَى الجبالُ بعدَنا والمصانعُ

وقد كنتُ فى أكنافِ جارِ مَضَنَّةٍ[2] * ففارقَنى جارٌ بأربدَ نافعُ

فبكى المعتصمُ حتّى جرت دموعهُ ، وترحّم على المأمون ، وقال : هكذا كانَ رحمة الله عليه ! ثم اندفعَ وهو يُنشِد باقيها ويقول :

فلا جزِعٌ إنْ فرّقَ الدّهرُ بيننا * فكلُّ امرئٍ يوماً له الدهرُ فاجعُ

وما الناسُ إلاّ كالدِّيارِ وأهلِها * بها يومَ حلُّوها وبَعْدُ بلاقعُ[3]

ويَمضُون أرسالاً ونخلُف بعدَهمْ * كما ضمَّ إحدى الراحتينِ الأصابعُ

وما المرءُ إلا كالشِّهابِ وضوئه * يَحُورُ رَماداً بعدَ إذْ هو ساطعُ

وما البِرُّ إلا مُضمَراتٌ من التُّقَى[4] * وما المالُ إلا عارياتٌ ودائعُ

(١) بنو الديان ، من بنى الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب . تاج العروس (دين) . وقد مدحهم السموأل . الأمالى (١ : ٢٧٠) . وأمية بن أبى الصلت . الأمالى (٣ : ٣٨) . فى الأصول ما عدا مب ، ها ، ف : « وبنو السريان » ، تحريف . (٢) فى معظم الأصول : « دار مصنة » و « بأربة » ، صوابهما فى ف والديوان والشعر والشعراء ٢٣٦ . (٣) فى معظم الأصول : « وتغدو » صوابه فى مب ، ها ، والديوان والشعر والشعراء : « وغدوا بلاقع » . (٤) فى معظم الأصول : « وما المرء » صوابه فى مب ، ها ، ف ، والديوان والشعر والشعراء .

أليس ورائى إن تراخت منيّتى * لزومُ العصا تُحنَى عليها الأصابع

أخبِّرُ أخبارَ القرونِ التى مضت * أدبُّ كأنّى كلما قمتُ راكعُ

فأصبحتُ مثلَ السّيف أخلَقَ جَفنَه * تقادمُ عهدِ القَين والنصلُ قاطع

فلا تَبعَدَنْ إنّ المنيّةَ مَوعِدٌ * علينا فدانٍ للطُّلوع وطالع

أعاذلُ ما يُدريك إلّا تَظَنِّيًا[1] * إذا رحَل الفِتيانُ مَنْ هو راجع ٥

أتجزعُ مما أحدَثَ الدهرُ بالفتى * وأىُّ كريم لم تُصِبْه القوارع

لعمرُكَ ما تدرى الضَّواربُ بالحصى * ولا زاجراتُ الطَّير ما اللهُ صانع

قال : فعَجِبنا والله من حُسن ألفاظه ، وصحّة إنشاده ، وجودة اختياره .

أخبرنى الحسين بن على قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه . وحدّثنا محمد بن جرير الطبرى قال : حدثنا محمد بن حميد الرازى قال : حدثنا سلمة ابن الفضل ، عن محمد بن إسحاق قال[2] : ١٠

تبرؤ عثمان بن مظعون من جوار الوليد بن المغيرة

كان عثمان بن مظعون فى جوارِ الوليد بن المغيرة ، فتفكّر يوما فى نفسه فقال: والله ما ينبغى لمسلم أن يكون آمناً فى جوار كافر ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم خائف . فجاء إلى الوليد بن المغيرة فقال له : أحبُّ أن تبرأ من جِوارى . قال : لعلّه رابَكَ رَيب . قال : لا ، ولكن أحبُّ أن تفعل . قال : فاذهبْ بنا حتّى ١٥ أبرأ منك حيثُ أجرتك[3]. فخرج معه إلى المسجد الحرام فلمّا وقفَ على جماعةِ قريش قال لهم : هذا ابن مظعونٍ قد كنتُ أجرته ثم سألنى أن أبرأ منه ، أكذاك يا عثمان؟

(١) التظنى : التظنن ، وهو الظن .

(٢) الخبر برواية أخرى عن ابن إسحاق فى الخزانة (١ : ٣٤١) . كما أن البغدادى سرد روايات أخرى فى تكذيب لبيد وتصديقه . ٢٠

(٣) فى معظم الأصول : « أخذتك » ، صوابه فى «ب» ، «ها» .

تصديق عثمان بن مظعون وتكذيبه له فى بيت شعر

قال : نعم . قال : اشهدوا أنى منه برىء . قال : وجماعةٌ يتحدَّثون من قريش معهم لبيدُ بن ربيعة يُنشدهم ، فجلس عثمان مع القوم فأنشدَهم لبيد :

* ألا كلُّ شىءٍ ما خلا اللهَ باطلُ *

١٠٠/١٤

فقال له عثمان : صدَقت . فقال لبيد .

٥ * وكلُّ نعيمٍ لا محالةَ زائلُ *

فقال عثمان : كذبتَ . فلم يدرِ القومُ ما عنَى . فأشار بعضُهم إلى لبيدٍ أن يُعيد . فأعاد فصدَّقه فى النصف الأول وكذَّبه فى الآخر، لأنّ نعيم الجنة لا يزول . فقال لبيد : يا معشرَ قريش ، ما كان مثلُ هذا يكونُ فى مجالسكم . فقام أُبَىُّ بن خلَف أو ابنُه فلطم وجهَ عثمان ، فقال له قائل : لقد كنتَ فى مَنَعةٍ من هذا بالأمس .

١٠ فقال له : ما أحوجَ عينى هذه الصحيحةَ إلى أن يُصيبها ما أصابَ الأخرى فى الله .

أخبرنى محمد بن خلف بن المرزُبان قال : حدثنا أحمد بن الهيثم قال : حدثنى العمرى عن الهيثم بن عدىّ عن عبد الله بن عيّاش قال :

خبر للشعبى مع عبدالملك فيه رواية لشعر لبيد

كتب عبدُ الملك إلى الحجاج يأمره بإشخاص الشعبىّ إليه ، فأشخصه فألزمه ولدَه، وأمر بتخريجهم ومذاكرتهم، قال: فدعانى يوماً فى علته التى مات فيها فغصّ

١٥ بلقمةٍ وأنا بين يديه، فتساندَ طويلا ثم قال : أصبحتُ كما قال الشاعر :

كأنّى وقد جاوزت سبعين حجّةً * خلعتُ بها عنّى عذارَ لجامِ

إذا ما رآنى الناسُ قالوا ألم يكنْ * شديدَ محالِ البطشِ غيرَ كَهامِ

رمتنى بناتُ الدّهرِ من حيث لا أرى * وكيف بمن يُرمَى وليس برامِ

ولو أنّنى أُرمَى بسهمٍ رأيتُه * ولكنّنى أرمى بغير سهامِ

٢٠ فقال الشعبىّ : فقلت : إنّا لله ، استسلم الرّجل واللهِ للموت ! فقلتُ : أصلحكَ الله ، ولكن مثلك ما قال لبيد :

باتت تَشكّى إلىّ الموتَ مُجْهِشةً * وقد حملتُك سبعًا بعد سبعينا
فإن تُزادِى ثلاثًا تبلغى أملاً * وفى الثلاثِ وفاءٌ للثمانينا

فعاش إلى أن بلغ تسعين سنة فقال [1] :

كأنّى وقد جاوزتُ تِسعينَ حِجةً [2] * خلعتُ بها عن منكِبَىّ ردائيا

فعاش إلى أن بلغ مائة وعشر سنين . فقال :

أليس فى مائةٍ قد عاشها رجلٌ * وفى تكامل عَشْرٍ بعدها عُمُرُ

فعاش إلى أن بلغ مائةً وعشرين سنة فقال :

ولقد سئمتُ من الحياة وطولها * وسؤال هذا الناسِ كيفَ لبيدُ
غَلَبَ الرجالَ وكان غيرَ مغلَّبٍ * دهرٌ جديدٌ دائم ممدود
يومٌ أرى يأتى عليه وليلةٌ * وكلاهما بعدَ المضاء يعودُ

فرح عبد الملك بسماع شعر لبيد ، ووفاته عقب ذلك

ففرح واستبشر وقال : ما أرَى بأسا ، وقد وجَدْتُ خِفًّا [3] . وأمر لى بأربعة آلاف درهم ، فقبضتُها وخرجت ، فما بلغتُ البابَ حتى سمعتُ الواعيةَ [4] عليه .

وغنّى فى هذه الأبيات التى أولها :

* غَلَب الرجالَ وكان غيرَ مغلَّبٍ *

عمرُ الوادىُّ خفيفَ رملٍ مطلقٍ بالوسطى عن عمرو .

أخبرنى الحسن بن على قال : حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال : حدثنا هارون بن مسلم عن العمرى عن الهيثم بن عدى عن حماد الراوية قال :

---

(١) التكملة من مب ، ها ، ف .
(٢) ما عدا مب ، ها ، ف : « سبعين حجة » .
(٣) الخف ، بالفتح : الخفة . ب ، س : « خفة » .
(٤) الواعية : الصراخ على الميت . ما عدا حـ ، مب : « الناعية » .

تفرّس النابغة فيه النجابة وهو صغير

نظر النابغةُ الذبيانى إلى لبيد بن ربيعة وهو صبىٌّ ، مع أعمامه على باب النُّعمان ابن المنذر، فسأل عنه فنُسب له ، فقال له : يا غلام، إنّ عينَيك لَعينَا شاعرٍ، أفتقرض من الشِّعر شيئا؟ قال : نَعَمْ يا عمّ . قال : فأنشدْنى شيئاً ممـا قلته . فأنشده قوله :

* ألم تَرْبَعْ على الدِّمن الخوالى[1] *

فقال له : يا غلامُ ، أنت أشعر بنى عامر ، زِدْنى يا بنىّ . فأنشده :

* طللٌ لخولةَ بالرُّسَيس قديمُ *

فضرب بيـدَيه إلى جنبيه وقال : آذهبْ فأنت أشعرُ من قيسٍ كلّها ، أو قال : هوازنَ كلّها .

وأخبرنى بهذا الخبر عمى قال : حدّثنا العمرى عن لقيط عن أبيـه ، وحمّادٌ الراويةُ عن عبد الله بن قَتادة المحاربى قال :

لقيه النابغة بعد خروجه من عند النعمان وشهد له

كنتُ مع النابغة بباب النُّعمان بن المنذر ، فقـال لى النابغه : هل رأيتَ لبيد ابن ربيعة فيمن حضَر؟ قلت : نعم . قال : أيُّهـم أشعر؟ قلت : الفـتى الذى رأيتَ من حاله كَيْتَ وكيت . فقال : اجلسْ بنا حتّى يخرج إلينا . قال : فجلسنا فلما خرجَ قال له النابغة : إلىَّ يا ابن أخى . فأتاه فقال : أنشِدْنى . فأنشده قوله :

١٠١ / ١٤

ألم تُلِممْ على الدِّمن الخوالى * لسَلْمَى بالمذانب فالقُفالِ[2]

فقال له النابغة : أنتَ أشعرُ بنى عامر ، زِدْنى . فأنشده :

طَلَلٌ لخولةَ بالرُّسَيس قديمُ * فبعاقلٍ فالأنعمين رُسومُ[3]

(١) ربع كمنع : وقف وانتظر وتحبس . (٢) فى معظم الأصول : «بالذنائب» ، صوابه من مب ، ها ، ف والديوان ١٠٨ طبع ١٨٨٠ . والقفال : بالضم ، كما فى معجم البلدان .

(٣) الرسيس ، بهيئة التصغير : واد بنجد لبنى كاهل من بنى أسد ، وقيل : واد بنجد أسفله لبنى أسد . فى معظم الأصول : «بمعاقل» ، صوابه من مب ، ها ، ف والديوان ٩١ . وجاء أيضا فى شعر لبيد :

وتانحتان تندبان بعاقل * أخا ثقة لا عين منه ولا أثر

والأنعمان : جبل ببطن عاقل . «رسوم» كذا فى الديوان ، مب ، ها ، ف . وفى سائر النسخ : «وشوم» .

فقال له : أنت أشعرُ هوازنَ ، زدْنى . فأنشده قوله :

عفَت الدِّيارُ محلُّها فُمقامها ＊ بمِنًى تأبَّدَ غَولُها فرِجامها

فقال له النابغة : اذهبْ فأنت أشعر العرب .

وصيته لابن أخيه حينما حضرته الوفاة

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال : حدّثنا عمر بن شبة قال : حدثنى عبد الله ابن محمد بن حكيم ، عن خالد بن سعيد ، أنّ لبيدًا لما حضرتْه الوفاة قال لابن أخيه ولم يكن له ولدٌ ذكر : يا بنىّ ، إنّ أباك لم يمُتْ ولكنّه فنِى . فإذا قُبِضَ أبوك فأقبِلْه القبلةَ[1] وسجِّه بثوبه ، ولا تصرُخَنّ عليه صارخةٌ ، وانظر جَفنتَىَّ اللتين كنت أصنعُهما فاصنَعْهما ثم احملْهما إلى المسجد ، فإذا سلَّمَ الإمامُ فقدِّمْهما إليهم ، فإذا طَعِموا فقلْ لهم فليحضُروا جِنازةَ أخيهم . ثم أنشد قوله :

وإذا دفنتَ أباكَ فا ＊ جعَلْ فوقَه خشبًا وطِينا[2]

وسَقائفًا صُمًّا روا ＊ سِيها يسدِّدن الغصونا[3]

ليقين حُرَّ الوجهِ سفْـ ＊ ـسافَ التُّراب ولن يَقِينا

قال : وهذه الأبيات من قصيدةٍ طويلة .

وقد ذكر يونس أنّ لابن سُريجٍ لحنًا فى أبياتٍ من قصيدة لبيد هذه ، ولم يجنِّسه .

صوت

أبُنَىَّ هل أبصرتَ أعـ ＊ ـمامى بنى أمِّ البنينا

وأبى الذى كان الأرا ＊ ملُ فى الشِّتاء له قَطِينا

وأبا شَريك والمُنا ＊ زِلَ فى المضيق إذا لَقِينا[4]

(١) أقبله الشىء : جعله يلى قبالته . (٢) الديوان ص ٤٦ طبع ١٨٨١ .
(٣) فى معظم الأصول : « رواسيها » صوابه من الديوان ، مب ، ها ، ف .
(٤) فى الديوان : « وأبو شريح » .

ما إنْ رأيتُ ولا سمعـ * ـتُ بمثلهم في العالَمينا
فبقيتُ بعدَهمُ وكنـ * ـتُ بطول صُحبتهم ضَنِينا
دَعْني وما ملكت يميـ * ـنى إنْ سددت بها الشئونا (١)
وافعل بمالك ما بدا * لك مُستعانًا أو مُعينا

ما قال من الشعر لابنتيه حين احتضر

٥ قال : وقال لابنتيه حين احتُضِر (٢) ، وفيه غناء :

تمنَّى ابنتاىَ أن يعيشَ أبوهما * وهَل أنا إلّا من ربيعةَ أو مُضَرْ
فإنْ حانَ يومًا أن يموت أبوكما * فلا تَخمُشا وجْهًا ولا تحلِقا شَعَرْ
وقولا هو المرءُ الذى لا حليفَه * أضاعَ ، ولا خانَ الصَّديقَ ولا غَدَرْ
إلى الحَولِ ثم اسمُ السَّلامِ عليكما * ومَن يَبكِ حولًا كاملا فقد اعتذر

١٠ في هذه الأبيات هزج خفيف مطلق في مجرى الوسطى . وذكر الهشامى إنّه لإسحاق . وذكر أحمد بن يحيى أنه لإبراهيم .

١٠٢ / ١٤

كانت ابنتاه ترثيانه ولا تعولان

قال : فكانت ابنتاه تلبسان ثيابهما في كلّ يوم ، ثم تأتيان مجلس بنى جعفر ابن كلاب فترثيانه ولا تُعْوِلانِ ، فأقامتا على ذلك حولًا ثم انصرفَتا .

صوت

١٥ سألناهُ الجزيلَ فما تأبَّى * فأعطى فوقَ مُنْيتنا وزادا
وأحسنَ ثمّ أحسَنَ ثم عُدْنا * فأحسَنَ ثم عُدتُ له فعادا
مرارًا ما دنوتُ إليه إلّا * تبسَّم ضاحكًا وثنَى الوِسادا

الشعر لزياد الأعجم ، والغناء لشارية ، خفيف رمل بالبنصر مطلق .

---

(١) في الديوان : « إن رفعت به شؤونا » . مب ، ها : « شزونا » ، وأثبت ما في سائر النسخ .

٢٠ (٢) ماعدا مب ، ها ، ف : « لما حضرته الوفاة » .

أخبار زيادٍ الأعجم ونسبه

نسبه

زياد بن سليمان[1] ، مولى عَبد القيس ، أحد بنى عامر بن الحارث ، ثم أحد بنى مالك بن عامر الخارجية[2] .

أخبرنى بذلك على بن سليمان الأخفش عن أبى سعيد السكرى . وأخبرنى محمد بن العباس اليزيدى ، عن عمه عن ابن حبيب قال :

علة تسميته بالأعجم

هو زياد بن جابر بن عمرو ، مولى عبد القيس . وكان ينزل إصطخر فغلبت العجمةُ على لسانه ، فقيل له الأعجم .

مولده ومنشؤه

وذكر ابنُ النَّطّاح مثلَ ذلك فى نسبه ، وخالف فى بلده ، وذكر أنّ أصلَه ومولده ومنشأه بأصبهان ثمّ انتقلَ إلى خراسان ، فلم يَزَلْ بها حتّى مات .

وكان شاعرًا جَزْل الشّعر فصيحَ الألفاظ على لُكنةِ لسانه ، وجَرْيه على لفظ أهل بلده .

مثل من لكنة زياد الأعجم

أخبرنى الحسن بن على قال : حدّثنا محمد بن موسى قال :

حُدِّثت عن المدائنى أنّ زيادًا الأعجَم دعا غلامًا له ليُرسِله فى حاجة ، فأبطأ فلما جاءه قال له : منذ لَدُنْ دَأَوْتُك إلى أن قلتَ لَبَّيْ[3] ما كنت تسنا ؟ يريد منذُ لَدُنْ دعوتُك إلى إن قلتَ لبَّيك ما ذا كنتَ تصنع .

فهذه ألفاظه كما ترى فى نهاية القُبْح واللُّكنة .

رثاؤه للمغيرة بن المهلب

وهو الذى يقول يرثى المُغيرةَ بن المهلّب[4] بقوله :

(١) وكذا فى المؤتلف ١٣١ . وفى الشعر والشعراء ٣٩٥ والخزانة (٤ : ١٩٣) : « زياد ابن سلمى » . (٢) فى المؤتلف : « أحد بنى عامر بن الحارث ، ثم أحد بنى الخارجية »
(٣) فى الأصول ماعدا مب ، ها : « لى » ، تحريف . وفى الخزانة : « لبى » .
(٤) كذا على الصواب فى أ ، مب . ها . وهو المطابق للشعر والشعراء ٣٩٧ وأمالى القالى (٢ : ٨) والخزانة ومعجم الأدباء (١١ : ١٧٠) . وفى سائر النسخ : « المهلب بن المغيرة » ، تحريف .

صــــوت

قُـلْ للقَوافل والغَـزِىِّ إذا غزَوْا * والباكرِينَ وللمجِـدِّ الرائحِ (١)

إنّ المـروءةَ والسَّماحــةَ ضُمِّنـا * قبرًا بمَـرْوَ على الطّريق الواضحِ

فإذا مررتَ بقـبرِه فاعقِـرْ بهِ * كُومَ الهِجانِ وكلَّ طِرفٍ سابحِ (٢)

وانضَحْ جوانبَ قَـبرِه بدِمائهـا * فلقد يكونُ أخا دمٍ وذبائحِ

يامَن بمهوَى الشَّمس من حىٍّ إلى * ما بين مَطلعِ قَرنهـا المتنـازِحِ (٣)

ماتَ المغـيرةُ بعد طولِ تعرُّضٍ * للموتِ بين أسـنّةٍ وصفائحِ

والقتلُ ليس إلى القتال ولا أرى * حَيًّا يؤخِّر للشَّفيـقِ النـاصحِ

وهى طويلة . وهذا من نادر الكلام ، ونقىِّ المعانى ، ومختار القصيد ، ٥

وهى معدودة من مراثى الشّعراء فى عصر زياد ومقدَّمها . ١٠

لابن جامع فى الأبيات الأربعة الأوَل غناءٌ أوّله نشيدٌ كلُّه ، ثم تعود الصّنعةُ إلى الثانى والثالث فى طريقة الهزج بالوسطى .

وقد أخبرنى على بن سليمان الأخفش ، عن السكّرى عن محمد بن حبيب ، أنّ من الناس مَن يروى هذه القصيدةَ للصَّلتَان العبدىّ . وهذا قولٌ شاذّ ، والصحيح أنّها لزياد قد دوّنها الرواةُ ، غيرَ مدفوعٍ عنها . ١٥

١٠٣ / ١٤

أخبرنى محمد بن خلف وكيع قال : حدثنى إسحاق بن محمد النخعى قال : حدثنا ابن عائشة عن أبيه قال :

---

(١) الغزى : اسم جمع للغازى . ب ، س : « للقرى إذا قروا » ، تحريف . ويروى : « والغزاة إذا غزوا » .

(٢) الطرف ، بالكسر : الجواد الكريم الطرفين : الأب والأم . والسابح : السريع كأنه يسبح بقوائمه . ٢٠

(٣) كذا فى ف . وفى مب ، ها : « بمهوى الشمس » وسائر النسخ : « لبعد الشمس » . وفى الأمالى :

يا من بمغدى الشمس أو بمراحها * أو من يكون بقرنها المتنازح

مثل آخر من أمثلة لـكنته

رثى زياد الأعجم المغيرة بن المهلب فقال :

إنّ الشّجاعةَ والسَّماحةَ ضُمِّنا * قبراً بمَرْوَ على الطَّريقِ الواضحِ

فإذا مررتَ بقبرِه فاعقِرْ به * كُومَ الهجانِ وكلَّ طِرفٍ سابحِ

فقال له يزيد بن المهلب : يا أبا أمامة ، أفعقَرتَ أنت عنده ؟ قال : كنتُ على بنت الهمار[1] . يريد الحمار .

٥

أخبرنى مالك بن محمد الشيبانى قال :

أبيات لبعض المحدثين فى نحو معنى مرثيته السابقة

كنت حاضرًا فى مجلس أبى العباس ، فقلت وقد قرئ عليه شعرُ زيادٍ الأعجم ، فقرئت عليه قصيدته :

قل للقوافلِ والغزىّ إذا غزَوا * والباكرين وللمجدِّ الرائحِ[2]

قال : فقلت إنّها من مختار الشعر ، ولقد أُنشِدت لبعض المحدَثين فى نحو هذا المعنى أبياتًا حسنة . ثم أنشدَنا :

١٠

أيُّها الناعيانِ مَن تنعيانِ * وعلى مَنْ أراكما تبكيانِ

اندُبا الماجدَ الكريمَ أبا إسـ * ـحاق ربَّ المعروفِ والإحسانِ

واذهبا بى إنْ لم يكنْ لكما عَقْـ * ـرٌ إلى جنب قبره فاعقِرانى

وانضحَا من دمى عليه فقد كا * ن دمى مِن ندَاه لو تعلمانِ

١٥

أخبرنى وكيع قال : حدثنى إسحاق بن محمد النخعىّ عن ابن عائشة عن أبيه قال :

---

(١) فى جمهور الأصول : « بيت الحمار » ، صوابه فى مب ، ها ، ف .

(٢) ب ، سه : « والقرى إذا قروا » . وانظر ما سبق فى ص ٣٨١ .

قصته مع حبيب ابن المهلب وشأن الحمامة وديتها

كان المهلب بن أبي صُفرة بخُراسان ، فخرج إليه زيادٌ الأعجم فمدحَه ، فأمر له بجائزة فأقام عندهُ أياما . قال : فإنّا بعشيّةٍ نَشرب مع حبيب بن المهلّب في دارٍ له ، وفيها حمامةٌ ، إذْ سجعت الحمامةُ فقال زياد :

تَغَنَّيْ أنتِ في ذِممي وعَهدي * وذمّةِ والدي إنْ لم تُطَاري
وبيتُك فاصلحيه ولا تخافي * على صُفْرٍ مزغّبةٍ صِغارِ
فإنّكِ كلّما غنّيتِ صوتًا * ذكرتُ أحبّتي وذكرتُ داري
فإمّا يقتلوكِ طلبتُ ثأرًا * له نبأٌ لأنّكِ في جواري

٥

فقال حبيبٌ : يا غلام ، هاتِ القوس . فقال له زياد : وما تصنعُ بها ؟ قال : أرمي جارتَك هذه . قال : والله لئن رميتَها لاستعدينّ عليك الأمير . فأُتي بالقوس فنزع لها سهمًا فقتلَها ، فوثب زيادٌ فدخل على المهلّب فحدّثه الحديثَ وأنشده الشعر ، فقال المهلّب : عليّ بأبي بِسطام ، فأُتيَ بحبيب فقال له : أَعطِ أبا أمامةَ ديةَ جارته ألفَ دينار . فقال : أطال اللهُ بقاءَ الأمير ، إنّما كنتُ ألعب . قال : أعطه كما آمرُك . فأنشأ زيادٌ يقول :

١٠

فللّه عينًا مَن رأى كقضيّةٍ * قضَى لي بها قَرْمُ العراق المهلّبُ
رماها حبيبُ بن المهلّب رميةً * فأثبتَها بالسّهم والسهمُ يغربُ (١)
فألزمَه عَقْلَ القتيل ابنُ حُرّةٍ * وقال حبيبٌ : إنّما كنت ألعبُ
فقال : زيادٌ لا يروَّعُ جارُه * وجارةُ جاري مثل جِلدي وأقربُ (٢)

١٥

١٠٤/١٤

(١) أثبتها : قتلها مكانها . يغرب ، من قولهم سهم غرب ، إذا أتى من حيث لا يدرى . وفي معظم الأصول : « يقرب » ، والوجه ما أثبت من مب ، ها .

٢٠ (٢) ماعدا مب ، ها : « مثل جاري » .

نصر المهلب له على ولده حبيب

قال : فحمل حبيبٌ إليه ألف دينار على كره منه ، فإنّه ليشرب مع حبيب يومًا إذ عربد عليه حبيبٌ ، وقد كان حبيب ضغن عليه ممّا جرى ، فأمر بشق قباء ديباج كان عليه ، فقام فقال :

لعمرك ما الدّيباج خرّقت وحده * ولكنّما خرّقت جلد المهلّب

فبعث المهلّب إلى حبيب فأحضره ، وقال له : صدق زياد ، ما خرّقت إلّا جلدى ، تبعث هذا على أن يهجونى . ثم بعث إليه فأحضره ، فاستلّ سخيمته من صدره وأمر له بمال وصرفه .

وقد أخبرنى وكيع بهذا الخبر أيضا . قال أحمد بن الهيثم بن فراس ، قال العمرى عن الهيثم بن عدىّ قال :

نصر المهلب له على ولده يزيد

تهاجى قتادة بن مغرب[1] اليشكرى وزيادٌ الأعجم بخراسان ، وكان زيادٌ يخرج وعليه قباء ديباج ، تشبّها بالأعاجم ، فمرّ به يزيد بن المهلّب وهو على حاله تلك ، فأمر به فقنّع أسواطًا ، ومزّقت ثيابه وقال له : أبأهل الكفر والشرك تتشبّه[2] لا أمّ لك؟ فقال زياد :

لعمرك ما الديباج خرّقت وحده * ولكنّما خرّقت جلد المهلّب

وذكر باقى الخبر مثله وقال فيه :

فدعا به المهلّب فقال له : يا أبا أمامة ، قلت شيئًا آخر؟ قال : لا والله أيها الأمير . قال : فلا تقل . وأعتبه[3] وكساه وحمله ، وأمر له بعشرة آلاف درهم وقال له : اعذر ابن أخيك يا أبا أمامة ، فإنه لم يعرفك .

---

(١) أ ، م ، ها ، مب ، ف : « معرب » وفى سائر النسخ : « مقرب » ، صوابهما من الشعر والشعراء ، وسيأتى على الصواب قريبا . (٢) سه ، ب ، أ : « أبالمهلب والترك تتشبه » . وفى حد ، ها ، ف : « أبأهل الشرك تتشبه » . وأثبت ما فى م ، مب . (٣) أعتبه : أزال عتبه ، أى أرضاه .

وهذه الأبياتُ التى فيها الغناءُ يقولها زيادٌ الأعجم فى عُمَر بن عبيد الله ابن معمر التَّيمى .

أخبرنى بخبره فى ذلك أحمد بن عبد العزيز الجوهرى قال : حدّثنا عمر ابن شَبّة قال :

شعره فى عراك الفقيه

أتى زيادٌ الأعجم عمَرَ بن عَبيد الله بن مَعمرٍ بفارس ، وقدم عليه عِرَاكُ(١) ابن محمّد الفقيهُ من مصر ، فكان عِراكٌ يحدّثه بحديث الفقهاء ، فقال زياد :

يحدِّثنا أنّ القيامةَ قد أتَتْ * وجاء عِراكٌ يبتغى المالَ من مصرِ

فكم بينَ بابِ النُّوبِ(٢) إنْ كنتَ صادقًا * وإيوان كسرى من فَلاةٍ ومن قصرِ

وقال يمدح عُمر بن عُبيد الله :

سألناه الجزيلَ فما تأبَّى * وأعطى فوقَ مُنْيتنا وزادا

وذكر الأبياتَ الثلاثة .

نسخت من كتاب ابن أبى الدنيا : أخبرنى محمد بن زياد ، عن ابن عائشة . وأخبرنى هاشم بن محمد قال : حدّثنى عيسى بن إسماعيل عن ابن عائشة ، وخبرُ ابن أبى الدُّنيا أتمّ . قال :

استنجازه وعدا لابن معمر وشعره فى ذلك

كان زيادٌ الأعجم صديقًا لعمر بن عُبيد الله بن معمر قبل أن يَلِى ، فقال له عمر : يا أبا أمامة ، لو قد وَلِيت لتركتُك لا تحتاجُ إلى أحدٍ أبدا . فلما ولى فارسَ قصده ، فلمّا لقيَه أنشأ يقول :

أَبلغْ أبا حفصٍ رسالةَ ناصحٍ * أتَتْ من زيادٍ مستبينا كلامُها

فإنّكَ مثلُ الشَّمس لا سِترَ دونَها * فكيف أبا حفص علىَّ ظلامُها

(١) ماعدا مب ، ها ، ف : « غزال » فى هذا الموضع والشعر بعده .

(٢) فى معظم الأصول : « باب الترك » ، صوابه فى مب ، ها ، ف . ويعنى بباب النوبة ، مصر . — فقط : « وأبواب كسرى » .

فقال له عمر : لا يكون عليك ظلامُها أبدًا . فقال زياد :

لقد كنتُ أدعو الله فى السّرّ أن أرى * أمورَ معدٍّ فى يديك نظامُها

فقال له : قد رأيتَ ذلك . فقال :

فلما أتانى ما أردتُ تباشَرَتْ * بناتى وقلنَ العامَ لا شكَّ عامُها

قال : فهو عامهنّ إن شاء الله تعالى . فقال :

فإنّى وأرضًا أنت فيها ابنَ معمرٍ * كمكّةَ لم يَطربْ لأرضٍ حمامُها[1]

قال : فهى كذلك يا زياد . فقال :

إذا اخترتَ أرضًا للمقام رضيتُها * لنفسى ولم يثقُلْ علىَّ مُقامُها

وكنتُ أمنّى النفسَ منك ابنَ معمر * أمانىَّ أرجو أن يتمَّ تمامُها

قال : قد أتمّها الله عليك . فقال :

فلا أكُ كالمُجْرِى إلى رأس غايةٍ * يُرَجِّى سَماءً لم يصبْه غَمامُها

قال : لستَ كذلك فَسَلْ حاجتَك . قال : نَجيبةٌ ورحالتها[2]، وفرسٌ رائع وسائسُه، وبَدْرةٌ وحاملها، وجاريةٌ وخادمُها، وتَختُ ثيابٍ[3] ووصيفٌ يحمله . فقال : قد أمرنا لك بجميع ما سألتَ، وهو لك علينا فى كلّ عام . فخرج مِنْ عنده حتّى قدم على عبد الله بن الحَشْرَج وهو بسابُور، فأنزلَه وألطفَه[4]، فقال فى ذلك :

مديحه لعبد الله ابن الحشرج

إنّ السماحةَ والمروءةَ والنّدَى * فى قُبّةٍ ضُرِبت على ابن الحَشْرَج

مَلِكٌ أغرُّ متوَّجٌ ذو نائلٍ * للمُعْتَفِين يمينُه لم تَشْنَج

(١) الطرب : الشوق .
(٢) النجيبة : الناقة الكريمة . والرحالة : الرحل .
(٣) التخت : وعاء يصان فيه الثياب .
(٤) ألطفه : أتحفه بالهدايا والألطاف .

يا خَيرَ من صعِد المنابر بالتقى * بعد النبيِّ المصطفى المتحرِّجِ
لما أتيتُك راجياً لنوالكمْ[1] * ألفيتُ بابَ نوالكم لم يُرتَجِ

فأمر له بعشرة آلاف درهم .

أخبرنا محمد بن خلف وكيع، عن عبد الله بن محمد، عن عَبيد بن الحسن ابن عبد الرحمن بهذا الخبر فقال فيه : « أتى زيادُ عبدَ الله بن عامر بن كريز » . والخبر الأوّلُ أصحُّ . وزاد فى الشعر :

أخٌ لك لا تراه الدّهرَ إلّا * على العِلّاتِ بسّاماً جَوادا

فقال له عمر : أحسنت يا أبا أمامة، ولكَ لكلِّ بيتٍ ألف . قال : دعْنى أتمّها مائة . قال : أمَا إنّك لو كنت فعلتَ لفعلتُ، ولكن لك ما رُزقتَ .

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال : حدّثنا ابن عائشة قال : حدّثنى أبى قال : لما خرج ابنُ الأشعث أرسلَ عبدُ الملك إلى عُمر بن عبيد الله بن مَعْمر ليَقْدَمَ عليه، فلما كان بضُمَيرٍ، وهى من الشأم، ماتَ بالطاعون، فقام عبدُ الملك على قبره وقال : أمَا والله لقد علمَتْ قريشٌ أن قد فَقَدتِ اليومَ ناباً من أنيابها . وقال جدّ خَلّاد بن أبى عمرو الأعمى، وكانوا موالىَ أبى وَجْرةَ بنِ أبى عمرو بن أميّة : أهو اليوم نابٌ لمّا ماتَ، وكان أمسِ ضِرساً كَليلةً ؟! أمَا والله لَوددْتُ أنّ السماء وقَعَتْ على الأرض فلم يعِش بينهما أحدٌ بعده ! وسمعها عبد الملك فتغافَلَ عنها .

رثاء عبد الملك لعمر بن عبيد الله

قال : وقال الفرزدق يرثيه :

رثاء الفرزدق لعمر ابن عبيد الله

يا أيُّها الناس لا تَبكُوا على أحدٍ * بعد الذى بضُمَيرٍ وافَق القَدرا
كانت يداه لنا سَيفًا نَصُول به * على العدُوّ وغيثًا يُنبِت الشَّجَرا

(١) أ ، م : « راجيا أموالكم » .

أمّا قريشٌ أبَا حفص فقد رُزِئت * بالشّأم إذ فارقتكَ البأسَ والظفَرا

مَن يقتلُ الجوعَ من بعد الشهيد ومَنْ * بالسيف يقتل كَبْشَ القوم إذ عَكَرا (1)

إنّ النوائح لم يَعدُدْنَ فى عُمَر * ما كان فيه إذَا المولى به افتخرا

إذَا عددنَ فعالًا أو لَهُ حسبًا * ويومَ هيجاءَ يُغشى بأسُه البصرا

كم من جبانٍ إلى الهيجا دنوتَ له * يومَ اللّقاء ولولا أنت ما صَبَرا

أخبرنا أحمد حدّثنا عمر بن شبة قال : حدّثنا عفان بن مسلم، قال : حدّثنا حماد بن سلمة قال : أخبرنا حميد عن سليمان بن قَتّة (2) قال :

ثناء عبد الله بن عمر على عمر بن عبيد الله

بعث عُمر بن عُبيد الله بن مَعمَر إلى ابن عُمَر (3)، والقاسم بن محمد، بألف دينار، فأتيتُ عبد الله بن عُمر وهو يغتسل فى مُستَحَمٍّ له، فأخرج يدَه فصببتها فى يده، فقال : وصَلَتْ رحمًا، وقد جاءتنا على حاجة . وأتيتُ القاسمَ فأبى أن يقبلها، فقالت لى امرأته : إنْ كان القاسمُ ابنَ عمّه فأنا لابنةُ عمّه . فأعطيتُها . قال : فكان عمرُ يبعث بهذه الثّياب العمرية يقسّمها بين أهل المدينة، فقال ابن عُمر : جَزَى الله مَن اقتنى هذه الثيابَ بالمدينة خيرا . وقال لى عمر : لقد بلغنى عن صاحبك شىءٌ كرهتُه . قلت : وما ذاك؟ قال : يُعطى المهاجرين ألفا ألفا، ويُعطى الأنصار سَبعمائة سبعمائة . فأخبرته فسوّى بينهم (4) .

(1) الكبش : رئيس القوم وسيدهم . فى جمهور الأصول : « كيس » صوابه فى مب، ها، ف، وديوان الفرزدق ٢٩٢ . وفى جمهور الأصول : « إن غدرا » والوجه ما أثبت من مب، ها، ف والديوان . عكر : كر وعطف .

(2) حـ : «سلمان بن قبة» . وفى سائر الأصول : «سلمان بن عتبة»، صوابه فى مب، ها، ف .

(3) فى معظم الأصول : « إلى عمر » صوابه فى مب، ها، ف .

(4) حـ : « بينهما » .

أخبرنا أحمد قال حدّثنا أبو زيد قال :

شراء عمر بن عبيد الله جارية ثم ردّها على صاحبها

كانت لرجل جاريةٌ يهواها ، فاحتاج إلى بيعها ، فابتاعها منه عُمر بن عُبيد الله ابن معمر ، فلما قبضَ ثمنَها أنشأتْ تقول :

هنيئًا لك المالُ الذى قد قبضتَه * ولم يبق فى كَفَّىَّ غير التحسُّرِ

فإنّى لحُزْنٍ من فِراقكَ مُوجَعٌ * أناجِى به قلبًا طويلَ التفكّرِ

فقال : لا ترحلى . ثم قال :

ولولا قُعود الدّهرِ بى عنكِ لم يكن * يفرّقنا شىءٌ سوى الموتِ فاعذرِى

عليك ســلامٌ لا زيارةَ بيننا * ولا وَصلَ إلا أنْ يشاء ابنُ معمرِ

فقال : قد شئتُ ، خذِ الجارية وثمَنها . فأخذَها وانصرف .

أخبرنى عمى قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال : حدّثنى محمد بن زياد قال : حدّثنى ابن عائشة قال :

شعر زياد فى استبطاء عمر بن عبيد الله

استبطأ زيادٌ الأعجم عُمر بن عبيد الله بن مَعمر فى زيارته إياه فقال :

أصابت علينا جودَكَ العينُ يا عُمَرْ * فنحنُ لها نبغى التمائم والنُّشَرْ[1]

أصابتْك عينٌ فى سماحِك صلبةٌ * ويا رُبّ عينٍ صُلبةٍ تفلق الحجَرْ

سنَرقيك بالأشعارِ حتّى تَملّها * فإنْ لم تُفِق يومًا رقَيناكَ بالسُّوَر[2]

فبلغته الأبياتُ فأرضاه وسرّحه .

أخبرنى عمى قال : حدثنى الكُرانىّ قال حدثنى العمرىّ قال : حدثنى من سمع حمادا الراوية يقول :

(١) النشر : جمع نشرة ، بالضم ، وهى ضرب من الرقية .

(٢) ما عدا أ ، مب ، ها ، ف : « وقيناك » .

هجاء زياد الأعجم عباد بن الحصين

امتدح زيادٌ الأعجم عبَّاد بن الحُصين الحَبَطى[١]، وكان على شرطة الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة الذى يقال له "القُبَاع"[٢]، وطلب حاجة فلم يَقضِها، فقال زياد:

سألتُ أبا جَهضَمٍ حاجةً * وكنتُ أُراه قريبًا يسيرا
فلو أننى خِفت منه الخلا * فَ والمنعَ لى لم أسَلْهُ نَقيرا
وكيف الرَّجاءُ لِمَا عندَه * وقد خالط البخلُ منه الضميرا
أقِلْنى أبا جَهضمٍ حاجتى * فإنى امرؤٌ كان ظَنِّى غُرورا

١٠٧ / ١٤

أخبرنى عمى قال: حدثنى الكُرَانىّ عن العُمَرى، عن عطاء بن مصعب، عن عاصم بن الحَدَثان قال:

هجاؤه ليزيد بن حبناء حين وعظه

مرَّ يزيد بن حَبْناء الضبىّ بزيادٍ الأعجم وهو ينشد شعرًا قد هجا به قَتادةَ ابن مغرِب، فأفحش فيه، فقال له يزيدُ بن حبناء: ألم يأنِ لك أن تَرعوِىَ وتتركَ تمزيقَ أعراض قومك، وَيْحك! حتّى متى تتمادَى فى الضلال، كأنّك بالموت قد صَبَّحك أو مَسَّاك! فقال زياد فيه:

يحذِّرنى الموتَ ابنُ حبناءَ والفتى * إلى الموت يَغدو جاهدًا ويَرُوحُ
وكلُّ امرئٍ لا بدّ للموتِ صائرٌ * وإن عاش دهرًا فى البلاد يسيح
فقلْ ليزيدٍ يا ابنَ حَبْناء لا تَعِظْ * أخاك وعِظْ نفسًا فأنت جَنوحُ

---

(١) الحبطى: نسبة إلى الحبطات بفتحتين، وهم أبناء الحبط بفتح فكسر، وهو الحارث بن عمرو ابن تميم بن مر. الاشتقاق ١٢٤ والمعارف ٣٥. وذكرابن دريد فى الاشتقاق والجاحظ فى البيان (٤ : ٣٦) عباد بن الحصين الحبطى. حـ : «الحنطى» وب، سـ، م «الحنطبي» ف: «الحنظلى» صوابه فى أ، مب، ها.

(٢) فى جمهور الأصول: «الحارث أيام عبد الله بن ربيعة»، والصواب ما أثبت من مب، ها، ف. انظر البيان (١ : ١٩٦) والشعر والشعراء ٥٣٦.

تَركتَ التُّـقى والدينُ دينُ محمّـدٍ * لأهـلِ التُّـقى والمسلمين يلوحُ

وتابعتَ مُرّاقَ العـراقين سادرًا * وأنتَ غليظ القُصْرَيَيْنِ صحيـحُ (١)

فقال له يزيد بن عاصم الشَّنّيّ (٢) : قَبّحك الله، أتهجو رجلًا وعظك وأمرك بمعروف بمثل هذا الهجاء، هلّا كففتَ إذ لم تقبل، أراه والله سيأتى على نفسك ثم لا تَخْفِق فيـك عَتْرَانُ (٣)، اذهبْ ويحك فأتِه واعتذر إليه لعلّه يَقبلُ عذرَك . فمشى إليه بجماعةٍ من عبـد القيس فشفَعوا إليـه فيه ، فقال : لا تثريبَ ، لستُ واجدًا عليـه بعد يومى هذا .

أخبرنى أحمد بن على قال : سمعت جدى على بن يحيى يحدث عن أبى الحسن عن رجل من جُعفىٍّ قال :

مدحه المهلب ببيت جائزته ثلاثـون ألف درهم

كنتُ جالسا عند المهلَّب إذْ أقبلَ رجلٌ طويلٌ مضطرب ، فلما رآه المهلَّب قال : اللهمّ إنى أعوذ بك من شرّه ! فجاء فقال : أصلحَ الله الأمير، إنّى قد مدحتك ببيتٍ صَفَدُه (٤) مائة ألف درهم . فسكت المهلّب ، فأعاد القول فقال له : أنشِدْه . فأنشـــده :

فتًى زادَهُ السُّلطانُ فى الخير رغبةً * إذا غيَّرَ السُّـلطانُ كلَّ خليـلِ

فقال له المهلّب : يا أبا أُمامة ، مائة ألف؟ ! فوالله ماهى عندنا ولكنْ ثلاثون ألفا فيها عُروضٌ . وأمر له بها، فإذا هو زياد الأعجم .

---

(١) المراق : الخوارج ، جمع مارق . والقصريان : مثنى القصرى ، وهى آخر ضلع الجنب أسفل الأضلاع . (٢) ما عدا حـ ، مب ، ها ، ف : « الليثى » .

(٣) هذا الصواب من مب ، ف . وفى جمهور الأصول : « ثم لا يحبق فيك غيران » . تحبق : تضرط . وانظر لهذا المثل أمثال الميدانى ٢ : ١٥٧ والبيان ٢ : ١٥ . (٤) الصفد : العطاء .

هجاؤه للفرزدق وفزع الفرزدق منه

أخبرنى عمى قال : حدثنى الكرانى وأبو العيناء عن القَحذمىّ قال :

لقى الفرزدقُ زيادًا الأعجمَ فقال له الفرزدق : لقد هممتُ أن أهجوَ عبد القيس، وأصفَ من فَسْوِهم شيئا . قال له زياد : كما أنتَ حتّى أسمعَك شيئًا . ثم قال : قل إن شئتَ أو أمسك . قال : هات . قال :

وما ترَكَ الهاجون لى إن هجوتُه * مَصَحًّا أراه فى أديم الفرزدقِ
فإنّا وما تُهدِى لنا إنْ هجوتَنا * لكالبحرِ مهما يُلْقَ فى البحر يَغرقِ

فقال له الفرزدق : حَسبك هَلُمَّ نَتَتارَك[1] . قال : ذاك إليك . وما عاوده بشىء .

وأخبرنى بهذا الخبر محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثنا العتبى عن العباس ابن هشام عن أبيه قال : حدثنى خِراش[2]، وكان عالمًا راوية لأبى، ولمؤرِّج[3]، ولجابر بن كلثوم ، قال :

أقبل الفرزدقُ وزيادٌ ينشد الناسَ فى المِربَد وقد اجتمعوا حولَه ، فقال : مَن هذا ؟ قيل : الأعجم . فأقبل نحوه فقيل له : هذا الفرزدقُ قد أقبل عليك . فقام فتلقّاه وحيّا كلٌّ واحدٍ منهما صاحبه ، فقال له الفرزدق : ما زالت تنازعُنى نفسى إلى هجاءِ عبد القيس منذُ دهْر . قال زياد : وما يدعوك إلى ذلك ؟ قال : لأنّى رأيتُ الأشقرىَّ هجا كم فلم يصنعْ شيئا ، وأنا أشعرُ منه ، وقد عرفتُ الذى هيّج بينك وبينه . قال : وما هو ؟ قال إنّكم اجتمعتم فى قُبّة عبد الله بن الحَشرج بخُراسان ، فقلتَ له قد قلت شيئا فمن قال مثلَه فهو أشعر منّى ، ومن لم يَقُلْ مثلَه ومدّ إلىّ عنقَه فإنّى أشعر منه . فقال لك : وما قلتَ ؟ فقلتَ : قلتُ :

١٠٨ / ١٤

١٥

---

(١) ا عدا ح ، مب ، ها ، ف : « نتشارك » ، تحريف . والمراد بالمتاركة المهادنة .

(٢) ا : « خداش » . (٣) بالراء المشددة المكسورة ، وهو أبو فيد عمرو بن الحارث السدوسى ، قال فى القاموس : سمى بذلك لتأريجه الحرب بين بكر وتغلب . والتأريج : الإغراء .

٢٠

وقافيــة حَذّاءَ بتُّ أحُوكُها * إذا ما سُهيــلٌ فى السّماء تَلألا[1]

فقال لك الأشقرىّ :

وأقلف صلّى بعــد ما ناكَ أمّــه * يرى ذاك فى دِين المجوس حَلالا

فأقبلَتَ على من حضَر فقلت : يالأَمّ كعبٍ أخزاها الله تعالى، ما أعمّها حين تُخبر ابنها بقُلْفتى ! فضحك الناسُ وغلبت عليه فى المجلس .

فقال له زياد : يا أبا فراس، هَبْ لى نفسك ساعةً ولا تعجَلْ حتّى يأتيك رسولى بهديّتى ثم ترى رأيَك . وظنّ الفرزدقُ أنه سُيهدى إليه شيئاً يستكفّه به، فكتب إليه :

وما تَرَك الهــاجُون لى إن أردتُه * مَصَحًّا أراهُ فى أديم الفــرزدقِ

وما تركوا لحمًا يدقّون عَظْمَــه * لآكِله أبقَــوْه للمتعــرِّق

سأحطِمُ ما أبقَــوْا له من عِظامه * فأنكُتُ عظمَ الساق منه وأنتقى[2]

فإنا وما تُهــدى لنا إنْ هجوتَنا * لكالبحر مهما يُلقَ فى البحر يَغرق

فبعث إليه الفرزدق : لا أهجو قوماً أنت منهم أبداً .

زياد أهجى من كعب الأشقرى

قال أبو المنــذر : زيادٌ أهجى من كعبٍ الأشقرىّ ، وقد أُوثِرَ عليــه فى عدّة قصائد . منها التى يقول فيها :

قُبَيِّــلةٌ خــيرُها شــرُّها * وأصــدقُها الكاذب الآثمُ[3]

وضَيفهمُ وَسْطَ أبياتهــمْ * وإن لم يكن صائمًا صائمُ

وفيه يقول :

إذا عــذّبَ الله الرجالَ بشِــعرهم * أمِنتُ لكعبٍ أنْ يعذَّبَ بالشعرِ

(١) قصيدة حذاء : سائرة لا عيب فيها ولا يتعلق بها شىء من القصائد لجودتها .

(٢) يقال نكت العظم : ضرب طرفه بشىء ليخرج مخه . والانتقاء : استخراج النق، وهو المخ . فى جمهور الأصول : « فأنكب » ، وصوابه من مب ، ها ، ف ، والشعر والشعراء ٩٦ ومعجم الأدباء .

(٣) قبيلة : مصغر قبيلة .

وفيه يقول :

أتتْـكَ الأزدُ مصفَـرًّا لِحَاها * تَساقَطُ من مناخرها الْجُوَافُ(١)

أخبرنى وكيعٌ قال : حدثنى أحمـد بن عمـر بن بكير قال حدثنـا الهيثم عن ابن عياش قال :

هجاؤه لأبى قلابة الجرمى

دخل أبو قِلابةَ الجَرْمىّ مسجدَ البصرة وإذا زيادٌ الأعجم ، فقال زياد : مَن هذا؟ قال : أبوقلابة الجَرمىّ ، فقام على رأسه فقال :

قـمْ صاغرًا يا كهلَ جَرمٍ فإنّمـا * يقال لكَهل الصِّدق قمْ غيرَ صاغرِ

فإنّك شَـيخٌ ميّت ومـورَّثٌ * قُضاعةَ مـيراثَ البَسـوسِ وقاشرِ(٢)

قضى الله خَلْقَ النّـاسِ ثم خُلِقتمُ * بقيّـةَ خَـلْقِ الله آخِرَ آخرِ

فـلم تسـمعوا إلّا بمـا كان قبلَكم * ولم تُدرِكوا إلّا بدقِّ الحوافرِ(٣)

فلو ردّ أهـلُ الحق مَن مات منكمُ * إلى حقّـه لم تُدفَنـوا فى المقـابر

فقيل له : فأين كانوا يدفنون يا أبا أمامة ؟ قال : فى النّواويس(٤) .

---

(١) الجواف : ضرب من السمك ، واحدته جوافة . وفى جمهور الأصـول : « من مباديها الحراف » ، والوجه ما أثبت من مب ، ها ، ف ، والشعر والشعراء . (٢) البسوس : مثل فى الشؤم ، وهى البسوس بنت منقذ التميمية ، خالة جساس بن مرة . وحرب البسوس مشهورة فى كتب الأيام . وقاشر : فحل مشئوم ، كان لبنى عوافة بن سعد بن زيد مناة بن تميم . ما عدا مب ، ها ، ف : « ناشر » ولا وجه له . (٣) أى إلا بتتبع آثار ما تدقه الحوافر . (٤) النواويس : جمع ناوس ، وفى اللسان : « والناوس مقابر النصارى ، إن كان عربيا فهو فاعول منه » .

تم الجزء الخامس عشر من كتاب الأغانى

مطابع كوستاتسوماس وشركاه

٥ شارع وقف الحربوطلي بالظاهر – ٩٠١١٨

القاهرة

تراثنا



تأليف

أبى الفرج الأصبهانى على بن الحسين

٣٥٦ هـ - ٩٧٦ م

الجزء السادس عشر

مصور عن طبعة دار الكتب

طبعة كاملة الأجزاء معها فهرس
جامع وتصويبات واستدراكات

وزارة الثقافة والارشاد القومى
المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الجـــزء السادس عشر

من كتاب الأغانى

أخبـار شـارية

نسبها وتعلمها الغناء

٥ قال أبو الفرج علىّ بن الحسين :

كانت شارية مولدة من مولدات البصرة ، يقال إن أباها كان رجلا من بنى سامةَ بن لؤىّ المعروفين ببنى ناجيــة [1] ، وأنه جحدها ، وكانت أمها أَمَةً ، فدخلت فى الرق . وقيل بل سُرقت فبيعت ، فاشترتها امرأة من بنى هاشم ، فأدّبتها ، وعلمتها الغناء ، ثم اشتراها إبراهيم بن المهدى ، فأخذت غناءها [2] كله أو أكثره عنه ، و بذلك يحتج

١٠ من يقدّمها على عَريب ، و يقول : إن إبراهيم خرّجها ، وكان يأخذها بصحة الأداء

---

(١) سامة بن لؤى بن غالب : أخو كعب الجد السادس للنبى صلى الله عليه وسلم . واختلف فيه : فقال أبو الفــرج الأصبهانى : إن قريشا تدفع بنى سامة ، وتنسبهم إلى أمهم ناجية . وقال الهمدانى : يقول الناس : بنو سامة ، ولم يعقب ذكرا ، إنما هم أولاد بنته ، وكذلك قال عمر وعلى ، ولم يفرضا لهم ، وهم ممن حرم . وقال ابن الكلبى والزبير بن بكار : فولد سامة بن لؤى الحارث وغالبا (انظر تاج العروس

١٥ للزبيدى فى : سوم) .

(٢) كذا فى ف ، وفى بقية الأصول : غناءه .

لنفسه، و بمعرفة ما يأخذها به . ولم تكن هذه حال عريب، لأن المراكبى[1] لم يكن يقارب إبراهيم فى العلم، ولا يقاس به فى بعضه[2]، فضلا عن سائره .

ابن المعتز يؤلف عنها

أخبرنى بخبرها محمد بن إبراهيم قُرَيص[3] :

أن ابن المعتز دفع إليه كتابه الذى ألفه فى أخبارها ، وقال له أن يرويه عنه ، فنسخت منه ما كان يصلح لهذا الكتاب على شرطى فيه، وأضفت إليه ما وجدته من أخبارها عن غيره فى الكتب، وسمعته أنا ممن رويته عنه .

بيعها

قال ابن المعتز : حدثنى عيسى بن هارون المنصورى :

أن شارية كانت لامرأة من الهاشميات بصرية، من ولد جعفر بن سليمان. فحملتها لتبيعها ببغداد، فعرضت على إسحاق بن إبراهيم الموصلى، فأعطى بها ثلثمائة دينار، ثم استغلاها بذلك ولم يُرِدْها . فجىء بها إلى إبراهيم بن المهدى ، فعرضت عليه ، فساوم بها . فقالت له مولاتها : قد بذلتها لاسحاق بن إبراهيم بثلثمائة دينار ، وأنت أيها الأمير، أعزك الله، بها أحق . فقال : زنوا لها ما قالت. فوُزن لها، ثم دعا بقَيِّمته، فقال : خذى هذه الجارية ولا ترينها[4] سنة ، وقولى للجوارى يطرحن عليها،

(١) كذا فى ف ، مب ، ونهاية الأرب (٥ : ٩٦) وهو عبد الله بن إسماعيل المراكبى ، مولى عريب، ومخرجها فى الغناء . وفى بقية الأصول : المرادى ، تحريف .

(٢) كذا فى ف . وفى أ ، م : ولا يقاس فى بعضه . وفى ج : ولا يقاس بعضها بعضه .

(٣) هــو قريص المغنى ، قال ابن النديم فى الفهرست (مصر ٢٢٢) : قريص الجراحى ، كان فى جملة أبى عبد الله محمد بن داود بن الجراح ، واسمه ... ... من حذاق المغنين وعلمائهم » وقريص : بصاد مهملة كما فى ف و بعض النسخ ، لا بالضاد كما فى بعض آخر ؛ يؤيد ذلك الجناس فى بيت جحظة البرمكى ، من أبيات يهجوه بها :

أكلنا قريصا وغنى قريص * فبتنا على شرف الفالج

توفى قريص سنة أربع وعشرين ، وفيها مات جحظة » . انظر الفهرست لابن النديم .

(٤) فى نهاية الأرب (٥ : ٧٩) : تريتها .

فلما كان بعد سنة أخرجت إليه، فنظر إليها وسمعها . فأرسل إلى إسحاق بن إبراهيم الموصلى فدعاه ، وأراه إياها ، وأسمعه غناءها . وقال : هذه جارية تباع ، فبكم تأخذها لنفسك ؟ قال إسحاق : آخذها بثلاثة آلاف دينار ، وهى رخيصة بها .
قال له إبراهيم : أتعرفها؟ قال: لا. قال : هذه الجارية التى عَرَضْتُها عليك الهاشمية بثلثمائة دينار، فلم تقبل . فبقى إسحاق متحيرا، يعجب من حالها وما انقلبت إليه . ٥

وقال ابن المعتز : حدثنى الهشامى[1] عن محمد بن راشد : أن شارية كانت مولدة البصرة ، وكانت لها أم خبيثة منكرة، تدعى أنها بنت محمد بن زيد، من بنى سامة ابن لؤى .

قال ابن المعتز : وحدثنى غيره ، أنها كانت تدعى أنها من بنى زُهْرة .

١٠ قال الهشامى : فجىء بها إلى بغداد، وعُرِضت على إبراهيم بن المهدى، فأعجب بها إعجابا شديدا، فلم يزل يعطِى بها، حتى بلغت ثمانية آلاف درهم . فقال لى هبة الله ابن إبراهيم بن المهدى : إنه لم يكن عند أبى درهم ولا دانق، فقال لى : ويحك ! قد أعجبتنى والله هذه الجارية إعجابا شديدا، وليس عندنا شىء. فقلت له : نبيع ما نملكه حتى الخزف، ونجمع ثمنها . فقال لى: قد فكرت[2] فى شىء؛ اذهب إلى علىّ بن هشام، ١٥ فأقرئه منى السلام، وقل له : جعلنى الله فداءك ! قد عرضت علىّ جارية قد أخذت بمجامع قلبى، وليس عندى ثمنها، فأحب أن تقرضنى عشرة آلاف درهم. فقلت له : إن ثمنها ثمانيــة آلاف درهم ، فلم تُكثر على الرجل بعشرة آلاف درهم ؟ فقال : إذا اشتريناها بثمانية آلاف درهم ، لا بدّ أن نكسوها ، ونقيم لها ما تحتاج إليه .

$\frac{110}{140}$

(١) كذا فى ف ، ج . وفى بقية الأصول : الهاشمى ، تحريف .
٢٠ (٢) كذا فى ف . وفى بعض الأصول : تذكرت، وفى بعضها : تفكرت .

فصرت إلى علىّ بن هشام ، فأبلغته الرسالة ، فدعا بوكيل له ، وقال له : ادفع إلى خادمه عشرين ألفا ، وقل له : أنا لا أصلك ، ولكن هى لك حلال فى الدنيا والآخرة . قال : فصرت إلى أبى بالدراهم ، فلو طلعتُ عليه بالخلافة[1] ، لم تكن تعدل عنده تلك الدراهم .

وكانت أمها خبيثة ، فكانت كلما لم يعط إبراهيم ابنتها ما تشتهى ، ذهبت إلى عبد الوهاب بن علىّ ، ودفعت إليه رقعة يرفعها إلى المعتصم ، تسأله أن تأخذ ابنتها من إبراهيم .

قال ابن المعتز : وأخبرنى عبد الواحد بن إبراهيم بن محمد بن الخصيب ، قال : ذكر يوسف بن إبراهيم المصرىّ ، صاحب إبراهيم بن المهدى :

أن إبراهيم وجَّه به إلى عبد الوهاب بن على ، فى حاجة كانت له ، [قال][2] : فلقيته وانصرفت من عنده ، فلم أخرج من دهليز عبد الوهاب حتى استقبلتنى امرأة . فلما نظرت فى وجهى سترت وجهها . فأخبرنى شاكرى[3] أن المرأة هى أم شارية ، جارية إبراهيم . فبادرت إلى إبراهيم ، وقلت له : أدرك ، فإنى رأيت أم شارية فى دار عبد الوهاب ، وهى من تعلم ، وما يفجؤك إلا حيلة قد أوقعتها . فقال لى فى جواب ذلك : أشهدك أن جاريتى شارية صدقة على ميمونة بنت إبراهيم بن المهدى ، ثم أشهد ابنه هبة الله على مثل ذلك[4] . وأمرنى بالركوب إلى دار ابن أبى دُواد ، وإحضار من قدرت عليه من الشهود المعدّلين عنده ، فأحضرته أكثر من عشرين شاهدا . وأمر بإخراج شارية ،

(١) كذا فى الأصول ونهاية الأرب (٥ : ٨٠) ولعله يريد ليست هى بقرض ولا صدقة ، ولكنها هبة . (٢) قال : عن نهاية الأرب . (٣) الشاكرىّ : أحد الجنود الشاكرية ؛ من جند الخلفاء العباسيين . انظر رسالة مناقب الترك وعامة جند الخلافة للجاحظ ص ١٨ .

(٤) كذا فى ف . وفى بقية الأصول : ثم أشهد الله أنه على مثل ما أشهدنى عليه .

فخرجت، فقال لها: اسفرى، فجزعت من ذلك. فأعلمها أنه إنما أمرها بذلك لخير يريده بها، ففعلت. فقال لها: تسمّى. فقالت: أنا شارية أمتك. فقال لهم: تأملوا وجهها، ففعلوا. ثم قال: فإنى أشهدكم أنها حرة لوجه الله تعالى، وأنى قد تزوّجتها، وأصدقتها عشرة آلاف درهم. ياشارية مولاة إبراهيم بن المهدىّ، أرضيت؟ قالت: نعم يا سيدى قد رضيت، والحمد لله على ما أنعم به علىّ. فأمرها بالدخول، وأطعم الشهود وطَيَّبهم وانصرفوا.

فما أحسبهم بلغوا دار ابن أبى دُواد، حتى دخل علينا عبد الوهاب بن علىّ، فأقرأ عمه سلام المعتصم، ثم قال له: يقول لك أمير المؤمنين: من المفترَض علىّ طاعتك، وصيانتك عن كل ما يُعرك(١)، إذ كنتَ عمى، وصنو أبى، وقد رفعتْ إلىّ امرأة من قريش قصة، ذكرت فيها أنها من بنى زُهرة صَليبة(٢)، وأنها أم شارية، واحتجت بأنه لا تكون بنت امرأة من قريش أمة، فإن كانت هذه المرأة صادقة فى أن شارية بنتها، وأنها من بنى زهرة، فمن المحال أن تكون شارية أمة؛ والأشبه بك والأصلح إخراج شارية من دارك، وسترها عند من تثق به من أهلك، حتى نكشف ما قالت هذه المرأة؛ فإن ثبت ما قالته أمرتُ من جعلتَها عنده بإطلاقها، وكان فى ذلك الحظ لك فى دينك ومروءتك؛ وإن لم يصح ذلك، أعيدت الجارية إلى منزلك، وقد زال عنك القول

---

(١) كذا فى ف. وفى بعض الأصول: يضرك. وفى نهاية الأرب للنويرى (٥: ٨١): يسوءك.

(٢) صلبية: بتقديم الياء المثناة على الباء، كذا فى ف، أ. وفى ترجمة أبى تمام (الأغانى طبعة الساسى ١٥: ٩٦). وكذلك جاءت فى أخبار أبى تمام للصولى (ص ٩٥ طبعة لجنة التأليف والترجمة). وهى منصوبة إما على أنها صفة لمحذوف، أى نسبة صليبة، وهى الخالصة. قال فى أساس البلاغة: عربى صليب: خالص النسب، وامرأة صليبة: كريمة المنصب عريقة. وإما على أنها حال من بنى زهرة، وهم فرع من قريش. وفى ج، م، سه، ب: صلبية، بتقديم الموحدة على المثناة، نسبة إلى الصلب. يريد أن آباءها من بنى زهرة أنفسهم، وليست مولاة لهم، فكلا اللفظين إذن صحيح.

الذى لا يليق بك ولا يحسن . فقال له إبراهيم : فديتك يا أبا إبراهيم ، هب شارية بنت زُهْرة بن كلاب ، أتنكر على ابن عباس بن عبد المطلب أن يكون بعلاها ؟ فقال عبد الوهاب : لا . فقال إبراهيم : فأبلغ أمير المؤمنين ، أطال الله بقاءه السلامة ، وأخبره أن شارية حرة ، وأنى قد تزوجتها بشهادة جماعة من العدول .

١١١ / ١٤

وقد كان الشهود بعد منصرَفهم من عند إبراهيم صاروا إلى ابن أبى دُواد . فشم منهم من رائحة الطيب ما أنكره ، فسألهم عنه ، فأعلموه أنهم حضروا عتق شارية ، وتزوج إبراهيم إياها . فركب إلى المعتصم ، فحدّثه بالحديث معجِّبا له منه . فقال : ضلّ سَعْى عبد الوهاب . ودخل عبد الوهاب على المعتصم ، فلما رآه يمشى فى صحن الدار ، سدّ المعتصم أنف نفسه ، وقال : يا عبد الوهاب ، أنا أشم رائحة صوف مُحرَق ، وأحسب أن عمى لم يقنعه ردّك إلا وعلى أذنك صوفة حتى أحرقها ؛ فشممتُ رائحتها منك . فقال : الأمر على ما ظنّ أمير المؤمنين وأقبح .

ولما انصرف عبد الوهاب من عند إبراهيم ، آبتاع إبراهيم من بنته ميمونة شارية ، بعشرة آلاف درهم ، وستر ذلك عنها ، فكان عتقه إياها وهى فى ملك غيره ، ثم آبتاعها من ميمونة ، فحل له فرجُها ، فكان يطؤها على أنها أمته ، وهى تتوهم أنه يطؤها على أنها حرة . فلما توفى طلبت مشاركة أم محمد بنت خالد زوجته فى الثُّمن ، فأظهرت خبرها . وسُئِلت ميمونة وهبة الله عن الخبر ، فأخبرا به المعتصم . فأمر المعتصم بابتياعها من ميمونة ، فابتيعت بخمسة آلاف وخمسمائة دينار ، فحولت إلى داره ، فكانت فى ملكه حتى تُوفِّى .

قال آبن المعتز : وقد قيل إن المعتصم آبتاعها بثلثمائة ألف درهم .

قال : وكان منصور بن محمد بن واضح يزعم أن إبراهيم آقترض ثمن شارية من ابنته ، وملكها إبراهيم ولها سبع سنين ، فرباها تربية الولد ، حتى لقد ذكرت

أنها كانت فى حجره جالسة ، وقد أُعجب بصوت أخذته منه ، إذ طُمِثت أوّل طمثها ، فأحس بذلك ، فدعا قَيِّمة له ، فأمرها بأن تأتيه بثوب خام ، فلفه عليها ، فقال : ٱحمليها ، فقد ٱقشعرت ، وأحسب برد الحُشّ(١) قد آذاها .

حسن وجهها وغنائها

قال : وحدثت شارية أنها كانت معه فى حَرّاقة قد توسط بها دجلة ، فى ليلة ٥ مقمرة ، وهى تغنى إذ ٱندفعت فغنت :

لقد حثوا الجمال ليهـ * ـربوا منا فلم يَئِلوا

فقام إليها ، فأمسك فاها ، وقال : أنت والله أحسن من الغريض وجها وغناء ، فما يؤمننى عليك ؟ أمسكى .

قال : وحدّث حمدون بن إسماعيل : أنه دخل على إبراهيم يوما ، فقال له : ١٠ أتحب أن أسمعك شيئا لم تسمعه قط ؟ قال : نعم . فقال : هاتوا شارية ، فخرجت ، فأمرها أن تغنى لحن إسحاق :

* هل بالديار التى حَيَّيْتَها أحد؟ *

قال حمدون : فغنتنى شيئا لم أسمع مثله قطّ ، فقلت : لا والله ياسيدى ما سمعت هكذا . فقال : أتحب أن تسمعه أحسن من هذا ؟ فقلت : لا يكون . ١٥ فقال : بلى والله تقر بذاك . فقلت : على ٱسم الله . فغناه هو ، فرأيت فضلا عجيبا . فقلت : ما ظننت أن هذا يفضل ذاك هذا الفضل . قال : أفتحب أن تسمعه أحسن من هذا وذاك ؟ فقلت : هذا الذى لا يكون . فقال : بلى والله . فقلت : فهات . قال : بحياتى يا شارية ، قوليه وأحيلى(٢) حلقك فيه . فسمعت والله فضلا

---

(١) الحش : البستان . وفى بعض النسخ : الخيش .

٢٠ (٢) كذا فى ف ، س . ومعناه : حوّلى حلقك فى أثناء الغناء من حال إلى حال ، ارتفاعا وانخفاضا . وفى أ : وأحلى . وفى ج : وأجيلى .

بينا ، فأكثرت التعجب . فقال لى : يا أبا جعفر ، ما أهون هـذا على السامع ! تدرى بالله كم مرّة رددت عليها موضعا فى هذا الصوت ؟ قلت : لا . قال : فقل وأكثر . قلت : مائة مرّة . قال : أصعد ما بدالك . قلت : ثلثمائة . قال : أكثر والله من ألف مرّة ، حتى قالته كذا .

١١٢ / ١٤

عقوبتها

قال : وكانت رَيِّق تقـول : إن شارية كانت إذا أضطربت فى صـوت ، فغاية ما عنده من عقوبتها ، أنه يقيمها تغنيه على رجليها ، فإن لم تبلغ الذى يريد ، ضَرَبت ريق[1] .

شارية تضـرب بالعـود

قال : ويقـال إن شارية لم تضرب بالعود إلا فى أيام المتوكل ، لمّا اتصل الشرّ بينها وبين عريب ، فصارت تقعد بها عند الضرب ، فضربت هى بعد ذلك .

إبراهيم يمتنع من بيعها

قال آبن المعتز : وحدّث محمد بن سهل بن عبد الكريم ، المعروف بسهل الأحول ، وكان قاضى الكتّاب فى زمانه ، وكان يكتب لإبراهيم ، وكان شيخا ثقة ، قال : أعطى المعتصم إبراهيم بشارية سبعين ألف دينار ، فامتنع من بيعها . فعاتبتُه على ذلك ، فلم يجبنى بشىء . ثم دعانى بعـد أيام ، فدخلت وبين يديه مائدة لطيفة . فأحضره الغلام سَفُّودا فيـه ثلاث فراريج ، فرمى إلىّ بواحدة ، فأكلتها وأكل اثنتين ، ثم شرب رِطلا وسقانيه ، ثم أُتِى بسفود آخر ، ففعل كما فعل ، وشرب كما شرب وسقانى . ثم ضَرَب سِترا كان إلى جانبـه ، فسمعت حركة العِيدان ، ثم قال : ياشارية تَغَنَّى . فسمعت شيئا ذهب بعقلى . فقال : يا سهل ، هذه التى عاتبتنى فى أن أبيعها بسبعين ألف دينـار ، لا والله ، ولا هـذه الساعة الواحدة بسبعين ألف دينار .

---

(١) أى أخذت من شارية العود ، وضربت هى به ، لتضبط اللحن .

نسبها وبيعها

قال : وكانت شارية تقول : إن أباها من قريش ، وإنها سُرقت صغيرة ، فبيعت بالبصرة من أمرأة هاشمية ، وباعتها من إبراهيم بن المهدىّ . والله أعلم .

رأى فى غنائها

أخبرنى عمى، قال : حدّثنى عُبيد الله بن عبد الله بن طاهر، قال : أمرنى المعتز ذات يوم بالمُقام عنده، فأقمت . فأمر فمُدّت الستارة، وخرج من كان يغنى وراءها، وفيهنّ شارية، ولم أكن سمعتها قبل ذلك . فاستحسنت ماسمعت منها ، فقال لى أمير المؤمنين المعتز : يا عبيد الله، كيف ما تسمع منها عندك[1]؟ فقلت : حظ العجب من هذا الغناء، أكثر من حظ الطرب . فاستحسن ذلك ، وأخبرها به فاستحسنته .

تلعب النرد مع ريق

قال ابن المعتز : وأخبرنى الهشامىّ، قال : قالت لى رَيِّق : كنت ألعب أنا وشارية بالنرد بين يدى إبراهيم، وهو متكىء على مِخدّة ينظر إلينا، فجرى بينى وبين شارية مشاجرة فى اللعب، فأغلظت لها فى الكلام بعض الغلظة . فاستوى إبراهيم جالسا، وقال : أراك تستخفين بها، فوالله لا أحد يخلفكَ[2] غيرها . وأومأ إلى حلقه بيده[3] .

إبراهيم لم يدخل بها

قال : وحدثنى الهشامىّ ، قال : حدّثنى عمرو بن بانة، قال : حضرت يوما مجلس المعتصم، وضُربت الستارة، وخرجت الجوارى، وكنت إلى جانب مخارق، فغنت شارية، فأحسنت جدا . فقلت لمخارق : هذه الجارية فى حسن الغناء على

(١) ف : كيف ما تسمع مما عندك ؟

(٢) كذا فى ف . وفى الأصول : ما أجد أحدا .

(٣) كذا فى ف . وفى الأصول ما عدا م : حلقة بيدها . وفى م : خلقة بيدها ، وهما تحريف .

ما تسمع، ووجهها وجه حسن، فكيف لم يتحرّم[1] بها إبراهيم بن المهدىّ؟ فقال لى: أحد الحظوظ التى رفعت لهذا الخليفة منْع إبراهيم بن المهدىّ من ذلك .

جوارى المعتصم وجوارى

قال عبد الله بن المعتز : وحدّثنى أبو محمد الحسن بن يحيى أخو علىّ بن يحيى، عن ريق قالت :

أستزار المعتصم من إبراهيم بن المهدىّ جواريه ، وكان فى جفوة من السلطان تلك الأيام ، فنالته ضَيقة . قالت : فتحمل ذهابنا إليه على ضعف ، فحضرنا مجلس المعتصم ونحن فى سراويلات مرقعة ، فجعلنا نَرى جوارىَ المعتصم وما عليهنّ من الجوهر والثياب الفاخرة ، فلم تستجمع إلينا أنفسنا حتى غنوا وغنينا ، فطرب المعتصم على غنائنا ، ورآنا أَمْثَل من جواريه ، فتحوّلت إلينا أنفسنا فى التيه والصلف ، وأمر لنا المعتصم بمائة ألف درهم .

شارية أحسن الناس غناء

قال : وحدّثنى أبو العبيس[2] ، عن أبيه قال : كانت شارية أحسن الناس غناء ، منذ توفى المعتصم إلى آخر خلافة الواثق .

١١٣ / ١٤

افتضها المعتصم

قال أبو العبيس : وحدّثتنى ريق أن المعتصم افتضها ، وأنها كانت معها فى تلك الليلة .

تعلم الغناء والمعتمد يعشق جاريتها

قال أبو العُبَيس : وحدّثتنى طِباع[3] جارية الواثق : أن الواثق كان يسميها سِتّى . وكانت تعلم فريدة ، فلم تبق فى تعليمها غاية ، إلى أن وقع بينهما شىء[4]

(١) فى التاج : وتحرم منه بحرمة : إذا تمنع وتحمى بذمة أو صحبة أو حق . كأنه يريد : لماذا لم يعتقها و يتزوج بها ، فتكون من حرمه فلا تباع .

(٢) أبو العبيس ، كما فى ف : هو أحد المغنين ، وليس هو أبو العنبس كما ورد اسمه محرفا فى مواضع مختلفة من الأغانى ، جاء فى الجزء الأوّل من طبعة دار الكتب ص ٩٩ ، هذه العبارة : غنى أبو العبيس ابن حمدون ... الخ ، ويستفاد منها أمران : الأوّل : أنه مغن . والثانى أن اسم أبيه حمدون . أما أبو العنبس فهو محمد بن إسحاق بن إبراهيم الصيمرى الشاعر ، كما قال الخطيب البغدادى فى تاريخه (١ : ٢٣٨) . (٣) م : تباع . (٤) ج : شر .

بحضرة الواثق ، لحلفت أنها لاتنصحها ولا تنصح أحدا بعدها ، فلم تكن تطرح بعد ذلك صوتا إلا نقصت من نغمه . وكان المعتمد قد تعشق شرة جاريتها ، وكانت أكمل الناس ملاحة وخفة روح ، وعجز عن شرائها . فسأل أمّ المعتز أن تشتريها له ، فاشترتها من شارية بعشرة آلاف دينار ، وأهدتها إليه . ثم تزوّجت ٥ بعد وفاة المعتمد بابن البقال المغنى ، وكان يتعشقها . فقال عبد الله بن المعتز ، وكان يتعشقها :

أقول وقد ضاقت بأحزانها نفسي * ألا رب تطليق قريب من العُرس

لئن صِرتِ للبقال ياشر زوجة * فلا عجب قدير بُضّ[1] الكلب فى الشمس

ابن وصيف يودع جوهره عندها

وقال يعقوب بن بنان : كانت شارية خاصة بصالح بن وصيف . فلما بلغه ١٠ رحيل موسى بن بُغا من الجبل يريده ، بسبب قتله المعتز ، أودع شارية جوهره . فظهر لها جوهر كثير بعد ذلك . فلما أوقع موسى بصالح ، استترت شارية عند هارون ابن شعيب العُكبَرِى[2] ، وكان أنظف خلق الله طعاما ، وأسراه مائدة ، وأوسخه[3] كل شيء بعد ذلك ، وكان له بسر من رأى منزل ، فيه بستان كبير ، وكانت شارية تسميه أبى ، وتزوره إلى منزله . فتحمل معها كل شيء تحتاج إليه ، حتى الحصير ١٥ الذى تقعد عليه .

من أكرم الناس

قال : وكانت شارية من أكرم الناس ، عاشرها[4] أبو الحسن على بن الحسين عند هارون هذا ، ثم أضاق فى وقت ، فاقترض منها على غير رهن ، عشرة آلاف دينار ، ومكثت عليه أكثر من سنة ، ما أذكرته بها ، ولا طالبته ، حتى ردّها ابتداء[4] .

٢٠ (١) أ ، م : يركض . (٢) كذا فى ف ، مب ، وفى نهاية الأرب . وفى الأصول : العكرى .
(٣) كذا فى ف ، مب ، ونهاية الأرب . وفى الأصول : وأسخاه فى .
(٤ — ٤) العبارة ساقطة من جميع الأصول ، ما عدا ف ، مب ، ونهاية الأرب .

تحزب أهل سر من رأى للفتين

قال يعقوب بن بنان : وكان أهل[1] سر من رأى متحازبين ، فقوم مع شارية ، وقوم مع عريب، لا يدخل أصحاب هذه مع هؤلاء، ولا أصحاب هذه فى هؤلاء . فكان أبو الصقر إسماعيل بن بلبل[2] عريبيا ، فدعا علىّ بن الحسين يوم جمعة أبا الصقر إسماعيل بن بلبل ، وعنده عريب وجواريها . فاتصل الخبر بشارية ، فبعثت بجواريها إلى علىّ بن الحسين بعد يوم أو يومين ، وأمرت إحداهن ، وما أدرى من هى : مهرجانُ ، أو مطربُ ، أو قمرية ، إلا أنها إحدى الثلاثة ، أن تغنى قوله :

لا تعودنّ بعدها * فترى كيف أصنع

فلما سمع علىّ الغناء ضحك، وقال : لست أعود .

المعتمد لا يأكل إلا طعامها

قال : وكان المعتمد قد وثق بشارية ، فلم يكن يأكل إلا طعامها . فكثت دهرا[3] من الدهور تعدّ له فى كل يوم جُونتين[4]، وكان طعامه منهما فى أيام المتوكل .

إبراهيم بن المهدى يدعوها بنتى

قال ابن المعتز : وحدثنى أحمد بن نعيم عن ريق، قالت : كان مولاى إبراهيم يسمى شارية بنتى ، ويسمينى أختى .

المعتمد يمنحها ألف ثوب

حدثنى جحظة ، قال : كنت عند المعتمد يوما ، فغنته شارية بشعر مولاها إبراهيم بن المهدى ولحنه :

يا طول علة قلبىَ المعتادِ * إلفَ الكرامِ وصحبةَ الأمجادِ

---

(١) أهل : زيادة عن مد يقتضيها السياق . وفى نهاية الأرب : الناس بسر من رأى .

(٢) هو أبو الصقر إسماعيل بن بلبل أحد وزراء الخليفة المعتمد (٢٦٥ — ٢٧٧) .

(٣) كذا فى ف ، مب ، ج ، مد . وفى بقية الأصول : الدهر . وفى نهاية الأرب : فكثت دهرا ، وهى أحسن .

(٤) الجونة : سلة صغيرة مستديرة مغشاة أدما ، يوضع فيها الطيب أو الثياب أو نحوهما ، جمعها جون ، وقد تهمز الواو فى المفرد والجمع ، والهمز هو الأصل .

فقال لها : أحسنتِ واللهِ . فقالت : هـذا غنائى وأنا عارية، فكيف لو كنت كاسية ؟ فأمر لها بألف ثوب من جميع أنواع الثياب الخاصيّة، فحمل ذلك إليها.

١١٤/١٤

فقال لى على بن يحيى المنجم : اجعل انصرافك معى . ففعلت، فقال لى : هل بلغك أن خليفة أمر لمغنية بمثل ما أمر به أمير المؤمنين اليوم لشارية ؟ قلت : لا . فأمر بإخراج سير الخلفاء، فأقبل بها الغلمان يحملونها فى دفاتر عظام، فتصفحناها كلها، فما وجدنا أحدا قبله فعل ذلك .

نسبة هذا الصوت

صوت

يا طول عِلةِ[1] قلبىَ المعتادِ * إلفَ الكرامِ وصحبةَ الأمجاد

مازلت آلف كل قَرْم ماجدٍ * متقدمِ الآباء والأجداد

الشعر لإبراهيم بن المهدى، والغناء لعلويه، خفيف رمل لشارية بالبنصر، ولم يقع إلينا فيه طريقة غير هذه .

تغنى بشعر لخديجة بنت المأمون

أخبرنى هاشم بن محمد الخزاعى قال : حدثنى عبد الله بن أبى سعيد، قال : حدثنى محمد بن مالك الخزاعىّ، قال : حدثتنى مُلَح العطارة، وكانت من أحسن الناس غناء، وإنما سميت العطارة لكثرة استعمالها العطر المطيب، قالت : غنت شارية يوما بين يدى المتوكل وأنا واقفة مع الجوارى :

بالله قولوا لى لمن ذا الرَّشا * المثقلُ الردفِ الهضيمُ الحشا

أظرف ما كان إذا ما صحا * وأملح الناس إذا ما انتشى

وقد بنى برج حمام له * أرسل فيه طائرا مُرعَشا

(١) أ، م : غلة، بالغين المنقوطة .

يا ليتنى كنت حماما له * أو باشقا يفعل بى ما يشا

لو لبس القُوهىَّ من رقةٍ (١) * أوجعه القُوهىُّ أو خدّشا

وهو هَزَج (٢) ، فطرب المتوكل ، وقال لشارية : لمن هذا الغناء ؟ فقالت : أخذته من دار المأمون ، ولا أدرى لمن هو . فقلت له أنا : أعلم لمن هو . فقال : لمن هو يا ملح ؟ فقلت : أقوله لك سرا . قال : أنا فى دار النساء ، وليس يحضرنى إلا حُرَمى ، فقوليه . فقلت : الشعر والغناء جميعا لخديجة بنت المأمون ، قالته فى خادم لأبيها كانت تهواه ، وغنت فيه هذا اللحن . فأطرق طويلا ، ثم قال : لا يسمعْ هذا منك أحد .

* * *

صـــوت

أحبـــك يا سَلْمى على غير ريبة * وما خير حب لا تعف سرائرهْ

أحبـــك حبا لا أعنِّف بعــده * محبا ، ولكنى إذا ليم عاذرهْ

وقد مات حُبٌّ (٣) أول الحب فانقضى * ولومت أضحى الحب قد مات آخرهْ

ولما تناهى الحب فى القلب واردا * أقام وسدّت فيـــه عنه مصادرهْ

الشعر لحسين بن مُطَير الأسدى ، والغناء لإسحق : هزج بالبنصر .

---

(١) القوهى : ضرب من الثياب البيض ، منسوب إلى قوهستان .

(٢) يريد أن لحنه من الهزج . أما الشعر فمن السريع .

(٣) أ ، م : قلبى .

أخبار الحسين بن مُطَير ونسبه

هو الحسين بن مُطير بن مكّل ، مولى لبني أسد بن خُزيمة[1] ، ثم لبني سعد بن مالك بن ثعلبة بن دُودان بن أسد . وكان جده مكمل عبدا ، فأعتقه مولاه . وقيل بل كاتبه ، فسعى فى مكاتبته حتى أدّاها وأعتق . وهو من مخضرمى الدولتين : الأموية والعباسية ، شاعر متقدم فى القصيد والرجز، فصيح ، قد مدح بنى أمية وبنى العباس .

١١٥ / ١٤

٥

مسكنه

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار ، عن محمد بن داود بن الجراح ، عن محمد بن الحسن بن الحَرون : أنه كان من ساكنى زُبالة[2] ، وكان زيه وكلامه يشبه مذاهب الأعراب وأهل البادية . وذلك بيّن فى شعره .

إدراكه بنى أمية

١٠ ومما يدل على إدراكه دولة بنى أمية، ومدحه إياهم، ما أخبرنا به يحيى بن علىّ ابن يحيى إجازة ، قال : أخبرنى أبى، عن إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ، عن مروان ابن أبى حفصة، قال: دخلت أنا وطُريح بن إسماعيل الثقفىّ ، والحسين بن مطير الأسدى ، فى عدة من الشعراء، على الوليد بن يزيد وهو فى فُرُش قد غاب فيها[3] ، وإذا رجل كلما أنشد شاعر شعرا، وقف الوليدَ على بيت بيت منه، وقال : هذا ١٥ أخذه من موضع كذا وكذا ، وهذا المعنى نقله من شعر فلان ، حتى أتى على أكثر الشعراء . فقلت : من هذا ؟ قالوا: هذا حماد الراوية . فلما وقفت بين يدى الوليد

(١) كذا فى ف ، ج ، سه ، ب ، ونهاية الأرب ، وتاج العروس . وفى أ ، م : شعبة . تحريف .

(٢) زبالة : منزل بطريق مكة من الكوفة . وهى قرية عامرة ، بها أسواق ، فيها حصن وجامع لبنى غاضرة ، من بنى أسد . (عن معجم البلدان لياقوت) .

٢٠ (٣) كذا فى ف . وفى الأصول : عريش قد غاب عنا .

لأنشده، قلت : ما كلام هذا فى مجلس أمير المؤمنين وهو لحانة . فتهانف[1] الشيخ ، ثم قال : يابن أخى، أنا رجل أكلم العامة، وأتكلم بكلامها، فهل تروى من أشعار العرب شيئا ؟ فذهب عنى الشعر كله، إلا شعر ابن مقبل ، فقلت : نعم ، لابن مقبل . فأنشدته :

سلِ الدار من جنبى حِبِرٍّ فواهبٍ * إلى مارأى هضبَ القليب المُضَيَّحُ[2]

ثم جزت . فقال : قف . ماذا يقول ؟ فلم أدرما يقول . فقال : يابن أخى ، أنا أعلم الناس بكلام العرب ، يقال : تراءى الموضعان : إذا تقابلا .

يفد على معن ابن زائدة فينقد شعره

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار ، والحسن بن علىّ ، ويحيى بن علىّ ، قالوا : حدّثنا الحسن بن عُلَيل العَنَزِىّ قال : حدّثنا أحمد بن عبد الله بن علىّ ، قال : حدّثنى أبى :

أن الحسين بن مطير وفد على معن بن زائدة لما ولى اليمن وقد مدحه ، فلما دخل عليه أنشده :

أتيتك إذ لم يبق غيرَك جابر[3] * ولا واهب يعطى اللُّهَا والرغائبا

---

(١) التهانف كما فى ف : الضحك بالسخرية . نقله صاحب تاج العروس عن نسخة من الكامل للبرد . وقيل إنه خاص بالنساء . وفى الأصول : فتهافت ، أى تساقط قطعة قطعة ، من الهفت ، وهو السقوط . وأكثر ما يستعمل فى الشر .

(٢) ورد هذا البيت محرّفا فى نسخ الأغانى . وأثبتناه مصححا عن معجم البلدان لياقوت ، ومعجم ما استعجم للبكرى ، ومنتهى الطلب من أشعار العرب ، لابن ميمون . وحبر وواهب : جبلان لبنى سليم . وهضب القليب : ماء لبنى قنفذ ، من بنى سليم . والمضيح (بصيغة اسم المفعول) : ماء لبنى البكاء . وفى بعض ألفاظ البيت روايات أخر : يروى « واصف » فى موضع « واهب » ، وهو اسم ماء . ويروى « إذا » فى موضع « إلى » ، ويروى « يرى » فى موضع « رأى » .

(٣) كذا فى ف ، ومعجم الأدباء لياقوت (١٠ : ١٦٧) والخزانة (٢ : ٤٨٥) . وفى ج : « أتيتك لما لم يبق » . وفى بقية النسخ : « أتيتك لما يبق » . واللها : جمع لهوة ، بضم اللام وفتحها : العطية ، دراهم أو غيرها .

فقال له معن : يا أخا بنى أسد، ليس هذا بمدح، إنما المدح قول نهار بن تَوْسعة أخى بنى تيم الله بن ثعلبة، فى مِسمع بن مالك :

قلدتْه عُرا الأمورِ نزارٌ * قبل أن تهلك السراة البحور[1]

قال : وأوّل هذا الشعر :

اظعنى من هَراة[2] قد مر فيها * حِجج مذ سكنتها وشهور

اظعنى نحو مِسمع تجتديه * نعم ذو المُنْثَنى[3] ونعم المَزور

سوف يكفيك إن نبتْ بك أرض * بخراسان أو[4] جفاك أمير

من بنى الجحصن عامِلِ بن بريح[5] * لا قليلُ الندى ولا متزور

والذى يفزع الكماة إليه * حين تدمى من الطعان النحور

١٠ فاصطنع يا بن مالك آل بكرٍ * واجبرِ العظم إنه مكسور

١١٦ / ١٤

فغدا إليه بأرجوزته التى مدحه بها، وأولها :

* حديث ريا حَبّذا إدلالُها *

* تسأل عن حالى وما سؤالها *

* عن امرئ قد شفّه خيالها *

١٥ * وهى شفاء النفس لو تنالها *

---

(١) السراة : أعالى الناس وأشرافهم ، واحدهم سرى . ونهار بن توسعة بن أبى عتبان من بنى حنتم ، من بكر بن وائل . وكان أشعر بكر بخراسان ، فى أيام الدولة الأموية ، هجا قتيبة ابن مسلم ، ثم مدحه . (٢) هراة : مدينة عظيمة من مدن خراسان .

(٣) فى جميع النسخ : « ذا المثنى » . وفى الخزانة : « ذى المتأى » . والصحيح : « ذو » لأنه فاعل بنعم . والمتأى : المكان البعيد ، أو مصدر ميمى ، ومعناه : أن مسمعا نعم الرجل النائى المحل ، ٢٠ الذى يجزل العطاء لقاصده . ومعنى « نعم ذو المثنى » : نعم الرجل يثنى عنه قاصده بخير كثير .

(٤) فى الخزانة : « إذ » . ورواية الأصول أجود .

(٥) كذا فى ف ، وخزانة الأدب (٢ : ٤٨٦) . وفى الأصول : «من بنى الحضر عامر بن سريج» .

يقول فيها يمدحه :

* سلّ سيوفا محدثا صقالُها *

* صابَ[1] على أعدائه وبالها *

* وعند معن ذى الندى أمثالها *

فاستحسنها، وأجزل صِلته .

دعبل يأخذ من شعره

أخبرنى ابن عمار ويحيى بن علىّ، قالا : حدّثنا محمد بن القاسم بن مِهرويه، قال : حدّثنى أبو المثنى أحمد بن يعقوب بن أخت أبى بكرٍ الأصم قال :

كنا فى مجلس الأصمعىّ، فأنشده رجل لدِعبِل بن علىّ :

* أين الشبابُ وأيةً سلكا *

فاستحسنا قوله[2] :

لا تعجبى يا سَلْمُ من رجلٍ * ضحِك المشيب برأسه فبكى

فقال الأصمعىّ : هذا أخذه من قول الحسين بن مطير :

أين أهل القِباب بالدهناءِ * أين جيراننا على الأحساءِ

فارقونا[3] والأرض مُلبَسة نو * ر الأقاحى يُجَاد بالأنواءِ

كلّ يوم بأقحوان جديد * تضحك الأرض من بكاء السماءِ[4]

أخبرنى يحيى بن علىّ بن يحيى، قال: حدّثنى محمد بن القاسم الدينورىّ، قال: حدّثنى محمد بن عمران الضبىّ، قال :

أبياته تسهر المهدى

قال المهدى للمفضل الضبىّ : أسهرتنى البارحة أبيات الحسين بن مطير الأسدىّ . قال : وما هى يا أمير المؤمنين ؟ قال : قوله :

---

(١) صاب : انصب فى غزارة . (٢) كذا فى ف . وفى الأصول : فاستحسنها . وفى الخزانة : « فاستحسنها كل من كان حاضرا فى المجلس ، وأكثروا التعجب من قوله » .

(٣) فى الخزانة : «جاورونا» فى موضع : « فارقونا » . و « تجاد » : فى موضع «يجاد» .

(٤) كذا فى ف والخزانة . وفى الأصول : « عن مهل السماء » .

وقد تغدر الدنيا فيضحي فقيرها * غنيا ويغنى بعد بؤس فقيرُها

فلا تقرب الأمر الحرام فإنه * حلاوته تفنى ويبقى مَريرها

وكم قد رأينا من تغير عيشة * وأخرى صفا بعد آكدرار غديرها

فقال له المفضل : مثل هذا فليسهرك يا أمير المؤمنين .

٥ وقد أخبرني بهذا الخبر عمي رحمه الله أتم من هذا ، قال : نسخت من كتاب المفضل بن سلمة : قال أبو عِكرمة الضبيّ : قال المفضل الضبيّ :

كنت يوما جالسا على بابي وأنا محتاج إلى درهم، وعليّ عشرة آلاف درهم[1]، إذ جاءني رسول المهديّ، فقال : أجب أمير المؤمنين . فقلت : ما بعث إليّ في هذا الوقت إلا لسعاية ساعٍ ،وتخوّفته،لخروجي — كان — مع إبراهيم بن عبد الله

١٠ آبن حسن[2] ، فدخلت منزلي ، فتطهرت ولبست ثوبين نظيفين ، وصرت إليه . فلما مثلت بين يديه سلمت ، فردّ عليّ ، وأمرني بالجلوس. فلما سكن جأشي، قال لي : يامفضل، أيّ بيت قالته العرب أفخر؟ فتشككت ساعة، ثم قلت: بيت الخنساء . وكان مستلقيا فاستوى جالسا، ثم قال : وأي بيت هو؟ قلت قولها :

وإنّ صخرا لتأتمّ الهداة به * كأنه عَلَم في رأسه نار

١٥ فأومأ إلى إسحاق بن بَزِيع[3] ، ثم قال : قد قلت له ذلك فأباه . فقلت : الصواب ما قاله أمير المؤمنين . ثم قال : حدّثني يا مفضل . قلت : أي الحديث أعجب إلى أمير المؤمنين؟ قال : حديث النساء . فحدّثته حتى انتصف النهار، ثم قال لي :

---

(١) كذا في ف . وفي الأصول : وعلي يومئذ عشرة آلاف درهم دين .

(٢) خرج إبراهيم بن عبدالله بن حسن العلويّ على أبي جعفر المنصور العباسيّ في البصرة سنة ١٤٥ هـ

٢٠ (عن الفخري لابن الطقطقي) . (٣) أ ، ج : بزيغ .

١١٧
١٤

يا مفضل ، أسهرنى البارحة بيتا ابن مطير ، وأنشد البيتين المذكورين فى الخبر الأول . ثم قال : ألهذين ثالث يا مفضل ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين . فقال : وما هو ؟ فأنشدته قوله :

وكم قد رأينا من تغير عيشة * وأخرى صفا بعد اكدرار غديرها

وكان المهدىّ رقيقا فاستعبر، ثم قال : يا مفضل ، كيف حالك ؟ قلت : كيف يكون حال من هو مأخوذ بعشرة آلاف درهم ؟ فأمر لى بثلاثين ألف درهم، وقال : اقض دينك، وأصلح شأنك . فقبضتها وانصرفت .

يمدح المهدى فيمنحه سبعين ألف درهم

أخبرنى يحيى بن علىّ، عن علىّ بن يحيى إجازة، وحدّثنا الحسن[1] بن علىّ قال: حدّثنا محمد بن القاسم ، عن عبد الله بن أبى سعد[2]، قال : حدّثنى إسحاق بن عيسى ابن موسى بن مجمع ، أحد بنى سوار بن الحارث الأسدىّ، قال : أخبرنى جدّى موسى بن مجمع، قال :

قال الحسين بن مطير فى المهدى قصيدته التى يقول فيها :

إليك أمير المؤمنين تعسفت[3] * بنا البيد هوجاءُ النّجاء خبوبُ

ولو لم يكن قدامها ما تقاذفت * جبال بها مغبرة وسُهوب

فتى هو من غير التخلق ماجد * ومن غير تأديب الرجال أديب

علا خُلقُه خَلق الرجال وخُلقه * إذا ضاق أخلاق الرجال رحيب

(١) ج : الحسين .

(٢) فى بعض النسخ : ابن أبى سعيد . والصحيح : سعد ، و يلقب بالوراق . ذكر فى أسانيد الموشح للرزبانى فى عدّة مواضع .

(٣) تعسفت : من العسف ، وهو أن يأخذ المسافر على غير طريق ولا جادة ولا علم (بتحريك اللام) . والهوجاء من الإبل : الناقة المسرعة ، كأن بها هوجاء ، وهو الطيش والتسرع . والنجاء : الإسراع . وخبوب : صيغة مبالغة من الخبب ، وهو ضرب من عدو الإبل . وفى الأصول : جنوب . تحريف .

إذا شاهد القوّاد سار أمامهم * جرىء على ما يتقون وثوب

وإن غاب عنهم شاهدتهم مهابة * بها يقهر الأعداء حين يغيب

يعف ويستحيي إذا كان خاليا * كما عف واستحيا بحيث رقيب

فلما أنشدها المهدي أمر له بسبعين ألف درهم وحصان جواد .

مسكنه

٥ وكان الحسين من الثعلبية[1]، وتلك داره بها . قال ابن أبي سعد : وأرانيها الشيخ .

يمدح المهدي بأبيات فيعطيه لكل بيت ألف درهم

أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال : حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه، قال : حدثني عبد الله بن أبي سعد، عن إسحق بن عيسى، قال :

دخل الحسين بن مُطَير على المهدي، فأنشده قوله :

لو يعبد الناس يا مهدي أفضلهم * ما كان في الناس إلا أنت معبود

١٠ أضحت يمينك من جودٍ مصوّرة * لا بل يمينك منها صُوِّر الجود

لو أن من نوره مثقال خردلة * في السود طرا إذن لابيضت السود

فأمر له لكل بيت بألف درهم .

المهدي يطرده لمدحه معن ابن زائدة

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال : حدثني أحمد بن سليمان بن أبي شيخ، قال : حدثني أبي، قال :

١٥ خرج المهدي يوما، فلقيه الحسين بن مطير، فأنشده قوله :

أضحت يمينك من جود مصوّرة * لا بل يمينك منها صوّر الجود

فقال : كذبت يا فاسق، وهل تركت من شعرك موضعا لأحد، بعد قولك في مَعْن ابن زائدة حيث تقول :

ألِمَّا بمعنٍ ثم قولا لقبره * سُقيت الغوادي مَرْبَعا ثم مربعا

٢٠ أخرجوه عني، فأخرجوه .

(١) الثعلبية : موضع بجوار زبالة التي كان يسكنها الحسين .

١١٨
١٤

وتمـام الأبيات :

أيا قبر معن كنت أوّل حفــرة * من الأرض خُطت للمكارم مضجعا[(١)]

أيا قبر معنٍ كيف واريت جوده * وقد كان منـه البر والبحر مترعا

بلى قد وسعت الجود والجود ميت * ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا

فتى عِيش فى معروفه بعـد موته * كما كان بعـد السيل مجراه مرتعا[(٢)]

أبى ذكر معن أن تموت فعـاله * وإن كان قد لاقى حِماما ومصرعا

أشعر العباسيين

أخبرنى أحمد بن يحيى بن على بن يحيى إجازة[(٣)] قال : حدّثنى ابن مهرويه قال : حدّثنى علىّ بن عبيد الكوفىّ[(٤)] قال : حدّثنى الحسين بن أبى الخصيب الكاتب عن أحمد بن يوسف الكاتب، قال :

كنت أنا وعبد الله بن طاهر عند المأمون وهو مستلق على قفاه ، فقال لعبد الله بن طاهر : يا أبا العباس، من أشعر من قال الشعر فى خلافة بنى هاشم ؟ قال : أمير المؤمنين أعلم بهـذا وأعلى عينا . فقال له : على ذاك فقل، وتكلم أنت أيضا يا أحمد بن يوسف . فقال عبد الله بن طاهر : أشعرهم الذى يقول :

أيا قبر معن كنت أوّل خِطة * من الأرض خطت للمكارم مضجعا[(٥)]

فقال أحمد بن يوسف : بل أشعرهم الذى يقول :

وقف الهوى بى حيث أنتِ فليس لى * متأخّـر عنـه ولا متقـدم[(٦)]

(١) كذا فى ف . وفى الأصول : السماحة . (٢) فى شرح التبريزى على الحماسة (٢ : ٣ بولاق) : مرتعا . (٣) كذا فى ف . وفى الأصول : أحمد بن عبيد الله بن عمار .
(٤) كذا فى ف . وفى الأصول : على بن عبيد الله الكوفى .
(٥) كذا فى ف . وفى الأصول : ... حفرة ... للمكارم مضجعا .
(٦) البيت مع أبيات أخرى لأبى الشيص . (الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٥٣٥ والأغانى آخر هذا الجزء) .

فقال : أبيت يا أحمد إلا غزلا ! أين أنتم عن الذى يقول :

يا شقيق النفس من حكمٍ * نمتَ عن ليلى ولم أنم [(١)]

أبو عبيدة يعجب بشعره

أخبرنى الحسن بن علىّ قال : حدّثنا أبو خليفة عن التوّزى، قال : قلت لأبى عبيدة : ما تقول فى شعر الحسين بن مطير؟ فقال : والله لوددت أن الشعراء ٥ قاربته فى قوله :

مخصرة الأوساط زانت عقودها * بأحسن مما زينتها عقودُها

فصفر تراقيها، وحمر أكفها * وسود نواصيها، وبيض خدودها

وصفه للسحاب والمطر

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش ، قال : أنشدنا محمد بن يزيد للحسين ابن مطير، قال :

١٠ كان سبب قوله هذه الأبيات أن واليا ولى المدينة ، فدخل عليه الحسين ابن مطير، فقيل له : هذا من أشعر الناس . فأراد أن يختبره ، وقد كانت سحابة مكفهرة نشأت، وتتابع منها الرعد والبرق، وجاءت بمطر جَوْد . فقال له : صف هذه السحابة . فقال :

مستضحك بلوامعٍ مستعبر * بمدامعٍ لم تَمْرِها الأقذاء [(٢)]

١٥ فله بلا حزن ولا بمسرة * ضحك يراوح بينه وبكاء [(٣)]

كثرت لكثرة ودقه أطباؤه * فإذا تحلّبَ فاضتِ الأطباء [(٤)]

---

(١) البيت مطلع قصيدة لأبى نواس .

(٢) لم تمرها الأقذاء : لم يسل دمعها وقوع القذى فيها . وأصل المرى : الحلب .

(٣) يراوح : كذا فى الأصول . وفى معجم الأدباء لياقوت (١٠ : ١٧٢) : يؤلف .

٢٠ (٤) الودق : المطر . والأطباء : جمع طبى بوزن قفل ، وهو ثدى الحيوان . والبيت ساقط من الأصول ما عدا ف، مب .

وكأن بارقه حريق تلتقى * ريح عليـــه وعرفج وألاء

لو كان من لجج السواحل ماؤه * لم يبق فى لجج السواحل ماء

* * *

صـــــوت

إذا ما أم عبد الله * ـه لم تحلل بواديه

ولم تمس قريبا هيـ * ـج الحزن دواعيه (١)

غزال راعه القنا * ص تحميه صياصيه (٢)

وما ذكرى حبيبا و * قليل ما أواتيـــه (٣)

كذى الخمـر تمناها * وقد أزف ساقيــه (٤)

عرفت الربع بالإكليـ * ـل عفته سوافيــه (٥)

بجو ناعم الحـوذا * ن ملتف روابيــه (٦)

الشعر مختلط ، بعضه للنعمان بن بشير الأنصارى ، وبعضه ليزيد بن معاوية ، فالذى للنعمان بن بشير منــه الثلاثة الأبيـات الأول والبيت الأخير ، وباقيهـا ليزيد بن معاوية (٧) . ورواه من لا يوثق به وبروايته لنوفل بن أسد بن عبد العزى . فأما من ذكر أنه للنعمان بن بشير فأبو عمرو الشيبانى ؛ وجدت ذلك عنه فى كتابه ،

(١) فى معجم البلدان لياقوت (إكليل) : ولم تشف سقيا . (٢) الصياصى : أعالى الجبال .

(٣) فى معجم البلدان : قليلا . (٤) أزف : ذهب عقله كله .

(٥) الإكليل : موضع . والسوافى : جمع سافية ، وهى الريح تسفى أى تحمل التراب والرمال .

(٦) الجو : الوادى المتسع . والحوذان : نبت ، أو بقلة من بقول الرياض ، لها نور أصفر طيب الرائحة (اللسان عن الأزهرى) . (٧) مب : وسائرها ليزيد بن معاوية . والعبارة ساقطة من بقية الأصـول .

وخالد بن كلثوم، نسخته من كتاب[١] أبي سعيد السكرى فى مجموع[٢] شعر النعمان . وتمام الأبيات للنعمان بن بشير بعد الأربعة الأبيات التى نسبتها إليه، فإنها متوالية[٣]، قال

فبحت اليوم بالأمر الـ * ـلّذى قد كنت تخفيه[٤]

فإن أكتمه يوما * فإنى سوف أبديه

وما زلت أفـديه * وأدنيـه وأرقيـه

وأسعى فى هواه أ * بدا حتى ألاقيـه

فبات الريم منى حـ * ـذرا زلت مراقيـه[٥]

والغناء لمعبد : خفيف رمل بالوسطى عن عمرو . وذكره إسحاق فى خفيف الرمل بالسبابة فى مجرى البنصر، ولم ينسبه إلى أحد . وفيه للغريض ثقيل أول بالوسطى، عن الهشامى وحنين .

---

(١) كذا فى ف . وفى الأصول : خط . (٢) كذا فى ف . وفى الأصول : جامع .

(٣) ف : تعزى إليه . (٤) س : أخفيه . يخاطب نفسه .

(٥) كذا فى ف . وفى الأصول : دلت مراقيه . والمراقى : لعله يريد بها أرجله التى يرق بها .

أخبار النعمان بن بشير ونسبه

نسبه

هو النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة بن خلاس بن زيد بن مالك الأغر[1][2] بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج . وأمه عمرة بنت رواحة، أخت عبد الله بن رواحة، التى يقول فيها قيس بن الخطيم :

أجدّ بعمرة غنيانها * فتهجرَ أم شاننا شانُها[3]

وعمرة من سروات النسا * ء تنفح بالمسك أردانها

وله صحبة بالنبىّ صلى الله عليه وسلم، ولأبيه بشير بن سعد . وكان جاء إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ومعه آخر، ليشهد معه غزوة له فيما قيل، فاستصغرهما[4] فردّهما.

أبوه

وأبوه بشير بن سعد أوّل من قام يوم السقيفة من الأنصار إلى أبى بكر رضى الله عنه فبايعه ، ثم توالت الأنصار فبايعته . وشهد بشير بيعة العقبة وبدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها ، واستشهد يوم عين التمر[5] مع خالد بن الوليد .

هواه مع عثمان ابن عفان

وكان النعمان عثمانيا ، وشهد مع معاوية صفين ، ولم يكن معه من الأنصار غيره ، وكان كريما عليه ، رفيعا عنده وعند يزيد ابنه بعده ، وعمر إلى خلافة

---

(١) ف ، مب : سعد بن حصين بن ثعلبة . وبقية الأصول : سعد بن نصر بن ثعلبة . والظاهر أن كلا من لفظى حصين ونصر من حشو الناسخين ، فليس لهما وجود فى نسب النعمان الذى أورده ابن دريد فى الاشتقاق ص ٢٧١ والخزرجى فى الخلاصة ص ٥٠ ومقدمة ديوان النعمان طبع دهلى بالهند ص أ .

(٢) خلاس ، بفتح الخاء وتشديد اللام : كذا فى الأصول ، وتاج العروس (خلس) وجامع الأصول . وفى الاشتقاق وخلاصة الخزرجى : جلاس ، بضم الجيم وتخفيف اللام .

(٣) غنيانها : مصدر غنيت المرأة بزوجها ، أى استغنت .

(٤) ف : فاستصغره .

(٥) عين التمر : بلدة قريبة من الأنبار ، غربى الكوفة ، فتحها خالد بن الوليد عنوة سنة ١٢ للهجرة فى عهد أبى بكر .

مروان بن الحكم ، وكان يتولى حمص . فلما بويع لمروان، دعا إلى ابن الزبير، وخالف على مروان ، وذلك بعد قتل الضحاك بن قيس بمرج راهط . فلم يجبه أهل حمص إلى ذلك . فهرب منهم ، وتبعوه فأدركوه فقتلوه ، وذلك فى سنة خمس وستين .

١٢٠ / ١٤

أوّل مولود للأنصار بعد الهجرة

٥ ويقال إن النعمان بن بشير أوّل مولود ولد بالمدينة بعد قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها . وقد قيل ذلك فى عبد الله بن الزبير ، إلا أن النعمان أوّل مولود ولد بعد مقدمه عليه السلام من الأنصار ، روى ذلك عبد الله بن أبى بكر آبن محمد بن عمرو بن حزم .

يروى الحديث العدل بين الأولاد

وروى النعمان بن بشير عن النبيّ صلى الله عليه وسلم كثيرا .

١٠ حدّثنى أحمد بن محمد بن الجعد الوشاء . قال : حدّثنى أبو بكر بن أبى شَيْبة ، قال : حدّثنا عباد بن العوّام ، عن الحصين ، عن الشعبيّ، قال :

سمعت النعمان بن بشير يقول : أعطانى أبى عطية ، فقالت أمى عمرة : لا أرضى حتى تُشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأتى رسولَ الله فقال : ابنى من عمرة أعطيته عطية فأمرتنى أن أشهدك . فقال : أعطيتَ كل ولدك مثل ١٥ هذا ؟ قال : لا . فقال : فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم .

رفض أن يعطى الكوفيين زيادتهم فى العطاء لهواهم مع على

أخبرنى محمد بن خلف وكيع ، قال : حدّثنا محمد بن سعيد ، قال : حدّثنا العمرىّ، عن الهيثم بن عدىّ، عن مجالد، عن الشعبيّ، قال :

أمر معاوية لأهل الكوفة بزيادة عشرة دنانير فى أعطيتهم، وعامله يومئذ على الكوفة وأرضها النعمان ابن بشير، وكان عثمانيا، وكان يبغض أهل الكوفة لرأيهم ٢٠ فى علىّ عليه السلام . فأبى النعمان أن ينفذها لهم . فكلموه وسألوه بالله ، فأبى أن

يفعل . وكان إذا خطب على المنبر أكثر قراءة القرآن . وكان يقول : لا ترون على منبركم هذا أحدا بعدى يقول : إنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم . فصعد المنبر يوما فقال : يأهل الكوفة . فصاحوا[1] : ننشدك الله والزيادة . فقال : اسكتوا . فلما أكثروا قال : أتدرون ما مثلى ومثلكم ؟ قالوا : لا . قال : مثل الضبع والضب والثعلب : فإن الضبع والثعلب أتيا الضب فى وجاره ، فنادياه : أبا الحِسْل . فقال : سميعا دعوتما . قالا : أتيناك لتحكم بيننا . قال : فى بيته يؤتى الحكم . قالت الضبع : إنى حللت عَيْبَتى . قال : فعلَ الحرّة فعلت . قالت : فلقطت ثمرة . قال : طيبا لقطتِ . قالت : فأكلها الثعلب . قال : لنفسه نظر . قالت : فلطمته . قال : بجُرْمه . قالت : فلطمنى . قال : حر انتصر . قالت : فاقض بيننا . قال : قد فعلت . قال : حدّث امرأة حديثين ، فإن أبت فعشرة[2] .

(١) فى الأصول غير (ف) : فقام إليه أهل الكوفة فقالوا ...

(٢) روى هذا المثل الميدانى فى « مجمع الأمثال ٢ : ١٣ » على لسان الأرنب والثعلب والضب . ورواه أبو هلال العسكرى فى جمهرة الأمثال ، فى باب الحاء . وروايته أقرب إلى رواية المؤلف هنا . وقوله : « حدّث امرأة حديثين ... الخ » روايته فى الجمهرة ومجمع الأمثال هكذا : « حدّث حديثين امرأة ، فإن لم تفهم فأربعة » . قال الميدانى : أى زد . ويروى : فاربع ، أى كف . وأراد بالحديثين : حديثا واحدا تكرره مرتين ، فكأنك حدثتها بحديثين . والمعنى : كررلها الحديث ، لأنها أضعف فهما ، فإن لم تفهم فاجعلهما أربعة . وقال أبو هلال : يضرب مثلا لسوء الفهم ، وظاهره خلاف باطنه . وحقيقته أنها إذا كانت لا تفهم حديثين ، كانت بألا تفهم أربعة أقرب . وقال بعض العلماء : إنما هو : إن لم تفهم فاربع ، أى أمسك ، وذلك غلط . ولم نجد فى روايات كتب الأمثال : فعشرة . والمراد : تكرار الحديث ، لا حقيقة العدد . وكأن الضب وقد تمثل بهذا المثل يوبخ الضبع لأنها أنثى لم تفهم كلامه من أول مرة .

فقال عبدُ الله بن هَمّام السَّلولى :

زيادَتَنا نعمانُ لا تحبِسنها * خَفِ اللهَ فينا والكتابَ الذى تتلو (١)

فإنك قد حُمِّلت منا أمانة * بما عجزت عنه الصَّلاخِمة البُزْل (٢)

فلا يك باب الشر تحسن فتحه * وباب الندى والخيرات له قفل (٣)

وقد نلت سلطانا عظيما فلا يكن * لغيرك جَمّات الندى ولك البخل

وأنت أمرؤ حلو اللسان بليغه * فما باله عند الزيادة لا يحلو

وقبلك قد كانوا علينا أئمة * يهمهمُ تقويمنا وهمُ عُضْل (٤)

إذا نصبوا للقول قالوا فأحسنوا * ولكنّ حسن القول خالفه الفعل (٥)

يذمون دنياهم وهم يرضعونها * أفاويقَ حتى ما يدرّ لهم ثَعل (٦)

---

(١) كذا فى ف ، مب . وفى بقية الأصول : لا تحرمننا . ورواه أبو زيد الأنصارى فى نوادره ص ٤ : تق الله فينا . وانظر شرح الرضى على شواهد الشافية ص ٤٩٦ .

(٢) الصلاخمة : جمع صلخم بجعفر : يريد الجمال الصلبة الشديدة . والبزل : جمع بازل ، وهو الجمل الذى انشق نابه ، وذلك فى العام التاسع من عمره .

(٣) كذا روى البيت فى ف وفى مب :

فلا تك باب الشر تحسن فتحه * لدينا ، وباب الخير أنت له قفل

وفى بقية الأصول المخطوطة :

وإن يك باب الشعر تحسن فتحه * فلا يك باب الخير ليس له قفل

وفى س : « باب الشر » . وفى رغبة الآمل للمرصفى (١ : ١٨٦) : « باب الخير منك » .

(٤) أ ، م : كرام يهم تقويمنا . والعضل : جمع أعضل : وهو المعوج فيه صلابة وشدّة .

(٥) نصبوا للقول : تهيئوا له . وأصل النصب : أن يقوم المرء رافعا رأسه . وفى الأصول : « أنصتوا للقول » .

(٦) كذا فى ف ، مب . وفى بقية الأصول : « يذمون دنيانا ... يدر لها » . وأفاويق : جمع أفواق ، وهو جمع فيقة ، بكسر الفاء ، اسم اللبن يجتمع فى الضرع بين الحلبتين . يريد أنهم يرضعونها ، ثم يتركونها مقدار ما يجتمع اللبن ، فيرضعونها ثانية وهكذا . والثعل : خلف زائد صغير فى أخلاف الناقة وضرع الشاة ، لا يدرّ من اللبن شيئا ، وإنما ذكره للمبالغة فى الارتضاع .

فيا معشر الأنصار إنىّ أخوكمُ * وإنى لمعروفٍ أتى منكمُ[١] أهل

١٢١/١٤ ومن أجل إيواء النبىّ ونصره * يحبكمُ قلبى وغيركمُ الأصل[٢]

فقال النعمان بن بشير : لا عليه ألا يتقرّب[٣] ، فوالله لا أُجيزها ولا أُنفذها أبدا .

يسمع غناء عزة الميلاء

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ ، قال : حدّثنا عمر بن شبة ، قال : حدّثنا الأصمعىّ[٤] ، قال : حدّثنى شيخ قديم[٥] من أهل المدينة . وأخبرنى إسماعيل بن يونس الشيعىّ ، قال : حدّثنا عمر بن شبة[٤] قال : حدّثنا أبو غسان ، عن أبى السائب المخزومىّ . وأخبرنى الحسين بن يحيى المرداسىّ عن حماد بن إسحاق عن أبيه ، قال : ذكر لى عن جعفر بن محرز الدوسىّ[٦] قال :

دخل النعمان بن بشير المدينة فى أيام يزيد بن معاوية وابن الزبير ، فقال : والله لقد أخفقتْ أذناى من الغناء ، فأسمعونى . فقيل له : لو وجهت إلى عزة الميلاء ، فإنها من قد عرفت . فقال : إى ورب الكعبة ، إنها لمن تزيد النفس طيبا ، والعقل شحذا . ابعثوا إليها عن رسالتى ، فإن أبتْ صِرت إليها . فقال له بعض القوم : إن النقلة تشتدّ عليها ، لثقل بدنها ، وما بالمدينة دابة تحملها . فقال النعمان بن بشير : وأين النجائب عليها الهوادج ؟ فوجه إليها بنجب ، فذكرت علة . فلما عاد الرسول إلى النعمان قال لجليسه : أنت كنت أخبر بها ، قوموا بنا . فقام هو مع خواص أصحابه حتى طرقوها . فأذنت وأكرمت واعتذرت ، فقبل النعمان عذرها ، وقال لها : غنى ، فغنت :

---

(١) أنى : حان . وفى مب : أبى ، وفى بقية الأصول : أتى ، بالتاء . (٢) «وغيركم الأصل» : يريد إنى أحبكم وإن كان غيركم أهل . (٣) يتقرّب : وهى رواية ف ، مبج . وفى بقية الأصول : يقترب . يريد لا بأس عليه فى ألا يكون قريبا من الأنصار . (٤) هذه العبارة عن ف ، مب ، والأغانى ٩ : ١٣ (٥) فى الأغانى (٩ : ١٣) : قدم من المدينة . (٦) الأغانى (٩ : ١٣) : السدوس .

صـــــوت (١)

أجـــدٌّ بعَمرة غُنيانهـا * فتهجرَ أم شأنُنا شأنُهـا
وعمرة من سَروات النسا * ء تنفَح بالمسك أردانهـا

قال : فأشير إليها أنهـا أمه ، فأمسكت . فقال : غنى، فوالله ما ذكرت إلا كرما وطيبا ، ولا تغنّى سائر اليوم غيره . فلم تزل تغنيه هذا اللحن فقط حتى انصرف .

قال إسحاق : فتذاكروا هذا الحديث عند الهيثم بن عدىّ، فقال : ألا أزيدكم فيه طريفة ؟ فقلنا : بلى ، يا أبا عبد الرحمن . فقال : قال لقيط ونحن عنـد سعيد الزبيرىّ (٢)، قال عامر الشعبىّ :

اشتاق النعمان بن بشير إلى الغناء ، فصار إلى منزل عزة المَيْلاء ، فلما انصرف إذا آمرأة بالباب منتظرة له . فلمـا خرج شكت إليه كثرة غِشيان زوجها إياها ، فقال النعمان : لأقضين بينكما بقضية لاتُرَدّ علىّ، قد أحل الله له من النساء أربعا : مثنى، وثلاث، ورباع، له مرتان (٣) بالنهار، ومرتان (٣) بالليل .

أخبرنى محمـد بن الحسن بن دريد ، قال حدّثنى عمى ، عن العبـاس بن هشام (٤) ، عن أبيه ؛ وأخبرنى الحسين بن يحيى، عن حماد، عن أبيه، عن الكلبى (٥).
وأخبرنى عمى قال : حدّثنا الكِرانِىّ قال : حدّثنى العُمَرىّ عن الهيثم بن عدى، قالوا :

(١) صوت : ساقطة من الأصول غير ف ، مب . (٢) ف ، مب : سعيد الزبيرىّ .
(٣) مرتان : كذا فى الموضعين بدون همز بين الراء والتاء فى جميع الأصـول المخطوطة ، وهى لغة الحجاز بين الذين يفرّون من الهمز . وفى المطبوعتين ب ، س : مرأتان . وفى الأغانى (٩ : ١٤) : امرأتان . أو لعله تثنية مرة أى يأتيها مرتين نهارا ، ومرتين ليلا ، فكأنه يأتى أربع نساء ، اثنتين ليلا ، واثنتين نهـارا . (٤) ف : العباس عن هشام . تحريف . (٥) كذا فى ف . وفى الأصول : ابن الكلبى .

أعشى همدان يمدحه

خرج أعشى همْدان إلى الشام فى ولاية مروان بن الحكم ، فلم ينل فيها حظا ؛ فجاء إلى النعمان بن بشير وهو عامل على حِمص ، فشكا إليه حاله . فكلم له النعمان اليمانية ، وقال لهم : هذا شاعر اليمن ولسانها ، واستماحهم له . فقالوا : نعم ، يعطيه كل واحد منا دينارين من عطائه . فقال : أعطوه دينارا ، واجعلوا ذلك معجلا . فقالوا له : أعطه إياه من بيت المال ، واحتسب ذلك على كل رجل من عطائه . ففعل النعمان ذلك ،وكانوا عشرين ألفا ، فأعطاه عشرين ألف دينار ، وارتجعها منهم عند العطاء . فقال الأعشى يمدح النعمان :

ولم أر للحاجات عند التماسها * كنعمانَ نعمانِ الندى ابن بشير
إذا قال أوفى ما يقول ولم يكن * كمُدْلٍ إلى الأقوام حبل غرور
متى أكفرِ النعمان لا أُلْف شاكرا * وما خير من لا يقتدى بشَكور
فلولا أخو الأنصار كنت كنازل * ثوَى ماثوى لم ينقلب بنَقير

١٢٢ / ١٤

الأخطل يهجو الأنصار

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرى ، وحبيب بن نصر المهلّبى قالا : حدثنا عمر بن شبة ، قال : حدّثنا يحيى الزبيرى(١) قال حدّثنى ابن أبى زريق ، قال : شبّب عبد الرحمن بن حسان برَمْلة بنت معاوية ، فقال :

رملَ هل تذكرين يوم غزال * إذ قطعنا مسيرنا بالتمنى
إذ تقولين عَمْرَكَ اللهَ هل شىء وإنْ جلّ سوف يُسْليكَ عنى
أم هَلُ اطمعْتُ منكم يابن حسا * ن كما قد أراك أُطمعتَ منى(٢)

(١) ف : أبو يحيى الزهرى .

(٢) كذا فى ف . وفى بقية الأصول : اطمعت يا بن حسان فى ذاك .

فبلغ ذلك يزيد بن معاوية، فغضب ودخل على معاوية، فقال: يا أمير المؤمنين، ألا ترى إلى هذا العِلج[1] من أهل يثرب، يتهكم بأعراضنا، ويشبب بنسائنا؟ فقال: ومن هو؟ قال: عبد الرحمن بن حسان. وأنشده ما قال. فقال: يا يزيد، ليس العقوبة من أحد أقبح منها بذوى القدرة، ولكن أمهل حتى يقدَم وفد الأنصار، ثم أذكرنى به. فلما قدموا أذكره به. فلما دخلوا، قال: يا عبد الرحمن، ألم يبلغنى أنك شببت برملة بنت أمير المؤمنين؟ قال: بلى، ولو علمت أن أحدا أشرف لشعرى منها لذكرته. فقال: فأين أنت عن أختها هند؟ قال: وإن لها لأختا يقال لها هند؟ قال: نعم. وإنما أراد معاوية أن يشبب بهما جميعا، فيُكذب نفسه. قال: فلم يرض يزيد ما كان من معاوية فى ذلك، فأرسل إلى كعب بن جُعَيل، فقال: اْهجُ الأنصار. فقال: أفرَق من أمير المؤمنين، ولكن أدلك على هذا الشاعر الكافر الماهر الأخطل. قال: فدعاه، فقال له: اهج الأنصار. فقال: أفرَق من أمير المؤمنين. قال: لاتخف شيئا، أنا بذلك لك. فهجاهم، فقال:

وإذا نسبت ابن الفُرَيعة خلته * كالجحش بين حمارة وحمار[2]

لعن الإله من اليهود عصابة * بالجِزْع بين صُليصل وصُدار[3]

---

(١) العلج فى لسان العرب معان، منها الرجل الغليظ، والرجل من كفار العجم، وهو لفظ شائع عندهم فى السب. وفى ج: العجل، تحريف.

(٢) ابن الفريعة: كنية حسان بن ثابت الأنصارى، والفريعة: أمه، وهى فريعة بنت خالد ابن خنيس بن لوذان. وأصل معنى الفريعة: القملة. أو لعله الفارعة ثم صغره تصغير الترخيم.

(٣) اليهود: كذا فى ف، (ب ١٣: ١٤٨). وفى بقية الأصول: المهور، ولعله تحريف. وصليصل: تصغير صلصل، موضع بناحية المدينة، على سبعة أميال منها. وصدار، كغراب: موضع قرب المدينة، وفى ف: وصفار.

قوم إذا هدر العصيرُ رأيتهم * حمرا عيونهمُ من المُسْطار(١)
خَلُّوا المكارم لستمُ من أهلها * وخذوا مساحيكم بنى النجار(٢)
إن الفوارس يعرفون ظهوركم * أولادَ كل مقبَّح أكّار(٣)
ذهبت قريش بالمكارم والعلا * واللؤم تحت عمائم الأنصار(٤)

فبلغ ذلك النعمان بن بشير، فدخل على معاوية، فحسر عمامته عن رأسه، وقال: يا أمير المؤمنين، أترى لؤما؟ قال: بل أرى كرما وخيرا. فما ذاك؟ قال: زعم الأخطل أن اللؤم تحت عمائم الأنصار. قال: أَوَفعل ذلك؟ قال: نعم. قال لك لسانه. وكتب فيه أن يؤتى به. فلما أتى به، سأل الرسول أن يدخله إلى يزيد أولا، فأدخله عليه. فقال له: هذا الذى كنت أخاف. قال: لا تخف شيئا. ودخل إلى معاوية، فقال: علام أُرسل إلى هذا الرجل الذى يمدحنا، ويرمى من وراء جَمْرتنا(٥)؟ قال: هجا الأنصار. قال: ومن زعم ذلك؟ قال: النعمان بن بشير. قال: لا تقبل قوله عليه، وهو المدعى لنفسه، ولكن تدعوه بالبينة، فإن أثبت شيئا أخذت به له. فدعاه بالبينة، فلم يأت بها، فخلى سبيله، فقال الأخطل:

وإنى غداة استعبرتْ أم مالك * لَرَاضٍ من السلطان أن يتهددا(٦)

(١) المسطار: كذا فى ف. وفى (ب ١٣: ١٤٨)، وفى بقية الأصول: المصطار. وهما لغتان فى الخمر التى اعتصرت حديثا من أبكار العنب، أو الخمر الحامضة.

(٢) المساحى: جمع مسحاة، وهى المجرفة من الحديد، يجرف بها الطين من على وجه الأرض. يهجوهم بأنهم حراثون، يقلبون الأرض بمساحيهم. وبنو النجار: فريق من أهل المدينة.

(٣) الأكار: الحراث الزارع. (٤) كذا فى ف. وفى أكثر الأصول: «بالمكارم كلها».

(٥) أصل الجمرة: القبيلة التى لا تنضم إلى غيرها بحلف أو نحوه فى القتال؛ والمراد هنا: الجماعة مطلقا. (٦) «غداة استعبرت»: كذا فى ف والأغانى (ب ١٣: ١٤٨). وفى جميع الأصول هنا: «وإن استعبرت». ويلزم على هذه الرواية قطع همزة الوصل للضرورة.

ولولا يزيد ابن الملوك وسعيُه * تجللتُ حِدْبارا من الشر أنكدا (١)

فكم أنقذتْنى من خطوب حبالُه * وخَرْساء لو يُرْمَى بها الفيل بلّدا (٢)

ودافع عنى يوم جِلّقَ غمرة * وهمّا ينسّينى الشراب المبرّدا (٣)

وبات نَجيّا فى دمشقَ لحيةٍ * إذا همَّ لم يَنَم السليمُ وأقصدا (٤)

٥ يُخافته طورا، وطورا إذا رأى * من الوجه إقبالا ألحّ وأجهدا (٥)

أبا خالد دافعت عنى عظيمة * وأدركت لحمى قبل أن يتبددا

وأطفأت عنى نار نعمان بعدما * أغذ لأمر فاجر وتجردا (٦)

ولما رأى النعمان دونى ابن حرّة * طوى الكشح إذ لم يستطعنى وعرّدا (٧)

حدثنى عمى، قال: حدثنا أحمد بن الحارث الخراز، عن المدائنى، عن أبى بكر

١٠ الهذلى، قال:

لما أمر يزيد بن معاوية كعب بن الجُعيل بهجاء الأنصار، قال له: أرادّى أنت إلى الكفر بعد الإسلام؟ أأهجو قوما آوَوا رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) تجللت: علوت. والحدبار من النوق: الضامرة التى قد يبس لحمها من الهزال، وبدا عظم ظهرها. وجعل ذلك مثلا للأمر الصعب. وهذه رواية (ب ١٣: ١٤٩). وفى سائر الأصول هنا:

١٥ «تحللت جرباذاى» تحريف. (٢) الخرساء: كذا فى الأغانى (ب ١٣: ١٤٩). وفى سائر الأصول: كرساء، تحريف. والخرساء: الداهية. وبلد: ضعف واستكان، أو سقط إلى الأرض. وفى ف: «عردا». (٣) الغمرة: الشدة. والشراب: كذا فى ف. وفى الأصول: السلاف. وهو خالص الخمر، أو ما سال من العنب قبل أن يعصر.

(٤) نجيا: مسارا. والحية هنا: الرجل الداهى الشديد. والسليم: الملدوغ. وأقصدت الحية

٢٠ الرجل: إذا عضته فمات فى مكانه. (٥) البيت عن ف، مب.

(٦) أغذ: أسرع، وهذه رواية ف، مب. وفى بقية الأصول: أعد.

(٧) البيت عن ف، مب. وعرد عنه: انحرف وبعد.

ونصروه ؟ ! قال : أما إذ كنت غير فاعل فأرشدنى إلى من يفعل ذلك . قال : غلام منا خبيث الدين نصرانى ، فدله على الأخطل .

تهاجى عبد الرحمن ابن حسان وعبد الرحمن ابن الحكم

أخبرنا محمد بن الحسن بن دريد ، قال : حدثنا أبو حاتم عن أبى عبيدة عن أبى الخطاب ، قال :

لما كثر الهجاء بين عبد الرحمن بن حسان بن ثابت وعبد الرحمن بن الحكم ابن أبى العاصى ، وتفاحشا ، كتب معاوية إلى سعيد بن العاصى وهو عامله على المدينة ، أن يجلد كل واحد منهما مئة سوط ، وكان ابن حسان صديقا لسعيد ، وما مدح أحدا غيره قط ، فكره أن يضربه أو يضرب آبن عمه ، فأمسك عنهما . ثم ولى مروان . فلما قدم أخذ آبن حسان فضربه مئة سوط ، ولم يضرب أخاه . فكتب آبن حسان إلى النعمان بن بشير وهو بالشأم ، وكان كبيرا أثيرا مكينا عند معاوية :

ليت شعرى أغائبٌ ليس بالشا * م خليلى أم راقدٌ نعمان[1]
أيةً ما يكن فقد يرجع الغا * ئب يوما و يوقظ الوسنان
إن عمرا وعامرا أبوينا * وحراما قِدْما على العهد كانوا
أفهم مانعوك أم قلة الكـ * ـتّاب أم أنت عاتب غضبان
أم جفاء أم أعوزتك القراطيـ * ـس أم آمرى به عليك هوانُ
يوم أُنبئتَ أن ساقَ رُضَّت * وأتتكم بذلك الركبان
ثم قالوا إن آبن عمك فى بلـ * ـوى أمور أتى بها الحدْثانُ

(١) ليس بالشام كذا فى ف ، مب . وفى بقية الأصول : أنت بالشام . وراقد : كذا فى (ب ١٣ : ١٥٢) . وفى مب : شاهد . وفى بقية الأصول : عاتب ، و يؤيد الرواية الأولى قوله فى البيت بعده : « و يوقظ الوسنان » .

فنسيتَ(١) الأرحام والودّ والصحـ * ـبة فيما أتت به الأزمان

إنما الرمح فاعلمنّ قناة * أو كبعض العيدان لولا السنان

وهي قصيدة طويلة . فدخل النعمان بن بشير على معاوية ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنك أمرت سعيدا بأن يضرب ابن حسان وابن الحكم مئة مئة ، فلم يفعل ، ثم وليت أخاه ، فضرب ابن حسان ولم يضرب أخاه : قال . فتريد ماذا(٢) ؟ قال : أن تكتب إليه بمثل ما كتبت به إلى سعيد . فكتب معاوية إليه يعزم عليه أن يضرب أخاه مئة . فضربه خمسين ، وبعث إلى ابن حسان بحُلة ، وسأله أن يعفو عن خمسين . ففعل ، وقال لأهل المدينة : إنما ضربني حد الحر مئة ، وضربه حد العبد خمسين . فشاعت هذه الكلمة حتى بلغت ابن الحكم . فجاء إلى أخيه فأخبره ، وقال : لا حاجة لي فيما عفا عنه ابن حسان . فبعث إليه مروان : لا حاجة لنا فيما تركت ، فهلم فاقتص من صاحبك . فحضر فضربه مروان خمسين أخرى .

١٢٤ / ١٤

امرأته الكلبية

أخبرني الحسن بن علي ، قال : أخبرنا أحمد بن الحارث ، قال : حدثنا المدائني ، عن يعقوب بن داود الثقفي ومعاوية بن محارب(٣) :

أن معاوية تزوج امرأة من كَلْب ، فقال لامرأته ميسون أم يزيد بن معاوية : ادخلي فانظري إلى ابنة عمك هذه(٤) . فأتتها فنظرت إليها ، ثم رجعت فقالت : ما رأيت مثلها ، ولقد رأيت خالا تحت سرتها ليوضَعنّ تحت مكانه في حجرها

(١) كذا في ب ، وفي سائر الأصول المخطوطة : فنشط . (٢) أخر ماذا عن صدر الجملة مع أنها من ألفاظ الاستفهام التي لها صدر الكلام ، وهو أسلوب عربي مخصوص بما إذا ركبت مع ذا (انظر حاشية يس على التصريح : باب الاسم الموصول) . (٣) كذا في ف ، مب وفي بقية الأصول : مسلمة بن محارب . (٤) كانت ميسون بنت بحدل أم يزيد كلبية أيضا ، وكلب من قضاعة .

رأس زوجها . فتطير من ذلك، فطلقها، فتزوجها حبيب بن مسلمة، ثم طلقها، فتزوجها النعمان بن بشير ، فلما قتل وضعوا رأسه فى حجرها .

مقتله

قالوا : وكان النعمان بن بشير لما قُتل الضحاك بن قيس بمرْج راهط ، فى خلافة مروان بن الحكم، أراد أن يهرب من حمص، وكان عاملا عليها ، نخالف ودعا لابن الزبير ، فطلبه أهل حمص، فقتلوه واحتزوا رأسه . فقالت امرأته هذه الكلبية : أَلقوا رأسه فى حجرى، فأنا أحق به . فألقوه فى حجرها ، فضمته إلى جسده ، وكفنته ودفنته .

يغضب من معاوية فيرضيه

أخبرنى هاشم بن محمد أبو دُلَف الخزاعى ، قال : حدثنا أبو غسان دماذ ، قال : حدثنا أبو عبيدة، قال :

نظر معاوية إلى رجل فى مجلسه ، فراقه حسنا وشارة وجسما ، فاستنطقه فوجده سديدا . فقال له : ممن أنت ؟ قال : ممن أنعم الله عليه بالإسلام ، فاجعلنى حيث شئت يا أمير المؤمنين . قال : عليك بهذه الأزد الطويلة العريضة، الكثير عددها ، التى لا تمنع من دخل فيهم ، ولا تبالى من خرج منهم . فغضب النعمان بن بشير ، ووثب من بين يديه ، وقال : أما والله أنك ماعلمتُ لسيىء المجالسة لجليسك، عاقّ بزَوْرك[1]، قليل الرعاية لأهل الحرمة بك . فأقسم عليه إلا جلس بجلس . فضاحكه معاوية طويلا، ثم قال له : إن قوما أولهم غسان وآخرهم الأنصار، لكرام . وسأله عن حوائجه، فقضاها حتى رضى .

أول شعر قاله

نسخت من كتاب أبى سعيد السكرى بخطه : أخبرنا ابن حبيب ، قال : قال خالد بن كلثوم .

(١) الزور : مصدر مراد به الزائر أو الزائرون .

خرج النعمان بن بشير فى ركب من قومه وهو يومئذ حديث السن ، حتى نزلوا بأرض من الأردنّ يقال لها حَفير[١] ، وحاضرتها بنو القَين . فأهدت لهم امرأة من بنى القين يقال لها ليلى، هديّة[٢] . فبينا القوم يتحدثون و يذكرون الشعراء، إذ قال بعضهم : يا نعمان هل قلت شعرا ؟ قال : لا والله ما قلت، فقال شيخ من الحارث بن الخزرج[٣] يقال له ثابت بن سِماك : لم تقل شعرا قط ؟ قال : لا . قال : فأقسم عليك لتُرْبَطن إلى هذه السرحة ، فلا تفارقها حتى يرتحل القوم ، أو تقول شعرا . فقال عند ذلك، وهو أول شعر قاله :

يا خليلىّ ودعا دار ليلى * ليس مثلى يحل دار الهوان
إن قَيْنية تحل مُحِبا * وحفيرا بجنبتى تَرْفُلان[٤]
لا تؤاتيك فى المغيب إذا ما * حال من دونها فروع قَنان[٥]
إن ليلى ولو كلفت بليلى * عاقها عنك عائق غيرُوان[٦]

قال : وضرب الدهر على ذلك، وأتى عليه زمن طويل . ثم إن ليلى القينية قدمت عليه بعد ذلك، وهو أمير على حمص . فلما رآها عرفها، فأنشأ يقول :

ألا استأذنت ليلى فقلنا لها لِجى * ومالكِ ألا تدخلى بسلام
فإن أناسا زرتهم ثم حرَّموا * عليك دخول البيت غير كرام

وأحسن صلتها، ورفدها[٧] طول مقامها، إلى أن رحلت عنه .

---

(١) كذا فى ف ، مب ومعجم البلدان لياقوت وفى البيت الثانى من الأبيات الآتية . وقد اشتبه أمره على ياقوت ، فذكر الشعر الآتى مرة ثانية فى رسم ضفير . والصواب : حفير ، بالحاء المهملة .

(٢) ج : هبة . (٣) كذا فى ف، مب ، ج . وفى الأصول : الحارث بن الحارث . وفى ج بعدها خرم بمقدار اثنتى عشرة صفحة من مطبوعة بولاق . (٤) محب وحفير وترفلان : مواضع بالشام . وفى معجم البلدان لياقوت : «لحفيرا بجنبتى تَرفلان» . (٥) قنان : جبل بأعلى نجد .

(٦) فى معجم البلدان : و إن، فى موضع : ولو . وهى أجود . وغيروان : كذا فى ف ، مب ، ومعجم ياقوت . وفى الأصول : « وأوان » . تحريف . (٧) كذا فى ف ، مب . وفى الأصول : فاستحسن صلتها وزودها . وفى س والديوان : فأحسن صلتها وزودها .

الأنصار غير ألقاب أهل المدينة

أخبرنى عمى، قال: حدثنا عبد الله بن أبى سعد، قال: حدثنى محمد بن الحسن بن مسعود، عن أبيه، عن مشيخة من الأنصار، قال:

حضرت وفود الأنصار باب معاوية بن أبى سفيان، فخرج إليهم حاجبه سعد أبو دُرة [(١)] — وقد حَجَب بعده عبد الملك بن مروان — فقالو له: استأذن للأنصار. فدخل إليه وعنده عمرو بن العاص، فاستأذن لهم. فقال له عمرو: ما هذا اللقب يا أمير المؤمنين؟ اردُد القوم إلى أنسابهم. فقال معاوية: إنى أخاف من ذلك الشُّنعة. فقال: هى كلمة تقولها، إن مضت عضتهم [(٢)] ونقصتهم، وإلا فهذا الاسم راجع إليهم. فقال له: اخرج فقل: من كان ههنا من ولد عمرو بن عامر فليدخل. فقالها الحاجب، فدخل ولد عمرو بن عامر كلهم إلا الأنصار. فنظر معاوية إلى عمرو نظرا منكرا، فقال له: باعدتَ جدا. فقال: اخرج فقل: من كان ههنا من الأوس والخزرج فليدخل. فخرج فقالها، فلم يدخل أحد. فقال له معاوية: [(٣)] أُخرج فقل: من كان ههنا من الأنصار فليدخل. فخرج فقالها، فدخلوا يقدُمهم النعمان بن بشير وهو يقول:

يا سعد لا تُعِد الدعاء فما لنا * نسب نجيب به سوى الأنصار [(٤)]

نسب تخيّره الإله لقومنا * أثْقِل به نسبا على الكفار [(٥)]

إن الذين ثَوَوْا ببدر منكمُ * يوم القَليب همُ وقود النار

(١) كذا فى ف، مب. وفى الأصول: أبو درة. (٢) كذا فى ف. وفى مب، والديوان: عضصتهم. وفى الأصول: عرتهم. (٣) عن ف و مب.

(٤) كذا فى ف، مب. وفى الأصول: لا تجب الدعاء. وفى الديوان: لا تعد النداء ... نجيب له.

(٥) كذا فى ف، مب والديوان. وفى الأصول: إلى الكفار.

فقال معاوية لعمرو : قد كنا أغنياء عن هذا[١] .

الشعراء من آل النعمان

والنعمان بن بشير : هو من المعروفين فى الشعر سلفا وخلفا ، جده شاعر ، وأبوه شاعر ، وعمه شاعر ، وهو شاعر ، وأولاده وأولاد أولاده شعراء .

فأما جده سعد بن الحصين[٢] فهو القائل .

٥ إن كنت سائلة والحق مَعْتبة[٣] * فالأزد نسبتُنا والماء غسان

شم الأنوف لهم عز ومكرمة * كانت لهم من جبال الطَّوْد[٤] أركان

وعمه الحسين بن سعد أخو بشير بن سعد ، القائل :

إذا لم أزر إلا لآكل أكلة * فلا رفعت كفى إلى طعامى

فما أكلة إن نلتها بغنيمة * ولا جَوْعة إن جعتها بغرام

١٠ وأبوه بشير بن سعد الذى يقول[٥] :

(١) زاد الديوان فى هذا الخبر هنا : « فقام مغضبا فانصرف ، فبعث فيه معاوية ، فرده وترضاه ، وقضى حوائجه وحوائج من كان معه من الأنصار ، وقال لعمرو : قد كنا عن هذا أغنياء » .

(٢) كذا فى جميع الأصول . وهو غلط من المؤلف نبه عليه ناشر الديوان . ولعل صوابه : سعد أبو الحسين . والحسين : عم النعمان بن بشير . والبيتان المنسوبان إليه ينسبان أيضا إلى حسان ١٥ ابن ثابت ، وهما فى ديوانه مع بعض اختلاف فى الرواية .

(٣) معتبة : موجدة . يريد أن الحق يثقل على النفوس سماعه ، فيورث العتاب والغضب . وفى ديوان حسان : مغضبة . ويروى الشطر الأول فى ديوان النعمان (ص ٣١) وسيرة ابن هشام (١ : ١٠) « إما سألت فإنا معشر نجب » ، وفى ديوان حسان وسيرة ابن هشام : « الأسد نسبتنا » . والأسد : لغة فى الأزد ، وهو الأسد بن الغوث ، من أجود الأنصار . وغسان : ماء بسد مأرب باليمن ، كان شربا ٢٠ لبنى مازن بن الأزد بن الغوث ، وهم الأنصار وبنو جفنة وخزاعة . ويقال : غسان : ماء بالمشلل ، قريب من الجحفة : (عن معجم البلدان لياقوت) .

(٤) جبال الطود : هى جبال السراة . وفى ديوان حسان : « كجبال الطود » ، وفيه أيضا : « لهم مجد » .   (٥) ذكر ياقوت الأبيات : ١ ، ٢ ، ٥ وبيتا آخر من القصيدة ، ونسبها لبشير بن سعد أبى النعمان ، ونسبها السكرى إلى حسان بن ثابت ، وهى فى ديوانه (ص ٤٢) . وتنسب أيضا لسعد ٢٥ ابن الحصين من بنى الحارث بن الخزرج . ويبدو أن الأبيات المذكورة هنا ملفقة من أقوال هؤلاء الشعراء لأن المعنى غير متسق فيها جميعها .

لعمــرة بالبطحاء بين معــرّف * وبين المطــاف مسكن ومحاضر (١)

لعمــرى لحىّ بين دار مزاحم * وبين الجُثَا لا يجشم السير حاضر (٢)

وحى حــلال لا يروع سَرْبهــم * لهم من وراء القاصيات زوافــر (٣)

أحق بهــا من فتيــة وركائب * يقطع عنها الليــلَ عوج ضــوامر (٤)

تقول وتذرى الدمع عن خُروجهها * لعلك نفسى قبل نفسك باكــر (٥)

أباح لهــا بطــريق فارس غائطا * لها من ذرا الجَوْلان بقل وزاهر (٦)

١٢٦ / ١٤

(١) الظاهر من رواية (ف) أن البطحاء هي بطحاء مكة . ومعرف : موضع الوقوف بعرفات ، والمطاف : حيث يطوف الناس بالبيت . وفى الأصول : بيت ، فى مكان : « بين » الأولى . والبطاح ، فى مكان : « المطاف » . والمعنى على هذه قريب من معنى الرواية الأولى . فهما تحددان مواضع قرب مكة . وفى ديوان حسان ومعجم البلدان لياقوت : « لعمرك » فى مكان « لعمرة » . وفى ديوان حسان أيضا : « نطاة » فى مكان « البطاح » . وفى معجم ياقوت : « النطاق » ، وعلى هذه الروايات الأخيرة يختلف معنى البيت ، إذ يكون قصد الشاعر تحديد مكان قريب من المدينة ، وهو الأشبه بالشاعر ، لقرب موطنه (المدينة) من هذه الأماكن . (٢) الجثا : الحجارة التى توضع على حدود الحرم ، أو هى الأنصاب التى كانت تذبح عليها الذبائح ، واحدتها جثوة . وجثا أيضا كربا : جبل من جبال أجأ ، مشرف على رمل طيىء . والجثوة أيضا : حجارة من تراب متجمع كالقبر .

(٣) الحى الحلال : القوم المقيمون بأرضهم . والسرب : المال الراعى من الإبل ، أو من جميع الماشية . والقاصيات : جمع قاصية : موضع ، ولعله جمعه بما حوله . والزوافر : جمع زافرة ، وهم الرهط والعشيرة والأنصار . وفى الأصول : « وحى حلال لا يكثر » ، تحريف . وفى ديوان حسان : لا يكش ، أى لا يساق بإعجال .

(٤) قبل هذا البيت فى ديوان حسان بيت آخر ، وهو :

إذا قيل يوما اظعنوا قد أتيتم   أقاموا ولم تجلب إليهم أباعر

ويظهر لنا أن الأبيات غير متلاحقة ، أو ليست من قصيدة واحدة ، لغموض الصلة بينها . والعوج : جمع أعوج وعوجاء ، وهو من الخيل والإبل ما كان فى يديه عوج ، وهو من الصفات المستحسنة فيها . والضوامر : جمع ضامر وضامرة ، وهى القليلة اللحم والشحم .

(٥) لعل الضمير فى تقول يرجع إلى « عمرة » . وتذرى : تسقط . وباكر : وصف من بكر إذا تقدم ، تريد أنك مقدم على إهلاك قبل أن تهلك نفسك بهذه الرحلة .

(٦) الغائط : المكان المنخفض يزرع .

٥ ١٠ ١٥ ٢٠ ٢٥

فقرّبتها للرحلِ وهى كأنها * ظليم نعامٍ بالسماوة نافر
فأوردتها ماء فما شربت به * سوى أنه قد بُلّ منها المشافر
فباتت سُراها ليلة ثم عرست * بيثربَ والأعراب بادٍ وحاضر

قال خالد بن كلثوم :

غضبه من هجاء الأخطل للأنصار

٥ ودخل النعمان بن بشير على معاوية لما هجا الأخطل الأنصار، فلما مَثَل بين يديه أنشأ يقول :

معاوىَ إلّا تعطنا الحق تعترفْ * لحَى الأزد مشدودا عليها العمائم
أيشتمنا عبد الأراقم ضَلة (١) * وماذا الذى تجدى عليك الأراقم
فمالىَ ثأر غيرَ (٢) قطع لسانه * فدونك من يرضيه عنك الدراهم
١٠ وأَرْع (٣) رويدا لا تَسُمنا دَنية * لعلك فى غِب الحوادث نادم
متى تلق منا عصبة خزرجية * أو الأوس يوما تخترمك المخارم (٤)
وتلقك خيل كالقطا مسبطِرّةً (٥) * شماطيطُ أرسال عليها الشكائم
يسوّمها العَمْران عمرو بن عامر * وعمران حتى تستباح المحارم
ويبدو من الخَودِ الغريرة حِجلها * وتبيض من هول السيوف المَقادم
١٥ فتطلب شَعْب الصدع بعد انفتاقِه * فتعيا به فالآنَ والأمر سالم

(١) الأراقم : أحياء من تغلب ، وهم ستة : جشم ، ومالك ، وعمرو ، وثعلبة ، ومعاوية ، والحارث ، بنو بكر بن حبيب بن غنم بن تغلب . ويريد بعبد الأراقم : الأخطل . أى عبد من الأراقم .

(٢) « غير » كذا فى ف . وفى الأصول : « دون » .

(٣) « وأرع رويدا » أى كن برعيتك شفيقا . وفى الأصول عدا ف : « وراغ » .

٢٠ (٤) تخترمك : تهلكك . والمخارم : الطرق فى الجبال . يريد : نغزوك فتصبح طرايدا تجاذبك مخارم الجبال ، فتهلك .

(٥) مسبطرة : طويلة سريعة . والشماطيط : المتفرقة المتابعة . والأرسال : جمع رسل ، بمعنى الشماطيط .

وإلا فَبَزِّى لَأْمةٌ تُبَّعِيّةٌ * مواريث آبائى وأبيض صارم

وأجرد خوّار العِنان كأنه * بدُومةَ موشىّ الذراعين صائم (١)

وأسمر خَطِّى كأنّ كعوبه * نوى القَسْبِ فيها لَهْذَمىّ ضُبارِم (٢)

فإن كنت لم تشهد ببدر وقيعة * أذلت قريشا والأنوف رواغم

فسائل بنا حيى لؤىّ بن غالب * وأنت بما تخفى من الأمر عالم

ألم تبتدركم يوم بدر سيوفنا * وليلك عما ناب قومك نائم (٣)

ضربناكمُ حتى تفرّق جمعكم * وطارت أكف منكمُ وجماجم

وعاذت على البيت الحرام عوانِس * وأنت على خوفٍ عليك تمائم (٤)

وعضت قريش بالأنامل بِغضة * ومن قبلُ ما عُضت علينا الأباهم (٥)

فكنّا لها فى كل أمر تكيده * مكان الشّجا والأمر فيه تفاقم

فما إن رمى رام فأوهى صَفاتَنا * ولا ضامنا يوما من الدهر ضائم

وإنى لأغضى عن أمور كثيرة * ستُرقَى بها يوما إليك السلالم

أصانع فيها عبد شمس وإننى * لتلك التى فى النفس منى أكاتم

فلا تشتُمنّا يابن حرب فإنما * ترقّى إلى تلك الأمورِ الأشائم (٦)

فما أنت والأمرَ الذى لستَ أهله * ولكن ولى الحق والأمر هاشم

---

(١) البيت عن ف وحدها ، مب . ورواية الأخيرة : صارم .

(٢) القسب : التمر اليابس يتفتت فى الفم ، صلب النوى ، تشبه بنواه الرماح فى الصلابة . واللهذم واللهذمى : القاطع من الأسنة . والضبارم : الشديد الخلق من الأسد ، استعاره وصفا للرمح . وفى ف ، مب : ختارم . وفى بقية الأصول : حيازم ، ولعلها تحريف عما أثبتناه .

(٣) «ليلك نائم» : كذا فى ف . يريد وأنت نائم غافل فى ليلك . وفى الأصول : قائم . وهى صحيحة .

(٤) عاذت على البيت : كذا فى الأصول . والذى فى المعاجم : عاذ بكذا ، إذا التجأ إليه ، فلعل الأصل : عاذت إلى البيت .

(٥) كذا فى ف ، مب . وفى الأصول : الأداهم .

(٦) البيت : عن ف ، مب . والأشائم بالرفع نعت مقطوع عما قبله .

إليهم يصير الأمر بعد شتاته * فمن لك بالأمر الذى هو لازم
بهم شَرَع الله الهدى واهتدى بهم * ومنهم له هادٍ إمامٌ وخاتم

١٢٧/١٤ قال: فلما بلغت هذه الأبيات معاوية، أمر بدفع الأخطل إليه، ليقطع لسانه. فاستجار بيزيد بن معاوية، فمنع منه، وأرضَوُا النعمان، حتى رضى وكف عنه.

ينصر عبد الرحمن بن حسان

٥ وقال عمرو بن أبى عمرو الشيبانى عن أبيه: لما ضرب مروان بن الحكم عبد الرحمن بن حسان الحد، ولم يضرب أخاه، حين تهاجيا وتقاذفا، كتب عبد الرحمن إلى النعمان بن بشير يشتكى ذلك إليه، فدخل إلى معاوية، وأنشأ يقول:

يابن أبى سفيانَ ما مثلُنا * جار عليه ملك أو أميرْ
اذكر بنا مَقْدمَ أفراسنا * بالحِنْو إذ أنت إلينا فقير
١٠ واذكر غداةَ الساعدىّ الذى (١) * آثركم بالأمر فيها بشير
واحذر عليهم مثل بدر فقد * مر بكم يومٌ ببدر عسير
إن ابن حسان له ثائر (٢) * فأعطه الحق تَصِحّ الصدور
ومثلُ أيام لنا شتّت * ملكا لكم أمرك فيها صغير
أما ترى الأزد وأشياعها * نحوك (٣) خُزْرا كاظمات تَزِير
١٥ يطوف (٤) حولى منهم معشر * إن صُلْتُ صالوا وهم لى نصير

(١) الساعدىّ: يريد اليوم الساعدى، نسبة إلى بنى ساعدة من الأنصار أصحاب السقيفة، وقد كان بشير بن سعد أبو النعمان أوّل أنصارى بايع أبا بكر بالخلافة، مؤثرا بها قريش على قومه.
(٢) ثائر: ناصر، يثور له ويطالب بحقه.
(٣) نحوك: كذا فى ف، مب. وفى الأصول: تجول. والخزر: جمع أخزر، وهو الذى ينظر ٢٠ بمؤخر عينه غضبا. وتزير: تصيح غضبا كالأسد، وأصله تزئر، بوزن تضرب، فسهل الهمزة.
(٤) يطوف: كذا فى ف، مب. وفى الأصول: يصول.

يأبى لنـا الضيم فلا يعتلى * عز منيع وعديد كثير
وعنصر فى حُـرٍّ جرثومة (١) * عاديّة تنقل عنها الصخور

لقب الأنصار

أخبرنى محمد بن خلف وكيع، قال : حدّثنى أحمد بن الهيثم الفِراسى، قال : حدّثنى العمرى، عن الهيثم بن عدى ، قال :

حضرت الأنصار باب معاوية ومعهـم النعمان بن بشير ، فخرج إليهم سـعد أبو دُرّة، وكان حاجب معاوية، ثم حجب عبد الملك بن مروان، فقال : استأذن لنا. فدخل، فقال لمعاوية : الأنصار بالباب. فقال له عمرو بن العاص : ما هذا اللقب الذى قد جعلوه نسبا؟ اُرددهم إلى نسبهم. فقال معاوية : إن علينا فى ذلك شناعة. قال : وما فى ذلك؟ إنمـا هى كلمة مكان كلمة، ولا مردّ لها . فقال له معاوية : اخرج فناد من بالباب من ولد عمرو بن عامر فليدخل. فخرج فنادى بذلك، فدخل من كان هناك منهم سوى الأنصار. فقال له : اخرج فناد من كان ههنا من الأوس والخزرج فليدخل. فخرج فنـادى ذلك، فوثب النعمان بن بشير، فأنشأ يقول :

يا سعد لا تُعد الدعاء فمـا لنا * نسب نجيب به سوى الأنصار
نسب تخـيره الإله لقومنـا * أثقـل به نسـبا على الكفار
إن الذين ثَوَوا ببـدر منـكم * يوم القَليب هُمُ وقود النـار

وقام مغضبا وانصرف . فبعث معاوية فردّه ، فترضاه وقضى حوائجه وحوائج من حضر معه من الأنصار .

مختار شعره

ومن مختار شعر النعمان قوله ، رواها خالد بن كلثوم، واخترت منها :

إذا ذُكرت أم الحويرث أخضلت (٢) * دموعى على السربال أربعة سكبا

(١) حر جرثومة : كذا فى ف . وفى الأصول : عز جرثومة . والجرثومة : الأصل .
(٢) أخضل الدمع الثوب : بله . وقد ضمنه الشاعر معنى سقط ، فعداه بعلى .

كأنى لمـا فرّقتْ بيننا النَّوَى * أجاور فى الأغلال تغلب أو كلبا

وكنّا كماء العـين والجفن لا ترى * لواش بنَى نقض الهوى بيننا إرْبا [1]

فأمسى الوشاة غـيّروا وُدَّ بيننا * فلا صلةٌ ترعَى لدىّ ولا قُربَى

جرى بيننا سعى الوشاة فأصبحت * كأنّى ــ ولم أذنب ــ جَنيتُ لها ذنبا

٥ فإن تصرمينى تصرمى بىَ واصلا * لَدَى الود مِعْراضا إذا ماالنوى صعبا

عَزوفا إذا خاف الهوان عن الهوى * و يأبى فلا يعطى مـودته غصـبا

فإن أستطع أصبر وإن يغلب الهوى * فمثل الذى لاقيت كلفنى نُصْبا [2]

واخترت هذه الأبيات من قصيدة أخرى، وأولها :

أهيَّـجَ دمعَـكَ رسمُ الطلل * عفـا غـير مطّـرِدٍ كالخِلَلْ [3]

١٠ نعـم فاسـتهلّ لعـرفانه * يَسـح ويَهمِى بفَيْضٍ سَـبِل [4]

ديـار الألـوف وأتـرابهـا * وأنت من الحب كالمختبل [5]

ليـالىَ تَسْـبى قـلوب الرجا * ل تحت الخـدور بحسن الغـزل

من الناهضات بأعجازهنّ * حين يقـوم جـزيلُ الكفـل

كأن الرُّضاب وصَـوْب السحا * ب بات يُشاب بذَوْب العسل

١٥ من الليـل خالط أنيابهـا * بُعيـد الكرى واختـلاف العلل [6]

(١) الجفن : كذا و ف، مب . وفى الأصول : الحسير . تحريف . والإرب : الحاجة .

(٢) النصب : الداء والبلاء والشر .

(٣) الخلل : جمع خلة، وهى بطانة تنقش بالذهب، يغشى بها جفن السيف .

(٤) استهل : جرى وسال . والسبل : المطر لجود الهاطل . ورواية الشطر الثانى فى الديوان

٢٠ ص ١٠ : « مراءً وحادث بفيض سبل » .

(٥) رواية الشطر الثانى فى الديوان : « إذا أنت ملحب كالمختبل » .

(٦) اختلاف العلل : حدوث اليوم بعد اليوم . ورواية الديوان :

من الليل شارف أنيابها * بعيد الرقدة وبعد الكسل

أخذ هذا المعنى جميل منه، فقال :

وكأن طارقها على عَلَل الكرى * والنجمُ وَهْنا قد دنا لتَغَور (١)

يشتَمّ ريح مدامة معلولة * بسحيق مسك فى ذكى العنبر (٢)

وفى هذه القصيدة يقول النعمان :

وأروعَ ذى شرف حازم * صروم وصول حبال الخُلل (٣)

كريم البلاء صبور اللقا * ء صافى الثناء قليل العذل (٤)

عظيم الرماد طويل العما * د وارى الزناد بعيد القَفَل (٥)

أقمت له ولأصحابه * عمود السُّرَى بذمول رمل (٦)

مداخَلة مَسْرحة جسرة * على الأين دَوْسَرة كالجمل (٧)

(١) وهنا : ساعة فى وسط الليل .

(٢) يشتم : كذا فى ف، مب . وفى الأصول : كنسيم . وفى الأغانى (٨ : ١٠١) : يستاف . وهى بمعنى يشتم . ورواية البيت فى هذا الموضع من الأغانى :

يستاف ريح مدامة معجونة * بذكى مسك أو سحيق العنبر

(٣) الأروع من الرجال : الذى يعجبك حسنه . والخلل : جمع خلة ، وهى الحبيبة . ورواية الشطر الأول فى الديوان :

* وأفيح ذى سرب حازم *

(٤) فى الديوان : « قليل العلل » .

(٥) القفل : كذا فى مب ، والديوان ، وهو الرجوع من أماكن الغزو البعيدة . وفى بقية الأصول : العقل . تحريف .

(٦) العمود : طريق السير الذى تستقيم عليه السيارة . والذمول : الناقة تسير الذميل ، وهو ضرب من سير الإبل فوق العنق . ورمل : أى ذات رمل ، وهو ضرب من السير سريع ، وهو الهرولة . وفى الديوان : « ولأشباهه » فى مكان « ولأصحابه » .

(٧) مداخلة : كذا فى ف، مب، أ، الديوان . وهى المكتنزة المدمجة الخلق . وفى س : بذعلبة ، وهى الناقة السريعة ، شبهت بالذعلبة ، وهى النعامة . والسرحة : الطويلة الجسم ، وأصلها الشجرة العظيمة . والجسرة : الماضية ، أو الطويلة الضخمة . والأين : التعب والكلال . والدوسرة : الضخمة الشديدة .

عبد الله بن النعمان

ومن شعراء ولد النعمان بن بشير، ابنه عبد الله بن النعمان، وهو القائل :

ماذا رجاؤك غائبا * من لا يَسُرُّك شاهدا

وإذا دنـوت يزيـده * منـك الدنو تباعـدا

عبد الخالق بن أبان

ومنهـم عبد الخالق بن أبان بن النعمان بن بشـير ، شاعر مكثر ، وهو القائل

٥ في قصيدة طويلة :

وشاد أبونا الشيخ عمرو بن عامر * بأعـلى ذَرا العليـاء ركنا تأثلا

وخَطّ حياض المجـد مترعة لنا * ملاءً فعَـلَّ الصـفوَ منها وأنهـلا

وأشرع فيها النـاس بعدُ، فما لهم * من المجد إلا سُـؤْرُه حين أفضلا (١)

وفى غيرنا مجـد من الناس كلهم * فأما كمثـل العُشْر من مجـدنا فلا

١٠ وله أشعار كثيرة لم أحب الإطالة بذكرها .

١٢٩ / ١٤

شبيب بن يزيد

ومنهم شبيب بن يزيد (٢) بن النعمان بن بشير، شاعر مكثر مُجيد، وهو القائل من قصـيدة طويلة ، يعاتب بنى أمية عنـد اختلاف أمرهم فى أيام الوليـد بن يزيد وبعده، أولها :

يا قلب صبرا جميـلا لا تمتْ حَزَنا * قد كنتَ من أن تُرى جَلْدَ القُوَى قَمِنا (٣)

١٥ يقول فيهـا :

بل أيهـا (٤) الراكبُ المُزْجِى مطيته * لُقِّيتَ حيث توجهتَ الثَّنا الحسنا

(١) أشرع فيها الناس : أى وردوا حياض المجد بعـده . والسؤر : البقية تبق فى الحوض ونحوه بعد الشرب . وكذا ورد البيت فى مب . وفى ف : ما لهم من الجد . وفى بقيـة الأصول والديوان : فالهم من الجد . (٢) كذا فى ف ، مب . وفى الأصول : زيد .

٢٠ (٣) يقال : قمن بكذا ، وقمن منه : جدير به

(٤) كذا فى ف، مب . وفى الأصول والديوان : يأيها

أبلغ أميـــة أعلاها وأســـفلَها * قــولا ينفِّر عن نُوَّامها الوَسَـــنا

إن الخـــلافة أمر كان يُعظمه * خيــار أولكم قِـــدْما وأولنا

فقـــد بقرتم بأيديكم بطـــونكمُ * وقـــد وُعظتم فما أحسنتمُ الأَذَنا[1]

أغريتمُ بكمُ جهـــلا عـــدوكمُ * فى غـير فائدة فاستوسَقوا سَنَنا[2]

لمـا ســـفكتم بأيديكم دماءكمُ * بغيـا وغشَّـــيتمُ أبوابكم درنا

إبراهيم بن بشير

ومنهـــم إبراهيم بن بشير بن سعد ، أخو النعمان ، شاعر مكثر ، وهـــو القائل فى قصيدة طويلة :

أشاقتك أظعانُ الحُدوج البواكرِ * كنخل النُّجَير الشامخاتِ المَـواقر[3]

عـلى كل فَتْـلاء الذراعين جَسْرةٍ * وأعْيَس نَضّاخ المَهَـــدّ عُذافِـر[4]

نعم فاستدرت عبرة العـــين لوعة * وما أنت عن ذكرى سليمى بصابر

ولم أر سلمى بعد إذ نحن جيرة * من الدهر إلا وقفــةً بالمَشاعر

ألا رُبَّ ليل قد سريتُ سواده * إلى رُدُح الأعجـاز غُرّ المحـاجر[5]

---

(١) أذن له أذنا (بتحريك الدال) : استمع .

(٢) البيت عن ف ، مب . وفى مب : أغرتم ، فى موضع : أغريتم . واستوسقوا : اجتمعوا . والسنن : الطريق الواضح . يريد : اجتمعوا واتفقوا على عداوتكم .

(٣) النجير : مكان . والمواقر : جمع موقرة ، وهى ذوات الأحمال . وفى الديوان : الكارعات ، فى موضع : الشامخات .

(٤) فتلاء الذراعين : فى ذراعيها فتل وبعد عن الجنبين ، وهو صفة مستحسنة فى الناقة . والجسرة : الماضية أو الطويلة الضخمة . وفى الأصول عدا ف : مهجر ، وهى الناقة الفائقة فى الشحم والسمن . وجمل أعيس : فيه أدمة . والنضاخ : من النضخ وهو شدة فور الماء فى جيشانه وانفجاره من ينبوعه . والمهد : مصدر ميمى بمعنى الهدّ ، وهو هدير الفحل ، شبه صوته عند هديره بجيشان الماء إذا فار عن الينبوع . وجمل عذافر : صلب عظيم شديد .

(٥) ردح : جمع رداح ، وهى الضخمة . وفى مب : رجح . والأعجاز : كذا فى ف ، مب . وفى الأصول : الأكفال .

ليالىَ يدعونى الصِّبا فأجيبه * أجر إزارى عاصيا أمر زاجرى

وإذ لِمَتى مثل الجناح أثيثةٌ * أمشِّى الهُوَيْنَى لا يروَّع طائرى

فأصبحت قد ودعت كُمْ بغيره * مخافة ربى يوم تُبلَى سرائرى (١)

حميدة بنت بشير

وبنت النعمان بن بشير، واسمها حُميدة، كانت شاعرة ذات لسان وعارضة وشر، فكانت تهجو أزواجها. وكانت تحت الحارث بن خالد المخزومى، وقيل بل كانت تحت المهاجر بن عبد الله بن خالد، فقالت فيه :

كهولُ دمشقَ وشبانُها * أحب إلىّ من الجاليه (٢)

صُماحهمُ كصماح التيو * س أعيا على المسك والغاليه (٣)

وقمْلٌ يدب دبيب الجرادِ * أكاريسَ أعيا على الفاليه (٤)

فطلقها. فتزوجها رَوْح بن زِنْباع، فهجته، وقالت تخاطب أخاها الذى زوجها من رَوح، وتقول :

أضل الله حلمك من غلام * متى كانت مَنا كحَنا جذامُ

أترضى بالأكارع والذُّنابَى * وقد كنا يَقِر لنا السنام

وقالت تهجو رَوحا :

بكى الخزُّ من روح وأنكر جلدَه * وعجّت عجيجا من جُذامَ المطارفُ

وقال العَباء نحن كنا ثيابهم * وأكسيةٌ كدْريَّة وقطائف (٥)

(١) تبلى : تختبر. (٢) الجالية : القوم الذين جلوا عن بلادهم.

(٣) الصماح : العرق المنتن، وهو الصنان. وصماحهم كصماح : كذا فى ف، مب. وفى الأصول : صنانهم كصنان. وفى ديوان النعمان (ص ٤١) : له دفر كصنان. والدفر : هو الصنان.

(٤) أكاريس : جمع أكراس، وهذا جمع كراس بالكسر، وهو الجماعة من كل شىء. كذا رواية الشطر فى ف. وفى الأصول والديوان : (د أعيا على الفالى والفالية). وفى مب : (د أعيا الغداة على الفالية).

(٥) العباء : نوع من ثياب الأعراب غليظ خشن. ورواية الشطر الأول فى الديوان : « وقال العبا قد كنت حينا ثيابهم ».

١٣٠
١٤

فطلقها رَوح، وقال: سلط الله عليك بعلا يشرب الخمر ويقيئها فى حجرك . فتزوّجت بعده الفيض بن أبى عَقيل الثقفى ، وكان يسكر ويقىء فى حجرها . فكانت تقول : أجيبت فىَّ دعوة روح . وقالت فى الفيض :

سُمِّيت فَيْضا وما شىءٌ تفيض به * إلا بسَلْحك(١) بين البـاب والدار

فتلك دعوة رَوْح الخـير أعرفها * سقى الإلهُ صَداه(٢) الأَوْطفَ السارى

وقالت فيه :

وَهَـــل أنا إلا مُهْرة عربيـة * ســليلة أفراس تجلّلها بغــل(٣)

فإن نُتِجت مهرا كريمـا فبالحَرَى * وإن كان إقرافٌ(٤) فما أنجب الفحل

هكذا روى خالد بن كلثوم هذين البيتين لهـا، وغيره يرويهما لمـالك بن أسماء لمـا تزوّج الحجاج أخته هندا . وهى القائلة لمـا تزوج الحجاج أختها أم أبان :

قد كنت أرجو بعض ما يرجو الراجْ * أن تنكحيه ملكا أو ذا تاجْ

إذا تذكرت نكـاح الحجـاجْ * تضرّم القلب بحزن وهـاج

وفاضت العين بمـاء ثجّاج * لو كان نعمان قتيلُ الأعلاج

مستوىَ الشخص صحيحَ الأوداج * ما نلتَ ما نلتَ بخَتْـل(٥) الدُّراج

فأخرجها الحجاج من العراق، وردها إلى الشأم .

(١) بسلحك : كذا فى الأصول . وفى الديوان (ص ٣٩) : بجعرك .

(٢) البيت عن ف والديوان . والصدى : عظام الموتى تصير هامة فتطير كزعم الجاهليـة (عن تاج العروس) . والأوطف : السحاب المسترخى الجوانب لكثرة مائه .

(٣) روى ابن قتيبة فى أدب الكتاب الشطر الأول : «وهل هند إلا مهرة عربية» ونسب الشعر إلى هند بنت النعمان بن بشير ، أخت حميدة . وأنكر بعضهم لفظ « بغل » بالباء، وقالوا : هى تصحيف ، والصواب نغـل بالنون، بوزن مهم وكتف ، وهو الخسيس من الناس والدواب ، أو الفاسـد النسب (انظر التاج فى نغل). (٤) إقراف : كذا فى ف . وفى الأصول : إقرافا . وفى الديوان : وإن يك إقراف فما أنجب : وكذا فى مب . وفى بقية الأصول والديوان : فمن قبل الفحل . (٥) ختـل : خداع . والدراج : طائر شبيه بالحجل وأكبر منه ، أرقط بسواد وبياض ، قصير المنقار، شبهت به أختها .

٥
١٠
١٥
٢٠

صـــوت

نفرتْ قَلوصي من حجارة حَرّةٍ * بُنيتْ على طَلْقِ اليدين وَهوبِ

لا تنفرى يا ناقَ منـــه فإنه * شِرِّيب خمـــرٍ مِسْعر لحروب

لا يَبْعَدنّ ربيعـــةُ بن مكدَّم * وسقى الغوادى قـبره بذَنوب

لولا السِّفارُ وبُعْدُ خَرْقٍ مَهْمَهٍ * لتركتُها تحبـــو على العُرْقوب(١)

يقال إن الشـعر لحسان بن ثابت الأنصـارىّ، ويقال : إنه لضرار بن الخطاب الفهـرىّ .

أخبرنى أبو خليفة إجازة عن محمد بن سلام، قال : الصحيح أن هذه الأبيات لعمرو بن شقيق، أحد بنى فهر بن مالك . ومن الناس من يرويها لمُكَرِّز بن حفص ابن الأحنف الفهرى(٢)، وعمرو بن شقيق أولى بها .

والغناء(٣) لمـالك : خفيف ثقيل بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر(٣) .

---

(١) يريد لولا طول رحلته فى الفلوات المترامية لعقر ناقته على قبر ربيعة بن مكدم . قال صاحب العقد الفريد (يوم الكديد) : وكان ربيعة بن مكدم يعقر على قبره فى الجاهلية ، ولم يعقر على قبر أحد غيره .

(٢) الفهـرى : كذا فى ف . وفى بقية الأصـول : العامرى . ونسب أبو تمـام فى الحماسـة (٢ : ١٨٧) الأبيات إلى حفص بن الأحنف الكنانى . ونسبهـا التبريزى عن أبى رياش إلى حفص ابن الأحنف العامرى ، وإلى كرز بن خالد الفهرى . وفى الاسم الذى ذكره المؤلف تلفيق من هـذه الأسماء . ويوم الكديد مذكور فى شرح الحماسة ، مع بعض الاختلاف فى التفاصيل والأقوال والأشعار .

(٣ — ٣) العبارة عن ف ، مب .

أخبار مقتل ربيعة ونسبه

نسبه ومقتله

وهـذا الشعر قيل فى قتل ربيعة بن مُكَدَّم بن عامر بن حُرثان بن جذيمة بن علقمة بن جِذْل الطِّعان بن فِراس بن عثمان بن ثعلبة بن مالك بن كنانة، أحد فُرسان مُضَر المعدودين، وشجعانهم المشهورين، قتـله نُبَيْشة بن حبيب السُّـلَمى فى يوم الكَديد .

وكان السبب فى ذلك فيما ذكره محمـد بن الحسن بن دريد ، إجازة عن أبى حاتم ، عن أبى عبيـدة ؛ ونسختُه أيضا من رواية الأصمعى وحمـاد صاحب أبى غسان دماذ والأثرم ، فجمعتها ههنا .

قال أبو عبيدة : قال أبو عمرو بن العلاء : وقع تدارُؤ(١) بين نفر من بنى سـليم ابن منصـور وبين نفـر من بنى فِـراس بن مالك بن كنانة ، فقتلت بنـو فراس رجلين من بنى سُـلَيم بن منصور، ثم إنهم وَدَوْهما . ثم ضرب الدهر ضَرَبانَه ، فخرج نبيشة بن حبيب السلمى غازيا، فلقى ظُعُنًا من بنى كنانة بالكديد، فى نفر من قومه ، وبَصُر بهم(٢) نفر من بنى فراس بن مالك؛ فيهم عبد الله بن جذْل الطعان بن فراس، والحارث بن مكدم أبو الفارعة، وقال بعضهم أبو الفَرْعة، أخو ربيعة بن مكدم، قال : وهو مجدور يومئذ يُحمَـل فى محفة ، فلمـا رآهم أبو الفارعة، قال : هؤلاء بنـو سليم يطلبون دماءهم . فقال أخوه ربيعة بن مكدم : أنا أذهب حتى أعلم علم القوم، فآتيكم بخبرهم . فتوجه نحوهم، فلما ولّى، قال بعض الظعن : هرب

(١) تدارؤ : تدافع فى خصومة واختلاف .

(٢) كذا فى ف ، مب . وفى الأصول : فى ركب من قومه وظفر بهم .

ربيعة . فقالت أخته أم عزة بنت مكدم : أين تنتهى نَفْرة الفتى ؟ فعطف وقد سمع قول النساء ، فقال :

لقــد علمنَ أنّى غير فَرِقْ * لأطعُنن طعنــة وأعتنقْ
أُعْمِل فيهم حين تحمر الحَدَق[1] * عَضْبا حساما وسنانا يأتلق

٥ قال : ثم انطلق يعدو به فرسه ، فحمل عليــه بعض القوم ، فاستطرد له فى طريق الظعن . وانفرد به رجل من القوم ، فقتله ربيعة . ثم رماد نبيشة أو طعنه ، فلحق بالظعن يستدمى ، حتى أتى إلى أمه أم سـيار ، فقال : اجعلى على يدى عصابة ، وهو يرتجز ويقول :

* شدى علىَّ العَصْب أم سيارْ *
١٠ * لقــد رُزِيتِ فارسا كالدينار *
* يطعُن بالرمح أمام الأدبار *

فقالت أمه :

إنا بنــو ثعلبة بن مالكِ * مُرَزَّأ أخيارنا كذلكِ
من بين مقتول وبين هالك * ولا يكون الرزء إلا ذلك

١٥ قال أبو عبيدة : وشدّت أمه عليه عصابة . فاستسقاها ماء ، فقالت : إنك إن شربت المـاء مت ، فكُرَّ على القوم . فكَرّ راجعا يشد على القوم ويَذُبّهم ، ونزفه الدم حتى أثخن ، فقال للظعُن : أَوْضِعن[2] ركابكن خلفى ، حتى تنتهين إلى أدنى بيوت الحى ، فإنى لمـا بى ، وسوف أقف دونكن لهم على العقبة ، وأعتمد على رمحى ، فلن يقدَموا عليكن لمكانى . ففعلن ذلك ، فنجون إلى مأمنهن .

٢٠ (١) كذا ورد الشعر فى سب . وفى ف : « وأصبحهم حين تحمر الحدق » . وفى بقية الأصول : « أصبحهم صاح بمحمر الحدق » . وكلاهما محرف . (٢) الإيضاع : نوع من السير سريع .

قال أبو عبيدة : قال أبو عمرو بن العلاء : ولا نعلم قتيلا ولا ميتا حمى ظعائن غيره . قال : وإنه يومئذ لغلام له ذؤابة . قال : فاعتمد على رمحه ، وهو واقف لهن على متن فرســه ، حتى بلغن مأمنهن ، وما تقــدّم القوم عليــه . فقال : نُبيشة ابن حبيب : إنه لمـائل العنق ، وما أظنه إلا قــد مات . فأمر رجلا من خزاعة كان معــه أن يرمى فرســه . فرماها فقمصت وزالت ، فمـال عنها ميتا . قال : ويقال بل الذى رمى فرسه نبيشة . فانصرفوا عنه ، وقــد فاتهم الظُّعُن .

قال أبو عبيدة : ولحقوا يومئذ أبا الفَرعة الحارث بن مكدم ، فقتلوه ، وألقَوا على ربيعة أحجارا .

أشعار فى رثائه

فمــر به رجل من بنى الحارث بن فهر ، فنفرت ناقتــه من تلك الأحجار التى أهيلت على ربيعة . فقال يرثيه ويعتذر ألا يكون عقر ناقته على قبره ، وحض على قتلته ، وعيّر من فر وأسلمه من قومه :

نفرت قلوصى من حجارة حَرة * بُنيت على طلق اليدين وهوبِ
لا تنفرى يا ناق منــه فإنه * سَــبّاء خمر مِسْــعَر لحروب
لولا السِّفار وبعد خرق مهمه * لتركتها تحبــو على العرقوب
فر الفوارس عن ربيعة بعدما * نجّاهمُ من غُمَّة المكروب (١)
يدعو عليا حين أســلم ظهره * فلقد دعوتَ هناك غير مجيب
لله در بنى علىّ إنهــم * لم يُحمشوا غزوا كولْغ الذيب (٢)
نِعْمَ الفــتى أدى نبيشة بَزَّه (٣) * يوم الكديد، نبيشةُ بن حبيب
لا يبعَدن ربيعــة بن مكدم * وسقى الغوادى قــبره بذَنوب

(١) غمة : كذا فى ف ، مب . وفى الأصول : غمرة .

(٢) هذا البيت والذى بعده عن ف ، مب . ويحمشوا : يحرضوا على القتال ويلهبوه . والولغ : مصدر ولغ الذئب فى الماء : شرب منه .

(٣) البز : السلاح ، درعا وغيرها .

قال أبو عبيدة : ويقال إن الذى قال هذا الشعر هو ضرار بن الخطاب ابن مرداس ، أحد بنى محارب بن فهر . وقال آخر : هو حسان بن ثابت . وقال الأثرم : أنشدنى أبو عبيدة مرة أخرى هذا البيت :

* وسقى الغوادى قبره بذَنوب *

واحتج به فى قول الله عز وجل : « ذَنوبا مثل ذنوب أصحابهم » . فسألته لمن هذا البيت، فقال : لمُكَرِّز بن حفص بن الأحنف، أحد بنى عامر بن لؤى، رجل من قريش الظواهر، ولم يسمه ههنا .

وقال عبد الله بن جِذل الطعان واسمه بَلْعاء :

لأطلبنْ بربيعة بن مكدم * حتى أنال عُصَيّة بن مَعيص

يقال إن عصية من بنى سليم ، وهو عُصية بن مَعيص بن عامر بن لؤى

وتُقاد كل طِمِرة ممحوصة * ومقلّص عَبْل الشَّوَى ممحوص [1]

وقال رجل من بنى الحارث بن الخزرج من الأنصار يرثى ربيعة بن مكدم . وقال أبو عبيدة : زعم أبو الخطاب الأخفش أنه لحسان بن ثابت، يحض على قتلته .

ولأصرفنّ سوى حذيفة مِدحتى * لفتى الشتاء وفارس الأجراف [2]

مأوى الضَّريك إذا الرياح تناوَحتْ * ضخم الدَّسيعة مُخلِف مِتلاف [3]

---

(١) الطمرة : الفرس الطويلة القوائم الخفيفة المستعدة للعدو . والممحوصة : القليلة لحم القوائم، التى خلصت من الرهل . والمقلص : الحصان الطويل القوائم المنضم البطن . وعبل الشوى : ضخم الأطراف . (٢) لفتى الشتاء : الذى يطعم فى الشتاء وقت الجدب . وفى ديوان قيس بن الخطيم : لفتى العشى . وفى الأصول : لفتى اليسار . والأجراف : موضع (التاج) . وذكر البكرى فى التنبيه (ص ٦٧) أن اللغويين يروون البيت على أن « سوى » هنا بمعنى « قصد » ، ثم قال إن الشاعر إنما قال : « إلى حذيفة » أما « سوى » فوضوع .

(٣) الضريك : المحتاج . وتناوحت الريح : هبت من جهات مختلفة متقابلة ، وذلك فى السنة وقلة الأندية ، ويبس الهواء ، وشدة البرد . والدسيعة : مائدة الرجل إذا كانت كريمة ، أو الجفنة

من لا يزال يَكُب كل نقيلة * كَوْماء غــير مُسائل مـنزاف (١)
رَحْب المَبـاءة والجناب موطّأ * مأوًى لـكل مُعتَّق بسَـواف (٢)
فسقى الغـوادى قبرك ابن مكدم * من صَـوْب كل مُجلجِل وَكَّاف (٣)
أبلغ بنى بكر وخُص فوارسا * لحِقوا المـلامة دون كل لحاف
أسلمتمُ جِذل الطعان أخاكمُ * بين الكديد وقُـلة الأعراف (٤)

الأعراف : رمل ، قال الأثرم : الأعراف كل ما ارتفع ، ومنه قول الله تعالى : « ونادَى أَصْحابُ الأَعْرَافِ » .

حتى هـوى مُتزايلا أوصـاله * لَحْـد بين جنادل وقِفـاف (٥)
لله در بنى علىّ إنْ همُ * لم يثـأروا عوفا وحىّ خِفاف (٦)

قال الأثرم : وأنشدنا أبو عبيدة هذه القصيدة مرة لقيس بن الخطيم حين قتل قاتل أبيه ، فقال :

* تذكَّرَ ليلى حُسنَها وصفاءَها *

---

(١) النقيـلة : يريد الناقة الضخمة السمينة . والكوماء : العظيمة السـنام . وغير مسائل : أى لا يسأل أحدا عونا على الكرم كما يفعـل أصحاب الميسر . والشـطر الثانى فى ديوان قيس بن الخطيم : « وزماء غير محاول الإنزاف » .

(٢) المباءة : المنزل . والمعتق من الإبل : المسن . والسواف : مرض يصيب الإبل . يريد أنه لم يبق غير مسان الإبل التى أصابها المرض ، أما شبابها فإنه يجرها للضيفان . وفى ف : معتق مسواف . وفى مب : مدفع مسواف . وفى ديوان قيس : معصب مسواف .

(٣) قبرك : كذا فى ف . وفى الأصول : رمسك . والمجلجل : المطر ذو الرعد . والوكاف : المنهمر .

(٤) الكديد : موضع على اثنين وأربعين ميلا من مكة .

(٥) متزايلا : كذا فى ف ، مب . وفى الأصول : متداثلا : أى مسرعا . والقفاف : جمع قف ، وهو الأرض الغليظة .

(٦) بنو علىّ : قبيلة من كنانة ، وهم بنو عبـد مناة ، وليسوا من كنانة قريش . وإن هم : كذا فى ف ، مب . وفى الأصول : إنهم .

وقال ابن جِذل الطعان فى ذلك أيضا :

ألا لله در بنى فِراس * لقد أُورثتُمُ حزنا وَجيعا

غداة ثوى ربيعة فى مَكَرّ * تمج عروقه عَلَقا نَجيعا[1]

فلن أنسى ربيعة إذ تَعالَى * بكاء الظُّعْن تدعو يا ربيعا

وقال كعب بن زهير، وأمه من بنى أشجع بن عامر بن الليث بن بكر بن كنانة ، يرثى ربيعة بن مكدم ، ويحض على بنى سُليم ، ويعير بنى كنانة بالدماء التى أدّوها إلى بنى سليم، وهم لا يدركون قتلاهم عندهم بدَرَك قتل فيهم ولا دية[2] :

بان الشبابُ وكل إلف بائن * ظعن الشباب مع الخليط الظاعنِ

قالت أُميمة ما لجسمك شاحبا * وأراك ذا بَثّ ولستَ بدائن

غُضّى ملامك إن بى من لومكم * داءً أظن مُماطِلى أو فاتنى

أبلغ كنانة غَثّها وسمينها * الباذلين[3] رِباعها بالقاطن

أن المذلة أن تُطَلّ دماؤكم * ودماء عوف ضامن فى العاهن[4]

أموالكم عوض[5] لهم بدمائهم * ودماؤكم كَلَف لهم بظعائن

طلبوا فأدرك وترَهم مولاهمُ * وأبت محاملكم[6] إباء الحازن

---

(١) البيت عن ف ، مب . والعلق : الدم . والنجيع : الدم، أو الدم المصبوب، أو دم الجوف .

(٢) العبارة عن ف ، مب . (٣) الباذلين : كذا فى الأصول . ولعله يريد التاركين لأعدائهم ديارهم بمن فيها من القطان . وفى ف ، مب : النازلين .

(٤) ضامن : مضمون . والعاهن : الثابت . (٥) ف : عوض ... كلف لكم . وفى الأصول : غرض ... كلف لهم . يريد : إذا قتلة،وهم دفعتم أموالكم فى دياتهم ، وإذا سبيتم ظعائنهم لم يكفوا عن حربكم وقتلكم . (٦) محاملكم : كذا فى الأصول . وفى ف ، مب : محاصلكم . وفى ديوان كعب بن زهير (٢٢٩ طبعة دار الكتب) : سعاتكم .

شُـدوا المـآزر فاثأروا بأخيكمُ * إن الحفائظ نِعْم ربح الشامن (1)

كيف الحياة ربيعةَ بن مكدم * يُغــدَى عليـك بمِزْهَر أو قائن (2)

وهو التَّريكة بالعـراء وحارثٌ * فَقْعُ القَراقر بالمكان الواتن (3)

كم غادروا لك من أراملَ عُيَّـل * جَزَر الضِّباع ومن ضَريك واكِن (4)

وقالت أم عمرو أخت ربيعة ترثى ربيعة :

ما بال عينك منهـا الدمع مهراقُ * سَحًّـا ولا عازب لالا ولا راقى (5)

أبكى على هالك أودى وأورثنى * بعـد التفـرق حزنا بعـده باقى

لو كان يَرجع ميتا وجدُ ذى رحِمٍ * أبقى أخى سالمـا وجدى و إشفاق (6)

(١) كذا روى البيت فى ف ، مب . وفى الأصول : واثأروا ... ربح الثامن . وفى ديوان كعب :

شدوا المـآزر فانعشوا أموالكم * إن المـكارم ... ...

(٢) المـزهر : العود . والقائن : صاحب القيـان ومدربهن . وفى ف ، مب : وأقائن . وفى الأصول : أو كائن ، وفى الديوان :

كيف الأسى وربيعـة بن مكدم * يودى عليـك بفتيـة وأفاتن

(٣) التريكة : يعنى ربيعة بن مكدم ، والتريكة : البيضة يتركها النعام حين تنقف ، ويدفنها تحت التراب . أراد أن ربيعة تريكة بالقاع مدفون ، كما تركت هذه البيضة . وفى الديوان : « وهو التريكة بالمكر » . وفى مب : رهن العريكة . وفى ف : « رهن الفريكة بالعـراق » . وفى الأصـول : «ومن العريكة بالعراق» . والعراق : تحريف عن العراء . وحارث : هو أخو ربيعة . وفقع القراقر : مثل يضرب للذليل . وأصل الفقع أردأ الكمأة ، تطؤه الدواب بحوافرها . والواتن : الثابت المقيم .

(٤) جزر الضباع : طعاما للضباع . والضريك : الفقير السيء الحال . والواكن : الجالس عجزا . ورواية الديوان :

كم غادروا من ذى أرامل عائل * جزر السباع ومن ضريك حاجن

والحاجن : المقيم بالداء .

(٥) راق : مخفف عن راقٍ ، وهـو ساكن . وفى ذيل الأمالى (١٢) : « فـلا عازب عنها ولا راق » . (٦) كذا فى ف ، مب وذيل الأمالى . وفى الأصول : « أديم لى سالما » .

أو كان يُفدَى لكان الأهل كلُّهمُ * وما أُثمِّـــر من مال له واقى

لكنّ سهام المنـايا من نصَبْن له (١) * لم ينجه طِب ذى طِب ولا راقى

فاذهب فلا يُبعدنْك الله من رجل * لاقى الذى كلُّ حى مثـله لاقى

فسوف أبكيك ما ناحت مطوقة * وما سريتُ مع السارى على ساق

٥ أبكى لذكـرته عَبْرى مفجّعة * ما إن يجف لهـا من ذكره ماقى

وقال عبد الله يرثيه :

حَلّ علىّ ربيعـــة بن مكدم * حزنا يكاد له الفـــؤاد يزولُ

فإذا ذَكرتُ ربيعةَ بن مكدم * ظلت لذكراه الدموع تســيل

نِعْم الفــتى حيـا وفارسُ بُهمة (٢) * يَرْدِى بشِـكته أقبُّ ذءُول

١٠ ســقت الغوادى بالكُديْد رِمّــة (٣) * والنــاس إما هالك وقتيــل

فإذا لقيتَ ربيعة بن مكدم * فعــلى ربيعــة من نداه قبــول

كيف العــزاء ولا تزال خريدة * تبكى ربيعـــة غادة عُطبول (٤)

يأبى لىَ الله المـــذلة إنمـا (٥) * يعطَى المــذلة عاجز تنبيـــل

وقال عبد الله أيضا يرثيه :

١٥ نادى الظعائنُ يا ربيعةُ بعــد ما (٦) * لم يبــق غيرُ حُشاشة وفُــواق

---

(١) نصبن : كذا فى ف ، مب ، وذيل الأمالى . وفى الأصول : تصير . وفى الأصول أيضا : «لم يغنه» .

(٢) البهمة : الشجاع الذى لا يدرى قرنه من أين يأتيه . والشكة : الدرع . والأقب : الضامر البطن من الخيل . والذءول : من الذألان ، وهو مشى سريع خفيف . (٣) كذا روى الشطر الأول فى ف . وفى مب : سقت الكديد ومن به رجبية . وفى الأصول : (سبقت به أم الكديد رمية) . تحريف .

٢٠ (٤) العطبول : الجارية الجميلة الممتلئة الطويلة العنق . (٥) كذا فى ف ، مب . وفى الأصول : يأبى لك . والتنبيل : كذا فى الأصول ، وليس فى المعاجم فعليل من تنبل . والمراد : القصير العاجز .

(٦) كذا فى ف ، مب . وفى الأصول : دعت الظعينة . والفواق : ريح يخرج من المعدة إلى الفم .

١٣٤ / ١٤

فأجابهـا والرمح فى حيزومه * أنقـا بطعن كالشَّعيب دُفاق [(١)]

يا رَيْطَ إن ربيعة بن مكدم * وربيع قومك آذنا بفـراق [(٢)]

ولئن هلكت لرُبَّ فارس بُهْمـة * فرجتُ كُرْبتـه وضيق خنـاق

وقال أيضا يتوعد بنى سليم :

ولست لحاضرٍ إن لم أزركم * كتائب من كنانة كالصريم [(٣)]

على قُبِّ الأياطل مضمَّرات * أضرَّ بنيِّها علكُ الشكيم [(٤)]

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار ، قال : حدّثنا يعقوب بن إسرائيل ، قال : حدّثنى الطلحى ، قال : أخبرنى عبد الله بن إبراهيم الجُمَحى ومحمد بن الحسن آبن زُبالة فى مجلس واحد ، قالا : مرّ حسان بن ثابت بقبر ربيعة بن مكدم الكنانى [(٥)] ، بثنية كعب ، ويقال : بثنية غزال ، فقلصت به راحلته ، فقال [(٥)] :

نفرت قلوصى من حجارة حَرَّة * بنيت على طلق اليدين وهوب

لا تنفرى يا ناقَ منه فإنه * شرِّيب خمر مِسْعر لحروب

لولا السِّفار وبعد خَرْق مهمه * لتركتها تحبو على العرقوب

فبلغ شعره بنى كنانة ، فقالوا : والله لو عقرها لسقنا إليه ألف ناقة سود الحدق .

---

(١) مب : علقا . فى موضع : أنفا . (٢) كذا فى ف ، مب . وفى الأصول : دنا بفراق .

(٣) الحاضر : الحى المقيمون فى أرضهم صيفا وشتاء . يريد : لست منسوبا إلى حى قوى . وفى مب : «لحاصن» ، وهى المرأة العفيفة الشريفة . وفى الأصول : «ولست لصاحبى إن لم تجبكم» . والصريم : الليل ، يريد أنها لكثرتها يكون منظرها أسود كالليل .

(٤) الأياطل : جمع أيطل ، وهو الخاصرة . الأباطل : كذا فى ف . وفى الأصول : البطون . والنىّ : الشحم . وأضر به : أزاله . (٥ — ٥) العبارة عن ف ، مب .

يقتل فارسين من أصحاب دريد ابن الصمة فيهب له رمحه

أخبرنى محمد بن الحسن بن دريد، قال: حدثنا السجستانى، قال: حدثنا أبو عبيدة، قال:

خرج دُريد بن الصِّمة فى فوارس من بنى جُشَم، حتى إذا كانوا بوادٍ لبنى كنانة يقال له الأخرم، وهو يريد الغارة على بنى كنانة، رُفع له رجل من ناحية الوادى معه ظعينة. فلما نظر إليه قال لفارس من أصحابه: صِحْ به أنْ خَلِّ عن الظعينة وانج بنفسك، وهو لا يعرفه. فانتهى إليه الرجل، فصاح به، وألح عليه. فلما أبى ألقى الزمام وقال للظعينة:

سِيرى على رِسْلك سير الآمِنِ * سير رَداحٍ ذات جأش ساكن

إن انثنائى دون قِرنى شائنى * وابلِى بلائى وأخبرى وعاينى

ثم حمل على الفارس فقتله، وأخذ فرسه، فأعطاه الظعينة. فبعث دريد فارسا آخر، لينظر ما صنع صاحبه، فرآه صريعا. فصاح به، فتصامم عنه، فظن أنه لم يسمعه. فغشيه، فألقى الزمام إليها، ثم حمل على الفارس، فطعنه فصرعه، وهو يقول:

خَلِّ سبيل الحُرة المنيعهْ * إنك لاقٍ دونها ربيعهْ

فى كفه خَطِّية مطيعه[1] * أولا، فخذها طعنةً سريعه

* فالطعن منى فى الوغى شريعه *

فلما أبطأ على دريد بعث فارسا آخر لينظر ما صنعا؟ فانتهى إليهما، فرآهما صريعين، ونظر إليه يقود ظعينته، ويجر رمحه. فقال له الفارس: خل عن الظعينة. فقال لها ربيعة: اقصدى قصد البيوت، ثم أقبل عليه فقال:

ماذا تريد من شَتيم عابس[2] * ألم تر الفارس بعد الفارس

* أرداهما عامل رمح يابس؟ *

(١) فى الأصول عدا ف، مب: منيعة. (٢) شتيم: كريه الوجه.

ثم طعنه فصرعه ، وانكسر رمحه . فارتاب دريد ، وظنّ أنهم قد أخذوا الظعينة ، وقتلوا الرجل . فلحق بهم ، فوجد ربيعة لا رمح معه وقددنا من الحىّ ، ووجد القوم قد قتِلوا . فقال دريد : أيها الفارس ، إن مثلك لا يُقتل ، وإن الخيل ثائرة بأصحابها ، ولا أرى معـك رمحا ، وأراك حديث السنّ ، فدونك هذا الرمح ، فإنى راجع إلى أصحابى ، فمثبِّط عنك . فأتى دريد أصحابه ، وقال : إن فارس الظعينة قد حماها ، وقتل فوارسكم ، وانتزع رمحى ، ولا طمع لكم فيه . فانصرف القوم . وقال دريد فى ذلك :

ما إنْ رأيتُ ولا سمعت بمثـــله * حامى الظعينـة فارسا لم يُقتـــلِ

أردى فوارسَ لم يكونوا نُهْـــزة (1) * ثم استمرّ كأنه لم يفعـــل

متهلل تبـــدو أسِرّة وجهـــه (2) * مثلَ الحسام جلته كف الصيقل

يُزجِى ظعينته ويسحب رمحـــه (3) * متوجها يُمناه نحـــو المـــنزل

وترى الفوارسَ من مخافة رمحـه (4) * مثل البَغاث خَشين وقع الأجدل

ياليت شعرى من أبوه وأمه * ياصاح من يك مثلَه لم يُجهل !

فقال ربيعة :

إن كان ينفعكِ اليقينُ فسائِلى * عنِّى الظَعينـة يوم وادى الأخرمِ

هل هِى لأول من أتاها نُهْزة * لولا طعـان ربيعـــة بن مكدم

(1) نهزة : فرصة لمن يريدهم بشر . (2) فى الأصول عدا ف ، مب : أيدى الصيقل .

(3) فى سمط اللآلى (ص ٩١٢) : يسحب ذيله . وبمناه : كذا فى ف ، وفى الأصـول : يمناه ، من اليمن ، يقال : توجه فلان بيمنه وبمناه : أى توجه ظافرا ميمونا ، وضـدّه : توجه فلان شماله : أى على أمر مشئوم . (4) البغاث (مثلث الباء) : الطيور الضعيفة . والأجدل : الصقر .

إذ قال لى أدنى الفوارس مِيتَـة * خَلِّ الظعينة طائعـا لاتنـدم

فصرفتُ راحـلة الظعينة نحوه * عمدا ليعـلم بعض ما لم يعـلم

وهتكت بالرمح الطـويل إهابه * فهوى صريعا لليدين وللفم

ومنحت آخر بعـده جياشـة * نجـلاء فاغرة كشدق الأضجم[1]

ولقـد شفعتهما بآخر ثالث * وأبى الفـرارَ لىَ الغـداة تكرمى

قـال :

فلم يلبث بنو مالك بن كنانة رهط ربيعة بن مكدم ، أن أغاروا على بنى جشم رهط دريد، فقتلوا وأسروا وغنموا ، وأسروا دريد بن الصمة، فأخفى نسبه . فبينا هو عندهم محبوس ، إذ جاء نسوة يتهادَيْن إليـه . فصرخت امرأة منهنّ ، فقالت : هلكتم وأهلكتم، ماذا جرّ علينا قومنا ؟ هـذا والله الذى أعطى ربيعة رمحـه يوم الظعينة . ثم ألقت عليـه ثوبها وقالت : يا آل فِراس ، أنا جارة له منكم ، هذا صاحبنا يوم الوادى . فسألوه من هو؟ فقال : أنا دريد بن الصمة، فمن[2] صاحبى؟ قالوا : ربيعة بن مكدم ، قال[2] : فما فعل ؟ قالوا : قتـله بنو سليم ، قال : فمن الظعينة التى كانت معه ؟ قالت المرأة : رَيطة بنت جِذل الطعان ، وأنا هى ، وأنا امرأته . فحبسه القوم، وآمَروا أنفسهم ، وقالوا : لاينبغى أن تُكْفر نعمة دريد على صاحبنا . وقال بعضهم : والله لايخرج من أيدينا إلا برضا المُخارق الذى أسره . وانبعثت المرأة فى الليل، فقالت :

---

(١) منحت : كذا فى ف ، ق ، مب . وفى أ : نسخت . وفى س : نضحت ، وكلاهما تحريف . وجياشة : طعنة تجيش بالدم . والأضجم : صـفة من الضجم ، وهو عوج فى الفم ، وميل فى الشدق . وفى ف : الأسحم ، ومعناه : الأسود ، يريد زق الخمر .

(٢ — ٢) العبارة عن ف ، مب .

سنجزى دريدا عن ربيعة نعمة * وكل فتى يُجزَى بما كان قدّما

فإن كان خيرا كان خيرا جزاؤه * وإن كان شرا كان شرا مذمّما

سنجزيه نُعمى لم تكن بصغيرة * بإعطائه الرمح السديد المقوّما

فقد أدركتْ كفاه فينا جزاءه * وأهلٌ بأن يجزَى الذى كان أنعما

فلا تكفروه حق نُعماه فيكمُ * ولا تركبوا تلك التى تملأ الفما

فلو كان حيا لم يضق بثوابه * ذراعا ، غنيا كان أو كان معدِما

فَفُكّوا دريدا من إسار مُخارق * ولا تجعلوا البؤسَى إلى الشر سلما

فأصبح القوم فتعاونوا بينهم ، فأطلقوه ، وكسته ريطة وجهزته ، ولحق بقومه . ولم يزل كافا عن غزو بنى فِراس حتى هلك .

أحيل الناس وأشجعهم وأجبنهم

أخبرنى الحسن بن على ، قال : حدّثنى هارون بن محمد بن عبد الملك ، قال : حدّثنى محمد بن يعقوب بن أبى مَريم العدَوىّ(١) البصرى ، قال : حدّثنى محمد بن عمر الأزدى ، قال : حدّثنى أبو البلاد(٢) الغطفانى وقبيصة بن ميمون الصادرى(٣) ، قالا :

سأل عمر بن الخطاب رضى الله عنه عمرو بن مَعْديكرِب الزُّبيدى : من أشجع من رأيت؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين لأخبرنك عن أَحْيل(٤) الناس ، وعن أشجع الناس ، وعن أجبن الناس . فقال له عمر : هات . فقال : أربعت المدينة ، فخرجتُ كأحسن ما رأيت ، وكانت لى فرس شَمَقْمقة(٥) طويلة سريعة الإبقاء(٦) ، تَمَطَّق(٧) بالعرق تمطق الشيخ

---

(١) الأصول عداء ، مب : العذرى . (٢) فى الأصول عداف ، مب : أبو العلاء . (٣) فى الأصول ... ، مب : منهور . (٤) أحيل : كذا بالياء من الحيل بمعنى الحيلة ، أى الحذق (انظر تاج العروس) . (٥) الشمقمقة : الطويلة . (٦) يريد بسريعة الإبقاء ، أنها تسرع استئناف الجرى بعد التعب . (٧) التمطق : إلصاق اللسان بالغار الأعلى ، فيسمع له صوت عند استطابة الشىء ، يريد أن العرق يسيل من وجهها إلى فيها ، فتتمطق لإلفها الجرى ومزاولة الأسفار .

١٣٦ / ١٤

بالمرق، فركبتها، ثم آليت لا ألقى أحدا إلا قتلته. فخرجت وعلىّ مُقُدِىّ[(١)]، فإذا أنا بفتى بين غرضين[(٢)]، فقلت له: خذ حذرك، فإنى قاتلك. فقال: والله ما أنصفتنى يا أبا ثور، أنا كما ترى أعزل أُمَيْل[(٣)] عُوّارة — والعوارة: الذى لا تُرس معه — فأنظرنى حتى آخذ نبلى. فقلت: وما غَنَاؤها عنك؟ قال: أمتنع بها. قلت: خذها. قال: لا والله أو تعطينى من العهود ما يثلجنى أنك لا تروعنى حتى آخذها. فأثلجته، فقال: وإله قريش لا آخذها أبدا. فسلم والله منى وذهبت؛ فهذا أحيل الناس.

ثم مضيت حتى اشتمل علىّ الليـل، فوالله إنى لأسـير فى قمر زاهر[(٤)]، كالنور الظاهر[(٥)]، إذا بفتى على فرس يقود ظعينة، وهو يقول:

يا لُدَينـا يا لُدَينـا * ليتنـا يُعـدَى علينا

* ثم يُبْـلَى ما لدينـا *

ثم يخرج حنظلةً من مخلاته، فيرمى بها فى السماء، فلا تبلغ الأرض حتى ينظمها بمِشْقص[(٦)] من نبله. فصحت به: خذ حذرك ثكلتك أمك، فإنى قاتلك. فمال عن فرسه فإذا هو فى الأرض. فقلت: إنّ هذا إلا استخفاف. فدنوت منه، وصحت به: ويلك، ما أجهلك! فمـا تحلحلَ ولا زال عن موضعه، فشككت الرمح فى إهابه، فإذا هو كأنه قد مات منذ سنة، فمضيت وتركته؛ فهذا أجبن الناس.

ثم مضيت فأصبحت بين دَكادك[(٧)] هَرْشَى[(٨)] إلى غزال[(٩)]، فنظرت إلى أبيات،

---

(١) المقد: حديدة يقدبها الجلد، يريد بها سيفه. (٢) الغرض: شعبة فى الوادى غير كاملة.
(٣) أعزل: لا سلاح معـه. وأميل: لا يستقر على الخيل.
(٤) كذا فى ف، مب. وفى الأصول: باهر. (٥) ف: الناظر.
(٦) المشقص: نصل طويل غير عريض.
(٧) الدكادك: جمع دكدك، وهو ما تلبد من الرمل بعضه على بعض بالأرض، ولم يرتفع كثيرا.
(٨) هرشى: هضبة ململمة لا تنبت شيئا، على ملتقى طريق الشام وطريق المدينة إلى مكة.
(٩) غزال: واد بين هرشى والجحفة.

فعدلت إليها، فإذا فيها جوار ثلاث، كأنهن نجوم الثريا . فبكين حين رأيننى، فقلت : مايبكيكن؟ فقلن : لما ابتلينا به منك، ومن ورائنا أخت هى أجمل منا . فأشرفت من فدفد، فإذا بمن لم أر شيئا قط أحسن من وجهه، و إذا بغلام يخصف نعله، عليه ذؤابة يسحبها . فلما نظر إلىّ وثب على الفرس مبادرا، ثم ركض، فسبقنى إلى البيوت، فوجدهن قد ارتعن، فسمعته يقول لهن :

مهلا نُسَيّاتى إذن لا ترتعْنْ * إن يُمنع اليوم نساء تُمنعْنْ

* أرخين أذيال المروط وارتَعنْ (١) *

فلما دنوت منه، قال : أتطردنى أم أطردك؟ قلت : أطردك . فركض وركضت فى أثره، حتى إذا مكنت السنان (٢) فى لفتته — واللفتة أسفل من الكتف — اتكأت عليه، فإذا هو والله مع لَبَب (٣) فرسه، ثم استوى فى سرجه . فقلت : أقِلْنى . قال : اطرد . فتبعته حتى إذا ظننت أن السنان فى ماضغيه اعتمدت عليه، فإذا هو والله قائم على الأرض، والسنان ماض زالج . واستوى على فرسه، فقلت : أقلنى . قال : اطرد . فطردته، حتى إذا مكنت السنان فى متنه، اتكأت عليه وأنا أظن أنى قد فرغت منه، فمال فى ظهر فرسه (٤) حتى نظرت إلى يديه (٥) فى الأرض، ومضى السنان زالجا . ثم استوى وقال : أبعد ثلاث؟ تريد ماذا؟ أطردنى ثكلتك أمك . فوليت وأنا مرعوب منه . فلما غشينى ووجدت حس السنان، التفت فإذا هو يطردنى بالرمح بلا سنان،

---

(١) (اللسان : حلق) : رخين أذيال الحق . وفى شرح التبريزى للحماسة (٤ : ١٥٩) : أسبان أذيال الحق واربَعنْ . والحق : جمع حقو، وهو الإزار . وزاد اللسان بيتا رابعا هو : « مشى حييات كأن لم يفزعن » وترتيب الأبيات مختلف فيه عنه فى الأغانى .

(٢) من هنا يتصل الكلام فى م بعد انقطاعه بمقدار اثنتى عشرة صفحة من صفحات س .

(٣) لبب الفرس : نحره .

(٤) فى الأصول عداف : فال فى سرجه .

(٥) فى الأصول عداف : بدنه .

فكف عني واستنزلني، فنزلت ونزل، بجز ناصيتي، وقال : انطلق، فإني أنفَس بك عن القتل . فكان ذلك والله يا أمير المؤمنين عندي أشد من الموت ؛ فذاك أشجع من رأيت . وسألت عن الفتى، فقيل : ربيعة بن مكدم الفِراسي، من بني كنانة .

وقد أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري هذا الخبر وفيه خلاف للأول . قال : حدّثنا عمر بن شبة، قال : حدّثني محمد بن موسى الهذلي، قال : حدّثني سُكين بن محمد، قال :

دخل عمرو بن معد يكرب على عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال له : يا أبا ثور، من أين أقبلت ؟ قال : من عند سيد بني مخزوم، أعظمها هامة، وأمدّها قامة، وأقلها ملامة، وأفضلها حلما، وأقدمها سلما، وأجرئها مُقدَما . قال : ومن هو؟ قال : سيف الله وسيف رسوله [(١)]، قال : وأيّ شيء صنعت عنده؟ قال : أتيته زائرا، فدعا لي بكعب وقوس وثور [(٢)] . فقال عُمر : وأبيك إن في هذا لشبعا . قال : لي أو لك يا أمير المؤمنين؟ قال: لي ولك . قال له : فوالله إني لآكل الجَذَعة، وأشرب التِّبْن من اللبن رَثيئة وصَرِيفا [(٣)]، فلِمَ تقول هذا يا أمير المؤمنين؟ فقال له عمر : أي أحياء قومك خير؟ قال : مَذحِج، وكل قد كان فيه خير، شِداد فوارسها، فوارس أبطالها، أهل الربا والرباح [(٤)] . قال عمر : وأين سعد العَشيرة ؟ قال : هم أشدنا شَريسا ،

(١) يريد خالد بن الوليد . (٢) الكعب : الصبة من السمن . والقوس : ما يبقى في أصل الجلة من التمر . والثور : الكتلة من الأقط (لسان العرب : كعب) .

(٣) الجذعة من الغنم : ما تكون سنها بين ستة أشهر وسنة . والتبن : القدح الكبير . والرثيئة : اللبن الحليب يصب عليه اللبن الحامض، فيروب من ساعته . والصريف : اللبن الذي ينصرف عن الضرع حارا وقت حلبه . (٤) الربا والرباح : النماء والكثرة . ولعله يريد أنهم ذوو عدد وفير، أو ذوو مال كثير، أو أنهم يجزلون العطاء لمن يصنع إليهم خيرا .

وأكثرنا خميسا[(١)]، وأكرمنا رئيسا ، وهم الأوفيـاء البَرَرة ، المساعير[(٢)] الفَجَرة . قال عمر: يا أبا ثور ، ألك علم بالسلاح ؟ قال : على الخبير سقطت ، سل عما بدا لك. قال : أخبرنى عن النَّبْل . قال : منايا تخطئ وتصيب . قال : فأخبرنى عن الرمح قال : أخوك وربمـا خانك . قال : فأخبرنى عن التُّرس . قال : ذاك مِجَنٌّ وعليـه تدور الدوائر . قال : أخبرنى عن الدرع . قال : مَشْغلة للفارس، مَتْعبة للراجل . قال: أخبرنى عن السيف. قال : عنه قارعتُك[(٣)] لأمك الهَبَل، قال: لا، بل لأمك. قال عمرو : بل لأمك، فرفع عمر الدِّرّة، فضرب بها عَمرا، وكان عمرو محتبيا، فانحلت حُبوته، فاستوى قائمـا، وأنشأ يقول :

أتضربنى كأنك ذو رُعَين * بخـير معيشة أو ذو نواس[(٤)]

فكم مُلْك قديم قد رأينـا * وعز ظاهر الجبروت قاسى[(٥)]

فأضحى أهله بادوا وأضحى * ينقَّل من أناس فى أناس[(٦)]

---

(١) الشريس : الشراسة ، وهى عسر الخلق والشـدة . والخميس : الجيش . وفى اللسان : هم أعظمنا خميسا ، وأشدنا شريسا . (٢) المساعير : جمع مسعر (بكسر الميم وفتح العـين) ، ومسعر الحرب : موقدها ومهيجها ، وهو من صيغ المبالغة .

(٣) المقارعة : أصلها المضاربة بالسيوف فى الحرب ، ولعل المقصود بها هنا : المصاولة باللسان . وظاهر العبارة أن عمرا يرى أن السيف هو أعظم السلاح ، بدليل قوله فيا نقـله الإبشيهى فى المستطرف فى وصف السيف (١ : ٢٢) « هو العدة عند الشدة » . وانظر سرح العيون ، فى شرح رسالة ابن زيدون (ص ٢١٢) .

(٤) فى مروج الذهب للمسعودى (٢ : ٧ ؛ ٢ دار الرجاء) : أتوعدنى كأنك بأنعم عيشة .

(٥) فى مروج الذهب :

فكم قد كان قبلك من مليك * عظيم ظاهر ... ...

(٦) الشطر الأول فى مروج الذهب : « فأصبح أهله بادوا وأمسى » . وزاد بعده البيت :

فـلا يغررك ملكك كل مـلك * يصـير مـذلة بعـد الشماس

قال: صدقت يا أبا ثور، وقد هدم ذلك كله الإسلام، أقسمت عليك لما جلست. فجلس. فقال له عمر: هل كَعَعْتَ[(١)] من فارس قط ممن لقيت؟ قال:

اعلم يا أمير المؤمنين، أنى لم أستحل الكذب فى الجاهلية، فكيف أستحله فى الإسلام؟ ولقد قلت لجبهة من خيلى، خيل بنى زُبيد، أغيروا بنا على بنى البكّاء. فقالوا: بعيد علينا المُغار. فقلت: فعلى بنى مالك بن كنانة، قال: فأتينا على قوم سَرَاة. فقال عمر: ما علمك بأنهم سَرَاة. قال: رأيت مَزَاود خيلهم كثيرة، وقدورا مثفّاة[(٢)]، وقباب أدم، فعرفت أن القوم سراة. فتركت خيلى مُجْرة[(٣)]، وجلست فى موضع أسمع كلامهم، فإذا بجارية منهم قد خرجت من خيمتها، فجلست بين صواحب لها، ثم دعت[(٤)] وليدة من ولائدها، فقالت: ادعى فلانا. فدعت لها برجل من الحى، فقالت له: إن نفسى تحدّثنى أن خيلا تغير على الحى، فكيف أنت إن زوجتك نفسى؟ فقال: أفعل وأصنع، وجعل يصف نفسه فيفرط. فقالت له: انصرف حتى أرى رأيى. وأقبلت على صواحباتها، فقالت: ما عنده خير، ادعى لى فلانا. فدعت بآخر. فخاطبته بمثل ما خاطبت به صاحبه، فأجابها بنحو جوابه، فقالت له: انصرف حتى أرى رأيى. وقالت لصواحباتها: ولا عند هذا خير أيضا. ثم قالت للوليدة ادعى لى ربيعة بن مكَدَّم. فدعته، فقالت له مثل قولها للرجلين، فقال لها: إن أعجز العجز وصف المرء نفسه، ولكنى إذا لقيت أعذرت، وحسب المرء غَناء أن يُعذِر. فقالت له: قد زوجتك نفسى، فاحضُر غدا مجلس الحى، ليعلموا ذلك. فانصرف من عندها، وانتظرتُ حتى ذهب الليل، ولاح الفجر، فخرجتُ

(١) كععت: ضعفت وجبنت. (٢) مثفاة: منصوبة على الأثافى، استعدادا للطبخ.
(٣) مجرة: جانبا وناحية. (٤) سقط من أ، م بقية أخبار ربيعة بن مكدم، وأول أخبار أبنوة . شسحة .

من مَكمنى، وركبت فرسى، وقلت لخيلى : أغيرى، فأغارت،وتركتها وقصدت نحو النسوة ومجلسهن، فكشفت عن خيمة المرأة، فإذا أنا بامرأة تامة الحسن . فلما ملأتْ بصرها منى، أهوت إلى درعها فشقته وقالت : واثكلاه؟ والله ما أبكى على مال ولا تِلاد، ولكن على أخت من وراء هـذا القَوْز[1]، تبقى بعدى فى مثل هـذا الغائط، فتهلك ضيعة، وأومأت بيدها إلى قَوز رمل إلى جانبهم . فقلت : هذه غنيمة من وراء غنيمة . فدفعت فرسى حتى أوفيت على الأيفاع، فإذا أنا برجل جَلْد نَجْد، أهلبَ[2] أغلب، يخصف نعله، وإلى جنبه فرسه وسلاحه . فلما رآنى رمى بنعيله، ثم استوى على فرسه، وأخذ رمحه، ومضى ولم يحفل بى . فطفقت أشجره[3] بالرمح خَفْقا، وأقول له : يا هذا استأسِر[4]. فمضى ما يحفل بى، حتى أشرف علَى الوادى . فلما رأى الخيل تحوى إبله استعبر باكيا، وأنشأ يقول :

قـد علمتْ إذ منحتنى فاها[5] * أنى سأحوى اليوم من حَواها

* بل ليتَ[6] شعرى اليوم من دهاها *

فأجبتـه :

عمرو على طول الوجِى[7] دهاها[8] * بالخيـل يحميها عـلى وجاها

* حتى إذا حل بها احتواها[9] *

(١) القوز بالفتح : الرمل المستدير المرتفع . (٢) الأهلب : الكثير شعر الرأس والجسد . وعبارة المسعودى فى مروج الذهب (ج ١ ص ٢١٨) : فإذا أنا بغلام أصهب الشعر أهذب . ولعله محرف عن أهلب أو أهدب بالدال، وهو الكثير شعر العينين . (٣) شجره بالرمح : طعنه حتى اشتبك فيه . والخفق : الضرب بشىء عريض، ولعله يريد أنه يضربه بزج الرمح لا بسنانه، أو لعله الضرب الخفيف، من الخفقة، وهى النعسة الخفيفة . (٤) استأسر : كن أسيرالى . (٥) فى مروج الذهب : أقول لما . وبعده : «وألبستنى بكرة رداها» . (٦) كذا فى ف، مب . وفى الأصول : ياليت . وفى مروج الذهب : فليت . (٧) الوجى : الحفا، وهو أن يرق القدم أو الحافر و ينسحج من طول السفر . وفى المروج : الردى . (٨) فى المروج : « بالخيل تتبعها على هواها » .
(٩) فى المروج : حواها .

فحمل عليّ وهو يقول :

أهْوِن بنضر العيش فى دار نَدَمْ * أفيض دمعا كلما فاض انسجمْ

أنا ابن عبد الله(١) محمود الشيم * مؤتمَن الغيب وفيّ بالذمم

أكرم من يمشى بساق وقدم * كالليث إن هم بتَقْصام قَصَم

٥ فحملت عليه وأنا أقول :

أنا ابن ذى التقليد فى الشهر الأصمّ * أنا ابن ذى الإكليل(٣) قتال البُهَم

من يلقَنى يُودِ كما أودت إرَم * أتركه لحما على ظهر وَضَم(٤)

١٣٩/١٤

وحمل على وهو يقول :

هذا حَمّى قد غاب عنه ذائده * الموت وِرْد والأنام وارده

١٠ وحمل على فضربنى ، فرُغْت وأخطأنى ، فوقع سيفه فى قَرَبوس(٥) السرج ، فقطعه وما تحته ، حتى هجم على مِسْح الفرس . ثم ثنّى بضربة أخرى ، فرُغْت وأخطأنى ، فوقع سيفه على مؤخر السرج فقطعه حتى وصل إلى فخذ الفرس ، وصرت راجلا .

(١) فى المروج : أنا عبد الله .

(٢) فى المروج : وخير . وبعده : « عدوه يفديه من كل السقم » .

١٥ (٣) التقليد : أن يجعل فى عنق البدنة ونحوها شيئا يعلم به أنه هدى . والشهر الأصم : رجب ، لأنه كان لا يسمع فيه صوت مستغيث ولا حركة قتال ولا قعقعة سلاح ، لأنه من الأشهر الحرم . والإكليل : كذا فى المروج ، وهو التاج ، وكان عمرو بن معد يكرب الزبيدى من اليمن ، وملوكهم يلبسون التيجان . وفى مب : أنا ابن عبد الله . وفى بقية الأصول : أنا ابن ذى الأكال .

(٤) الوضم : الخوان من الخشب أو نحوه يقطع عليه القصاب اللحم . ويقال : فلان لحم على وضم ، ٢٠ مثل يضرب للذليل .

(٥) القربوس كحلزون : حنو السرج أى الجزء المرتفع من مقدمه ومن مؤخره . والمسح : ثوب غليظ من الشعر يجعل تحت السرج .

فقلت : ويحك ! من أنت؟ فوالله ماظننت أحدا من العرب يُقدم علىّ إلا ثلاثة :
الحارث بن ظالم ، للعُجْب والخيلاء ؛ وعامر بن الطفيل للسن والتجربة ؛ وربيعة
ابن مكدم للحداثة والغِرّة ، فمن أنت ويلك ؟ قال : بل الويل لك ، فمن أنت ؟ قلت :
عمرو بن معد يكرب . قال : وأنا ربيعة بن مكدم . قلت : ياهذا ، إنى قد صرت
راجلا ، فاختر منى إحدى ثلاث ، إن شئت اجتلدنا بسيفينا حتى يموت الأعجز ، ٥
وإن شئت اصطرعنا ، فأينا صرع صاحبه حكم فيه ؛ وإن شئت سالمتك وسالمتنى .
قال : الصلح إذن إن كان لقومك فيك حاجة ، وما بى أيضا على قومى هوان .
قلت : فذاك لك . وأخذت بيده ، حتى أتيت أصحابى ، وقد حازوا نَعَمه ،
فقلت : هل تعلمون أنى كَعَعْت عن فارس قطُّ من الأبطال إذا لقيته ؟ قالوا :
نعيذك من ذاك . قال : قلت : فانظروا هذا النعم الذى حُزتموه ، فخذوه منى غدا ١٠
فى بنى زُبيد ، فإنه نَعَم هذا الفتى ، والله لا يوصل إلى شىء منه وأنا حىّ . فقالوا :
لحاك الله فارس قوم ! أشقيتنا (١) حتى إذا هجمنا على الغنيمة الباردة فثأتنا (٢) عنها .
قال : قلت إنه لا بد لكم من ذلك ، وأن تهبوها لى ولربيعة بن مكدم . فقالوا :
وإنه لهو ؟ قلت : نعم . فردوها وسالمتُه ، فأمن حربى وأمنت حربه حتى هلك .

وفى بعض هذه الأراجيز التى جرت بين عمرو بن معد يكرب وربيعة بن مكدم ١٥
غناء ، نَسَبْتُه ، وقد جُمع شعراهما معا فى لحن واحد ، وهو :

---

(١) كذا فى مب . وفى ف : أسقيتنا . وفى بقية الأصول : أشأتنا .

(٢) فثأه : ثبط عزيمته وسكنه .

صـــوت

أنا ٱبن ذى التقليد فى الشهر الأصمّ * أنا ٱبن عبد الله قتّال البُهَمْ
أكرم من يمشى بساق وقـدم * من يلقَنى يودِ كما أودت إِرَم
أتركه لحماً على ظهر وَضَم * كالليث إن همّ بتقصام قَصَم
* مؤتَمَنُ الغيب وفىٌّ بالذمم *

٥ ذكر أحمد بن يحيى المكى : أن الغناء فى هذا الشعر لحنين، خفيف ثقيل، بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر، وذكر الهشامىّ أنه لٱبن سرجيس الملقب بقراريط .

حدّثتنى قمرية العُمَرية جارية عمرو بن بانة ، أنها أخذت عن أحمد ٱبن العلاء هذا اللحن ، فقال لها : انظرى أىّ صوت أخذت ، فوالله لقد أخذته

١٠ عن مخارق ، فلما استوى لى قال لى مخارق : انظر أى صوت أخذت ، فوالله لقد أخذته عن يحيى المكى ، فلما غنيته الرشيد أطربه ، فوهب ليحيى عشرة آلاف درهم .

أجود بيت فى وصف الطعنة

أخبرنى على بن سليمان الأخفش ، قال : حدّثنى محمد بن الحسن الأحول ، عن الطُّرسوسىّ ، عن ابن الأعرابىّ ، قال :

١٥ أجود بيت وصفت به الطعنة قول أُهبان بن عادِياء قاتل ربيعة بن مكدم ، حيث يقول :

ولقد طعنتُ ربيعة بن مكدمٍ * يوم الكديد نخرّ غير موسَّدِ
فى ناقع شَرِقت بما فى جوفه * منه بأحمر كالعقيق المُجسَد

صـــوت (١)

أدركتِ ما منيتُ نفسى خاليـا * لله درك يابنـــة النعمانِ !

إنى لحَلْفِك بالصليبِ مصـــدق * والصُّلُب (٢) أصدق حَلْفةِ الرهبـان

ولقــد رددتِ على المغيرةِ ذهنــه * إن المــلوك بطيئـــة الإذعان

ياهند حسبكِ قد صدقتِ فأمسِكِى * والصـــدق خير مقـالة الإنسان

الشعر للمغيرة بن شعبة الثقفى ، يقوله فى هنـد بنت النعمان بن المنذر ، وقد خطبها فردّته . وخبره فى ذلك وغيره يذكر هاهنا إن شاء الله . والغناء لحنين ، ثانى ثقيل بالبنصر ، عن الهشامىّ وإبراهيم .

(١) سقط هــذا الصوت وأول ترجمة المغيرة من جميع النسخ عدا (ف ، مب) . وقد نشر فى مجلة جمعية المستشرقين الألمانيين فى المجلد الخمسين ســنة ١٨٩٦ صفحة ١٤٥ . ونثبت الساقط عن هــذه الأصول الثلاثة . (٢) الصلب ، بضم الصاد واللام : جمع صليب ، وسكنت اللام للشعر .

تنبيــه — أوردت (ف ، مب) بعــد أخبار ربيعة بن مكدم صوتا من الغناء ، من شعر عنترة ، ثم أوردتا : « ذكر عنترة ونسبه وأخباره » ، ثم ذكرتا « أخبار المغيرة ونسبه » .

أخبار المغيرة بن شعبة ونسبه

نسبه

هو المغيرة بن شعبة بن أبى عامر بن مسعود بن مُعَتِّب بن مالك بن كعب ابن عمرو بن سعد بن عوف بن قَسِىّ ، وهو ثقيف . ويكنى أبا عبد الله ، وكان يكنى أبا عيسى ، فغيرها عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وكناه أبا عبد الله . وأمه أسماء بنت الأفقم بن أبى عمرو بن ظُوَيلم بن جُعيل بن عمرو بن دُهمان بن نصر ٥ ابن معاوية بن بكر بن هوازن .

دهاؤه

وكان المغيرة بن شعبة من دهاة العرب وحَزَمتها ، وذوى الرأى منها ، والحيل الثاقبة ، وكان يقال له فى الجاهلية والإسلام مغيرة الرأى ، وكان يقال : ما اعتلج فى صدر المغيرة أمران إلا اختار أحزمهما .

مشاهده

١٠ وصحِب النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وشهِد معه الحديبية وما بعدها . وبعثه أبو بكر رضى الله عنه إلى أهل النُّجير[1] . وشهِد فتح اليمامة وفتوح الشام . وكان أعور ، أصيبت عينه فى يوم اليرموك ، وشهِد القادسية مع سعد بن أبى وقّاص . فلما أراد مراسلة رستم ، لم يجد فى العرب أدهى منه ولا أعقل ، فبعث به إليه ، وكان السفيرَ بينهما حتى وقعت الحرب .

ولايته وحروبه

١٥ وولاه عمر بن الخطاب رضى الله عنه عِدّة ولايات ، إحداها البصرة . ففتح وهو واليها مَيسان ودستَ ميسان وأَبْرَقُباذ . وقاتل الفرس بالمرغاب فهزمهم ، ونهض إلى من كان بسوق الأهواز ، فقاتلهم وهزمهم ، وفتحها[2] . وانحازوا إلى نهر تِيرَى ومَناذِر الكبرى ، فزحف إليهم ، فقاتلهم وهزمهم وفتحها . وخرج

(١) النجير ، بصيغة التصغير : حصن باليمن ، تحصن فيه الأشعث بن قيس بن معد يكرب وأبضعة ٢٠ ابن معد يكرب لما ارتدا ، من المهاجر بن أبى أمية . (انظر رسم النجير فى معجم ما استعجم للبكرى) .

(٢) كذا فى مب . وفى ف : ونهض وفتحها .

إلى المشرِق مع النعمان بن المُقَرِّن ، وكان المغيرة على ميسرته[1] ، وكان عمر قد عهد : إن هلك النعمان، فالأمير حذيفة، فإن هلك حذيفة، فالأمير المغيرة بن شعبة .

ولما فتحت نهاوند، سار المغيرة فى جيش إلى هَمَذان ففتحها .

وولاه عمر رضى الله عنه بعد ذلك الكوفة، فقتِل عمر وهو واليها . وولاه أيضا إياها معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه ، فكان عليها إلى أن مات بها . ٥

وهو أوّل من وضع ديوان الإعطاء بالبصرة ، ورتب الناس فيه ، فأعطاهم على الديوان . ثم صار ذلك رسما لهم بعد ذلك يحتذونه .

إسلامه

قال محمد بن سعد كاتب الواقدىّ : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنى محمد ابن سعيد الثقفىّ ، وعبد الرحمن بن[2] عبد العزيز وعبد الملك بن عيسى الثقفىّ وعبد الله بن عبد الرحمن[2] بن يعلى بن كعب ، ومحمد بن يعقوب بن عتبة ، عن أبيه وغيرهم ، قالوا : قال المغيرة بن شعبة :

كنا قوما من العرب متمسكين بديننا ، ونحن سَدنة اللات ، فأرانى لو رأيت قوما قد أسلموا ما تبعتهم . فأجمع[3] نفر من بنى مالك الوفود[3] على المقوقس ، وأهدوا له هدايا . فأجمعت الخروج معهم . فاستشرت عمى عروة بن مسعود، فنهانى، وقال لى : ليس معك من بنى أبيك أحد . فأبيت إلا الخروج، وخرجت ٥ معهم، وليس معهم أحد من الأحلاف غيرى ، حتى دخلنا الإسكندرية ، فإذا المقوقس فى مجلس مطل على البحر . فركبت قاربا حتى حاذيت مجلسه ، فنظر إلىّ فأنكرنى ، وأمر من يسائلنى ما أنا[4] ؟ وما أريد ؟ فسألنى المأمور ، فأخبرته بأمرنا ،

(١) المغيرة ساقطة من ف، مب . (٢ — ٢) العبارة ساقطة من ف .
(٣ — ٣) ف : فاجتمع ... للوفود . (٤) ف : من أنا .

وقدومنا عليه . فأمر بنا أن ننزل فى الكنيسة، وأجرى علينا ضِيافة . ثم دعا بنا، فنظر إلى رأس بنى مالك ، فأدناه إليه، وأجلسه معه ، ثم سأله : أ كل القوم من بنى مالك ؟ فقال : نعم ، إلا رجلا واحدا من الأحلاف . فعرّفه إياى ، فكنت أهون القوم عليه . ووضعوا هداياهم بين يديه ، فسرّ بها ، وأمر بقبضها . وأمر لهم بجوائز، وفضل بعضهم على بعض ، وقصّر بى، فأعطانى شيئا قليلا لاذكر له .

وخرجنا، فأقبلت بنو مالك يشترون هدايا لأهلهم[1] وهم مسرورون، ولم يعرض علىّ أحد منهم مُواساة . وخرجوا ، وحملوا معهم خمرا ، فكانوا يشربون منها وأشرب معهم، ونفسى تأبى أن تَدَعنى معهم . وقلت : ينصرفون إلى الطائف بما أصابوا[2] وما حَباهم به الملك ، ويخبرون قومى بتقصيره بى ، وازدرائه إياى . فأجمعت على قتلهم . فقلت : أنا أجد صُداعا، فوضعوا شرابهم ودعونى . فقلت : رأسى يُصَدَّع ، ولكنى أجلس وأسقيكم ، فلم ينكروا شيئا ، وجلست أسقيهم وأشرب القدح بعد القدح . فلما دبّت الكأس فيهم ، اشتهوُا الشراب ، فجعلت أُصَرِّف لهم وأُترِع الكأس، فيشربون ولا يدرون . فأهمدتهم[3] الكأس، حتى ناموا ما يعقلون . فوثبت إليهم، فقتلتهم جميعا، وأخذت جميع ما كان معهم .

فقدمت على النبىّ صلى الله عليه وسلم، فوجدته جالسا فى المسجد مع أصحابه، وعلى ثياب السفر، فسلمت بسلام الإسلام . فنظر إلىّ أبو بكر بن أبى قحافة، وكان بى عارفا، فقال : ابن أخى عُرْوة ؟ قلت : نعم، جئت أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحمد لله الذى هداك إلى الإسلام .

---

(١) ف : لأهاليهم . (٢) ف : أرادوا .

(٣) كذا فى مب ومجلة المستشرقين الألمانية . وفى ف : فهمدتهم . ولعل الكلمة محرفة عن أخمدتهم ، أو عن : فهدتهم . يقال : هدنى الأمر وهدّ ركنى : إذا بلغ منه وكسره .

فقال أبو بكر رضى الله عنه : أفمن مصر أقبلتم ؟ قلت : نعم . قال : فما فعل المالكيون الذين كانوا معك ؟ قلت : كان بينى و بينهم بعض ما يكون بين العرب ونحن على دين الشرك ، فقتلتهم وأخذت أسلابهم ، وجئت بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليَخْمُسها ، و يرى فيها رأيه ، فإنما هى غنيمة من مشركين وأنا مسلم مصدّق بمحمد صلى الله عليه وسلم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما إسلامك فنقبله، (١) ولا نأخذ من أموالهم شيئا ، ولا نَخْمُسها، (١) لأن هذا غدر ، والغدر لا خير فيه . فأخذنى ما قَرُب وما بعد ، وقلت : يا رسول الله ، إنما قتلتهم وأنا على دين قومى ، ثم أسلمت حين دخلت عليك الساعة . قال : فإن الإسلام (٢) يَجُبُّ ما كان قبله . وكان قتل منهم ثلاثة عشر إنسانا . فبلغ ذلك ثقيفا بالطائف ، فتداعوا للقتال، ثم اصطلحوا على أن يحمل عمى عُرْوة بن مسعود ثلاث عشرة دِية .

قال المغيرة : وأقمت مع النبىّ صلى الله عليه وسلم حتى اعتمر عمرة الحديبية ، فى ذى القعدة سنة ست من الهجرة، فكانت أوّل سَفْرة خرجت معه فيها ، وكنت أكون مع أبى بكر ، وألزم النبىّ صلى الله عليه وسلم فيمن يلزم .

وبعثتْ قريش عام الحديبية عروة بن مسعود إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فأتاه يكلمه ، وجعل يمس لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا قائم على رأسه ، مقنَّع فى الحديد . فقلت لعروة، وهو يمس لحية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : اكفُفْ يدك قبل ألا تصل إليك . فقال عروة : يا محمد ، من هذا ؟ ما أفظّه وأغلظه ! فقال : هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة . فقال عروة : يا عدوّ الله ، ما غَسَلْتُ عنى سوءتك إلا بالأمس، يا غُدَر .

(١ — ١) ف : فنقبله ... ولا أخمسه . (٢) إلى هنا ينتهى الساقط من بعض النسخ .

أول ما عرف من دهائه

أخبرني محمد بن خلف، قال : حدثني أحمد بن[١] الهيثم الفراسي، قال : حدثنا العمري، عن الهيثم بن عدي، عن مجالد، عن الشعبي، قال : قال المغيرة ابن شعبة :

أول ما عرفني به العرب من الحزم[٢] والدهاء، أني كنت في ركب من قومي، ٥ في طريق لنا إلى الحيرة . فقالوا لي : قد اشتهينا الخمر، وما معنا إلا درهم زائف . فقلت : هاتوه وهلموا زقين . فقالوا : وما يكفيك لدرهم زائف زق واحد ؟ فقلت : أعطوني ما طلبت وخلاكم ذم ، ففعلوا وهم يهزءون بي . فصببت في أحد الزقين شيئا من ماء، ثم جئت إلى خمار، فقلت له : كل لي ملء هذا الزق . فملأه . فأخرجت الدرهم الزائف، فأعطيته إياه، فقال لي : ما هذا ؟ ١٠ ويحك ! أمجنون أنت ؟ فقلت : مالك ؟ قال : إن ثمن هذا الزق عشرون درهما جيادا ، وهذا درهم زائف . فقلت : أنا رجل بدوي، وظننت أن هذا يصلح كما ترى، فإن صلح ، و إلا فخذ شرابك . فاكتال مني ما كاله، وبقي في زقي من من الشراب بقدر ما كان فيه من الماء ، فأفرغته في الزق الآخر ، وحملتهما على ظهري ، وخرجت ، وصببت في الزق الأول ماء .

١٥ ودخلت إلى خمار آخر ، فقلت : إني أريد ملء هذا الزق خمرا، فانظر إلى ما معي منه ، فإن كان عندك مثله فأعطني . فنظر إليه، و إنما أردت ألا يستريب بي إذا رددت الخمر عليه . فلما رآه قال : عندي أجود منه . قلت : هات . فأخرج لي شرابا ، فاكتلته في الزق الذي فيه الماء . ثم دفعت إليه الدرهم الزائف، فقال لي مثل قول صاحبه . فقلت : خذ خمرك . فأخذ ما كان كاله لي ، وهو ٢٠ يرى أني خلطته بالشراب الذي أريته إياه . وخرجت بجعلته مع الخمر الأول .

(١) ج : محمد . (٢) ج ، ف ، مب : بالحزم .

ولم أزل أفعل ذلك بكل خمار فى الحيرة ، حتى ملأت زقى الأوّل وبعض الآخر . ثم رجعت إلى أصحابى ، فوضعت الزقين بين أيديهم ، ورددت دراهمهم . فقالوا لى : ويحك ! أىّ شىء صنعت ؟ فحدّثتهم ، فجعلوا يعجبون . وشاع لى الذكر فى العرب بالدهاء حتى اليوم .

هو أول من خضب بالسواد

قال محمد بن سعد : أخبرنا محمد بن معاوية النيسابورى ، قال : حدّثنا داود ابن خالد ، عن العباس بن عبد الله بن معبد[1] بن العباس ، قال :

أوّل من خضب بالسواد المغيرة بن شعبة . خرج على الناس وكان عهدهم به أبيض الشعر ، فعجب الناس منه .

يغضب لأبى بكر الصديق

قال محمد : وأخبرنى شهاب بن عباد ، قال : حدّثنا إبراهيم بن حميد الرُّواسى ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن قيس بن أبى حازم ، عن المغيرة بن شعبة ، قال :

١٤١ / ١٤

كنت جالسا عند أبى بكر ، إذ عُرِض عليه فرس له ، فقال له رجل من الأنصار : احملنى عليها . فقال أبو بكر : لأن أحمل عليها غلاما قد ركب الخيل على غُرْلته[2] ، أحب إلىّ من أن أحملك عليها . فقال له الأنصارى : أنا خير منك ومن أبيك . قال المغيرة : فغضبت لما قال ذلك لأبى بكر رضى الله عنه ، فقمت إليه ، فأخذت برأسه ، فركبته ، وسقط على أنفه ، فكأنما كان عَزَالِىَ[3] مزادة . فتوعدنى الأنصار أن يستقيدوا منى ، فبلغ ذلك أبا بكر . فقام فقال : أما بعد . فقد بلغنى عن رجال منكم زعموا أنى مُقِيدهم من المغيرة . ووالله لأن أخرجهم من دارهم ، أقرب إليهم من أن أقيدهم [من[4]] وَزَعة الله الذين يَزَعون إليه .

(١) ف : سعيد . (٢) يريد : ركبها فى صغره ، واعتادها قبل أن يختن . والغرلة : القلفة .
(٣) يريد أن أنفه انفجر بالدم كأنه فم مزادة . وقد تحرفت هذه العبارة فى الأصول ، فجاءت فى س : فكأنما عدلى مزادة . وفى ج : فكأنما عذلى مزادة . وفى أ ، م : فكأنما عزل لى مزادة . وفى مب ، ف : فكأنما كان عزلتى مزادة . وهذه أقربها إلى الصواب . والعزالى : جمع عزلاء ، وهو فم المزادة الأسفل ينصب منه الماء بكثرة . (٤) من : ساقطة من الأصول . والوزعة : جمع وازع ، وهو الذى يكف الناس عن الإقدام على الشر . وفى ف : وزعة الدين .

يخطب هند بنت النعمان فترفض

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي وحبيب بن نصر المهلّبي، قالا : حدّثنا عمر بن شبة، قال : حدّثنا محمد بن سلام الجمحي، قال : حدّثنا حسان بن العلاء الرياحي، عن أبيه، عن الشعبي، قال :

ركب المغيرة بن شعبة إلى هند بنت النعمان بن المنذر، وهي بدير هند[1]، متنصّرة عمياء، بنت تسعين سنة . فقالت له : من أنت ؟ قال : أنا المغيرة بن شعبة . قالت : أنت عامل هذه المَدَرة؟ تعني الكوفة . قال : نعم . قالت : فما حاجتك؟ قال : جئتك خاطبا إليك نفسك . قالت : أما والله لو كنتَ جئت تبغي جمالا أو دينا أو حسبا لزوّجتاك، ولكنّك أردْت أن تجلس في مَوْسم من مواسم العرب، فتقول : تزوّجت بنت النعمان بن المنذر، وهذا والصليب أمر لا يكون أبدا، أَوَ ما يكفيك فخرا أن تكون في مُلْك النعمان وبلاده، تدبرهما كما تريد ! وبكت .

فقال لها : أي العرب كان أحب إلى أبيك . قالت : ربيعة . قال : فأين كان يجعل قيسا ؟ قالت : ما كان يستعتبهم من طاعة[2] . قال : فأين كان يجعل ثقيفا ؟ قالت : رُوَيدا لا تعجل . بينا أنا ذات يوم جالسة في خدر لي، إلى جنب أبي، إذ دخل عليه رجلان، أحدهما من هوازن، والآخر من بني مازن، كل واحد منهما يقول : إن ثقيفا منا، فأنشأ أبي يقول[3] :

(١) أ، م، س : يومئذ، في مكان بدير هند . وفي ف : بديرهم .

(٢) كذا في ف . وفي بعض الأصول : كان يستعفيهم من طاعته . وفي مب : قالت بحيث كان يراهم من طاعته . (٣) كذا في الأصول . وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (٢ : ٣٩٢) اختلاف عما هنا، قال : « قالت : أذكر وقد اختصم إليه رجلان منهم . أحدهما ينتهي إلى إياد، والآخر إلى هوازن، فقضى للإيادي، وقال :

إن ثقيفا لم يكن هوازنا ✻ ولم يناسب عامرا ومازنا

فقال المغيرة : أما نحن فمن بكر بن هوازن، فليقل أبوك ما شاء . ثم انصرف » .

إن ثقيفا لم يكن هوازنا * ولم يناسب عامرا ومازنا
* إلا قريبا فانشر المحاسنا[1] *

فخرج المغيرة وهو يقول :

أدركتِ ما منيتُ نفسيَ خاليا . لله دركِ يابنة النعمان !

وذكر الأبيات التى مضت ، وذكرتُ الغناء فيها .

يسمع هجاء من حسان فيجيزه

أخبرنى محمد بن خلف ، قال : أخبرنا الحارث بن محمد ، قال : قال أبو عبيدة : قال العلاء بن جرير العنبرى :

بينا حسان بن ثابت ذات يوم جالس بالخَيف من مِنًى وهو يومئذٍ مكفوف ، إذ زفر زفرة ، ثم أنشأ يقول :

وكأن حافرها بكل خميلةٍ * صاع يكيل به شحيح معدمُ
عارى الأشاجع من ثقيف أصله * عبد ويزعم أنه من يَقْدُمِ[2]

قال : والمغيرة بن شعبة يسمع ما يقول ، فبعث إليه بخمسة آلاف درهم . فلما أتاه بها الرسول قال : من بعث بهذه ؟ قال : المغيرة بن شعبة ، سمع ما قلت . فقال : واسوءتاه ! وقبِلها .

تزوج أكثر من ثمانين امرأة

أخبرنى هاشم بن محمد الخزاعى قال : حدثنا عيسى بن إسماعيل العَتَكى[3] ، قال حدثنا محمد بن سلام الجمحى ، قال :

أحصن المغيرة بن شعبة إلى أن مات ثمانين امرأة ، فيهن ثلاث بنات لأبى سفيان بن حرب ، وفيهن حفصة بنت سعد بن أبى وقاص ، وهى أم ابنه حمزة ابن المغيرة ، وعائشة بنت جرير بن عبد الله .

(١) فانشر : كذا فى ج ، ف ، مب . وفى أ ، م : فانشدوا . وفى س : فانشروا .

(٢) يقدم كينصر : أبو قبيلة ، وهو ابن عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار ، يريد أن عبدا ينتسب إلى أعرق العرب نسبا . (٣) ف : الثقفى . وفى سائر الأصول : إسماعيل بن عيسى .

يخاف العزل فيقدم العيد

وقال أبو اليقظان :

صلى المغيرة بالناس سنة أربعين ، فى العام الذى قتل فيه علىّ بن أبى طالب عليه السلام . فجعل يوم الأضحى يوم عرفة، أظنه خاف أن يُعزل، فسبق ذلك . فقال الراجز :

٥ سِيرِى رُوَيدا وابتغى المغيرهْ * كلفتُها الإدلاج بالظهيره

رجل مطلاق

قال : وكان المغيرة مِطلاقا . فكان إذا اجتمع عنده أربع نسوة قال: إنكن لطويلات الأعناق، كريمات الأخلاق، ولكنى رجل مِطلاق، فاعتددْن .

يصف النساء

وكان يقول : النساء أربع ، والرجال أربعة : رجل مذكَّر وامرأة مؤنَّثة ، فهو قوّام عليها ؛ ورجل مؤنَّث وامرأة مذكَّرة ، فهى قوامة عليه ؛ ورجل مذكر ١٠ وامرأة مذكرة، فهما كالوَعِلين ينتطحان ؛ ورجل مؤنث وامرأة مؤنثة ، فهما لا يأتيان بخير، ولا يفلحان .

تزوج تسعا وثمانين امرأة

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال : حدثنا عمر بن شبة، قال : حدثنا الأصمعىّ قال : حدثنا أبو هلال عن مطير(١) الوراق ، قال : قال المغيرة بن شعبة : نكحت تسعا وثمانين امرأة، أو قال : أكثر من ثمانين امرأة، فما أمسكت ١٥ امرأة منهن على حب، أُمسكها لولدها، ولحسبها، ولكذا ولكذا .

يصف العربيات

قال أبو زيد : وبلغنى أنهم ذكروا النساء عند المغيرة بن شعبة ، فقال : أنا أعلمكم بهن : تزوجت ثلاثا وتسعين امرأة ، منهن سبعون بكرا ، فوجدت اليمانية كثوبك : أخذت بجانبه فاتبعك بقيته ؛ ووجدت الرَّبعية أمَتك : أمرتها فأطاعتك؛ ووجدت المُضَرية قِرْنا ساوَرْته ، فغلبته أو غلبك .

---

٢٠ (١) ف ، مب : مطر .

رأى امرأة له تخلل فى الصباح فطلقها

حدثنا ابن عمار قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنا أبو عاصم قال : رأى المغيرة امرأة له تَخَلَّل[1] بعد صلاة الصبح ، فطلقها . فقالت : علام طلقنى ؟ قيل : رآكِ تَخَلَّلين ، فظن أنك أكلت . فقالت : أبعده الله ! والله ما أتخلل إلا من السواك[2] .

عمر يغير كنيته

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنى موسى بن إسمعيل قال : حدثنا حماد بن سلمة ، عن زيد بن أسلم :

أن رجلا جاء فنادى يستأذن لأبى عيسى ، على أمير المؤمنين . فقال عمر : أيكم أبو عيسى ؟ قال المغيرة بن شعبة : أنا . فقال له عمر : هل لعيسى من أب ؟ أما يكفيكم معاشر العرب أن تكتنوا بأبى عبد الله ، وأبى عبد الرحمن ! فقال له رجل من القوم : أشهد أن النبى صلى الله عليه وسلم كناه بها . فقال له عمر : إن النبى صلى الله عليه وسلم قد غُفِر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وأنا لا أدرى ما يُفعل بى . فكناه أبا عبد الله .

أعرابى يصف عور الكوفة

أخبرنى هاشم بن محمد قال : حدثنا أبو غسان دماذ ، عن أبى عبيدة ، قال : حدثنى عمرو بن بحر أبو عثمان الجاحظ ، قال :

---

(١) كذا فى س ، ف ، مب . وهو الصواب ، بدليل أن الجواب بصيغة المبنى للجهول . وفى أ ، ج ، م : طلقتنى . (٢) ذكر هذا الخبر المسعودى فى مروج الذهب (فى أخبار الحجاج) ونسب الحادثة فيه إلى الحارث بن كلدة الثقفى مع الفارعة زوجته ؛ قال : دخل عليها مرة سحرا ، فوجدها تخلل ، فبعث إليها بطلاقها ؛ فقالت : لم بعثت إلىّ بطلاقى ؟ هل لشىء رابك منى ؟ قال : نعم ، دخلت عليك فى السحر وأنت تخللين ؛ فإن كنت بادرت الغداء ، فأنت شرهة ؛ وإن كنت بت والطعام بين أسنانك فأنت قذرة . فقالت : كل ذلك لم يكن ، لكننى تخللت من شظايا السواك . وذكر ابن عبد ربه فى كتابه «العقد» : أن الفارعة المذكورة كانت زوجة المغيرة بن شعبة ، وأنه هو الذى طلقها لأجل الحكاية المذكورة فى التخلل . وانظر الخبر فى وفيات الأعيان لابن خلكان ، فى ترجمة الحجاج .

كان الجمال بالكوفة ينتهى إلى أربعة نفر: المغيرة بن شعبة، وجرير بن عبد الله، والأشعث بن قيس، وحُجْر بن عدىّ، وكلهم كان أعور؛ فكان المغيرة والأشعث وجرير يوما متواقفين بالكوفة بالكُناسة، فطلع عليهم أعرابى. فقال لهم المغيرة: دعونى أحركه. قالوا: لا تفعل، فإن للأعراب جوابا يُؤْثَر. قال: لا بد. قالوا: ٥ فأنت أعلم. قال له: يا أعرابى، هل تعرف المغيرة بن شعبة؟ قال: نعم أعرفه أعورَ زانيا. فوجَم. ثم تجلد فقال: هل تعرف الأشعث بن قيس؟ قال: نعم، ذاك رجل لا يعرَى قومه[1]. قال: وكيف ذاك؟ قال: لأنه حائك ابن حائك. قال: فهل تعرف جرير بن عبد الله؟ قال: وكيف لا أعرف رجلا لولاه ما عُرِفت عشيرته. قالوا له: قَبَحك الله، فإنك شر جليس، فهل تحب أن نُوقِر لك بعيرك ١٠ هذا مالا وتموتَ أكرم العرب؟ قال: فمن يبلغه أهلى إذن؟ فانصرفوا عنه وتركوه.

١٤٣/١٤

حوار له مع ابن لسان الحمرة

أخبرنى على بن سليمان الأخفش، قال: حدثنى أبو سعيد السكرىّ، قال: حدثنا محمد بن أبى السرىّ — واسم أبى السرىّ سهل بن سلام الأزدى — قال: حدثنى هشام بن محمد قال: أخبرنا عَوانة بن الحكم، قال:

خرج المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة يومئذ، ومعه الهيثم بن الأسود النخعىّ، ١٥ بعد غِبّ مطر، يسير بظهر الكوفة والخوف، فلقى ابن لسان الحُمَّرة[2]، أحد بنى تيم الله ابن ثعلبة، وهو لا يعرف المغيرة. فقال له المغيرة: من أين أقبلت يا أعرابى؟ قال: من

---

(١) كذا جاءت هذه العبارة فى ف، ح، مب. وفيها إشارة إلى أنه حائك ابن حائك. وفى بقية الأصول: لا يعدى قومه. تحريف.

(٢) الحمر: ضرب من العصافير. وابن لسان الحمرة: هو عبد الله بن حصين بن ربيعة بن جعفر ٢٠ ابن كلاب التيمى. وقيل: هو ورقاء بن الأشعر، كان خطيبا بليغا نسابة، ضرب به المثل، فقيل: «أنسب من ابن لسان الحمرة». (عن مجمع الأمثال للميدانى، وتاج العروس للزبيدى).

السماوة . قال : فكيف تركت الأرض خلفك؟ قال : عريضة أريضة (١) . قال :
وكيف كان المطر؟ قال : عَفَّى الأثر، وملأ الحُفَر . قال : ممن أنت؟ قال : من
بكر بن وائل . قال : فكيف علمك بهم ؟ قال : إن جهلتُهم لم أعرف غيرهم .
قال : فما تقول فى بنى شيبان ؟ قال : سادتنا وسادة غيرنا . قال : فما تقول فى بنى
ذُهْل ؟ قال : سادة نَوْكَى . قال: فقيس بن ثعلبة ؟ قال : إن جاورتهم سرقوك ،
وإن ائتمنتهم خانوك . قال : فبنو تيم الله بن ثعلبة ؟ قال : رِعاء البقر (٢) ، وعراقيب
الكلاب . قال: فما تقول فى بنى يشكر؟ قال : صريح تحسبه مولى . (قال هشام :
لأن فى ألوانهم حمرة) . قال : فعجْل؟ قال: أحلاس الخيل (٣) . قال: لحنيفة ؟ قال:
يطعمون الطعام ، ويضربون الهام . قال : فعنَزَة ! قال : لا تلتقى بهم الشفتان
لؤما (٤) . قال : فضُبيعة أضجم (٥) ؟ قال : جَدْعا وعَقْرا (٦) . قال : فأخبرنى عن النساء .
قال: النساء أربع : ربيع مُربِع ، وجميع تَجْمَع ، وشيطان سَمَعْمَع ، وغُلّ لا يُخْلَع (٧) . قال

(١) أرض أريضة : معشبة خصبة . (٢) ف ، مب : النقد ، وهى صغار الغنم .

(٣) أحلاس الخيل : شجعان فرسان ، ملازمون لركوب الخيل .

(٤) لعله يريد أنهم لا يكفون عن ثلب الناس والفحر عليهم .

(٥) كذا فى ف ، مب . وفى أ ، م ، ج : أجحم . تحريف . وضبيعة أضجم : هو ضبيعة ابن أسد بن ربيعة ، أو ضبيعة بن ربيعة بن نزار ، وهو المعروف بالأضجم ، كما فى المقدمة الفاضلية لابن الجوانى النسابة ؛ ومعناه : المعوج الفم . وضبيعة بن أسد بن ربيعة ؛ قال ابن دريد : وهى ضبيعة أضجم . (٦) جدعا وعقرا : دعاء عليهم بالجدع والعقر ، يريد أصابهم الاستئصال والفناء .

(٧) ذكر صاحبا اللسان والتاج كلام ابن لسان الحمرة فى وصف النساء أتم تفصيلا مما ذكره المؤلف هنا . قالا : «النساء أربع : فربيع مربع ، وجميع تجمع ، وشيطان سمعمع ، وغل لا تخلع . فقال : فسر . قال : الربيع المربع : الشابة الجميلة التى إذا نظرت إليها سرتك ، وإذا أقسمت عليها أبرتك . وأما الجميع التى تجمع : فالمرأة تتزوجها ولك نشب ، ولها نشب ، فتجمع ذلك . وأما الشيطان السمعمع : فهى المرأة الكالحة فى وجهك إذا دخلت ، المولولة فى إثرك إذا خرجت . قال : وأما الغل التى لا تخلع : فبنت عمك القصيرة الفوهاء ، الدميمة السوداء ، التى نثرت لك ذا بطنها ، فإن طلقتها ضاع ولدك ، وإن أمسكتها أمسكتها على مثل جدع أنفك» . وفى اللسان : امرأة سمعمعة : كأنها غول أو ذئبة . والورهاء : التى لا تعنى بالكحل . وهى رواية الأصول عدا ف ، مب .

فَسُرّ. قال: أما الربيع المربع فالتي إذا نظرت إليها سرتك، و إذا أقسمت عليها أبرّتك؛ وأما التي هي جميع تجمع، فالمرأة تتزوجها ولها نَشَب، فتجمع نَشَبك إلى نَشَبها؛ وأما الشيطان السمعمعْ، فالكالحة في وجهك إذا دخلت، والمولولة في أثرك إذا خرجت؛ وأما الغل الذي لايخلع، فبنت عمك السوداء القصيرة، الفوهاء الدميمة، التي قد نثرت لك بطنها، إن طلقتها ضاع ولدك، و إن أمسكتها فعلى جدع أنفك. فقال له المغيرة: بل أنفك. ثم قال له: ما تقول في أميرك المغيرة بن شعبة؟ قال: أعورُ زنّاء. فقال الهيثم: فض الله فاك! ويلك! هذا الأمير المغيرة. فقال: إنها كلمة والله تقال. فانطلق به المغيرة إلى منزله، وعنده يومئذ أربع نسوة، وستون أو سبعون أمة. قال له: ويحك! هل يزني الحر وعنده مثل هؤلاء؟ ثم قال لهن المغيرة: ارمين إليه بحُلاكن. ففعلن، فخرج الأعرابي بملء كسائه ذهبا وفضة.

ينصح عليا ثم يغشه

أخبرني عبيد الله بن محمد، قال: حدثنا الخزاز، عن المدائني، عن أبي مخنف، وأخبرني أحمد[1] بن عيسى العجلي قال: حدثنا الحسن بن نصر، قال: حدثني أبي نصر بن مزاحم قال: حدثنا عُمر بن سعد[2]، عن أبي مِخْنف عن رجاله:

أن المغيرة بن شعبة جاء إلى علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال له: أُكتب إلى معاوية فولّه الشام، ومره بأخذ البيعة لك، فإنك إن لم تفعل وأردت عزله حاربك. فقال علىّ عليه السلام: ﴿ما كنتُ متّخذَ المُضلّين عَضُدا﴾. فانصرف المغيرة وتركه. فلما كان من غد جاءه، فقال: إني فكرت فيما أشرتُ به عليك أمس، فوجدته خطأ، ووجدت رأيك أصوب. فقال له علي: لم يَخْفَ علىّ ما أردت؛ قد نصحتني في الأولى، وغششتني في الآخرة؛ ولكني والله لا آتي أمرا أجد فيه فسادا لديني، طلبا لصلاح دنياي. فانصرف المغيرة.

(١) ج: محمد. (٢) ف: شبة.

يخدع مصقلة ابن هبيرة الشيبانى

أخبرنى الحسن بن على قال : حدثنى إبراهيم بن سعيد بن شاهين ، قال : حدثنى محمد بن يونس الشيرازى ، قال : حدثنى محمد بن غسان الضبىّ ، قال : حدثنى زاجر بن عبد الله الثقفى ، مولى الحجاج بن يوسف ، قال :

كان بين المغيرة بن شعبة وبين مَصْقلة بن هُبَيرة الشيبانىّ تنازع ، فضرع له المغيرة ، وتواضع فى كلامه ، حتى طمع فيه مَصقلة . واستعلى عليه ، فشتمه . فقدمه المغيرة إلى شُرَيح ، وهو القاضى يومئذ ، فأقام عليه البينة ، فضربه الحد . فآلى مصقلة ألا يقيم ببلدة فيها المغيرة بن شعبة ما دام حيا ، وخرج إلى بنى شيبان ، فنزل فيهم إلى أن مات المغيرة . ثم دخل الكوفة ، فتلقاه قومه ، وسلموا عليه . فما فرغ من التسليم حتى سألهم عن مقابر ثقيف ، فأرشدوه إليها . فجعل قوم من مواليه يلتقطون له الحجارة ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : ظننا أنك تريد أن ترجم قبره . فقال : ألقوا ما فى أيديكم . فألقوه ، وانطلق حتى وقف على قبره ، ثم قال : والله لقد كنتَ ما علمتُ نافعا لصديقك ، ضائرا[(1)] لعدوك ، وما مثلك إلا كما قال مهلهل فى أخيه كليب :

إن تحت الأحجار حزما وعزما * وخَصيما[(2)] ألدّ ذا معلاق

حيةٌ فى الوجار أربدُ لا ينـ * ـفع منه السليمَ نفثُ الراقى

---

(1) ضائرا : كذا فى ف ، مب . وفى سائر النسخ : صابرا .

(2) يقال : رجل معلاق ، وذو معلاق : أى خصم ، شديد الخصومة ، يتعلق بالحجج ويستدركها . والمعلاق : اللسان البليغ . ورواه ابن دريد : ذا مغلاق ؛ قال الزمخشرى عن المبرد : من رواه بالعين المهملة فمعناه : إذا علق خصما لم يتخلص منه ؛ وبالغين المعجمة فتأويله : يغلق الحجة على الخصم . (انظر تاج العروس فى علق) .

وأخبرنى بهذا الخبر محمد بن خلف بن المَرْزُبان، عن أحمد بن القاسم، عن العمرى، عن الهيثم بن عدى، عن مجالد، عن الشعبىّ :

أن مصقلة قال له : والله إنى لأعرف شبهى فى عُرْوة ابنك . فأشهد عليه بذلك، وجلده الحدّ . وذكر باقى الخبر مثل الذى قبله .

يحاول أن يخدع عمر بن الخطاب فلا يخدع

٥ أخبرنى محمد بن عبد الله[1] الرازىّ، قال: حدثنا أحمد بن الحارث، عن المدائنى، عن مسلمة[2] بن محارب، قال :

قال رجل من قريش لعمر بن الخطاب رضوان الله عليه: ألا تتزوج أم كلثوم بنت أبى بكر، فتَحْفظه بعد وفاته، وتخْلُفه فى أهله . فقال عمر : بلى، إنى لأحب ذاك ؛ فاذهب إلى عائشة : فاذكر لها ذلك، وعد إلى بجوابها . فمضى ١٠ الرسول إلى عائشة، فأخبرها بما قال عمر، فأجابته إلى ذلك، وقالت له : حبا وكرامة[3] . ودخل إليها بعقِب ذلك المغيرة بن شعبة، فرآها مهمومة . فقال لها : مالك يا أم المؤمنين ؟ فأخبرته برسالة عمر، وقالت : إن هذه جارية حَدَثة، وأردت لها ألين عيشا من عمر . فقال لها : علىّ أن أكفيك . وخرج من عندها، فدخل على عمر، فقال : بالرِّفاء والبنين، قد بلغنى ما أتيته من صلة أبى بكر ١٥ فى أهله، وخِطْبتك أم كلثوم . فقال : قد كان ذاك . قال : إلّا أنك، يا أمير المؤمنين، رجل شديد الخُلُق على أهلك، وهذه صبية حديثة السن، فلا تزال تنكر عليها الشىء، فتضربها فتصيح : يا أبتاه ! فيغمك ذلك، وتتألم له عائشة، ويذكرون أبا بكر، فيبكون عليه، فتجدد لهم المصيبة به، مع قرب عهدها فى كل

(١) ف، مب : عبيد الله بن محمد الرازى .

٢٠ (٢) كذا فى ف، مب . وفى سائر الأصول : سلمة .

(٣) ف : نعم وحب وكرامة . مب : نعم وكرامة .

يوم . فقال له : متى كنت عند عائشة[1] ، واصدقنى ؟ فقال : آنفا . فقال عمر : أشهد أنهم كرهونى ، فتضمنت لهم أن تصرفنى عما طلبت ، وقد أعفيتهم . فعاد إلى عائشة ، فأخبرها بالخبر ، وأمسك عمر عن معاودتها .

١٤٥ / ١٤

قضية الزنا

حدّثنا أحمد بن عبد العزيز الجوهرى وأحمد بن عبيد الله بن عمار ، قالا : حدثنا عمر بن شبة ، قال : حدّثنا علىّ بن محمد النوفلى ، عن محمد بن سليمان الباقلانى ، عن قتادة ، عن غنيم بن قيس ، قال :

كان المغيرة بن شعبة يختلف إلى امرأة من ثقيف يقال لها الرّقْطاء ، فلقيه أبو بكرة ، فقال له : أين تريد ؟ قال : أزور آل فلان[2] . فأخذ بتلابيبه ، وقال : إن الأمير يزار ولا يزور .

وحدّثنا بخبره لما شهد عليه الشهود عند عمر رضى الله عنه ، أحمد بن عبيد الله ابن عمار ، وأحمد بن عبد العزيز ، قالا : حدثنا عمر بن شبة ، فرواه عن جماعة من رجاله ، بحكايات متفرقة .

قال عمر بن شبة : حدثنى أبو بكر العُلَيمى ، قال : أخبرنا هشام ، عن عيينة ابن عبد الرحمن بن جَوشن ، عن أبيه ، عن أبى بكرة .

قال عمر بن شبة : وحدّثنا عمرو بن عاصم ، قال : حدثنا حماد بن سلمة ، عن علىّ ابن يزيد ، عن عبد الرحمن بن أبى بكرة .

قال أبو زيد عمر بن شبة : وحدثنا علىّ بن محمد بن حباب بن موسى ، عن مجالد ، عن الشعبىّ .

قال : وحدثنا محمد بن عبد الله الأنصارىّ ، قال : حدثنا عوف ، عن قسامة ابن زهير .

قال أبو زيد عمر بن شبة : قال الواقدىّ : حدثنا عبد الرحمن بن محمد ابن أبى بكرة ، عن أبيه ، عن مالك بن أوس[3] بن الحَدَثان .

(١) ف : متى عهدك بعائشة . (٢) آل فلان : كذا فى ج ، س ، مب . وفى أ ، م : دار فلان . وفى ف : فلانا . (٣) فى الأصول : أنس . والتصويب عن الخلاصة للخزرجى .

قال : وحدثنى محمد بن الجهم ، عن على بن أبى هاشم ، عن إسماعيل ابن أبى عبلة ، عن عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس ابن مالك :

أن المغيرة بن شعبة كان يخرج من دار الإمارة وَسْط النهار ، وكان أبو بكرة يلقاه فيقول له : أين يذهب الأمير ؟ فيقول : آتى حاجة . فيقول له : حاجة ماذا ؟ إن الأمير يزار ولا يزور . ٥

قال : وكانت المرأة التى يأتيها جارة لأبى بكرة . قال : فبينا أبو بكرة فى غرفة له مع أصحابه وأخويه نافع وزياد ، ورجل آخر ، يقال له شبل بن معبد ، وكانت غرفة جارته تلك بحذاء غرفة أبى بكرة . فضربت الريح باب المرأة ففتحته . فنظر القوم فإذا هم بالمغيرة ينكحها . فقال أبو بكرة : هذه بلية ابتُليتم بها ، فانظروا . فنظروا حتى أثبتوا . فنزل أبو بكرة فجلس حتى خرج عليه المغيرة من بيت ١٠ المرأة ، فقال له : إنه قد كان من أمرك ما قد علمت ، فاعتزلنا . قال : وذهب ليصلى بالناس الظهر ، فمنعه أبو بكرة ، وقال له : لا والله لا تصلى بنا وقد فعلت ما فعلت . فقال الناس : دعوه فليصلّ ، فإنه الأمير ، واكتبوا بذلكم إلى عمر . فكتبوا إليه ، فورد كتابه بأن يَقْدَموا عليه جميعا ، المغيرة والشهود .

وقال المدائنى فى حديثه عن حباب بن موسى : وبعث عمر بأبى موسى الأشعرىّ ١٥ على البصرة ، وعزم عليه ألا يضع كتابه من يده حتى يرحل المغيرة بن شعبة . قال : قال على بن أبى هاشم[1] فى حديثه : إن أبا موسى قال لعمر لما أمره أن يرحله من وقته : أَوَ خير من ذلك يا أمير المؤمنين : تتركه يتجهز ثلاثا ، ثم يخرج . قال : فصلينا صلاة الغداة بظهر المربد ، ودخلنا المسجد ، فإذا هم يصلون : الرجال والنساء مختلطين . فدخل رجل على المغيرة ، فقال له : إنى رأيت أبا موسى فى جانب المسجد ، عليه ٢٠

(١) كذا فى ف . وفى مب ، ج ، أ ، م ، س : على بن هشام .

بُرْنُس . فقال له المغيرة : ما جاء زائرا ولا تاجرا . فدخلنا عليه ومعه صحيفة ملء يده، فلما رآنا قال : الأمير ؟ فأعطاه أبو موسى الكتاب . فلما قرأه ذهب يتحرك عن سريره . فقال له أبو موسى : مكانك، تجهز ثلاثا .

وقال الآخرون : إن أبا موسى أمره أن يرحل من وقته . فقال له المغيرة : لقد علمتَ ما وُجهتَ فيه ، فألا تقدمت فصليت . فقال له أبو موسى : ما أنا وأنت فى هذا الأمر إلا سواء . فقال له المغيرة : فإنى أحب أن أقيم ثلاثا لأتجهز . فقال : قد عزم علىّ أمير المؤمنين ألا أضع عهدى من يدى إذا قرأته عليك، حتى أرحِّلَك إليه. قال : إن شئت شَفَّعتنى وأبررت قسم أمير المؤمنين . قال: وكيف؟ قال: تؤجلنى إلى الظهر، وتمسك الكتاب فى يدك . قالوا: فقد رُئى أبو موسى يمشى مقبلا ومدبرا ، وإن الكتاب لفى يده معلقا بخيط . فتجهز المغيرة ، وبعث إلى أبى موسى بعقيلة ، جارية عربية من سَبْى اليمامة ، من بنى حنيفة ؛ ويقال إنها مولدة الطائف ، ومعها خادم لها . وسار المغيرة حين صلى الظهر ، حتى قدم على عمر . وقال فى حديث محمد بن عبد الله الأنصارىّ : فلما قدم على عمر . قال له : إنه قد شُهِد عليك بأمر إن كان حقا لأن تكون مت قبل ذلك كان خيرا لك .

قال أبو زيد : وحدّثنى الحكم بن موسى ، قال : حدثنا يحيى بن حمزة ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبى فروة ، عن عبد الله بن عبد الرحمن الأنصارىّ ، عن مصعب بن سعد :

أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه جلس ، ودعا المغيرة والشهود . فتقدم أبو بكرة . فقال له : أرأيته بين فخذيها ، قال : نعم والله ، لكأنى أنظر إلى تشريم

(١) أ ، م ، س ، ج : فدخلت . (٢) ملء يده : كذا فى ب . وفى سائر النسخ : مثل هذه .
(٣) أ ، م : رآها .

جُدَرِىّ بفخذيها . فقال له المغيرة : لقد ألطفت النظر . فقال له : لم آلُ أن أثبت ما يخزيك الله به ؟ فقال له عمر : لا والله حتى تشهد لقد رأيته يلج فيه كما يلج المِرود فى المُكْحُلة . فقال : نعم أشهد على ذلك . فقال له : اذهب عنك مُغيرة ، ذهب رُبْعك .

ثم دعا نافعا فقال له : علام تشهد ؟ قال : على مثل شهادة أبى بكرة . قال : لا ، حتى تشهد أنه كان يلج فيه وُلوج المِرود فى المكحلة . فقال : نعم حتى بلغ قُذَذه[1] . فقال : اذهب عنك مغيرة ، ذهب نِصفك . ثم دعا الثالث ، فقال : علام تشهد ؟ فقال : على مثل شهادة صاحبىّ . فقال له علىّ بن أبى طالب عليه السلام : اذهب عنك مغيرة ، ذهب ثلاثة أرباعِك . قال : حتى مكث يبكى إلى المهاجرين ، فبكوا . و بكى إلى أمهات المؤمنين ، حتى بكين معه ، وحتى لا يجالس هؤلاء الثلاثة أحد من أهل المدينة .

قال : ثم كتب إلى زياد ، فقدِم على عمر . فلما رآه جلس له فى المسجد ، واجتمع إليه رءوس المهاجرين والأنصار . قال المغيرة : ومعى كلمة قد رفعتها لأكلم القوم . قال : فلما رآه عمر مقبلا قال : إنى لأرى رجلا لن يخزىَ الله على لسانه رجلا من المهاجرين .

قال أبو زيد : وحدّثنا عفان ، قال : حدّثنا السَّرىّ بن يحيى ، قال : حدّثنا عبد الكريم بن رشيد ، عن أبى عثمان النهدىّ ، قال :

لما شهِد عند عمر الشاهد الأوّل على المغيرة ، تغير لذلك لون عمر . ثم جاء آخر فشهد ، فانكسر لذلك انكسارا شديدا . ثم جاء رجل شابّ[2] يخطِر بين يديه ، فرفع

---

(١) قذذه : جمع قذة ، وهى جانب الحياء .

(٢) شاب : كذا فى ف ، مب . وفى سائر النسخ : شديد .

عمر رأسه إليه ، وقال له : ماعندك ياسَلْح العُقاب . وصاح أبوعثمان صيحة تحكى صيحة عمر . قال عبد الكريم : لقد كدت أن يُغْشَى علىّ .

وقال آخرون : قال المغيرة : فقمت إلى زياد ، فقلت له : لا مَخبأ لعطر بعد عَروس . ثم قلت : يا زياد ، اذكر الله ، واذكر موقف يوم القيامة ؛ فإن الله وكتابه ورسوله وأمير المؤمنين قد حقنوا دمى ، إلا أن تجاوز إلى ما لم تر ما رأيت ، ٥ فلا يحملك شر منظر رأيتــه على أن تجاوزه إلى ما لم تر ، فوالله لو كنت بين بطنى وبطنها ما رأيت أين سلك ذكرى منهـا . قال : فترنقت عيناه ، واحمرّ وجهه ، وقال : يا أمير المؤمنين ، أما أن أُحُقَّ ما حق القوم فليس ذلك عنــدى ؛ ولكنى رأيت مجلســا قبيحا ، وسمعت نفَسا حثيثا وانبهارا ، ورأيته متبطِّنها . فقال له : أرأيته يدخله كالميل فى المكحلة . فقال : لا . ١٠

وقال غير هؤلاء : إن زيادا قال له : رأيته رافعا برجليها ، ورأيت خصيتيه تتردّدان بين فخذيها ، ورأيت حَفْزا شديدا ، وسمعت نفَسا عاليا . فقال له : أرأيته يدخله ويخرجه كالميل فى المكحلة ؟ فقال : لا . فقال عمر : الله أكبر . قم إليهم فاضربهم . فقام إلى أبى بكرة ، فضربه ثمانين ، وضرب الباقين ، وأعجبه قول زياد ، ودرأ عن المغيرة الرجْم . فقال أبو بكرة بعد أن ضُرب : فإنى أشهد أن المغيرة فعــل ١٥ كذا وكذا . فهم عمر بضربه ، فقال له علىّ عليه السلام : إنْ ضربته رجمت صاحبك . ونهاه عن ذلك .

١٤٧ / ١٤

قال : يعــنى أنه إن ضربه جعل شهادته بشهادتين ، فوجب بذلك الرجم على المغــيرة .

قال : واستتاب عمر أبا بكرة . فقــال : إنما تستتيبنى لتقبل شهادتى . قال : ٢٠ أَجَل . قال : لا أشهد بين اثنــين ما بقيت فى الدنيا . قال : فلما ضُربوا الحــدّ

قال المغيرة : الله أكبر ، الحمد لله الذى أخزاكم . فقال له عمر : اسكت أخزى الله مكانا رأوك فيه[١] . قال : وأقام أبو بكرة على قوله ، وكان يقــول : والله ما أنسى رَقَط فخــذيها . قال : وتاب الاثنان ، فقُبلت شهادتهمــا . قال : وكان أبو بكرة بعــد ذلك إذا دُعى إلى شهادة يقول : اطلب غيرى ، فإن زيادا قــد أفسد علىّ
٥ شهادتى .

قال أبو زيد : وحدّثنى سـليمان بن داود بن علىّ ، قال : حدّثنى إبراهيم ابن سعد ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال :

لمــا ضُرب أبو بكرة أمرت أمه بشاة فذُبحت ، وجعلت جلدها على ظهره . قال : فكان أبى يقول : ما ذاك إلا من ضرب شديد .

١٠ حدّثنــا ابن عمار والجوهرىّ قالا : حدّثنــا عمر بن شبة قال : حدّثنــا علىّ بن محمد ، عن يحيى بن زكريا ، عن مجالد ، عن الشعبىّ ، قال :

كانت أم جميل بنت عمر ، التى رُمى بهــا المغيرة بن شـعبة بالكوفة ، تختلف إلى المغيرة فى حوائجها ، فيقضيها لها . قال : ووافقت عمر بالموسم والمغيرة هناك ، فقال له عمر : أتعرف هــذه ؟ قال : نعم ؛ هــذه أم كلثوم بنت علىّ[٢] . فقال :
١٥ له عمر : أتتجاهل علىّ ؟ والله ما أظن أبا بكرة كذب عليك ، وما رأيتك إلا خفت أن أُرمَى بحجارة من السماء .

حدّثنى أحمد بن الجعد ، قال : حدّثنا محمد بن عبــاد ، قال : حدّثنا سفيان ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن أبى جعفر ، قال :

---

(١) رأوك فيه : كذا فى ف ، مب . وفى سائر النسخ : وراءك .

٢٠ (٢) مب : عاتكة بنت معاوية .

قال علىّ بن أبى طالب عليه السلام : لئن لم ينته المغيرة لأتبعنه أحجاره .
وقال غيره : لئن أخذت المغيرة لأتبعنه أحجاره .

حسان يهجو المغيرة

أخبرنى ابن عمار والجوهرىّ قالا : حدّثنا عمر بن شبة ، قال : حدّثنا المدائنى ، قال :

قال حسان بن ثابت يهجو المغيرة بن شعبة فى هذه القصة :

لوَ انّ اللؤم ينسَب كان عبدا * قبيح الوجه أعور من ثقيف
تركتَ الدين والإسلام لما * بدت لك غُدوةً ذاتُ النَّصيف
وراجعت الصِّبا وذكرت عهدا * من القَينات والغمز اللطيف (١)

يتزوج وهو فى طريقه إلى المحاكمة

أخبرنى الجوهرىّ وابن عمار، قالا: حدّثنا عمر بن شبة، قال: حدّثنا المدائنى عن عبد الله بن سلم الفِهرى ، قال :

لما شخص المغيرة إلى عمر، رأى فى طريقه جارية فأعجبته، فخطبها إلى أبيها. فقال له : أنت على هذه الحال ؟ قال : وما عليك؟ إن أُعفَ ، فهو الذى تريد ؛ وإن أقتل ترِثنى . فزوّجه .

قال أبو زيد : قال الواقدى : تزوّجها بالرَّقْم (٢) . وهى آمرأة من بنى مرة . فلما قدم بها على عمر، قال : إنك لفارغ القلب ، طويل الشَّبَق .

١٤٨/١٤

وقال محمد بن سعد : أخبرنى محمد بن عبد الله الأسدِىّ ، قال: حدّثنا مِسعر ، عن زياد بن علاقة ، قال :

سمعت جرير بن عبد الله حين مات المغيرة بن شعبة يقول : استغفروا لأميركم هذا، فإنه كان يحب العافية (٣) .

(١) كذا رواية البيت فى ف . وفى سائر النسخ : ... لهوا ... الغمر اللطيف .
(٢) الرقم : موضع بالحجاز قريب من وادى القرى . (٣) مب : العاقبة .

صفته

قال : وكان المغيرة أصهب الشعر جدا ، أكشف ، يفرُق رأسه قرونا أربعة ، أقلص الشفتين ، مهتوما ، ضخم الهامة ، عَبل الذراعين ، بعيد ما بين المنكِبين .

وفاته

قال : وقال الواقدىّ ، حدّثنى محمد بن موسى الثقفى ، عن أبيه ، قال : مات المغيرة بن شعبة بالكوفة سنة خمسين ، فى خلافة معاوية ، وهو ابن سبعين سنة . وكان رجلا طُوالا أعور ، أصيبت عينه يوم اليرموك .

٥

* * *

صــــوت

جِنية ولها جِن يعلمها * رمى القلوب بقوس ما لها وتَرُ

إن كان ذا قدَرا يعطيك نافلة * منا ويحرِمنا ، ما أنصف القدر

٢٠ الشعر لمحمد بن بشير الخارجىّ ، والغناء لإبراهيم : هزج بالبِنصر ، عن الهشامىّ .

أخبار محمّد بن بشير الخارجىّ ونسبه

نسبه وشعره

هو محمد بن بشير بن عبد الله بن عقيل بن أسعد بن حبيب بن سنان(١) بن عدىّ ابن عوف بن بكر بن يشكر بن عَدْوان الخارجىّ، من بنى خارجة بن عدوان بن عمرو ابن قيس بن عيلان بن مضر. ويقال لعدوان وفهم: ابنا جديلة، نُسبا إلى أمهما جديلة بنت مُرّ بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر، ويكنى محمد ابن بشير أبا سليمان؛ شاعر فصيح حجازىّ مطبوع، من شعراء الدولة الأموية. وكان منقطعا إلى أبى عبيدة بن عبد الله بن زَمْعة القرشى، أحد بنى أسد بن عبد العزى، وهو جد ولد عبد الله بن الحسن بن الحسن، لأمهم هند بنت أبى عبيدة بن زمعة القرشىّ؛ ولدت لعبد الله محمدا وإبراهيم وموسى. وكانت لمحمد بن بشير فيه مدائح ومَراثٍ مختارة، وهى عيون شعره، وكان يبدو فى أكثر زمانه، ويقيم فى بوادى المدينة، ولا يكاد يحضر مع الناس.

رواة أخباره

أخبرنى بقطعة من أخباره الحسن بن علىّ، قال: حدّثنا أحمد بن زهير، قال: حدّثنى مُصعَب الزبيرىّ. قال أحمد: وحدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثنى سليمان بن عياش(٢) السعدى وعمى مصعب. وحدّثنى بقطعة أخرى منها عيسى بن الحسن الوراق، عن الزبير، عن سليمان بن عياش. وقد ذكرت كل ذلك فى مواضعه.

يخطب عائشة بنت يحيى فترفض السفر معه

قال ابن أبى خيثمة فى روايته عن مصعب وعن الزبير، عن سليمان ابن عياش:

(١) ف، مب: سيار.
(٢) أ، م، ج: عباس.

كان الخارجيّ ، واسمه محمد بن بشير بن عبد الله بن عقيل بن سعد بن حبيب ٱبن سنان بن عديّ بن عوف بن بكر ، شاعرا فصيحا ، ويكنى أبا سليمان . فقدم البصرة فى طلب ميراث له بها ، فخطب عائشة بنت يحيى بن يعمُر الخارجية ، من خارجة عدوان . فأبت أن تتزوجه إلا أن يقيم معها بالبصرة ، ويترك الحجاز ، ٥ ويكون أمرها فى الفرقة إليها . فأبى أن يفعل ، وقال فى ذلك :

أرِق الحزينُ وعاده سُهُدُهْ * لطوارق الهم التى تَرِدُهْ [(١)]

وذكرتُ من لانت له كبدى * فأبى فليس تلين لى كبده

ونأى فليس بنازل بلدى * أبدا ، وليس بمُصلِحى بلده [(٢)]

فصُدِعت حين أبى مودتَه * صَدْعَ الزجاجة دائم أبده

١٠ وعرفت أن الطير قد صدقت * يوم الكِدانة شرَّ ما تَعِده

فاصبر فإن لكل ذى أجل * يوما يجىء فينقضى عدده

ماذا تعاتب من زمانك إذ * ظعن الحبيب وحل بى كَمَدُه [(٣)]

١٤٩ / ١٤

قالا : وخاطب أباها يحيى بن يعمر فى ذلك ، فقال له : إنها امرأة بَرْزة عاقلة ، لا يُفتات على مثلها بأمرها ، وما عندها عنك من رغبة ، ولكنها امرأة فى خلقها ١٥ شدّة ، ولها غيرة ، وقد بلغنى أن لك زوجتين ، وما أراها تصبر على أن تكون ثالثة لهما ؛ فانظر فى أمرك ، وشاور فيه : فإما أن أقمت بالبصرة معها ، فعقَت لك عن

(١) كذا فى ف ، مب . وفى سائر النسخ : الذى يرده .
(٢) كذا فى ف ، مب . وفى سائر النسخ : فأبى .
(٣) كذا فى ف ، مب . وفى سائر النسخ : أن ظعن .

صاحبتيك ، إذ لا مجاورة بينهما و بينها ولا عِشْرة ، و إن شئت فارقتهما[١] وأُخْرِجها معك . فصار إلى رحْله مغموما . وشاور ٱبن عم له يقال له وَرَّاد بن عمرو فى ذلك ، فقال له : إن فى يحيى بن يعمر لرغبة ، لثروته وكثرة ماله ، وما ذكرته[٢] من جمال ابنته ، وما نحب أن تفارق زوجتيك — وكانت إحداهما ٱبنة عمه ، والأخرى من أشجع — فتقيم معها السنة بالبصرة ، ونمضى نحن[٣] ، فإن رغبت فيها تمسكت بها ، وأقمت بمكانك ، و إن رغبت فى العود إلى بلدك ، كتبت إلينا بجئناك ، حتى تنصرف معنا إلى بلدك . ففكر ليله أجمع فى ذلك ، ثم غدا عازما على الرجوع إلى الحجاز ، وقال :

قصيدته فى زوجه أم سعد

لئن أقمتُ بحيث الفيضُ[٤] فى رجب * حتى أُهِــلَّ به من قابلٍ رَجَبا
وراح فى السَّــفْر[٥] ورّاد فهيجنى * إن الغريب إذا هيجتــه طربا
إن الغريب يَهيج الحزنُ صَبْوَته * إذا المصاحب حياه وقــد ركبا
قــد قلت أمس لوراد وصاحبه * عُوجا على الخارجىّ اليوم واحتسبا[٦]
وأبلغــا أم ســـعد أنّ عانيَهــا[٧] * أعيــا على شفعاء الناس فاجتنبا
لمــا رأيت نجىّ القــوم قلت لهم * هل يعدُوَنّ نجىُّ القــوم ما كُتبا[٨]

(١) كذا فى ف . وفى مب : ففارقهما . وفى سائر النسخ : مفارقتهما .
(٢) ج : ذكره .
(٣) نحن : كذا فى ف ، مب . وفى سائر النسخ : تمضى بخير . تحريف .
(٤) الفيض : نهر البصرة . وهى رواية ف ، مب . وفى سائر النسخ : القبض . تحريف . يريد : أقمت بهذا الموضع ، وأهل الرجل الهلال : رآه .
(٥) ف : وراث فى السفر .
(٦) احتسبا : يريد اصنعا فىّ معروفا ، وعدا أجره عند الله .
(٧) العانى : الأسير .
(٨) النجىّ ، بوزن فعيــل : الذى يسارك و يناجيك ، مفرد وجمــع . ورواية البيت كما فى ف ، ب . وفى سائر النسخ : قلت له : هل يقـــدرن .

وقلت إنى متى أجلب شفاعتكم * أندم وإنّ أشق الغىّ ما اجتُلبا (١)

وإنّ مثلى متى يسمع مقالتكم * ويعرف العين يندم قبل أن يجبا (٢)

إنى وما كبّر الحُجّاج تحملهم * بُزْل المطايا بجنبى نخلة عُصبا (٣)

وما أهلّ به الداعى وما وقفت * عُلْيا ربيعة ترمى بالحصى الحصبا (٤)

جهدا لَمَنْ ظن أنى سوف أُظعنها * عن ربع غانية أخرى لقد كذبا (٥)

أأبتغى الحسن فى أخرى وأتركها * فذاك حين تركت الدين والحسبا (٦)

وما انقضى الهم من سُعدى وما علقت * منى الحبائل حتى رمتُها حقبا (٧)

وما خلوت بها يوما فتعجبنى * إلا غدا أكثرَ اليومين لى عجبا (٨)

بل أيها السائلى ما ليس يدركه * مهلا فإنك قد كلفتنى تعبا (٩)

كم من شفيع أتانى وهو يحسُب لى * حَسْبا فأُقصِره من دون ما حسبا (١٠)

فإن يكن لهواها أو قرابتها * حب قديم فما غابا ولا ذهبا

هما علىّ : فإن أرضيتها رضيا * عنى وإن غضبتْ فى باطل غضبا

---

(١) كذا روى البيت فى مب ، وفيه تحريف فى سائر النسخ .

(٢) العين : كذا فى جميع النسخ ، ولعله تحريف عن الغبن . يريد الغبن فى الرأى الذى أشاروا به عليه . وفى ف ، مب : ينزع ، فى موضع : يندم . والنزوع : الاشتياق .

(٣) بجنبى : كذا فى ف ، مب . وفى سائر النسخ : إلى ، وبها يختل وزن البيت . ونخلة : موضع على ليلة من مكة (عن معجم ما استعجم للبكرى) . والعصب : الجماعات .

(٤) يريد بالحصب هنا : المحصب بمنى ، وهو موضع رمى الجمار .

(٥) ربع : كذا فى ف ، مب . وفى سائر النسخ : دمع ، وهذه غامضة . يريد : لا أجعل لناقتى مقرا ولا رحلة إلا من ربع هذه الحبيبة .

(٦) ف : والأدبا . (٧) ف ، مب : ولا انقضى ... ولا علقت .

(٨) ف ، مب : أكبر اليومين . (٩) ف ، مب : يا أيها السائلى .

(١٠) ف : وهو يحسبنى أسلو . يريد كم شفيع أتاه يعدله كثير المحاسن فى نساء أخر ، فكان يرده .

١٥٠ / ١٤

كائنْ ذهبتُ فردّانى بكيدهما (١) * عمّا طلبت وجاءاها بما طلبا
وقد ذهبت فلم أصبح بمنزلة * إلا أنازع من أسبابها سببا
وَيْلُمِّها خُلّةً لو كنتِ مُسجِحة * أو كنتَ ترجع من عصرَيك ما ذهبا
أنت (٢) الظعينة لا تُرْمَى برمتها * ولا يفجِّعها ابن العم ما اصطحبا

يغضب لعربية تزوجت مولى ويفرق بينهما

٥ أخبرنى عيسى بن الحسين، قال: حدّثنا الزبير بن بكار، قال: حدثنى سليمان ابن عياش السعدى، قال:

قدم أعراب من بنى سُليم أقحمتهم السنة إلى الرَّوْحاء، فخطب إلى بعضهم رجل من الموالى من أهل الروحاء، فزوّجه. فركب محمد بن بشير الخارجىّ إلى المدينة، وواليها يومئذ إبراهيم بن هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة، ١٠ فاستعداه الخارجىّ على المولى. فأرسل إبراهيم إليه وإلى النفر السُّلَميين، وفرق بين المولى وزوجته، وضربه مائتى سوط، وحلق رأسه ولحيته وحاجبيه. فقال محمد بن بشير فى ذلك:

شهدتُ غداةَ خصم بنى سُليم * وجوها (٣) من قضائك غير سود
قضيتَ بسنة وحكمت عدلا * ولم تَرِث الحكومة من بعيد
١٥ إذا غُمِز القنا وُجِدتْ لعمرى * قناتك حين تغمَز خيرَ عُود
إذا عض الثِّقاف بها اشمأزت * أبىّ النفس (٤) بائنة الصعود
حمى حَدَبا لحوم بنات قوم * وهم تحت التراب أبو الوليد
وفى المِئتَيْن للمولى نَكال * وفى سلب الحواجب والخدود

(١) ذهبت: كذا فى ف، مب. وفى سائر النسخ: دهيت. وضمير الفاعل فى ردانى وجاءاها ٢٠ وطلبا: يعود على الهوى والقرابة. (٢) أنت: كذا فى ف، مب. وفى سائر النسخ: ليت.
(٣) ف، مب: وجوها من فضائل.
(٤) النفس: كذا فى ف. وفى سائر النسخ: القسر.

إذا كافأتَهـــم ببنات كِسرى * فهل يجـــد الموالى من مَزيد

فأى الحـــق أنصف للموالى * مِن اصْهار العبيد إلى العبيد

كان له عبد غير وفى

حدّثنى عمى(١)، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: حدثنى سليمان بن عياش، قال: كان للخارجىّ عبـد، وكان يتلطف له ويخدمه، حتى أعتقه وأعطاه مالا، فعمل به، وربح فيه. ثم احتاج الخارجىّ بعـد ذلك إلى معونة أو قرض فى نائبة لحقته، فبعث إلى مولاه فى ذلك، وقد كان المولى أثرى واتسعت حاله، فحلف له أنه لا يملك شيئا، فقال الخارجى فى ذلك:

يسـعى لك المولى ذليـلا مُدقعا * ويخذلك المولى إذا اشتدّ كاهلُهْ

فأمسِك عليك العبـد أوّلَ وَهْلةٍ * ولا تنفلِت من راحتيك حبـائله

وقال أيضا:

إذا افتقر المولى سعى لك جاهدا * لترضى وإن نال الغنى عنك أدبرا

يتزوج ثالثة إذ تأخر عنه زوجتاه

حدّثنى عيسى بن الحسـين(٢)، قال: حدّثنـا الزبير، قال: حدّثنى سـليمان ابن عياش السعدىّ، قال:

كان محمد بن بشير الخارجىّ بين زوجتين له، وكان يسكن الروحاء، فأجدب عليه منزله، فوجه غنما إلى سحـابة وقعت برُجْفان، وهو جبـل يطل على مضيق يَلْيل، فشقت غيبتها عليـه. فقال لزوجتيه: لو تحولتمـا إلى غنمنا. فقالتا له: بل تذهب، فتطلع إليها، وتصرفها إلى موضع قريب، حتى نوافيك فيه. فمضى وزوّدتاه وَطْبين، وقالتا له: اجمع لنا اللبن، ووعدتاه موضعا من رُجفان، يقال له

(١) ف، مب: عيسى بن الحسين.

(٢) كذا فى ف، مب. وفى سائر النسخ: حدّثنى محمد بن عيسى.

١٥١/١٤

ذو القِشع . فانطلق، فصرف غنمه إلى ذلك الموضع، ثم انتظرهما، فأبطأتا عليه. وخالفته سحابة إليهما، فأقامتا، وقالتا : يبلغ إلى غنمه ثم يأتينا . فجعل يَصْعَد فى الجبل و ينزل ، يتبصرهما فلا يراهما . فبينما هو كذلك إذ أبصر امرأتين قد نزلتا[1]، فقال : أنزل فأتحدث إليهما، فإذا هو بامرأة مسنة، ومعها بنت لها شابة، فأعجبته، فقال لها : أتزوّجيننى ابنتك هذه ؟ قالت : إن كنت كفؤا. فانتسب لها، فقالت : أعرف النسب ولا أعرف الوجه، ولكن يأتى أبوها . فجاء أبوها فعرفه، فأخبرته امرأته بما طلب . فقال : نعم، وزوّجه إياها . فساق إليها قطعة من غنمه ، ثم بنى بها ، وانتظر ، فلم ير زوجتيه تَقْدَمان عليه ، فارتحل إليهما بزوجته و بقية غنمه . فلما طلع عليهما وقف ، فأخذ بيدها ، ثم أنشأ يقول :

كأنىَ مُوف للهلال عشية * بأسفل ذات القِشع منتظِرَ القَطْرِ
وأنتن تلبسن الجديدة بعدما[2] * طُردت بطَىِّ الوَطْب فى البُلْق والعُفْرِ
فكان الذى قلتن أَعْدِدْ بضاعة * لناهد بيضاء الترائب والنحر
كأنّ سُموط الدر منها معلق * بجَيْداءَ فى ضالٍ بوَجْرة أو سدر
تكون بلاغا ثم لست بمخبر * إذا وُديت نى ما وددتن من أمرى

فارقته المزنية فقال فيها شعرا

أخبرنى الحسن[3] بن علىّ، قال : حدّثنا أحمد بن زهير، قال: حدّثنى مصعب، قال : حدّثنى أحمد بن زهير؛ وحدّثنى الزبير بن بكار ، قال : حدّثنى سليمان ابن عياش، قالا :

(١) ف، مب : قوما قد نزلوا .
(٢) ف، مب : تبلين .
(٣) الحسن : كذا فى ف، مب . وفى سائر النسخ : الحسين

كان محمد بن بشير يتحدث إلى امرأة من مُزَينة، وكان قومها قد جاوروهم، ثم جاء الربيع، وأخصبت بلاد مزينة، فارتحلوا، فقال محمد بن بشير :

لو بَيَّنَتْ لك قبل يوم فراقها * أن التفرّق من عشيةَ أو غدِ
لشكوت إذ عَلِق الفؤاد بهائم * علقِ حبائلَ هائم لم يُعهد
وتبرجت لك فاستبتك بواضح * صَلْت وأسود فى النصيف معقد[1]
بيضاء خالصة البياض كأنها * قمر توسط ليل صيف مُبْرِدِ
موسومة بالحسن ذات حواسد * إن الجمال مظنة للحُسَّد
لم يُطْغِها سَرَف الشباب ولم تضع * عنها معاهدة النصيح المرشد[2]
خَود إذا كثر الكلام تعوذت * بحِمَى الحياء وإن تكلمْ تُقصِد
وكأن طعم سُلافة مشمولة * تنصبّ فى إثر السواك الأغيد
وترى مدامعها تُرَقرِق مقلةً * حوراء ترغب عن سواد الإثمد
ماذا إذا برزت غداة رحيلها * مِ الحسن تحت رِقاق تلك الأبرد[3]
وُلِدت بأسعدِ أنجمٍ فحلها * ومسيرها أبدا بطلق الأسعد
الله يُسعدها ويُسْقِ دارها[4] * خَضِلَ الرَّباب سَرَى ولما يُرْعِد

رفضت قضاعية أن تتزوجه فقال فيها شعرا

أخبرني الحسن بن علي، قال : حدثنا أحمد بن زهير، قال : حدثني الزبير قال : حدثني سليمان بن عياش، قال :

(١) هذا البيت عن ف، مب .
(٢) كذا روى البيت فى ف، مب . وفى سائر النسخ :
لم يطرها ... ... ولم يصع * عنها معاشرة ... ...
ومعاهدة النصيح : تعهده إياها بالنصيحة .
(٣) ف : إذا بدرت . م الحسن : كذا فى ف، مب . وفى سائر النسخ : من حسن .
(٤) ف ، مب : يصحبها .

صحب محمد بن بشير رُفقة من قُضاعة إلى مكة[١] ، وكانت فيهم آمرأة جميلة ، فكان يسايرها ويحادثها . ثم خطبها إلى نفسها[٢] ، فقالت : لا سبيل إلى ذلك ، لأنك لست لى بعشير[٣] ، ولا جارى فى بلدى ، ولا أنا ممن تطمعه[٤] رغبة عن بلده ووطنه . فلم يزل يحادثها ويسايرها[٥] حتى انقضى الحج ، ففرق بينهما نزوعهما إلى أوطانهما ، فقال الخارجىّ فى ذلك :

أستغفر الله ربى من مخدَّرة * يوما بدا لى منها الكشحُ والكتدُ
من رُفقة صاحبونا فى ندائهمُ * كلٌّ حرام فما ذُمُّوا ولا حُمِدوا
حتى إذا البُدْن كانت فى مناحرها * يعلو المناسمَ منها مُزبِدٌ جسِد[٦]
وحلّق القوم واعتمّوا عمائمهم * واحتل كل حرامٍ رأسُه لَبِد
أقبلتُ أسألها ما بالُ رُفقتها * وما أبالى أغاب القوم أم شهدوا
فقربت لِىَ واحلولت مقالتها * وعوّقتنى وقالت بعضَ ما تجد[٧]
أنّى ينال حجازىّ بحاجته * إحدى بنى القين أدنى دارِها بَرِد[٨]

(١) عبارة الأصول ماعدا مب : فكان إلى مكة . وهى غامضة محرفة . وقد سقطت من ف .
(٢) كذا فى ف ، مب . وفى سائر الأصول : نفسه . (٣) ف ، مب : بعشرى .
(٤) ف ، مب : تظعنه ؛ والكلمة غير منقوطة . (٥) ف : يسايرها ويحدثها .
(٦) كانت : كذا فى ف . وفى مب : كاست . والمناسم : كذا فى ف ، مب . وفى سائر الأصول : المحاسن . تحريف . وجسد : كذا فى ف ، مب . وفى سائر الأصول : جهد .
(٧) كذا رواية البيت فى ف . وفى سائر النسخ :
تفرقت لى واحلولت مقالتها * وخوفتنى ... ...
(٨) أدنى : كذا فى ف ، مب . وفى سائر الفصول : إذما . تحريف . وبرد : جبل قريب من تيماء .

حطب امرأة فطلبت إليه أن يطلق زوجته

أخبرني عيسى بن الحسين، قال: حدّثنا الزبير، قال: حدّثنا سليمان ابن عياش، قال:

خطب محمد بن بشير امرأة من قومه، فقالت له: طلق امرأتك حتى أتزوجك. فأبى وانصرف عنها، وقال في ذلك:

٥ أأطلب الحسن في أخرى وأتركها * فذاك حين تركت الدين والحسبا

هي الظعينة لا يُرْمَى بُرمّتها * ولا يفجّعها ابن العم ما اصطحبا

فما خلوت بها يوما فتعجبني * إلا غدا أكثر اليومين لي عجبا

حدّثني عيسى قال: حدّثنا الزبير، قال: بلغني عن صالح بن قُدامة بن إبراهيم أن محمد بن حاطب الجُمَحي، يروى شيئا من أخبار الخارجيّ وأشعاره، فأرسلت ١٠ إليه مولى من موالينا يقال له محمد بن يحيى، كان من الكتّاب، وسألته أن يكتب لي ما عنده، فكان فيما كتب لنا، قال:

يحتال على الأنصار ليحدث نساءهم

زعم الخارجيّ، واسمه محمد بن بشير، وكنيته أبو سليمان، وهو رجل من عَدوان، وكان يسكن الرَّوحاء، قال:

بينا نحن بالروحاء في عام جدب قليل الأمطار، ومعنا سليمان بن الحصين ٢٠ وابن أخته[1]، وإذا بقطار ضخم كثير الثَّقَل يهوى، قادم من المدينة، حتى نزلوا بجانب الروحاء الغربي، بيننا وبينهم الوادي، وإذاهم من الأنصار، وفيهم سعيد ابن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت. فلبثنا أياما، ثم إذا بسليمان بن الحصين يقول لي: أرسَل إليّ النساء يقلن: أما لكم في الحديث حاجة؟ فقلت لهنّ: فكيف برجالكن؟ قلن: بلغنا أن لكم صاحبا يعرف بالخارجيّ،

٢٥ (١) كذا في ف. وفي سائر الأصول: ابن أخيه.

صاحب صيد ، فإن أتاهم فحدثهم عن الصيد انطلقوا معه ، وخلوتم فتحدثتم .
قال : فقلت لسليمان : بئس لعمر الله ما أردت منى ، أأذهب إلى القوم فأغُرَّهم ،
وآثم وأتعبَ وتنالون أنتم حاجتكم دونى؟ ما هذا لى برأى . قال لى سليمان : فأنظرنى
إذنْ ، أُرْسل إلى النساء وأخبرهن بقولك . فأرسل إليهن فأخبرهن بما قلت .
فقلن : قل له احتل لنا عليهم هذه المرة بما قلنا لك ، وعلينا أن نحتال لك المرة ٥
الأخرى .

قال الخارجىّ : فخرجت حتى أتيت القوم فحدثتهم ، وذكرت لهم الصيد ،
فطارت إليه أنفسهم . فخرجت بهم ، وأخذت لهم كلابا وشباكا ، وتزودنا
لثلاث . وانطلقت أحدثهم وألهيهم ، فحدثتهم بالصدق [1] حتى نفد . ثم حدثتهم
بما يشبه الصدق حتى نفد [1] . ثم صرحت لهم بمحض الكذب حتى مضت ثلاث ، ١٠
وجعلت لا أحدثهم حديثا إلا قالوا : صدقت . وغبت بهم ثلاثا ما أعلم أنا عاينّا
صيدا ، فقلت فى ذلك :

إنى لأعجَبُ منى كيف أُفكِهُهم * أم كيف أخدع قوما مابهم حُمُقُ [2]!
أظل فى البِيد أُلهيهم وأخبرهم * أخبار قوم وما كانوا ربما خُلقوا
ولو صدقت لقلت القومُ قد قدموا * حين انطلقنا وآتى ساعة انطلقوا [3] ١٥
أم كيف تُحرَم أيد لم تخن أحدا * شيئا وتظفر أيديهم وقد سرقوا
ونرتمى اليوم حتى لا يكون له * شمس ويرمون حتى يبرُق الأفق

(١ — ١) العبارة عن ف ، مب .
(٢) أفكههم : كذا فى ف ، مب . وفى الأصول : أفككهم .
(٣) كذا روى البيت فى مب . وفى ف : وإنى ساعة انطلقوا . وفى بقية الأصول : وما بى ساعة ٢٠
انطلقوا .

١٥٣ / ١٤

يرمون أحور مخضوبا بغـــير دم * دفعا وأنت وشاحا صيدك العَلَق

تســعى بكلبين تبغيه وصيدهم * صـــيد يرجّى قليـــلا ثم يُعتنق

ما زلت أحدوهم حـتى جعلتهم * فى أصـل مَحْنية ما إن بهـا طَرَق (١)

ولو تركتهم فيهـا لمـزقهـم (٢) * شيخا مزينة إن قالا انعقوا نعقوا

٥ إن كنتم أبـدا جارىْ صـديقكم * والدهر مختلف ألـــوانه طرق

فتعونى فإنى لا أرى أحـــدا * إلا له أجل فى المـــوت مستَبق

مات سليمان بن الحصين فرثاه

قال سليمان بن عياش : ومات سليمان بن الحصين هـذا ، وكان خليلا للخارجىّ ، مصافيا له ، وصديقا مخلصا ، فجزع عليه ، وحزن حزنا شديدا ، فقال يرثيه :

يأيهـا المتمنى أن يكون فتًى * مثل ابن ليلى لقد خلَّى لك السبلا

١٠ إن ترحل العيسَ كى تسعى مساعيَه * يُشفَق عليك وتعملْ دون ما عملا

لو سرت فى الناس أقصاهم وأقربهم * فى شُقة الأرض حتى تُحسِر الإبلا

تبغى فتى فوق ظهر الأرض ما وجدوا * مثـل الذى غيبوا فى بطنها رجلا

أعْدُد ثلاث خصال قد عُرفن له * هل سُب من أحد أو سَبَّ أو بخلا

قال سليمان بن عياش : لما مات عبد العزيز بن مروان ، ونُعِى إلى أخيه عبد الملك ،

١٥ تمثل بأبيات الخارجىّ هذه ، وجعل يرددها ويبكى .

شعر حسن فى امرأة كريمة

أخبرنى عيسى ، قال : حدّثنا الزبير ، قال : حدّثنى عمى عن أبيه ، قال : قال الرشيد يوما لجلسائه :

---

(١) بها طرق بالتحريك : كذا فى ف ، مب . وفى سائر الأصول : بها طرق ، والطرق : مناقع الماء . يريد أن ماءها جار غير مستنقع .

(٢) لمزقهم : كذا فى ف ، مب . وفى بقية الأصول : لمزيهم .

أنشدونى شعرا حسنا فى امرأة خفِرة كريمة، فأنشدوا فأكثروا وأنا ساكت ، فقال لى : إيه يابن مصعب ، أما أنك لو شئت لكفيتنا سائر اليوم ؛ فقلت : نعم يا أمير المؤمنين ، لقد أحسن محمد بن بشير الخارجى حيث يقول :

بيضاء خالصة البياض كأنها * قمر توسط جنح ليل مُبرِدِ
موسومة بالحسن ذات حواسد * إن الحسان مظنة للحسد
وترى مدامعها تُرقرق مقلة * حوراء ترغب عن سواد الإثمد
خَوْد إذا كثر الكلام تعوذت * بحمى الحياء وإن تكلم تُقْصِد
لم يطغها شرف الشباب ولم تضع * منها مُعاهَدة النصيح المرشد
وتبرجت لك فاستبتك بواضح * صَلْت وأسود فى النصيف معقد
وكأن طعم سلافة مشمولة * بالريق فى أثر السواك الأغيد

١٥٤
١٤

فقال الرشيد : هذا والله الشعر، لا ما أنشدتمونيه سائر اليوم ! ثم أمر[١] مؤدب ابنيه محمد الأمين وعبد الله المأمون ، فرواهما الأبيات .

يتحدث إلى أيم فينهاها قومها

أخبرنى الحسن بن علىّ، قال : حدّثنا أحمد بن زهير ، قال : حدّثنا الزبير آبن بكار، قال : حدّثنى سليمان بن عياش، قال :

كان محمد بن بشير الخارجىّ يتحدّث إلى عبدةَ بنت حسان المُزَنية ، ويَقيل[٢] عندها أحيانا ، وربما بات عندها ضيفا ، لإعجابه بحديثها ، فنهاها قومها عنه ، وقالوا : ماميبت رجل بامرأة أيِّم ؟ فجاءها ذات يوم، فلم تدخله خباءها، وقالت له : قد نهانى قومى عنك ، وكان قد أمسى ، فمنعته المبيت ، وقالت : لا تبت عندنا ، فيُظَن[٣] بى وبك شر، فانصرف وقال فيها :

(١) ف ، مب : ثم أمر محمدا الأمين وعبد الله المأمون برواية الأبيات .
(٢) ف ، مب : يقيم . (٣) ف ، مب : سوء .

ظللتُ لدى أطنابهـا وكأننى * أسـيرٌ مُعَنًّى فى مُخلخَله كَبْلَ
أخـيرٌ إما جَلسةٌ عنـد دارها * وإما مَرَاح لاقريب ولا سهل (١)
فإنك لو أكرمتِ ضيفكِ لم يعب * عليكِ الذى تأتين حَمْـوٌ ولا بعل
وقد كان يَنميها إلى ذروة العـلا * أب لا تخطاه المطيـة والرحْل
فهـل أنتِ إلا جِنَّـة عبقرية * يخالط من خالطتِ من حبكم خَبْل (٢)
وهـل أنت إلا نبعة كان أصلها * نضارا فلم يفضحك فرع ولا أصل
صددت امرأ عن ظل بيتك ماله * بواديك لولاكم صديق ولا أهل

أخبرنى الحسن بن على، قال : حدّثنا أحمد بن زهير، قال : حدّثنا الزبير ، قال : حدّثنى سليمان بن عيـاش ، قال :

خرج محمد وسليمان ابنا عبيد الله بن الحصين الأسلميان ، حتى أتيا امرأة من الأنصار، من بنى ساعدة ، فبرزت لهما ، وتحـدثا عندها ، وقالا لهـا : هل لك فى صاحب لنا ظريف شاعر؟ فقالت : من هو ؟ قالا : محمد بن بشير الخارجى. قالت: لا حاجة بى إلى لقائه، ولا تجيئانى به معكما، فإنكما إن أتيتما به لم آذن لكما (٣). فجاءا به معهما ، وأخبراه بمـا قالت لهما ، وأجلساه فى بعض الطريق ، وتقـدما إليهـا ، فخرجت إليهما ، وجاءهما الخارجىّ بعـد خروجها إليهما ، فرحبا به ، وسلما عليـه ، فقالت لهما : من هـذا ؟ قالا : هـذا الخارجىّ الذى كنا نخـبرك عنه . فقالت : والله ما أرى فيـه من خير ، وما أشبهه إلا بعبـدنا أبى الجَون . فاستحيا الخارجىّ، وجلس هُنيهة ، ثم قام من عندها ، وعَلِقها قلبه ، فقال فيها :

(١) كذا ورد البيت فى ف . وفى مب : جلسة عند كاره . وجاء فى سائر الأصول محرفا :
أعبدة إما جلسة عنـد كاره * وإما مزاح لاقريب ولا سهل
(٢) البيت عن ف ، مب . (٣) ف ، مب : لم أبرز .

ألا قد رابنى ويريب غيرى * عشية حكمها حيفٌ مريبُ
وأصبحت المودة عند ليلى * منازل ليس لى فيها نصيب
ذهبتُ وقد بدا لىَ ذاك منها * لأهجوها فيغلبنى النسيب
وأنسى غيظ نفسى إن قلبى * لمن وادِدت فَيئته قريب
فلا قلب مُصِرٌّ كل ذنب * ولا راض بغير رضا، غضوب[1]
فدعها لست صاحبها وراجع * حديثك إن شأنكما عجيب[2]

تعيره زوجته بقول الأنصارية له فيتغزل فيها

قال: وبلغ الأشجعية زوجة محمد بن بشير ما قالته له الأنصارية، فعيرته بذلك، وكانت[3] إذا أرادت غيظه كنته[3] أبا الجون، فقال فى ذلك:

وأيدى الهدايا ما رأيتُ مُعاتبا * من الناس إلا الساعديةُ أجملُ
وقد أخطأتنى يوم بطحاء منعم[4] * لها كفَف يُصطاد فيها وأحبُلُ
وقد قال أهلى خير كسب كسبته * أبو الجون[5] فاكسب مثلها حين ترحل
فإن بات إيضاعى بأمر مسرة * لكن فما تسخطن فى العيش أطول

١٥٥
١٤

أخبرنى الحسن، قال: حدثنا أحمد، قال: حدثنا الزبير، قال: حدثنى سليمان ابن عياش، قال:

نهاه رجل عن حديث النساء وهو محرم فقال شعرا

اجتمع محمد بن بشير الخارجىّ وسائب بن ذكوان راوية كُثيِّر بمكة، فوافقا نسوة من بنى غفار يتحدّثن، فجلسا إليهن، وتحدثا معهن حتى تفرقن، وبقيت

---

(١) البيت عن ف، مب. يريد أن قلبه ليس قلبا غضوبا يحمل الحقد، ولا يرضى بما لا يرضى.
(٢) صاحبها: كذا فى ف. وفى سائر الأصول: هاجيها.
(٣ — ٣) ف: وكانت تغيظه بأن تلقبه. وفى مب: وكانت تغيظه بأن تكنيه.
(٤) مب: بطحاء معمر.
(٥) ف، مب: حين كنيت كنية أبا الجون.

واحدة منهن تحدّث الخارجىّ، وتستنشده شـعره حتى أصبحوا ؛ فقال لهم رجل من بهم : أما تبرحون عن هـذا الشعر وأنتم حُرُم[١] ، ولا تدَعون إنشاده وقول الزور فى المسجد ! فقالت المرأة : كذبت لعمر الله ، ما قول الشعر بزور ، ولا السـلام والحديث حرام على محرم ولا محل . فانصرف الرجل ، وقال فيها الخارجىّ :

أمالك أن تزور وأنت خِـلْو * صحيح القلب أخت بنى غفار؟

فما برحت تُعَـيرك مقلتيها * فتعطيك المنية فى استتار

وتسهو فى حديث القوم حتى * يُبـيِنَ بعض ذلك ما توارى[٢]

فمت يا قلب مابك من دفاع * فينجيَك الدفاع ولا فـرار

فـلم أر طالبـا بدم كمثـلى * أودَّ وحسن مطلوب بثـار

إذا ذكروا بثأرى قلت سـقيا * لثأرى ذى الخواتم والسـوار

وما عرفت دمى فتبوءَ منـه * برهن فى حبالى أو ضمار[٣]

وقـد زعم العواذل أن يومى * ويومك بالمحصَّب ذى الجمار[٤]

من الإغباء ثم زعمت أن لا * وقلت لدى التنازع والتَّمارِ[٥]

كذبتم ما السلام بقول زُور * وما اليـوم الحرام بيـوم ثار[٦]

ولا تسـليمنا حُرُما بإثم * ولا الحب الكريم لنا بعار[٧]

فإن لم تلقكم فسق الغـوادى * بلادكِ والرويّاتُ السـوارى

(١) كذا فى ف . وفى سائر الأصول : أما تزدجرون نحن حذاء الشعر . تحريف .

(٢) ذلك : كذا فى ف . وفى سائر الأصول : أهلك .

(٣) تبوء منه : تخلص منه بالاعتراف ودفع رهن أو دين . والضمار من الدين : مالا يرجى ، أو ما كان بلا أجل معلوم . (٤) ف : وقد علم العواذل . (٥) الإغباء : الإخفاء . وفى مب : لذى التنازع . (٦) ف ، مب : ولا اليوم . (٧) ف ، مب : حرما بجرم .

قصيدته فى الفزارية بعد فراقهما

قال سليمان: وفى هذه المرأة يقول الخارجىّ وقد رحلوا عن مكة، فودعها وتفرقوا:

يا أحسن الناس لولا أن نائلها (١) * قِدْماً لمن يبتغى ميسورها عسر

وإنما دلُّها سحر تصيد به (٢) * وإنما قلبها للمشتكى حجر

هل تذكرين كما لم أنس عهدكم * وقد يدوم لعهد الخُلّة الذِّكَر (٣)

قولى وركبك قد مالت عمائمهم * وقد سقاهم بكأس الشقوة السفَرُ ٥

ياليت أنى بأثوابى وراحلتى * عبد لأهلك هذا العام مؤتجر

فقد أطلتِ اعتلالا دون حاجتنا * بالحج أمسِ فهذا الحل والسفر (٤)

مابال رأيك إذ عهدى وعهدكم * إلفان ليس لنا فى الود مُزدجَر

فكان حظك منها نظرةً طرفتْ * إنسانَ عينك حتى ما بها نظر

أكنتِ أبخل من كانت مواعده * دَيناً (٥) إلى أجلٍ يرجى وينتظر ١٠

وقد نظرتُ وما ألفيت من أحد (٦) * يعتاده الشوق إلا بدؤه النظر

أبقت شجىً لك لا ينسى وقادحة * فى أسود القلب لم يشعر بها أخر (٧)

جِنية أولها جن يعلمها * رمى القلوب (٨) بقوس مالها وتر

---

(١) ف، مب: إلا أن نائلها. وفى سائر الأصول: قائلها، فى موضع: نائلها. وفى (لسان العرب: أجر): يرتجى معروفها. ١٥

(٢) تصيد به: كذا فى اللسان. وفى سائر النسخ: لطالبه.

(٣) فى اللسان: ولما أنس. وفى ف، مب: وقد يذم بعهد الخلة.

(٤) أمس: كذا فى ف، مب. وفى سائر الأصول: أمض. تحريف. والسفر: كذا فى ف، مب. وفى سائر النسخ: النفر، بتسكينها، وهو الارتحال بعد الحج.

(٥) دينا: كذا فى ف، مب. وفى سائر الأصول: تأتى. تحريف. ٢٠

(٦) وقد: كذا فى ف، مب. وفى ج: ومن. وفى سائر الأصول: وما. وفى ف، مب: وما أبقيت من أجل. (٧) الأخر: الأبعد، يريد من لم يصب بحبها. وفى مب: بشر.

(٨) فى اللسان: ترمى القلوب.

تجـــلو بقادمتي ورقاء عن بَرَد * حمر المفـاغر في أطرافها أشَر (١)

خَــوْد مبتلّة ريا معاصمهـا * قدرّ الثياب فلا طول ولا قصر

إذا مجاســدها اغتالت فواضلها * منهـا روادف فَعْمات ومــؤتزر (٢)

إن هبت الريح حنت في وشائحها * كما يجاذب عــودَ القينة الوتر (٣)

٥ بيضاء تعشو بها الأبصار إن برزت * في الحج ليـلة إحدى عشرة القمر (٤)

ألا رســول إذا بانت يبلغها * عنـا وإن لم تؤلّف بيننا المِرر (٥)

أني ــ بأية وجد قــد ظفرتِ به * مني ولم يك في وجدي بكم ظفــر

ــ قتيلُ يومَ تلاقَينا وأن دمى * عنها وعمن أجارت من دمى هدر (٦)

تقضين فيَّ ولا أقضي عليـك كما * يقضي المليك على المـلوك يقتسر

١٠ إن كان ذا قَدَرا يعطيك نافـلة * منـا ويحرمنا، ما أنصف القدر (٧)

ندمه على طلاقه زوجته العدوانية

أخبرني عيسى بن الحسين، قال: حدّثنا الزبير، قال: حدّثني سليمان بن عياش، قال:

---

(١) المفاغر: جمع مفغر: مشق الفم؛ يريد الشفتين. والأشر: حدة ورقة في أطراف الأسنان.

(٢) المجاسد: جمع مجسد، وهو الثوب يلي الجسد. والفعمات: الممتلئات. والمؤتزر: موضع الإزار.

١٥ (٣) الوشائح: جمع الوشاح، وهو حلي للنساء ينسج من أديم عريضا، ويرصع بالجواهر، وتشده المرأة بين عاتقها وكشحيها. وفي مب: في تنسمها. وحنت: صوّت.

(٤) ف: تعشو بها ... كمثل ليلة إحدى عشرة. يقول: تتطلع إليها الأبصار كما تتطلع أبصار الحاج إلى القمر ليلة إحدى عشرة من ذي الحجة في منى.

(٥) لم تؤلف: كذا في ف، مب. وفي سائر النسخ: تمس يؤلف. تحريف. والمرر: جمع

٢٠ مرة: وهي طاقة الحبـل وقوته. يريد وإن لم تربط بيننا أسباب الحب المتينة. وفي سائر النسـخ: المزر. تحريف.

(٦) هذا البيت والذي قبله ساقطان من جميع الأصول ما عدا ف، مب.

(٧) ف، مب: ويعجزنا.

كان الخارجىّ قدم البصرة ، فتزوّج بها امرأة من عَدْوان ، كانت موسرة ، فأقام عندها بالبصرة مدة ، ثم توخّم[1] البصرة ، فطالبها[2] بأن ترحل معـه إلى الحجاز ، فقالت : ما أنا بتـاركة مالى وضيعتى ههنا تذهب وتضيع ، وأمضىَ معك إلى بلد الجدب والفقر والضيق ، فإما أن أقمتَ هاهنا أو طلقتنى . فطلقها وخرج إلى الحجاز ، ثم ندم وتذكرها ، فقال :

دامت[3] لعينـــكَ عَبرة وسُجـــوم * وثـــوت بقلبكَ زَفـــرة وهُمومُ

طيف لزينب ما يزال مؤرق * بعـــد الهدوّ فما يكاد يَريم

وإذا تعرض فى المنام خيالها * نكأ الفـــؤادَ خيالُهـا المحلوم

أجعلتِ ذنبك ذنبـــه وظلمته * عنـــد التحاكم والمُـــدِل ظلومُ

ولئن تجنيتِ الذنوب فإنه * ذو الداء يَعْـذِر والصحيح يلوم

ولقـد أراكِ غداة بنتِ وعهدُكم * فى الوصـل لاحَرج ولا مذموم

أضحت تُحَكمك التجارب والنهى * عنـــه ، ويُكْلِفه بك التحكيم

صـــوت[4]

بَرَأَ الألى علِقوا الحبائل قبـــله * فنجَوا وأصبح فى الوَثاق يهـيم

ولقـد أردت الصبر عنك فعاقنى * عَلَق بقلبى منْ هواك قـــديم

ضعفت[5] معاهد حبهن مع الصبا * ومع الشباب فبِن وهو مقـــيم

(١) ف ، مب : استوخم . وهما بمعنى ، أى لم يوافقه هواؤها .

(٢) كذا فى ف ، مب . وفى سائر الأصول : فطلبها .

(٣) ف ، مب : باتت لعينك .

(٤) كلمة صوت فى ف ، مب بعد البيت الذى تحتها .

(٥) هذا البيت فى ف متأخر بعد الذى يليه .

يبقى على حدث الزمان وريبــه * وعلى جفـائك إنه لكريم
وجنيتِ حين صَحَحْتِ وهو بدائه * شـتان ذاك مصحَّحٌ وسـقيم (١)
وأَدَيْتِــه زمنـا فعـاذ بحلمـه * إن المحب عن الحبيب حليم (٢)
وزعمت أنك تبخلين وشـقُّه * شـوق إليك، وإن بخلت، أليم

١٥٧ / ١٤

٥ غنى فى هـذه الأبيات الدارمِى خفيفَ رمل بالوسطى عن الهشامى؛ وفيه لعَريب خفيفُ ثقيلٍ مطلق، وهو الذى يغنى الآن، ويتعارفه الناس .

يرثى أبا عبيدة بن عبد الله بن زمعة

أخبرنى عيسى بن الحسين ، قال : حدّثنـا الزبير ، قال : حدّثنى سـليمان ابن عياش السعدى ، قال :

كان الخارجى منقطعا إلى أبى عبيـدة بن عبد الله بن زمعـة ، وكان يكفيه ١٠ مؤونته، ويُفضِل عليه، ويعطيه فى كل سنة مايكفيه ويُغنيه، ويغنى قومه وعياله، من البُرّ والتمر والكسوة فى الشتاء والصيف، ويُقطعه القطعة بعد القطعة من إبله وغنمه، وكان منقطعا إليه وإلى زيد بن الحسن، وابنه الحسن بن زيد، وكلهم به برّ، وإليه محسن. فمات أبو عبيدة، وكان ينزل الفَرْش من مَلَل، وكان الخارجى ينزل الروحاء، فقال يرثيه :

١٥ ألا أيها الناعى ابن زينب غدوة * نعيت الندى دارت عليه الدوائر (٣)
لعمرى لقد أمسى قِرى الضيف عاتما (٤) * بذى الفَرْش لمـا غيبتك المقـابر

(١) ف، مب : وعتبت بصيغة المتكلم .
(٢) أديتــه : يريد ختلته . وهى رواية م . وفى مب : « وأربته ريبا » . وفى سائر النسخ : أذيته . والبيت ساقط من ف . (٣) عليه : كذا فى ف . وفى سائر الأصول : عليك .
٢٠ (٤) عاتما : بطيئا مؤخرا . وانظر بعض هذه الأبيات فى معجم ما استعجم للبكرى فى رسم (ملل) .

إذا سوفوا نادَوا صـداك ودونه * صـفيح وخَوّار من الترب مائرُ

ينـادون من أمسى تَقَطَّعُ دونه * من البعد أنفاس الصدور الزوافر

فقومى اضربى عينيك ياهند لن تَرَى * أبا مثـله تسـمو إليـه المفاخرُ

قال الزبير : فحدّثنى سليمان بن عياش، قال :

كانت هند بنت أبى عبيدة عند عبد الله بن حسن بن حسن، فلما مات أبوها جزعت عليه جزعا شديدا ، ووجدت وجدا عظيما ، فكلم عبد الله بن الحسن محمد ابن بشير الخارجىّ أن يدخل إليها ، فيعزيها ويسليها[1] عن أبيها، فدخل إليها معه . فلما نظر إليها صاح بأعلى صوته :

قومى اضربى عينيك ياهند لن تَرَىْ * أبا مثـله تسـمو إليـه المفاخر

وكنتِ إذا فاخرتِ أسميتِ والدا * يزين كما زان اليـدينِ الأساور

فإن تُعْوِلِيه يشفِ يوما عويلُه * غليلَك أو يعـذرك بالنـوح عاذر

وتحزنك ليلات طوال وقد مضت * بذى الفرش ليـلات تسر قصائر

فلقاه رب يغفر الذنب رحمـة * إذا بُلِيت يوم الحساب السرائر

إذا ما ابن زاد الركب[2] لم يمسِ ليلة * قفا صـفِرٍ لم يقرب الفَرشَ زائر

لقـد علم الأقوام أن بنـاته * صـوادقُ إذ يندبنـه وقواصر

---

(١) ف ، سب : ويؤسيها . والأبيات التالية متصلة بسابقتها .

(٢) زاد الركب هنا زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد جد أبى عبيدة . وأزواد الركب : لقب ثلاثة من قريش : مسافر بن أبى عمرو ، وأبو أمية بن المغيرة ، وزمعة هذا ، لقبوهم بذلك لأنهم لم يكن يتزود معهم أحد فى سفر : يطعمونه ويكفونه الزاد ويغنونه . وصفر : جبل أحمر كريم المغرس بالفرش . والفرش : موضع بين المدينة وملل ، يقال له فرش ملل . والبيت ساقط من الأصول ما عدا ف ، سب .

قال : فقامت هند ، فصكت وجهها وعينها ، وصاحت بويلها وحَرَبها ، والخارجيّ يبكي معها ، حتى لقيا جهدا ، فقال له عبد الله بن الحسن : ألهذا دعوتك ويحك ؟ فقال له : أفظننت أني أعزيها عن أبي عبيدة ؟ والله ما يسليني عنه أحد ، ولا لي عنه ولا عن فقده صبر ، فكيف يسليها عنه من ليس يسلو بعده ! (١)

٥ أخبرني عيسى ، قال : حدّثني الزبير ، قال : حدّثني سليمان بن عياش ، قال :

قوله يذم من مطله ويمدح زيد بن الحسن

وعد رجل محمد بن بشير الخارجيّ بقلوص ، فمطله ، فقال فيه يذمه ، ويمدح زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام :

لعلك والموعود حق وفاؤه * بدا لك في تلك القلوص بَدَاءُ (٢)

١٠ فإن الذي ألقى إذا قال قائل * من الناس : هل أحسستها لعناء (٣)

١٥٨/١٤

يقول الذي يبدي الشّماتَ وقوله * عليّ وإشمات العدوّ سواء (٤)

دعوتُ وقد أخلفتني الوعد دعوة (٥) * بزيد فلم يَضْلِل هناك دعاء

بأبيض مثل البدر عظّم حقه * رجال مِنَ ال المصطفى ونساء (٦)

---

(١) ف ، مب : ولا لي عزاء عن فقده ، فكيف ... ليس يسلوه .

١٥ (٢) في الأصول ماعدا س ، مب : (تعلل) في موضع (لعلك) . وفي الخزانة وكتب شواهد النحو : حق لقاؤه . وفي ف ، مب : ذاك القلوص .

(٣) هل أحسستها لعناء : كذا في ف ، مب . وخزانة الأدب (٤ : ٣٧) نقلا عن الأغاني . وفي سائر الأصول : هل للواعدين وفاء .

(٤) رواية الشطر الثاني في ب ، س : « عليّ به بين الأنام عناء » .

٢٠ (٥) الوعد : كذا في ف والخزانة . وفي سائر النسخ : الوأى . وهو بمعنى الوعد .

(٦) هذا البيت عن ف ، مب ، والخزانة .

فبلغت الأبيات زيد بن الحسن، فبعث إليه بقَلوص من خيار إبله، فقال يمدحه:

إذا نزل ابن المصطفى بطن تَلْعة * نفى جدبها واخضر بالنبت عودها

وزيد ربيع الناس فى كل شَتْوة * إذا أخلفت أنواؤها ورعودها

حمول لأشناق الديات كأنه * سراج الدجى إذ قارنته سعودها

يبكى سليمان بن الحصين

أخبرنى عيسى، قال: حدّثنى الزبير، قال: حدّثنى سليمان بن عياش، قال: ٥

نظر الخارجىّ إلى نعش سليمان بن الحصين وقد أُخرج، فهتف بهم، فقال:

ألم تروا أن فتًى سيدًا * راح على نعش بنى مالك

لا أنفَسُ العيش لمَن بعده * وأنفَس الهُلك على الهالك

وقال فيه أيضا:

ألا أيها الباكى أخاه وإنما * تفرّق يوم الفدفد الأخوانِ[1] ١٠

أخى يوم أحجار الثُّمام[2] بكيته * ولو حُمّ يومِى قبله لبكانى

تداعت به أيامه فاخترمنه * وأبقين لى شجوا بكل زمانٍ[3]

فليت الذى ينعَى سليمان غُدوة * بكى عند قبرى مثلها ونعانى[4]

فلو قسمت فى الجن والإنس لوعتى * عليه بكى من حرّها الثقلان

ولو كانت الأيام تطلب فِدية * إليه وصرف الدهر ما ألْوانى[5] ١٥

---

(١) كذا روى الشطر الثانى فى ف، مب. وفى سائر النسخ: يبكى بيوم الفدية الأخوان.

(٢) كذا فى ف، مب. وفى سائر الأصول: اليمامّ. ويعرف أيضا: بصخيرات الثمام. وهو موضع على طريق مكة من المدينة.

(٣) ف، مب: مكان. (٤) ف، مب: دعا عند قبرى مثله فنعانى.

(٥) كذا روى الشطر الثانى فى ف، مب. وفى سائر الأصول: وقاه صروف الدهر بى وفدانى. ٢٠

أرجوزة له في المولى الصائد

أخبرني عيسى، قال: حدّثنا الزبير، قال: حدّثنا سليمان بن عياش، قال: خرج محمد بن بشير يرمي الأرْوَى ومعه جماعة، فيهم رجل من الموالي من أهل السّيالة(١)، فصعد المولى على صفاة بيضاء يرمي من فوقها، فزلت قدمه عنها، فصاح حتى سقط على الأرض، وأحدث في ثيابه، فقال الخارجيّ في ذلك:

٥ حُرِّق يا صَفاة في ذُراك * بالنارِ إن لم تمنعي أَرْواك(٢)

تَعلّمي أن بذي الأَراك * — أيتها الأَرْوى — ذوي عِراك(٣)

قوماً أَعَدُّوا شَبَكَ الشِّباك * يبغون ضَبْعاً قتلت أباك(٤)

نعْم مُلَوَّى الحَيَدِ المَداك(٥) * إذ صوت الجالب في أخراك(٦)

ولم يقل متصبحاً: إياك * بين مقاطيها ركبتِ فاك(٧)

١٠ فَعُدتِ والطعن على كُلاك * مثل الأضاحي بيد النساك

يُرْمَى بالأكتاف على الأوراك * كما أطحتِ العبد عن صفاك

أما السَّيالِيّ(٨) فلن ينساك * لو يرتميك الناس ما رماك(٩)

---

(١) السيالة: كذا في ف، مب. وسيأتي تفسيرها قريبا. وفي بقية الأصول: البادية.

(٢) جاء هذا الرجز محرفا في الأصول كلها مخطوطة ومطبوعة، كما اضطرب ترتيبه فيها، بحيث غمض ١٥ معناه، واعتمدنا فيه على مب. وهي أقلها تحريفا. والذرا: جمع الذروة، وهي أعلى الشيء المرتفع.

(٣) ذوي عراك: كناية عن نفسه وصحبه من أهل الصيد.

(٤) كذا روى البيت في مب. وفي جميع الأصول: قوما أعدوا نسك النساك. وسقط البيت والذي بعده من ف. (٥) البيت عن ف، مب. والحيد: جمع حيدة، كبدرة وبدر، وهي ما تلوى من الأنابيب في قرن الوعل. والمداك: الحجر يسحق عليه الطيب. شبه قرن الأروية به.

٢٠ (٦) الجالب: الصائح ذو الجلبة. وفي بعض الأصول: الحالب. ولعله تحريف.

(٧) المقاطي: جمع مقطى، وهو موضع القطاة: أي العجز.

(٨) السيالي: يريد المولى الذي سقط، وهو منسوب إلى السيالة، وهي قرية جامعة على الطريق من المدينة إلى مكة، بينها وبين ملل سبعة أميال، وبينها وبين الروحاء التي كان ينزلها الشاعر اثنا عشر ميلا، وهي لولد الحسن بن علي الذي مدح الشاعر ابنه زيدا.

٢٥ (٩) رماك: كذا في ف، وفي سائر الأصول: ارتماك.

يعاتب زوجته

أخبرنى عيسى، قال : حدّثنا الزبير، قال : حدّثنا سليمان بن عياش، قال:
كانت عنـد الخارجىّ بنت عم له ، فهجاه بعض قرابتها ، فأجابه الخارجىّ ، فغضبت زوجته ، وقالت : هجوت قرابتى . فقال الخارجىّ فى ذلك :

١٥٩ / ١٤

أمّا ما أقـول لهم فعابَتْ * علىّ وقـد هُجيت فما تعيب
فرمت وقد بدا لى ذاك منها * لأهجوها فيمنعنى النسيب (١)
فـلا قلب يبصِّر كل ذنب * ولا راض بغير رضا، غَضُوبُ (٢)

أخبرنى الحسن بن على قال : حدّثنا أحمد بن زهير قال : حدّثنى مصعب قال : وحدّثنى الزبير عن سليمان بن عياش، قالا :

أسنت زوجته فتزوج أخرى

تزوج الخارجىّ جارية من بنى ليث شابة، وقد أسنّ وأسنت زوجته العَدوانية، فضربت دونه حجابا ، وتوارت عنه، ودعت نسوة من عشيرتها، فجلسن عندها، يلهون و يتغنّين و يضربن بالدفوف ، وعرف ذلك محمد فقال :

لئن عانسٌ قد شاب ما بين قَرْنها * إلى كعبها وابيضّ عنها شبابُها (٣)
صَبَتْ فى طلاب اللهو يوما وعَلّقتْ * حجابا لقد كانت يَسيرا حجابُها
لقد مُتِّعت بالعيش حتى تشعّبتْ (٤) * من اللهو إذ لا ينكر اللهوَ بابُها

(١) كذا فى ف ، مب . وفى سائر الأصول : فيغلبنى .
(٢) يبصر : كذا فى ف ، مب . وفى سائر النسخ : أضر بكل ذنب . تحريف .
(٣) ابيض شبابها : يريد ابيض شعرها ، وهذه رواية ف . وفى سائر الأصول : امتص .
(٤) فى ف : لقد متعت بالعيش حتى تمتعت ... من العيش . وفى سائر الأصول :
* لئن متعت بالعين حتى تشعبت *
ومعنى تشعبت من اللهـو : تغيرت أخلاقها . وربما كانت تشعبت محرفة عن تشبثت باللين ، أو عن تشبعت .

فيبني برغمٍ ثم ظَلِّ فربما * ثوى الرغم منها حيث يثوى نقابها (١)

لبيضاءَ لم تُنسَبْ لجـدٍّ يَعيبها (٢) * هجانٍ ولم تنبَحْ لئيما كلابها

تأوَّدُ فى المَشى كأنّ قناعَها * على ظبيـة أدْماءَ طابَ شبابها

مُهفهفة الأعطافِ خَفّاقة الحَشَى * جميل محيّاها قليلٍ عِتابها

٥ إذا ما دعتْ بابنى نِزار وقارَعَتْ * ذَوِى المجد لم يُرْدد عليها انتسابها (٣)

استعطف إبراهيم ابن هشام المخزومى فوصله

حدّثنا الحسن بن على قال: حدّثنا أحمد بن زهير قال: حدّثنا الزبير بن بكار قال: حدّثنى عمى عن الضحاك بن عثمان، قال:

لما ولى إبراهيم بن هشام الحرَمين، دخل إليه محمد بن بشير الخارجيّ، وكان له قبل ذلك صديقا. فأعرض عنه، ولم يظهر له بشاشة ولا أنسا. ثم عاوده فاستأذنه

١٠ فى الإنشاد، فأعرض عنه، وأخرجه الحاجب من داره، وكان إبراهيم بن هشام تياها، شديد الذهاب بنفسه، فوقف له يوم الجمعة على طريقه إلى المسجد، فلما حاذاه صاح به:

يابن الهشامَيْن طُرًّا حُزت مجدَهما * وما تَخَوّنه نقضٌ وإمرارُ

لا تُشمِتَنّ بى الأعداءَ إنهمُ * بينى وبينك سُمّاع ونُظّار

١٥ وإن شكرِىَ إنْ رُدُّوا بغيظهمُ * فى ذمة الله إعلانٌ وإسرار (٤)

فاكْرر بنائلك المحمود مِنْ سعة * علىّ إنك بالمعروف كرّار

(١) ثم ظلى: يريد: بينى بذل وابق به. وفى جميع الأصول: طلى، بالطاء، ولا معنى له هنا.

(٢) ف: يشينها. وقوله لبيضاء، أى لأجل حبى بيضاء.

(٣) رواية البيت فى ف، مب:

٢٠ إذا ما دعت يابنى نزار ونازعت * ذرا المجد لم يردد عليها انتسابها

(٤) البيت عن ف، مب.

فقال لحاجبه : قل له يرجعْ إلىّ إذا عُدْت . فرجع، فأدخله إليه ، وقضى دينه ، وكساه ووصله ، وعاد إلى ما عهده منه .

ردّه على شعر لعروة ابن أذينة

أخبرنى الحسن قال : حدّثنا أحمد بن زهير، قال : حدّثنى مصعب عن أبيه قال :

٥

عَثَر بعُروة بن أُذَينة حمارُه عند ثنية العُوَيقل[1] ، فقال عروة :

ليتَ العُوَيْقلَ مسدودٌ وأَصبحَ من * فوق الثنيةِ فيه رَدمُ يأجوجِ[2]

فتستريحَ ذوو الحاجات من غَلَظ * ويَسْلُكَ السهلَ يمشِى كلُّ مَتْوجِ[3]

ففال محمد بن بشير الخارجىّ يردّ عليه :

سبحانَ ربك تب ممّا أتيتَ به * ما يسدُدِ اللهُ يُصبحْ وهو مرتوجُ

١٠

وهل يُسدّ ولِلحُجّاج فيه إذا * ما أصعدوا فيه تكبير وتلْجيج[4]

١٦٠/١٤

ما زال منذُ أذلّ[5] اللهُ مَوطئَه * ومنذ آذَنَ أنّ البيت محْجوج

يهدِى له الوفدَ وفدَ الله مَطْربة[6] * كأنه شُطَب بالقِدّ منسوج

---

(١) العويقل : نقب فى موضع يقال له الجياء بين شسويلة والحورة ، ومن أودية الحورة هذه راد يزع فى الفقارة ، سكانه بنو عبد الله بن الحصين الأسلميون والخارجيون رهط الشاعر .

١٥

(٢) ف : مأجوج . وفى معجم ما استعجم للبكرى ، (ردم الأشعر) :

ليت العويقل سدبه بجمّها * ذات الجياء عليه ردم مأجوج

(٣) المتوج : المولود . وفى معجم البكرى :

* ويسلكوا السهل ممشى كل متوج *

(٤) فى معجم ما استعجم للبكرى :

٢٠

وكيف يوثقه سدا وهم لهم * لبيك لبيك تكبير وتشبيج

(٥) كذا فى ف ، مب . وفى معجم البكرى : أذال .

(٦) المطربة : الطريق الضيق فى الجبل ، لا يكون إلا به أو بالحرة .

خل الطريق إليها إن زائرها * والساكنين بها الشمُّ الأباليج[١]

لا يسدُد الله نَقبا كان يسلكه ال * بيض البهاليل والعُوج العَناجيج[٢]

لو سدَّه الله يوما ثم عَجَّ له * من يسلك النقبَ أمسى وهو مفروج

قوله يعاتب أخاه بشارا

أخبرني الحسن قال : حدّثنا أحمد بن زهير، قال : حدّثنا مصعب، قال :

٥ كان للخارجيّ أخ يقال له بَشّار بن بشير، وكان يجالس[٣] أعداءه، ويعاشر من يعلم أنه مُباين له . وفيه يقول :

وإني قد نَصَحْت فلم تُصدِّق * بنصحي واعتددتُ فما تبالي[٤]

وإني قد بدا لىَ أنَّ نُصحي * لغيبكَ واعتدادي في ضلال

فكمْ هذا أذودُك عن قِطاعي * كتذويد المحلَّأة النِّهال

١٠ فلا تبغِ الذنوب عليَّ واقصِدْ * لأمرِكَ من قِطاع أو وصال

فسوف أرى خلالكَ مَنْ تُصافي * إذا فارقتني وترى خِلالي[٥]

وإن جزاءَ عهدِك إذْ تَوَلَّى * بأن أغضي وأسكتَ لا أبالي[٦]

(١) الأباليج : جمع أبلج ، وهو الأبيض النقي الوجه . ورواية البيت في معجم البكري :

خلوا الطريق إليه إن زائره * والساكنين به الشم الأباليج

١٥ (٢) البهاليل : جمع بهلول ، وهو السيد . والعوج : جمع عوجاء ، وهي الناقة الضامرة . والعناجيج : جمع عنجوج ، وهي النجيبة ، أو الطويلة العنق .

(٣) ف : يخالط . (٤) كذا روى البيت في ف ، مب . وفي سائر الأصول :

* واعتذرت فلم يبال *

(٥) الخلال : المخالة والمصادقة . يريد سأرى أصدقاءك الذين ستصافيهم حين نفترق ، وسترى

٢٠ أصدقائي . وفي ف : من تصابي .

(٦) يريد أني أكافئك على قطعك عهد الأخوة ، بنسياني إياك ، وعدم مبالاتي بك . ورواية البيت هذه عن ف ، مب . وفي سائر الأصول :

وإنك تستريح إذا تولى * بأن أعصي وأسكت لا أبالي

قوله فى زوجته سعدى

أخبرنى عيسى بن الحسين قال : حدّثنا الزبير بن بكار، قال : حدّثنا سليمان ابن عياش، قال :

كان الخارجىّ معجبا بزوجه سُعدَى، وكانت من أسوأ الناس خُلقا، وأشدّه على عشير، فكان يلقَى منها عَنَتا[1] . فغاضبها يوما لقول آذته به، واعتزلها ، وانتقل إلى زوجته الأخرى ، فأقام عندها ثلاثا . ثم اشتاق إلى سُعدى ، وتذكرها ، وبدا له فى الرجوع إلى بيتها ، فتحوّل إليها ، وقال :

أرانِى إذا غالبتُ بالصبر حُبَّها * أبى الصبرُ ما ألقى بسُعدَى فأُغلَبُ

وقد علمَتْ عند التعاتب أننا * إذا ظَلَمَتْنا[2] أو ظَلَمنا سنُعتِب

وإنّى وإن لم أجنِ ذنبا سأبتغِى * رضاها وأعفو ذنبَها حين تذنب

وإنى وإن أنّبتُ فيها يزيدنى * بها عَجَبا من كان فيها يؤنب

أخبرنى عيسى قال : حدّثنا الزبير قال : حدّثنا سليمان بن عياش قال :

كان بشار بن بشير أخو محمد بن بشير يعاديه، ويجالس أعداءه[3] . فقال الخارجىّ فيه :

قوله يعاتب أخاه أيضا

كفانى الذى ضيّعتَ منى وإنما * يُضيعُ الحقوقَ[4] ظالما من أضاعَها

صنيعةَ من وَلّاكَ سوءَ صنيعها * وولى سواكَ أجرَها واصطناعَها

أبى لك كسبَ الخير رأىٌ مُقَصِّرٌ * ونفس أضاق الله بالخير باعها

إذا هى حثّته على الخير مرّةً * عصاها وإن همت بشر[5] أطاعها

(١) كذا فى ف، مب . وفى بقية الأصول : عليه غيرة .

(٢) كذا فى ف، مب . وفى بقية الأصول : ما ظلمنا .

(٣) كذا فى ف . وفى سائر الأصول : ويهجوه .

(٤) ف، مب : يضيع حقوقا . (٥) ف : بسوء .

فلولا رجالٌ كاشحون يَسُرُّهم * أذاكَ، وقُرْبَى لا أحبُّ انقطاعَها

إذا بان إن زلَّتْ بك النعلُ زلّةً * فراقُ خِلالٍ لا تُطيق ارتجاعها (١)

وأنى متى أُحْمَل على ذاك أطَّلِعْ * عليك عيوبا لا أحبُّ اطلاعها (٢)

فإنْ تك أحلامٌ تردُّ إخاءنا * علينا فمن هذا يردُّ سماعها

سأنهاك نهيا مُجْمِلا وقصائدا * نواصح تشفى من شئون صُداعها (٣)

ومن يجتلب نحوى القصائد يجتلب * قِراهُ ويتبع من يُحِبُّ اتباعَها (٤)

إذا ما الفتى ذو اللب حلت قصائد * إليه فَيَخْلِ للقوافي رباعَها (٥)

١٦١ / ١٤

قوله يرثى زيد ابن حسن

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال: حدثنا الزبير قال: حدثنا سليمان ابن عياش قال:

لما دفن زيد بن حسن وانصرف الناس عن قبره، جاء محمد بن بشير إلى الحسن بن زيد، وعنده بنو هاشم ووجوه قريش يعزونه، فأخذ بعضادتى الباب، وقال:

أعينىَّ جودا بالدموع وأسعدا * بنى رحِم ما كان زيدٌ يُهينُها

(١) فى ف، مب: إذا بان ... فراق خلال. وترتيبه فى غيرف بعد: فلولا رجال ... الخ.

(٢) اطلع عليك عيوبا: أعلمها. وجاء هذا البيت فى ف بعد «فلولا رجال».

(٣) وقصائدا: يريد وأبعث قصائد. والشئون جمع شأن، وهى مواصل عظام الرأس وملتقاها. ورواية الشطر الثانى من البيت فى ف:

* نواضح تسق من شئون ضباعها *

(٤) ف: جزاه. (٥) رواية الشطر الثانى فى ف، مب:

* به فتحلى للقوافى رباعها *

ولعله محرف عما أثبتناه، بتقدير جزمه بلام الأمر المحذوفة. يقول لأخيه:

إذا كانت حالك تتطلب أن أعظك وأذكرك بقصائد زاجرة، فعليك أن تفهم قولى، وتنزل أشعارى منازلها اللائقة بها.

ولا زيدَ إلا أن يجود بعَبرة * على القبر شاكى نكبة يستكينها(١)
وما كنتَ تلقى وجهَ زيد ببلدة * من الأرض إلا وجهُ زيد يزينها
لعمر أبى الناعى لعمَّتْ مصيبةٌ * على الناس واختصت قُصَيًّا رَصينها(٢)
وأنَّى لنا أمثالُ زيد وجَدُّه * مبلِّغُ آيات الهدَى وأمينُها(٣)
وكان حَليفيه السماحةُ والنَّدى * فقد فارق الدنيا نداها ولينها ٥
غدت غُدْوةً ترمِى لُؤىَّ بن غالب * بجَعد الثَّرى فوق امرئٍ ما يَشينها
أغرُّ بِطاحِىٌّ بكت من فراقه * عُكاظُ فبطحاء الصفا فحَجونها
فقل للتى يعلو على الناس صوتُها * ألا لا أعان الله مَنْ لا يُعينها(٤)
وأرملةٍ تبكى وقد شُقّ جيبُها * عليه فآبت وهى شُعْث قرونها(٥)
ولو فقِهت ما يفقه الناسُ أصبحت * خواشعَ أعلامُ الفَلاة وعِينها(٦) ١٠
نعاه لنا الناعى فظَلنا كأننا * نرى الأرضَ فيها آيةٌ حانَ حِينها
وزالت بنا أقدامنا وتقلبتْ * ظهورُ روابيها بنا وبطونها(٧)
وآب ذوُو الألباب منا كأنما * يرون شمالا فارقتها يمينها(٨)
سقى الله سُقْيا رحمةٍ تُربَ حُفرة * مقيم على زيد ثراها وطينها

قال : فما رُؤى يوم كان أكثر باكيا من يومئذ(٩) . ١٥

---

(١) يستكينها : يخضع لها و يذل . يقول : ذهب زيد فلا يعرف قدره إلا من أصابه نكبة شديدة ، فلم يجد من يعينه ، فوقف على قبره يبكيه . (٢) الرصين هنا : المصيبة الثقيلة .
(٣) ف : ومبينها . (٤) كذا فى ف . وفى سائر الأصول : به . (٥) البيت عن ف ، مب . (٦) كذا فى ف ، مب . وفى سائر الأصول : فهمت . وأعلام الفلاة : جبالها . والعين : جمع عيناء ، أى واسعة العين ، يريد بقر الوحش . (٧) ف : روابينا . ٢٠
(٨) ف ، مب : أولو . (٩) جاءت هذه العبارة بصور مختلفة فى الأصول ، فرتبناها على هذه الصورة ، لأنها أوضح .

قـوله فى بنت عم له تزوجها واستخفت به

اخبرنى محمد بن خلف بن المَرْزُبان قال: حدّثنا أحمد بن الهيثم بن فِراس قال: حدّثنى العُمَرى عن لقيط، قال:

كان محمد بن بشير الخارجىّ من أهل المدينة، وكانت له بنت عم سَرِيّة جميلة، قد خطبها غير واحد من سَرَوات قريش، فلم ترضه. فقال لأبيه: زوّجنيها. فقال له: كيف أزوجكها وقد ردّ عمك عنها أشرافَ قريش. فذهب إلى عمه فخطبها إليه، فوعده بذلك، وقرّب منه. فمضى محمد إلى أبيه فأخبره، فقال له: ما أراه يفعل. ثم عاوده، فزوجه إياها. فغضبت الجارية، وقالت له: خطبنى إليك أشرفُ قريش فرددتهم، وزوجتنى هذا الغلام الفقير؟ فقال لها: هو ابن عمك، وأولى الناس بك. فلما بنى بها جعلت تستخف به وتستخدمه، وتبعثه فى غنمها مرة، وإلى نخلها أخرى. فلما رأى ذلك من فعلها قال شعرا، ثم خلا فى بيت يترنم به ويُسمعها، وهـو:

تثاقلتِ أن كُنتُ ابنَ عمٍ نكحتِه * فملتِ وقد يُشْفَى ذوو الرأى بالعَذْلِ

فإنك إلّا تتركى بعضَ ما أرى * تُنازِعْكِ أخرى كالقَرينة فى الحبلِ

تَلُزُّك[1] ما اسطاعت إذا كان قَسْمُها * كقَسْمِك حَقّا فى التِّلاد وفى البعْلِ

متى تحملِيها منك يوما[2] لحالة * فتتبعَها تحملْك منها على مِثْلِ

قال: فصلَحت، ولم يرَ منها بعد ما سمعت شيئا يكرهه.

(١) تلزك: تلتصق بك وتضايقك.

(٢) ف، مب: يوما.

صــــوت

علامَ هَجرتِ ولم تُهْجَـرِى * ومثلكِ فى الهجر لم يُعـذَرِ
قطعتِ حبالَكِ من شادنٍ * أغنَّ قَطوفِ الخُطا أَحْوَرِ[1]

الشعر لسُدَيف مولى بنى هاشم : والغناء لأبى العُبَيس[2] بن حمدون . خفيف ثقيل بالسبابة والوسطى .

٥

(١) ف ، مب : أغر .

(٢) كذا فى معجم الأدباء لياقوت . وفى ف : لأبى العبيس . وفى سائر النسخ : لأبى العبس ، والصواب ما أثبتناه .

ذكر سُدَيف وأخباره (١)

اسمه ونسبه وولاؤه لبنى هاشم

هو سُديف بن ميمون مولى خزاعة . وكان سبب ادعائه ولاء بنى هاشم أنه تزوج مَوْلاة لآل أبى لَهَب ، فادعى ولاءهم ، ودخل فى جملة مَواليهم على الأيام . وقيل : بل أبوه هو كان المتزوج مولاة اللَّهَبيين ، فولدت منه سُدَيفا . فلما يَفَع ، وقال الشعر ، وعُرف بالبيان وحسن العارضة ، ادّعى الولاء فى موالى أبيه ، فغلبوا عليه .

حجازى متعصب لبنى هاشم

وسُديف شاعر مُقِلّ ، من شعراء الحجاز ، ومن مخضرمى الدولتين ، وكان شديد التعصّب لبنى هاشم ، مظهرا لذلك فى أيام بنى أمية . فكان يخرج إلى أحجار صفًا فى ظهر مكة ، يقال لها صُفِيّ السِّباب (٢) ، ويخرج مولى لبنى أمية معه يقال له سَبّاب ، فيتسابان ويتشاتمان ، ويذكران المثالب والمعايب ، ويخرج معهما من سفهاء الفريقين من يتعصب لهذا ولهذا . فلا يبرحون حتى تكون بينهم الجراح والشِّجاج ، ويخرج السلطان إليهم فيفرقهم ، ويعاقب الجناة . فلم تزل تلك العصبية بمكة حتى شاعت فى العامة والسِّفلة . فكانوا صنفين ، يقال لها السُّدَيفية والسَّبّابية (٣) ، طول أيام بنى أمية . ثم انقطع ذلك فى أيام بنى هاشم ، وصارت العصبية بمكة فى الحناطين والجزّارين (٤) .

بينه وبين أبى جعفر المنصور وقد سمع قصيدة له

أخبرنى عمر بن عبيد الله بن جميل العَتَكى (٥) ، وأحمد بن عبد العزيز الجوهرى ، قالا : حدّثنا عمر بن شَبّة قال : حدّثنى فُلَيح بن إسماعيل قال :

(١) ف : أخبار سديف . (٢) ف ، مب : سبب . (٣) ف ، مب : المبلية .
(٤) ف : المرازين ، صناع الحرير . (٥) ف : بن مثل .

قال سُديف قصيدة يذكر فيها أمر بنى حسن بن حسن[١]، وأنشدها المنصور بعد قتله لمحمد بن عبد الله بن حسن . فلما أتى على هذا البيت :

يا سوءتا للقوم لا كَفُّوا ولا * إذ حاربوا كانوا من الأحرار

فقال له المنصور : أتحضهم[٢] علىّ يا سُديف ؟ فقال : لا ، ولكنى أؤنبهم يا أمير المؤمنين .

وذكر ابن المعتز أن العَوْفىّ حدّثه عن أحمد بن إبراهيم الرياحىّ قال :

إنكار بعض بنى عبد الدار انتسابه إلى قريش

سلّم سُديف بن ميمون يوما على رجل من بنى عبد الدار . فقال له العبدرىّ : من أنت يا هذا؟ قال : أنا رجل من قومك، أنا سُدَيف بن ميمون. فقال له : والله ما فى قومى سُدَيف ولا ميمون . قال : صدقت، لا والله ما كان قطُّ فيهم ميمون ولا مبارك .

١٦٣ / ١٤

صـــوت

لعمرُك إننى لأحب دارا * تكون بها سُكينة والرَّبابُ

أحبهما وأبذل جُلَّ مالى * وليس لعاتب عندى عتاب

الشعر للحسين بن علىّ بن أبى طالب عليهما السلام . والغناء لابن سريج : رَمَل بالبنصر . وفيه للهذلى ثقيل أول بالسبابة ، فى مجرى الوسطى، عن إسحاق .

(١) زادت ف، مب هنا كلمة : ونخرجهم .

(٢) ف، مب : أتحرضهم .

أخبار الحسين بن على ونسبه (١)

اسم الحسين ونسبه

الحسين بن علىّ بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصَىّ ابن كِلاب بن مُرّة بن كعب بن لُؤَىّ بن غالب . وقد تكرر (٢) هذا النسب فى عدّة مواضعَ من هذا الكتاب . واسم أبى طالب : عبد مناف ، واسم عبد المطلب : شَيْبة ، واسم هاشم : عمرو . وأم علىّ بن أبى طالب فاطمة بنت أسد بن هاشم ابن عبد مناف . وكانت أول هاشمية تزوّجها هاشمى ، وهى أم سائر ولد أبى طالب .

وأم الحسين بن علىّ بن أبى طالب : فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأمها خديجة بنت خُويلد بن أسد بن عبد العُزّى بن قُصَىّ . وكانت خديجة تُكْنى أم هند ، وكانت فاطمة تكنى أم أَبيها (٣) ، ذكر ذلك قَعْنب بن مُحرِز ، قال : حدّثنا أبو نَعيم ، عن حسين (٤) بن زيد ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه . وكان علىّ ابن أبى طالب (٥) سمى الحسن حربا ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن . ثم ولد له الحسين فسماه حربا (٥) ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسين .

---

(١) كذا فى مب . وفى ف : أخبار الحسين بن على عليهما السلام . وفى بقية الأصول : ذكر الحسين ونسبه .

(٢) ف ، مب : ذكرت .

(٣) كذا وردت العبارة فى مب . وفى ف : وكانت خديجة تكنى أم هند ، وكانت فاطمة أم أبيها . وفى سائر الأصول : وكانت خديجة أم هند تكنى أم أبيها . والصواب ما أثبتناه ، لأن السيدة خديجة كان لها ابن اسمه هند ، من زوجها أبى هالة ، وكانت تكنى به .

(٤) ف ، مب : الحسن .

(٥ — ٥) العبارة عن ف وحدها .

حدّثنى بذلك أحمد بن الجعد، قال : حدّثنا عبد الرحمن بن صالح، قال : حدّثنا يحيى بن عيسى قال : حدّثنا الأعمش عن سالم بن أبى الجعْد [(١)] قال : قال علىّ ابن أبى طالب .

كنت رجلا أحب الحرب ، فلما وُلد الحسن هممت أن أسميه حربا ، فسماه رسول الله صلى الله عليه الحسن ، فلما [(٢)] ولد الحسين هممت أن أسميه حربا ، فسماه رسول الله صلى الله عليه الحسين [(٢)] . ثم قال سميتهما باسمى ابنى [(٣)] هارون : شَبَّر وشُبير [(٣)] .

وأخبرنا محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمى قال : حدّثنا محمد [(٤)] بن يحيى الأحول قال : حدّثنا خلاد المقرئ [(٤)] قال : حدّثنا قيس بن الربيع بن أبى حُصَين، عن يحيى بن وَثّاب، عن ابن عمر، قال :

كان على الحسن والحسين تعويذتان حَشْوهما من زغب جناح جبريل عليه السلام .

شعر الحسين فى امرأته الرباب

وهذا الشعر يقوله الحسين بن علىّ فى امرأته الرَّباب بنت امرئ القيس ابن عدىّ بن أوس بن جابر بن كعب بن عُلَيم بن كلب بن وَبَرة بن تغلب [(٥)] [ابن حُلوان] بن عمران بن إلحاف بن قضاعة ، وأمها هند بنت الربيع بن مسعود ابن معاذ [(٦)] بن حصين بن كعب بن عُلَيم بن كلب، وفى ابنته منها سكينة بنت الحسين . واسم سُكينة : أميمة، وقيل أمينة، وقيل آمنة، وسُكينة لقب لقبت به .

---

(١) كذا فى ف ، مب وخلاصة تهذيب الكمال للخزرجى . وفى سائر الأصول : أبى الجد .
(٢ — ٢) كذا فى ف، مب . وفى سائر الأصول فى موضعها : وكذلك الحسين .
(٣ — ٣) العبارة عن ف، مب . والضبط كما فى اللسان .
(٤ — ٤) العبارة عن ف، مب . وفى مب أحمد بن يحيى الأحول .
(٥) كذا فى الأصول وكتب الأنساب . وفى مب : ثعلبة .
(٦) كذا فى ف، مب . وفى سائر الأصول : مروان .

قال مصعب فيما أخبرني به الطُّوسي عن زُبير عنه :

اسمها آمنة .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز وإسماعيل بن يونس، قالا : حدّثنا عمر بن شبّة قال : حدّثنا أبو نعيم، عن عمر بن ثابت، عن مالك بن أَعْين، قال :

٥ سمعت سكينة بنت الحسين تقول عاتب عمي الحسنُ أبي في أمي، فقال :

لعمركَ إنني لأحبُّ دارا * تكون بها[1] سُكينة والرَّباب

أحبهما وأبذل جُلَّ مالي * وليس لعاتب عندي عتاب

اختلاف في اسم سكينة

١٦٤ / ١٤ حدّثنا محمد بن العباس اليزيدي[2] قال : حدّثنا الخليل بن أسد قال : حدّثنا العُمَري عن ابن الكلبي عن أبيه، قال :

١٠ قال لي عبد الله بن الحسن بن الحسن : ما اسم سكينة بنت الحسين؟ فقلت : سكينة . فقال : لا . اسمها آمنة[3] .

وروى أن رجلا سأل عبد الله بن الحسن عن اسم سكينة . فقال : أمينـة[4]، فقال له : إن ابن الكلبي يقول أميمـة . فقال : سل ابن الكلبي عن أمه ؟ وسلني عن أمي . وقال المدائني : حدّثني أبو إسحاق المـالكي قال :

١٥ سكينة لقب، واسمها آمنة . وهذا هو الصحيح .

أسلم أبو الرباب على يد عمر

حدّثني أحمد بن محمد بن سعيد[5]، قال : حدّثنا يحيى بن الحسن العلوي قال : حدّثنا شيخ من قريش، قال : حدّثنا أبو حُدافة[6] أو غيره، قال :

أسلم امرؤ القيس بن عدي على يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فما صلى لله صلاة[7] حتى ولاه عمر، وما أمسى حتى خطب إليه علي عليه السلام ابنتـه الرباب

٢٠ (١) ف : تحل . هنا وفيما تقدم . (٢) ف : النهدى . (٣) ف، مب : لا، أميمة .
(٤) ف : آمنة . (٥) ف، مب : سعد . (٦) ف : ابن حذافة . (٧) ف : ركعة .

على ابنه الحسين، فزوّجه إياها . فولدت[1] له عبد الله وسكينة ولَدَى الحسين عليهما السلام . وفى سكينة وأمها يقول :

لعمرُك إننى لأحب دارا * تحل بها سُكينة والرَّباب

وذكر البيت الآخر، وزاد على البيتين[2] :

فلستُ لهم وإن غابوا مُضيعاً[3] * حياتى أو يغيِّبنى التراب

ونسخت هذا الخبر من كتاب أبى[4] عبد الرحمن الغَلَّابىّ ، وهو أتم . قال :

حدّثنا علىّ بن صالح، عن علىّ بن مجاهد، عن أبى المثنى محمد بن السائب الكلبىّ ، قال : أخبرنا عبد الله بن حسن بن حسن قال : حدّثنى خالى عبد الجبار ابن منظور بن زَبّان بن سَيّار الفزارىّ، قال حدّثنى عوف بن خارجة المُرّىّ ، قال :

والله إنى لعند عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى خلافته، إذ أقبل رجل أفحج أجلَى أمعر[5] ، يتخطى رقاب الناس ، حتى قام بين يدى عمر . فحياه بتحية الخلافة ، فقال له عمر : فمن أنت؟ قال : أنا امرؤ نصرانى، أنا امرؤ القيس بن عدىّ الكلبىّ . قال : فلم يعرفه عمر[6] . فقال له رجل من القوم : هذا صاحب بكر بن وائل، الذى أغار عليهم فى الجاهلية يوم فَلْج . قال : فما تريد؟ قال : أريد الإسلام . فعرضه عليه

---

(١) ف، مب : فأولدها .

(٢) فى الأصول : وذكر البيتين وزاد فيهما .

(٣) ف، مب : ولست لهم وإن عابوا مطيعا .

(٤) ف، مب : ابن .

(٥) الأفحج : الذى تتدانى صدور قدميه وتتباعد عقباه إذا مشى . والأجلى : الذى انحسر مقدم شعره . وفى ف، مب : أجلح ، وهو بمعناه . والأمعر : الذى سقط شعره .

(٦) كذا فى ف، مب . وفى سائر الأصول : فعرفه عمر .

عمر رضى الله عنه، فقبله. ثم دعا له برُمح، فعقد له على من أسلم بالشام من قضاعة. فأدبر الشيخُ واللواء يهتز على رأسه. قال عوف: فوالله ما رأيت رجلا لم يُصَلِّ لله ركعة قط أُمِّر على جماعة من المسلمين قبله.

ونهض علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه من المجلس، ومعه ابناه الحسن ٥ والحسين عليهم السلام حتى أدركه، فأخذ بثيابه. فقال له: يا عم، أنا علىّ بن أبى طالب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصهْره، وهذان ابناى الحسن والحسين من ابنته، وقد رغبنا فى صِهْرك فأنكحنا. فقال: قد أنكحتك يا علىّ المُحَيَّاة بنت امرئ القيس، وأنكحتك يا حسن سَلْمى بنت امرئ القيس، وأنكحتك ياحسين الرَّباب بنت امرئ القيس.

١٠ وقال هشام بن الكَلْبى: كانت الرَّباب من خيار النساء وأفضلهن. فخُطِبت بعد قتل الحسين عليه السلام، فقالت: ما كنت لأتخذ حَمًا بعد رسول الله صلى الله عليه الله وسلم.

قال المدائنى: حدثنى أبو إسحاق المالكى، قال:

اسمها شعار لها

قيل لسكينة واسمها آمنة، وسكينة لقب: أختك فاطمة ناسكة(١) وأنت تمزحين ١٥ كثيرا؟ فقالت: لأنكم سميتموها باسم جدّتها المؤمنة — تعنى فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم — وسميتمونى باسم جدتى التى لم تدرك الإسلام. تعنى آمنة بنت وهب، أم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

١٦٥ / ١٤

(١) أختك فاطمة ناسكة: كذا فى سب. وفى ف: باسلة. وهى العابسة، وفى سائر الأصول: أمك فاطمة يا سكينة. تحريف.

قول الرباب ترثى زوجها الحسين

أخبرنى عمى قال : حدثنا الكانى[(١)]، عن قعنب بن المحرز الباهلى، عن محمد ابن الحكم، عن عَوانة، قال :

رثت الرَّباب بنت امرئ القيس أم سكينة بنت الحسين، زوجَها الحسينَ عليه السلام حين قتل، فقالت :

إنّ الذى كان نورًا يُستضاء به * بكَربلاءَ قتيلٌ غير مدفونِ
سِبْطَ النبيّ جَزاك الله صالحةً * عنا، وجُنِّبتَ خُسرانَ الموازينِ
قد كنت لى جَبَلا صعْبا ألوذ به * وكنت تصحبنا بالرُّحم والدِّين
من لليتامَى ومن للسائلين ومَن * يُغْنِى ويأوِى إليه كلُّ مسكين
والله لا أبتــغى صهرًا بصهركمُ * حتى أغيَّبَ بين الرمل والطين

أخبرنى الطوسى قال : حدثنى الزبير عن عمه قال : أخبرنى إسماعيل بن بكار قال : حدثنى أحمد بن سعيد، عن يحيى بن الحسين العلوى[(٢)]، عن الزبير عن عمه، قال : وأخبرنى إسماعيل بن يعقوب عن عبد الله بن موسى، قالا :

كان الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب خطب إلى عمه الحسين، فقال له الحسين عليهم السلام : يابن أخى، قد كنت أنتظر هذا منك، انطلق معى، فخرج به حتى أدخله منزله، فخيره فى ابنتيه فاطمة وسُكينة . فاختار فاطمة، فزوّجه إياها . وكان يقال : إن امرأة تُختار[(٣)] على سُكينة لمنقطعة القرين فى الحسن . وقال عبد الله بن موسى فى خبره : إن الحسين خيره، فاستحيا، فقال له : قد اخترت لك فاطمة، فهى أكثرهما شبها بأمى فاطمة بنت رسول الله، صلى الله عليه وسلم .

(١) ف، مب : الكرانى .
(٢) كذا فى ف، مب . وفى بقية الأصول : الحسن الغنوى .
(٣) ف، مب : مرذولها سكينة .

بين سكينة وبنت لعثمان

حدثني أحمد بن محمد بن سعيد قال : حدثني يحيى بن الحسن العلوي قال : كتب إليّ عبّاد بن يعقوب يخبرني عن جدّي يحيى بن سُليمان بن الحسين العلوي قال :

كانت سُكَينة في مَأتَم فيه بنت لعثمان، فقالت بنت عثمان : أنا بنت الشهيد . فسكتت سكينة : فلما قال المؤذن . أشهد أن محمدا رسول الله . قالت سكينة : هذا أبي أو أبوك ؟ فقالت العثمانية : لا جرم لا أفخر عليكم أبدا .

أخبرني أحمد بن محمد قال : حدّثنا يحيى قال : حدّثنا مروان بن موسى القروي قال : حدّثنا بعض أصحابنا قال :

سكينة تشتم من يشتم عليا

كانت سُكينة تجيء في ستارة يوم الجمعة ، فتقوم بإزاء ابن مُطَيْرة ، وهو خالد ابن عبد الملك بن الحارث بن الحَكَم ، إذا صعد المنبر ، فإذا شتم عليا ، شتمته هي وجواريها، فكان يأمر الحَرَس فيضربون جواريَها .

أخبرني الطوسي عن الزُّبير عن عمه مصعب ، قال :

كانت سكينة عفيفة برزة

كانت سكينة عفيفة سَلِمَة[1] بَرْزَة من النساء ، تجالس الأجلَّة[2] من قريش ، وتجتمع إليها الشعراء ، وكانت ظريفة مزاحة .

أخبرني الطوسي قال: حدّثنا الزّبير عن عمه قال: حدّثني معاوية بن بكر، قال:

سكينة تصف نفسها

قالت سكينة : أُدخلت على مصعب وأنا أحسن من النار الموقَدة .

(١) سلمة : مسالمة . وفي ف ، مب : مسلمة .

(٢) الشيوخ المسنين . وفي ف ، مب : الأجلاء .

كانت سكينة تحسن تصفيف شعرها

أخبرنى الحسن بن على قال : حدّثنى محمد بن موسى، عن أبى أيوب المدينى، عن مصعب، قال :

كانت سُكينة أحسن الناس شَعرا ؛ فكانت تُصَفِّف جُمّتها تصفيفا لم يُرَ أحسن منه، حتى عُرِف ذلك. فكانت تلك الجُمة تسمى السُّكَينية. وكان عمر بن عبد العزيز إذا وجد رجلا قد صَفَّف جُمته السُّكَينيةَ جلده وحلقه .

أهدت إلى بعض أخوالها غالية

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار عن أحمد بن سليمان بن أبى شيخ عن أبيه عن أبى سفيان الحِميرىّ، قال :

بعثت سكينة بنت الحسين عليهما السلام إلى حُبيش بن دُلْجة بغالية ، لأنه كان من أخوالها . فلما وصلت إليه قال : فأين كانت — حبيشَ بن دلجة — عن الصَّيَّاح[1]؟ يقدِّر أن الصَّيَّاح أرفع من الغالية .

قال محمد بن سلام .

مثال من مزاح سكينة

كانت سكينة مَزّاحة، فلسعتها دَبْرة فولولت . فقالت لها أمها : مالك ياسيدتى وجزعت ؟ فقالت[2] : لَسعتنى دُبَيْرة، مثل الأُبَيرة، فأوجعتنى قُطَيْرة[3] .

وقال هارون بن أبى عبيد الله ، حدّثنى ضمرة بن ضمرة ، قال :

أجلَستْ سكينة شيخا فارسيا على سَلّة بيض ، وبعثت إلى سليمان بن يسار ، كأنها تريد أن تسأله عن شىء . فجاءها إكراما لها ، فأمرت من أخرج إليه ذلك الشيخ جالسا على السَّلّة فيها البيض . فولّى يُسبِّح .

---

(١) الصياح ككتّان : عطر أو غسل من الخلوق ونحوه

(٢) كذا فى ف ، مب . وفى بقية الأصول : فضحكت وقالت .

(٣) قطيرة : أى إيجاعا يسيرا لا شديدا . وفى اللسان والتاج : (دبر) : وفى حديث سكينة بنت الحسين : «جاءت إلى أمها وهى صغيرة تبكى ، فقالت لها : مالك ؟ فقالت : مرت بى دبيرة ، فلسعتنى بأبيرة . وهى تصغير الدبرة : النحلة . ولم يذكرا الفقرة الثالثة : «فأوجعتنى قطيرة» . وفى التاج : القطرة بالضم : الشىء التافه اليسير الخسيس . تقول : أعطنى منه قطرة وقطيرة . والأخيرة : تصغير قطرة .

قال : و بعثت سُكينة إلى صاحب الشُّرْطة بالمدينة : أنه دخل علينا شامىٌّ ، فابعث إلينا بالشُّرَط . فركب ومعه[1] الشرط . فلما أتى إلى الباب ، أمرت ففتح له ، وأمرت جارية من جواريها فأخرجت إليــه بُرغوثا . فقال : ما هــذا ؟ قالت : هذا الشامىّ الذى شكوناه . فانصرفوا يضحكون .

مثال من طمع ابن أشعب

٥ أخبرنى محمد بن جعفر النحوى قال : حدّثنا أحمد بن القاسم قال : حدّثنا أبو هَفّان قال : حدّثنا سيف[2] بن إبراهيم صاحب إبراهيم بن المهدى قال : حدّثنى إبراهيم بن المهدى :

أن الرشيد لـمّا ولاه دمشق استوهبه صُحبة دُبَية والغاضرىّ وعُبيدة بن أشعب وحكم الوادى . فوهبهم له ، فأشخصهم معه .

١٠ قال : فكان فيما حدثنى به عبيدة قال : قال إبراهيم :

ركبت حمارة وهو عَديلى ، ونمت على ظهرها . فلمـا بلغنا ثنية العُقاب ، اشتد علىّ البرد ، فاحتجت إلى الزيادة من الدِّثار . فدعوت بدُوَّاج سَمُّور ، فألقيتـه على ظهرى ، ودعوت بمن كان معى فى سمرى فى تلك الليـلة ، وكانوا حولى . فقلت لابن أشعب : حدّثنى بأعجب ما تعلم من طمع أبيك . فقـال : أعجب من طمع أبى طمع ابنه . فقلت : وما بلغ من طمعك ؟ فقال : دعوت آنفا لـمّا اشتد

١٥ عليك البرد بدُوّاج سَمُّور ، لتستدفئ به ، فلم أشكّ أنك دعوتَ به لتجعله علىّ . فغلبنى الضحك ، وخلعت عليه الدُّواج . ثم قلت له : ما أحسب لك قَرابة بالمدينة . فقال : اللهم غَفرا ، لى بالمدينة قرابات وأى قرابات . قلت : أيكونون عشرة ؟ قال : وما عشرة ؟ قلت : فعشرين ؟ قال : اللهم غفرا ، لا تذكر العشراتِ ولا المئين ،

٢٠ (١) كذا فى مب . وفى سائر الأصول : فركب معه .

(٢) كذا فى ف ، مب . وفى سائر الأصول : يوسف .

وتجاوزْ ذكر الألوف إلى ما هو أكثر منها . قلت : ويحك ! ليس بينك وبين أشعب أحد ، فكيف يكون هذا ؟ فقال :

إن زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان تزوج سُكينة بنت الحسين . فخف أبى على قلبها ، فأحسنت إليه ، وكانت عطاياها خلاف عطايا مولاه . فمال إليها بكليته .

قال : وحج سليمان بن عبد الملك وهو خليفة ، فاستأذن زيد بن عمرو سُكَينة ، وأعلمها أنها أول سنة حج فيها الخليفة ، وأنه لا يمكنه التخلّف عن الحج معه . وكانت لزيد ضيعة يقال له العَرْج ، وكان له فيها جَوارٍ . فأعلمتْه أنها لا تأذن له إلا أن يخرج أشعبُ معه ، فيكون عَينا لها عليه ، وما نعا له من العدول إلى العَرْج ، ومن اتخاذ جارية لنفسه فى بدأته ورجعته . فقنع بذلك ، وأخرَجَ أشعب معه . وكان له فرس كثير الأوضاح ، حسن المنظر ، يصونه عن الركوب إلا فى مسايرة خليفة أو أمير أو يوم زينة ؛ وله سرج يصونه ، لا يركب به غير ذلك الفرس . وكان معه طيب لا يتطيب به إلا فى مثل ذلك اليوم الذى يركب فيه ؛ وحُلّة مَوْشية يصونها عن اللُّبس إلا فى يوم يريد التجمّل فيه بها . فحج مع سليمان ، وكانت له عنده حوائج كثير ، فقضاها ووصله ، وأجزل صلته . وانصرف سليمان من حَجّه ، ولم يسلك طريق المدينة . وانصرف بن عثمان يريد المدينة ، فنزل على ماء لبنى عامر ابن صعصعة . ودعا أشعب ، فأحضره وصَرّ صُرّة فيها أربعمائة دينار ، وأعلمه أنه ليس بينه وبين العرج إلا أميال ؛ وأنه إن أذن له فى المسير إليها ، والمبيت بها عند جواريه ، غلّس إليه ، فوافى وقتَ ارتحال الناس ، ووهب له أربعمائة الدينار . فقبل يده ورجله ، وأذن له فى السير إلى حيث أحب ، وحلف له أنه يحلف لسُكينة بالأيمان المحرِجَة ، أنه ما سار إلى العَرْج ، ولا اتخذ جارية منذ فارق سُكَينة إلى أن رجع إليها . فدفع إليه مولاه الدنانير ومضى .

قال أبو إسحاق : قال ابن أشعب : حدثني أبي أنه لا يتوهم أن مولاه سار نصف ميل حتى رأى في الماء الذي كان عليه رحل زيد جاريتين عليهما قربتان . فألقتا القربتين ، وألقتا ثيابهما عنهما ، ورمتا بأنفسهما في الغدير ، وعامتا فيه ، ورأى من مُجَرَّدهما ما أعجبه واستحسنه . فسألهما عند خروجهما من الماء عن نسبهما . فأعلمتاه أنهما من إماء نسوة خُلُوف ، لبني عامر بن صعصعة ، هن بالقرب من ذلك الغدير . فسألهما : هل سبيل إلى مولياتهما ، لمحادثة شيخ حسن الخلق ، طيب العشرة ، كثير النوادر ؟ فقالتا : وأنى لهن بمن هذه صفته ؟ فقال لهما : أنا ذاك . فقالتا : انطلق معنا . فوثب إلى فرس زيد ، فأسرجه بسرجه الذي كان يسرجه به وركبه ، ودعا بحلته التي كان يضن بها فلبسها ، وأحضر السَّفَط الذي كان فيه طيبه ، فتطيب منه ، وركب الفرس ، ومضى معهما حتى وافى الحيّ ، فأقام في محادثة أهله إلى قرب وقت صلاة العصر . فأقبل في ذلك الوقت رجال الحيّ ، وقد انصرفوا غانمين من غزاتهم ، وأقبلت تمر به الرِّعلة بعد الرِّعلة ، فيقفون به فيقولون : ممن الرجل ؟ فينتسب في نسب زيد ، فيقول كل من اجتاز به : ما نرى به بأسا . وينصرفون عنه . إلى قرب غروب الشمس ، فأقبل شيخ فانٍ على حِجْر هرمة هزيل ، ففعل مثل ما كان يفعل من اجتاز ، فسأله مثلما يسألون عنه ، فأخبره بمثل ما كان يخبر من تقدمه ، فقال مثل قولهم .

قال ابن أشعب : قال أبي : ثم رأيت الشيخ وقد وقف بعد قوله ، فأوجست منه خيفة ، لأني رأيته قد جعل يده اليسرى تحت حاجبيه ، فرفعهما ، ثم استدار ليرى وجهي . فركبت الفرس ، فما استويت عليه حتى سمعته يقول : أقسم بالله ما هذا قرشيّ ، وما هذا إلا وجه عبد . فركضت وركض خلفي ، فرأى حِجْره

مقصرة[1] . فلما يئس من اللحاق بى ، انتزع سهما فرمانى به ، فوقع فى مؤخرة السرج، فكسرها . ودخلتنى من صوته روعة[2] أحدثت لها فى الحلة . ووافيت رحل مولاى ، فغسلت الحُلّة ونشرتها ، فلم تجف ليلا . وغلّس مولاى من العَرْج ، فوافانى فى وقت الرحيل ، فرأى الحلة منشورة ، ومؤخرة السرج مكسورة ، والفرس قد أضربها الركض ، وسَقَط الطيب مكسور الختم[3] . ٥

فسألنى عن السبب، فصَدَقْتُه . فقال لى : ويحك ! أما كفاك ما صنعت بى حتى انتسبتَ فى نسبى، [4]فجعلتنى عند أشراف قومى من العرب جَمّاشا[4]، وسكتَ عنى، فلم يقل لى : أحسنت ولا أسأت حتى وافينا المدينة ، فلما وافاها سألته سُكينة عن خبره . فقال لها : يا بنت رسول الله ، وما سؤالك إياى ولم يزل ثقتك[5] معى ، زهر أمين علىّ ، فسليه عن خبرى يصدقك عنه . فسألتنى ، فأخبرتها أنى لم أنكر ١٠ عليه شيئا، ولم أمكنه من ابتياع جارية، ولم أطلق له الاجتياز بالعَرْج . فاستحلفتنى على ذلك ، فلما حلفت لها بالأيمان المحرجة فيها طلاق أمّك ، وثب فوقف بين يديها، وقال : أى ابنة عم، ويا بنت رسول الله ، [6]كذبك والله العلج، ولقد أخذ منى أربعمائة دينار، على أن أذن لى فى المصير إلى العَرْج[6]؛ فأقمت بها يوما وليلة، وغسلت بها عدّة من جوارىّ، وها أنا ذا تائب إلى الله مما كان منى ، وقد جعلت ١٥ توبتى هبتهن لك، وتقدمت فى حملهن إليك، وهن موافيات المدينة فى عشية اليوم، فبيعهن أو عتقهن إليك الأمر فيه ، وأنت أعلم بما تَرين فى العبد السُّوء . فأمرتنى

١٦٨ / ١٤

---

(١) كذا فى ف ، مب . وفى الأصول : فركضت فرسى وهو يقول : من أنت ؟ واتبعنى .

(٢) كذا فى ف ، مب . وفى الأصول : ودخلتنى روعة من ضربه أحدثت لها .

(٣) كذا فى ف . وفى الأصول : مفضوض الخاتم . وفى مب : مكسورا مفضوض الخاتم . ٢٠

(٤ — ٤) العبارة عن ف ، مب . والجماش : الذى يغازل النساء ويلاعبهن .

(٥) ف : عينك . (٦ — ٦) عن ف ، مب .

بإحضار أربعمائة الدينار، فأحضرتها. فأمرتُ بابتياع خَشَب بثلثمائة دينار، وأمرت بنشره، وليس عندى ولا عند أحد من أهل المدينة علم بما تريده فيه. ثم أمرتُ بأن يتخذ بيت كبير، وجعلت النفقة عليه فى أجرة النجارين من المائة الدينار الباقية. ثم أمرت بابتياع بيض وتبن وسرجين بما بقى من المائة الدينار بعد أجرة النجارين.

٥ ثم أدخلتنى البيت، وفيه البيض والتبن والسِّرجين، وحلفت بحق جدها ألا أخرج من ذلك البيت حتى أحضُن ذلك البيض كله إلى أن يُفْقَس، ففعلت ذلك، ولم أزل أحضُنه حتى فُقِس كله. فخرج منه الألوف من الفراريج، وربيت فى دار سكينة، فكانت تنسبهن إلىّ، وتقول: بنات أشعب.

قال أبو إسحاق: قال لى: وبقى ذلك النسلُ فى أيدى الناس إلى الآن، فكلهم ١٠ إخوانى وأهلى. قال: فضحكت والله حتى غُلبت، وأمرت له بعشرة آلاف درهم، فحملت بحضرتى إليه.

الخلاف فى أزواج سكينة

أخبرنى الطوسىّ[1] والحَرَمىّ قالا: حدّثنا الزبير بن بكار قال: حدّثنى عمى مصعب قال:

تزوجتْ سكينة بنت الحسين عليه السلام ستة أزواج، أولهم عبد الله ١٥ ابن الحسن بن علىّ، وهو ابن عمها وأبو عُذْرتها، ومصعب بن الزبير، وعبد الله بن عثمان الحِزامى، وزيد بن عمرو بن عثمان، والأصبغ بن عبد العزيز ابن مروان، ولم يدخل بها، وإبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، ولم يدخل بها.

قال مصعب ويحيى بن الحسن العلوى: إن عبد الله بن حسن زوجها كان يكنى أبا جعفر، وأمه بنت السَّليل بن عبد الله البَجَلى، أخى جرير بن عبد الله، قال:

٢٠ (١) كذا فى ف. وفى الأصول: أخبرنى الفارسىّ.

ثم خلفه عليها مصعب بن الزبير، زوّجه إياها أخوها على بن الحسين، ومهرها مصعب ألفَ ألفِ درهم .

قال مصعب : وحدّثنى مصعب بن عثمان : أن على بن الحسين أخاها حملها إليه، فأعطاه أربعين ألف دينار .

قال مصعب : وحدثنى معاويه بن بكر الباهلى قال : قالت سكينة :

دخلت على مصعب وأنا أحسن من النار الموقدة فى الليلة القَرّة .

قال : فولدت من مصعب بنتا، فقال لها : سميها زهراء[1] . قالت : بل أسميها باسم إحدى أمهاتى وسمتها الرباب[2] . فلما قتل مصعب ولىَ أخوه عُروة تركته، فزوّجها يعنى الرّباب بنت مصعَب ابنه عثمان بن عُروة، فماتت وهى صغيرة، فورثها عثمان بن عروة عشرة آلاف دينار .

قال الزبير : فحدّثنى محمد بن سلّام عن شعيب بن صخر[3]، عن أمه سعدة[4] بنت عبد الله بن سالم، قالت :

لقيتُ سكينة بين مكة ومنى، فقالت : قفى لى يابنة عبد الله، فوقفت . فكشفت عن بنتها من مصعب، فإذا هى قد أثقلتها بالحلى واللؤلؤ، فقالت : ما ألبستها إياه إلا لتفضحه .

قال الزبير : وحدّثنى عمى عن الماجشون[5]، قال :

---

(١) كذا فى ف . وفى الأصول : ريربا . وفى كتاب المردفات من قريش للدائنى (ص٦٤) : زبراء .

(٢) كذا فى الأصول . وفى كتاب المردفات (ص ٦٥) خديجة أو فاطمة .

(٣) كذا فى ف . وفى الأصول : سعد بن صخر .

(٤) كذا فى ف . وفى الأصول : سيدة .

(٥) كذا فى مب . وفى بقية الأصول : ابن الماجشون .

١٦٩
١٤

اختصام سكينة وعائشة بنت طلحة إلى عمر بن أبي ربيعة

قالت سكينة لعائشة بنت طلحة : أنا أجمل منك . وقالت عائشة : بل أنا . فاختصمنا إلى عمر بن أبي ربيعة ، فقال لأقضين بينكما ؛ أما أنت يا سُكَينة فأملَح منها ، وأما أنت يا عائشة فأجمل منها . فقالت سكينة : قضيتَ لي والله . وكانت سكينة تسمِّى عائشة ذات الأذنين ، وكانت عظيمة الأذنين .

خطب عبد الملك سكينة فلم ترض أمها

٥ أخبرني الحسن بن علي قال : حدّثني أحمد بن زهير[(١)] قال : حدّثنا المدائني ، قال : خطب سُكَينة بنت الحسين عليه السلام عبد الملك بن مروان . فقالت أمها : لا والله لا يتزوّجها أبدا وقد قتل ابن أخي[(٢)] ، تعني مصعبا .

وأما محمد بن سلام الجمحي فإنه ذكر فيما أخبرني به أبو الحسن الأسدي عن الرياشي عنه :

١٠ أنّ أبا عذرتها هو عندي عبد الله بن الحسن بن علي . ثم خلف عليها العثماني ، ثم مصعب بن الزبير ، ثم الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان . فقال فيه بعض المدنيين[(٣)] :

نكَحَتْ سُكينة بالحساب ثلاثةً * فإذا دخلتَ بها فأنت الرابعُ

قال : وكان يتولى مصر ، فكتبت إليه : إن أرض مصر وخمة . فبنى لها مدينة

١٥ تسمى مدينة الأصبغ . وبلغ عبدَ الملك تزوّجه إياها ، فنفس بها عليه . فكتب إليه . اختر مصر أو سُكَينة : فبعث إليها بطلاقها ولم يدخل بها ، ومتّعها بعشرين ألفَ دينار . ومروا بها في طريقها على منزل ، فقالت : ما اسم هذا المنزل ؟ قالوا : جوف الحمار . قالت : ما كنت لأدخل جوف الحمار أبدا .

---

(١) كذا في ف . وفي الأصول : الحارث . (٢) مب : ابن أختي .

٢٠ (٣) كذا في ف ؛ مب . وفي الأصول : المبغضين . والقائل هو أيمن بن خريم (المردفات ص ٦٦) .

وذكر محمد بن سلام فى هذا الخبر الذى رواه الرياشىّ عن شعيب بن صخر أن الحزامىّ عبد الله بن عثمان خلف الأصبغ عليها ، وولدت منه بنتا . وذكر عن أمه سعدة بنت عبد الله أن سكينة أرتها بنتها من الحزامىّ ، وقد أثقلتها باللؤلؤ ، وهى فى قُبّة ، فقالت : والله ما ألبستها إياه إلا لتفضحه . تريد أنها تفضح الحلىّ بحسنها ، لأنها أحسن منه . ٥

أخبرنى ابن أبى الأزهر قال : حدّثنا حماد بن إسحاق ، عن أبيه ، عن الهيثم ابن عدىّ ، عن صالح بن حسّان وغيره :

أن سكينة كانت عند عمرو بن حكيم بن حزام ، ثم تزوجها بعده زيد بن عمرو ابن عثمان بن عفان ، ثم تزوجها مصعَب بن الزبير . فلما قتل مصعب ، خطبها إبراهيم ابن عبد الرحمن بن عوف ، فبعثت إليه : أبلغَ من حمقك أن تبعثَ إلى سُكينة بنت الحسين بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تخطبها ؟ فأمسك عن ذلك . ١٠

بنانة تحب أن ترى جلبة فى بيت مولاتها سكينة

قال : ثم تنفّست يوما بُنَانة جارية سكينة وتنهدت ، حتى كادت أضلاعها تحطم . فقالت لها سكينة : مالكِ ويلَكِ ! قالت : أحب أن أرى فى الدار جَلَبة . تعنى العُرْس . فدعت مولى لها تثق به ، فقالت له : اذهب إلى إبراهيم بن عبد الرحمن ابن عوف ، فقل له : إن الذى كنا ندفعك عنه قد بدا لنا فيه ؛ أنت من أخوال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأحضر بيّنتك . قال : فجمع عِدّة من بنى زُهرة ، وأفناء قريش من بنى جُمَح وغيرهم ، نحوا من سبعين رجلا أو ثمانين . ثم أرسل إلى على بن الحسين ، والحسن بن الحسن ، وغيرهم من بنى هاشم . فلما أتاهم الخبر اجتمعوا ، وقالوا : هذه السفيهة تريد أن تتزوج إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف . ١٥ ٢٠

فتنادى بنو هاشم واجتمعوا، وقالوا : لا يخرجَنّ أحد منكم إلا ومعه عصا . فجاءوا وما بقي إلا الكلام . فقال : اضربوا بالعصيّ . فاضطربوا هم وبنو زُهْرة، حتى تشاجُّوا، فشُجَّ بينهم يومئذ أكثر من مائة إنسان . ثم قالت بنو هاشم : أين هذه ؟ قالوا : في هذا البيت . فدخلوا إليها ، فقالوا : أبلغ هذا من صنعك ؟ ثم جاءوا بكساء طاروقيّ[1]، فبسطوه ثم حملوها، وأخذوا بجوانبه — أو قال: بزواياه الأربع — فالتفتت إلى بُنانة فقالت : يا بُنانة، أرأيت في الدار جَلَبَة؟ قالت : إي والله إلا أنها شديدة .

وقال هارون بن الزيات : أخبرني أبو حذيفة عن مصعب، قال :

كان أوّل أزواج سكينة عبد الله بن الحسن بن عليّ ، قتل عنها ولم تلد له . وخلف عليها مصعب، فولدت له جارية[2]. ثم خلف عليها عبد الله بن عثمان بن عبد الله ابن حكيم بن حزام، فنشزت عليه ، فطلقها . ثم خلف عليها الأصبغ بن عبد العزيز فأصدقها صداقا كثيرا . فقال الشاعر :

نكحت سُكَينة بالحساب ثلاثة * وإذا دخلت بها فأنت الرابعُ

إن البقيع إذا تتابع زرعُه * خاب البقيعُ وخاب فيه الزارعُ

وبلغ ذلك عبد الملك بن مروان فغضب، وقال : أما تزوّجنا أحسابنا حتى تزوّجنا أموالنا ! فطلِّقها . فطلقها . فخلف عليها العثماني[3] ، وشرطت عليه ألّا يطلقها ، ولا يمنعها شيئا تريده، وأن يقيمها حيث خَلَّتها أم منظور، ولا يخالفها في أمر تريده . فكانت تقول له : يابن عثمان اخرج بنا إلى مكة . فإذا خرج بها وسارت يوما أو يومين،

(١) طاروقي : كذا في جميع الأصول ، ولم نعثر على شرحه في المعاجم اللغوية .

(٢) ف، مب : كان أول أزواج سكينة عبد الله بن الحسن بن علي ، وخلف عليها مصعب بن الزبير، قتل عنها ولم تلد له .

(٣) ف : مب : ألا يغيرها ، أي يجعلها تغار ، باتخاذ الإماء ونحو ذلك .

قالت: ارجع بنا إلى المدينة. فإذا رجع يومه ذاك، قالت: اخرج بنا إلى مكة.
فقال له سليمان بن عبد الملك: أعلَمُ أنك قد شرطت لها شروطا لم تف بها، فطلقها.
فطلقها. فخلف عليها إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، فكره ذلك أهلها، وخاصموه
إلى هشام بن إسماعيل. فبعث إليها يخيرها. فجاء إبراهيم بن عبد الرحمن من حيث
تسمع كلامه، فقال لها: جُعلت فداءك، قد خيرتك فاختاريني. فقالت[1]: قلت
ماذا بأبي؟ تهزأ به. فعرف ذلك[1]، فانصرف. وخيروها، فقالت: لا أريده.

قال: وماتت فصلى عليها شَيبة بن نِصاح[2].

وأما ابن الكلبي فذكر فيما أخبرنا به الجوهري، عن عمر بن شبة، عن عبد الله
ابن محمد بن حكيم، عنه:

أن أول أزواجها الأصبغ، ومات ولم يرها، ثم زيد بن عمرو العثمانى، قال:
وولدت له ابنه عثمان الذى يقال له قرين، ثم الحزامى، ثم خلف عليها مصعب،
فولدت له جارية، ثم خلف عليها إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ولم يدخل بها.

قال عمر بن شبة: وحدثنى محمد بن يحيى قال:

تزوج مصعب سكينة وهو يومئذ بالبصرة، عامل لأخيه عبد الله بن الزبير،
وكان بين مصعب وبين أخيه رسول يقال له أبو السَّلّاس، وهو الذى جاء بنعيه،
فقال ابن قيس فيه:

قد أتانا بما كرهنا أبو السلّا ... س كانت بنفسه الأوجاع

(١ — ١) العبارة عن ف، مب وكتاب (المردفات ص ٦٦).

(٢) كذا فى ف، مب. وفى الأصول: النطاح. وهو شيبة بن نصاح مولى أم سلمة، المدنى القاضى القارئ. توفى سنة ثلاثين ومئة. (عن خلاصة الخزرجى).

وفي هذا الشعر غناء قد ذكر في موضعه . وهذا غلط من محمد بن يحيى، ليست قصة أبي السلاس مع مصعب ، وإنما هي مع ابن جعفر .

قال محمد بن يحيى : ولما تزوج مصعب سكينة على ألف ألف ، كتب عبد الله بن همام على يد أبي السلاس إلى عبد الله بن الزبير :

٥ أبلغ أمير المؤمنين رسالة * من ناصح لك لا يريد خداعا

بُضْع الفتاة بألف ألف كاملٍ * وتبيت سادات الجنود جياعا

لو لأبي حفص أقول مقالتي * وأبث ما أبثثتكم لارتاعا

قال : وكان ابن الزبير قد أوصاه ألا يعطيه أحد كتابا إلا جاء به ، فلما أتاه بهذا الكتاب قال : صدق والله، لو يقول هذه المقالة لأبي حفص لارتاع من تزويج امرأة

١٧١/١٤

١٠ على ألف ألف درهم . ثم قال : إن مصعبا لما وليته البصرة أغمد سيفه، وسل أيره، وعزلته عن البصرة، وأمره أن يجيء على ذات الجيش، وقال : إني لأرجو أن يخسف الله بك فيها . فبلغ عبد الملك بن مروان قول عبد الله في مصعب ، فقال : لكن عبد الله والله أغمد سيفه وأيره وخيره .

مغاضبة زيد بن عمرو العثماني لسكينة

قال ابن زيد أخبرني محمد بن يحيى عن ابن شهاب الزهري قال :

١٥ ذُكر أن زيد بن عمرو بن عثمان العثماني خرج إلى مال له مغاضبا لسكينة ، وعمر بن عبد العزيز يومئذ والي المدينة ، فأقام سبعة أشهر ، فاستعدته سكينة على زيد، وذكرت غَيبته مع ولائده سبعة أشهر، وأنها شرطت عليه أنه إن مس امرأة، أو حال بينها وبين شيء من ماله ، أو منعها مخرجا تريده ، فهي خَلِية[1] ، فبعث إليه عمر فأحضره ، وأمر ابن حزم أن ينظر بينهما .

٢٠ (١) خلية : كناية عن مطلقة .

قال : حدّثنى أبو بكر بن عبد الله، قال : بعثنى عمر، و بعث معى محمد بن معقل ابن يسار الأشجعى، إلى ابن حزم، وقال : اشهدا قضاءه، فدخلنا عليه وعنده زيد جالس، وفاطمة امرأة ابن حزم فى الحَجَلة[1] جالسة، وجاءت سكينة، فقال ابن حزم: أدخلوها وحدها . فقالت : والله لا أدخل إلا ومعى ولائدى، فأدخلن معها، فلما دخلت قالت : ياجارية اثنى لى هذه الوسادة . ففعلت، وجلست عليها ، ولصق زيد بالسرير ، حتى كاد يدخل فى جوفه خوفا منها . فقال لها ابن حزم : يابنة الحسين، إن الله عز وجل يحب القصد فى كل شيء، فقالت له : وما أنكرت منى؛ إنى وإياك والله كالذى يرى الشعرة فى عين صاحبه ، ولا يرى الخشبة فى عينه . فقال لها : أما والله لو كنت رجلا لسطوت بك . فقالت له : يابن فَرْتَنَى ألا تزال تتوعدنى ؟ وشتمته وشتمها . فلما بلغا ذلك قال ابن أبى الجهم العَدَوى : ما بهذا أُمرنا ، فأمض الحكم ولا تُشاتم . فقالت لمولاة لها : من هذا ؟ قالت : أبو بكر ابن عبد الله بن أبى الجهم . فقالت : لا أراك[2] ههنا وأنا اشتم بحضرتك . ثم هتفت بجال قريش ، وحضت ابن أبى الجهم ، وقالت : أما والله لو كان أصحاب الحَرّة أحياء لقتلوا هذا العبد اليهودى عند شتمه إياى ، أى عدو الله، تشتمنى وأبوك الخارج مع يهودَ صبابةً بدينهم لما أخرجهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أَريحاء ، يابن فَرْتَنَى . قال : وشتمها وشتمته .

قال : ثم أحضرنا زيدا، فكلمها وخضع لها، فقالت : ما أَعْرَفَنى بك يا زيد، والله لا ترانى أبدا، أتراك تمكث مع جواريك سبعة أشهر لا تقربُهن؟ املأ عينك

---

(١) الحجلة : مقصورة تجلس فيها النساء ، وتزين بالثياب والستور .

(٢) ف، ب، س : ألا أراك ... الخ .

الآن منى ، فإنك لا ترانى[1] بعد الليلة أبدا ، وجعلت تردد هذا القول ومثله ، فكلما تكلمت ترفُثُ[2] لابن حزم وامرأته فى المجلة ، وهو يقلق لسماع امرأته ذلك فيه . ثم حكم بينهما بأن سكينة إن جاءت ببينة على ما ادّعته ، وإلا فاليمين على زيد . فقامت وقالت لزيد ، يابن عثمان : تزوّد منى بنظرة ، فإنك والله لا ترانى بعد الليلة أبدا ،

٥ وابن حزم صامت . ثم خرجنا وجئنا إلى عمر بن عبد العزيز وهو ينتظرنا فى وسط الدار فى ليلة شاتية ، فسألنا عن الخبر ، فأخبرناه ، فجعل يضحك حتى أمسك بطنه ، ثم دعا زيدا من غد ، فأحلفه وردّ سكينة عليه .

أرادت سكينة أن تحدث فى الدار خبرا يتحدث به الناس

١٧٢ / ١٤

وأخبرنى الحَرَمى بن أبى العلاء قال : حدّثنى الزبير بن بكار عن عمه قال : قالت سكينة لأم أشعب : سمعت للناس خبرا؟ قالت : لا ، فبعثت إلى إبراهيم

١٠ ابن عبد الرحمن بن عوف فتزوّجته ، وبلغ ذلك بنى هاشم فأنكروه ، وحملوا العصىّ ، وجاءوا فقاتلوا بنى زُهرة حتى كثرت الشِّجاج ، ثم فُرِّق بينهم ، وخُيِّرت سكينة فأبت نكاح إبراهيم ، ثم التفتت إلى أم أشعب وقالت : أترين الآن أنه كان للناس اليوم خبر؟ قالت ، إى والله — بأبى أنت — وأى خبر[3] .

قال هارون بن الزيات : وجدت فى كتاب القاسم بن يوسف : حدّثنى الهيثم

١٥ ابن عدىّ ، عن أشعب ، قال :

كان زوجها زيد ابن عمرو بن عثمان شديد البخل

تزوّج زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان سكينة ، وكان أبخل قرشىّ رأيته ، فخرج حاجا وخرجت سكينة معه ، فلم تدع إوزة ولا دجاجة ولا خبيصا ولا فاكهة

(١) كذا فى ف . وفى مب . سبعة أشهر ثم تطمع فى ، إملأ عينيك الآن منى فإنك لن ترانى . وفى بقية الأصول : سبعة أشهر ثم أعود إليك . والله لا ترانى .

٢٠ (٢) كذا فى ف ، أى تفحش فى القول . وفى بقية الأصول : رفت .

(٣) كذا فى ف ، مب . وفى الأصول : بلى ، بأبى أنت وأمى .

إلا حملتـه معها ، وأعطتنى مائة دينار ، وقالت[(١] : يابن أم حميدة، اخرج معنا[١)] . فخرجت ومعنا طعام على خمسة أجمال ، فلمـا أتينا السَّيَالة نزلنا ، وأمرت بالطعام أن يقـدم ، فلمـا جىء بالأطباق ، أقبـل أغيلمة من الأنصار يسلمون على زيد ، فلما رآهم قال : أَوَّهْ . خاصرتى . باسم الله، ارفعوا الطعام، وهاتوا الترياق والمـاء الحار، فأُتِى به فجعل يتوجَّرهما[(٢)] حتى انصرفوا، ورَحلنا وقد هلكتُ جوعا، فلم آكل إلا ممـا اشتريته من السَّويق[(٣)] . فلما كان من الغد أصبحت وبى من الجوع ما الله أعلم به، ودعا بالطعام وأُتِى به . قال : فأمر بإسخانه، وجاءته مَشْيَخة من قريش يسلمون عليه ، فلمـا رآهم اعتل بالخاصرة ، ودعا بالتِّرياق والمـاء الحار، فتوجَّره ورفع الطعام، فلما ذهبوا أمر بإعادته ، فأُتِى به وقد برد ، فقال لى : يا أشعب، هل إلى إسخان هـذا الدجاج سبيل ؟ فقلت له أخبرنى عن دَجاجك هـذا ؟ أمن آل فرعون، فهو يُعْرَض على النار غُدُوًّا وعَشيا .

كانت سكينة تبغض أهل الكوفة

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدّثنا سليمان بن أبى شيخ ، عن محمد بن الحكم ، عن عوانة ، قال :

جاء قوم من أهل الكوفة يسلمون على سُكَينة فقالت لهم: الله يعلم أنى أبغضكم: قتلتم جدى عليا، وأبى الحسين، وأخى عليا، وزوجى مصعبا، فبأىّ وجه تلقَونى، أيتمتمونى صغيرة، وأرملتمونى كبيرة .

(١ — ١) العبارة عن ف ، مب .

(٢) توجر الدواء : صبه فى حلقه شيئا بعد شىء .

(٣) كذا فى ف ، مب . وفى بقية الأصول . السوق .

حرص سكينة على معرفة أخبار الناس

أخبرني الحسن بن علي عن أحمد بن زهير عن المدائني قال: بينما سكينة ذات ليلة تسير، إذ سمعت حاديا يحدو في الليل يقول:

* لولا ثلاث هنّ عيشُ الدهرِ *

فقالت لقائد قطارها. ألحق بنا هذا الرجل، حتى نسمع منـه ما هذه الثلاث. ٥ فطال طلبه لذلك حتى أتعبها. فقالت لغلام لها: سر أنت حتى تسمع منه، فرجع إليها فقال: سمعته يقول:

* المـاء والنوم وأم عمرو *

فقالت: قَبَحَه الله! أتعبني منذ الليلة.

حج أشعب مع سكينة

قال: وحدّثني المدائني أن أشعب حج مع سكينة، فأمرت له بجمل قويّ يحمل ١٠ أثقاله، فأعطاه القيّم جملا ضعيفا، فلما جاء إلى سكينة قالت له: أعطوك ما أردت؟ قال: عِرسُه الطلاق (١)، لو أنه حمل قَتَبًا على الجمل لما حمله، فكيف يحمل محملا.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدّثنا عمر بن شبة، عن نعيم بن سالم بن عليّ الأنصاريّ، عن سفيان بن حرب، قال:

كانت ترمى الجمار فرمت خاتمها بدل حصاة سقطت منها

رأيت سـكينة بنت الحسين عليـه السلام ترمى الجمار، فسـقطت من يدها ١٥ الحصاة السابعة، فرمت بخاتمها مكانها.

استبـدلت بمـالها في الزوراء قصرا بلزق الجمـاء أعجبها حسـنه

وقال هارون بن الزيات: حدّثني أبو حُذافة السهميّ قال: أخبرني غير واحد، منهم محمد بن طلحة:

(١) ف، مب: فقال لها: امرأته الطلاق، لو أنه حمل قتب على الجمل ما حمله، فكيف يحمل حملا وقوله «عرسه الطلاق» يريد أنها طالق، فعبر بالمصدر بدل الصفة.

أن سكينة ناقلت بمالها بالزوراء ، إلى قصر يقال له البَرِيدىّ (١) بلزق الجماء ، فلما سال العقيق ، خرجت ومعها جواريها تمشى ، حتى جاءت السيل ، فجلست على جُرفه ، ومالت برجليها فى السيل ، ثم قالت : هذا فى است المغبون (٢) . والله لهذه الساعة من هذا القصر خير من الزوراء . قال : (٣) وكان البريدىّ قصرا لا غلة له ، وإنما يُتَنزه فيه ، وكانت غلة الزوراء غلة وافرة عظيمة (٣) . ٥

خرجت بها سلعة فأجريت لها جراحة

وقال هارون : وحدّثنى على بن محمد النوفلىّ عن أبيه ، وعمه وغيرهما من مشايخ الهاشميين والطالبيين : ١٧٣/١٤

أن سكينة بنت الحسين عليه السلام ، خرجت بها سَلَعة (٤) فى أسفل عينها ، فكبرت حتى أخذت وجهها وعينها ، وعظُم شأنها ، وكان بدراقُس منقطعا إليها فى خدمتها ، فقالت له : ألا ترى ما قد وقعت فيه ؟ فقال : لها أتصبرين على ما يمسُّك من الألم حتى أعالجك ؟ قالت : نعم . فأضجعها ، وشق جلد وجهها حتى ظهرت السِّلَعة ، ثم كشط الجلد عنها أجمع ، وسلخ اللحم من تحتها حتى ظهرت عروق السلعة ، وكان منها شىء تحت الحدقة ، فرفع الحَدَقة عنه ، حتى جعلها ناحية ، ثم سل عروق السلَعَة من تحتها . فأخرجها أجمع ، ورد العين إلى موضعها ، وعالجها وسكينة مضطجعة لا تتحرك ولا تئن ، حتى فرغ مما أراد ، فزال ذلك عنها ، وبرئت منها ، وبقى أثر تلك الجراحة فى مؤخَر عينها ، فكان أحسن شىء فى وجهها ، وكان أحسن على وجهها من كل حَلْى وزينة ، ولم يؤثر ذلك فى نظرها ، ولا فى عينها . ١٠ ١٥

(١) ف ، مب : الزينى .
(٢) ف : الميت والله المغبون . والعبارة غامضة .
(٣ — ٣) العبارة عن ف ، مب . ٢٠
(٤) السلعة : ورم كالخراج يحدث فى أى موضع فى الجسم ، يكون حجمه أولا كالحمصة ، ثم يكبر إلى حجم البطيخة .

تقدمها شعر جماعة من الشعراء ثم إجازتهم

أخبرني الحسن بن علي قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مِهْرويه، قال: أخبرني عيسى بن إسماعيل، عن محمد بن سلام، عن جرير المديني، عن المدائني. وأخبرني به محمد بن أبي الأزهر، قال: حدّثنا حماد بن إسحاق، عن أبيه، عن محمد بن سلام. وأخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهري، عن عُمر بن شبة موقوفا عليه، قالوا:

٥ اجتمع في ضيافة سكينة بنت الحسين عليه السلام، جرير والفرزدق وكُثيِّر وجميل ونُصَيب، فمكثوا أياما، ثم أذنتْ لهم، فدخلوا عليها، فقعدت حيث تراهم ولا يَرَونها، وتسمع كلامهم، ثم أخرجت وصيفة لها وضيئة وقد روت الأشعار والأحاديث، فقالت: أيكم الفرزدق؟ فقال لها: هأنذا. فقالت: أنت القائل:

همـا دلّتـاني من ثمـانين قامـةً * كما انحط بازٍ أقتم الريش كاسرُهْ

١٠ فلما استوت رجلاي بالأرض قالتا * أحيٌّ يُرَجَّى أم قتيـلٌ نحاذرُهْ

فقلت ارفعوا الأمراس لا يشعروا بنا * وأقبلتُ في أعجاز ليـلٍ أبادرُهْ

أبادر بوابَيْن قد وُكِّلا بنـا * وأحمر[1] من ساج تبِصُّ مسامرُهْ

قال: نعم. قالت: فما دعاك إلى إفشاء سرها وسرك؟ هلّا سترتها وسترت نفسك؟[2] خذ هذه الألف، والحق بأهلك.

١٥ ثم دخلتْ على مولاتها وخرجت، فقالت: أيكم جرير؟ فقال لها: هأنذا. فقالت: أنت القائل:

طرقتكَ صائدة القلوب وليس ذا * حينَ الزيارةِ فارجعي بسلامِ

تُجْري السواكَ على أغرَّ كأنه * بَرَدٌ تحدر من مُتون غَمامِ

---

(١) مب: وأسمر. وفي الديوان (١: ٢٥٥ — ٢٦٢) خلاف في ترتيب الأبيات وبعض الكلم.

١٠ (٢) كذا في ف. وفي بقية الأصول: هلا سترت عليك وعليها.

لو كان عهـدك كالذى حدثتِنا * لوصلتِ ذاك فكان غيرَ رِمامِ[1]

إنى أواصل من أردتُ وصاله * بحبالٍ لا صَلِفٍ ولا لَوّامِ

قال : نعم . قالت : أفلا أخذت بيدها، ورحبت بها ، وقلت لها ما يقال لمثلها؟ أنت عفيف وفيك ضعف . خذ هذه الألف والحق بأهلك . ثم دخلت على مولاتها وخرجت ، فقالت : أيكم كُثَيِّر؟ فقال : هأنذا . فقالت : أنت القائل :

وأعجبنى ياعَزُّ منك خلائق * كرام إذا عُدَّ الخلائق أربعُ

دنوّك حتى يطمعَ الطالبُ الصِّبا * ودفعك أسباب الهوى حين يَطمع[2]

وقطعُك أسبابَ الكريم ووصلك الْـ * ـلئيم وخَلّات المكارم ترفع[3]

فوالله ما يدرى كريم مُماطَلٌ * أينساك إذ باعدتِ أم يتَضرّعُ[4]

قال : نعم . قالت : مَلُحتَ وشَكَلْتَ . خذ هذه الثلاثة الآلاف، والحق بأهلك . ١٠

ثم دخلت إلى مولاتها وخرجت فقالت : أيكم نُصَيْب؟ قال : هأنذا . قالت: أأنت القائل :

ولولا أن يقال صبا نُصَيْب * لقلت بنفسىَ النَّشَأُ الصِّغارُ

بنفسى كل مهضوم حشاها * إذا ظُلِمَتْ فليس لها انتصار

قال : نعم . قالت : ربيتنا صغارا ، ومدحتنا كبارا . خذ هذه الأربعة الآلاف، والحق بأهلك . ١٥

(١) رمام : كذا فى ف ، مب . يريد المتقطع . وفى بقية الأصول : لمام .

(٢) كذا روى البيت فى ف ، مب . وفى بقية الأصول :

دنوّك حتى يدفع الجاهل الصبا * ودفعك أسباب المنى حين يطمع

(٣) البيت عن ف وحدها . ٢٠

(٤) أم يتضرع : كذا فى ف ، مب . وفى بقية الأصول : أو يتصدع .

ثم دخلت على مولاتها وخرجت، فقالت : يا جميل، مولاتى تُقرِئك السلام، وتقول لك : والله مازلتُ مشتاقة لرؤيتك منذ سمعت قولك :

ألا ليتَ شعرى هل أبيتن ليـلةً * بوادى القُـرَى إنى إذا لسـعيدُ

لكل حـديثٍ بينهن بشاشة * وكلُّ قتيـل عندهن شهيـد

٥ جعلت حديثنا بشاشة، وقتلانا شهداء، خذ هذه الأربعة الآلاف(١) الدينار، والحق بأهلك .

تحكيم الرواة إياها فى شعر الشعراء

أخبرنى ابن أبى الأزهر قال : حدّثنا حماد عن أبيه، عن أبى عبد الله الزبيرىّ قال :

اجتمع بالمدينة راوية جرير وراوية كثير وراوية جميل وراوية نصيب وراوية ١٠ الأحوص، فافتخر كل واحد منهم بصاحبه، وقال : صاحبى أشعر . فحكموا سكينة بنت الحسين بن علىّ عليهما السلام، لما يعرفونه من عقلها وبصرها بالشعر، فخرجوا يتقادون(٢)، حتى استأذنوا عليها، فأذنت لهم، فذكروا لها الذى كان من أمرهم، فقالت لراوية جرير : أليس صاحبك الذى يقول :

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا * حِينَ(٣) الزيارةِ فارجِعى بسلامِ

١٥ وأىّ ساعة أحلى للزيارة من الطروق، قبح الله صاحبك، وقبّح شعره ! ألا قال : فادخلى بسلام !

---

(١) كذا فى سب . وفى بقية الأصول : هذه الألف الدينار .

(٢) يتقادون : كذا فى ف، سب . أى يتبارون فى التفاخر بأصحابهم . وفى الأصول : يتهادون . يريد : يتهادون الشعر، أى يفخر به بعضهم على بعض . (انظر اللسان : قدا) .

٢٠ (٣) حين : كذا فى ف، سب . وفى بقية الأصول والديوان : وقت .

ثم قالت لراوية كُثَيِّر : أليس صاحبُك الذى يقول :

يَقَــرّ بعينى ما يَقَــرُّ بعينهـا * وأحسن شىء ما به العـين قرّتِ

فليس شىء أقرّ لعينها من النكاح، أفيحب صاحبك أن يُنكَح؟ قَبَح الله صاحبك، وقبح شعره ! ثم قالت لراوية جميل : أليس صاحبك الذى يقول :

فلو تَركَتْ عقـلِى معى ما طلبتُهـا * ولكن طِلابيها لمـا فات من عقلى

فمـا أرى بصاحبك من هوًى ، إنما يطلب عقله ، قَبَح الله صاحبَك وقبّح شعره ! ثم قالت لراوية نُصَيب : أليس صاحبك الذى يقول :

أهـيم بدعد ما حييت فإن أَمُتْ * فيا حَرَبًا[1] من ذا يهيم بها بعـدِى

فما أرى له همة إلّا من يتعشقها بعده ! قَبَحَه الله وقبح شعره ! ألا قال :

أهـيم بدعد ما حييت فإن أَمت * فلا صَلَحت دعد لذى خُلّة بعدى

ثم قالت لراوية الأحوص : أليس صاحبُك الذى يقول :

من عاشقين تواعدا وتراسلا[2] * ليـلا إذا نجـمُ الثريا حَلّقـا

باتا بأنعــم ليـلة وألذها * حتى إذا وضَح الصـباحُ تفرّقا

قال : نعم، قالت : قَبَحه الله وقبح شعره ! ألا قال : تعانقا .

قال إسحاق فى خبره : فلم تُثْن على أحد منهم فى ذلك اليوم، ولم تقدِّمه .

قال : وذكر لى الهيثم بن عدىّ مثل ذلك فى جميعهـم إلا جميلا، فإنه خالف هذه الرواية، وقال : فقالت، لراوية جميل : أليس صاحبك الذى يقول :

فياليتنى أعمى أصـمُّ تقودنى * بُثينة لا يَخْـفى علىّ كلامهـا

(١) كذا فى ف . وفى بقية الأصول : فواحزنا .

(٢) كذا فى ف ، مب . وفى بقية الأصول : تراسلا وتواعدا .

قال : نعم . قالت : رحم الله صاحبك كان صادقا فى شعره ، كان جميلا كاسمه ، فحكمت له .

* * *

وفى الأشعار المذكورة فى الأخبار أغان تذكر هاهنا نسبتها .

٥ فمنها :

صوت

هما دلتانى من ثمانين قامةً * كما انقض بازٍ أقتم[1] الريش كاسرُهْ

فلما استوت رجلاى بالأرض قالتا * أحَىٌّ يرجَّى أم قتيل نحاذرُهْ

عروضه الطويل . الشعر للفرزدق ، والغناء لحَجَبِيّ ، رمَل بالبنصر عن

١٠ الهشامىّ وحبش[2] .

وأخبرنى : أبو خليفة فى كتابه إلىّ قال : حدّثنا محمد بن سلام عن يونس ، وحدّثنا به اليزيدىّ قال : حدّثنا أحمد بن زهير قال : حدّثنا محمد بن سلام عن يونس قال :

شعر الفرزدق فى غلامه وقاع

كان للفرزدق غلامان ، يقال لأحدهما وقّاع ، وللآخر زُنْقطة . قال : ولوقّاع

١٥ يقول الفرزدق :

تغلغــل وقّاعٌ إليها فأقبلت * تخوض خُداريا من الليل أخضرا[3]

لطيف إذا ما انغلّ أدرك ما ابتغى * إذا هو للظبى المَرُوع تَقَترا[4]

---

(١) كذا فى ف ، مب . وفى بقية الأصول : أفتخ .

(٢) كذا فى ف ، مب . وفى بقية الأصول : الهشامى و يونس .

٢٠ (٣) خداريا : كذا فى ف ، مب ، أى مظلما . وفى الأصول : صلابيا .

(٤) انغل : دخل . وفى الديوان : انسل . وتقتر : تهيأ وتلطف . وفى الديوان (٢ : ٤٢٧) : للطن‍ء المخوف تقترا . والطن‍ء : الريبة .

وله يقول أيضا :

فأبلغهن وحىَ القول عنى * وأدخل رأسه تحت القرامِ
أُسَيِّد ذو خُرَيِّطة نهارا * من المتلقِّطى قَرَدِ القُمامِ (١)
فقلن له نواعدك الثريا * وذاك إليه مجتمعُ الزِّحامِ

صوت (٢)

ثلاث واثنتان فهن خمسٌ * وسادسة تميل مع السَّنامِ
خرجن إلىّ لم يطمثن قبلى * فهُن أصح من بيض النعامِ
فبتن بجانبىّ مُصَرَّعاتٍ * وبت أفُضُّ أغلاق الختامِ (٣)

فى هذه الأبيات الثلاثة لابن جامع ، خفيف رَمل بالبنصر عن الهشامىّ ، وفيها هَزج يمان بالوسطى عن عمرو بن بانة . وذكر حبش أن الهزج لفُلَيح ، وأن لحن ابن جامع ثانى ثقيل بالوسطى .

شعر للفرزدق وهو بالمدينة

أخبرنى أبو خليفة قال : حدّثنا محمد بن سلام ، قال : قال الفرزدق وهو بالمدينة :

هما دلّتانى من ثمانين قامةً * كما انقض باز أقتم الريش كاسرُهْ
فلما استوت رجلاى بالأرض قالتا * أحىٌّ يُرَجَّى أم قتيل نحاذره
فقلت ارفعوا الأسباب لا يفطُنوا بنا * ووليت فى أعجاز ليل أبادره (٤)
أبادر بوابَيْن قد وُكِّلا بنا * وأحمرَ من ساجٍ تبِص مسامرُهْ
وأصبحت فى القوم الجلوس وأصبحت * مُغَلَّقة دونى عليها دساكرُهْ (٥)

(١) البيت عن ف ، مب . (٢) كلمة (صوت) : عن مب وحدها .
(٣) البيت عن ف ، مب . (٤) البيت عن ف ، مب . (٥) البيت عن ف ، مب .

قال : فأنكرتْ ذلك قريش عليه ، وأزعجه مروان عن المدينة وهو واليها لمعاوية ، وأجّله ثلاثة أيام ، فقال :

يا مَرْوَ إنّ مطيتى محبوســة * ترجو الحِباءَ[1] وربهـا لم ييأسِ

وأتيتــنى بصحيفةٍ مختــومةٍ * أخشى علىّ بها حِباءَ النِّقْرِسِ

ألقِ الصحيفة يافرزدقُ لاتكن * نكداءَ مثلَ صحيفـة المتلمِسِ[2]

١٧٦ / ١٤

٥

وقال فى ذلك :

وأخرجــنى وأجّلــنى ثلاثا * كما وُعِدت لمهلِـكِها ثمــودُ

وذكر ذلك جرير فى مناقضته إياه ، فقال :

وشبهتَ نفســك أشقى ثمـودٍ * فقـالوا ضَلَلْت ولم تهتــدِ

١٠ يعنى تأجيل مروان له ثلاثا . وقال فيه أيضا جرير :

تدليتَ تزنى من ثمـانين قامةً * وقَصَّرتَ عن باع العلا والمكارم

وهما قصيدتان .

الفرزدق ينشد سليمان من أشعاره

أخبرنى أحمد بن عبـد العزيز قال : حدّثنا عُمر بن شـبة قال : قال سليمان ابن عبد الملك للفرزدق : أنشدنى أجود شعر قلته ، فأنشده قوله :

١٥ عَزَفْتَ بأعشاشٍ وما كدتَ تعزفُ * وأنكرت من حَدْراء ما كنت تعرفُ

(١) الحباء : كذا فى مب . وفى بقية الأصول : الغناء .

(٢) كذا روى الشطر الثانى فى ف ، مب . وفى بقية الأصول :

* فى الصحف مثـل صحيفة المتلمس *

فقال له : زدنى . فأنشده قوله :

ثلاث واثنتان فهن خمس * وسادسة تميل إلى الشمام[1]

فقال له سليمان : ما أظنك إلا قد أحللت بنفسك العقوبة ؛ أقررت بالزنا عندى وأنا إمام، ولابد لى من إقامة الحد عليك . قال: إن أخذت فىّ بقول الله عز وجل لم تفعل . قال : وما قال الله عز وجل؟ قال: قال: « والشعراء يتبعهم الغاوون . ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون . وأنهم يقولون مالا يفعلون » . فضحك سليمان، وقال : تلافيتها ودرأتَ عن نفسك ، وأمر له بجائزة سنية، وخَلَع عليه .

حادث للفرزدق يخشى أن يعيره به جرير

أخبرنى هاشم[2] بن محمد قال: حدثنا أبو غسان دماذ، عن أبى عبيدة، قال :

نزل الفرزدق هو ومن معه بقوم من العرب ، فأنزلوه وأكرموه ، وأحسنوا قِراه، فلما كان فى الليل دبّ إلى جارية منهم، فراودها عن نفسها ، فصاحت، فتبادر القوم إليها ، فأخذوها من يده وأنبوه ، فجعل يفكر واهتم ، فقال له الرجل الذى نزل به : مالك ؟ أتحب أن أزوجك من هذه الجارية . فقال : لا ، والله . ما ذلك بى ، ولكنى كأنى بابن المراغة قد بلغه هذا الخبر ، فقال فىّ :

وكنتَ إذا حللتَ بدار قوم * رحلتَ بخَزْية[3] وتركت عارا

فقال له الرجل : لعله لا يفطُن لهذا . فقال : عسى أن يكون ذلك . قال : فوالله ما لبثوا[4] أن مر بهم راكب ينشد هذا البيت ، فسألوه عنه ، فأنشدهم قصيدة لجرير يعيره بذلك الفعل ، وفيها هذا البيت بعينه .

(١) كذا فى ف ، مب . وفى الأصول : مع السنام ، وقد مرت .
(٢) كذا فى ف ، مب . وفى الأصول : هشام .
(٣) ف : ظعنت .
(٤) كذا فى ف . وفى الأصول : ما بعد .

ومنها :

صوت

من شعر جرير

طرقتك صائدةُ القلوب وليس ذا * حين[1] الزيارة فارجعي بسلام
تُجْرِي السواكَ على أغرَّ كأنه * بَرَد تحدَّر من متون غَمام
٥ هيهاتَ منزلُنا بحَوِّ سُوَيْقةٍ[2] * ممن يحلّ بواطن الآجام
إقر السلام على سُعادَ وقل لها * لَوْمًا[3] تردّ رسولنا بسلام

الشعر لجرير. والغناء لابن سريج : ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر عن ابن المكي. وذكره إسحاق في هذه الطريقة أيضا ولم ينسبه إلى أحد، وأظنه من منحول يحيى. وذكره عمرو بن بانة أيضا لابن سريج في الثاني والرابع في هذه الطريقة، وذكر عليّ

١٧٧ / ١٤

١٠ ابن يحيى أن فيه لابن سريج ثقيل أول في الثاني والثالث، وأنكر ذلك حبش[4]، وقال : هو بالوسطى. قال عليّ بن يحيى : ومن الناس من ينسبه إلى سياط. وذكر حبش أن فيه للهذليّ خفيف ثقيل بالبنصر، وللغريض[5] ثاني ثقيل بالوسطى.

ومنها[5] :

صوت

١٥ من عاشقين تراسلا وتواعدا * ليلًا إذا نجم الثريا حَلَّقا[6]
بعثا أمامهما مخافة رِقبة * رَصَدًا فمزّق عنهما ما مزّقا
باتا بأنعم ليلة وألذها * حتى إذا وضح[7] الصباحُ تفرقا

الشعر للأحوص. والغناء لمعبد، خفيف ثقيل أول بالبنصر، عن يونس والهشامي.

---

(١) كذا في ف، مب. وفي الأصول : وقت الزيارة. (٢) ف، مب : منزلنا بجزع برام.
٢٠ والآجام : كذا في مب. وفي ف : الأجام. وفي بقية الأصول : الأحلام، وهو تحريف.
(٣) لوما : كذا في مب. وفي بقية الأصول : يوما. (٤) ف، مب : ووافقه حبش.
(٥ — ٥) العبارة عن ف، مب. (٦) تراسلا وتواعدا : كذا في ف. وفي سب : تواعدا وتراسلا. وفي بقية الأصول : تزايلا وتواعدا. وفي ف : ملثا، في موضع : بلقا.
(٧) وضح : كذا في ف، مب. وفي بقية الأصول : برق.

رجع الحديث إلى أخبار سكينة

سكينة تسأل الفرزدق من أشعر الناس

وروى أحمد بن الحارث الخراز، عن المدائنى، عن أبى يعقوب الثقفى، عن عامر الشعبى؛ وذكر أيضا أبو عبيدة معمر بن المثنى :

أن الفرزدق خرج حاجا، فلما قضى حجه خرج إلى المدينة، فدخل على سُكَينة بنت الحسين عليه السلام مسلما، فقالت له : يافرزدق، من أشعر الناس ؟ قال : أنا . قالت : كذبت . أشعر منك الذى يقول :

بنفسىَ من تجنُّبــه عزيزٌ * علىّ ومن زيارته لِمـامُ
ومن أُمسِى وأصبح لا أراه * ويَطْرُقُنى إذا هجعَ النِّـامُ

قال : والله لئن أذنتِ لى لأسمعنك أحسن منـه . قالت : أقيموه ، فأُخرجَ[1] . ثم عاد إليها من الغد ، فدخل عليها ، فقالت : يافرزدق، من أشعر الناس ؟ قال : أنا . قالت : كذبت . صاحبك أشعر منك حيث يقول :

لولا الحياء لعادنى اســتعبارُ[2] * ولزرت قــبرَك والحبيب يزارَ
كانت إذا هجر الضجيعُ فراشها * كُتِم الحديث وعفَّتِ الأسرارُ
لا يُلبِث القــرناءَ أن يتفرقوا * ليــلٌ يكُرّ عليهــم ونهـارُ

فقال : والله لئن أذنتِ لى لأسمعنك أحسن منه . فأمرت به فأخرج؛ ثم عاد إليها فى اليوم الثالث، وحولها مولَّدات كأنهن التماثيل، فنظر الفرزدق إلى واحدة منهن، فأُعجِب بها . فقالت : يافرزدق، من أشعر الناس؟ فقال: أنا . فقالت : كذبت صاحبك أشعر منك حيث يقول :

---

(١) كذا فى ف ، مب . وفى الأصول : قالت : لا أحب ، فانخرج منى .
(٢) كذا فى ف ، مب . وفى الأصول : لهاجنى استعبار .

إن العيون التي في طرفها مَرَض * قتلننا ثم لم يُحْيِين قتلانا
يَصْرَعن ذا اللب حتى لاحَرَاك به * وهن أضعفُ خلق الله أركانا

فقال: يا بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، إن لي عليكِ حَقًّا عظيما. ضربتُ إليك من مكة أريد التسليم عليك، فكان في دخولي إليك تكذيبي ومنعك إياى أن أسمعك[1]، وبي ما قد عِيل معه صبرى، وهذه المنايا تغدو وتروح، ولعلي لا أفارق المدينة حتى أموت، فإن أنا مت فمرى أن أُدرج في كفنى، وأدفن في حِرِ تلك الجارية، يعنى الجارية التي أعجبته، فضحكت سُكينة، وأمرت له بالجارية، فخرج بها آخذا برَيْطتها، وأمرت الجوارى أن يدفعن في أقفائهما، ثم قالت: يافرزدق، أحسن صحبتها، فإنى آثرتك بها على نفسى.

١٧٨ / ١٤

موت سكينة والصلاة عليها

أخبرنى أحمد بن عُبيد الله بن عمار، وأحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ، قالا: حدثنا علىّ بن محمد النوفلىّ[2]، قال: حدثنى أبى عن أبيه وعمومته وجماعة من شيوخ بنى هاشم:

أنه لم يصلَّ على أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير إمام إلا سكينة بنت الحسين عليه السلام، فإنها ماتت وعلى المدينة خالد بن عبد الملك، فأرسلوا إليه، فآذنوه بالجنازة، وذلك في أول النهار في حر شديد، فأرسل إليهم: لا تُحدِثوا حدثا حتى أجىء فأصلى عليها، فوضع النعش في موضع المصلَّى على الجنائز، وجلسوا ينتظرونه حتى جاءت الظهر، فأرسلوا إليه، فقال: لا تحدثوا فيها شيئا حتى أجىء، فجاءت العصر، ثم لم يزالوا ينتظرونه حتى صليت العشاء، كل ذلك يرسلون إليه،

(١) كذا في ف، مب. وفي بقية الأصول: فكان جزائى منك تكذيبى ومنعى من أن أسمعك.

(٢) كذا في ف. وفي مب: محمد النوفلى. وفي الأصول: أحمد بن على النوفلىّ.

فلا يأذن لهم حتى صليت العتمة ولم يجىء، ومكث الناس جلوسا حتى غلبهم النعاس، فقاموا فأقبلوا يصلون عليها جمعا جمعا وينصرفون، فقال علىّ بن الحسين عليه السلام: من أعان بطيب رحمه الله! قال: وإنما أراد خالد بن عبد الملك، فيما ظن قوم، أن تُنْتن. قال: فأُتى بالمجامر، فوضعت حول النعش، ونهض ابن أختها محمد ابن عبد الله العُثمانى، فأتى عطّارا كان يعرف عنده عُودا، فاشتراه منه بأربعمائة دينار، ثم أتى به، فسُجِر حول السرير، حتى أصبح وقد فُرِغ منه، فلما صُلِّيت الصبح أرسل إليهم: صلوا عليها وادفنوها. فصلى عليها شَيبةُ بن نِصاح[1].

وذكر يحيى بن الحسين فى خبره: أن عبد الله بن حسن هو الذى ابتاع لها العود بأربعمائة دينار.

***

صوت

وأنا الأخضرُ من يعرفنى * أخضرُ الجلدة من بيت العرَبْ[2]
من يساجلْنى يساجلْ ماجدا * يملأ الدلوَ إلى عَقْد الكرَبْ[3]
إنما عبد مناف جوهر * زيّن الجوهرَ عبدُ المطلبْ
كل قوم صيغة من فضة * وبنو عبد مناف من ذَهَبْ[4]
نحن قوم قد بنى الله لنا * شرفا فوق بُيوتات العرب
بنبى الله وابنى عمه * وبعباس بن عبد المطّلبْ

(١) شيبة بن نصاح، بكسر النون: مولى أم سلمة، المدنى القاضى القارئ (ت ١٣٠).
(٢) كذا فى ف، مب. وفى الأصول: فى بيت.
(٣) ف: إلى حذ الكرب.
(٤) كذا فى ف، مب. وفى الأصول: من تبرهم.

الشعر للفضل بن العباس اللَّهَبِيّ، والغناء لمعبد، ثقيل أوّل بالبنصر، في الأوّل والثاني والثالث . ولابن محرز في الأوّل والثاني خفيف ثقيل أوّل مطلق في مجرى البنصر . وذكر يونُس أن فيهما لمعبد ومالك وٱبن محرز وٱبن مِسْجَح وٱبن سريج خمسة ألحانٍ . وذكر الهشامي أن لحن ابن سريج رَمَل، ولحن مالك خفيف رَمَل، ولحن معبد خفيفُ ثقيل، ولحن ٱبن محرز ثقيل أوّل . وذكر ٱبن المكيّ أن الثقيل الأوّل لمالك . وذكر عمرو بن بانة في كتابه الثاني أن لابن مسجح أو لابن محرز فيه خفيف رَمَل . وذكر الهشاميّ [(1)] أن فيه رملا آخر بالوسطى لأبي سعيد مولى فائد، ولأبي الحسن مولى سكينة، في الثالث والرابع، خفيف ثقيل [(1)] . وذكر حبش أن لٱبن صاحب الوضوء [(2)] في الأوّل والثاني ثانيَ ثقيل بالبنصر، ولٱبن سريج ثقيل أوّل بالبنصر . وذكر حماد عن أبيه : أن لابن عائشة فيهما لحنا، ووافقه ٱبن المكيّ . وذكر أنه خفيف رَمَل . قال : [(3)] وقيل إنه لدُحْمان [(3)] . وذكر ٱبن خرداذبه أن لخُليدة المكية [(4)] في الرابع والثالث خفيفَ رمل، وفي الخامس والسادس والأوّل رَمَل، يقال إنه لإبراهيم، ويقال إنه لإسحاق . والخامس والسادس من هذه الأبيات، وإن كان شعر الفضل بن العباس اللهبي، فليس من القصيدة التي فيها :

* وأنا الأخضر من يعرفني *

(١ — ١) العبارة عن ف، مب .

(٢) كذا في ف، مب . وهو أبو عبد الله محمد بن عبد الله (الأغاني ٣ : ١١٠٦) . وفي بقية الأصول : لابن الحاجب الصولي .

(٣ — ٣) العبارة عن ف، مب .

(٤) لخليدة المكية : كذا في ف، مب . وفي بقية الأصول : لخويلد .

لكن من قصيدة له أولها :

شاب رأسى ولِداتى لم تشب * بعـد لهو وشباب ولَعِبْ

شيبَ المَفْـرقِ منى و بـدا * فى حفافَىْ لحيتى مثلُ العطَبْ

فى هذين البيتين لهاشم ونُقَيلة[1] خفيفُ رَمَل بالوسطَى ، والقصيدة التى فيها :

وأنا الأخضر من يعرفنى * أخضر الجلدة من نسل العرب ٥

أولها قوله :

طَرِبَ الشيخُ ولا حينَ طَرَبْ * وتصابَى وصِبا الشيخ عَجَبْ

(١) ونقيلة : كذا فى ف . وفى مب : لهاشم بن زنقطة . وهى ساقطة من بقية الأصول .

٢/١٥

أخبار الفضل بن العباس اللهبي ونسبه

اسمه ونسبه

الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب ، واسمه عبد العزى بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف . وكان أحد شعراء بني هاشم المذكورين وفصحائهم . وكان شديد الأدمة . ولذلك قال .

٥

* وأنا الأخضر من يعرفني *

وهو هاشميّ الأبوين ؛ أمه بنت العباس بن عبد المطلب .

أخبرني بذلك محمد بن العباس اليزيديّ ، عن عمه عبيد الله ، عن ابن حبيب . وإنما أتاه السواد من قِبل أمه : جدته[1] ، وكانت حبشية .

وكان النبيّ صلى الله عليه وسلم زوج عُتبة إحدى بناته . فلما بعثه الله تعالى نبيا ، أقسمت عليه أم جميل أن يطلقها . فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا محمد ، أُشهد من حضر أني قد كفرت بربك[2] ، وطلقت ابنتك . فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث الله عليه كلبا من كلابه يقتله . فبعث الله عز وجل عليه أسدا فافترسه[3] .

١٠

(١) جدته : بدل من أمه .

(٢) كذا في ف ، مب . وفي الأصول : أشهد أني نصراني . تحريف .

١٥

(٣) خالف بعض المؤرخين أبا الفرج فيمن أكله الأسد ، وصرحوا بأنه عتيبة بن أبي لهب ، لا عتبة . قال السهيلي في الروض الأنف (٢ : ٨١) : وكانت رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت عتبة ابن أبي لهب ، وأم كلثوم تحت عتيبة . فطلقاهما بعزم أبيهما عليهما وأمهما ، حين نزلت : « تبت يدا أبي لهب » . فأما عتيبة فدعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم أن يسلط الله عليه كلبا من كلابه ، فافترسه الأسد من بين أصحابه ، وهم نيام حوله . وأما عتبة ومعتب ابنا أبي لهب فأسلما ، ولهما عقب .

٢٠

قتل السبع عتبة بدعوة النبي عليه

أخبرني الحسن بن القاسم البجليّ الكوفيّ قال : حدّثنا عليّ بن إبراهيم ابن المعلّى قال : حدّثنى الوليد بن وهب، عن أبى حمزة الثمالى، عن عكرمة قال :

لما نزلت : «والنجم إذا هوى»، قال عتبة للنبيّ صلى الله عليه وسلم : أنا أكفر برب النجم إذا هوى . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم أرسل عليه كلبا من كلابك . قال : فقال ابن عباس : فخرج إلى الشأم فى ركب فيهم هَبَّار بن الأسود، حتى إذا كانوا بوادى الغاضرة، وهى مَسْبَعة، نزلوا ليلا، فافترشوا صفا واحدا، فقال عتبة : أتريدون أن تجعلونى حَجْرة ؟ لا، والله، لا أبيت إلا وسطكم . فبات وسْطَهم . قال هبار : فما أنبهنى إلا السبع يشمّ رءوسهم رجلا رجلا، حتى انتهى إليه، فأنشب[1] أنيابه فى صدغيه، فصاح : [2]أىْ قوم، قتلنى دعوة محمد[2]، فأمسكوه، فلم يلبث أن مات فى أيديهم .

أخبرني الحسن بن الهيثم قال : حدّثنا على بن إبراهيم قال : حدّثنى الوليد ابن وهب، عن أبى حمزة، عن هشام بن عروة، عن أبيه مثله . إلا أنه قال : قال عتبة : أنا برىء من الذى « دنا فتدلّى » . قال : وقال هَبّار : فضغمه الأسد ضَغْمة، فالتقت أنيابه عليه .

بين الأحوص والفضل

نسخت من كتاب ابن النطّاح عن الهيثم بن عدىّ . وقد أخبرنا به محمد بن العباس اليزيدى فى "كتاب الجوابات" قال : حدّثنا أحمد بن الحارث، عن المدائنى، إلا أن رواية ابن النطاح أتم، واللفظ له، قال :

---

(١) ف : فالتقت . مب : فالتفت إلى أنيابه .

(٢ — ٢) ف، مب : قتلنى قتلنى، دعونى أسمّت به .

مر الفضل اللّهَبيّ بالأحوص وهو ينشد، وقد آجتمع الناس عليه، فحسده، فقال له : يا أحوص إنك لشاعر، ولكنك لا تعرف الغريب، ولا تُعرب. قال : بلى، والله إنى لأبصر الناس بالغريب والإعراب، فأسألك(١)؟ قال : نعم. قال :

ماذاتُ حَبْـلٍ يراها الناس كلهمُ * وَسْـطَ الجحـيم فلا تخفَى على أحدِ

كل الحِبالِ حبالِ الناسِ من شَعَرٍ * وحبلها وَسْطَ أهلِ النار من مسدِ

فقال له الفضل بن العباس :

ماذا أردتَ إلى شتمِي ومَنْقَصتِي * ماذا أردت إلى حمَّـالةِ الحطبِ؟

أذْكَرْتَ بنتَ قُروم سـادةٍ نُجُبٍ * كانت حليلة شيخ ثاقبِ النَّسبِ

فانصرف عنه.

١٠ قال آبن النطاح :

وحُدثت أن الحزين الدِّيلِي(٢) مر بالفضـل يوم جمعة، وعنـده قوم ينشدهم، فقال له الحـزين : أتنشد الشعر والناس يروحون إلى الصـلاة؟ فقال الفضل : ويْلَك ياحزين! أتتعرض لى، كأنك لا تعرفنى. قال : بلى والله، إنى لأعرفك، ويعرفك معى كل من قرأ سورة « تَبَّت يدا أبى لهب ». وقال يهجوه :

١٥ إذا ماكنت مفتخـرا بمجـد * فعـرِّج عن أبى لهبٍ قليـلا

فقـد أَخزَى الإله أباك دهرا * وقلَّد عِرسَـه حبـلا طويلا

فأعرض عنه الفضل، وتكرم عن جوابه. وكان الحزين مُغْرًى به وبهجائه

حدّثنى الحسن بن على قال : حدّثنا القاسم بن محمد الأنبارىّ قال : حدثنا أبو عكرمة عامر بن عمران، قال :

٢٠ (١) فأسألك : كذا فى ف، مب. وفى بقية الأصول : أفتسمع.

(٢) كذا فى الأصول. والصواب : الدؤلى، نسبة إلى الدئل، بضم فكسر، فرع من كنانة قريش؛ وإليه ينسب أبو الأسود الدؤلى المتوفى سنة ٦٩ وليس الحزين الشاعر منسوبا إلى الديل، بالدال المكسورة والياء، لأن هذه قبيلة من عبد القيس. وهو عمرو بن عبيد بن وهب الكنانى الشاعر، كما فى تاج العروس (حزن).

دخل الفرزدق المدينة، فنظر إلى الفضل بن العباس بن عُتبة ينشد :

من يساجِلْنى يساجِلْ ماجِدا * يمــلأ الدلو إلى عَقْــدِ الكَرَبْ

فقال الفرزدق : مَن المنشِد ؟ فأُخبِر به، فقال : مايساجلُك إلا من عَضَّ بِقُلْرِ أمه .

حدّثنى محمد بن العباس اليزيدىّ قال : حدّثنا سليمان بن أبى شيخ، قال : حدّثنا محمد بن الحكم، قال :

٥

سأل الوليد فأعطاه وسليمان فحرمه

قدم الوليد بن عبد الملك حاجّا إلى مــكة وهو خليفة، فدخل عليه الفضــل ابن العباس بن عتبة، فشكا إليــه كثرة العيال، وسأله فأعطاه مالا وإبلا ورقيقا . فلما مات الوليد وَلِىَ سليمان فحج، فأتاه فسأله، فلم يعطِه شيئا، فقال :

يا صاحب العِيسِ التى رُحِلت * محبوســة لعشــيةِ النَّفْــرِ

امرر على قبر الوليــد فقل له * صــلّى الإله عليــك من قــبر

يا واصــل الرَّحم التى قُطِعت * وأصابها الجَفَوات فى الدهر

إنى وجدت الخلّ بعدك كاذبا * فبرِئت من كذبٍ ومن غَدْر

ولقد مررت بنســوةٍ يندبنه * بيضِ السواعدِ من بنى فِهــر

تبــكى لســيدها الأجل وما * يبكيــن من نابٍ ولا بَــكْرِ

يبكينــه ويقلن : سَــيِّدَنا (١) * ضــاع الخــلافةُ آخر الدهر

ماذا لقيتُ، جزيتَ صالحــة * من جفوةِ الإخوان لو تدرى

٤/١٥

١٠

١٥

كان منقطعا إلى الوليــد وسأله أن يفرض لجاره

أخبرنى وكيع بهذا الخبر، قال : حدّثنى محمد بن على بن حمزة قال : حدّثنا أبو غسان قال : أخبرنا أبو عبيدة عن عبد العزيز بن أبى ثابت، قال :

(١) كذا روى البيت فى ف، مب؛ وفى الأصول : يندبنه ... تاج الخلافة .

كان الفضل بن العباس منقطعا إلى الوليد بن عبد الملك ، فلما مات الوليد جفاه سليمان وحرمه، فقال :

يا راكب العيس التي وُقِفت * للنفْرِ يوم صبيحةِ النحرِ [1]

وذكر الأبيات . قال : وكان الوليد فرض له فريضة يُعطاها كل سنة، فقال :

٥ يا أمير المؤمنين، بقِي شارب الريح . قال: وما شارب الريح؟ قال : حمارى، افرض له شيئا . ففرض له خمسة دنانير، فأخذها ولم يكن يطعمه، فعمَد رجل فكتب رقعة يذكر فيها قصة الحمار، وعلقها فى عنقه [2]، وجاء بها إلى القاضى، فأضحك منه الناس .

كان الفضل بخيلا

حدّثنا اليزيدىّ، قال : حدّثنا سليمان بن أبى شيخ، قال : حدّثنى أبو الشكر

١٠ مولى بنى هاشم، كوفىّ ظريف، قال :

كان الفضل بن العباس بخيلا، فقدم علىّ بن عبد الله بن العباس حاجا، فأتاه فى منزله مسلما عليه، فقال له : كيف أنت، وكيف حالك ؟ قال : بخير، نحن فى عافية . قال : فهل من حاجة ؟ قال : لا والله ، وإنى لأشتهى هذا العنب، وقد أغلاه علينا هؤلاء العُلوج . فغمز غلاما له ، فذهب فأتاه بسَلة عظيمة من عنب،

١٥ فجعل يغسل له عنقودا عنقودا ويناوله، فكلما فعل ذلك قال : برّتك رحِم .

كان يسأل علف حماره

أخبرنى الحسن بن على قال : حدّثنا أحمد بن سعيد الدمشقى قال : حدّثنا الزبير بن بكار عن عمه، قال :

كان الفضل بن العباس بخيلا، وكان ثقيل البدن، إذا أراد أن يمضى فى حاجة أستعار مركوبا، فطال ذلك عليه وعلى أهل المدينة من فعله، فقال له بعض

٢٠ (١) كذا روى البيت فى ف، مب، وفى الأصول : يا صاحب ... صبيحة النصر .

(٢) أى علقها الرجل فى عنق نفسه .

بنى هاشم : أنا أشترى لك حمارا تركبه، وتستغنى عن العاريّة . ففعل ، وبعث به إليه ، فكان يستعير له سرجا إذا أراد أن يركبه ، فتواصى الناس بألا يعيره أحد سرجا . فلما طال عليه ذلك، اشترى سرجا بخمسة دراهم، وقال :

ولما رأيت المال مألف أهله * وصان ذوى الأخطار[1] أن يتبذلوا

رجعت إلى مالى فأعتبت بعضه * فأعتبنى إنى كذلك أفعل[2]

ثم قال للذى اشترى له الحمار : إنى لا أطيق علفه ، فإما أن تبعث إلىّ علفه وإلا رددته . فكان يبعث إليه بعلف كل ليلة وشعير، ولا يدع هو أيضا أن يطلب من كل أحد يأنس به علفا لحماره، فيبعث به إليه ، فيعلفه التبن دون الشعير ، حتى هزل وعطب . فرفع الحزين الكنانىّ إلى ابن حزم أو عبد العزيز بن عبد المطلب رقعة، وكتب فى رأسها قصة حمار الفضل اللهبى، وذكر فيها أنه يركبه ويأخذ علفه وقضيمه من الناس، ويعلفه التبن، ويبيع الشعير، ويأخذ ثمنه، ويسأل أن ينصف منه . فضحك لما قرأ الرقعة ، وقال : لئن كنت مازحا إنى لأراك صادقا . وأمر بتحويل حمار اللهبى إلى إصطبله، ليعلفه ويقضمه، فإذا أراد ركوبه دفع إليه .

أخبرنى وكيع قال : حدّثنى محمد[3] بن سعد الشامىّ، عن ابن عائشة، قال :

كان الفضل اللهبى بغير سرج، فاستعار سرجا ، فمطله الرجل، حتى خاف أن تفوته حاجته، فاشترى سرجا ومضى لحاجته، وأنشأ يقول :

* ولما رأيت المال مألف أهله *

وذكر البيتين ولم يزد عليهما شيئا .

(١) كذا فى ف ، وفى الأصول : الإحسان . ولعله : الأحساب ، بالباء .

(٢) كذا روى البيت فى ف . ومعنى الإعتاب هنا طلب العتبى ، وهى الرضا ، يريد أنه طلب من ماله أن يرضيه فأرضاه . وفى مب : فعاتبت بعضه . وفى الأصول : فكاتبت بعضه ... فأنجبنى . تحريف .

(٣) كذا فى مب . وفى بقية الأصول : سليمان .

بيان له في مدح بني هاشم

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدّثني علي بن محمد النوفلي قال : كان أبي عند إسحاق بن عيسى بن علي وهو والي البصرة ، وعنده وجوه أهل البصرة ، وقد كانت فيهم بقية حسنة في ذلك الدهر ، فأفاضوا في ذكر بني هاشم ، وما أعطاهم الله من الفضل بنبيه صلى الله عليه وسلم ، فمن مُنشد شعرا ، ومتحدث حديثا ، وذاكر فضيلة من فضائل بني هاشم . فقال أبي : قد جمع هذا الكلامَ الفضلُ بن العباس اللّهَبي في بيت قاله ، ثم أنشد قوله :

ما بات قومٌ كرام يدّعون يدا * إلا لقومي عليهم منّة ويدُ
نحن السَّنام الذى طالت شظيته * فما يخالطه الأدواء والعَمَد

فمن صلى صلاتنا، وذبح ذبيحتنا، عرف أن لرسول الله صلى الله عليه وسلم يدا عليه، بما هداه الله عز وجل إلى الإسلام به ، ونحن قومه، فتلك منة لنا على الناس .

وفي هذين البيتين غناء لابن محرز، هزج بالبنصر في رواية عمرو بن بانة .

وقوله « وطالت شظيته » : الشظية : الشَّظَى(١)، قال دريد بن الصمة .

سليم الشَّظَى عَبْلُ الشَّوَى شنِج النَّسا * أمين القُوى نهدٌ طويل المقلَّد

والعمد : داء يصيب البعير من مُؤْخِر سنامه إلى عجزه ، فلا يُنْبِته أو يقتله(٢) .

قدم على عبد الملك ومدحه

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار، وأحمد بن عبد العزيز الجوهري ، قالا : حدّثنا عمر بن شبة قال : حدّثنا محمد بن يحيى عن عبد العزيز بن عمران ، قال : أخبرني أحمد بن هاشم بن عتبة بن أبي وقّاص، قال :

(١) في اللسان : الشظية : كل فلقة من شيء، والقطعة المرتفعة في رأس الجبل، جمعها : شظايا . وهذا المعنى هو المناسب لبيت الفضل . أما الشظى فعظيم دقيق إذا زال عن موضعه شظي الفرس ، أي تألم له . وهذا المعنى مناسب لشعر دريد بن الصمة . ويبدو أن أبا الفرج خلط بين المعنيين .

(٢) العمد : مصدر عمد البعير (بكسر الميم) أي ورم سنامه من عض القتب والحلس (انظر اللسان) .

قدم الفضل بن العباس بن عتبة بن أبى لهب ، على عبد الملك بن مروان ، فأنشده وعنده ابن لعبيد الله بن زياد ، فقال الزيادىّ : والله ما أسمع شعرا ، فلما كان العشىّ راح إليه الفضل ، فوقف بين يديه ، ثم قال : يا أمير المؤمنين :

أتيتك خالا وابن عم وعمة * ولم أك شَعْبا لاطه بك مِشعبُ[1]

فصِلْ واشجاتٍ بيننا من قرابة * ألا صِلةُ الأرحام أبقى وأقرب

ولا تجعلنّى كامرئ ليس بينه * وبينكمُ قربى ولا متَنَسَّب

أنحدب من دون العشيرة كلها * فأنت على مولاك أحنى وأحدب

فقال الزيادىّ : هذا ، والله يا أمير المؤمنين ، الشعر ! فقال عبد الملك : النَّخْس يكفيك البطئ[2] . وجعل يضحك من استرسال الزيادىّ فى يده[3] ، وأحسن صلته .

عطية المهدى للأحيحى

وأخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدّثنى النوفلىّ قال : حدّثنى عمى قال :

لما قدم الفضل اللّهبىّ على عبد الملك بن مروان أمر له بعشرة آلاف درهم ، ثم جح الوليد فأمر له بمثلها . فلما قدم الأُحيحى[4] على المهدىّ فمدحه ، قال المهدى لمن حضر : كم كان عبد الملك أعطى الفضل اللّهبىّ لما مدحه ، فما أعلم هاشميا مدحه غيره ؟ فقيل له : أعطاه عشرة آلاف درهم . قال : فكم أعطاه الوليد ؟ قالوا : مثل عطية أبيه . فأمر للأُحَيحىّ بثلاثين ألف درهم .

(١) لاطه : ألصقه ، وفى الشعر تعريض بزياد بن أبيه وقصة استلحاقه .

(٢) هذا مثل ، معناه أن الحث يحرك البطىء الضعيف ، ويحمله على السرعة . (الميدانى ٢ : حرف النون) .

(٣) كذا فى الأصول ، ومعنى العبارة غامض .

(٤) الأحيحى : شاعر ، ولعله ينسب إلى أبى أحيحة سعيد بن العاص بن أمية .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال : حدّثنا عمر بن شبة ، قال :
حدّثني أحمد بن معاوية ، عن عثمان بن إبراهيم الحاطبيّ ، قال :

خرج عليّ بن عبد الله بن العباس بالفضل اللهبيّ إلى عبد الملك بن مروان
بالشام ، فخرج عبد الملك يوما رائحا على نجيب له ، ومعه بغلة تُجنَب ، فحدا حادى
٥ عبد الملك به ، فقال :

يأيها البكر الذى أراكا * عليك سهلَ الأرض فى ممشاكا
ويلَك هل تعلم من علاكا * إن ابن مروان على ذُراكا
خليفة الله الذى امتطاكا (١) * لم يَعْلُ بكرا مثلُ من علاكا

فعارضه الفضل اللّهبي ، فحدا بعليّ بن عبد الله بن عباس ، فقال :

١٠ يأيها السائل عن عليّ * سألت عن بدر لنا بدريّ
أغلبَ فى العلياء غالبيٍّ (٢) * ولينِ الشيمةِ هاشمى
* جاء على بكر له مَهْرِيّ *

فنظر عبد الملك إلى عليّ فقال : أهذا مجنون آل أبى لهب؟ قال : نعم . فلما أعطى
قريشا مر به اسمه فحرمه ، وقال : يعطيه عليّ . هكذا رواية عُمر بن شبة .

١٥ وأخبرنى ابن عمار بهذا الخبر عن على بن محمد بن النوفليّ عن عمه :

أن سليمان بن عبد الملك حج فى خلافة الوليد ، فجاء إلى زمزم فجلس عندها ،
ودخل الفضل اللّهبيّ يستقى ، فجعل يرتجز و يقول :

يأيها السائل عن عليّ * سألت عن بدرٍ لنا بدريٍّ
مقدَّم فى الخير أبطحيٍّ * ولينِ الشيمةِ هاشميّ
٢٠ زمزَمنا بوركتِ من ركيٍّ * بوركتِ للساقى وللمسقيّ

(١) ف : اصطفاكا . (٢) كذا فى ف ، مب . وفى بقية الأصول : أغلب فى العلياء غلابى .

فغضب سليمان، وهم بالفضـل . فكفه عنه علىّ بن عبـد الله ، ثم أتاه بقدح فيه نبيذ من نبيذ السقاية، فأعطاه إياه، وسأله أن يشربه ، فأخذه من يده كالمتعجب ، ثم قال : نعم إنه يستحب ، ووضعه فى يده ولم يشربه . فلما ولى الخلافة وحج لقيه الفضل، فلم يعطه شيئا .

نسخت من كتاب ابن النطاح ، قال :

حسد الحارث بن خالد المخزومى له

ذكر أبو الحسن المـدائنى أن الحارث بن خالد المخزومىّ ، كان يحسد الفضل اللهبى على شعره ويعاديه ، لأن أبا لهب كان قامر جده العاصىَ بن هشام على ماله فقَمَره ، ثم قامره على رِقّة فقَمَره[1]، فأسلمه قَيْنا ، ثم بعث به بديلا يوم بدر ، فقتله علىّ بن أبى طالب عليه السلام ، فكان[2] إذا أنشد شيئا من شعره يقول : هذا شعر ابن « حَمّالة الحطب » . فقال الفضل فى ذلك :

ماذا تحاول من شتمى ومَنقصتى * ماذا تُعيِّر من حمالة الحطبِ
غراء سائلة فى المجـد غُرتهـا * كانت حليلة شيخ ثاقب النسب
إنا وإن رسـول الله جاء بنـا * شيخ عظيم شُئُونِ الرأس والنشبِ
يا لعن الله قوما أنت سيدهم * فى جلدة بين أصل الثِّيل[3] والذنبِ
أبالقيون توافيـنى تفاخرنى * وتدعى المجد قد أفرطتَ فى الكذبِ
وفى ثلاثةِ رهطٍ أنت رابعهـم * توعدنى واسـطا جرثومةَ العرب
فى أسرة من قريش هم دعائمهـا * تشـفِى دماؤهمُ للخبْـل والكَلَب
أما أبوك فعبـدٌ لستَ تنـكره * وكان مالكَه جـدى أبو لهب
النبـعُ عيـداننا والمجـدُ شيمتنـا * لسنا كقومك من مَرْخ ولا غَرَب

(١) قمره : غلبه . (٢) الضمير يرجع إلى أبى لهب، كما هو ظاهر من البيت الثامن .
(٣) الثيل : وعاء قضيب البعير والتيس ، وقد يقال للانسان .

داينه عقرب حناط فهجاه

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال : حدّثني عمي عبيد الله بن محمد، عن ابن حبيب ، عن ابن الأعرابي ، قال :

كان رجل من بني كنانة يقال له عَقْربُ حنّاط قد داين الفضل اللّهبي فمطله ، ثم مر به الفضل وهو يبيع حِنطة له ، ويقول :

٥ جاءت بهـا ضابطة التّجارِ * صافيـة كقطـع الأوتارِ

فقال الفضل :

قد تَجَرت عَقْربُ في سـوقنا * يا عجبًا للعقـربِ التاجرهْ

قد صافتِ العقربُ(١) واستيقنت * أنْ مالهـا دنيـا ولا آخرهْ

فإن تعـدْ عادت لمـا ساءها * وكانتِ النعـلُ لهـا حاضرهْ

١٠ إنّ عدُوا كيدُه في إستِـهِ * لَغَـيرُ ذي كيدٍ ولا نائرهْ(٢)

كل عـدو يُتّقَى مقبـلا * وعَقْـرب تُخْشَى من الدابِرهْ

كأنهـا إذ خرجت هَـوْدجٌ * شَـدَّت قُواه رُفْعـة باكرهْ

مفاخرته مع عمر ابن ربيعة

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدّثنا كماذ أبو غسان، عن أبي عبيدة. ووجدته في بعض الكتب عن الرياشيّ عن زكويه العلائي عن ابن عائشة عن أبيه،

١٥ والروايتان كالمتفقتين :

أن عمر بن أبي ربيعة وفد على عبـد الملك بن مروان ، فأدخل عليه ، فسأله عن نسبه ، فانتسب ، فقال له :

لا أنعم الله بقَـيْن عينـا * تحيـة السـخطِ إذا التقينا

أأنت لا أم لك القائل :

٢٠ (١) لعله من صاف عن الشيء : إذا عدل عنه ، يريد عدلت عن الإيذاء . ويقال : أصاف الله عني شر فلان ، أي صرفه وعدل به (انظر اللسان) . وفي مب : ضاقت .

(٢) النائرة : العداوة والشحناء .

صـــوت

نظـرت إليهـا بالمحصّب من مِنًى * ولى نظـر لولا التحـرّج عارِمُ

فقلت : أشمس أم مصابيح بِيعـةٍ * بدت لك خلف السجف أم أنت حالم

بعيـدةُ مَهْوَى القُرط إمّا لنوفـل * أبوها وإما عبـدُ شمس وهاشِمُ[1]

الغناء لابن سريج : رمل بالوسطى من رواية عمرو بن بانة ، ومن رواية حماد ٥

ابن إسحاق عن أبيه . ولمعبد فيه لحن من رواية إسحاق : ثقيل أوّل بالسبابة فى مجرى البنصر[2] ، أوّله :

* بعيدة مهْوَى القرط إما لنوفل *

وفى لحن معبد خاصة قوله :

٨/١٥ ومد عليها السجف يوم لقيتها * على عجـلٍ تُبّاعها والخـوادم ١٠

وتمـام الشعر :

فـلم أستطعها غير أنْ قد بدا لنـا * عشـية راحت كفُّها والمعـاصمُ

معاصم لم تضرب على البَهْم بالضُّحَى * عصاها ، ووجه لم تَلُحْـه السَّمائم

نرجع إلى سياقة الخبر :

ثم قال له عبد الملك : قاتلك الله ! ما ألأمك ! أما كانت لك فى بنات العرب ١٥

مندوحة عن بنـات عمك ! فقال عمر : بئست والله هذه التحية يا أمير المؤمنين

لابن العم ، على شَحْط الدار ، ونأْى المزار . فقال له عبد الملك : أراك مرتدعا عن

ذلك؟ فقال : إنى إلى الله تعالى تائب . فقال عبد الملك : إذن يتوبَ الله عليك،

وسيحسن جائزتك . ولكن أخبرنى عن منازعتك اللَّهَبِىّ فى المسجد الجـامع ،

(١) هاشم ليس معطوفا على (لنوفل) بالجر، وإنما هو مرفوع على أنه خبر مبتدأ ، تقديره : و إما أبوها عبد شمس وهاشم . (٢) كذا فى ف ، مب . وفى الأصول : الوسطى . ٢٠

فقد أتانى نبأ ذلك، وكنت أحب أن أسمعه منك . قال عمر : نعم يا أمير المؤمنين، بينا أنا جالس فى المسجد الحرام، فى جماعة من قريش، إذ دخل علينا الفضل ابن العباس بن عتبة، فسلم وجلس، ووافقنى وأنا أتمثل بهذا البيت :

وأصبح بطنُ مكة مقشعِرًّا * كأن الأرضَ ليسَ بها هِشام[1]

٥ فأقبل علىّ وقال : يا أخا بنى مخزوم، والله إن بلدة تَبحبحَ[2] بها عبد المطلب، وبُعث منها رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستقر بها بيت الله عز وجل، لحقيقة ألا تَقْشَعِرّ لهشام، وإن أشعر من هذا البيت وأصدق قولًا من يقول :

إنما عبد مناف جوهر * زَيَّنَ الجوهرَ عبدُ المطلب

فأقبلت عليه فقلت : يا أخا بنى هاشم، إن أشعر من صاحبك الذى يقول :

١٠ إن الدليل على الخيراتِ أجمعها * أبناءُ مخزومَ[3]، للخيرات مخزومُ

فقال لى : أشعر والله من صاحبك الذى يقول :

جبريلُ أهدَى لنا الخيراتِ أجمعَها * إذ أمَّ هاشمَ[3] لا أبناءَ مخزوم

فقلت فى نفسى : غلبنى والله . ثم حملنى الطمع فى انقطاعه علىّ، فخاطبته فقلت : بل أشعر منه الذى يقول :

١٥ أبناء مخزومٍ الحريقُ إذا * حركته تارةً[4] ترى ضَرَما

يَخرج منه الشَّرارُ معْ لَهَبٍ * من حاد عن حَرّه فقد سلِما

(١) هو هشام بن إسماعيل المخزومى أمير الحجاز .

(٢) تبحبح : تمكن فى المقام والحلول .

(٣) مخزوم وهاشم : اسمان للقبيلتين، فلذلك منعا من الصرف .

٢٠ (٤) فى بدائع البدائه لعلى بن ظافر ص ١٥ : « حركت نيرانه »

فوالله ما تلعثم[1] أن أقبل علىّ بوجهه فقال : يا أخا بنى مخزوم ، أشعر من صاحبك وأصدق الذى يقول :

هاشمٌ بحر إذا سما وطما[2] * أخمد حَرّ الحريق واضطرما
واعلَمْ وخير المقال أصدقُه * بأنّ من رام هاشما هُشِما

قال : فتمنيت والله يا أمير المؤمنين أن الأرض ساختْ بى ، ثم تجلدت عليه فقلت : يا أخا بنى هاشم ، أشعر من صاحبك الذى يقول :

أبناءُ مخزومَ أنجمٌ طلعتْ * للناس تجلو بنورها الظُّلَما
تجود بالنَّيل قبلَ تُسْأَله * جُوداً هنيئا وتضربُ البُهَما[3]

فأقبل علىّ بأسرع من اللحظ[4] ، ثم قال : أشعر من صاحبك وأصدق الذى يقول :

هاشمٌ شمسٌ بالسَّعْدِ مَطْلَعها * إذا بَدَت أخفت النجومَ مَعَا
اختار منها ربِّى النبىَّ فمن * قارَعها[5] بعــد أحمدٍ قُرِعا

فاسودّت الدنيا فى عينى ، وديربى ، وانقطعت ، فلم أُحِر جوابا . ثم قلت له : يا أخا بنى هاشم ، إن كنت تفخر علينا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما يسعنا مفاخرتك . فقال : كيف ؟ لا أمّ لك ، والله لو كان منك لفخرتَ به علىّ . فقلت : صدقتَ وأستغفر الله ، إنه لموضع الفَخار . وداخلنى السرور لقطعه الكلام ، ولئلا ينالنى عوز عن إجابته[6] فأفتضح . ثم إنه ابتدأ بالمناقضة ، فأفكر هنيهة ، ثم قال : قد قلتَ فلم أجدْ بُدًّا من الاستماع ، فقلت : هات . فقال :

(١) ما تلعثم : ما توقف . (٢) بدائع البدائه : همى . ومضارعه يهمى .
(٣) جمع بهمة ، وهو الشجاع ينبهم أمره على قرنه ، فلا يدرى من أين يصيبه .
(٤) بدائع البدائه : أسرع من البرق . (٥) كذا فى ف . وفى الأصول و بدائع البدائه : قارعنا .
(٦) كذا فى ف ، مب . فى بدائع البدائه : عجز عن إجابته . وفى الأصول : خور عن إجابته .

نحنُ الذين إذا سما لِفَخارهم * ذو الفخر أقعده هناك القُعْدُدُ [1]

افخَر بنا إن كنتَ يوما فاخرا * تَلْقَ الأُلَى فخروا بفخرك أُفْرِدوا

قلْ يابن مخزومٍ لكل مفاخرٍ * منا المباركُ ذو الرسالة أحمد

ماذا يقول ذوو الفَخار هُنا لكُمْ * هَيهاتَ ذلك ، هل يُنال الفرقَدُ

٥ فحَصِرت والله وتبلَّدت، وقلت له : إن لك عندى جوابا فأنظرنى . وأفكرت مَلِيًّا ، ثم أنشأت أقول :

لا فَخْرَ إلا قد علاه محمدٌ * فإذا فخرتَ به فإنى أشهدُ

أنْ قدْ فخرتَ وفُقْتَ كلَّ مفاخرٍ * وإليك فى الشرف الرفيع المَعْمدُ

ولنا دعائم قد بناها أوَّلٌ * فى المكرمات جرى عليها المَوْلدُ

١٠ من رامها حاشَى النبيِّ وأهله * بالفخر غطمطه الخليجُ المُزْبِدُ [2]

دعْ ذا ورُحْ لِغناء خَوْدٍ بَضَّةٍ * مما نطقتَ به وغَنَّى مَعْبدُ

معْ فتية تَنْدى بطونُ أكفهم * جُودا إذا هَرَّ [3] الزمانُ الأنكَدُ

يتناولون سُلافة عانيةً * طابت [4] لشاربها وطاب المَقْعَد

فوالله يا أمير المؤمنين ، لقد أجابنى بجواب كان أشد على من الشعر . قال لى :

١٥ يا أخا بنى مخزوم ، أريك السُّهَا وتريني القَمَر — قال أبو عبد الله اليزيدى [5] : أدُلُّك على الأمر الغامض، وأنت لم تبلغ أن ترى الأمر الواضح . وهذا مَثَلٌ — أتخرج من المفاخرة إلى شرب الراح ، وهى الخمر المحرمة ؟ فقلت له : أما علمت أصلحك الله

---

(١) القعدد : اللئيم الخامل القاعد عن المكارم . وفى بدائع البدائه : الزمان القعدد .

(٢) بالفخر : كذا فى ف ، مب و بدائع البدائه . وفى الأصول : فى الأرض . وغطمطه : اضطربت به أمواجه . (٣) هر : ساء خلقه واشتد . وفى بدائع البدائه : غلج الحرون الأنكد .

٢٠ ويقال غلج الفرس : خلط فى سيره واضطرب . (٤) بدائع البدائه : لذت .

(٥) هو محمد بن العباس اليزيدى النحوى (ت ٣١٠ هـ) . ومن لفظه نقل أبو الفرج هذا الخبر ؛ كما سيأتى فى آخره . وفى الأصول : الزبيرى . تحريف . والتصويب عن بدائع البدائه، لعلى بن ظافر .

أن اللهَ عز وجل يقول فى الشعراء : « وأنهم يقولون مالا يفعلون » . فقال : صدقت ، وقد استثنى الله قوما منهم ، فقال : «إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات» ، فإن كنت منهم فقد دخلت تحت الاستثناء ، وقد استحققت العقوبة بدعائك إليها ، وإن لم تكن منهم فالشرك بالله عليك أعظم من شرب الخمر . فقلت : أصلحك الله ، لا أجد للستخذى شيئا أصلح من السكوت . فضحك وقال : أستغفر الله . وقام عنى .

قال : فضحك عبد الملك حتى استلق ، وقال يابن أبى ربيعة ، أما علمت أن لبنى عبد مناف ألسنةً لا تطاق ، ارفع حوائجك . قال : فرفعتها فقضاها ، وأحسن جائزتى وصرفنى[1] .

واللفظ فى هذا الخبر لمحمد بن العباس[2] .

ذكر خبر من لم يمض له خبر ولا يأتى ممن ذكرت صنعته فى هذا الخبر

خليدة المكية

منهم خُليدة المكيـة ، وهى مولاة لابن شَمّاس ، كانت هى وعقيلة ورُبيحة يعرفن بالشماسيات ، وقد أخذن الغناء عن ابن سريج ومعبد ومالك .

فأخبرنى الحِرْمِىّ بن أبى العلاء والطُّوسىّ قالا : حدّثنا الزبير بن بكار ، عن عمه قال :

كانت لهشام بن عُروة جَفنة يُصيب منها هو وبنوه ناحية[3] ، وكان محمد ابن هشام يصنع الطعامَ الرقيق ، فيشير إليهم ، فيمسكون عن الأكل ، فيفطُن هشام ، فيقول : لقد حدث شىء ، ثم يقوم محمد ، فيتسلّل القوم إليه ، وجاءت

(١) قال على بن ظافر فى بدائع البدائه ص ١٧ تعليقا على هذه القصة : « وأحسب الحكاية مصنوعة ، لأن شعارها ضعيفة » . (٢) هو أبو عبد الله اليزيدى (انظر ترجمته فى هامش ص ١٨٩) . (٣) كذا فى ب . وفى الأصول : وبنو ناجية . تحريف .

خُليدة المكية ، فصعِدُوا غُرفة ، فلما غَنَّت إذا حَفْـز(١) ونفس ، فإذا هو هشام قد طلع وهو ينشد :

يا قـدمىّ ألحقانى بالقومْ * لا تَعِدَانى كَسَلا بعد اليومْ

فلما رآهم ، قال : أحسبه قـد جلس معهم . وقال لخُليدة : غنى . فغنت .

٥ فقال لها : اكتبى فى صدرك « قل هو الله أحد والمعوِّذتين » لا تصيبك العين .

كان ابن جامع يطرب لغنائها

أخبرنى على بن عبـد العزيز الكاتب ، عن ابن خُرْدَاذَبه قال : حدّثنى إسحاق ابن إبراهيمَ الموصلىّ ، عن الفضل بن الربيع قال :

ما رأيت ابن جامع يطرب لغناء كما يطرب لغناء خُلَيدة المكية ، وكانت سوداء ، وفيها يقول الشاعر :

١٠ فتنَتْ كاتبَ الأَميرِ رِياحا(٢) * يا لقـومٍ خُلَيـدة المكيهْ

أرسل إليها محمد ابن عبد الله بن عمرو ابن عثمان يخطبها

أخبرنى إسماعيل بن يونس قال : حدّثنا عمر بن شبة ، ونسخت هذا الخبر بعينه من كتاب جعفر بن قدامة بخطه ، قال : حدّثنى عمر بن شبة قال :

بلغنى أن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان أرسل إلى خليدة المكية أبا عون مولاه يخطبها عليـه . فاستأذن فأذنت له وعليها ثياب رِقاق لا تسـترها ،

١٥ ثم وثبت ، فقالت : إنما ظننتك بعض سفهائك ، ولكنى ألبس لك ثياب مِثلك ، ثم أخرج إليك . ففعلت . وقالت : قل . قال : أرسلنى إليك مولاى ، وهو من تَعلمين بين رسـول الله صلى الله عليـه وسلم و بين علىّ وعثمان ، وهو ابن عم أمير المؤمنين ، يخطبك . وقالت : قـد نسبته فأبلغت ، فاسمع نسبى أنا ، بأبى أنت .

(١) الحفز : الدفع ، وتتابع النفس فى الصدر . وفى الأصول : صفر .

٢٠ (٢) كذا فى ف . وفى الأصول : ربه

إن أبى بِيع على غير عَقْد الإسلام ولا عهده، فعاش عبدا، ومات وفى رجله قيد، وفى عنقه سلسلة، وعلى الإباق والسرقة؛ وولدتنى أمى على غير رِشدة، وماتت وهى آبقة، فأنا من تعلم. فإن أراد صاحبك نكاحا مُباحا، أو زنا صُرَاحا، فهلم إليه، فنحن له. فقال: إنه لا يدخل فى الحرام. قالت: ولا ينبغى أن يستحيىَ من الحلال. فأما نكاح السِّر فلا. والله لا فعلته، ولا كنت عارا على القِيان. قال: فأتيت محمدا فأخبرته، فقال: ويلك! أتزوّجها مُعْلِنا وعندى بنت طلحة بن عُبيد الله! لا. ولكن ارجع إليها، فقل لها تختلف إلىّ أردد بصرى فيها، لعلى أسلو. فرجعت فأبلغتها الرسالة، فضحكت، وقالت: أما هذا فنعم. لسنا نمنعه منه.

***

صوت

رُبَّ ليلٍ ناعم أحييتُه * فى عفافٍ عند قبّاءِ الحشَى

ونهارٍ قد لهونا بالتى * لا نرى شبها لها فيمن مَشَى

لِطلوعِ الشمس حتى آذنت * بغروب عند إبان العِشَا(١)

لِسُلَيمَى ما دعت قُمْريّة * بهديل فوق غصن من غَضَى

وعُقارٍ قهوةٍ باكرتُها * فى ندامَى كمصابيح الدُّجَى

وجوادٍ سابحٍ أقحمته * حَوْمة الموت على زُرق القَنا

(١) رواية الشطر الثانى فى الأصول: «لغروب أنت تهوى من تشا».

الشعر للمهاجر بن خالد بن الوليد، فيما ذكر الزُّبير بن بكّار . وذكر أبو عمرو الشَّيبانيّ وخالدُ بن كُلثوم : أنه لأبنه خالد بن المهاجر . والغناء لابن محرز : ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى البنصر، عن إسحاق ؛ وفيه لإبراهيم الموصليّ لحنان ، أحدهما هزج خفيف بالسبابة ، في مجرى البنصر ، عن إسحاق وابن المكي ، والآخر رمل بالبنصر، عن عمرو وابن المكيّ والهشاميّ . وفيه لمعبد خفيف ثقيل بالخنصر والبنصر ، عن ابن المكيّ . قال : وفيه لمالك خفيف ثقيل آخر ، نشيد[1] ، ووافقه عمرو والهشامي ، وذكر عمرو في نسخته الأولى أنه لابن محرز ، والمعمول عليه الرواية الثانية .

(١) كذا في مب . وفي بقية الأصول : « نشيد مسجح » .

أخبار المهاجر بن خالد ونسبه، وأخبار ابنه خالد

اسمه ونسبه

المهاجر بن خالد بن الوليد بن المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يَقَظة ابن مُرّة بن كعب بن لُؤَىّ بن غالب . وكان الوليد بن المغيرة سيدا من سادات قريش ، وجوادا من جُوَدائها (١) . وكان يلقب بالوَحيد . وأمه صَخرة بنت الحارث ابن عبد الله بن عبد شمس ، امرأة من بَجيلة ، ثم من قَسْر . ولما مات الوليد ابن المغيرة أرّخت قريش بوفاته مدّة، لإعظامها إياه ، حتى كان عام الفيل، فجعلوه تاريخا . هكذا ذكر ابن دأب .

وأما الزبير بن بكار فذكر عن عمرو بن أبى بكر المؤمّلىّ ، أنها كانت تؤرّخ بوفاة [illegible]م بن المغيرة تسع سنين، إلى أن كانت السنة التى بنوا فيها الكعبة، فأرّخوا بها .

بلاء خالد فى الإسلام

ولخالد بن الوليد من الشهرة بصحبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والغَناء فى حروبه المحل المشهور، ولقّبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيف الله، وهاجر إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم قبل الفتح وبعد الحُدَيْبِية هو وعمرو بن العاص وعثمان ابن طلحة . فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم لما رآهم : رمتكم مكة بأفلاذ كبدها . وشهد فتح مكة مع النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم، فكان أوّل من دخلها فى مُهاجرة العرب من أسفل مكة ، وشهد يوم مُؤْتة . فلما قتل زيد بن حارثة وجعفر ابن أبى طالب وعبد الله بن رَواحة ، ورأى ألا طاقة للسلمين بالقوم، انحاز بهم، وحامَى عليهم حتى سلموا ، فلقّبه يومئذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : سيف الله .

حدّثنا بذلك أجمع الحَرَمىّ بن أبى العلاء والطوسىّ عن الزبير بن بكار .

(١) كذا فى ف ، مب . وفى الأصول : أجوادها ، وهما بمعنى .

وكان خالد يوم حنين فى مقدمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعه بنو سليم ، فأصابته جراح كثيرة ، فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هزيمة المشركين ، فنفث على جراحه ، فاندملت ونهض . وله آثار فى قتال أهل الرِّدَّة ، فى أيام أبى بكر رضى الله عنه مشهورة ، يطول ذكرها . وهو فتح الحيرة ، بعث إليه أهلها عبد المسيح بن عمرو ابن بُقَيلة ، فكلمه خالد ، فقال له : من أين أقبلت ؟ قال : من ورائى . قال : وأين تريد ؟ قال : أمامى . قال : ابن كم أنت؟ قال : ابن رجل وامرأة . قال : فأين أقصى أثرك ؟ قال : منتهى عمرى . قال : أتعقِل ؟ قال : نعم ، وأُقَيِّد . قال : ما هذه الحصون ؟ قال : بنيناها نتق بها السفيه حتى يردعه الحليم . قال : لأمر ما اختارك قومك ، ما هذا فى يدك؟ قال : سُمُّ ساعة . قال : وما تصنع به؟ قال : أردت أن أنظر ما تردنى به : فإن بلغتُ ما فيه صلاح لقومى عدت إليهم ، و إلا شربته ، فقتلت نفسى ، ولم أرجع إلى قومى بما يكرهون . فقال له خالد: أرنيه . فناوله إياه . فقال خالد : باسم الله الذى لا يضر مع اسمه شيء فى الأرض ولا فى السماء ، وهو السميع العليم ، ثم أكله ، فتجللته غشية ، ثم أفاق يمسح العرق عن وجهه . فرجع ابن بُقيلة إلى قومه ، فأخبرهم بذلك ، وقال : ما هؤلاء القوم إلا من الشياطين ، وما لكم بهم طاقة ، فصالحوهم على ما يريدون . ففعلوا .

أخبرنى بذلك إبراهيم بن السرى ، عن يحيى التميمى ، عن أبيه ، عن شعيب ابن سيف . وأخبرنى به الحسن بن على عن الحارث بن محمد عن محمد بن سعد ، عن الواقدى .

وأمَّره أبو بكر على جميع الجيوش التى بعثها إلى الشام لحرب الروم ، وفيهم أبو عُبيدة بن الجراح ومُعاذ بن جبل ، فرضوا به و بإمارته .

قالوا : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حلَق رأسه ذات يوم ، فأخذ خالد شَعره ، فجعله فى قلنسوة له ، فكان لا يلقَى جيشا وهى عليه إلا هزمه .

١٢/١٥

وروى عن النبيّ صلى الله عليه وسلم الحديث، وحُمل عنه. ورآه النبيّ صلى الله عليه وسلم مُتَدلّيا من هَرْشَى فقال : نِعْم الرجل خالد بن الوليد .

أخبرنا بذلك الطوسيّ والحَرَميّ قالا : حدّثنا الزبير بن بكار قال : حدّثنى يعقوب بن محمد عن عبد العزيز بن محمد، عن عبد الواحد بن أبى عون ، عن أبى سعيد[1] المقبرىّ ،عن أبى هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك له . ٥

قال الزبير : وحدّثنى محمد بن سَلّام ، عن أبان بن عثمان قال :

ما صنعه النساء عند موت خالد

لما مات خالد بن الوليد لم تبق امرأة من بنى المغيرة إلا وضعت لِمّتها على قبره، يعنى حلقت رأسها ، ووضعت شعرها على قبره .

قال ابن سَلّام : وقال يونس النحوى : إن عمر رضى الله عنه قال حينئذ : دعوا نساء بنى المغيرة يَبكين أبا سليمان ، ويُرِقن من دموعهن سَجْلا أو سجلين ، ما لم يكن نقع أو لقلقة . ١٠

قال: والنقع : مد الصوت بالنحيب. واللقلقة : حركة اللسان بالولولة ونحوها.

قال الزبير، فيما ذكره لى من رويت عنه : حدّثنى محمد بن الضّحاك عن أبيه :

كان خالد أشبه الناس بعمر

أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان أشبهَ الناس بخالد بن الوليد ، فخرج عمرُ سَحَرا ، فلقيه شيخ ، فقال له : مَرْحَبا بك يا أبا سليمان ، فنظر إليه عمر ، ١٥ فإذا هو عَلْقمة بن عُلاثة ، فردّ عليه السلام . فقال له علقمة : عزلك عمر ابن الخطاب ؟ فقال له عمر : نعم . قال : ما شَبِع ، لا أشبع الله بطنه ! قال له عمر : فما عندك ؟ قال : ما عندى إلا السمع والطاعة .

(١) كذا فى ف . وفى مب : سعد . وفى بقية الأصول : سعيد المقبرى .

فلما أصبح عمر دعا بخالد ، وحضره علقمة بن عُلاثة ، فأقبل على خالد ، فقال له : ماذا قال لك علقمة ؟ قال : ما قال لى شيئا . قال : اصدُقْنى . فحلف خالد بالله ما لقيه ، ولا قال له شيئا . فقال له علقمة : حِلاَّ[1] أبا سليمان . فتبسم عمر ، فعلم خالد أن علقمة قد غلِط ، فنظر إليه ، وفَطَن علقمة ، فقال له : قد كان ذلك يا أمير المؤمنين ، فاعفُ عنى ، عفا الله عنك . فضحك عمر وأخبره الخبر . ٥

أخبرنى عمى قال : حدّثنى أحمد بن الحارث الخرّاز قال : حدّثنا المدائنى ، عن شيخ من أهل الحجاز ، عن زيد بن رافع مولى المهاجر بن خالد بن الوليد ، وعن أبى ذئب[2] ، عن أبى سهيل أو ابن سهيل :

١٣/١٥

دس معاوية لعبد الرحمن بن خالد من يقتله

أن معاوية لما أراد أن يُظهر العهْد ليزيد، قال لأهل الشام : إن أمير المؤمنين قد كَبِرت سنه ، ورق جِلده ، ودق عظمه ، واقترب أجله ، ويريد أن يستخلف عليكم ، فمن ترون ؟ فقالوا : عبد الرحمن بن خالد بن الوليد . فسكت وأضمرها ، ودس ابن أُثال الطبيب إليه ، فسقاه سَمّا فمات . وبلغ ابن أخيه خالد بن المهاجر ابن خالد بن الوليد خبرُه وهو بمكة ، وكان أسوأ الناس رأيا فى عمّه ، لأن أباه المهاجر كان مع علىّ عليه السلام بصِفّين ، وكان عبد الرحمن بن خالد بن الوليد مع معاوية ، وكان خالد بن المهاجر على رأى أبيه : هاشمىّ المذهب ، ودخل مع بنى هاشم الشِّعْب ، فاضطغن ذلك ابنُ الزُّبَير عليه ، فألقى عليه زِق خمر ، وصبّ بعضه على رأسه ، وشَنَّع عليه بأنه وجده ثَمِلا من الخمر ، فضربه الحدّ . فلما قُتِل عمه عبد الرحمن مَرّ به ١٠ ١٥

(١) حلا : أى تحلل من حلفك .

(٢) كذا فى ف ، مب . وفى بقية الأصول : سليمان بن أبى ذئب

عروة بن الزبير، فقال له : ياخالد، أتدع ابن أثال ينقى[1] أوصال عمك بالشأم وأنت بمكة مسبل إزارك، تجره وتخطر فيه متخايلا ؟ فحمى خالد، ودعا مولى له يدعى نافعا، فأعلمه الخبر، وقال له : لابد من قتل ابن أثال؛ وكان نافع جلدا شهما .

فخرجا حتى قدما دمشق، وكان ابن أثال يمسى عند معاوية، فجلس له فى مسجد دمشق إلى أسطوانة، وجلس غلامه إلى أخرى، حتى خرج. فقال خالد لنافع : إياك أن تعرض له أنت ، فإنى أضربه ، ولكن احفظ ظهرى ، واكفنى من ورائى ، فإن رابك شىء يريدنى من ورائى فشأنك . فلما حاذاه وثب عليه فقتله ، وثار إليه من كان معه . فصاح بهم نافع فانفرجوا، ومضى خالد ونافع، وتبعهما من كان معه، فلما غشوهما حملا عليهم، فتفرقوا، حتى دخل خالد ونافع زقاقا ضيقا، ففاتا القوم. وبلغ معاوية الخبر، فقال: هذا خالد بن المهاجر، اقلبوا الزقاق الذى دخل فيه. ففتش عليه ، فأتى به . فقال : لا جزاك الله من زائر خيرا ، قتلت طبيبى . قال : قتلت المأمور وبقى الآمر . فقال له : عليك لعنة الله ! أما والله لو كان تشهد مرة واحدة لقتلتك به ، أمعك نافع ؟ قال : لا . قال : بلى والله ما اجترأت إلا به . ثم أمر بطلبه فوجد ، فأتى به ، فضربه مئة سوط . ولم يهج خالدا بشىء أكثر من أن حبسه، وألزم بنى مخزوم دية ابن أثال، اثنى عشر ألف درهم. أدخل بيت المال منها ستة آلاف درهم، وأخذ ستة آلاف درهم، ولم يزل ذلك يجرى فى دية المعاهد، حتى ولى عمر بن عبد العزيز، فأبطل الذى يأخذه السلطان لنفسه، وأثبت الذى يدخل بيت المال .

وخالد بن المهاجر الذى يقول :

(١) ينقى : أى يستخرج المخ من العظام . يريد أن يعبث بأعضاء الزبير بعد قتله إياه ، لأنه لا يعبأ بأحد من أهله . والكلمة فى ف غير واضحة تماما ، وقد تقرأ : يفنى، أو يق ، ولا معنى لهما هنا. وانظر الكلمة مرة ثانية فى صفحة (٢٠٠ سطر ٢) .

صـــوت

يا صاحِ يا ذا الضامرِ العَنْسِ * والرحلِ ذى الأنساع والحِلْسِ
سَيْرَ النهـارِ ولستَ تاركه * وتُجِـدُّ سَـيرا كلمـا تُمسى

فى هذين البيتين وبيت ثالث لم أجده فى شعر المهاجر، ولا أدرى أهو له أم ألحقه به المغنونَ، لحنان : ثقيل أول ، وخفيف ثقيل . ذكر يونس أن أحدهما لمـالك ، ولم يذكر طريقة لحنـه ، ووجدته فى جامع غناء معبـد ، عن الهشامىّ . ويحيى المكى له فيـه خفيف ثقيل . وهكذا ذكر علىّ بن يحيى أيضـا ، ولعله رواه عن ابن المكىّ . وإن كان هـذا لمعبد صحيحا، فلحن مالك هو الثقيل الأوّل . وذكر حبش، وهو ممن لا يُحصِّل قوله : أن لحن معبد ثقيل أوّل بالوسطى .

رجع الخبر إلى سياقة خبر خالد

قال : ولمـا حبس معاوية خالد بن المهاجر قال فى الحَبْس :

إمَّا خُطَـاىَ تقـارَبَتْ * مَشْىَ المقيَّـد فى الحِصارِ
فبما أُمَشِّى فى الأبـا * طِح يقتـفى أثرى إزارى
دع ذا ولكنْ هـل تَرَى * نارا تُشَبُّ بـذى مُرارِ[1]
ما إن تُشَبُّ لِقُـرَّة * للمصطلين ولا. قُتـار
ما بالُ ليــلكَ ليس يَنْـ * ـقُص طُولَه طولُ النهـارِ
لتقاصُرِ الأزمانِ أم * غَرَضِ[2] الأسيرِ من الإسارِ؟

(١) ذو المرار : أرض كثيرة المرار ، وهو حمض أو شجـر مر من أفضل العشب وأضخمـه ، إذا أكلته الإبل قلصت مشافرها ، فبدت أسنانها (تاج العروس) .

(٢) الغرض : مصدر غرض : إذا ضجر وقلق .

قال : فبلغت أبياتُه معاويةَ، ففرق له وأطلقه . فرجع إلى مكة . فلما قدمها لقِىَ عروة بن الزبير، فقال له : أما ابن أُثال فقد قتلتُه، وذاك ابن جُرموز يُنْقِى[1] أوصالَ الزُّبير بالبصرة ، فاقتله إن كنتَ ثائرا . فشكاه عروة إلى أبى بكر بن عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام، فأقسم عليه أن يمسك عنه، ففعل .

غنى إبراهيم ابن المهدى فى شعر للهاجر

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدّثنى يعقوب بن نعيم قال : حدّثنى إسحاق بن محمد قال : حدّثنى عيسى بن محمد القَحْطَبِىّ قال : حدّثنى محمد ابن الحارث بن بُسْخُنَّر قال :

غنى إبراهيم بن المهدىّ يوما بحضرة المأمون وأنا حاضر :

يا صاحِ يا ذا الضامرِ العنسِ * والرحلِ ذى الأقتاب والحِلْسِ

قال : وكانت لى جائزة قد خرجت، فقلت : تأمر سيدى يا أمير المؤمنين بإلقاء هذا الصوت علىّ مكان جائزتى ، فهو أحب إلىّ منها ؟ فقال له : يا عم ، ألق هذا الصوت على محمد . فألقاه علىّ حتى إذا كدت أن آخُذه قال : اذهب فأنت أحذقُ الناس به . فقلت : إنه لم يصلح لى بعد . قال : فاغدُ غدا علىّ . فغدوت عليه ، فأعاده ملتويا[2] ، فقلت له : أيها الأمير ، لك فى الخلافة ما ليس لأحد ، أنت ابن الخليفة ، وأخو الخليفة ، وعم الخليفة ، تجود بالرغائب ، وتبخل علىّ بصوت ؟ فقال : ما أحمقك ! إن المأمون لم يستبقنى محبة لى، ولا صلة لرحمى، ولا لِيَرُبَّ المعروف عندى ، ولكنه سمع من هذا الجِرْم ما لم يسمعه من غيره . قال : فأعلمتُ المأمون بمقالته . فقال : إنا لا نكدّر على أبى إسحاق عفونا عنه ، فدعه . فلما كانت

(١) انظر التعليق على هذه الكلمة فى (ص ١٩٨ : سطر ١) . (٢) ف ، مب : متلونا .

أيام المعتصم نشِط للصَّبوح يوما ، فقال : أحضروا عمِّى . فجاء فى دُرّاعة بغير طَيْلَسان، فأعلمت المعتصم بخبر الصوت سرًّا، فقال : يا عمِّ غَنِّنى :

يا صاحِ يا ذا الضامرِ العنسِ * والرحلِ ذى الأقتاب والحِلسِ

فغناه . فقال : ألقه على محمد، فقال : قد فعلت ، وقد سبق منى قول ألا أعيدَه عليه . ثم كان يتجنب أن يغنيه حيث أحضُر .

٥

صــــوت

أقفرَ بعــد الأحبّـة البــلدُ * فهو كأنْ لم يكنْ به أحدُ

شجـاكَ نُؤْىٌ عَفَت معـالمُه * وهامدٌ فى العِـراص مُلتبِدُ

أمُّك عَنْســية مهـذَّبة * طابت لها الأمَّهات والقَصَدُ(١)

١٠

تُدْعى زهـيرية إذا انتسبتْ * حيث تلاقى الأنسابُ والعَدَدُ

١٥/١٥

الشعر لحمزة بن بِيض، والغناء لمعبد، خفيف ثقيل أوّل بالسبابة فى مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لابن عباد ثانى ثقيل بالوسطى عن الهشامى وعمرو وابن المكىّ .

---

(١) كذا فى ف ، مب . وفى بقية الأصول : والنجد . والقصد : اسم جنس جمعى واحده قصدة بالتحريك ، وهى من كل شجرة ذات شوك ، أن يظهر نباتها أول ما ينبت . يريد طابت أمهاتها ومنابتها

١٥

أخبار حمزة بن بيض(*) ونسبه

هو شاعر إسلامى خليع

حمزة بن بِيض الحَنفىّ : شاعر إسلامى من شعراء الدولة الأموية، كوفىّ خليع ماجن، من فحول طبقته . وكان كالمنقطع إلى المهلّب بن أبى صُفرة وولده، ثم إلى أبان بن الوليد، و بلال بن أبى بُرْدة . واكتسب بالشعر من هؤلاء مالا عظيما، ولم يدرك الدولة العباسية .

تكسبه بالشعر

أخبرنى عمى قال : حدّثنا أبو هفان قال : أخبرنى أبو محلم عن المفضل قال : أخذ حمزة بن بِيض الحنفىُّ بالشعر ألف ألف دِرهم، من مال وحُملان(١) وثياب ورقيق وغير ذلك .

بلال بن أبى بردة يمزح معه

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار، قال : حدثنى عبد الله بن أبى سعد، قال : حدّثنى أبو توْبة، قال :

قدم حمزة بن بِيض على بِلال بن أبى بُردة، فلما وصل إلى بابه قال لحاجبه : استأذن لحمزة بن بِيض الحنفىّ، فدخل الغلام إلى بلال، فقال : حمزة بن بِيض بالباب . وكان بلال كثير المزح معه، فقال : اخرج إليه فقل : حمزة بن بِيض ابن مَن ؟ فخرج الحاجب إليه، فقال له ذلك . فقال : ادخل فقل له : الذى جئت إليه إلى بنيان الحمام وأنت أمرد، تسأله أن يهب لك طائرا، فأدخلك(٢) وناكك، ووهب لك طائراً(٢) . فشتمه الحاجب . فقال له : ما أنت وذا ؟ بعثك برسالة ،

(*) ضبطه ابن برى والمطرز بكسر الباء، وضبطه ابن حجر بالفتح . وقال الفراء : إنه جمع أبيض و بيضاء (عن تاج العروس) .

(١) الحملان : الدواب التى تحمل الهبات خاصة .

(٢ — ٢) هذه العبارة فى الأصول ، وسقطت من ف . والسياق بعدها يقتضيها .

فأخبره بالجواب . فدخل الحاجب وهو مغضَب ، فلما رآه بلال ضحك ، وقال : ما قال لك قبّحه الله ؟ قال : ما كنت لأخبر الأمير بما قال . فقال : يا هذا ، أنت رسول فأدّ الجواب . قال : فأبى . فأقسم عليه حتى أخبره . فضحك حتى فحص برجله ، وقال : قل له : قد عرفنا العلامة فادخل ، فدخل فأكرمه ، ورفعه ، وسمع مديحه ، وأحسن صلته .

قال : وأراد بقوله (ابن بِيض ابن مَنْ؟) قول الشاعر فيه :

أنت ابن بِيض لعمرى لست أنكره * وقد صدقت ، ولكن مَن أبو بِيض؟

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال : حدّثنى محمد بن الحسن الأحول ، عن الأثرم ، عن أبى عمرو ، وأخبرنى وكيع قال : حدّثنى عُبيد الله بن محمد بن عُبيد بن سفيان ، قال : حدّثنى أبو الحسن الشّيبانى قال : حدّثنى شعيب بن صفوان ، قال :

يمدح مخلد بن يزيد فيثيبه

قدم حمزة بن بِيض على مَخْلد بن يزيد بن المهلب وعنده الكميت ، فأنشده قوله فيه :

أتيناك فى حاجة فاقضها * وقل مرحبا يَجِبِ المرحبَ

ولا تَكِلَنّا إلى معشر * متى يعدوا عدة يكذبوا

فإنك فى الفرع من أسرة * لهم خضع الشرق والمغرب

وفى أدبٍ منهمُ ما نشأتَ * ونِعْمَ لعمرُكَ ما أدّبوا[1]

بلغت لعشرٍ مضت من سنيـ * ـك ما يبلغ السيدُ الأشيب

فهَمُّك فيها جسام الأمور * وهَمُّ لِداتك أن يلعبوا

(١) البيت ساقط من ف ، مب .

وجُدْتَ فقات ألا سائل * فيعطَى ولا راغبٌ يرغب

فمنــك العطيــة للسائلين * وممن ينوب بك أن يَطلُبــوا (١)

١٦/١٥ فأمر له بمئة ألف درهم، فقبضها . قال وكيع فى خبره : وسأله عن حوائجه، فأخبره بها، فقضى جميعها . وقال أيضا فى خبره : فحسده الكميت . فقال له : يا حمزة، أنت كمُهْدِى التمر إلى هَجَر، قال : نعم، ولكن تمرنا أطيب من تمر هَجَر . ٥

مرضه

أخبرنى علىّ بن سليمان قال : حدّثنى محمد بن يزيدَ النحوىّ، قال : قال الجاحظ : أصــاب حمــزةَ بن بِيض حُصْرٌ (٢)، فدخل عليــه قوم يعودونه وهو فى كرب القُولَنْج ، إذ ضرط رجل منهم، فقال حمزة : من هذا المنعَم عليه ؟

نبوءة شعرية له

أخبرنى الحسن بن علىّ قال : حدّثنى محمد بن القــاسم بن مِهــرويه قال : قال على بن الصباح : حدّثنى هشام بن محمد، عن الشَّرْقىّ، قال : ١٠

زعم هشام بن عروة أن عبد الرحمن بن عنبسة مَرّ فإذا هو بغلام أصبَح الغلمان وأحسنهم، ولم يكن لعبد الرحمن ولد، فسأل عنه، فقيل له : يتيم من أهل الشام، قدم أبوه العــراق فى بَعْث (٣) فقُتــل، وبقى الغلام هاهنا، فضمه ابن عنبسة إليــه، وتبناه . فوقع الغــلام فيما شاء من الدنيا، ومرّ يوما على بِرذون ومعه خدم على ابن بِيض ، وحول ابن بِيض عِياله فى يوم شات ، وهم شُعْث غُبْر عُراة ، فقــال ابن بِيض : من هذا ؟ فقيل : صَدَقة يتيم ابن عنبسة . فقال : ١٥

يَشْــعَث صِبياننا وما يَتِمــوا * وأنت صافى الأديم والحــدقهْ

فليت صِــبياننا إذا يَتِمــوا * يلقَون ما قد لقيت يا صدقهْ

(١) البيت عن ف ، مب . (٢) الحصر : احتباس البطن أو البول .

(٣) البعث : الجيش .

عوّضك الله من أبيـك ومن * أمك فى الشام بالعـراق مِقَهْ
كفَـاك عبد الرحمن فقدَهما (١) * فأنت فى كُسـوة وفى نَفَقـهْ
تظل فى دَرْمـكٍ (٢) وفاكهــة * ولحم طير ما شئت أو مرقهْ
تأوى إلى حاضن وحاضـنة * زادا على والديك فى الشـفقهْ
فكل هنيئـا ما عاش ثم إذا * مات فَلَغْ فى الدماء والسرقـهْ
وخالِف المسـلمين قِبلَتهـم * وضَـلّ عنهم وخادِن الفسقه
واشتر نهد التليل ذا خصَـلٍ * لصـوته فى الصهيل صهصلقه (٣)
واقطع عليه الطريق تُلْفَ غدا * رَبَّ دنانيرَ جمـــةٍ ورِقـــه (٤)

فلما مات عبد الرحمن، أصابه ما قال ابن بيض أجمع : من الفساد والسرقة وصحبة اللصوص، ثم كان آخر ذلك أنه قطع الطريق، فأُخذ وصُلب .

أخبرنى أحمـد بن عبيد الله بن عمـار قال : حدّثنى النوفلىّ عن أبيـه . قال ابن عمـار : وأخبرنى أحمد بن سليمان بن أبى شيخ ، قال : حدّثنى أبى عن أبى سفيان الحميرىّ قال :

نبوءة أخرى

خرج حمـزة بن بيض يريد سـفرا ، فاضطره الليل إلى قرية عامرة ، كثيرة الأهل والمواشى، من الشاءِ والبقر، كثيرة الزرع، فلم يصنعوا به خيرا، فغدا عليهم، وقـال :

لعن الإله قرية يممتهـا * فأضافنى ليـلا إليهـا المغربُ
الزارعين وليس لى زرع بهـا * والحالبين وليس لى ما أحلُب

(١) كذا فى ف ، مب . وفى الأصول : همهما . (٢) الدرمك : الدقيق الأبيض .
(٣) النهد : المرتفع . والتليل : العنق . والصهصلقة : شدة الصوت .
(٤) الرقة : الدراهم المضروبة .

فلعل ذاك الزرع يُودِى أهلَه * ولعل ذاك الشاء يوما يَحْرب
ولعل طاعونا يصيب علوجها * ويصيب ساكنها الزمان فتخرب

١٧/١٥

قال : فلم يمر بتلك القرية سنة حتى أصابهم الطاعون، فأباد أهلها، وخربت إلى اليوم . فمر بهم ابن بِيض ، فقال : كَلّا، زعمتُ أنى لا أُعْطَى مُنْيَتى . قالوا : وأبيك لقد أعطيتها، فلو كنت تمنيت الجنة كان خيرا لك . قال : أنا أعلم بنفسى، لا أتمنى ما لست له بأهل، ولكنى أرجو رحمة ربى عز وجلّ .

هجو من لم يحسن ضيافته

أخبرنى الحسن بن علىّ قال : حدّثنا محمد بن زكرياء الغَلّابىّ قال : قال ابن عائشة :

خرج ابن بِيض فى سفر ، فنزل بقوم ، فلم يحسنوا ضيافته ، وأتوه بخبز يابس، وألقوا لبغلته تبنا، فأعرض عنهم، وأقبل على بغلته ، فقال :

أُحسُبيها ليلة أدلجتُها * فكلى إن شئت تِبْنا أو ذرى
قد أتى ربَّكِ خبزٌ يابس (١) * فتعزّى معه واصطبرى

الفرزدق يفحمه

حَدّثنا محمد بن العباس اليزيدى، قال : حدّثنا أحمد بن الحارث الخراز، قال : حدّثنا المدائنى، قال :

قال حمزة بن بِيض يوما للفرزدق : أيُّما أحب إليك، تسبق الخير أو يسبقك؟ قال : لا أسبقه ولا يسبقنى ، ولكن نكون معا . فأيُّما أحب إليك ، أن تدخل إلى بيتك ، فتجد رجلا قابضا على حِرِ امرأتك، أو تجد امرأتك قابضة على أيره ؟ فقال : كلام لا بد من جوابه ، والبادى أظلم ، بل أجدها قابضة على أيره، قد أَغَبته (٢) عن نفسها .

(١) رواية الشطر الثانى فى الأصول عدا ف ، مب :
* فتغذى وتعزى واصبرى *
(٢) أغبه : أخره وأبعده .

جبنه

نسخت من كتاب أبي إسحاق الشايميّ[1] : قال ابن الأعرابي :

وقع بين بني حنيفة بالكوفة، وبين بني تميم شر، حتى نشبت الحرب بينهم، فقال رجل لحمزة بن بيض : ألا تأتي هؤلاء القوم، فتدفعهم عن قومك، فإنك ذو بيان وعارضة ؟ فقال :

٥ ألا لا تلمني يا بن ماهان إنني * أخاف على فخّارتي[2] أن تحطّما

ولو أنني أبتاع في السوق مثلها * وجدّك[3] ما باليت أن أتقدّما

مفاضلة بين ناسك وشارب النبيذ

قال : وكان لابن بيض صديق عامل من عمال ابن هبيرة، فاستودع رجلا ناسكا ثلاثين ألف درهم، واستودع مثلها رجلا نبيذيا، فأما الناسك فبنى بها داره، وتزوج النساء، وأنفقها وجحده. وأما النبيذيّ فأدّى إليه الأمانة في ماله، فقال

١٠ حمزة بن بيض فيهما :

ألا لا يغرّنك ذو سجدة * يظل بها دائبا يخدع

كأن بجبهته جلبة[4] * يسبح طورا ويسترجع

وما للتقى لزمت وجهه * ولكن ليغترّ مستودع

فلا تنفرنّ من أهل النبيذ * وإن قيل يشرب لا يقلع

١٥ فعندك علم بما قد خبر * ت إن كان علم بهم ينفع

ثلاثون ألفا حواها السجود * فليست إلى أهلها ترجع

بنى الدار من غير ما ماله * وأصبح في بيته أربع

مهائر من غير مال حواه * يقاتون أرزاقهم جوّع[5]

(١) الشايمي : كلمة غير واضحة في الأصول. ولم نجد الاسم في المراجع. (٢) يريد : رأسي

٢٠ (٣) ف، مب : وعيشك. (٤) الجلبة : قشرة رقيقة تعلو الجرح عند البرء، شبه بها أثر السجود.

(٥) مهائر : أي حرائر يعطين المهر عند التزوج بهن. ولسن إماء مملوكات.

وأخبرنى بهذا الخبر الحسين بن محمد بن زكريا الصَّحّاف ، قال : حدّثنا قَعْنب بن المحرز، قال : حدّثنا أبو عبيدة والأصمعى ، وكَيسان بن المعرف، فذكروا نحو هذا الخبر ، إلا أنه حكى أن حمزة بن بِيض هو الذى استودع الرجلين المال ، وقال :

وأدى أخو الكأس ما عنده * وما كنت فى ردها أطمع

١٨/١٥

نقيضة بينه وبين أبى الجون السحيمى

أخبرنى محمد بن خلف وكيع، قال : حدّثنا عبد الله بن شبيب قال : حدّثنى أحمد بن محمد، عن ابن داجة، قال :

اختصم أبو الجَون السُّحَيمى وحمزة بن بِيض ، إلى المهاجر بن عبد الله الكلابىّ، وهو على اليمامة ، فوثب عليه حمزة وقال :

غَمَّضتُ فى حاجة كانت تؤرقنى * لولا الذى قلتَ فيها قلَّ تغميضى

فقال : وما الذى قلت لك ؟ قال :

حلفت بالله لى أن سوف تنصفنى * فساغ فى الحلق ريقى بعد تجريضى

قال : وأنا أحلف لأنصفنك . قال :

سل هؤلاءِ إلى ماذا شهادتهم * أم كيف أنت وأصحابَ المعاريضِ

قال : أُوجعهم ضربا . فقال :

وسل سُحيما إذا وافاك أجمُعهم * هل كان بالشرّ حوض قبل تحويضى

قال : فقضى له . فأنشأ السحيمى يقول :

أنت ابن بِيض لعمرى لستُ أُنكره * حقا يقينا ، ولكن من أبو بِيضِ؟

إن كنت أنبضت لى قوسا لترمينى * فقد رميتك رميا غير تنبيض

أو كنت خَضْخضت لى وطْبا لتسقِينى * فقد سقيتك محضا غير ممخوض

قال : فوجَم حمزة وقُطِع به . فقيل له : ويلَك ! مالك لا تجيبه ؟ قال : وبم أجيبه ؟ والله لو قلت له : عبد المطلب بن هاشم أبو بِيض ما نفعنى ذلك ، بعد قوله : ولكن من أبو بيض؟

وأخبرنى بهذا الخبر ابن دُريد، عن أبى حاتم، عن أبى عبيدة بمثله . وقال فيه : إن المخاصم له أبو الحويرث السُّحَيمى .

يمدح يزيد بن المهلب فى السجن فيكافئه

أخبرنى محمد بن الحسن بن دُريد قال : أخبرنا السَّكَن بن سعيد، عن محمد ابن عباد، قال :

٥ دخل حمزة بن بيض على يزيدَ بن المهلب السجن، فأنشده :

أغلق دون السماح والجود والنـ ـجدة باب حديدُه أَشِبُ

ابنُ ثلاث وأربعين مضت * لا ضَرِع واهن ولا نَكِب (١)

لا بَطِر إن تتابعت نِعَم * وصابر فى البلاء محتسب

بَرَّزْتَ سبقَ الجواد فى مَهَل * وقصَّرتْ دون سعيك العَرَب

١٠ فقال : والله يا حمزة لقد أسأت، إذ نوّهت باسمى فى غير وقت تنويه، ولا متزلَ لك (٢)، ثم رفع مقعدا تحته، فرمى إليه بخرقة مصرورة، وعليه صاحب خبر واقف، فقال : خذ هذا الدينار، فوالله ما أملك ذهبا غيره . فأخذه حمزة، وأراد أن يردّه، فقال له سرا : خذه ولا تُخْدع عنه . فقال حمزة : فلما قال لى : لا تخدع عنه، قلت : والله ما هـذا بدينار، فقال لى صاحب الخبر : ما أعطاك يزيد ؟ فقلت : أعطانى

١٥ دينارا، فأردت أن أردّه عليـه، فاستحييت منه . فلمـا صرت إلى منزلى حللت الصرة، فإذا فَص ياقوت أحمر، كأنه سِقط زَنْد، فقلت : والله لئن عرضتُ هذا بالعراق، لَيُعْلَمَنّ أنى أخذته من يزيد، فيؤخذ منى، فخرجت به إلى خراسان، فبعته من رجل يهودى بثلاثين ألفا، فلما قبضت المـال وصار الفَص فى يده، قال لى :

١٩/١٥

(١) الضرع : بفتح الراء وكسرها : الضعيف الجبان . وفى ف : لا سرف . وفى مب : لاورع .

٢٠ والنكب، بكسر الكاف : من يعدل عن الشىء كسلا أو جبنا . (٢) ف، مب : ولا متزك لك .

والله لو أبيت إلا خمسين ألف درهم، لأخذته منك، فكأنما قذف فى قلبى جمرة، فلما رأى تغير وجهى قال : إنى رجل تاجر، ولست أشك أنى قد غممتك. قلت: إى والله وقتلتنى . فأخرج إلىّ مائة دينار ، فقال : أنفق هذه فى طريقك، لتتوفر عليك تلك .

أخبرنى الحسين بن يحيى قال : قال حماد بن إسحاق : قرأت على أبى : ٥

دخل حمزة بن بيض على يزيدَ بن المهلَّب، وهو فى حبس عمر بن عبد العزيز، فأنشده قوله فيه :

أصبح فى قيدك السماحة والـ * ـحامِلُ للمضلات والحَسَبُ
لا بطِرٌ إن تتابعت نعمٌ * وصابرٌ فى البلاء محتسبُ

١٠ فقال له : ويحك أتمدحنى على هذه الحال ؟ قال : نعم ، لئن كنتَ هكذا لطالما أثنيْت على الثناء، فأحسنت الثواب والرِّفْد، فهل بأس أن نُسلفك الآن . قال : أما إذ جعلته سَلَفا فاقنع بما حضر، إلى أن يمكن قضاء دينك . وأمر غلامه، فدفع إليه أربعة آلاف درهم، وبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز، فقال : قاتله الله ! يعطى فى الباطل، ويمنع الحق، يعطى الشعراء، ويمنع الأمراء .

١٥ أخبرنى محمد بن الحسن بن دُريد قال : حدّثنا عبد الأوّل بن مَزيد، قال : حدّثنا العُمَرى عن الهيثم بن عدىّ، قال : أخبرنى مَخْلد بن حمزة بن بيض قال :

يمدح سليمان بن عبد الملك فيكافئه

قدم أبى على يزيد بن المهلب وهو عند سليمان بن عبد الملك ، فأدخله إليه ، فأنشده :

ساس الخلافةَ والداك كلاهما * من بين سَخْطة ساخط أو طائع
٢٠ أبواك ثم أخوك أصبح ثالثا * وعلى جبينك نُور مَلْك الرابع

سَرَّيتَ خوف بنى المهلّب بعدما * نظروا إليـك بسَمِّ موتٍ ناقـع
ليس الذى ولاك ربُّك منهـمُ * عنـد الإله وعنـدهم بالضائع

فأمر له بخمسين ألفا .

أخبرنى عمى قال : حدّثنا عبد الله بن عمـرو قال : حدّثنى جعفر بن محمـد
٥ العاصمىّ قال : حدّثنى عُيينة بن المِنهال قال : حدّثنى الهيثم بن عدىّ قال : حدّثنى
أبو يعقوبَ الثقفىّ قال :

يغار من الكميت لمدحه مخلد بن يزيد ومكافأته إياه

قال لى حمزة بن بيض : لمـا وفد الكُميت بن زيد إلى مَخْلد بن يزيد بن المهلّب
وهو يخلُف أباه على خراسان ، وكان واليهـا وله ثمـانى عشرة سـنة ، وقد مدحه
بقصيدته التى أولها :

١٠ * هلا سألتَ معالم الأطلالِ *

وهى التى يقول فيها :

يمشين مشى قطا البطاح تأوُّدا * قُبَّ البطون رواجح الأكفالِ

وقصيدته التى يقول فيها :

* هلا سألت منازلا بالأبرقِ *

١٥ أعطاه مِئة ألفِ درهم ، سـوى العُروض والحُمْـلان ، فقدِم الكوفة فى هيئة
لم يُرَ مثلها ، فقلت فى نفسى : والله لأنا أولَى من الكميت بما ناله من مَخْلد بن يزيد ،
وإنى لحليفـه وناصره فى العصبية على الكميت ، وعلى مُضَر جميعا . فهيأت لمَخْـلد
مديحا على روىّ قصـيدَتَى الكميت وقافيتيهما ، ثم شخصت إليه ، فلما كان قبـل
خروجى إليه بيوم ، أتتنى جماعة من ربيعة فى خمس ديات عليهم لمضَرَ فى البدو ،
٢٠ فقالوا : إنك تأتى مَخْلدا وهو فتى العرب ، ونحن نعلم أنك لا تُؤْثِر على نفسك ، ولكن

٢٠/١٥

إذا فرّغ من أمرك، فأعلمه تمشانا إليك، ومسألتنا إياك كلامه، فنرجو أن تكون عند ظننا . فلما قدمت على مخلد خُراسان أنزلنى، وفرّش لى، وأخدمنى، وحملنى، وكسانى ، وخلطنى بنفسه ، فكنت أسمُر معه ، فقال لى ليلة : أعليك دين يابن بيض ؟ قلت : دعنى من مسئلتك إياى عن الدين، إنك قد أعطيت الكميت عطية لست أرضى بأقل منها، و إلا لم أدخل الكوفة، ولم أعيَّر بتقصيرك بى عنه . فضحك ، ثم قال لى : بل أزيدك على ما أعطيت الكميت . فأمر لى بمئة ألف درهم، كما أعطى الكميت ، وزادنى عليه، وصنع بى فى سائر الألطاف كما صنع به، فلما فرغت من حاجتى أتيته يوما ومعى تذكِرة بحاجة القوم فى الديات ، فلما جلس أنشدته :

أتينـاك فى حاجة فاقضِهـا * وقُلْ مرحبًا يجبِ المرحَبُ
ولا تَكِلَنّـا إلى معشـر * متى يعِـدوا عِـدة يكذبوا
فإنك فى الفرع من أسرة * لهم خضـع الشرق والمغرب
وفى أدب منهـم ما نشأتَ * ونِعْـم لعمـرُك ما أدّبوا
بلغت لعشر مضت من سِنيـ * ـك ما يبلغ السيدُ الأشيب
فهمُّـك فيها جِسام الأمـورِ * وهـمُّ لِداتك أن يلعبـوا

فقال: مرحبا بك وبحاجتك، فما هى ؟ فأخرجت إليه رقعة القوم، وقلت : حَمالات فى ديات . فتبسم، ثم أمر لى بعشرة آلاف درهم . فقلت : أوَ غير ذلك أيها الأمير؟ قال : وما هو؟ قلت : أُدَلّ على قبر المهلّب، حتى أشكو إليه قطيعة ولده . فتبسم، ثم قال : زده ياغلام عشرة آلاف أخرى، فأبيت، وقلت : بل أُدَلّ على قبر المهلب، فقال : زده ياغلام عشرة آلاف أخرى، فما زلت أكرها ويزيدنى عشرة آلاف،

حتى بلغت سبعين ألفا (١) . فخشيت والله أن يكون يلعب أو يهزأ بي، فقلت : وصلك الله أيها الأمير، وآجرك، وأحسن جزاءك . فقال مَخلد : أما والله لو أقمت على كلامك ، ثم أتى ذلك على خراج خراسان لأعطيتكه .

مجلس المأمون والنضر بن شميل

أخبرني محمد بن مَزْيد بن أبي الأزهر قال : حدّثنا الزبير بن بكار قال : حدّثني النضر بن شميل، قال :

دخلت على أمير المؤمنين المأمون بمَرْو وعليّ أطمار مترعبلة (٢) ؛ فقال لي : يا نضر ، تدخل على أمير المؤمنين في مثل هذه الثياب ؟ فقلت : إن حَرّ مرو لا يُدفَع إلا بمثل هذه الأخلاق . فقال : لا . ولكنك رجل متقشّف . فتجارَيْنا الحديث ، فقال المأمون : حدّثني هُشَيم بن بَشير (٣) ، عن مجالد ، عن الشعبيّ ، عن ابن عباس، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا تزوّج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيه سَداد من عَوَز » . هكذا قال : سَداد بالفتح . فقلت : صدق ، يا أمير المؤمنين . حدّثني عوف الأعرابيّ عن الحسن، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا تزوّج الرجل المرأة لدينها وجمالها ، كان فيه سِداد من عَوَز » ، وكان المأمون متكئا فاستوى جالسا ، وقال : السَّداد لحن يا نضر عندك ؟ قلت : نعم هاهنا يا أمير المؤمنين ؛ وإنما هُشَيم لحّن، وكان لحانة ، فقال : ماالفرق بينهما؟ قلت : السَّداد : القصد في الدِّين والطريقة والسبيل . والسِّداد : البُلْغة، وكل ما سددت به شيئا فهو سِداد . وقد قال العَرْجيّ :

أضاعوني وأيَّ فتًى أضاعوا * ليوم كريهة وسِداد ثغرِ

(١) كذا في ف ، مب . وفي الأصول : تسعين .
(٢) ممزقة .
(٣) ف ، مب : هشيم بن يسار . وانظره في خلاصة الخزرجي .

قال : فأطرق المأمون مَلِيّــا، ثم قال : قَبّح الله من لا أدب له ! ثم قال : أنشدنى يا نضر أخلب بيت للعرب . قال : قلت : قول حمزة بن بِيض يا أمير المؤمنين :

تقول لى والعيون هاجعـة : * أقم علينــا يوما ، فــلم أُقِــم

قالت : فأىَّ الوجوه؟ قلت لها : * لأىِّ وجـــه إلا إلى الحَكَم؟

متى يقُـــلْ حاجبا سرادِقه : * هذا ابن بِيض بالباب، يبتسِم

قد كنت أسلمت فيكَ مُقْتَبِلًا * فهات إذ حلَّ أعطنى سَــلَمِى [(١)]

فقال المأمون : لله درّك، كأنما شُق لك عن قلبي! فأنشدنى أنصف بيت للعرب . قال : قلت : قول أبى عَروبة المدنى [(٢)] :

إنى وإن كان ابن عمى عاتبا [(٣)] * لَمزاحِـمٌ من خلفـه وورائه

ومُفيده نصرى وإن كنت امرأ [(٤)] * متزحــزحا عن أرضه وسمائه

وأكون والىَ سِره وأصونه * حـتى يحين علىّ وقتُ أدائه

وإذا الحوادث أجحفت بسَوامه * قُرنت صَحيحتنا إلى جَـرْبائه

وإذا دعا باسمى ليركب مَرْكبا * صعبا قعــدتُ له على سِيسائه

وإذا أتى من وجهه بطريفة * لم أطّلــع مـمّـا [(٥)] وراء خِبـائه

وإذا ارتدى ثوبا جميلا لم أقل : * يا ليت أن علىّ حسنَ ردائه

فقال : أحسنت يا نضر ؛ أنشدنى الآن أقنع بيت قالتــه العرب . فأنشدته قول ابن عبدلٍ الأسدىّ :

---

(١) أسلمت : أسلفت . يريد أنه قدم إليه مديحه ولم يأخذ جائزته . ومقتبلا : مستأنفا . وسلمى : سلفى ؛ يريد جائزتى . وفى الأصول : * هات أدخلن ذا وأعطنى سلمى *

(٢) كذا فى ف ومعجم الأدباء لياقوت «ترجمة النضر بن شميل» . وفى مب : ابن أبى عروبة . وفى هامشها : المزنى . وفى طبقات النحويين للزبيدىّ ص ٥٧ : «عروبة المدنى» . ونسبت هذه الأبيات فى الحماسة إلى الهذيل بن مشجعة البولانى «شرح التبريزى» طبعة الأميرية ٤ : ١٠٤ . (٣) ف، مب : غائبا . (٤) كذا فى ف، مب . وفى الأصول : وإن كان . (٥) ف والأصول : فيما .

إنى امرؤ لم أزل، وذاك من الله * ـه قديما ، أعلّم الأدبا
أقيم بالدار ما اطمأنت بىَ الدا * ر وإن كنت ما زحا طربا
لا أجتوى خُلّة الصديق ولا * أُتبِـع نفسى شيئا إذا ذهبا
أطلب ما يطلب الكريم من الـرِّ * زق بنفسى وأُجْمِـل الطلبا
٥ وأحلب الثرة الصفى ولا * أُجهَـد أخلاف غيرها حَلَبا
إنى رأيت الفـتى الكريم إذا * رغّبتـه فى صنيعـة رغبا
والعبد لا يطلب العَـلاء ولا * يعطيك شـيئا إلا إذا رهبا
مثلُ الحمـار المُوَقَّع السَّوْءِ لا * يُحسن مَشْـيا إلا إذا ضُربا[1]
قد يُرزَق الخافضُ المقيمُ وما * شـد بعيس رحلا ولا قَتَبا[2]
١٠ ويُحرَمُ الرزقَ ذو المطية والر * حل ومن لا يزال مغـتربا
ولم أجد عُدّة الخـلائق إلّا * الدِّين لمـا اعتبرتُ والحَسَـبا[3]

فقال: أحسنت يا نضر! وكتب لى إلى الحسن[4] بن سهل بخمسين ألفا، وأمر خادما بإيصال رقعة، وتحيز ما أمر به لى، فمضيت معه إليه، فلما قرأ التوقيع ضحك، وقال لى: يا نضر، أنت الملحِّن لأمير المؤمنين؟ قلت: لا، بل لهشيم. قال: ١٥ فذاك إذنْ، وأطلق لى الخمسين ألفَ درهم، وأمر لى بثلاثين ألفا.

٢٢/١٥

أخبرنى الحسين بن يحيى، قال: حدّثنا حماد عن أبيه، قال:

عبد الملك بن بشر يعبث به

بلغنى أن حمزة بن بيض الحنفىّ كان يسامر عبد الملك بن بِشْر بن مروان، وكان

(١) الموقع: الذى فى ظهره سحج، وقيل فى أطراف عظامه، من الركوب؛ وربما انحص عنه الشعر، ونبت أبيض. وفى اللسان: الموقع الظهر. وفى الأصول: لا يحمل شيئا.

٢٠ (٢) القتب: الرحل. (٣) فى الأصول عدا ف، مب: لما اختبرت.

(٤) فى الأصول عدا ف، مب: الفضل.

عبد الملك يعبث به عبثا شديدا، فوجه إليه ليلة برسول، وقال : خذه على أى حال وجدته عليها، ولا تدعه يغيرها، وحلّفه على ذلك، وغلّظ الأيمان عليه . فمضى الرسول، فهجم عليه، فوجده يريد أن يدخل الخلاء، فقال : أجب الأمير . فقال : وَيْحَك، إنى أكلت طعاما كثيرا، وشربت نبيذا حُلْوا، وقد أخذنى بطنى . قال : والله لا تفارقنى أو أمضىَ بك إليه، ولو سَلَحت فى ثيابك . فجَهَد فى الخلاص، فلم يقدر عليه، فمضى به إلى عبد الملك، فوجده قاعدا فى طارمة(١) له، وجارية جميلة كان يتحظاها جالسة بين يديه، تسجُر الندّ فى طارمته، فجلس يحادثه وهو يعالج ما هو فيه .

قال : فعرضت لى ريح، فقلت : أسرحها وأستريح، فلعل ريحها لا يتبين مع هذا البَخور، فأطلقتها، فغلبت والله ريح الندّ وغَمرته، فقال : ما هذا يا حمزة! قلت : علىّ عهد الله وميثاقه، وعلىّ المشى والهَدْى إن كنت فعلتها . وما هذا إلا عمل هذه الفاجرة . فغضب واحتفظ، وخجلت الجارية، فما قدَرت على الكلام، ثم جاءتنى أخرى فسرّحتها، وسطع والله ريحها . فقال : ماهذا ويلك! أنت والله الآفة . فقلت : امرأتى فلانة طالق ثلاثا إن كنت فعلتها . قال : وهذه اليمين لازمة لى إن كنت فعلتها، وما هو إلا عمل هذه الجارية، فقال : ويلكِ ما قصتكِ؟ قومى إلى الخلاء إن كنت تجدين حِسّاً، فزاد خجلها وأطرقت . وطمعت فيها، فسرّحت الثالثة، وسطع من ريحها ما لم يكن فى الحساب، فغضب عبد الملك، حتى كاد يخرج من جلده، ثم قال : خذ يا حمزة بيد الزانية، فقد وهبتها لك، وامض فقد نغصت علىّ ليلتى .

فأخذت والله بيدها، وخرجت، فلقينى خادم له، فقال : ما تريد أن تصنع ؟ قلت : أمضى بهذه . قال : لا تفعل، فوالله لئن فعلت ليبغضنك بغضا

(١) الطارمة : بيت من خشب كالقبة، فارسى معرب، عن تاج العروس .

لا تنتفع به بعدها أبدا ، وهذه مِئة دينار ، فخذها ودع الجارية ، فإنه يحططها ، وسيندم على هبته إياها لك. قلت : والله لا نقصتك من خَمس مِئة دينار . فلم يزل يزايدنى حتى بلغ مِئتى دينار ، ولم تطب نفسى أن أضيعها ، فقلت : هاتها ، فأعطانيها ، وأخذها الخادم .

٥ فلما كان بعد ثلاث دعانى عبد الملك ، فلما قربت من داره لقينى الخادم ، فقال : هل لك فى مِئة دينار وتقول ما لا يضرك ، ولعله أن ينفعك ؟ قلت : وما ذاك ؟ قال : إذا دخلت إليه ادّعيت عنده الثلاثَ القَسَوات ، ونسبتها إلى نفسك ، وتنفّخ(١) عن الجارية ما قرفتها به . قلت : هاتها . فدفعها إلىّ ، ودخلت على عبد الملك ، فلما وقفت بين يديه قلت : ألِى الأمان حتى أخبرك بخبر يسرك ،

١٠ وتضحك منه ؟ قال : لك الأمان . قلت : أرأيت ليلة حضورى وما جرى ؟ قال : نعم . فقلت : فعلىّ وعلىّ إن كان فسا تلك الفسوات غيرى . فضحك حتى سقط على قفاه . ثم قال : ويلَك ! فلم لم تخبرنى ؟ قلت : أردت بذلك خِصالا ، منها أن قمت فقضيت حاجتى ، وقد كان رسولك منعنى منها ، ومنها أنى أخذت جاريتك ، ومنها أن كافأتك على أذاك لى بمثله . فقال : فأين

١٥ الجارية ؟ قلت : ما برحتُ من دارك ولا خرجتُ حتى سلمتها إلى فلان الخادم ، وأخذت مائتى دينار . فسُرّ بذلك ، وأمر لى بمئتى دينار أخرى ، وقال : هذه لجميل فعلك بى ، وتركك أخذ الجارية .

٢٣ / ١٥

سباق غريب

قال حمزة بن بيض : ودخلت إليه يوما وكان له غلام لم ير الناس أنتن إبطا منه ، فقال لى : ياحمزة ، سابق غلامى حتى يفوح صُنانكما ، فأيكما كان صُنانه أنتن ،

٢٠ فله مِئة دينار . فطمعت فى المائة ، ويئست منها لما أعلمه من نتن إبط الغلام ، فقلت : أفعل . وتعادينا ، فسبقنى ، فسلحت فى يدى ، ثم لطّخت(٢) إبطى

(١) تدفع . وفى ف ، مب : تنضح ، وهى بمعنى تدفع أيضا . (٢) ف ، مب : طليت .

بالسُّلاح ، وقد كان عبد الملك جعل بيننا حكما يخبره بالقصة ، فلما دنا الغلام منه فشمه ، وثب ، وقال : هذا والله لا يساجِلُه[1] شىء . فصحت به : لا تعجل بالحكم ، مكانَك . ثم دنوت منه ، فألقمت أنفه إبطى حتى علمت أنه قد خالط دماغه ، وأنا ممسك لرأسه تحت يدى . فصاح : الموت والله ! هذا بالكُنُف أشبه منه بالآباط ! فضحك عبد الملك ، ثم قال : أحكمت له ؟ قال : نعم . فأخذت الدنانير . ٥

رؤيا شعرية

أخبرنى عمى قال : حدّثنى جعفر العاصمىّ قال : حدّثنا عيينة بن المنهال ، عن الهيثم بن عدىّ ، عن أبى يعقوبَ الثقفىّ ، قال : قال حمزة بن بِيض :

دخلت يوما على مَخْلَد بن يزيد ، فقلت :

إنّ المشارق والمغارب كلها * تُجْبَى[2] وأنت أميرها وإمامُها

فضحك ثم قال : مه ؟ فقلت : ١٠

أغفيتُ قبل الصبح نومَ مسهَّدٍ * فى ساعة ما كنت قبلُ أنامها

قال : ثم ماذا كان ؟ قلت :

فرأيت أنك جُدت لى بوصيفة * موسومة حَسَنٍ علىّ قيامُها

قال : قد فعلت . فقلت :

وببَدرة حُملت إلىّ وبغلة * سَفْواء ناجية يصِلُّ لجامُها[3] ١٥

قال : قد حقق الله رؤياك . ثم أمر لى بذلك كله ، وما عَلِم الله أنى رأيت من ذلك شيئا .

(١) ف ، مب : لا يشاكله .
(٢) رواية الشطر الأول فى الأصول غيرف :
* ليت المشارق والمغارب أصبحت *
(٣) السفواء : قليلة شعر الناصية ، والسريعة . وفى مب : شقراء . ويصل : يصوت لما فيه من الحلية . ٢٠

قال مؤلف هذا الكتاب : وقد رُوِى هذا الخبر بعينه لابن عبدلٍ الأسدىّ، وذكرته فى أخباره .

أخبرنى محمد بن الحسن بن دُريد ، قال : حدّثنا أبو حاتم ، قال : حدّثنا عُمارة بن عقيل بن بلال بن جرير ، قال :

٥ حج حمزة بن بِيض الحنفى، فقال له ابن عم له : أُحجج بى معك . فأخرجه معه، فحوقل[1] عليه بعد نشاطه، فقال ابن بِيض فيه :

وذى سِـنةٍ لم يدر ما السير قبلها * ولم يعتسف خَرْقا من الأرض مَجْهلا[2]

ولم يدر ما حَلُّ الحبـال وعقدُها * إذا البردُ لم يترك لكفيه مَعْملا

ولم يقرِ مأجـورا ولا حج حِجـة * فيضربَ سهما أو يصاحبَ مِكْتلا[3]

١٠ غدونا به كالبغل ينفض رأسَـه * نشاطا بنـاه الخـير حتى تفتَّـلا[4]

ترى المَحْمِـل المحسور ناءَ عُرَامه * و بابا إذا أمسى من الشر مُقْفَلا[5]

و إن قلت ليلا : أين أنت لحاجة * أجاب بأن لبيـك عشرا وأقبـلا

يسوق مطىّ القوم طـورا وتارة * يقود و إن شـئنا حدا ثم جلجلا[6]

فأجّلتــه خمسا وقلت له : انتظر * رُوَيدا ؛ وأجلنـا المطىّ ليذبُلا

١٥ (١) حوقل : مشى فأعيا وضعف .

(٢) اعتسف الطريق : ركبه على غير هداية ولا دراية . والخرق : الأرض الواسعة يشتد فيها هبوب الرياح . والمجهل : المفازة لا أعلام فيها ، أولا يهتدى فيها .

(٣) المأجور : ما يستأجر فى السفر من دابة أو خادم . والمكتل : الزنبيل من خوص . وفى ف، مب : ولم يغز مأجورا ... فيصحب سهما . (٤) تفتل : اشتد .

٢٠ (٥) المحمل : كذا فى ف، مب . ولعله يريد دابة المحمل . أو لعل اللفظة محرفة عن : الجمل . والمحسور : المتعب المكدود . وناء : بعد، وهو مقلوب نأى، أو لغة فيه . وعرامه : قوته ونشاطه . وفى غير ف، مب : « و يأبى إذا أمسى من الشر مقبلا » .

(٦) سائق المطى : من يدفعها من خلفها ؛ وقائدها : من يسحبها من قدامها.

٢٤ / ١٥

فلما صدرنا عن زُبالة وارتمت * بنا العيس منها مَنْقَلا ثم مَنقلا (١)

ترامت به المَوماة حتى كأنما * يَسَفُّ بمعسول الخزيرة حنظلا (٢)

وحتى نَبا عن مِزود القوم ضِرْسُه * وعادى من الجهدِ الثريدَ المرعبلا (٣)

وحتى لَوَ ان الليثَ ليثَ خَفِيَّة * يحاوله عن نفسه ما تحلحلا

وحتى لَوَ ان الله أعطاه سؤله * وقيل له : ماتشتهى ؟ قال : محملا

فقلت له لما رأيتُ الذى به * وقد خفت أن ينضَى لدينا ويهزِلا

أطعنى وكُلْ شيئا، فقال معذِّرا * من الجهد: أطعِمنى ترابا وجندلا

فللموت خير منك جارا وصاحبا * فدعنى فلا لبيك ثم تَجَدلا (٤)

وقال : أقلنى عثرتى وارعَ حرمتى * وقد فر منى مرتين ليقفلا

فقلت له : لا - والذى أنا عبده - * أقيلُك حتى تمسح الركن أوّلا

يعاتب مخلد بن يزيد لتأخيره مكافأته فيرضيه

أخبرنى حبيب بن نصر المهلبى قال : حدثنى عبد الله بن عمرو بن سعد قال: حدثنى إسماعيل بن إبراهيم الهاشمى، قال : حدثنى أبو عمر العُمَرى، قال : حدثنى عطاء بن مصعب، عن عاصم بن الحَدَثان قال :

قدم حمزة بن بيض على مخلد بن يزيد بن المهلب ، فوعده أن يصنع به خيرا ، ثم شُغِل عنه ، فاختلف إليه مرارا ، فلم يصل إليه ، وأبطأت عليه عِدَته ، فقال ابن بيض :

أمخلدُ إن الله ما شاء يصنع * يجود فيعطى من يشاء ويمنعُ

وإنّى قد أملت منك سحابة * فخالت سرابا فوق بيداء تلمع

(١) زبالة : موضع من نواحى المدينة (التاج) . والمنقل : الطريق فى الجبل .

(٢) أى صار دمه غزيرا كمن يسف الحنظل مع الخزيرة أو الحريرة، وهى طعام من دقيق ولبن يحلى بالعسل أو التمر. يريد أنه ضجر وبكى من طول السفر ووعورته . (٣) المرعبل : المقطع قطعا كبيرة.

(٤) تجدلا : سقط على الجدالة وهى الأرض، من الإعياء .

فأجمعت صُرْما ثم قلت : لعله * يثوب إلى أمر جميل فيرجع
فآيسنى من خير مخلدَ أنه * على كل حال ليس لى فيه مطمع
يجود لأقوام يودون أنه * من البغض والشَّنْآن أمسى يُقَطَّعُ
ويَبخَل بالمعروف عمن يودُّه * فوالله ما أدرى به كيف أصنع؟
٥ أأصرمه فالصُّرم شرٌّ مغبَّةً * ونفسى إليه بالوصال تَطَلَّع
وشتانَ بيني فى الوصال وبينَه * على كل حال أستقيمُ ويَظْلَع[1]
وقد كان دهرا واصلا لى مودةً * ويمنعنى من صرف دهرى أضرع
وأعقبنى صُرْما على غير إحنة * وبخلا وقِدْما كان لى يتبرع
وغيَّره ما غيَّر الناسَ قبلَه * فنفسى بما يأتى به ليس تقنع

١٠ ثم كتبها فى قرطاس وختمه، وبعث به مع رجل، فدفعه إلى غلامه، فدفعه الغلام إليه، فلما قرأه سأل الغلام : من صاحب الكتاب؟ قال : لا أعرفه . فأدخل إليه الرجل، فقال: من أعطاك هذا الكتاب؟ ومن بعث به معك؟ قال : لا أدرى، ولكن من صفته كذا وكذا، ووصف صفة ابن بيض، فأمر به فضُرب عشرين سوطا على رأسه، وأُمر له بخمس مئة درهم، وكساه، وقال : إنما ضربناك
١٥ أدبا لك، لأنك حملت كتابا لا تدرى ما فيه، لمن لا تعرف، فإياك أن تعود لمثلها . قال الرجل : لا والله، أصلحك الله، لا أحمل كتابا لمن أعرف، ولا لمن لا أعرف . قال له مخلد : احذَر، فليس كل أحد يصنع بك صنيعى؛ وبعث إلى ابن بيض، فقال له : أتعرف ما لحق صاحبك الرجل؟ قال : لا . فحدثه مخلد بقصته، فقال ابن بيض : والله، أصلحك الله، لا تزال نفسه تتوق إلى العشرين

٢٥/١٥

٢٠ (١) رواية البيت فى الأصول عدا ف .
يوده * ومعروفه يعدو البريد المفرع

سَوْطا مع الخمس مائة أبدا . فضحك مَخْلد ، وأمر له بخمسة آلاف درهم ، وخمسة أثواب ، وقال : وأنت والله لا تزال نفسك تتوق إلى عتاب إخوانك أبدا . قال : أَجَلْ والله ، ولكن من لى بمثلك يُعْتِبُنى إذا استعتبته ، ويفعل بى مثل فعلك ؟ ثم قال :

وأبيضَ بُهْلُولٍ إذا جئت داره * كفانى وأعطانى الذى جئت أسألُ
ويُعتِبنى يوما إذا كنت عاتبا * وإن قلت ، زدنى : قال : حقًّا سأفعلُ
تراه إذا ما جئته تطلب الندى * كأنك تعطيه الذى جئتَ تسألُ
فلله أبناءُ المهلّب فتيةً * إذا لَقِحَتْ حرب عَوانٌ تأكّلُ
هُمُ يصطلون الحرب والموتُ كانعٌ * بسُمْرِ القنا والمشرفيةُ من عل[(١)]
ترى الموت تحت الخافقات أمامَهُمْ * إذا وردوا عَلُّوا الرماح وأنْهلوا
يجودون حتى يحسب الناس أنهم * لجودهم نذر عليهم مُحَلَّلُ[(٢)]
غيوث لمن يرجو نداهم وجودهم * سِمام لأقوام ذُعافٌ مُثَمَّلُ[(٣)]
وفَى لىَ أبناءُ المهلّب إنهم * إذا سُئلوا المعروف لم يتَسَعَّلوا[(٤)]
فذلك ميراثُ المهلّب إنه * كريم نَماه للمكارم أوَّل
جرى وجرت آباؤه فتحرّزوا * عن الذم فى عَيطاء لا تُتَوَقَّل[(٥)]

فلما أنشده ابن بيض هذه الأبيات ، أمر له بعشرة آلاف درهم ، وعشرة أثواب ، وقال : نزيدك ما زدتنا ، ونضعف لك . فقال :

---

(١) كانع : قريب ، متجمع للوثبة ، متوثب . (٢) ف ، مب : محلل .
(٣) ذعاف : قاتل من ساعته . ومثمل : سم نقع أياما حتى اختمر . وفى الأصول : صماة وثمل .
(٤) ف : لم يتنسلوا . مب : يتبسلوا : أى يتجهموا .
(٥) العيطاء : الهضبة المرتفعة . وتتوقل : يصعد فيها .

أَمُخَلَّد لم تترك لنفسى بُغْيَةً * وزدت على ما كنت أرجو وآمُلُ
فكنتَ كما قد قال مَعْنٌ فإنه * بصير بما قد قال إذ يتمثَّلُ
وَجَدْتُ كثيرَ المالِ إذ ضَنَّ مُعْدِماً * يُذَمُّ ويَلْحاه الصديقُ المؤمِّلُ
وإن أحقَّ الناس بالجودِ مَن رأى * أباه جَواداً للمكارم يُجْزِلُ
تَرَبَّبْ الذى قد كان قَدَّم والد * أغرُّ إذا ما جئته يتهلَّل[1]
وَجَدْتَ يزيدًا والمهلَّبَ برّزا * فقلت: فإنى مثلَ ذلك أفعلُ
ففزت كما فازا وجاوزتَ غاية * يُقَصِّر عنها السابق المتمهِّلُ
فأنت غياث لليتامى وعصمة * إليك جمالُ الطالبِي الخيرِ تُرحل
أصاب الذى رجَّى نداك مُخِيلةً * تَصُبّ عزاليها عليه وتَهطل[2]
ولم تُلْفَ إذ رَجَّوا نوالك باخلا * تضن على المعروف والمالُ يُعقَلُ[3]
وموت الفتى خير له من حياته * إذا كان ذا مال يَضَنُّ ويبخل

فقال له مخلد: احتكم. فأبى، فأعطاه عشرة آلاف دينار[4] وجارية وغلاما وبِرْذَونا.

أخبرنى إسماعيل بن يونس الشيعىُّ قال: حدّثنا أحمد بن الحارث الخراز، عن المدائنى، قال:

الصداقة بينه وبين حماد بن الزبرقان

كان حمزة بن بيض شاعرا ظريفا، فشاتم حمادَ بن الزبرقان، وكان من ظُرفاء أهل الكوفة، وكلاهما صاحب شراب، وكان حماد يُتَّهم بالزندقة، فمشى الرجال بينهما حتى اصطلحا، فدخلا يوما على بعض وُلاة الكوفة، فقال لابن بيض:

(١) مب: «إذا مازرته». والبيت ساقط كله من ف.
(٢) العزالى: جمع عزلاء، وهى مصب الماء من القربة.
(٣) كذا فى الأصول. وفى ف: يفصل. وفى مب:
* يظل على المعروف والمال يفضل *
(٤) فى الأصول: ألفى دينار.

أراك قد صالحت حمادا ، فقال ابن بيض : نعم ، أصلحك الله ، على ألا آمره بالصلاة، ولا ينهانى عنها .

شعره فى التشوق لأهله لطول مقامه بالبصرة

أخبرنى محمد بن زكريا الصحاف قال : حدّثنا قَعْنَب بن المحرز الباهلىّ قال : حدّثنى الهيثم بن عدىّ قال :

قدم حمزة بن بيض البصرة زائرا لبلال بن أبى بُردة بن أبى موسى، وبينهما مودة منذ الصبا، فطال مقامه عنده، فاشتاق إلى أهله وولده، فكتب إلى بلال :

كَلَّتْ رحالى وأعوانى وأحراسى * إلى الأمير وإدلاجى وإملاسى (١)

إلى امرئ مُشْبَع مجدا ومكرُمة * عادية (٢) فهو حالٍ منهما كاسى

فلستُ منك ولا مما مَنَنْتَ به * من فضل ودك كالمرمىّ فى راسى

إنى وإياك والإخوانَ كلَّهم * فى العسر واليسر لو قيسوا بمقياس

وذاك مما ينوبُ الدهرُ من حَدَث * كالورد فى المَثَل المضروب والآس (٣)

يبيد هذا فيبلَى بعد جدّته * غَضًّا وآخره رهن بإيناس (٤)

وأنت لى دائم باقٍ بشاشته * يهتز فى عود لا عَشٍّ ولا عاسى (٥)

فعجل له بلال صلته، وسرّحه إلى الكوفة .

يستكسى سليمان بن عبد الملك فيكسوه

أخبرنى محمد بن خلف وكيع قال : حدّثنا إسحاق بن محمد النَّخَعىّ قال : حدّثنا أبو المُعارِك الضَّبىّ قال : حدّثنى أبو مسكين قال :

دخل حمزة بن بيض على سليمان بن عبد الملك، فلما مثل بين يديه أنشأ يقول :

رأيتك فى المنام شننت خزا * علىّ بَنَفْسَجًا وقضيت دينى

فصدق يا فدتك النفس رؤيا * رأتها فى المنام لديك عينى

(١) الإملاس : السوق الشديد . (٢) عادية : قديمة متأصلة .

(٣) ف : كالحبل، وهى محرفة عن الجبل، بمعنى الورد يريد أنه كالورد سريع الذبول . وكالآس فى طول خضرته ونضرته ، فإن ذبل طرف منه ، بقى آخره ناضرا ، صالحا للشم والإيناس .

(٤) كذا فى ف، مب . وفى بقية الأصول : وغابره رهن بإيناس .

(٥) العش من الشجر : اللئيم المنبت ، ومن النخل القليل السعف . والعاسى : اليابس .

فقال سليمان : يا غلام أدخله خزانة الكسوة ، واشْنُن عليه كل ثوب خَزّ بَنَفْسَجِىّ فيها : فخرج كأنه مِشْجَب[(١)] . ثم قال له : كم دَيْنك ؟ قال : عشرة آلاف درهم . فأمر له بها .

*
* *

صــــوت

من سره ضرب يُرعبِلُ بعضُه * بعضا كمعمعة الأباء المُحْرَقِ[(٢)]

فليأتِ مأسدة تُسَنُّ سيوفُها * بين المَذاد وبين جِزْع الخَنْدَقِ

ويروى : يُعَمِّم بعضه بعضا . والمعمعة : اختلاف الأصوات وشدّة زَجَلها . والمأسدة : الموضع الذى تجتمع فيه الأُسْد . وتُسَنّ : تحدّ . يقال : سيف مسنون . والمَذاد : موضع بالمدينة . والخندق : يعنى به الخندق الذى احتفره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حول المدينة . والشعر لكعب بن مالك الأنصارىّ . والغناء لابن محرز : خفيف رَمَل ، بإطلاق الوَتَر فى مَجرى الوُسطى ، عن إسحاق وعمرو .

---

(١) المشجب : ما تعلق عليه الثياب من أعواد متشابكة .

(٢) يرعبل : يقع بعضه على بعض . والأباء : القصب . واحدته : أباءة .

أخبار كعب بن مالك الأنصارى ونسبه

نسبه ٢٧/١٥

هو كعب بن مالك بن أبى كعب . واسم أبى كعب : عمرو بن القَيْن بن كعب ابن سواد . وقيل : القَيْن بن سواد (هكذا قال ابن الكلبىّ) بن غَنْم بن كعب ابن سَلِمة بن سعد بن علىّ بن أسد بن شاردة بن يزيدَ بن جُشَمَ بن الخَزْرج بن حارثة ابن ثَعْلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأَزْد ابن الغوث .

أسرة شاعرة محدثة

وكان كعب بن مالك من شعراء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم المعدودين ، وهو بَدْرىّ عَقَبىّ . وأبوه مالك بن أبى كعب بن القَين شاعر ، وله فى حروب الأوس والخزرج ، التى كانت بينهم قبل الإسلام آثار وذكر . وعمه قيس بن أبى كعب شهد بدرا ، وهو شاعر أيضا ، وهو الذى حالف جُهينة على الأوس . وخبره فى ذلك يذكر فى موضعه ، بعد أخبار كعب وأبيه .

ولكعب بن مالك أصل عريق[1] ، وفرع طويل فى الشعر : ابنه عبد الرحمن شاعر ، وابن ابنه بشير بن عبد الرحمن شاعر[2] ، والزُّبير بن خارجة بن عبد الله ابن كعب شاعر ، ومعن بن عمرو بن عبد الله بن كعب شاعر ، وعبد الرحمن ابن عبد الله بن كعب أبو الخطّاب شاعر ، ومعن بن وهب بن كعب شاعر ، وكلهم مجيد مُقدَّم .

وعُمِّر كعب بن مالك ، وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم حديثا كثيرا ، وكل بنى كعب بن مالك قد روى عنه الحديث .

(١) فى الأصول : أصيل .

(٢) « وابن ابنه بشير بن عبد الرحمن شاعر » : هذه العبارة ساقطة من ف ، مب .

فما رواه ابن ابنه بَشير[1] عن أبيه عنه : حدّثني أحمد بن الجَعْد قال : حدّثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال : حدّثنا أحمد بن عبد الملك قال : حدّثنا عتّاب[2] بن سلمة عن إسحاق بن راشد عن الزهريّ قال : كان بشير بن عبد الرحمن بن كعب يحدث عن أبيه : أن كعب بن مالك كان يحدّث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« والذى نفسى بيده، لكأنما تنضحونهم بالنَّبل بما تقولون لهم من الشعر » . ٥

ومما رواه عنه ابنه عبد الله : أخبرني أحمد بن الجعد قال : حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة قال : حدثنا بكر بن عبد الرحمن قال : حدثنا عيسى بن المختار ، عن ابن أبي ليلى، عن إسماعيل بن أمية، عن محمد بن مسلم، عن عبد الله بن كعب ابن مالك ، عن أبيه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي المغرب ، ثم يرجع الناس إلى أهاليهم وهم يُبْصرون مواقع النَّبل حين يرمون . ١٠

ومما رواه ابنه محمد: أخبرني أحمد بن الجعد قال : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبةَ قال : حدثنا محمد بن سابق قال : حدثنا إبراهيم بن طِهمان ، عن أبي الزُّبير ، عن محمد بن كعب، عن أبيه، أنه حدّثه : أن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه وأوسَ ابن الحَدَثان[3] أيام التشريق ، فنادى :

« إنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن ، وأيام مِنًى أيام أكل وشرب » . ١٥

(١) ف : بشر . ونظنه محرفا ، لاتفاق أكثر الأصول على « بشير » .

(٢) كذا في ف، مب . وفي بعض الأصول : « غياث » .

(٣) الحدثان ، بفتح الحاء والدال ، كذا ضبطه في التاج وقال : أوس بن الحدثان بن عوف ابن ربيعة النصري ، صحابي مشهور من هوازن ، نادى أيام منى : « إنها أيام أكل وشرب » . روى عنه ابنه مالك . والحدثان : اسم منقول من حدثان الدهر ، أي صروفه ونوائبه . اهـ . ٢٠

هواه مع عثمان ابن عفان

ويقال : كان كعب بن مالك عثمانيا، وهو أحد من قعد عن علىّ بن أبى طالب عليه السلام، فلم يشهد معه حروبه ، وخاطبه فى أمر عثمان وقتله خطابا نذكره بعد هذا فى أخباره، ثم اعتزله . وله مراثٍ فى عثمان بن عفان رحمه الله، وتحريض للأنصار على نُصرته قبل قتله ، وتأنيب لهم على خذلانه بعد ذلك ، منها قوله :

فلو حُلْتُمُ من دونه لم يزل لكم * يَدَ الدهرِ عِزٌّ لا يبوخُ ولا يَسْرى

ولم تقعدوا والدارُ كابٍ دُخانُها * يُحَرَّق فيها بالسعير وبالجمر

فلم أرَ يوما كان أكثر ضَيْعةً * وأقربَ منه للغَواية والنُّكْر

يعاون عثمان ويرثيه

أخبرنى هاشم بن محمد الخزاعى قال: حدثنا أبو غسانَ دَماذ، عن أبى عبيدة قال:

كان كعب بن مالك الأنصارىّ أحد من عاون عثمانَ على المصريين ، وشهر سلاحه ، فلما ناشد عثمان الناس أن يُغمدوا سيوفهم انصرف ، ولم يرأن الأمر يخلُص إليه، ولا يَجْرِى القوم إلى قتله ؛ فلما قُتِل وقف كعب بن مالك على مجلس الأنصار، فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنشدهم :

مَن مُبلِغُ الأنصارِ عنّى آيةً * رُسُلا تَقُصُّ عليهمُ التِّبيانا

أن قد فَعلتم فَعلةً مذكورة * كَسَتِ الفُضوح وأبدَتِ الشَّنْآنا[1]

بقعودكم فى دوركم وأميركم * تُحْشَى ضواحِى دارِه النيرانا

يبنا يرجّى دفعَكم عن داره * مُلِئت حَريقا كابيًا ودُخانا

حتى إذا خَلَصوا إلى أبوابه * دخلوا عليه صائما عطشانا

يُعلُون قُلّته السيوفَ وأنتمُ * متلبّثون مكانكم رِضوانا[2]

(١) الشنآن : البغضاء . وفى ف ، مب : الذلانا ؛ أى الأذلاء .

(٢) رضوانا : مصدر رضى، فى محل الحال : أى راضين . وفى ف : إخالكم صوانا .

اللهُ يَعلم أننى لم أرضَه * لكُمُ صنيعا يوم ذاك وشانا

يا لَهْفَ نفسى إذ يقول: ألا أَرَى * نَفَرا من الأنصار لى أعوانا

واللهِ لو شهد ابن قيسٍ ثابتٌ * ومعاشر كانوا له إخوانا

يعنى ثابتَ بن قيس بن شَمّاس .

٥ وأبو دُجانة وابنُ أرقَم[1] ثابتٌ * وأخو المَشاهد من بنى عَجْلانا

أبو دجانة : سِماك بن خَرَشة . وابن أرقم : ثابت البَلَوىّ . وأخو المَشاهد من بنى عَجْلان : مَعْن بن عَدىّ ، عَقَبىّ .

ورِفاعة العُمَرىُّ وابن مُعاذِهم * وأخو مُعَاوِىَ لم يخف خذلانا

رفاعة : ابن عبد المنذر العُمَرىّ . وابن معاذ : سعد بن معاذ . وأخو معاوية : المنذر

١٠ ابن عمرو الساعدىّ ، عَقَبى بَدْرىّ .

قومٌ يَرَوْن الحق نصرَ أميرِهم * ويَرون طاعةَ أمره إيمانا

إن يُتْرَكوا فَوضَى يَرَوْا فى دينهم * أمْرًا يُضَيِّق عنهمُ البُلدانا

فَلَيُعْلِيَنَّ الله كعبَ وَليِّه * ولَيَجْعلَنَّ عَدُوَّه الـذُّلَّانا

إنى رأيت محمدا إختاره * صِهرا وكان يَعُدُّه خُلْصانا[2]

١٥ مَحْضَ الضرائبِ ماجدا أعراقُهُ * من خير خِندِفَ مَنصِبا ومَكانا

عَرَفَتْ له عُلْيا مَعَدٍّ كلُّها * بعد النبىّ المُلكَ والسلطانا

من مَعْشَرٍ لا يغدِرون بجارهم * كانوا بمكة يرتعون زمانا

يُعْطون سائلهم ويأمنُ جارهم * فيهم ويُرْدُون الكُماة طِعانا

---

(١) فى هامش نب : ابن أقرم .

٢٠ (٢) قطع همزة «اختاره» لضرورة الشعر . والخلصان : الصديق الخالص ، يستوى فيه المفرد والجمع .

فـلو أنكم مع نصركم لنبيكم * يوم اللقاء نصرتمُ عثمانا!
أنسيتمُ عهد النبيّ إليكمُ * ولقد ألظّ ووكّد الأيمانا[1]

قال: فجعل القوم يبكون، ويستغفرون الله عز وجل.

يناقض راجزا من قريش فى حداء لها

أخبرنى أحمدُ بن عبد العزيز الجوهرىّ، وحبيبُ بن نصر المهلبىّ قالا: حدثنا عمر بن شبّة قال: حدثنا أبو عامر، عن ابن جُرَيج، عن هشام بن عُروة، عن أبيه قال:

رجز راجز من قريش[2] برسول الله صلى الله عليه وآله، فقال:

لم يغذُها مُدٌّ ولا نصيفُ * ولا تُمَيراتٌ ولا تعجيف[3]
لكن غذاها اللبنُ الخريفُ * والمحضُ والقارصُ والصّريفُ

قال: فاحتفظتِ الأنصارُ حيثُ ذكر المُد والتمر، فقالوا لكعب بن مالك: انزل، فنزل، فقال:

لم يغذها مُدٌّ ولا نَصيفُ * لكن غذاها الحنظلُ النّقيفُ
ومَذقة كطُرّة الخنيف[4] * تبيتُ بين الزّرْب والكَنيف

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اركبا.

أخبرنى الجوهرىُّ والمُهلّبى قالا: حدثنا عُمَر بن شَبّة قال: حدثنا هَوذة ابن خليفة قال: حدثنا عوف بن محمد، عن محمد بن سيرين، فى حديث طويل قال:

---

(١) ألظ: ألح. (٢) هو سلمة بن الأكوع، كما فى (اللسان: عجف).

(٣) المد: مكيال. والنصيف: نصفه. والتعجيف: حبس الدواب عن الطعام حتى تهزل. أو هو حبس الدابة عن الطعام وهو له مشته، ليؤثر به غيره (اللسان).

(٤) المذقة: الشربة من اللبن الممزوج. والطرة: الحاشية. والخنيف: نوع غليظ من أردأ الكتان. شبه بحاشيته اللبن الممزوج فى لونه، لتغير لونه وذهابه بالمزج. والزرب: الحظيرة تأوى إليها الأغنام. والكنيف: الموضع الساتر. يريد أنها تعلف فى الحظائر والبيوت، لا بالكلأ فى المراعى. ويلاحظ أن البيتين الأخيرين من الرجز فيهما إقواء.

المهاجون لقريش من شعراء الأنصار

كان يهجوهم يعنى قريشا، ثلاثة نفر من الأنصار يجيبونهم : حسان بن ثابت، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رَواحة . وكان حسّان وكعب يعارِضانهم بمثل قولهم، بالوقائع والأيام والمآثر، و يعيرانهم بالمثالب، وكان عبد الله بن رواحة يعيرهم بالكفر، و ينسبُهم إليه ، ويعلم أن ليس فيهم شىء شرّ من الكفر ، فكانوا فى ذلك الزمان أشدُّ شىء عليهم قولُ حسان وكعب ، وأهون شىء عليهم قول ابن رَواحة ، فلما أسلموا وفقِهوا الإسلام ، كان أشد القول عليهم قول ابن رَواحة .

يستأذن الرسول فى هجاء قريش

أخبرنى الجوهرىّ والمهلّبىّ قالا : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنا عبد الله ابن بكر السّهمىّ قال : حدثنى حاتم بن أبى صَغيرة قال : حدثنا سِماك بن حرب قال :

أُتِى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل : إن أبا سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب يهجوك، فقام ابن رواحة ، فقال : يا رسول الله ائذن لى فيه . فقال له : أنت الذى تقول : فثبّت الله ؟ قال : نعم يا رسول الله، أنا الذى أقول :

فثبت الله ما أعطاك مِن حَسَنٍ * تثبيت مُوسَى، ونَصرا كالذى نَصَرا

فقال : وأنت فعل الله بك مثل ذلك . قال : فوثب كعب بن مالك فقال : يا رسول الله، ائذن لى فيه . فقال : أنت الذى تقول : هَمّت؟ قال : نعم يارسول الله ، أنا الذى أقول :

همت سَخِينةُ أَنْ تغالبَ ربَّها * ولَيُغْلَبَنَّ مُغالِبُ الغَلّابِ[1]

فقال : أما إن الله لم ينس لك ذلك .

(١) سخينة : طعام من دقيق وسمن أو دقيق وتمر أغلظ من الحساء . وكانت قريش تكثر من أكلها فعيرت بها ، حتى سموا سخينة .

أخبرنى الجوهرىّ والمهلبىّ قالا : حدّثنا عُمَر بن شَـبَّة قال : حدّثنا عبد الله ابن يحيى مولى ثقيف قال : حدّثنـا عبد الواحد بن زياد قال : حدّثنـا مجالد ، عن الشعبىّ قال :

الرسول يحكم بحسن شـعره

لمـا انهزم المشركون يوم الأحزاب ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن المشركين لن يغزُوكم بعد اليوم، ولكنكم تغزونهم، وتسمعون منهم أذًى ويهجونكم، ٥ فمن يحمى أعراض المسلمين ؟ فقام عبـد الله بن رواحة ، فقـال : أنا . فقال : إنك لحسن الشعر . ثم قام كعب فقال : أنا . فقال : وإنك لحسن الشعر .

أخبرنى الجوهرىّ والمهلّبىّ قالا : حدّثنا عُمَر بن شـبة قال : حدّثنى محمـد ابن منصور قال : حدّثنى سعيد بن عامر قال : حدّثنى جُوَيرية بن أسماء قال :

حسان أجودهم شـعرم

بلغنى أن رســول الله صلى الله عليه وسلم قال : أمرتُ عبد الله بن رواحة ، ١٠ فقال وأحسن ، وأمرت حَسَّانا فشفى واشتفى .

أخبرنى الجوهرىّ والمهلبىّ قالا : حدّثنا عمر بن شـبة قال : حدّثنى أحمـد ابن عيسى قال: حدّثنى عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث : أن يحيى بن سعيد حدّثه عن عبد الله بن أُنَيس عن أمه ، وهى بنت كعب بن مالك :

٣٠ / ١٥

الرسول يغير كلمة فى شعر له

أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج على كعب وهو فى مسجد رسول الله صلى الله ١٥ عليه وسلم يُنْشِد ، فلما رآه كأنه انقبض ، فقال : ما كنتم فيـه ؟ فقال كعب : كنت أنشد . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأنشد، فأنشد حتى أتى على قوله :

* مُقاتِلُنـا عن جِذْمِنا كُلَّ فَخْمَةٍ[1] *

---

(١) هذا صدر بيت وعجزه : * مذرَّبة فيها القوانس تلمع *
وهو من قصيدة يجيب بهـا كعب بن مالك الأنصارى هبيرة بن أبى وهب المخزومى (انظر الشعر الذى قيل ٢٠ فى غزوة أحد فى السيرة لابن هشام ، طبعة الحلبى ٣ : ١٣٩ — ١٤١) . والفخمة : الكتيبة العظيمة . وفى السيرة : (مجالدنا) فى موضع (مقاتلنا) . والجذم : الأصل .

فقال رسـول الله صلى الله عليه وسـلم لا تقل عن جِذمنا، ولكن قـل : مُقاتِلُنـا عن دِيننـا .

قال أبو زيد : وحدّثنى سعيد بن عامر قال : حدّثنا أبو عون عن ابن سيرين قال :

ينشد الرسول ثلاث مرات فى موقف واحد

وقف رسـول الله صلى الله عليه وسلم بباب كعب بن مالك ، فخرج فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إِيهِ ، فأنشـده، ثم قال : إِيهِ فأنشده ، ثم قال : إِيهِ فأنشده (ثلاث مرات) . فقال رسـول الله صلى الله عليه وسلم : لَهَـذا أشدّ عليهم من مَواقع النَّبْل .

أخبرنى أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال : حدّثنا أبو جعفر محمـد بن منصور الرَّبَعِىّ، وذكر أنه إسناد شآمٍ، هكذا قال، قال ابن عمار فى الخبر، وذكر حديثا فيه طول، لحسان بن ثابت ، والنعمان بن بشير ، وكعب بن مالك ، فذكرت ما كان لكعب فيه ، قال :

على بن أبى طالب يطرده من المدينة لمعارضته إياه

لمـا بُويع لعلىّ بن أبى طالب عليه السلام ، بلغه عن حسان بن ثابت وكعب ابن مالك والنعمان بن بشير ـ وكانوا عثمانية ـ أنهم يقدّمون بنى أمية على بنى هاشم ، ويقولون : الشأم خير من المدينة . واتصل بهم أن ذلك قد بلغه ، فدخلوا عليه ، فقال له كعب بن مالك : يا أمير المؤمنين، أخبِرْنا عن عثمان : أَقُتِل ظالمـا، فنقولَ بقولك ؟ أم قتل مظلوما، فنقولَ بقولنا، ونكلَك إلى الشبهة فيه، فالعجب من تيقننا وشكك، وقد زعمت العرب أن عندك عِلْم ما اختلفنا فيه، فهاتِه نعرفه ، ثم قال :

كَفَّ يديهِ ثم أغلقَ بابه * وأيقن أن الله ليس بغافِلِ
وقال لمن فى داره : لا تقاتلوا * عفا الله عن كل امرئ لم يقاتِلِ
فكيف رأيتَ الله صبَّ عليهمُ الـ * ـعداوة والبغضاء بعد التواصُلِ
وكيف رأيت الخير أدبر عنهمُ * وولّى كإدبار النعـام الجوافِلِ

فقال لهم علىّ عليه السلام: لكم عندى ثلاثة أشياء: استأثر عثمان فأساء الأَثَرة، وجزِعتم فأسأتم الجزع، وعند الله ما تختلفون فيه إلى يوم القيامة. فقالوا: لا ترضى بهذا العرب، ولا تعذِرُنا به. فقال علىّ عليه السلام: أتردون علىّ بين ظَهْرانَىِ المسلمين، بلا بيّنة صادقة، ولا حجة واضحة؟ اخرجوا عنى، ولا تجاورونى فى بلد أنا فيه أبدا. فخرجوا من يومهم، فساروا حتى أتوا معاوية، فقال لهم: لكم الولاية والكفاية. فأعطى حسان بن ثابت ألف دينار، وكعب بن مالك ألف دينار، وولى النُّعمان بن بشير حِمص، ثم نقله إلى الكوفة بعد.

أخبرنى عمى قال: حدثنا أحمد بن الحارث، قال: حدثنا المدائنىّ عن عبد الأعلى القرشىّ قال:

قال معاوية يوما لجلسائه: أخبرونى بأشجع بيت وَصَف به رجل قومه. فقال له رَوْح بن زِنباع: قول كعب بن مالك:

بيته فى الشجاعة

نَصِلُ السيوفَ إذا قَصُرْنَ بخطونا * قِدْما ونُلْحِقها إذا لم تَلْحَقِ

فقال له معاوية: صدقت.

أبوه وشعره

وأما أبوه مالك بن أبى كعب، أبو كعب بن مالك، فإنى أذكر قبل أخباره شيئا مما يغنّى فيه من شعره، فمن ذلك قوله:

صوت

٣١/١٥

لَعَمْرُ أبيها لا تقول حليلتى: * ألا فَرّ عنى مالك بن أبى كعبِ

وهم يضربون الكبش يَبْرُق بيضه * ترى حوله الأبطال فى حَلَقٍ شُهْبِ

الشعر لمالك بن أبى كعب . والغناء لمالك، ثقيل أول بالبنصر ، عن يونس والمشامى . وفيه لإبراهيم خفيف ثقيل بالوسطى، جميعا عن المشامى . وزعم ابن المكى أن خفيف الثقيل هو لحن مالك .

الخصومة بين أبيه وبرذع بن عدى

وهذا الشعر يقوله مالك بن أبى كعب فى حرب كانت بينه وبين رجل من بنى ظَفَر، يقال له بَرْذَع بن عدى .

٥

وكان السبب فيما ذكره جعفر العاصمى عن عيينة بن المنهال ، ونسخته من كتاب أعطانيه على بن سليمان الأخفش :

أن رجلا من طيء قدم يثرب بإبل له يبيعها، فنزل فى جوار بَرذع بن عدى أخى بنى ظَفَر ، فباع إبله ، واقتضى أثمانها ، وكان مالك بن أبى كعب بن القَين أخو بنى سَلِمة ، اشترى منه جملا ، بخعله ناضحا ، فمطله مالك بن أبى كعب بثمن جمله ، وحضر شخوص الطائى، فشكا ذلك إلى برذع، فمشى معه إلى منزل مالك، ليكلمه أن يوفيه ثمن جمله ، أو يرده عليه ، فلم يجدا مالكا فى منزله ، ووجدا الجمل باركا بالفناء ، فبعثه برذع ، وقال للطائى : انطلق بجملك، ثم خرجا مسرعين حتى دخلا فى دار النَّبيت، فأمنا ، فارتحل الطائى بالجمل إلى بلاده، وبلغ مالكا ما صنع برذع، فكره أن يَنْشَب بين قومه وبين النبيت حرب، فكف وقد أغضبه ذلك، وجعل يُسَفِّه برذعا فى جراءته عليه وما صنع، فقال برذع بن عدى فى ذلك :

١٠

١٥

أمِن تَخَطُّط دار من لُبابة تجزعُ * وصرف النوى مما يُشِتُّ ويجمعُ

وليس بها إلا ثلاثٌ كأنها * مُسَفَّعة أو قد علاهنّ أيدع (١)

قد اقتربت لو كان فى قرب دارها * جَداء ولكن قد تضن وتمنع

وكان لها بالمنحنَى وجُنوبه * مصيف ومشتًى قبل ذاك ومَربع

٢٠

(١) مسفعة : علاها سواد وحمرة . والأيدع : الزعفران .

أتانى وعيد الخزرجىّ كأننى * ذليل له عند اليهودىّ مَضْرَع

متى تلقنى لا تلق نُهْـزة واجد[1] * وتعلمُ أنى فى المَزاهِز أروع

معى سَمْحة صفراء من فَرْع نَبعة * ولَدْنٌ إذا مسّ الضريبةَ يقطع

ومطَّرِدٌ لَدْنٌ[2] إذا هُزَّ متنهُ * متين تَخَرُّص الذابلات وأهزع

فلا وإلهى لا يقول مجاورى :[3] * ألا إننى قد خاننى اليوم برذع

وأحفظ جارى أن أخاتلَ عِرسه * ومولاى بالنَّكراء لا أتطلع

وأجعل مالى دون عِرضى إنه * على الوُجْد والإعدام عِرض ممنَّع

وأصبِر نفسىَ فى الكريهة إنه * لذى كل نفس مستقر ومصرع

وإنى بحمد الله لا ثوبَ فاجر * لبست ولا من خَزْية أتقنع

فأجابه مالك بن أبى كعب ، فقال :

صـــوت

هل للفؤاد لدى شَنْباءَ تنويلُ * أم لا نوالٌ فإعراضٌ وتحميل[4]

إن النساء كأشجار نبتن معا * منهن مُرّ وبعض المُرّ مأكول[5]

إن النساء ولو صُوّرن من ذهب * فيهن من هفوات الجهل تخبيل

الغناء لسليم ، هَزَج بالوسطى عن الهشامىّ وبذل .

(١) الواجد : الغاضب الحاقد . وفى الأصول : واحد . المزاهز : الشدائد ، لا واحد له .
والأروع : الشهم الذكى . (٢) الخرص : الرمح القصير السنان . والذابلات : الرماح الدقيقة .
والأهزع : الرمح المضطرب المهتز . (٣) رواية ف ، مب :

ولا وإلهى لا يقول محاربى : ألا إننى قد خاننى اليوم برذع

(٤) رواية الشطر الثانى فى ف ، مب :

* أم لا ، فيأس وإعراض وتحميل *

(٥) ف ، مب : وبعض النبت .

إنك إن تنــة إحداهن عن خلق * فإنه واجب لا بــدّ مفــعول

ونعجةٍ من نِعـاج الرملِ خاذلةٍ * كأن مَآقِيَها بالحسنِ مكحول [(١)]

ودّعتها فى مُقامى ثم قلت لهـا : * حيـاك ربك إنى عنـك مشغول

وليـلةٍ من جُمادَى قد شربت بها * والزِّق بينى وبين الشَّرج مَعدول [(٢)]

ومُرْجَحِنٍّ على عمـــد دَلَفت به * كأنه رجل فى الصفّ مقتـــول [(٣)]

ولا أهاب إذا ما الحرب حَرّشها الْـ * ـأبطال واضطربت فيها البهاليـل

أمضِى أمامَهُــمُ والموت مكتنِـعٌ * قُدْما إذا ما كبا فيها التّنابيـــل [(٤)]

علَىَّ فَضْفاضـة كالنِّهى سابغـة * وصارم مثـل لون الملح مصقولُ [(٥)]

ولدنةٌ فى يدى صـفراء ثَعلَبُهـا * بعامل كشهاب النـار موصول [(٦)]

إنى من الخــزرج الغُرّ الذين هُمُ * أهلُ المكارم لا يلفى لهم جيـل

فى الحرب أَنْهكَ منهم للعدوّ إذا * شُبت وأعظمَ نَيلا إن همُ سِيلوا

أشبهتُ من والدى عِزّا ومَكْرُمـةً * وبرذَعٌ مُدغَم فى الأوس مجهول

نُبِّئتـه يدّعى عزا ويُوعِـدنى * نُوكًا وعنـدى له بالسيف تنكيل [(٧)]

---

(١) النعجة هنـا : كناية عن المرأة . والخاذلة : التى تركت أصحابها أو أولادها وانفــردت . وفى ف : « بالخير مكحول » . وفى مب : « بالحبر » .

(٢) الشرج : مســيل المـاء من الحرة إلى السهل ، يريد أنه يشرب مرة ثم يرســل الزق إلى مسيل المـاء البـارد ، ليخلط الخمر ببعض مائه .

(٣) المرجحن : المهتز ، ولعله يقصد به الرمح ، يصفه بالاهتزاز ثم بالطول .

(٤) مكتنع : حاضر دان . وقدما : مخفف ، وأصله بضمتين . يريد أنه يتقدم فى الحرب ولا أتأخر . والتنابيل : جمع تنبال ، وهو اللئيم الجبان . والبيت ساقط من ف .

(٥) الفضفاضة : يريد بها درعا واسعة . والنهى : الغدير .

(٦) الثعلب : طرف الرمح . والعامل : صدر الرمح الذى يلى السنان .

(٧) ف : عزا ومكرمة .

قال : ثم إن مالك بن كعب خرج يوما لبعض حاجته، فبينا هو يمشى وحده، إذ لقيه بوذع ومعه رجلان من بنى ظَفَر، فلما رأوا مالكا أقبلوا نحوه، فبدَرَهم مالك إلى مكان من الحَرَّة كثير الحجارة مُشرف، فقام عليه، وأخذ فى يده أحجارا، وأقبلوا حتى دنوا منه، فشاتموه وراموه بالحجارة، وجعل مالك يلتفت إلى الطريق الذى جاء منه، كأنه يستبطئ ناسا، فلما رآه بوذع وصاحباه يكثر الالتفات، ظنوا أنه ينتظر ناسا كانوا معه، وخشُوا أن يأتوهم على تلك الحال، فانصرفوا عنه، فقال مالك بن أبى كعب فى ذلك :

لعمرُ أبيها لا تقول حليلتى : * ألا فرَّعنى مالك بن أبى كَعْبِ
أقاتل حتى لا أرى لى مُقاتِلا * وأنجو إذا غُمّ الجبان من الكَرْبِ
أبى لِىَ أن أُعْطِى الصَّغار ظلامةً * جدودى وآبائى الكرامُ أولو السَّلْبِ[1]
هُمُ يضربون الكبشَ يَبرُق بيضُه * تَرى حوله الأبطال فى حَلَق شُهْبِ
وهم أورثونى مجــدَهم وفَعالَهم * فأُقسم لا أُزْرِى بهم أبدا عَقْبِى

ويروى : لا يُخْزِيهم .

وأرعَى لجارى[2] ماحييتُ ذِمامَه * وأعرف ماحقُّ الرفيق على الصحْبِ
ولا أُسمِع النَّدْمان شيئا يَرِيبه * إذا الكأس دارت بالمدام على الشَّرْبِ
إذا ما اعترى بعضُ الندامَى لحاجة * فقولى له : أهلا وسهلا وفى الرحب
إذا أنفدُوا الزِّق الروِىّ وصُرِّعوا * تَساوَى فلم أقنع[3] بقولهمُ : حَسْبى
بعثت إلى حانوتها فاستَبأْتُها * بغير مِكاس فى السَّوام ولا غصْبِ

(١) فى ف ، مب :

أبى لى أن أعطى ظلامة معشرى * جدودى وآبائى الكرام ذوو الشغب

(٢) ف ، مب : على لجارى .   (٣) فى الأصول عدا ف : أقطع .

وقلت : اشربوا رِيًّا هنيئا فإنها * كماء القَليب فى اليسارة والقُرب

يطاف عليهم بالسَّديف وعندهم * قيانٌ يلَهِّينَ المَزاهرَ بالضربِ

فإن يصبروا لِى الدهرَ أصبِرْهم بها * ويَرحُبْ لهم باعى ويغزرْ لهم شِرْبى

وكان أبى فى المَحْل يطعم ضيفه * ويُروِى نداماه ويصبِرُ فى الحرب

٥ ويمنع مولاه ويدرك تَبْلَه * ولو كان ذاك التبلُ[(١)] فى مركبٍ صعب

إذا ما منعت المال منكم لثروة * فلا يَهْنِنى مالى ولا نِمُّ لى كسبى

وقد رُوِى أن الشعر المنسوب إلى مالك بن أبى كعب، لرجل من مراد ، يقال له مالك بن أبى كعب، وذُكر له خبر فى ذلك .

قصة متصلة عن شعر لأبيه

أخبرنى به محمد بن خلف بن المرزبان . قال : حدثنا أحمد بن الهيثم بن فراس

١٠ قال : حدثنا العُمَرِىّ ، عن الهيثم بن عدىّ ، عن عبد الله بن عياش ، عن مجالد عن الشعبى ، قال :

كان رجل من مُراد يُكْنَى أبا كعب ، وكان له ابن يدعى مالكا ، وبنت يقال لها طُرَيْفة ، فزوج ابنه مالكا امرأة من أرحب، فلم تزل معه حتى مات أبو كعب، فقالت الأرحبية لمالك : إنى قد اشتقت إلى أهلى ووطنى ، ونحن

١٥ هاهنا فى جدب وضيق عيش، فلو ارتحلت بأهلك وبى ، فنزلت على أهلى ، لكان عيشنا أرغد، وشَمْلنا أجمع؛ فأطاعها ، وارتحل بها وبأمه وبأخته إلى بلاد أرحب، فمر بحىّ كان بينهم وبين أبيه ثأر، فعرفوا فرسه ، فخرجوا إليه ، وأحدقوا به ،

(١) فى الأصول عدا ف : مطلب .

وقالوا له : استَسْلم وسلم الظعينة . فقال : أما وسيفى بيدى وفرسى تحتى فلا، وقاتلهم حتى صُرِع، فقال وهو يجود بنفسه :

لعمر أبيها لا تقول حليلتى * ألا فرَّ عنى مالك بن أبى كعب

وذكر باقىَ الأبيات التى تقدم ذكرها قبل هذا الخبر .

قال مؤلف هذا الكتاب : وأحسب هذا الخبر مصنوعا، وأن الصحيح هو الأول . ٥

⁂

صــــوت

خُيِّرتُ أمرين ضاع الحزم بينهما * إما الضَّياعُ وإما فتنة عَمَمُ

فقد هممت مِرَارًا أن أساجلهم (١) * كأسَ المنيةِ لولا اللهُ والرَّحِمُ ١٠

الشعر لعيسى بن موسى الهاشمىّ، والغناء لمتيَّم الهاشمية ، خفيف رمَل، من روايتى ابن المعتز والهشامىّ .

---

(١) ف : أخالسهم .

أخبار عيسى بن موسى ونسبه

نسبه

عيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف . وقد مضى فى عدة مواضع من هذا الكتاب ما تجاوزه نسب هاشم إلى أقصى مدى الأنساب . وأمه وأم سائر إخوته وأخواته أم ولد .

مولده ونشأته

٥ وعيسى ممن وُلد ونشأ بالحُمَيمة من أرض الشام ، وكان من فحول أهله وشجعانهم ، وذوى النجدة والرأى والبأس والسُّودَد منهم . وقبل أن أذكر أخباره ، فإنى أبدأ بالرواية فى أن الشعر له ، إذ كان الشعر ليس من شأنه ، ولعل منكرا أن ينكر ذلك إذا قرأه .

٣٤ / ١٥

أخبرنى حبيب بن نصر المُهَلَّبى وعمى قالا : حدثنا عبد الله بن أبى سعد .

١٠ ورأيت هذا الخبر بعد ذلك فى بعض كتب ابن أبى سعد ، فقابلت به ما روياه ؛ فوجدته موافقا .

شعره فى خلع المنصور إياه وبيعة المهدى

قال ابن أبى سعد : حدثنى علىّ بن النطاح قال : حدثنى أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن عيسى بن موسى قال :

لما خلع أبو جعفر عيسى بن موسى ، وبايع للمهدىّ ، قال عيسى بن موسى :

١٥ خُيِّرْت أمرين ضاع الحزم بينهما * إما صَغار وإما فتنة عَمَمُ

وقد هممت مرارا أن أساقِيَهم * كأس المنية لولا اللهُ والرَّحِمُ

ولو فعلتُ لزالت عنهمُ نِعَمٌ * بكفر أمثالها تُسْتَنْزَل النِقَمُ

على هذه الرواية فى الشعر ، رَوَى من ذَكرت . وعلى ما صَدَّرْتُ من الخلاف فى الألفاظ يُغَنَّى .

أنشدنى طاهر بن عبد الله الهاشمىّ قال : أنشدنى ابن بُرَيهة المنصورىّ(١) هذه الأبيات ، وحكى أن ناقدا خادم عيسى كان واقفا بين يديه ليلةَ أتاه خبر المنصور وما دبّره عليه من الخلع ، قال : فجعل يتململ على فراشه ويُهمهِم ، ثم جلس فأنشد هذ الأبيات ، فعلمت أنه كان يهمهم بها ، وسألت الله أن يلهمه العزاء والصبر على ما جرى ، شفقة عليه .

رؤيا موسى ابن محمد

قال ابن أبى سعد فى الخبر الذى قدمت ذكره عنهم : وحدّثنى محمد بن يوسف الهاشمى قال : حدّثنى عبد الله بن عبد الرحيم قال : حدّثتنى كلثم بنت عيسى قالت : قال موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس :

رأيت فى المنام كأنى دخلت بستانا ، فلم آخذ منه إلا عُنقودا واحدا ، عليه من الحبّ المرصّف ما الله به عليم ، فوُلد له عيسى بن موسى ، ثم وُلد لعيسى من قد رأيت .

قال ابن أبى سعد فى خبره هذا : وحدّثنى علىّ بن مسلم الهاشمىّ قال : حدّثنى عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن مالك ، مولى عيسى بن موسى ، قال : حدّثنى أبى قال :

يكره الغناء

كنا مع عيسى بن موسى لما سكن الحيرة ، فأرسل إلىّ ليلة من الليالى ، فأخرجنى من منزلى ، فجئت إليه ، فإذا هو جالس على كرسىّ ، فقال لى : يا عبد الرحمن ، لقد سمعت الليلة فى دارى شيئا ما دخل سمعى قطُّ إلا ليلةً بالحُمَيْمَة والليلة ، فانظر ما هو . فدخلت أستقرِى الصوت ، فإذا هو فى المطبخ ، وإذا الطباخون قد اجتمعوا ، وعندهم رجل من أهل الحيرة يغنيهم بالعود ، فكسرت العود ، وأخرجت الرجل ، وعُدت إليه فأخبرته ، فحلف لى أنه ما سمعه قطُّ إلا تلك الليلةَ بالحُمَيْمة وليلَته هذه .

(١) ف : الأنصارى .

يهجو الناس بحجه

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العلاء والطُّوسيّ، قالا : حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال: حدّثني عبد الله بن محمد بن المنذر ، عن صفية بنت الزبير بن هشام بن عُروة، عن أبيها ، قال :

كان عيسى بن موسى إذا حج، يحُج ناس كثير من أهل المدينة : يتعرّضون لمعروفه فيصلهم ؛ قالت : فمر أبي بأبي الشدائد الفزاريّ، وهو ينشد بالمصلّى :

٥

* عصابة إن حج عيسى حجُّوا *

* وإن أقام بالعراق دَجُّوا *

* قد لَعِقوا لُعَيقةً فلَجُّوا *

* فالقوم قوم حَجُّهم مُعْوَجّ *

* ما هكذا كان يكون الحج *

١٠

قال : ثم لقي أبو الشدائد بعد ذلك أبي، فسلم عليه ، فلم يردد عليه ، فقال له : مالك يا أبا عبد الله لا تردّ السلام عليّ ؟ فقال : ألم أسمعك تهجو حاجّ بيت الله الحرام ؟ فقال أبو الشدائد :

٣٥/١٥

* إني وربِّ الكعبة المبنيَّهْ *

* والله ما هجوتُ من ذي نيهْ *

١٥

* ولا امرئ ذي رِعَةٍ نقيهْ *

* لكنني أُرعى على البريهْ *

* من عُصبةٍ أَغلَوا على الرعيهْ *

* بغير أخلاق لهم سَريهْ *

صـــوت

آثار ربع قَـــدُما * أعيا جَوابا صَمَما

محت عليـــه دِيَمٌ * بمائها فانهـــدَما

كان لسُعْدَى علمـا * فصار وَحْشا رِمَما

أيامَ سُـعدَى سَقَمٌ * وهْى تداوى السَّقَما

الشعر للرّقاشىّ، والغناء لابن المكىّ، رَمَل بالوُسْطَى، عن عَمرو بن بانة .

اخبار الرقاشي ونسبه

نسبه ومكانته الشعرية

هو الفضل بن عبد الصمد مَوْلى رقاش . وهو من ربيعة ، وكان مطبوعا سهل الشعر ، نقيّ الكلام ، وقد ناقض أبا نواس ، وفيه يقول أبو نواس :

وجدنا الفضل أكرم مِن رقاشٍ * لأن الفضل مولاه الرسول

أراد أبو نواس بهذا نفيه عن ولائه ، لأنه كان أكرم ممن ينتمى إليه ، وذهب أبو نواس إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم : أنا مولى من لا مولى له .

وذكر إبراهيم بن تميم ، عن المعلّى بن حُمَيد :

انقطاعه للبرامكة ورثاؤه لهم

أن الرقاشيّ كان من العجم ، من أهل الريّ

وقد مدح الرقاشيّ الرشيدَ وأجازه ، إلا أن انقطاعه كان إلى آل بَرْمَكَ ، فأغنَوه عن سواهم .

أخبرنى حبيب بن نصر المهلبيّ قال : حدّثنا أحمد بن يزيد المهلبيّ قال : حدّثني أبي ، قال :

كان الفضل الرقاشيّ منقطعا إلى آل بَرْمَك ، مستغنيا بهم عن سواهم ، وكانوا يصولون به على الشعراء ، ويُرَوُّون أولادهم أشعاره ، ويدونون القليل والكثير منها ، تعصبا له ، وحفظا لخدمته ، وتنويها باسمه ، وتحريكا لنشاطه ، فحفظ ذلك لهم ، فلما نُكِبوا صار إليهم فى حبسهم ، فأقام معهم مدّة أيامهم ، ينشدهم ويسامرهم ، حتى ماتوا ، ثم رثاهم فأكثر[1] ، ونشر محاسنهم وجودهم ومآثرهم فأفرط ، حتى نَشَر منها ما كان مطويا ، وأذاع منها ما كان مستورا ، وجرى على شاكلته

(١) سقطت بقية هذا الخبر والذى يليه من أخبار الرقاشى ، من جميع الأصول ما عدا ف ، مب .

بعدهم، وكان كالموقوف المديح على جميعهم، صغيرهم وكبيرهم . ثم انقطع إلى طاهر[1] وخرج معه إلى خراسان ، فلم يزل بها معه حتى مات .

مجونه

وكان مع تقدّمه فى الشعر ماجنا خليعا ، متهاونا بمروءته ودينه، وقصيدته التى يوصى فيها بالخلاعة والمجون مشهورة ، سائرة فى الناس ، مبتذلة فى أيدى الخاصة والعامة ، وهى التى أوّلها :

أوصَى الرقاشىُّ إلى إخــوانِهِ * وصِــيةَ المحمودِ فى نُدْمانِهِ

وقد رأيت هذه القصيدة بعينها بخط الجاحظ فى شعر أبى نمامة ، من جملة قصيدة له طويلة ، يهجو فيها جماعة ، ويأتى فى وسطها بقصيدة الرقاشىّ .

وقال عبد الله بن المعتز : حدثنى ابن أبى الخنساء، عن أبيه ، قال :

لمـا قال أبو دُلَف :

صـــوت

ناولينى الـــدرع قد طا * ل عن الحـــرب جَمـامِى[2]

مرّ لى شهران مـــذ لم * أرمِ قوما بِسِهـامِى

قال الرقاشىّ يعارضه :

جنبِينى الـدرعَ قد طا * ل عن القَصْف جَمامِى

واكسِرى المِطْرد والبَـ * ـيْض وأْتِنى بالحُســامِ

واقذفى فى لُجّة البحـ * ـرِ بقوسِى وسِهـامِى

وبتُرسِى وبرُمحِى * وبِسرجى ولجـامِى

فبحسبِى أن تَرَيْنِى * بين فِتيـانٍ كِــرامِ

سادةٍ نغــدو مُجِـدِّيـ * ـن على حَرْب المـدامِ

(١) يريد طاهر بن الحسين القائد الفارسى الكبير .

(٢) مب : محمام .

واصطفاقِ العودِ والنا * ياتِ فى جوف الظلامِ
هَــزْمِ أرواح دِنانٍ * لم ننلها باصــطلامِ
نهـزِمِ الـراح إذا مـا * هَمَّ قـوم بانهــزامِ
ثم خلِّ الضرب والطعـ * ـن لأجســاد وهـامِ
لشــقِيٍّ قال : قــد طا * ل عن الحرب جِمـامِى ٥

يرثى العباس ابن محمد البرمكى

أخبرنى الحسن بن علىّ قال : حدّثنى محمد بن موسى، عن ابن النطاح، قال :

تُوُفِّى العباس بن محمد بن خالد بن برمك بالخُلْد ، والرشيد بالرُّصافة ، فى يوم جمعة، فأخرجتْ جنازته مع العصر، وحضر الرشيد والأمين، وأخرجت المضارب إلى مقابر البرامكة بباب البَرَدان، وفُرِش للرشـيد فى مسجد هناك، وجاء الرشـيد فى الخلق بالأعلام والحِراب ، فصلى عليه ، ووقف على قبره حتى دفن ؛ فلما خرج ١٠ يحيى ومحمـد أخواه من القبر، قبَّلا يد الرشـيد ، وسألاه الانصراف ، فقــال : لا ، حتى يُسَــوَّى عليه التراب ، ولم يزل قائمـا حتى فُرِغ من أمره ، وعزّاهما وأمرهما بالركوب ، فقال الرَّقاشيّ يرثى العباس بن محمد بن خالد بن برمك :

أتحسِـبنى باكرتُ بعــدك لذة * أبا الفضلِ أو رَفَّعت عن عاتِقٍ سِترا
أوِ انتفعت عينـاىَ بعـدُ بنظـرة * أوَ ادْنيتُ من كأسٍ بمشمولة ثغـرا ١٥
جفانِى إذن يوما إلى الليـل مؤنسِى * وأضحت يمِيـنى من ذخائرها صفـرا
ولكننى استشعرت ثوب اسـتكانة * وبِتُّ كأنَّ الموت يحفِر لى قبرا

غَنَّى فى الأول والثانى من هذه الأبيات الرَّقّ ، ثانىَ ثقيل بالبنصر ، عن الهشامىّ وعبد الله بن موسى . وفيه ثقيل أوّل مجهول ، أحسـبه لبعض جوارى البرامكة .

وفيهما لإبراهيم بن المهدىّ خفيف رمل ، عن عبد الله بن موسى . ٢٠

رثاؤه جعفر البرمكى

ومن ذلك قوله فى جعفر[1] :

كم هاتف بك من باكٍ وباكيةٍ * يا طيبَ للضيف إذ تُدْعَى وللجارِ
إن يُعْدَمِ القطرُ كنتَ المُزْنَ بارقُه * لمعُ الدنانيرِ لا ما خيَّل السارى

وقوله :

لعمرك ما بالموت عار على الفتى * إذا لم تصبه فى الحياة المَعايرُ
وما أحد حىٌّ وإن كان سالما * بأسلم ممن غيبته المقابرُ
ومن كان مما يُحدث الدهر جازعا * فلا بد يوما أن يُرَى وهو صابر
وليس لذى عيش عن الموت مَقْصَرٌ * وليس على الأيام والدهر غابر
وكل شباب أو جديدٍ إلى البِلَى * وكل امرئٍ يوما إلى الله صائر
فلا يُبْعِدَنْك الله عنّى جعفرا * بروحى ولو دارت على الدوائر
فآليت لا أنفكُّ أبكيك ما دعتْ * على فَنَنٍ ورقاءُ أو طار طائر

٣٦
١٥

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنى أبو غسان، عن عبد العزيز بن أبى ثابت، عن محمد بن عبد العزيز :

أن الرقاشىّ الشاعر فنِىَ فى حب البرامكة حتى خيف عليه .

حبه البرامكة

أخبرنى محمد بن القاسم الأنبارىّ قال : حدثنى أبى عن أبى عكرمة ، قال :

وأخبرنى على بن سليمان الأخفش قال : حدثنى محمد بن موسى، عن إسماعيل ابن مجمع، عن أحمد بن الحارث، عن المدائنى[2] .

---

(١) يريد : من مراثى الرقاشى فى البرامكة . وهذا الخبر وما بعده ساقطان من ف ، مب .

(٢) جاء السند الأول لرواية هذا الخبر فى ف ، مب . والسند الثانى فى سائر الأصول ، فجمعنا بينهما ، لما اعتاده المؤلف فى الجمع بين الأسانيد المتكررة من الطرق المختلفة .

رثاؤه جعفر ابن يحيى البرمكي

أنه لما[1] دارت الدوائر على آل برمك، وأمر بقتل جعفر بن يحيى وصلب، اجتاز به الرقاشي الشاعر وهو على الجذع، فوقف يبكى أحر بكاء، ثم أنشأ يقول:

أما والله لولا خوف واشٍ * وعين للخليفة لا تنامُ

لطُفنا حول جذعك واستلمنا * كما للناس بالحجَر استلام

٥ فما أبصرتُ قبلك يابن يحيى * حساما قدَّهُ[2] السيفُ الحسام

على اللذات والدنيا جميعا * ودولة آل برمك السلام

فكتب أصحاب الأخبار بذلك إلى الرشيد، فأحضره، فقال له: ما حملك على ما قلت؟ فقال: يا أمير المؤمنين، كان إلىّ محسنا، فلما رأيته على الحال التى هو عليها حركنى إحسانه، فما ملكت نفسى حتى قلت الذى قلت. قال: وكم كان ١٠ يُجرِى عليك؟ قال: ألف دينار فى كل سنة. قال: فإنا قد أضعفناها لك.

شعره فى أصدقائه المتفرقين

أخبرنى هاشم بن محمد الخزاعى أبو دُلَف، قال: حدثنا الرياشى قال:

كان الفضل الرقاشى يجلس إلى إخوان له يحادثهم، ويألفونه ويأنسون به، فتفرقوا فى طلب المعاش، وترامت بهم الأسفار، فمر الرقاشى بمجلسهم الذى كانوا يجلسون فيه، فوقف فيه طويلا، ثم استعبر وقال:

١٥ لولا التطيُّرُ قلتُ غيَّركم * ريبُ الزمان نخنتمُ عهدى

درستْ معالمُ كنتُ آلَفُها * من بعدكمْ وتغيرتْ عندى

أخبرنى محمد بن جعفر الصيدلانى النحوى قال: حدثنا محمد[3] بن القاسم قال: حدثنى أبو هفان، عن يوسف بن الداية قال:

(١) ف، مب: لما قتل جعفر بن يحيى وصلب ...

٢٠ (٢) كذا فى ف، مب. وفى بقية الأصول: حتفه.

(٣) ف، مب: أحمد.

يعشق بأذنه

كان أبو نواس والفضل الرَّقاشى جالسين، بجاءهما عمرو الوراق، فقال: رأيت جارية خرجت من دور آل سليمان بن علىّ، فما رأيت جارية أحسن منها، هيفاءَ نجلاء، زَجَّاءَ دعجاء، كأنها خُوط بان، أو جَدْل عِنان، فخاطبتها فأجابتنى بأحلى لفظ، وأحسن لسان، وأجمل خطاب. فقال الرقاشىّ: قد والله عشقتها، فقال أبو نواس: أوَ تعرفها؟ قال: لا والله، ولكن بالصفة، ثم أنشأ يقول:

٥

صفاتٌ وظَنٌّ أورثا القلب لوعةً * تضرَّم فى أحشاء قلب متـيَّم(١)

تُمثِّلها نفسى لعينى فأنثنى * إليها بطرف الناظر المتوسِّم

يحمِّلنى حبِّى لها فوق طاقتى * من الشوق دأبَ الحائر(٢) المتقسِّم

* * *

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال: حدثنى محمد بن القاسم ابن مهرويه قال: حدثنى عبد الرحيم بن أحمد بن زيد الحرانىّ قال:

١٠

٣٧/١٥

قيل لابن دراج الطفيلىّ أنتطفّل على الرءوس؟ قال: وكيف لى بها؟ قيل: إن فلانا وفلانا قد اشترياها، ودخلا بستان ابن بَزِيع، فخرج يُحْضِر خوفا من فوتهما، فوجدهما قد لَوَّحا بالعظام فوقف عليها ينظر، ثم استعبر وتمثل قول الرَّقاشىّ:

١٥

آثار رَبْعٍ قَدُما * أعيا جوابى صَمَمَا

وابن دراج هذا يقال له عثمان، وهو مولًى لكندة، وكان فى زمن المأمون، وله شعر مليح، وأدب صالح، وأخبار طيبة، يجرى ذكرها ههنا

(١) كذا فى ف، مب. وفى بقية الأصول: وحسن. وفى مب: صب متيم.

(٢) ف: الحائن.

٢٠

أخبار ابن درّاج الطُّفَيلىّ[1]

يخاف الكلب

أخبرنى الجوهرىّ عن ابن مهرويه، عن أبيه قال :

قيل لعثمان بن دراج : أتعرف بستان فلان ؟ قال : إى والله، وإنه الجنة الحاضرة فى الدنيا . قيل له : فلم لا تدخل إليه، فتأكل من ثماره، تحت أشجاره، وتسبح فى أنهاره ؟ قال : لأن فيه كلبا لا يتمضمض إلا بدماء عراقيب الرجال .

أخبرنى الجوهرىّ قال : حدثنا ابن مهرويه قال : حدثنا عبد الرحيم بن أحمد ابن زيد الحرّانى قال :

سبب عدم إقلاعه عن التطفل

كان عثمان بن دراج يلزم سعيد بن عبد الكريم الخطّابى ، أحد ولد زيد ابن الخطاب، فقال له : ويحك ! إنى أبخل بأدبك وعلمك، وأصونك وأضَن بك عما أنت فيه من التطفيل، ولى وظيفة راتبة فى كل يوم، فالزمنى وكن مدعوّا أصلح لك مما تفعل . فقال : رحمك الله أين يُذْهَب بك ؛ فأين لذة الجديد، وطيب التنقل كل يوم من مكان إلى مكان؟ وأين نَيلك ووظيفتك من احتفال الأعراس؟ وأين ألوانك من ألوان الوليمة ؟ قال : فأما إذ أبيت ذاك ، فإذا ضاقت عليك المذاهب فإنى فِئة لك . قال : أما هذا فنعم .

يمنع الطفيليين

فبينا هو عنده ذات يوم إذ أتت الخطابىّ مولاة له ، فقالت : جُعِلْتُ فداك . زوّجت ابنتى من ابن عم لها، ومنزلى بين قوم طُفَيليين، لا آمنهم أن يهجموا علىّ، فيأكلوا ما صنعت، ويبقى من دعوت، فوجّه معى بمن يمنعهم . فقال : نعم، هذا أبو سعيد ، قم معها يا أبا سعيد . فقال : مُرِّى بين يدىّ، وقام وهو يقول :

منعت تميمٌ أن تُقتّل عامرٌ * يومَ النسار فأُعتِبوا بالصَّيلم

(١) أثبتنا هذا العنوان عن الأصول غير (ف ، مب ، فإنهما ذكرتا ابن دراج بلا عنوان) .

كيف يصنع بأهل العروس ليدخلوه.

قال : وقال الخطابى هـذا لابن دراج : كيف تصنع بأهـل العرس إذا لم يُدْخلوك ؟ قال : أنوح على بابهم، فيتطيّرون بذلك، فيدخلونى .

سبب صفرة لونه

قال : وقال له رجل : ما هـذه الصفرة فى لونك ؟ قال : من الفترة بين القَصْعتين، ومن خوفى كل يوم من نَفادِ الطعام قبل أن أشبع .

٥

أخبرنى أحمد قال : حدثنا ابن مهرويه، عن عبد الرحيم بن أحمد :

صفة بيته

أن ابن دراج صار إلى باب علىّ بن زيد، أيام كان يكتب للعباس بن المأمون، فحجبه الحاجب، وقال : ليس هـذا وقتك، قد رأيتَ القواد يُحْجبون ، فكيف يؤذن لك أنت ؟ قال : ليست سبيلى سبيلهم ، لأنه يحب أن يرانى ، ويكره أن يراهم، فلم يأذن له . فبيناهما على ذلك إذ خرج علىّ بن زيد، فقال : ما منعك يا أبا سـعيد أن تدخل ؟ فقال : منعنى هـذا البغيض . فالتفت إلى الحاجب ، فقـال : بلغ بك بغضك أن تحجب هـذا ؟ ثم قال : يا أبا سـعيد ، ما أهديت إلىّ من النوادر ؟ قال : مرت بى جنازة ومعى ابنى ، ومع الجنـازة امرأة تبكيه تقـول : بك يذهبون إلى بيت لا فرش فيه ولا وِطاء، ولا ضـيافة ولا غطاء ، ولاخبز فيه ولا ماء . فقال لى ابنى : يا أبة، إلى بيتنا والله يذهبون بهذه الجنازة . فقلت له : وكيف ويلك ! قال : لأن هذه صفة بيتنا . فضحك علىّ وقال : قد أمرت لك بثلاث مئة درهم . قال : قد وفَّر الله عليك نصفها على أن أتغدى معك . قال : وكان عثمان مع تطفيله أشره الناس ، فقال : هى عليك مُوَفَّرة كلها ، وتتغدّى معنا .

١٠

٣٨ / ١٥

١٥

لذة التطفيل

وعثمان ابن دراج الذى يقول :

لذَّةَ التطفيل دُومِى * وأقيمى لا تَرِيمِى

أنتِ تشفين غليلِى * وتسلِّين همومِى

عـود إلى الرقاشي :

خضاب الرقاشي

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال : حدثنا العكلي قال :

دخل الرقاشي على بعض أمراء الصدقة، فقال له : قد أصبح خضابك قانيا. قال : لأني أمسيت له معانيا . قال : وكيف تفعله ؟ قال : أنعم الحناء عجنا ، وأجعل ماءه سخنا، وأروي شعري قبله دهنا، فإن بات قنا[1] ، وإن لم يفعل أغنى . ٥

صـوت

من لعين رأت خيالا مطيفا * واقفا هكذا علينا وقوفا

طارقا موهنا ألم لحيا * ثم ولى فهاج قلبا ضعيفا

ليت نفسي وليت أنفس قومي * يا يزيد الندى تقيك الحتوفا ١٠

عتكي مهلبي كريم * حاتمي قد نال فرعا منيفا

عروضه من الخفيف، والشعر لربيعة الرقي يمدح يزيد بن حاتم المهلبي . والغناء لعبد الرحيم الرف[2]، خفيف رمل بالوسطى، عن عمرو .

---

(١) في اللسان : قنأتها بالحناء والكتم حتى قنا لونها : أي احمر ، يقال : قنا لونها يقنو قنوا، وهو أحمر قان . وفي الأصول : « قنى » . والقنو الذي هو حمرة اللون واوي لا يائي . ١٥

(٢) كذا في ف . وفي بقية الأصول : الدفاف .

أخبار رَبيعة الرَّقِّى ونسبه

مجمل أخباره

هو ربيعة بن ثابت الأنصارىّ ، ويكنى أبا شَبَابة . وقيل إنه كان يكنى أبا ثابت ، وكان ينزل الرَّقة ، وبها مولده ومنشؤه ، فأشخصه المهدىّ إليه ، فمدحه بعدة قصائد ، وأثابه عليها ثوابا كثيرا ، وهو من المكثرين المجيدين ، وكان ضريرا ، وإنما أخمل ذكره وأسقطه عن طبقته ، بُعده عن العِراق ، وتركه خدمة الخلفاء ، ومخالطة الشعراء ، وعلى ذلك فما عدِم مفضِّلا لشعره ، مقدِّما له .

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدّثنا محمد بن داود ، عن ابن أبى خَيْثمة[1] عن دِعبل قال :

أشعر المحدثين وأسيرهم بيتا

قلت لمروان بن أبى حفصة : من أشعركم جماعة المحدَثين يا أبا السِّمط؟ . قال : أشعرنا أسْيرنا بيتا . قلت : ومن هو ؟ قال : ربيعة الرقىّ الذى يقول :

لَشتانَ ما بين اليزيدينِ فى الندى * يزيد سُلَيم والأغر ابن حاتم

وهذا البيت من قصيدة له مدح بها يزيد بن حاتم المهلبىّ ، وهجا يزيد بن أُسَيد السُّلَمى ، وبعد البيت الذى ذكره مروان :

يزيد سُلَيم سالم المالِ والفتى * أخو الأزدِ للأموال غير مُسالم

فهَمُّ الفتى الأزدىّ إتلاف مالِه * وهم الفتى القيسىّ جمع الدراهم

فلا يحسَبِ التَّمتام أنى هجوتُه * ولكننى فضلت أهل المكارم

فيابن أُسَيد لا تسام ابن حاتم * فتقرَعَ إن ساميتَه سِنَّ نادم

هوالبحر إن كلَّفت نفسك خوضه * تهالكتَ فى موج له متلاطم

(١) كذا فى ف ، مب . وفى بقية الأصول : أحمد بن أبى خيثمة .

استشهاد أبى زيد بشعره

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدّثنى محمد بن القاسم بن مهرويه، قال : حدثنى أَسِيد بن خالد الأنصارىّ ، قال :

قلت لأبى زيد النحوىّ : إن الأصمعى قال : لا يقال : شتان ما بينهما، إنما يقال : شتان ماهما، وأنشد قول الأعشى :

* شتانَ ما يومى على كُورها *

٥

فقال : كذب الأصمعىّ ، يقال : شتان ما هما ، وشتان ما بينهما ، وأنشدنى لربيعة الرقىّ ، واحتج به :

لشتانَ ما بين اليزيدينِ فى الندى * يزيد سُلَيم والأغرّ ابن حاتم

وفى استشهاد مثل أبى زيد على دفع مثل قول الأصمعىّ بشعر ربيعة الرقىّ ، كفاية له فى تفضيله .

١٠

أغزل من أبى نواس

وذكره عبد الله بن المعتز فقال : كان ربيعة أشعر غزلا من أبى نواس ، لأن فى غزل أبى نواس بَرْدا كثيرا، وغزل هذا سَلِيم سهل عذب .

نسخت من كتاب لعمى : حدّثنا ابن أبى فَنَن[1] قال :

جوارى المهدى يشتهين سماعه

اشتهى جَوارِى المهدىّ أن يسمعن ربيعة الرقىّ ، فوجه إليه المهدىّ من أخذه من مسجده بالرقّة، وحُمِل على البريد حتى قَدِم به على المهدىّ، فأُدخل عليه،

١٥

فسمع ربيعة حِسا من وراء السِّتر، فقال : إنى أسمع حسا ياأمير المؤمنين، فقال : اسكت يابن اللخناء ، واستنشده ما أراد ، فضحك وضحكن منه . قال : وكان فيه لين، وكذلك كان أبو العتاهية، ثم أجازه جائزة سنية، فقال له :

(١) كذا ف، مب . وفى بقية الأصول : ابن أبى ذئب .

يا أمير المؤمنين الله سمّاك الأمينا[1]

سرقونى من بلادى * يا أمير المؤمنينا

سرقونى فاقض فيهم * بجزاء السارقينا

قال : قد قضيت فيهم أن يردوك إلى حيث أخذوك . ثم أمر به فحمل على البريد من ساعته إلى الرقة .

يمدح يزيد بن حاتم

وفى يزيد بن حاتم يقول أيضا :

يزيد الأزد إن يزيد قومى * سمّيك لا يجود كما تجود[2]

يقود جماعة وتقود أخرى * فترزق من تقود ومن يقود[3]

فما تسعون يحفرها ثلاث * يقيم حسابها رجل شديد

وكفّ شثنة جمعت لوجء * بأنكد من عطائك يا يزيد

كان السبب فى غضب الرشيد على العباس بن محمد

أخبرنى الحسن بن علىّ قال : حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائنىّ قال : امتدح ربيعة الرقّىّ العباس بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن العباس ، بقصيدة لم يسبق إليها حسنا ، وهى طويلة يقول فيها :

صــــوت

لو قيل للعباس يابن محمد * قل : (لا) وأنت مخلّد ما قالها

ما إن أعدّ من المكارم خصلة * إلا وجدتك عمها أو خالها

---

(١) كذا فى ف ، مب . وفى بقية الأصول :

يا أمين الله إن الـ * ـله سماك الأمينا

(٢) كذا فى ف ، مب . وفى سائر الأصول : لا يزيد كما تزيد .

(٣) مب : من تزيد ومن يزيد . وفى خزانة الأدب للبغدادى (٣ : ٥٣) :

تقود كتيبة ويقود أخرى * فترزق من تقود ومن يقود

و إذا الملوك تسايروا فى بلدة * كانوا كواكبها وكنت هلالها[1]

إن المكارم لم تزل معقولة * حتى حللت براحتيك عقالها

٤٠/١٥ فى البيت الأول والبيت الأخير خفيف رملٍ بالوسطى، يقال إنه لإبراهيم . ويقال إنه لحسين بن محرز .

٥ قال : فبعث إليه بدينارين ، وكان يقدّر فيه ألفين ، فلما نظر إلى الدينارين كاد يُجَن غيظا[2] ، وقال للرسول : خذ الدينارين ، فهما لك ، على أن ترد الرقعة من حيث لا يدرى العباس ، ففعل الرسول ذلك، فأخذها ربيعة ، وأمر من كتب فى ظهرها :

مدحتك مِدحةَ السيفِ المُحَلَّى * لتجرىَ فى الكرامِ كما جريتُ

١٠ فهبها مِدحةً ذهبت ضَياعا[3] * كذبتُ عليك فيها وافتريتُ

فأنت المرءُ ليس له وفاءٌ * كأنى إذ مدحتك قد رَثَيتُ

ثم دفعها إلى الرسول، وقال له ضعها فى الموضع الذى أخذتها منه . فردها الرسول فى موضعها . فلما كان من الغد أخذها العباس، فنظر فيها، فلما قرأ الأبيات غضب، وقام من وقته، فركب إلى الرشيد، وكان أثيرا عنده، يجلّه ويقدمه، وكان قد همّ ١٥ أن يخطب إليه ابنته ، فرأى الكراهة فى وجهه ، فقال : ما شأنك؟ قال : هجانى ربيعة الرقّى . فأحضر، فقال له الرشيد : يا ماصّ كذا وكذا من أمه، أتهجو عمى، وآثر الخلق عندى، لقد هممت أن أضرب عنقك . فقال : والله يا أمير المؤمنين، لقد مدحته بقصيدة ما قال مثلها أحد من الشعراء، فى أحد من الخلفاء ، ولقد بالغت فى الثناء، وأكثرت فى الوصف، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمره بإحضارها.

٢٠ فلما سمع الرشيد ذلك منه سكن غضبه ، وأحب أن ينظر فى القصيدة ، فأمر

(١) مب : وأنت هلالها . (٢) ف، مب : غضبا . (٣) ف : ضلالا .

العباس بإحضار الرقعة ، فتلكأ عليه العباس ساعة ، فقال له الرشيد : سألتك بحق أمير المؤمنين إلا أمرت بإحضارها ، فعلم العباس أنه قد أخطأ وغلط ، فأمر بإحضارها فأُحضرت ، فأخذها الرشيد و إذا فيها القصيدة بعينها ، فاستحسنها واستجادها ، وأُعجب بها ، وقال : والله ما قال أحد من الشعراء فى أحد من الخلفاء مثلها ، لقد صدق ربيعة وبرّ . ثم قال للعباس : كم أثبته عليها ؟ فسكت العباس ، وتغير لونه ، وجَرِض بريقه ، فقال ربيعة : أثابنى عليها يا أمير المؤمنين بدينارين ، فتوهم الرشيد أنه قال ذلك من الموجِدة على العباس ، فقال : بحياتى يارقىّ ، كم أثابك ؟ قال : وحياتك يا أمير المؤمنين ما أثابنى إلا بدينارين . فغضب الرشيد غضبا شديدا ، ونظر فى وجه العباس بن محمد ، وقال : سَوْءةً لك ! أيةُ حال قعدتْ بك عن إثابته ؟ أقلة المال ؟ فوالله لقد مولتك جُهدى ؛ أم انقطاع المادة عنك ؟ فوالله ما انقطعتْ عنك ، أم أصلك ؟ فهو الأصل لايدانيه شيء ، أم نفسك ؟ فلا ذنب لى ، بل نفسُك فعلتْ ذلك بك ، حتى فضحتَ آباك وأجدادك ، وفضحتنى ونفسك . فنكس العباس رأسه ولم ينطق . فقال الرشيد : ياغلام ، أعط ربيعة ثلاثين ألف درهم وخِلْعة ، واحمله على بغلة ، فلما حُمل المال بين يديه ، وألبس الخلعة ، قال له الرشيد : بحياتى يارقىّ لا تذكره فى شيء من شعرك تعريضا ولا تصريحا ، وفتر الرشيد عما كان هم به أن يتزوج إليه ، وظهر منه له بعد ذلك جفاء كثير واطِّراح .

يعبث بالعباس بن محمد

أخبرنى علىّ بن صالح بن الهيثم قال : حدثنى أحمد بن أبى فَنَن الشاعر ، قال : حدثنى من لا أحصى من الجلساء :

أن ربيعة الرقىّ كان لا يزال يعبَث بالعباس بن محمد بحضرة الرشيد ، العبث الذى يبلغ منه ، منذ جرى بينهما فى مديحه إياه ما جَرَى ، من حيث لايتعلق عليه

فيه بشيء، فجاء العباس يوما إلى الرشيد ببَرْنيّة فيها غالية، فوضعها بين يديه، ثم قال : هذه يا أمير المؤمنين غالية، صنعتها لك بيدى، اختير عنبرها من شِحْر عمان، ومسكها من مَفاوز التُّبّت ، وبانها من قعر تهامة ؛ فالفضائل كلها مجموعة فيها، والنعت يقصر عنها .

فاعترضه ربيعة ، فقال : ما رأيت أعجب منك، ومن صفتك لهذه الغالية، عند من إليه كل موصوف يُجْلَب ، وفى سوقه يَنْفُق ، وبه إليه يُتَقَرَّب ، وما قَدْر غاليتك هذه، أعزك الله، حتى تبلغ فى وصفها مابلغت، أأجريت بها إليه نهرا، أم حملت إليه منها وِقرا! إن تعظيمك هذا عند من تُجبَى إليه خزائن الأرض وأموالها من كل بلدة، وتذل لهيبته جبابرة الملوك المطيعة والمخالفة ، وتُتحفه بطُرَف بُلدانها، وبدائع ممالكها، حتى كأنك قد فقت به على كل ما عنده، أو أبدعت له ما لا يعرفه، أو خَصصته بما لم يحوه ملكه، لا تخلو فيه من ضعف أو قصر همة. أَنشُدُك الله يا أمير المؤمنين ؛ إلا جعلت حظى من كل جائزة وفائدة توصلها إلىّ مدة سنتى هذه الغالية، حتى أتلقاها بحقها . فقال : ادفعوها إليه، فدُفعت إليه . فأدخل يده فيها، وأخرج مِلئها، وحل سراويله ، وأدخل يده فطلى بها استه، وأخذ حَفْنة أخرى، وطلى بها ذكره وأُنثَيَيه، وأخرج حَفْنتين، فجعلهما تحت إبطيه، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، مُر غلامى أن يدخل إلىّ، فقال : أدخلوه إليه، وهو يضحك، فأدخلوه إليه فدفع إليه البَرْنية غير مختومة، وقال : اذهب إلى جاريتى فلانة بهذه البرنية، وقل لها : طيبى بها حِرَك واستك وإبطيك ، حتى أجىء الساعة وأنيكك ، فأخذها الغلام ومضى وضحك الرشيد حتى غُشِى عليه، وكاد العباس يموت غيظا، ثم قام فانصرف، وأمر الرشيد لربيعة بثلاثين ألف درهم[1] .

(١) كذا فى ف ، مب . وفى سائر الأصول : وأمر الرشيد العباس أن يبعث لربيعة بثلاثين ألف درهم .

شعره يطرز على بساط

وذكر على بن الحسين بن عبد الأعلى، أنه رأى قصيدة لربيعة الرقّىّ مكتوبة فى دَوْرِ بِساطٍ من بُسُط السلطان قديم، وكان مبسوطا فى دار العامة بسرّ من رأى، فصحّحها منه، وهى قوله :

صـــوت

وتزعم أنى قــد تبدّلتُ خُــلّةً * سِــواها وهــذا الباطل المتقوَّلُ

لحا الله من باع الصديقَ بغــيره[1] * فقالت نعم حاشاك إن كنت تفعلُ

ستَصرِم إنسانا إذا ما صَرَمتنى[2] * يحبكَ فانظر بعدَه من تَبَدَّل

فى هذه الثلاثة الأبيات لحن من الثقيل الأول، ينسب إلى إبراهيم الموصلى، وإلى إبراهيم بن المهدىّ، وفيه لعريب رَمَل من رواية ابن المعتز .

سبب هجائه ليزيد ابن أسيد

وكان سبب إغراق ربيعة فى هجاء يزيد بن اسَيد، أنه زاره[3] يستميحه، لقضاء دين كان عليه[3]، فلم يجد عنده ما أحب ، وبلغ ذلك يزيد بن حاتم المهلبىّ، فطفّل[4] على قضاء دينه وبره، فاستفرغ ربيعة جُهده فى مدحه، وله فيه عِدة قصائد مختارة، يطول ذكرها، وقد كان أبو الشمَقْمَق عارضه فى قوله :

لشتان ما بين اليزيدين فى الندى * يزيد سُــليم والأغرّ ابن حاتم

فى قصيدة مدح بها يزيدَ بنَ مَزْيد، وسلَخ بيت الرقىّ، بل نقله وقال :

لشتان ما بين اليزيدين فى النـدى * إذا عُد فى النـاس المكارمُ والمجـدُ

يزيد بنى شيبانَ أكرم منهـما * وإن غضبت قيسُ بنُ عَيلانَ والأزْدُ

(١) ف : الحبيب . (٢) ف : صرمته .

(٣-٣) كذا فى ف . وفى سائر الأصول : دينا كان عليه ، فاستمنحه .

(٤) طفل : ترفق وتلطف .

فتى لم تلِده من رُعَين قبيلةٌ * ولا لَخْمُ تَميه ولم تَنْمِه نَهْدُ

ولكن نمته الغُرُّ من آل وائل * وبَرَّةُ تَنميه ومن بعدها هند

ولم يسِرْ فى هذا المعنى شىء كما سار بيت ربيعة .

أخبرنى أحمد بن عُبيد الله بن عمار قال: حدثنا محمد بن داودَ بن الجراح قال: حدثنا محمد بن أبى الأزهر قال :

عَرَض نخاس على أحمد بن يزيد بن أُسَيد الذى هجاه ربيعة جَوارىَ ، فاختار جاريتين منهن ، ثم قال للنخاس : أيتهما أحب إليك؟ قال : بينهما أعز الله الأمير كما قال الشاعر :

لشتان ما بين اليزيدين فى الندى * يزيدِ سُليم والأغرّ ابن حاتم

فأمر بجر رجله وجواريه .

أخبرنى حبيب بن نصر المهلبىّ قال : حدثنا عبد الله بن شبيب قال :

لما حج الرشيد لقيه قبل دخوله مكة رجلان من قريش ، فانتسب له أحدهما ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، نهكتنا النوائب ، وأجحفت بأموالنا المصائب ، ولنا بك رحم أنت أولَى من وصلها ، وأمل أنت أحق من صدقه ، فما بعدك مطلب ، ولا عنك مذهب ، ولا فوقك مسئول ، ولا مثلك مأمول . وتكلم الآخر ، فلم يأت بشىء فوصلهما ، وفضل الأول تفضيلا كثيرا ، ثم أقبل على الفضل بن الربيع فقال : يا فضل :

لشتانَ ما بين اليزيدين فى الندى * يزيدِ سُلَيم والأغرّ ابن حاتم

تفصيل سبب هجائه ليزيد بن أسيد

قال أحمد بن أبى طاهر: حدثنى أبو دِعامة علىّ بن زيد بن عطاء المَلْط قال :

لمـا هجا ربيعة يزيدَ بن أُسَيد السُّلَمىّ ، وكان جليـلا عند المنصور والمهدىّ ، وفضّل عليه يزيد بن حاتم ، قلت لربيعة : يا أبا شَـبَابة ، ما حملك على أن هجوت رجلا من قومك ، وفضلت عليه رجلا من الأزد ؟ فقال : أخبرك .

أملقتُ فلم يبق لى شىء إلا دارِى ، فرهنتها على خمس مِئة درهم ، ورحلت إليه إلى إرمينية ، فأعلمته ذلك ومدحته ، وأقمت عنده حولا ، فوهب لى خمس مِئة درهم ، فتحملت وصرت بها إلى منزلى ، فلم يبق معى كبير شىء ، فنزلت فى دارٍ بكراء ، فقلت : لو أتيت يزيد بن حاتم ، ثم قلت : هذا ابن عمى فعل بى هذا الفعل ، فكيف غيره ؟ ثم حملت نفسى على أن أتيتـه ، فأُعلم بمكانى ، فتركنى شهرا حتى ضجِرت ، فأكريت نفسى من الجمالين ، وكتبت بيتا فى رقعة وطرحتها فى دهليزه ، والبيت :

أرانى ولا كفران لله راجعا * بخُفَّىْ حنينٍ من يزيدَ بن حاتم (1)

فوقعت الرقعة فى يد حاجبه ، فأوصلها إليه من غير علمى ولا أمرى ، فبعث خَلْفى ، فلما دخلت عليه قال : هيه ، أنشدنى ما قلت . فتمنعت ، فقال : والله لَتُنْشدَنّى ، فأنشدته فقال : والله لا ترجع كذلك ، ثم قال : انزعوا خفيـه ، فنُزِعا فحشاهما دنانير ، وأمر لى بغلمان وجوار وكُسا ، أفلا ترى لى أن أَمدَح هـذا وأهجو ذاك ! قلت : بلى والله . ثم قال : وسار شعرى حتى بلغ المهدىّ فكان سبب دخولى إليه .

أخبرنى الحسن بن علىّ الأدَمىّ قال : حدّثنى محمـد بن الحسن بن عبـاد بن الشهيد القرقيسيانىّ قال : حدثنى عمى عبد الله بن عباد :

٤٣ / ١٥ هـواه

أن ربيعة بن ثابت الرقىّ الأسدِىّ كان يلقب الغـاوى ، وكان يهوى جارية يقال لها عَثْمة ، أمة لرجل من أهل قرقيسياء ، يقال له ابن مَرّار ، وكان بنو هاشم

(1) مب : من نوال يزيد .

فى سلطانهم قد ولّوه مصر، فأصاب بها مالا عظيما، وبلغه خبر ربيعة مع جاريته، فأحضره، وعرض عليه أن يهبها له، فقال : لا تهبها لى، فإن كل مبذول مملول، وأكره أن يذهب حبُّها من قلبي؛ ولكن دعنى أواصلها هكذا، فهو أحب إلىّ .

قال : وقال فيها :

٥ اعتاد قلبَك من حبيبك عِيدُهُ * شوقٌ عَراك فأنت عنه تذُودُهُ

والشوق قد غلب الفؤاد فقاده * والشوق يغلب ذا الهوى فيقودُه

فى دار مَرَّار غزالُ كَنِيسة * عَطِرٌ عليه خُزوزه و بُروده

رِيمٌ أغر كأنه من حسنه * صنم يُحَجّ ببِيعة معبوده

عيناه عينا جؤذَر بصريمة * وله من الظبى المربَّب جيده

١٠ ما ضرَّ عَثْمة أن تُلِم بعاشق * دنِف الفؤاد متيم فتعودُه

وتَلُده[(1)] من رِيقها فلربما * نفع السقيم من السَّقام لَدودُه

وهى طويلة مدح فيها بعض ولد يزيد بن المهلب .

أخبرنى يحيى بن علىّ قال : حدثنى أبى عن إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ، عن أبى بشر الفزارىّ قال :

يمدح معن بن زائدة و يهجوه

١٥ لقِىَ ربيعة الرقىّ معن بن زائدة فى قَدْمة قدمها إلى العراق، فامتدحه بقصيدة، وأنشده إياها راوِيتُه، فلم يهَش له معن، ولا رضى ربيعة لقاءه إياه، وأثابه ثوابا نَزْرا، فرده ربيعة، وهجاه هجاء كثيرا، فما هجاه به قوله :

معنُ يا معنُ يابنَ زائدةِ الكلْ * ب التى فى الذراع لا فى البنانِ

لا تفاخر إذا فخرت بآبا * ئك وافخر بعمك الحَوْفزانِ

---

٢٠ (١) تلده : تسقيه اللدود، وهو دواء .

فهشام من وائل فى مكانٍ * أنت ترضى بدون ذاك المكانِ
ومتى كنت يابن ظَبية ترجـو * أن تُثَنَّى(١) على ابنـة الغَضبان
وهى حَـوْراء كالمَهاة هِجـانٌ * لهجانٍ وأنت غير هِجـان
وبنات السُّليل عنـد بنى ظبـ * ـية، أفٍّ لـكم بنى شـيبانِ
قيل : معن لنـا فلما اختبرنا * كان مرعًى وليس كالسَّعْدانِ ٥

قال أبو بشر : ظَبية التى عيره بها أَمَة كانت لبنى نهار بن أبى ربيـعة بن ذهل بن شيبان ، لقيها عبد الله بن زائدة بن مَطَر بن شريك ، وكانت راعية لأهلها ، وهى فى غنمها ، فسرقها ووقع عليها ، فولدت له زائدة بن عبد الله أبا معن بن زائدة ، ودِجاجة بنت عبد الله . قال : وبنت السليل التى عناها : امرأة من ولد الحَوْفزان .

أخبرنى يحيى عن أبيه عن إسحاق عن أبى بشر الفزارىّ ، قال : ١٠

هـواه

كان ربيعة الرقىّ يهوى جارية لرجل من أهل الكوفة ، يقال لهـا عثمة ، وكان أهلها ينزلون فى جوارِ جُعفىّ ، فقال فيها فى أبيات له :

جُعْفىّ جيرانُهـا فقد عَطِرت * جعفىّ من نشرها وريّاها

فقال له رجل من جُعفىّ : وأنا جار لهـا بيتَ بيتَ ، والله ما شمِمت من دارهم ريحا طيبـة قطُّ . فتنشم ربيعة رائحته وقال : وما ذنبى إذا كنتَ أخْشَم(٢) ، والله إنى لأجد ريحها وريح طيبها منك ، وأنت لا تجده من نفسك . ١٥

٤٤ / ١٥

أخبرنى يحيى عن أبيه عن إسحاق عن أبى بشر قال :

رقيـة شعرية

كنت حاضرا ربيعـة الرقىّ يوما وجاءته امرأة من منزل هـذه الجارية ، فقـالت : تقول لك فلانة : إن بنت مولاى محمـومة ، فإن كنت تعرف عُوذة تكتبها لهـا فافعل . فقال : أُكتب لهـا يا أبا بشر هذه العُوذَة : ٢٠

(١) كذا فى ف ، مب . وفى الأصول : تبنى . (٢) الأخشم : الذى لا يجد ريح ما يشم فى أنفه .

تفُــو تفُــو باسم إلهى الذى * لا يمرِض السقم لمن قد شَفَى
أعِيــذ مولاتِى ومولاتَهـا * وابنتهـا بعُــوذة المصــطفَى
من شرّ ما يعــرِض من عِلة * فى الصبح والليل إذا أسْــدفا

قال : فقلت له : يا أبا ثابت، لست أحسِن أن أكتب : تفُــو تفُــو، فكيف أكتبها ؟ قال : انضح المــداد من رأس القلم فى موضعين، حتى يكون كالنفث، وادفع العُوذة إليها، فإنها نافعة . ففعلت ودفعتها إليها، فلم تلبث أن جاءتنا الجارية وهى لا تَمالك ضحكا . فقالت له : يا مجنون، ما فعلت بنـا ؟ كدنا والله نفتضِح بمـا صنعت . قال : فما أصنع بك ؟ أشاعر أنا أم صاحب تعاويذ ؟

*
* *

صــــوت

ألا مَنْ بيّن الأخَــوَيْـ * ـنِ أُمُّهما هى الثــكلَى
تسائل من رأى ابنيها * وتستشفِى فمـا تُشْـفَى[1]
فلما استيأست رجعت * بعــبرة واله حَــرّى
تتابِعُ بين وَلولة * وبين مدامعٍ تَتْرَى

عروضه من الهزج[2]، الشعر لجويرية بنت خالدبن قارِظ الكِنانية، وتكنى أم حكيم، زوجة عُبيد الله بن العباس بن عبد المطلب، فى ابنيها اللذين قتلهما بُسْر بن أرطاة، أحد بنى عامر بن لؤىّ باليمن .

والغِناء لابن سُرَيج، ولحنــه من القدر الأوسط، من الثقيل الأول، بالخنصر فى مجرى البنصر . وفيه لحُنينٍ الحِيرىّ، ثانى ثقيل عن الهشامىّ . وفيه لأبى سعيد مولى فائد، خفيف ثقيل الأول، مطلق فى مجرى الوسطى .

(١) كذا فى ف، مب . وفى بقية الأصول : « وتستسق فا تسق » . (٢) هذه العبارة سقطت من ف، مب، وهى فى سائر الأصول . والأبيات ليست من الهزج، لكن من مجزوء الوافر .

ذكر الخبر فى مقتل ابنى عُبيد الله بن العباس ابن عبد المطلب

أخبرنى بالسبب فى ذلك محمد بن أحمد بن الطَّلَّاس[(١)] قال : حدثنا أحمد بن الحارث الخراز قال : حدثنا علىّ بن محمد المدائنىّ، عن أبى مِخْنف ، عن جويرية ابن أسماء ، والصَّقْعَب بن زهير ، وأبى بكر الهذلىّ ، عن أبى عمرو الوقاصىّ :

حملة بسر بن أرطاة فى الحجاز واليمن

أن معاوية بن أبى سفيان بعث بُسْر بن أرْطاة، أحد بنى عامر بن لؤىّ، بعد تحكيم الحكمين، وعلىّ بن أبى طالب رضى الله عنه يومئذ حىّ، و بعث معه جيشا، ووجّه برجل من غامد[(٢)] ضم إليه جيشا آخر . و وجّه الضحاك بن قيس الفهرىّ فى جيش آخر، وأمرهم أن يسيروا فى البلاد ، فيقتلوا كل من وجدوه من شيعة علىّ بن أبى طالب عليه السلام وأصحابه ، وأن يُغيروا على سائر أعماله ، ويقتلوا أصحابه ، ولا يكفُّوا أيديَهم عن النساء والصبيان . فمضى بُسْر لذلك على وجهه، حتى انتهى إلى المدينة، فقتل بها ناسا من أصحاب علىّ عليه السلام، وأهل هواه، وهدم بها دُورا من دور القوم . ومضى إلى مكة، فقتل نفرا من آل أبى لَهَب، ثم أتى السَّراة، فقتل من بها من أصحابه . وأتى نَجران، فقتل عبد الله بن عبد المدان الحارثىّ وابنه، وكانا من أصهار بنى العباس، ثم أتى اليمن وعليها عُبيد الله بن العباس، عاملا لعلىّ بن أبى طالب، وكان غائبا، وقيل بل هرب لما بلغه خبر بُسْر، فلم يصادفه بُسْر، ووجد ابنين له صبيين، فأخذهما بُسْرٌ لعنه الله، وذبحهما بيده، بمُدْية كانت معه، ثم انكفأ راجعا إلى معاوية، وفعل مثل ذلك سائرُ من بعث به . فقصد الغامدىُّ إلى الأنبار، فقتل ابنَ حسان البكرى ، وقتل رجالا ونساء من الشيعة .

٤٥ / ١٥

(١) ف : أحمد الطلاس .

(٢) كذا فى الأصول : عامر وفى شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد (١ : ١٤٤) أن معاوية وجه رجلا من غامد يقال له : سفيان بن عوف بن المغفل الغامدىّ، فعلى هذا تكون كلمة «عامر» تصحيفا .

فحدثنى العباس بن علىّ بن العباس النسائى قال : حدثنا محمد بن حسان الأزرق، قال : حدثنا شبابة بن سوّار قال : حدثنا قيس بن الربيع ، عن عمرو ابن قيس، عن أبى صادق، قال :

خطبة لعلى بن أبى طالب يعير فيها أتباعه بالهزيمة

أغارت خيل لمعاوية على الأنبار، فقتلوا عاملا لعلىّ عليه السلام، يقال له حسان ابن حسان[1]، وقتلوا رجالا كثيرا ونساء، فبلغ ذلك علىّ بن أبى طالب صلوات الله عليه، فخرج حتى أتى المنبر، فرقيه، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال :

إن الجهاد باب من أبواب الجنة ، فمن تركه ألبسه الله ثوب الذلة وشمله البلاء، وديّث[2] بالصّغار ، وسيم الخسف . وقد قلت لكم اغزوهم قبل أن يغزوكم، فإنه لم يُغْزَ قوم قطُّ فى عُقر دارهم[3] إلا ذلُّوا، فتواكلتم وتخاذلتم، وتركتم قولى وراءكم ظهريا، حتى شُنَّت عليكم الغارات . هذا أخو غامد قد جاء الأنبار، فقتل عاملى عليها حسان بن حسان، وقتل رجالا كثيرا ونساء . والله لقد بلغنى أنه كان يأتى المرأة المسلمة والأخرى المعاهَدة، فينتزع حِجْلها ورِعاثها[4]، ثم ينصرفون موفورين، لم يُكلَم أحدٌ منهم كلما ، فلو أن امرأ مسلما مات من دون هذا أسفا، لم يكن عليه ملوما ، بل كان به جديرا . يا عجبا ، عجبا يميت القلب ، ويُشعل الأحزان، من اجتماع هؤلاء القوم على ضلالتهم وباطلهم، وفشلكم عن حقكم، حتى صرتم غرضا، تُرمَون ولا ترمُون، وتُغزَون ولا تَغزون، ويُعصَى الله وترضَون . إذا قلت لكم اغزوهم فى الحر ، قلتم هذه حمارّة القيظ فأمهلنا ، وإذا قلت لكم اغزوهم فى البرد ، قلتم هذا أوان قُرّ وصِرّ فأمهلنا . فإذا كنتم من[5] الحر والبرد تفرّون، فأنتم والله من السيف

(١) كذا ورد هذا الاسم فى جميع الأصول وفى الكامل للبرد (١ : ١٠٤ رغبة الآمل للرصفى) وسماه ابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغة فى رواية : أشرس ابن حسان البكرى . (٢) ديث : ذلل .
(٣) عقر دارهم : أصلها . (٤) الحجل : الخلخال . والرعاث : جمع رعثة ، وهى الشنف .
(٥) فى الأصول : بين . وفى ف : فى ، وأثبتنا : من ، عن مب ، والكامل للبرد ، وشرح نهج البلاغة .

أشد فرارا . يا أشباه الرجال ولا رجال ، ويا طَغام الأحلام[1]، وعقولَ ربات الحِجال[2]، وددت والله أنى لم أعرفكم ، بل وددت أنى لم أركم ، معرفة والله جَرَّعت بلاء وندماً ، وملأتم جوفى غيظا بالعصيان والخذلان ، حتى لقد قالت قريش : إن ابن أبى طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب . ويحهم ! هل فيهم أشد مراسا لها منى ؟ والله لقد دخلت فيها وأنا ابن عشرين ، وأنا الآن قد نيَّفتُ على الستين ، ولكن لا رأى لمن لا يطاع .

فقام إليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا كما قال الله تعالى : « لا أَمْلِكُ إلا نَفْسِي وأَخِي » فمُرْنا بأمرك ، فوالله لنطيعنك ولو حال بيننا وبينك جَمْرُ الغَضَى[3]، وشوك القتاد . قال : وأين تبلغان مما أريد؛ هذا أو نحوه ، ثم نزل .

حدثنا محمد بن العباس اليزيدىّ قال : حدثنى عمى عبيد الله بن محمد قال : حدثنى جعفر بن بشير قال : حدثنى صالح بن يزيد الخراسانى ، عن أبى مِخنف ، عن سليمان بن أبى راشد ، عن ابن أبى الكنود عبد الرحمن بن عبيد قال :

كتب عَقيل بن أبى طالب إلى أخيه علىّ بن أبى طالب عليه السلام :

رسائل بين على وأخيه عقيل

« أما بعد ، فإن الله عز وجل جارك من كل سوء ، وعاصمك من المكروه . إنى خرجت معتمرا ، فلقيت عبد الله بن أبى سَرْح فى نحو من أربعين شابا من أبناء الطُّلَقاء ، فقلت لهم ، وعرفت المنكر فى وجوههم : يا أبناء الطُّلَقاء ، العداوة والله لنا منكم غير مستنكرة قديما ، تريدون بها إطفاء نور الله ، وتغيير أمره ، فأسمعنى

---

(١) الطغام : من لا [illegible] .

(٢) الحجال : جمع حجلة ، وهى بيت العروس يزين بالثياب والستور .

(٣) الغضى : نبات من أجود وقود العرب .

القوم وأسمعتهم . ثم قدمت مكة وأهلها يتحدثون أن الضحاك بن قيس أغار على الحيرة، فاحتمل من أموال أهلها ما شاء، ثم انكفأ راجعا، فأفٍّ لحياة في دهر جرأ عليك الضحاك . وما الضحاك ؟ وهل هو إلا فَقْع بقَرْقَرة(١)،وقد ظننتُ و بلغني أن أنصارك قد خذلوك، فاكتب إليّ يابن أمّ برأيك ، فإن كنت الموت تريد، تحملت إليك ببني أبيك وولد أخيك، فعشنا ما عشت، ومتنا معك، فوالله ما أحب أن أبقى بعدك فَواقا(٢)،وأقسم بالله الأعز الأجل،أن عيشا أعيشه في هذه الدنيا بعدك، لعيش غير هنيء ولا مريء ولا نجيع(٣) . والسلام » .

فأجابه عليّ بن أبي طالب ، عليه السلام : بسم الله الرحمن الرحيم :

« أما بعد، كلأنا الله وإياك كلاءة من يخشاه بالغيب، إنه حميد مجيد، فقد قدم عليّ عبد الرحمن بن عُبيد الأزديّ بكتابك، تذكر فيه أنك لقيت ابن أبي سَرْح مقبلا من قُدَيد، في نحو من أربعين شابا من أبناء الطلقاء، و إن بَني أبي سرح طال ما كاد الله ورسوله وكتابه ، وصدّ عن سبيله ، و بغاها عِوجا، فدع بني أبي سرح عنك، ودع قريشا وتَرْكاضهم في الضلالة، وتَجْوالهم في الشقاق ، فإن قريشا قد أجمعت على حرب أخيك، إجماعها على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل اليوم ، فأصبحوا قد جهلوا حقه ، وجَحَدوا فضله ، و بادوه(٤) بالعداوة، ونصبوا له الحرب ، وجهدوا عليه كل الجهد ، وساقوا إليه جيش الأمرّين . اللهم فاجز عني قريشا الجوازي، فقد قطعت رحمي ، وتظاهرت عليّ، والحمد لله على كل حال .

(١) الفقع : البيضاء الرخوة من الكمأة، وهي أردؤها . القرقرة : أرض مطمئنة لينة . و يقال للذليل : هو أذل من فقع بقرقرة ، لأنه لا يمتنع على من اجتناه ، أو لأنه يوطأ بالأرجل .

(٢) فواقا ، بفتح الفاء : ما بين الحلبتين من الوقت ، يريد وقتا قصيرا .

(٣) نجيع : هنيء . (٤) باداه بالعداوة : كاشفه بها .

وأما ما ذكرت من غارة الضحاك بن قيس على الحيرة ، فهو أقل وأذل من أن يقرب الحيرة ، ولكنه جاء فى خيل جريدة، فلزم الظهر ، وأخذ على السماوة، فمر بواقصة وشَرَاف وما والى ذلك الصقع، فسرحت إليه جيشا كثيفا من المسلمين، فلما بلغه ذلك جاز هاربا ، فاتبعوه فلحقوه ببعض الطريق وقد أمعن فى السير، وقد طَفَلت[1] الشمس للإياب، فاقتتلوا شيئا كَلَا ولا[2] ، فولّى ولم يصبر، وقُتل من أصحابه بضعة عَشَر رجلا، ونجا جَرِيضا[3] بعد ما أُخذ منه بالمُخَنَّق، فَلَأْيا بلَأْىٍ[4] مانجا.

وأما ماسألت عنه أن أكتب إليك فيه برأيى، فإن رأيى قتالُ المُحِلِّين[5] حتى ألقَى الله، لا يزيدنى كثرةُ الناس حولى عِزّة، ولا تفرُّقهم عنى وحشة، لأنى مُحِق، والله مع الحق وأهله ، وما أكره الموت على الحق ، وما الخير كله إلا بعد الموت لمن كان مُحِقا .

وأما ماعرضته علىّ من مسيرك إلىّ ببنيك وبنى أبيك[6]، فلا حاجة لى فى ذلك، فأقم راشدا مهديا، فوالله ما أحب أن تَهلِكوا معى إن هلكت، ولا تحسبَنّ ابن أبيك لو أسلمه الزمان والناس متضرِّعا متخشِّعا، لكنى أقول كما قال أخو بنى سُلَيم :

فإن[7] تسألينى كيف أنتَ فإننى * صبور على ريب الزمان صَلِيب
يعِزُّ علىّ أن تُرَى بى كآبة * فيشمتَ عادٍ[8] أو يُساءَ حبيب

والسلام » .

(١) طفلت الشمس للغروب : دنت . (٢) كلا ولا : أى مدة قليلة .
(٣) جريضا : مشرفا على الهلاك ، من جرض بريقه : إذا ابتلعه على هم وحزن بالجهد .
(٤) اللأى : المشقة والشدة والجهد . ولأيا بلأى ما نجا : أى نجا بعد مشقة وجهد .
(٥) المحلون : الخارجون من الميثاق والبيعة ، يعنى البغاة ومخالفى الإمام . ويقال لكل من خرج من إسلام ، أو حارب فى الحرم ، أو فى الأشهر الحرم : محل .
(٦) كذا فى شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد (١ : ١٥٥) وفى الأصول : بنى أبيك وولد أخيك .
(٧) ف : ولا . (٨) عاد : كذا فى ف ، مب وشرح نهج البلاغة . وفى الأصول : باغ .

٤٧
١٥

شعر أم حكيم فى طفليها

رجع الخبر إلى سياقة مَقْتل الصبيين

ثم إن بُسْر بن أرطاة كر راجعا ، وانتهى خبره إلى علىّ عليه السلام ، أنه قتل عبد الرحمن وقُثَمَ ابنى عُبيد الله بن العباس ، فسرَّح حارثة بن قُدامة السعدىّ فى طلبه ، وأمره أن يُغِذّ السير ، فخرج مسرعا ، فلما وصل إلى المدينة ، وانتهى ٥ إليه قتل علىّ بن أبى طالب عليه السلام ، وبيعة الحسن رضى الله تعالى عنه ، ركب فى السلاح ، ودعا أهل المدينة إلى البيعة للحسن ، فامتنعوا ، فقال : والله لتبايعُنّ ولو بأستاهكم . فلما رأى أهلُ المدينة الجِدّ منه بايعوا للحسن ، وكر راجعا إلى الكوفة ، فأصاب أمَّ حكيم بنت قارظ ولَهَى على ابنيها ، فكانت لا تعقِل ولا تُصْغِى إلى قول من أعلمها أنهما قد قُتلا ، ولا تزال تطوف فى المواسم ، تنشُد ١٠ الناس ابنيها بهذه الأبيات :

صــــوت

يا من أحس بُنَيَّىَ اللذين هما * كالدُّرَّتين تَشَظَّى عنهما الصدفُ
يا من أحس بنَيَّىَ اللذين هما * سمعى وقلبى ، فقلبى اليوم مختَطَف
يا من أحس بُنَيَّىَ اللذين هما * مُخُّ العظام فمخى اليوم مُزْدَهَفُ
١٥ نُبئت بُسْرا وما صدّقت ما زعموا * من قولهم ومن الإفك الذى اقترفوا
أنحى على ودَجَىْ إبنىَّ مُرْهَفَةً * مشحوذة وكذاك الإثم يقترف
حتى لقيت رجالا من أرومته * شم الأنوف لهم فى قومهم شرف
فالآن ألعن بُسْرا حقَّ لعنته * هذا لعمر أبى بُسْرٍ هو السَّرَف
من دَلَّ والهةً حَرَّى مُدَلَّهة * على صبيين ضلا إذ هوى السلف

٢٠ الغناء لأبى سعيد مولى فائد ، ثقيل أول بالوسطى عن عمرو ، وفيه خفيف ثقيل ، يقال إنه له أيضا . وفيه لعَرِيب رمَل نشيد .

دعوة على بن أبى طالب على بسر

قالوا : ولمـا بلغ علىّ بن أبى طالب عليه السلام قتل بُسْر الصبيين ، جزع لذلك جزعا شديدا ، ودعا على بُسْر لعنه الله ، فقال : اللهم اسلُبه دينه ، ولا تخرجه من الدنيا حتى تسلُبه عقله ! فأصابه ذلك ، وفقدَ عَقْله ، فكان يهذى بالسيف ويطلبه ، فيؤتى بسيف من خشب ، ويُجْعَـل بين يديه زِقّ منفوخ ، فلا يزال يضربه حتى يسأم[1]، ثم مات لعنه الله .

عبيد الله بن العباس وبسر

ولمـا كانت الجماعة واستقر الأمر على معاوية ، دخل عليه عُبيد الله بن العباس وعنـده بسر بن أرطاة ، فقال له عبيـد الله : أ أنت قاتل الصبيين أيها الشـيخ ؟ قال بسر : نعم أنا قاتلهما . فقال عبيـد الله : أما والله لوددت أن الأرض كانت أنبتَتْنى عندك . فقال بسر : فقد أنبتتك الآن عندى . فقال عبيد الله : ألا سيف ! فقال له بسر : هاك سيفى . فلما أهوى عبيد الله إلى السيف ليتناوله ، أخذه معاوية ، ثم قال لبسر : أخزاك الله شـيخا قد كبرت وذهب عقلك ، تعمِـد إلى رجل من بنى هاشم قد وَتَرْته وقتلت ابنيه ، تدفع إليه سيفك ، إنك لغافل عن قلوب بنى هاشم ، والله لو تمكن منه لبدأ بى قبلك . فقال عبيد الله : أجل ، والله ، ثم إذن لثنّيتُ به[2] .

أخبرنى أحمـد بن عبيد الله بن عمار قال : أخبرنى محمـد بن مسروق قال : قال الأصمعىّ :

٤٨ / ١٥

يمنى يتفجع من آخر بسر

سمع رجل من أهل اليمن وقد قدم مكة امرأة عُبيد الله بن العباس بن عبد المطلب تندب ابنيها اللذين قتلهما بسر بن أرطاة بقولها :

يا من أحس بُنَيَّىَّ اللـــذين هما * كالدرتين تشظّى عنهما الصَّدَف

(١) ف : يضربه ما يشاء . مب : يضربه ماشاء حتى مات .

(٢) كذا فى ف ، مب . وفى الأصول : وكنت آتى به .

فرّق لهما ، فاتصل بُبسر حتى وثق به ، ثم احتال لقتل ابنيه ، فخرج بهما إلى وادى أوطاس ، فقتلهما وهرب ، وقال :

يا بسرُ بسرَ بنى أرطاةَ ما طلعت * شمس النهار ولا غابت على ناس

خيرٍ من الهاشمِيّين الذين هُمُ[1] * عينُ الهدى وسِمام الأشوس القاسى

ما ذا أردت إلى طفلى مُدَلَّهة * تبكى وتندب من أثكلت فى الناس

إما قتلتهما ظلما فقد شرِقت * فى صاحبيك قناتى يوم أوطاس

فاشرب بكأسهما ثُكلا كما شربت * أم الصبيّين أو ذاق ابن عباس[2]

٭ ٭ ٭

صــــوت

صوت لأم حكيم بنت يحيى

ألا فاسقيانى من شرابكما الوَرْدى * وإن كنت قد أنفدتُ فاسترهِنا بُردى[3]

سِوارى ودُملوجى وما ملكت يدى * مباحٌ لكم نَهْبٌ فلا تقطعوا وِردى

عروضه من الطويل . والشعر لأم حكيم بنت يحيى بن الحكم بن أبى العاصى بن أميـة بن عبد شمس . والغناء لإبراهيم الموصلى ، رمل بالوسطى ، من رواية عمرو ابن بانة .

(١) الأشوس : الشديد الجرىء فى القتال .

(٢) ف : فى دار ابن عباس .

(٣) هنا تنتهى مصوّرة مب .

ذكر أم حكيم وأخبارها[1]

قد مضى ذكر نسبها .

أمها وجمالها

وأمّها زينب بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وكانت هى وأمها من أجمل نساء قريش، فكانت قريش تقول لأم حكيم : الواصلة بنت الواصلة ، وقيل : الموصلة بنت المُوصِلة ، لأنهما وصلتا الجمال بالكمال .

جدتها

وأم زينب بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام : سُعْدَى بنت عوف بن خارجة بن سِنان بن أبى خارجة بن عوف بن أبى حارثة بن لأُم الطائىّ . وكانت سُعدَى بنت عوف عند عبد الله بن الوليد بن المغيرة ، فولدت له سَلمة ورَيطة . ثم تُوُفّى عنها ، نخلف عليها طلحة بن عُبيد الله ، فولدت له يحيى وعيسى ، ثم قتل عنها ، نخطبها عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فتكلم بنوها ، وكرهوا أن تتزوج وقد صاروا رجالا ، فقالت : إنه قد بقى فى رحم أمكم فضلة شريفة ، لابد من خروجها ، فتزوجها . فولدت له المغيرة بن عبد الرحمن الفقيه ، وزينب ، وهى أمّ أم حكيم .

وكان المغيرة أحد أجواد[2] قريش والمطعمين منهم ، وقد قدِم الكوفة على عبد الملك ابن بشر بن مروان ، وكان صديقه ، وبها جماعة يطعمون الناس من قريش وغيرهم ، فلما قدم تغيبوا ، فلم يظهر أحد منهم حتى خرج ، وبث المغيرة الجفان فى السكك والقبائل يطعم الناس ، فقال فيه شاعر من أهل الكوفة :

أتاك البحرُ طَمّ على قُريش * مُغيرِىّ فقد راغ ابنُ بِشر

قال مصعب الزبيرىّ : هو — يعنى المغيرة — مطعم الجيش بمنى ، وهو إلى الآن يطعَم عنه . قال : وكانت أخته زينب أحسن الناس وجها وقدّا ، وكأن أعلاها

(١) من هنا يبدأ الجزء الخامس عشر من المخطوطة رقم ١٣١٩ أدب . (٢) ف : جوداء .

٤٩/١٥

قضيب، وأسفلها كثيب، فكانت تسمى الموصلة . وسميت بنتها أم حكيم بذلك، لأنها أشبهتها .

أخبرني[١] عمي قال : حدثني ابن أبي سعد قال : حدثني علي بن محمد بن يحيي الكناني عن أبيه قال :

حسن جسدها

٥ كانت زينب بنت عبد الرحمن من لين جسدها يقال لها الموصلة[١] :

زواجها من يحيي ابن الحكم

قال مصعب : فتزوج زينب أبان بن مروان بن الحكم، فولدت له عبد العزيز ابن أبان ، ثم مات عنها ، فخطبها يحيي بن الحكم وعبد الملك بن مروان ، فمالوا إلى عبد الملك، فأرسل يحيي إلى المغيرة بن عبد الرحمن : كم الذي تأمل من عبد الملك؟ والله لا يزيدها على ألف دينار، ولا يزيدك على خمس مئة دينار، ولها عندي خمسون

١٠ ألف دينار، ولك عندي عشرة آلاف دينار[٢] إن زوجتنيها، فزوجه إياها على ذلك . فغضب عليه عبد الملك . وقال : دخل عليّ في خطبتي . والله لا يخطب على منبر مادمت[٣] حيا، ولا رأى مني ما يحب ، فأسقطه . فقال يحيي : لا أبالي ، كعكتان وزينب .

قال ابن أبي سعد : وأُخبرت عن محمد بن إسحاق المسيِّبي قال : حدثني

١٥ عبد الملك بن إبراهيم الطلحي :

أنها لما خُطبت قالت : لا أتزوج والله أبدا إلا من يغني أخي المغيرة . فأرسل إليها يحيي بن الحكم : أيغنيه خمسون ألف دينار؟ قالت : نعم . قال : فهي له، ولك مثلها . فقالت : ما بعد هذا شيء . أرسل إلى أهلك شيئا من طيب، وشيئا من كسوة .

٢٠ (١-١) الخبر ساقط من ف . (٢) ف : درهم . (٣) ف : مادام .

قال : ويقال إن عبد الملك لما تزوجها يحيى قال : لقد تزوجتْ أفْوَهَ غليظ الشفتين . فقالت زينب : هو خير من أبى الذِّبان فمًا، فما له يعيبه بفمه ؟ وقال يحيى : قولوا له أقبح من فى ما كَرِهَتْ من فمك .

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنى أبو غسّان ، عن عبد العزيز بن أبى ثابت، عن عمه محمد بن عبد العزيز : ٥

أن عبد الملك خطب زينب إلى المغيرة أخيها، وكتب إليه أن يَلْحق به ، وكان بفلسطين أو بالأُردنّ ، فعرض له يحيى بن الحكم ، فقال له : أين تريد ؟ قال : أريد أمير المؤمنين . قال : وما تصنع به ؟ فوالله لا يزيدك على ألف دينار يكرمك بها ، وأربع مئة دينار لزينب ، ولك عندى ثلاثون ألف دينار ، سوى صداق زينب . فقال المغيرة : أوَتنقل إلىّ المال قبل عقد النكاح؟ قال: نعم، فنقل إليه ١٠ المال . فتجهز المغيرة، وسيَّر ثَقَله ، ثم دخل على يحيى فزوجه، وخرج إلى المدينة، فجعل عبد الملك ينتظر المغيرة، فلما أبطأ عليه قيل له : يا أمير المؤمنين ، إنه زوج يحيى بن الحكم زينب بنت عبد الرحمن، بثلاثين ألف دينار، وأعطاه إياها، ورجع إلى منزله . فغضب على يحيى، وخلعه عن ماله ، وعزله عن عمله ، فجعل يحيى يقول :

ألا لا أبالى اليوم ما فعل الدهرُ * إذا بقيت لى كعكتان وزينب ١٥

زواج أم حكيم من عبد العزيز ابن الوليد

قال : وكانت زينب تسمى المُوصِلة، من حسن جسدها، وكانت أم حكيم تحت عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك، تزوجها فى حياة جده عبد الملك ، ولما عقد النكاح بينهما، عقد فى مجلس عبد الملك ، وأمر بإدخال الشعراء ليهنئوهم بالعقد ، ويقولوا فى ذلك أشعارا كثيرة يرويها الناس، فاختير منهم جرير وعدىّ بن الرقاع، فدخلا، وبدأ عدىّ لموضعه منهم، فقال : ٢٠

قَمرُ السماء وشمسها اجتمعا * بالسَّعد ما غابا وما طلعا
ما وارت الأستارُ مثلَهما * مَن ذا رأى هذا ومن سمعا؟
دام السرور له بها ولها * وتَهنَّيا طول الحياة معا

٥٠
١٥

وقال جرير :

جَمع الأمير إليه أكرم حرةٍ * فى كل ما حالٍ من الأحوال
حَكَمِيّة علَت الروابِىَ كلَّها * بمفاخر الأعمام والأخوالِ
وإذا النساء تفاخرت ببعولةٍ * فخرتهمُ بالسيِّد المفضال
عبد العزيز ومن يكلِّف نفسه * أخلاقه يلْبَثْ بأكسف بال
هنأتكم بمودّة ونصيحة * وصدقت فى نفسى لكم ومقالى
فلتهنِك النِّعَم التى خُوِّلتَها * ياخير مأمول وأفضل وال

فأمر له عبد الملك بعشرة آلاف درهم ، ولعدىّ بن الرقاع بمثلها، وقضى لأهله ومواليه يومئذ مئة حاجة ، وأمر لجميع من حضر من الحرس والكتّاب بعشرة دنانير عشرة دنانير . فلم تزل أم حكيم عند عبد العزيز مدة ، ثم تزوج ميمونة بنت عبد الرحمن بن أبى بكر، فملكته وأحبها، وذهبت بقلبه كل مذهب، فلم ترض منه إلا بطلاق أم حكيم، فطلقها، فتزوجها هشام بن عبد الملك، ثم مات عبد العزيز، فتزوج هشام ميمونة أيضا، وكان شديد المحبة لأم حكيم، فطلق لها ميمونة، اقتصاصا لها منها فيما فعلته بها فى اجتماعهما عند عبد العزيز، وقال لها : هل أرضيتك منها؟ فقالت : نعم . فولدت أم حكيم من هشام ابنه يزيد بن هشام ، وكان من رجالات بنى أمية ، وكان أحد من يطعُن على الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، ويغرى الناس به .

كأس أم حكيم

وكانت أم حكيم منهومة بالشراب ، مدمنة عليه ، لا تكاد تفارقه . وكأسها الذى كانت تشرب فيه مشهور عند الناس إلى اليوم ، وهو فى خزائن الخلفاء حتى الآن ، وفيه[1] يقول الوليد بن يزيد :

صوت

عَلِّلانى بعاتقات الكروم * واسقيانى بكأس أمّ حكيم

إنها تشرب المدامة صِرفا * فى إناء من الزجاج عظيم

جَنِّبونى أذاة كل لئيم * إنه ما علمتُ شرُّ نديم

ثم إن كان فى النَّدامى كريم * فأذيقوه مَسّ بعض النعيم

ليت حظى من النساء سُلَيْمَى * إن سَلْمَاىَ جَنَّتِى ونعيمى

فدَعونى من الملامة فيها * إن من لامنى لغيرُ حليم[2]

عروضه من الخفيف . غناء عمر الوادى[3] من رواية يونس . وفى رواية إسحاق : غناه الغُزَيِّل أبو كامل : خفيف رمل بالسبابة فى مجرى البنصر .

فيقال إن هذا الشعر بلغ هشاما، فقال لأم حكيم : أتفعلين ما ذكره الوليد ؟ فقالت : أوَ تصدقه الفاسقَ فى شىء، فتصدقَه فى هذا؟ قال : لا . قالت : فهو كبعض كذبه .

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرى قال : حدثنا عمر بن شبة قال :

يزيد بن هشام والوليد بن يزيد يتهاجيان

كان يزيد بن هشام هجا الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، فقال :

فحَسْب أبى العباس كأس وقَيْنةٌ * وزِقّ إذا دارت به فى الذوائب

ومن جلساء الناس مثلُ ابن مالك * ومثل ابن جَزْء والغلام ابن غالب

فقال الوليد يهجوه، و يعيره بشرب أمه الشراب :

(١) نصت كتب اللغة على أن الكأس مؤنثة . وقد جرى المؤلف فى عبارته على تذكيرها . ولعله أراد معنى القدح أو الإناء. (٢) كذا فى ف، وفى الأصول: رحيم . (٣) ف : عمرو بن بانة .

إن كأس العجوز كأسٌ رَواءٌ * ليس كأس ككأس أمِّ حكيم
إنها تشرب الرَّساطون صِرْفا * فى إناء من الزجاج عظيم
لو به يشرب البعيرُ أو الفيـ * ـل لظَلاَّ فى سَكرة وغُموم
ولدته سَكْرى فلم تحسن الطَّلْـ * ـق فوافى لذاك غير حليم

أبوشاكر بن هشام وولاية العهد

٥ وكان لهشام منها ابن يقال له مَسْلمة، ويُكْنى أبا شاكر، وكان هشام ينوِّه باسمه، وأراد أن يوليه العهد بعده، وولاه الحج، فحج بالناس، وفيه يقول عُروة بن أُذينة — لما وفد على هشام — وفرَّق فى الحجاز على أهلها مالا كثيرا، وأحبه الناس ومدحوه :

أتينا نَمُتُّ بأرحامنا * وجئنا بأمر أبى شاكرِ

وفيه يقول الوليد بن يزيد بن عبد الملك فى حياة أبيه، وأشاع ذلك وغنَّى فيه، ١٠ وأراد أن يعيره بذلك :

صوت

يا أيها السائلُ عن ديننا * نحن على دين أبى شاكر
نشربُها صِرْفا وممزوجةً * بالسخن أحيانا و بالفاتِر

فقال بعض شعراء أهل الحجاز يجيبه :

١٥ يا أيها السائلُ عن ديننا * نحن على دين أبى شاكرِ
الواهبِ الـبُزْلِ بأرسانها * ليس بزنديقٍ ولا كافرِ

فذكر أحمد بن الحارث عن المدائنىّ :

أن هشاما لما أراد أن يوليه العهد، كتب بذلك إلى خالد بن عبدالله القَسْرىّ، فقال خالد : أنا برىء من خليفة يكنى أبا شاكر . فبلغ قوله هشاما، فكان سبب ٢٠ إيقاعه به .

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال : حدثنى محمد بن موسى قِمَطر، عن إسماعيل بن مجمع قال :

كأس أم حكيم فى خزائن المأمون والمعتمد

كنا نخرج ما فى خزائن المأمون من الذهب والفضة[1]، فنزكّى عنه، فكان فيما يُزَكّى عنه، قائم كأس أم حكيم، وكان فيه من الذهب ثمانون مثقالا . قال محمد بن موسى : سألت إسماعيل بن مجمع عن صفته ، فقال : كأس كبير من زجاج أخضر، مَقْبِضه من ذهب . هكذا ذكر إسماعيل .

وقد حدثنى على بن صالح بن الهيثم بَشْله[2] ، قال : حدثنا إبراهيم بن أحمد المادرائىّ قال :

لما أخرج المعتمد ما فى الخزائن ليباع، فى أيام ظهور الناجم بالبصرة، أخرج إلينا كأس أم حكيم ، فكان كأسا مدوّرا على هيئة القِحْف[3]، يسع ثلاثة أرطال ، فقُوِّم بأربعة دراهم، فعجبنا من حصول مثله فى الخزانة، مع خساسة قدره، فسألنا الخازن عنه . فقال : هذا كأس أمّ حكيم ، فرددناه إلى الخزانة . ولعل الذهب الذى كان عليه أخذ منه حينئذ، ثم أُخرج ليباع .

محمد بن الجنيد الختلى وكأس أم حكيم

قال محمد بن موسى : وذكر لى عُبيد الله بن محمد عن أبى الأغرّ، قال : كنا مع محمد بن الجُنيد الخُتّلىّ أيام الرشيد، فشرب ذات ليلة، فكان صوته :

علّلانى بعاتقات الكروم * واسقيانى بكأس أم حكيم

فلم يزل يقترحه و يشرب عليه حتى السحَر، فوافاه كتاب خليفته فى دار الرشيد : إن الخليفة على الركوب . وكان محمد أحد أصحاب الرشيد، وممن يقدّم دابته، فقال : ويحكم ! كيف أعمل والرشيد لا يقبل لى عذرا وأنا سكران . فقالوا : لا بدّ من

٥٢ / ١٥

(١) ف : كنا نخرج من دار الملوك من الذهب ... (٢) ف : كهلة .
(٣) القحف : العظم الذى فوق الدماغ من الجمجمة .

الركوب، فركب على تلك الحال ؛ فلما قدَّم إلى الرشيد دابته، قال له : يا محمد ، ما هذه الحال التى أراك عليها؟ قال: لم أعلم برأى أمير المؤمنين فى الركوب، فشربت ليلى أجمع . قال : فما كان صوتك ؟ فأخبره .

فقال له : عُدْ إلى منزلك، فلا فضْلَ فيك ، فرجع إلينا وخبَّرنا بما جرى ، ٥ وقال : خذوا بنا فى شأننا ، فجلسنا على سطح، فلما متَع النهار إذا خادم من خدم أمير المؤمنين قد أقبل إلينا على بِرذَون ، فى يده شىء مُغَطًّى بمنديل، قد كاد ينال الأرض، فصعد إلينا، وقال لمحمد : أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول لك : قد بعثنا إليك بكأس أم حكيم ، لتشرب فيه ، وبألف دينار تنفقها فى صَبوحك . فقام محمد، فأخذ الكأس من يد الخادم ، وقبَّلها، وصب فيها ثلاثة أرطال، ١٠ وشربها قائما ، وسقانا مثل ذلك ، ووهب للخادم مئتى دينار ، وغَسَل الكأس، وردّها إلى موضعها، وجعل يفرق علينا تلك الدنانير، حتى بقى معه أقلُّها .

⁂

صـــــوت

الأعشى يهجو علقمة بن علاثة

علقـمَ ما أنت إلى عامرٍ (١) * الناقـضِ الأوتارِ والـواترِ
١٥ إن تَسُد الحُوصَ فلم تعدُهمْ * وعامر سـادَ بنى عامرِ
عهدى بها فى الحى قد دُرِّعت * صفراءَ مثل المُهْرة الضامرِ
قد حجمَ الثدىُ على صدرها (٢) * فى مُشْرِق ذى بهجة ناضرِ

(١) هذه الأبيات من قصيدة طويلة أولها :
شاقتك من قتـلة أطلالها * بالشـط فالوتر إلى حاجر
٢٠ وهى فى الديوان وشرح شواهد المغنى للسيوطى، مع اختلاف كثير فى الترتيب والألفاظ .
(٢) كذا فى ف والديوان . وفى الأصول : نحرها .

لو أسندت مَيتا إلى نحرِها * عاش ولم يُنْقَل[1] إلى قابر
حتى يقولَ الناس مما رأوا * يا عَجَبا للميّت الناشر

عروضه من السريع . والشعر للأعشى : أعشى بنى قيس بن ثعلبة ، يمدح عامر ابن الطُّفيل، ويهجو علقمة بن عُلاثة .

والغناء لمعبد فى الثالث وما بعده، خفيف ثقيل الأول بالبنصر . وفى الأبيات لحُنين ثقيل أول مطلق، فى مجرى البِنْصر، عن إسحاقَ . وفيها أيضا لحن آخر ذكره فى المجرد ولم يُجنِّسه ، ولم ينسبه إلى أحد .

(١) كذا فى ف : وفى الأصول والديوان وشرح شواهد المغنى : « ينقل »

الخبر فى هذه القصة ، وسبب منافرة عامر وعلقمة وخبر الأعشى وغيره معهما فيها

أسانيد هذه القصة

أخبرنى بذلك محمد بن الحسن بن دُرَيد إجازة، عن أبى حاتم، عن أبى عبيدة . ونسخت من روايات ابن الكلبى عن أبيه، ومن رواية (١) دَمَاذ والأثرم عن أبى عبيدة والأصمعى (١)، ومن رواية ابن حبيب عن ابن الأعرابى عن المفضّل ، ومن رواية أبى عمرو الشيبانى عن أصحابه ؛ فجمعت رواياتهم ، ولكل امرئ منهم زيادة على صاحبه، ونقصان عنه، واللفظ مشترك فى الروايات، إلا ما حكيته مفردا .

قال ابن الكلبى : حدثنى أبى ومُحرز بن جعفر، وجعفر بن كلاب الجعفرى، عن بشر بن عبد الله بن حبّان بن سَلْمى بن (١) مالك بن جعفر، عن أبيه، عن أشياخه وذكر بعضه أبو مسكين، قالوا :

٥٣ / ١٥

سبب المنافرة بين عامر وعلقمة

أولُ (٢) ما هاج التّفارَ بين عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر ، و بين علقمة ابن عُلاثة بن عوف بن الأحوص —

وأم عامر : كبشة بنت عروة الرّحّال بن عتبة بن جعفر، وأمها أم الظباء بنت معاوية ، فارس الهرّار، ابن عبادة بن عَقيل بن كعب بن ربيعة، وأمها خالدة بنت جعفر بن كلاب ، وأمها فاطمة بنت عبد شمس بن عبد مناف . وأم أبيه الطُّفيل : أم البنين بنت ربيعة بن عمرو بن عامر بن صعصعة .

قال أبو الحسن الأثرم : وكانت أم علقمة ليلى بنت أبى سفيان بن هلال ابن النَّخَع سبيّة ، وأم أبيه ماوية بنت عبد الله بن الشّيْطان بن بكر بن عوف بن النخع مَهيرة —

(١—١) العبارة ساقطة من ف . (٢) مبتدأ ، خبره فى أوّل الصفحة التالية .

أن علقمة كان قاعدا ذات يوم يبول ، فبصُر به عامر، فقال : لم أرَ كاليوم عورة رجل أقبح . فقال علقمة : أما والله ما تَثِب على جاراتها ، ولا تنازل كَنَّاتها[1] ؛ يعرِّض بعامر . فقال عامر : وما أنت والفروم ! والله لفرس أبى « حِنْوَة[2] » أذكر من أبيــك ؛ ولفحل أبى « غيهبُ » أعظم ذكرا منك فى نجد . قال : وكان فرسه فرسا جوادا ، نجا عليه يوم بنى مرة بن عوف بن سعد بن ذُبيان ، وكان فحله فحلا لبنى حَرملة بن الأشعر بن صِرْمة بن مرّة بن عوف بن سعد بن ذبيان .

قال الأثرم : وأخبرنى رجل من جهينة بدمشق، قال : هو الأشعر[3] بن صِرمة .

قال : الأثرم : سمى صِرمة غيهبْ[4] لسواده .

قال ابن الكلبىّ : فاستعاره منهم يستطرقه[5] ، فغلبهم عليــه، فقال علقمة : أما فرسكم فعارة[6]، وأما فحلكم فغدرة . ولكن إن شئت نافرتك . فقال : قد شئت .

فقــال عامر : والله لأنا أكرم منــك حسبا ، وأثبت منك نســبا ، وأطول منك قصَبا .

فقال علقمة : لأنا خير منك ليلا ونهارا .

فقال عامر : لأنا أحب إلى نسائك أن أصبح فيهن منك .

فقال علقمة : على ما ذا تنافرنى يا عامر ؟

فقــال عامر : أنافرك على أنى أنحــر منك للّقاح، وخير منــك فى الصباح[7]، وأطعم منك فى السنة الشِّياح[8] .

(١) كذا فى الأصول . والكنة : امرأة الابن أو الأخ . ولعل كلمة : تنازل ، محرفة عن « تغازل » . وفى سرح العيون (١٠٧) : ولا تنازل إلا كفاتها . (٢) حنوة : كذا فى نسب الخيل لابن الكلبى ٧٦ والمخصص (٦ : ١٩٦) وتاج العروس « حنو » . وفى الأصول : حيوة . (٣) كذا فى الأصل . ولعله للأشعر . (٤) كذا فى الأصل . ولعل صوابه : وسمى فحل صرمة غيهبا لسواده .
(٥) يستطرقه : يتخذه فحلا لنوقه ، ليحسن نتاجها . (٦) عارة : عارية .
(٧) فى الصباح : أى عند الغارة على الأعداء . (٨) الشياح : القحط . يريد السنة المجدبة .

فقال علقمة : أنت رجل تقاتل والناس يزعمون أنى جبان ، ولأن تلق العدوّ وأنا أمامك، أعزّ لك من أن تلقاهم وأنا خلفك . وأنت جواد والناس يزعمون أنى بخيل ، ولست كذلك ، ولكن أنافرك أنى خير منك أثرا ، وأحدُّ منك بصرا، وأعز منك نفرا، وأسرح منك ذِكْرا[1] .

٥ فقال عامر : ليس لبنى الأحوص فضل على بنى مالك فى العدد ، و بصرى ناقص ، و بصرك صحيح ، ولكنى أنافرك على أنى أنشر منك أمّةً[2] ، وأطول منك قِمّة، وأحسن منك لِمّة، وأجعد منك جُمّة، وأبعد منك همّة .

قال علقمة : أنت رجل جسيم، وأنا رجل قضيف، وأنت جميل، وأنا قبيح، ولكنى أنافرك بآبائى وأعمامى .

فقال عامر : آباؤك أعمامى ولم أكن لأنافرك بهم ، ولكنى أنافرك أنى خير منك عَقِبا ، وأَطْعَمُ منك جَدْبا .

قال علقمة : قد علمت أن لك عقِبا فى العشيرة، وقد أطْعَمت طيبا[3] إذ سارت؛ ولكنى أنافرك أنى خير منك ، وأولى بالخيرات منك ؛ وقد أكثرنا المراجعة منذ اليوم .

١٥ قال : فخرجت أم عامر، وكانت تسمع كلامهما، فقالت : يا عامر ، نافره أيكما أولى بالخيرات .

قال أبو المنذر : قال أبو مسكين : قال عامر فى مراجعته : والله لأنا أركب منك فى الحُمَاة ، وأقتل منك للكُماة ، وخير منك للولى والمولاة .

(١) أسرح : أبعد . وفى الأصول مداف : أشرف . (٢) أى أكثر قوما .

(٣) فى بعض الأصول : « طنا » .

٢٠

فقال له علقمة : والله إنى أعز منك . إنى لبرّ و إنك لفاجر، و إنى لوفىّ و إنك لغادر، ففيم تفاخرنى يا عامر ؟ فقال عامر : والله إنى لأنْزَل منك للقفرة، وأنحر منك للبَكْرة، وأطعم منك للهبْرة[1]، وأطعن منك للثُّغْرة[2] .

٥٤ / ١٥

فقال علقمة : والله إنك لكليل البصر، نَكِد النظر، وثّاب على جاراتك بالسَّحَر .

فقال بنو خالد بن جعفر، وكانوا يدا مع بنى الأحوص على بنى مالك بن جعفر : لن تطيق عامرا، ولكن قل له : أنافرك بخيرنا وأقربنا إلى الخيرات ، وخذ عليه بالكِبَر . فقال له علقمة هذا القول .

فقال عامر : عنز وتيس، وتيس وعنز[3]، فذهبت مثلا . نعم على مئة من الإبل، إلى مئة من الإبل يُعطاها الحكَم، أينا نُفِّر عليه صاحبه أخرجها، ففعلوا ذلك، ووضعوا بها رهُنا من أبنائهم ، على يدى رجل من بنى الوحيد، فسمى الضَّمين إلى الساعة، وهو الكفيل .

قال : وخرج علقمة ومن معه من بنى خالد ، وخرج عامر فيمن معه من بنى مالك ، وقد أتى عامر بن الطفيل عمه عامر بن مالك، وهو أبو بَراء، فقال : يا عماه، أعِنِّى . فقال : يابن أخى، سُبَّنى . فقال : لا أسبك وأنت عمى . قال : فسُبَّ الأحوص . فقال عامر : ولا أسب والله الأحوص وهو عمى ، فقال : فكيف إذن أعينُك ، ولكن دونك نعلى ، فإنى قد رَبَعْت فيها أربعين مِرْباعا، فاستعن بها فى نفارك .

(١) القطعة المجتمعة من اللحم .

(٢) ف : للنبرة . ولعل صحتها : للنثرة ، بمعنى الخيشوم وما والاه .

(٣) يريد : مثلى ومثلك كالعير والتيس، أو كالتيس والعنز، إذ التيس أقوى على النفاح من العنز .

اختيار الحكم بينهما

وجعلا منافرتهما إلى أبى سفيان بن حرب بن أمية، فلم يقل بينهما شيئا ، وكره ذلك لحالها وحال عشيرتهما ، وقال : أنتما كركبتى البعير الأدرم[1]، تقعان بالأرض . قالا : فأينا اليمين ؟ فقال : كلاكما اليمين . وأبى أن يقضى بينهما . فانطلقا إلى أبى جهل بن هشام، فأبى أن يحكم بينهما، فوثب مروان بن سُراقة ابن قتادة بن عمرو بن الأحوص بن جعفر، فقال :

٥

يالَ قريش بيِّنوا الكلاما * إنا رضينا منكم الأحكاما

فبيِّنوا إن كنتمُ حكّاما * كان أبونا لهمُ إماما

وعبد عمْرٍو منع الفِئاما * فى يوم فخر مُعْلَمٍ إعلاما

ودَعْلَجٌ أقدمه إقداما * لولا الذى أجشمهم إجشاما

* لاتخذتْهم مَذْحِج نَعاما *

١٠

قال : فأَبوا أن يقولوا بينهما شيئا .

وقد كانت العرب تحاكم إلى قريش، فأتيا عُيينة بن حصن بن حذيفة ، فأبى أن يقول بينهما شيئا . فأتيا غَيْلان بن سَلَمة بن مُعْتب الثَّقَفِىّ، فردهما إلى حَرْمَلة ابن الأشعر المُرِّى، فردهما إلى هَرِم بن قُطْبة بن سنان بن عمرو الفَزارىّ، فانطلقا حتى نزلا به .

١٥

هرم بن قطبة يحكم بينهما

وقال بشر بن عبد الله بن حبّان بن سلمى : إنهما ساقا الإبل معهما، حتى أشْتَتْ وأربعت ، لا يأتيان أحدا إلا هاب أن يقضى بينهما ؛ فقال هرم : لعمرى لأحكمن بينكما ، ثم لأفصلن ، ثم لست أثق بواحد منكما ، فأعطيانى موثقا أطمئن إليه أن ترضيا بما أقول ، وتسلِّما لما قضيت بينكما ، وأمرهما

(١) الأدرم : الذى تراكب لحمه وشحمه حتى غطى عظامه ، والذى ذهبت جلدة أسنانه ودنا وقوعها ، أو الذى لا أسنان له .

٢٠

بالانصراف، ووعدهما ذلك اليوم من قابل. فانصرفا حتى إذا بلغ الأجل من قابل، خرجا إليه، فخرج علقمة ببنى الأحوص، فلم يتخلف منهم أحد، معهم القباب والجُزُر والقدور، ينحرون فى كل منزل ويطعمون، وجمع عامر بنى مالك، فقال: إنما تخاطرون عن أحسابكم، فأجابوه وساروا معه، ولم ينهض أبو براء معهم، وقال لعامر: والله لا تطلع ثنية إلا وجدت الأحوص مُنيخا بها، وكره أبو براء ما كان من أمرهما، فقال عامر[1] فيما كره من منافرتهما، ودعاء عامر إياه أن يسير معه:

أأومر أن أسبّ أبا شُريح * ولا والله أفعلُ ماحييتُ
ولا أهدى إلى هرم لقاحا * فيُحيي بعد ذلك أو يُميتُ
أكلّف سعىَ لُقمانَ بن عاد * فيال أبى شُرَيْح ما لقيتُ

قال: وأبو شريح: هو الأحوص. فكره كل واحد من البطنين ما كان بينهما. وقال عبدُ عَمْرو بن شُرَيْح بن الأحوص:

لَحَى الله وَفْدينا وما ارتحلا به * من السَّوءة[2] الباقى عليهم وبالُها
ألا إنما يُردى صِفاق متينة[3] * أبى الضيم أعلاها وأُثبتَ حالُها

قال: فسار عامر وبنو عامر على الخيل مُجْنِبى الإبل، وعليهم السلاح، فقال رجل من غنىّ: يا عامر، ما صنعت؟ أخرجت بنى مالك تنافر بنى الأحوص ومعهم القباب والجُزُر، وليس معك شىء تطعمه الناس! ما أسوأ ما صنعت! فقال عامر لرجلين من بنى عمه: أحصيا كل شىء مع علقمة من قُبة أو قِدْر أو لَقحة. ففعلا. فقال عامر: يا بنى مالك، إنها المقارعة عن أحسابكم، فاشخَصوا بمثل

(١) المراد به عامر بن مالك أبو براء، وهو وهم عامر بن الطفيل.

(٢) ف: النبوة. (٣) ف: ألا إنما تردى صفاه متينا

الشعراء مع المتنافرين

ما تخصصوا به ، ففعلوا . وثار مع عامر لَبيد بن ربيعة والأعشى، ومع علقمة الحُطيئة وفتيان من بنى الأحوص ، منهم السَّنْدرىّ بن يزيد بن شريح، ومروان بن سُراقة ابن قَتادة بن عمرو بن الأحوص ، وهم يرتجزون ، فقال لبيد :

يا هرما وأنت أهلُ عدلِ * إن نُفِّر(1) الأحوص يوما قبلى

٥ ليذهبنّ أهلُه بأهلى * لا تجمعنَّ شكلَهم وشكلى

* ونسلَ آبائهم ونسلِى *

وقال أيضا :

إنى امرؤ من مالك بن جعفرِ * علقم قد نافرت غيرَ مُنْفَرِ

* نافرتَ سَقْبا من سِقاب العَرْعَرِ *

١٠ فقال لحافةُ بن عوف بن الأحوص :

نهنهْ إليك الشعرَ يا لَبيدُ * واصْدُد فقد ينفعك الصُّدود

ساد أبونا قبل أن تَسودوا * سُؤْدُدُكم مُطَّرف زَهيد

وقال أيضا :

إنى إذا ما نُسِىَ الحياءُ(2) * وضاع يوم المَشهد اللِّواء

١٥ أُنْمَى وقد حُقَّ لىَ النماءُ(3) * إلى ذكور ذِكرها سناء

إذ لا تزال جَلدةٌ كَوماء(4) * مبقورةَ لسَقْبها دعاء

لم يَنْهنا عن نحرها الصفاء(5) * لنا عليكم سُورَة وِلاءُ

* المجدُ والسُؤْدُدُ والعَطاء *

(1) ف : يفزر . (2) كذا فى ف . وفى الأصول : * إنى إذا أكننى الجفاء *

٢٠ (3) كذا فى ف . وفى الأصول : كهول . (4) جلدة : كذا فى ف . وهى الناقة الغزيرة اللبن، أو الصلبة القوية على السير . وفى الأصول «جلة» : والسقب : ولد الناقة . ودعاء : كذا فى ف . وفى الأصول : رغاء ، وهما بمعنى . (5) السورة بضم السين : المنزلة الرفيعة .

وقال أيضا :

أنتم هَزَمْتم عامرَ بنَ مالكِ * فى شَتَوات مُضَرَ الهوالكِ

* يا شَرَّ أحياءٍ وشَرَّ هالك[1] *

قال : وأنشدها السِّنْدِرِىُّ يومئذ ، ورفع صوته ، فقيل : من هذا ؟ فقال :

أنا لمن أنكر صوتى السِّنْدِرِىّ * أنا الفتى الجعد الطويل الجعفرىّ

* من ولد الأحوص أخوالى غَنِىّ *

٥٦ / ١٥

فقال عامر : أجب يا لَبِيد ، فرغب لبيد عن إجابته ، وذلك لأن السِّندرىّ كانت جَدته أَمَة اسمها عَبْساء ، فقال :

لمـا دعانى عامـر لأَسُبَّهم[2] * أَبَيتُ وإن كان ابن عَبْساءَ ظالما

لكيا يكونَ السِّندرىُّ نَديدتِى * وأَشتُمَ أعمـاما عُموما عَماعما[3]

وأُنْشِرَ من تحت القبورِ أُبُوَّةً * كراما هم شَدُّوا علىّ التمائما

لعِبت على أكتافهم وحُجُورهم * وَليدا وسَمَّونى مُفِيدًا[4] وعاصما

ألا أينـا ما كان شرا لمـالكٍ * فلا زال فى الدنيا مَلُوما ولائما

قال : ووثب الحُطَيئة ، فقال :

ما يحبِسُ الحُكّامَ بالفَصْل[5] بعدما * بدا سـابقٌ ذو غُرَّة وحُجُولِ

---

(١) كذا فى ف . وفى الأصول : ياشرنا حيا . (٢) كذا فى ف . وفى الأصول : لأجيبهم.

(٣) عموما : مجتمعين . والعماعم : الجماعات المتفرقة . ورواية الشطر الثانى فى اللسان :

* وأجعل أقواما عموما عماعما *

وشرحه فيه ، أى أجعل أقواما مجتمعين فرقا .

(٤) كذا فى ف . وفى بقية الأصول : وليدا .

(٥) كذا فى الأصول ، وفى ف : بالفضل .

وقال أيضا :

يا عامِ قد كنت ذا باع ومكرمة * لو أن مَسعاة من جاريتَه أَمَمُ
جاريت قَوْما أجاد الأَحوصان به * سمحَ اليدين وفى عِرْنينه شَمَمُ
لا يصعُبُ الأمرُ إلّا ريثَ[1] يركبُه * ولا يبيت على مالٍ له قَسَمُ
هابتْ بنو مالك مجدا ومَكْرُمةً * وغايةً كان فيها الموتُ لو قَدِموا
وما أساءوا فِرارا عن مُجَلِّحةٍ[2] * لا كاهنٌ يَمترِى فيها ولا حَكَمُ

قال : وأقام القوم عنده أياما ، وأرسل إلى عامر ، فأتاه سرا ، لا يعلم به علقمة ، فقال : يا عامر ، قد كنتُ أرى لك رأيا ، وأن فيك خيرا ، وما حبستك هذه الأيام إلا لتنصرف عن صاحبك . أتنافر رجلا لا تفخَر أنت وقومُك إلا بآبائه ؟ فما الذى أنت به خير منه ؟

رفق الحكم ودهاؤه

قال عامر : أَنشُدُك الله والرَّحِم أن لا تُفضِّل علىّ علقمة ، فوالله لئن فعلت لا أُفلح بعدها أبدا . هذه ناصيتى فاجزُزها ، واحتكم فى مالى ، فإن كنت لا بدّ فاعلا فسوّ بينى و بينه . قال : انصرف ، فسوف أرى رأيى . فخرج عامر وهو لا يشك أنه يُنَفِّره عليه .

ثم أرسل إلى علقمة سِرّا ، لايعلم به عامر ، فأتاه فقال : ياعلقمة ، والله إن كنتُ لأحسب فيك خيرا ، وأن لك رأيا ، وما حبستك هذه الأيام إلا لتنصرف عن صاحبك . أتفاخر رجلا هو ابن عمك فى النسب ؟ وأبوه أبوك ، وهو مع هذا أعظم قومك غَناء ، وأحمَدُهم لِقاء ؟ فما الذى أنت به خير منه ؟ فقال له علقمة : أَنْشُدك الله والرَّحِم ألّا تُنَفِّر علىّ عامرا . اجزُز ناصيتى ، واحتكم فى مالى ،

(١) ف : حيث .
(٢) المجلحة : المصيبة التى تستأصل كل شىء . وفى ف : مجلجلة ، أى مدوية بعيدة الذكر .

وإن كنت لا بد أن تفعل فسوّ بيني وبينه . فقال : انصرف فسوف أرى رأيي . فخرج وهو لايشك أنه سيفضّل عليه عامرا .

قال أبي : وسمعت أن هَرِما قال لعامر حين دعاه : يا عامر، كيف تفاضل علقمة؟ فقال عامر : ولِمَ يا هرم؟ قال : لأنه أنجل منك عَيْنا فى النساء، وأكثر منك نفيرا عند ثورة الدعاء . قال عامر : هل غير هـذا؟ قال : نعم . هو أكثر منك نائلا فى الثّراء، وأعظم منك حقيقة عند الدعاء . ثم قال لعلقمة : كيف تفاضل عامرا؟ قال : ولم يا هَرِم؟ قال : هو أنفذ منك لسانا، وأمضى منك سِنانا . قال علقمة : فهل غير هذا؟ قال : نعم . هو أقتل منك للكُماة، وأفك منك للعُناة .

دهاء الحكم

٥٧
١٥

قال : ثم إن هرما أرسل إلى بنيه وبنى ابيه : إنى قائل غدا بين هـذين الرجلين مَقالة، فإذا فعلتُ فليطـردْ بعضكم عَشْر جَزَائر فلْينحَرها عن علقمة، ويطرد بعضكم عشر جزائر، فلينحَرْها عن عامر، وفرِّقوا بين النـاس، لا تكون لهم جماعة .

وأصبح هَرِم، فجلس مجلسه، وأقبـل الناس، وأقبـل علقمة وعامر حتى جلسا، فقام لَبيد فقال :

يا هرِمَ ابنَ الأكرمين مَنصبا * إنك قـد وُلِّيتَ حُكما مُعْجِبـا
فاحكم وصوِّب رأس من تصوّبا * إن الذى يعلو علينا تُرتُبا[1]
لخَـيرُنا عمـا وأما وأبا * وعامرٌ خـيرهمـا مُرَكَّبا
* وعامر أدنى لقيس نسبا *

لم يفصل فى المنافرة

فقام هرم فقال : يابنى جعفر، قد تحاكمتما عندى، وأنتما كركبتى البعير الأدرم : تقعان إلى الأرض معا، وليس فيكما أحد إلا وفيه ما ليس فى صاحبه، وكلاكما سيد كريم .

(١) ترتبا : أبدا، أوجميعا .

وعمد بنو هرم وبنو أخيه إلى تلك الجزر ، فنحروها حيث أمرهم هرم عن علقمة عشرا، وعن عامر عشرا، وفرقوا الناس، فلم يفضل هرم واحدا منهما على صاحبه ، وكره أن يفعل وهما ابنا عم ، فيجلب بذلك عداوة ، ويوقع بين الحيين شرا .

سبب انضمام الأعشى إلى عامر

٥ قال : وكان الأعشى حين رجع من عند قيس بن معد يكرب بما أعطاه طلب الجوار والخفرة من علقمة، فلم يكن عنده ما طلب، وأجاره وخفره عامر، حتى إذا أداه وماله إلى أهله قال :

عَلْقَمَ ما أنت إلى عامرٍ * النـاقضِ الأوتارِ والواترِ

ثم أتمها بعد النِّفار . فلما بلغ علقمةَ ما قال الأعشى ، وأشاع فى العرب أن هرما

١٠ قد فضّل عامرا ، توعّد الأعشى ، فقال الأعشى :

* لعمرى لئن أمسى من الحىّ شاخصا *

الخليفة عمر وهرم بن قطبة

قال ابن الكلبي : حدّثنى أبى قال : فعاش هرم حتى أدرك سلطانَ عُمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فسأله عمر فقال : يا هرم ، أىّ الرجلين كنت مفضلا لو فضلت ؟ فقال : لو قلت ذاك يا أمير المؤمنين لعادت جَذَعة ، ولبلغتْ شِعاف

١٥ هَجَر . فقال عمر : نِعم مستودعُ السِّرّ ومسنَدُ الأمر إليه أنت يا هرم ، مثلُ هذا فليَسُد العشيرة . وقال : إلى مثلك فليستبضع القوم أحكامهم .

قال مؤلف الكتاب[1] :

إسلام علقمة

وقد أدرك علقمة بن عُلاثة الإسلام، فأسلم، ثم ارتد فيمن ارتد من العرب . فلما وجه أبو بكر خالد بن الوليد المخزومى إلى بنى كلاب ليوقع بهم ، وعلقمة يومئذ

٢٠ (١) كذا فى ف، وفى بقية الأصول : « قال أبو الفرج الأصبهانى » .

رئيسهم، هرب وأسلم، ثم أتى أبا بكر رضى الله عنه، فأعلمه أنه قد نَزَع عما كان عليه، فقبل إسلامه وأمّنه . هكذا ذكر المدائنىّ .

وأما سيف بن عمر فإنه روى عن الكوفيين غير ذلك .

حدثنا محمد بن جرير الطبرىّ قال : حدثنا السرىّ بن يحيى، قال : حدثنا شعيب ابن إبراهيم، عن سَيف بن عمر، عن سهل بن يوسف، قال :

كان علقمة بن علاثة على كِلاب ومن لافّها [1] ، وقد كان علقمة أسلم ثم ارتد فى حياة النبىّ صلى الله عليه وسلم، ثم خرج بعد فتح الطائف ، حتى لحق بالشام مرتدا، فلما تُوفى النبى صلى الله عليه وسلم أقبل مسرعا، حتى عسكر فى بنى كعب، مقدّما رجلا ومؤخرا أخرى ، و بلغ ذلك أبا بكر رضى الله عنه، فبعث إليه سَرِيّة، وأمّر عليها القَعقاع بن عمرو، وقال : يا قعقاع، سر حتى تغير على علقمة بن علاثة، لعلك تأخذه لى أو تقتله . واعلم أن شفاء النفس الحُوْص ، فاصنع ما عندك . فخرج فى تلك السرية حتى أغار على الماء الذى عليه علقمة، وكان لا يبرح أن يكون على رحل ، فسابقهم على فرسه مراكضة ، وأسلم أهله وولده ، واستبى القعقاعُ امرأة علقمة و بناته ونساءه ومن أقام من الرجال ، فاتقوه بالإسلام، فقدم بهم على أبى بكر رضى الله عنه، فجحدت زوجته وولده أن يكونوا مالئوا علقمة على أمره، وكانوا مقيمين فى الدار ، ولم يكن بلغه عنهم غير ذلك . وقالوا لأبى بكر : ما ذنبنا نحن فيما صنع علقمة ؟ فأرسلهم، ثم أسلم علقمة ، فقبل ذلك منه .

نهى النبى حسان عن إنشاده هجاء علقمة

أخبرنا الحَرَمى بن أبى العلاء قال : حدثنا الزبير بن بكار قال : حدثنا عمرو ابن عثمان قال :

---

(١) لافها : كذا فى ف . وفى الأصول : والاها . وهما بمعنى واحد .

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما حدّث أصحابه ، وربما تركهم يتحدثون ويُصغى إليهم ويتبسم ، فبينا هم يوما على ذلك يتذاكرون الشعر وأيام العرب، إذ سمع حسانَ بن ثابت ينشد هجاء أعشى بنى قيس بن ثعلبة، علقمةَ ابن عُلاثة، ومديحه عامر بن الطفيل :

علقمَ ما أنت إلى عامرٍ * الناقضِ الأوتارِ والـواترِ
إن تَسُد الحُوص فلم تَعْدُهُمْ * وعامرٌ سـادَ بنى عامرِ
ساد وألْفَى رهطـه سادة[1] * وكابرا سادوك عن كابرِ

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كُفَّ عن ذكره يا حسان ، فإن أبا سفيان لما شعَّث[2] منى عند هرقل، ردّ عليه علقمة، فقال حسان بن ثابت : بأبى أنت وأمى يا رسول الله، من نالتك يدُه فقد وجب علينا شكره .

أخبرنى الحسن بن علىّ قال : حدثنا أحمد بن الحارث الخراز قال : حدثنا المدائنى، عن أبى بكر الهذلىّ قال :

الحطيئة وعلقمة ابن علاثة

لما أطلق عمر بن الخطاب رضى الله عنه الحطيئة من حبسه، قال له : يا أمير المؤمنين ، اكتب لى كتابا إلى علقمة بن عُلاثة، لأقصده به ، فقد منعتنى التكسب بشعرى . فقال : لا أفعل . فقيل له : يا أمير المؤمنين، وما عليك من ذلك ؟ إن علقمة ليس بعاملك، فتخشى أن تأثَم، وإنما هو رجل من المسلمين، تشفع له إليه . فكتب له بما أراد، فمضى الحطيئة بالكتاب، فصادف علقمةَ قد مات والناس منصرفون عن قبره، فوقف عليه، ثم أنشد قوله :

لعمرى لنعم المـرءُ من آل جعفرٍ * بحـورانَ أمسى أعلَقَتْه الحبـائلُ
فإن تحىَ لا أملَل حياتى وإن تمت * فمـا فى حياةٍ بعـد موتك طائل
وما كان بينى لو لقيتُـك سالمـا * وبين الغِنى إلا ليـالٍ قـلائلُ

(١) كذا فى ف . وفى الأصول : قومه .   (٢) شعث منى : عابنى .

فقال له ابنه : يا حطيئة ، كم ظننت أن علقمة يعطيك ؟ قال : مئة ناقة . قال : فلك مئة ناقة يتبعها مئة من أولادها . فأعطاه إياها .

علقمة وخالد وعمر بن الخطاب

أخبرنى الحَرمى بن أبى العلاء قال : حدثنا الزُّبير بن بكّار قال : حدثنى عمر ابن أبى بكر قال : حدثنا عبد الرحمن بن أبى الزناد والضحاك بن عثمان قالا :

لما قدم علقمة بن عُلاثة المدينة، وكان قد ارتد عن الإسلام، وكان لخالد ابن الوليد صديقا، لقيه عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى المسجد فى جوف الليل، وكان عمر يُشَبَّه بخالد، وذلك أن أمه حَنْتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم، فسلم عليه، وظن أنه خالد، فقال : أَعَزَلَكَ؟ قال : كان ذلك . قال : والله ما هو إلا نفاسةٌ عليك، وحسد لك . فقال له عمر : فما عندك معونة على ذلك؟ قال : مَعاذ الله، إن لعمر علينا سمعا وطاعة ، وما نخرج إلى خلافه . فلما أصبح عمر رضى الله عنه أذن للناس، فدخل خالد وعلقمة، فجلس علقمة إلى جنب خالد، فالتفت عمر إلى علقمة فقال : إيه يا علقمة، أأنت القائل لخالد ما قلت؟ فالتفت علقمة إلى خالد ، فقال : يا أبا سليمان، أفعلتها ؟ قال : ويْحك والله ما لقيتك قبل ما ترى، وإنى لأراك لقيت الرجل . قال : أُراه والله . ثم التفت إلى عمر فقال : يا أمير المؤمنين، ما سمعتَ إلا خيرا . قال : أجل . فهل لك أن أولِّيك حَوْران؟ قال : نعم . فولاه إياها، فمات بها . فقال الحطيئة يرثيه :

رثاء الحطيئة علقمة

لَعمرى لنعم الحىُّ من آل جعفرٍ * بحَوْران أمسى أقصدته الحبائل

لقد أقصدَتْ جُودًا ومجدا وسؤددا * وحلما أصيلا خالفته المجاهل

فإن تَحى لا أَمْلَلْ حياتى وإن تمت * فما فى حياةٍ بعد موتك طائلُ

وفى أول هذه القصيدة التى رَثَى بها الحطيئة علقمة غناء نسبْته :

صـــوت

أرى العِيسَ تَحْدِى بين قَوٍّ فضارجٍ * كما لاح فى الصبح الأَشاءُ الحوامِلُ

فأَتبعتهـمْ عيـنَىَّ حتى تفرقَتْ * مع الليل عن ساق الفريدِ الجمَائل

فلأْيا قصرتُ الطرفَ عنهم بجَسرةٍ * أمـونٍ إذا واكلتُهـا لاتواكِلُ

٥ غنى فى هذه الأبيات سائب خاثر ثانىَ ثقيل بالوُسْطَى ، من رواية حماد بن إسحاق والمشامىّ .

* * *

رثاء لأبى العباس الأعمى فى بنى أمية

صـــوت

لَيتَ شـعرى أفاحَ رائحـةُ المسـ * ـكِ وما إنْ إخال بالخَيْف إنْسِى

١٠ حينَ غابَتْ بنو أُميّـةَ عنـه * والبهاليـلُ من بنى عبـد شمسِ

خُطَبـاءٌ على المنـابر فُرْسـا * نٌ عليهـا وقالةٌ غـيرُ خُرْسِ

إخال : أظن . خِلْت كذا وكذا، فأنا إخاله : إذا ظننته، وخال علىّ الشىءُ يَخيل : إذا شككت فيه . وليت شعرى : كلمة تقولها العـرب عند الشىء تحبُّ علمه ، وتسأل عنه .

١٥ وأخبرنى حبيب بن نصر المهلّبى قال : حدثنى عُمَر بن شَـبّة قال : سأل رجل أبا عبيدة : ما أصل "ليت شعرى"؟ فقال : كأنه قال : ليتنى شَعَرْت بكذا وكذا، ليتنى علمت حقيقته .

الشعر لأبى العباس الأعمى، والغناء لابن سُرَيج، رملٌ بالبنصر فى مجراها .

أخبار أبى العباس الأعمى

نسبه

هو السائب بن فرّوخ مولى بنى لَيث . وقيل إنه مولى بنى الدِّيل، وهذا القول هو الصحيح .

ذكر محمد بن معاوية الأسَدىّ، عن المدائنىّ والواقدىّ :

أن أبا العباس الأعمى الذى يَروى عنه حَبيب بن أبى ثابت، مولى جَذِيمة بن علىّ ابن الدِّيل[1] بن بكر بن عبد مناة، وكان من شعراء بنى أميةَ المعدودين، المقدمين فى مدحهم والتشيع لهم، وانصباب الهوى إليهم، وهو الذى يقول فى أبى الطفيل عامر بن واثلة، صاحب علىّ بن أبى طالب عليه السلام :

٦٠ / ١٥

لعمرُكَ إننى وأبا طُفَيلٍ * لمختلفان، والله الشهيدُ
أرى عثمانَ مهتديا ويأبى * متابعتى وآبَى ما يريد

أخبرنى بذلك وكيع عن حماد بن إسحاق، عن أبيه، عن أبيه، عن عبد الله بن أبى سعد .

رواية الحديث

وقد رَوَى أبو العباس الأعمى عن صدر من الصحابة الحديث، وروى عنه عطاء، وعمرو بن دينار، وحبيب بن أبى ثابت[2] .

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنا أبو عاصم عن ابن جريج عن عطاء عن أبى العباس الأعمى الشاعر، عن عبد الله بن عمر، قال : إنما جَمْعٌ[3] منزل تُدْلج منه إذا شئت .

(١) ف : على وبنى الديل . وفى نكت الهميان للصفدى : مولى لبنى جذيمة بن عدى بن الديل . نقله عن المرزبانى فى معجمه . (٢) قال الخزرجى فى الخلاصة : السائب بن فروخ المكى أبو العباس الشاعر . عن عبد الله بن عمرو وابن عمر . وعنه حبيب بن أبى ثابت ، وعمرو بن دينار . وثقه أحمد . وزاد الصفدى فى نكت الهميان : وروى له البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجة .
(٣) جمع : اسم المزدلفة .

قال : حدّثنا أحمد بن محمد بن دَلان(١) الحَيشى، قال : حدّثنا أحمد بن إسماعيل قال : حدّثنا أبو ضمرة قال : حدّثنى أبو الحارث بن عبد الرحمن، عن أبى ذئب، عن أبى العباس ، عن سعيد بن المسيب قال : قال على بن أبى طالب : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

٥ إسباغ الوضوء على المكاره ، و إعمال الأقدام إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، يغسل الخطايا غسلا .

حدّثنى : أحمد بن محمد بن سعيد الكوفى قال : حدّثنا أبو قلابة قال : حدّثنا بشر بن عمر قال : حدّثنا شعبة ، عن حبيب بن أبى ثابت، قال :

سمعت أبا العباس السائب بن فَرُّوخ الأعمى الشاعر يحدث عن عبد الله بن عمر،

١٠ قال :

جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم يستأذنه فى الجهاد، فقال: أحىٌّ والداك؟ قال : نعم . قال : ففيهما فجاهدْ .

لقاؤه المنصور فى طريقهما إلى الشام

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدّثنى يعقوب بن إسرائيل مولى المنصور قال : حدّثنا الفضل بن عبد الله الخَلَنجى بجُرجان قال : حدّثنى مسلم

١٥ ابن الوليد الأنصارىّ قال : سمعت يزيد بن مزيد يقول : سمعت هارون الرشيد يقول : سمعت المهدىّ يقول : سمعت المنصور يقول :

خرجت أريد الشأم أيام مَروان بن محمد، فصحبنى فى الطريق رجل ضرير، فسألته عن مقصده ، فأخبرنى أنه يريد مروان بشعر امتدحه به ، فاستنشدته إياه، فأنشدنى :

٢٠ ليتَ شِعرى أفاح رائحة المِسـ * ـك وما إن إخال بالخَيف إنسِى
حين غابت بنو أميّةَ عنه * والبهاليلُ من بنى عبْد شمسِ
خطباءَ على المنابر فُرْسا * نَ عليها وقالةٌ غير خُرْسِ

(١) كذا فى ف . وفى بقية الأصول : بلان .

لا يُعابون صامتين وإن قا * لوا أصابوا ولم يقولوا بلَبْس
بحُلوم إذا الحلوم تقضَّتْ(١) * ووجوه مثل الدنانير مُلْس

ويروى مكان « تقضت » : اضمحلت . قال : فوالله ما فرغ من إنشاده حتى توهمت أن العَمَى قد أدركنى ، وافترقنا . فلما أفضت الخلافة إلىّ خرجت حاجا ، فنزلت أمشى بجَبل زَرُود ، فبصُرت بالضرير ، ففرّقت من كان معى ، ثم دنوت منه فقلت : أتعرفنى ؟ قال : لا . فقلت : أنا رفيقك وأنت تريد الشام أيام مروان . فقال : أوَّهْ :

لقاؤه المنصور فى طريق الحج

٥

آمتْ نساءُ بنى أميّة منهمُ * وبناتُهمْ بمَضيعةٍ أيتامُ
نامتْ جدودُهم وأُسْقط نجمهمْ * والنجم يَسْقُط والجدود تَنام(٢)
خَلَتِ المنابرُ والأسرّةُ منهمُ * فعليهمُ حتى المماتِ سلامُ

٦١ / ١٥

١٠

فقلت : وكم كان مروان أعطاك بأبى أنت ؟ قال : أغنانى أن أسأل أحدا بعده . فهممت بقتله ، ثم ذكرت حق الاسترسال والصحبة ، فأمسكت عنه ، وغاب عن عينى ، فبدا لىَ فيه ، فأمرت بطلبه ، فكأنما البيداء بادت به .

قصة له مع امرأة ذات بعل

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال : حدّثنى عمر بن شبة قال : قال أبو عبيدة :

١٥

هَوِى أبو العباس الأعمى امرأة ذات بعل ، فراسلها ، فأعلمت زوجها ، فقال : أطمعيه . فأطمعته . ثم قال : أرسلى إليه فليأتك . فأرسلت إليه ، فأتاها ، وجلس زوجها إلى جانبها ، فقال لها أبو العباس : إنك قد وُصِفْت لنا وما نراك ، فألْمسينا . فأخذت يده ، فوضعتها على أير زوجها ، فنفر ، وعلم أنْ قد كِيد ، فنهض من عندها ، وقال :

٢٠

(١) ف : استخفت . (٢) كذا فى ف . وفى بقية الأصول : « نيام » .

صـــوت

عليَّ أَلِيَّـــةٌ ما دمت حيّـا * أَمَسُّـك طائعـا إلا بعُـودِ
ولا أَهدِى لأرضٍ أنتِ فيها * ســلامَ الله إلّا من بعيــدِ
رجوتُ غنيمة فوضعت كفّى * على أيرٍ أشـدَّ من الحـديدِ
فخير منـكِ من لا خيرَ فيــهِ * وخيرٌ من زيارتكمْ قُعــودِى

٥

وقرأت هذه الحكاية مرويّة عن الأصمعىّ غيرَ مذكور راويها عنه . وزعم أن بشارا صاحب القصة ، وأنه كان له مجلس يسمّيه البَرْدان ، يجتمع إليه فيه النساء ، فعشق هذه المرأة وقـد سمع كلامها . ثم ذكر الخبر بطوله ، وقال فيه : فلما وصل إليهـا أنشأ يقول :

١٠

مُلَيكةُ قد وُصِفتِ لنا بحسنٍ * وإنا لا نراكِ فأَلمِسينا

فأخذ زوجها يده ، فوضعها على أَيره .

ذكر إسحاق أن فى البيتين الأولين والرابع من هذه الأبيات ، لحنا من خفيف الثقيل ، بالسبابة فى مجرى الوسطى ، ولم ينسبه إلى أحد . ووجدته فى غناء عَمْرو ابن بانة فى هذه الطريقة منسوبا إليه ، فلا أدرى هو ذلك اللحن أو غيره .

١٥

كان يحض بنى أمية على ابن الزبير

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال : حدّثنا عمر بن شَبّة قال : حدّثنى أيوب بن عمر أبو سلمة قال :

قال أبو العباس الأعمى ، مولى بنى الدِّيل بن بكر ، يَحض بنى أميةَ على عبد الله ابن الزُّبير :

أبنى أميــةَ لا أرى لَكُم * شِبْهـا إذا ما التفّتِ الشِّيَعُ
سَعَةً وأحلاما إذا نَزِعَتْ * أهلُ الحلوم فضرَّها النَّزَعُ[1]

٢٠

(١) ف : فقصرها .

وحفيظةً فى كل نائبـــةٍ * شهباءَ لا يُنْهَى لهـا الرُّبَعُ

اللهُ أعطاكمْ وإنْ رغمتْ * من ذاك أنفُ معاشرٍ رَتَعُوا

أبنى أميــةَ غيرَ أنكمُ * والناس فيما أُطمِعوا طمِعوا

أَطْمَعْـتُمُ فيـكمْ عَدُوَّكُمُ * فسما بهمْ فى ذاكُمُ الطَّمَعُ

فَلَو ٱنَّكمْ كنتمْ لقـــولكمُ * مثلَ الذى كانوا لكمْ رجَعوا

عمـا كرهتمْ أو لَرَدَّهُمُ * حذرُ العقوبة إنهـا تَزَعُ

وله أشعار كثيرة فى مدائح بنى أمية ، وهجاء آل الزُّبير ، وأكثرها فى هجاء عمرو بن الزبير ، ليس ذكرها مما قصدنا له .

٦٢/١٥ ونسختُ من كتاب قعنب بن المُحْرز قال : حدّثنا المدائنىّ ، عن جُوَيْرِية بن أسمـاء :

أبو العباس يهجو ابن الزبير

أن ٱبن الزبير رأى رجلا من حُلَفاء بنى أســد بن عبد العُـزَّى فى حالة رَثَّة ، فكساه ثوبين ، وأمر له ببُرٍّ وتمر ، فقال أبو العباس الأعمى فى ذلك :

صـــــوت

كَسَتْ أسَدٌ إخوانَها ولَوَ ٱننى * ببلدةِ إخـوانى إذًا لكُسِيتُ

فلم ترعينى مثـل حىٍّ تَحمَّـلوا * إلى الشأم مظلومين منذ بُرِيتُ

غنى فى هــذين البيتين دُحمان ثقيــلَ أول بالبنصر ، من رواية ٱبن المكى ، ورأيت فى بعض الكتب لزرزور غلام المـارقىّ فيهما صنعة أيضا .

أبو العباس يهجو البعيث المجاشعى

وقال محمد بن معاوية : حدّثنى المدائنىّ قال :

قــدم البَعيثُ المجاشِعِىّ مكة ، وكان أبو العبـاس الأعمى الشـاعر لا يكاد يفارقها ، وكانت جوائز أميــةَ تأتيه من الشام ، وكانت قريشٌ كلّها تَبَرُّه للسانه ،

(١) كذا فى ف : وفى الأصول : رفعوا .

وتقرُّبا إلى بنى أمية ببرّه . قال : فصلى البعيث مع الناس ، وسأل فى حالة كانت عليه ، وكان سؤولا ملحًّا شديد الطمع ، وكان الرجل من قريش يأتيه بالشىء يحمّله عنه ، فيقول : لا أقبله إلا أن تجىء معى إلى الصرّاف حتى ينقده ويزنه ، فإن لم يفعل ذمه وهجاه . فشكوه إلى أبى العباس الأعمى ، فقال : قودونى إليه ،
٥ ففعلوا . فلما عرف مجلسه رفع عصاه ، فضرب بها رأسه ، ثم قال له :

فهلْ أنتَ إلا مُلْصَقٌ فى مُجاشِعٍ * نَفاكَ جريرٌ فاضْطُرِرْتَ إلى نَجْدِ

ويروى : * نفاك جرير بالهجاء إلى نجد *

تظلُّ إذا أُعطيتَ شيئا سألتَه * تطالبُ من أعطاك بالوزن والنقدِ

فلا تَطْمَعَنْ من بعدِ ذا فى عطيّةٍ * وثِقْ بقبيح المنعِ والدفعِ والردِّ

١٠ فلستَ بمُبْقٍ فى قريش خِزَايةً * تُذَمّ ولو أبعدْت فيه مَدَى الجهدِ(١)

قال فتضاحك به مَن حضر ، واستحيا ولم يُحِرْ جوابا . فلما جنّ الليل عليه هرب من مكة .

وقال قعنب بن المحرز : حدّثنى المدائنىّ قال :

عبد الملك يستنشده مديحه فى مصعب

قال عبد الملك بن مروان لأبى العباس الأعمى مولى بنى الدِّيل : أنشدنى
١٥ مديحك مُصْعَبا . فاستعفاه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنما رثيته بذلك لأنه كان صديقى ، وقد علمتَ أن هواىَ أموىّ . قال : صدقت ، ولكن أنشدنى ما قلته . فأنشده :

يرحمُ الله مصعبًا فلقد ما * تَ كريمًا ورامَ أمرا جسيما

فقال عبد الملك : أَجَلْ ، لقد مات كريما . ثم تمثل :

ولكنه رامَ التى لا يرومُها * من الناس إلا كلّ خِرْقٍ(٢) مُعَمَّمِ

٢٠ (١) ف : فلست بمستبق قريشا خزاية * ... ولو أنفدت فيه مدى الدهر
(٢) خرق : كذا فى ف ، وهو السيد الكريم . وفى بعض الأصول : حرّ .

أخبرنا محمد بن خلف بن المرزبان . قال حدّثنى إسحاق بن محمد الأموى قال :

عبد الملك يقسم على بنى أمية أن يخلعوا على أبى العباس

لما حج عبد الملك بن مروان جلس للناس بمكة ، فدخلوا إليه على مراتبهم ، وقامت الشعراء والخطباء فتكلموا ، ودخل أبو العباس الأعمى ، فلما رآه عبد الملك قال : مرحبا مرحبا بك يا أبا العباس ، أخبرنى بخبر المُلْحِد المُحِلّ حيث كسا أشياعه ولم يكسك ، وأنشدنى ما قلت فى ذلك .

فأخبره بخبر ابن الزبير ، وأنه كسا بنى أسد وأحلافها ولم يكسه ، وأنشده الأبيات . فقال عبد الملك : أقسم على كل من حضرنى من بنى أمية وأحلافهم ومواليهم ، ثم على كل من حضرنى من أوليائى وشيعتى على دعوتهم ، إلا كسا أبا العباس .

٦٣/١٥

فخُلعت والله حُلَل الوشى والخز والقُوهِىّ ، وجُعِلت تُرمَى عليه ، حتى إذا غطته نهض بجلس فوق ما اجتمع منها وطُرِح عليه ، قال : حتى رأيت فى الدار من الثياب ما ستَر عنى عبد الملك وجلساءه ، وأمر له عبد الملك بمئة ألف درهم .

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدّثنى علىّ بن محمد بن سليمان النوفلىّ . قال : حدّثنى أبى وأهلى :

أبو العباس يهجو ابن الزبير لما نفاه إلى الطائف

أن عبد الله بن الزبير لما غلب على الحجاز ، جعل يتتبع شيعة بنى مروان ، فينفيهم عن المدينة ومكة ، حتى لم يبق بهما أحد منهم ، ثم بلغه عن أبى العباس الأعمى الشاعر نبذ من كلام ، وأنه يكاتب بنى مروان بعَوراته ، ويمدح عبد الملك ، وتجيئه جوائزه وصلاته ، فدعا به ، ثم أغلظ له ، وهمّ به ، ثم كُلِّم

فيه ، وقيل له : رجل مضرور . فعفا عنه ، ونفاه إلى الطائف ، فأنشأ يقول يهجوه ويهجو آل الزبير :

بني أسد لا تذكروا الفخرَ إنكمْ * متى تذكروه تُكذَبوا وتُحمَّقوا
بُعَيْداتِ بَيْنٍ[1] خيرُكم لصديقكمْ * وشرُّكمُ يغدو عليه ويَطْرُقُ
متى تُسألوا فضلا تَضَنّوا وتَبخلوا * ونيرانُكمْ بالشرّ فيها تَحرُّقُ
إذا استبقت يوما قريش خرجتُمُ * بني أسدٍ سُكْتًا وذو المجد يسبق
تجيئون خلف القوم سودا وجوهكمْ * إذا ما قريش للأضاميم[2] أصفقوا
وما ذاك إلا أنّ للّؤم طابَعًا * يلوح عليكمْ وسْمُه ليس يَخْلُقُ

بينه وبين عمر ابن أبي ربيعة

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العلاء قال : حدّثني عمي مُصْعَب قال :

قال عمر بن أبي ربيعة لأبي العباس الأعمى الشاعر مولى بني الدِّيل بن بكر :

أفتِني إن كنتَ ثَقْفا[3] شاعرا * عن فتًى أعرجَ أعمى مختلِفْ
سيّئِ السَّحْنة كابٍ لونُه * مثلِ عود الخروع البالي القصِفْ

فقال أبو العباس يرد عليه :

أنت الفتى وابن الفتى وأخو الفتى[4] * وسيّدُنا لولا خلائقُ أربعُ
نُكولك في الهيجا وتَقْوالُك الخنا * وشتمك للمولى وأنك تُبَّعُ

قال الزبير : يقال رجل تِبْع نساء وتُبَّع نساء : إذا كان كَلِفا بهن .

أخبرني الحَرَميّ قال : حدّثنا الزبير قال: حدثني عمي قال : حدّثني المكّيّون :

(١) في (اللسان : بعد) : أبو عبيد : يقال : « لقيته بعيدات بين » : إذا لقيته بعد حين . وهو من ظروف الزمان التي لا تمكن ، ولا تستعمل إلا ظرفا . (٢) الأضاميم : الجماعات ، واحدها إضمامة . وأصفقوا لهم : جاءوهم من الطعام بما يشبعهم . (٣) الثقف : الحاذق الخفيف .
(٤) الشعر من الطويل . وفي الشطر الأول منه خرم .

أن عمر بن أبى ربيعة كان يُرامى جارية لأبى العباس الأعمى ببنادق الغالية ، فبلغ ذلك أبا العباس ، فقال لقائده : قفنى على باب بنى مخزوم ، فإذا مرّ عمر ابن أبى ربيعة، فضع يدى عليه ، فلما مرّ عمر وضع يده عليه، فأخذ بحُجْزته ، وقال :

ألا من يشترى جارا نَئُوما * بجار لا ينام ولا يُنيمُ
ويلبس بالنهار ثيابَ ناسٍ * وشَطْرَ الليلِ شيطانٌ رجيمُ

فنهضت إليه بنو مخزوم، فأمسكوا فه، وضَمِنوا له عن عمر أن لا يعاود ما يكرهه .

* * *

صوت

صوت لأبى حية النميرى

ألا حىَّ من أجل الحبيب المَغانيا * لَبِسن البلى لما لَبِسن اللياليا
إذا ما تقاضى المرءَ يومٌ وليلةٌ * تقاضاه شىء لا يملّ التقاضيا

٦٤ / ١٥

الشعر لأبى حيّةَ النُّميرىّ . والغناء لأحمد بن يحيى المكىّ، خفيفُ رَمَلٍ بالبنصر، عن الهشامىّ .

أخبار أبي حَيَّة النُّمَيرِيّ ونسبه

نسب

أبو حيـة : الهيثم بن الربيع بن زُرارة بن كثير بن جَناب بن كعب بن مالك ابن عامر بن نُمَير بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عِكرمة بن خَصَفة بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر بن نزار .

٥ وكان يقال لمالك الأصقع . وقال قوم : إن الأصقع هو الأصمّ بن مالك بن جَناب بن كعب .

مكانته في الشعر

وأبو حية شاعر مُجيد مُقدَّم، من مُخَضْرمى الدولتين : الأموية والعباسية ، وقد مدح الخلفاء فيهما جميعا، وكان فصيحا مُقَصِّدا راجزا، من ساكنى البصرة ، وكان أهوج جبانا بخيلا كذابا ، معروفا بذلك أجمع . وكان أبو عمرو بن العلاء ١٠ يقدّمه . وقيل إنه كان يُصْرَع .

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدّثنا أحمد بن زهير قال : حدّثني محمد بن سلّام الجمحيّ . وأخبرني علي بن سليمان الأخفش قال : حدّثنا محمد بن يزيد . وأخبرني إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة ، قالوا :

سيفه لعاب المنية

كان لأبي حيةَ سيف يسميه لُعابَ المَنية ، ليس بينه وبين الخشبة فرق ، ١٥ وكان من أجبن الناس .

قال : فحدّثني جار له قال : دخل ليلة إلى بيته كلب ، فظنه لصّا ، فأشرفتُ عليه وقد انتضى سيفَه لعابَ المنية ، وهو واقف في وسط الدار وهو يقول : أيها المغترّ بنا ، والمجترئ علينا ، بئس والله ما اخترت لنفسك ، خير قليل ، وسيف صقيل ، لعاب المنية الذى سمعت به ، مشهورة ضَرْبتُه ، لا تُخاف نَبْوته . اخرج

بالعفو عنك ، قبل أن أدخل بالعقوبة عليك . إنى والله إن أدعُ قيسا إليك لا تقُم لها ، وما قيس ؟ تملا والله الفضاء خيلا ورَجْلا ، سبحان الله ! ما أكثرها وأطيبها ! فبينا هو كذلك إذ خرج الكلب ، فقال : الحمد لله الذى مسخك كلبا ، وكفانى حربا .

طرائف من أخباره

أخبرنى محمد بن خلف وكيعٌ قال : حدّثنى محمد بن علىّ بن حمزة قال: حدّثنى أبو عثمان المازنىُّ قال : حدّثنى سعيد بن مَسْعدة الأخفش قال :

قال أبو حية النميرى : أتدرى ما يقول القَدَرِيون ؟ قلت : لا . قال : يقولون : الله لا يكلف العباد ما لا يُطيقون ، ولا يسألهم ما لا يَجدون ، وصدق والله القَدَريّون ، ولكنى لا أقول كما يقولون .

قال محمد بن على بن حمزة : وحدّثنى أبو عثمان قال :

قال سَلَمة بن عياش لأبى حية النُّميرىّ : أتدرى بما يقول الناس ؟ قال : وما يقولون ؟ قال : يقولون إنى أشعر منك . قال : إنا لله ! هلكَ والله الناس !

قال : وكان أبو حية النميرىّ مجنونا يُصْرَع ، وقد أدرك هشام بن عبد الملك .

أخبرنى محمد بن الحسن بن دريد قال : حدّثنا عبد الرحمن بن أخى الأصمعىّ قال : سمعت عمى يقول :

أبو حية فى الشعراء كالرجل الرَّبْعة ، لا يعدّ طويلا ولا قصيرا .

قال : وسمعت أبا عمرو يقول : هو أشعر فى عُظْم الشعر من الراعى .

أخبرنى الحسن بن علىّ وعلىّ بن سليمان الأخفش ، قالا : حدّثنا محمد بن يزيد المبرد قال : حدثنى عبد الصمد بن المعذّل . وأخبرنا إبراهيم بن محمد بن أيوب قال : حدّثنا عبد الله بن مسلم ، قالوا :

كان من أكذب الناس
٦٥
١٥

كان أبو حية النميرىّ من أكذب الناس، فحدث يوما أنه يخرج إلى الصحراء، فيدعو الغربان فتقع حوله، فيأخذ منها ما شاء . فقيل له : يا أبا حية، أرأيت إن أخرجناك إلى الصحراء فدعوتها فلم تأتك، فما نصنع بك ؟ قال : أبعدها الله إذن !

٥ قال : وحدثنا يوما قال : عن لى ظبى يوما فرميته، فراغ عن سهمى، فعارضه السهم، ثم راغ، فعارضه السهم، فما زال والله يروغ ويعارضه حتى صرعه ببعض الجبّانات .

قال : وقال يوما : رميت والله ظبية ، فلما نفذ سهمى عن القوس ، ذكرت بالظبية حبيبة لى، فعدَوت خلف السهم، حتى قبضت على قُذَذه قبل أن يدركها.

١٠ وذكر يحيى بن علىّ عن الحسن بن عُلَيل العَنَزىّ قال : قال الرياشىّ ، عن الأصمعىّ قال :

يمدح المنصور ويهجو بنى حسن

وفد أبو حية النميرىّ على المنصور وقد امتدحه ، وهجا بنى حسن بقصيدته التى أولها :

عُوجا نحىِّ ديار الحىّ بالسَّنَدِ * وهل بتلك الديارِ اليوم من أحدِ

١٥ يقول فيها :

أحين شِيمَ فلم يترك لهم ترَةً * سيفٌ تقلّده الرِّئبال ذو اللِّبَدِ

سللتموه عليكم يا بنى حسنٍ * ما إنْ لكم من فلاحٍ آخرَ الأبد

قد أصبحتْ لبنى العباس صافيةً * لجدع آناف أهل البغى والحسد

وأصبحت كلَهاة الليثِ فى فمه * ومَنْ يحاولُ شيئا فى فم الأسد؟

نزوله عند خمارة بالحيرة

٢٠ فوصله أبو جعفر بشىء دون ما كان يؤمل ؛ فاحتجن لعيا له أكثره ، وصار إلى الحيرة ، فشرب عند خمّارة بها ، فأعجبه الشرب ، فكره إنفاد ما معه ، وأحب أن

يدوم له ما كان فيه ، فسأل الخمارة أن تبيعه بنسيئة ، وأعلمها أنه مدح الخليفة وجماعة من القواد ، ففعلت وشرهت إلى فضل النسيئة ، وكان لأبى حيةَ أير كعنق الظليم ، فأبرز لها عنه ، فتدلهّتَ ، وكانت كلما سقته خَطّت فى الحائط ، فأنشأ أبو حية يقول :

إذا أسقيتنى كُوزا بخَطٍّ * تُخطِّى ما بدا لك فى الجدار

فإن أعطيتنى عينا بدين * فهاتى العَيْن وانتظرى ضِمارى[1]

خرقتُ مقدّما من جنب ثوبى * حِيال مكان ذاك من الإزار

فقالت ويلَها : رجل ويمشى * بما يمشى به عُجَرُ الحمار[2]

وقالت : ماتريد؟ فقلت : خيرا * نسيئةَ ما علىّ إلى يسارى

فصدّت بعد ما نظرت إليه * وقد ألحتُّها عُنُق الحُوار

بينه وبين ابن مناذر

أخبرنى إبراهيم بن أيوب عن عبد الله بن مسلم قال :

لقى ابن مناذر أبا حية ، فقال له : أنشدنى بعضَ شعرك . فأنشده :

* ألا حى من أجل الحبيب المغانيا *

فقال له ابن مُناذر : وهذا شعر؟ فقال أبو حية : ما فى شعرى عيب هو شر من أنك تسمعه . ثم أنشده ابن مناذر شيئا من شعره ، فقال له أبو حية : قد عرفتك ما قصتك ؟

وهذه القصيدة يفخر فيها أبو حية ، ويذكر يوم النَّشّاش[3] ، وهو يوم لبنى نُمَير .

(١) الضمار : الوعد المسوف ، أو الدين لا يرجى حصوله .

(٢) العجر : جمع عجرة : العروق المتعقدة فى الجسد ، يريد أير الحمار ، لما فيه من التعقيد .

(٣) النشاش : واد لبنى نمير كانت به وقعة بين بنى نمير وأهل اليمامة (التاج) .

أخبار أحمد بن يحيى المكّى

التعريف به

أحمد بن يحيى بن مرزوق المكىّ ، ويكنى أبا جعفر . وكان يلقب ظُنْبُنَا[1] .
وقد تقدم ذكر أبيه وأخباره . وهو أحد المحسنين المبرّزين، الرواة للغناء، المحكمى
الصنعة . وكان إسحاق يقدّمه ويؤثره ، ويُشيد بذكره ، ويَجهر بتفضيله ، وكتابه
«المجرد» فى الأغانى ونِسَبها أصل من الأصول المعمول عليها، وما أعرف كتابا بعد
كتاب إسحاق الذى ألفه لشجا[2] ، يقارب كتابه ، ولا يقاس به ، وكان مع جودة
غنائه وحسن صنعته ، أحد الضراب الموصوفين المتقدمين .

٦٦ / ١٥

أخبرنى عمى قال : حدثنى أبو عبد الله الهشامىّ ، عن محمد بن أحمد المكىّ :
أن أباه[3] جمع لمحمد بن عبد الله بن طاهر ديوانا للغناء ونِسَبه وجنسه ، فكان
محتويا على أربعة عشر ألف صوت .

أخبرنى جحظة قال : حدثنى علىّ بن يحيى ، ونسخت من بعض الكتب :
حدثنى محمد بن أحمد المكى قال : حدثنى علىّ بن يحيى قال :

بكم كانوا يقومون فنه

- قلت لإسحاق بن إبراهيم الموصلىّ وقد جرى ذكر أحمد بن يحيى المكى :
يا أبا محمد، لو كان أبو جعفر أحمد بن يحيى المكى مملوكا، كم كان يساوى ؟ فقال :
أخبرك عن ذلك .

(١) فى نهاية الأرب (٤ : ٣٢١) : طنبنا ، بالطاء المهملة .

(٢) كذا فى الأصول . ولإسحاق أكثر من كتاب ، ولعله يقصد أحد كتابين له : ما ألفه للواثق وكتاب الشركة الذى كتب مقدمته وأكمله سندى بن على (انظر مصادر الموسيقى العربية ٢٤ — ٢٨) .

(٣) سقط من (ف) بقية هذا الخبر وما بعده إلى ص ٣١٣ .

آنصرفت ليلة من دار الواثق ، فاجتزت بدار الحسن بن وهب ، فدخلت إليه، فإذا أحمد عنده، فلما قام لصلاة العشاء الآخرة، قال لى الحسن بن وهب : كم يساوى أحمد لو كان مملوكا ؟ قلت : يساوى عشرين ألف دينار . قال : ثم رجع فغنى صوتا، فقال لى الحسن بن وهب : يا أبا محمد، أضعفها. قال : ثم تغنى صوتا آخر، فقلت للحسن : يا أبا علىّ أضعفها . ثم أردت الانصراف ، فقلت لأحمد : غنى :

صوت

لولا الحياءُ وأن السِّتْر من خُلُق * إذن قعدتُ إليكَ الدهرَ لم أقُم
أليس عندك شُكر للتى جعلت * ما ابيضّ من قادمات الرأس كالحُمَم

الغناء فيه لمعبد، خفيف ثقيل أول فى مجرى البنصر، عن إسحاق. وذكر عمرو بن بانة أنه لمالك، وليس كما قال، لحن مالك ثقيل أول ذكره الهشامىّ ودنانير وغيرهما .

قال: فغناه أحمد بن يحيى المكى، فأحسن فيه كل الإحسان. فلما قمت للانصراف قلت للحسن : يا أبا علىّ ، أضعف الجميع . فقال له أحمد : ما هذا الذى أسمعكما تقولانه ، ولست أدرى ما معناه . قال : نحن نبيعك ونشتريك منذ الليلة وأنت لا تدرى .

وأخبرنا بهذا الخبر يحيى بن علىّ بن يحيى، عن أخيه أحمد بن علىّ، عن عافية ابن شبيب، عن أبى حاتم، قال :

كان إسحاق عندنا فى منزل أبى علىّ الحسن بن وهب ، وعندنا ظنين بن المكىّ ، وذكر الحديث مثله ، وقال فيه : إنه قوّمه مئة ألف درهم ، وذكر أن الصوت الذى غناه آخرا :

صـــوت

أمِن دِمَنٍ وخَيمٍ باليـاتٍ * وسُفْعٍ كالحمائم جاثماتِ
أرقتَ لهنّ شطرَ الليل حتى * طلعن من المناقب مُنجِداتِ

وأن إسحاق لمّا سمعه قال : كم كنت قوّمتــه ؟ قال : مئة ألف درهم . قال :
٥ أضعفوا القيمة . قيمته مِئتا ألفِ درهم .

فى هذين البيتين لحن من القدر الأوسط من الثقيل الأول ، بالسبابة فى مجرى الوسطى ، ينسب إلى ابن مِسجح ، و إلى ابن محرز . وفيه لابن سريج ثانى ثقيل بالوسطى، عن عمرو . وللغريض خفيف ثقيل عن الهشامى .

أخبرنى جحظة قال : حدثنى محمد بن أحمد المكى قال :

١٠ ناظر أبى بعضَ المغنين ذات ليلة بين يدى المعتصم، وطال تلاحيهما فى الغناء، فقال أبى للمعتصم ، يا أمير المؤمنين ، من شاء منهم فليغنّ عشرة أصوات لا أعرف منها ثلاثة، وأنا أغنى عشرة وعشرة وعشرة، لا يعرف أحد منهم صوتا منها . فقال إسحاق : صدق يا أمير المؤمنين . واتبعه ابن بُسْخُنَّر وعَلُّويه[(١)]، فقالا : صدق يا أمير المؤمنين إسحاق فيما يقوله . فأمر له بعشرين ألف درهم .

مناظرته للمغنين
٦٧/١٥

١٥ قال محمد : ثم عاد ذلك الرجل إلى مماظّته يوما ، فقال له : قد دعوتك إلى النَّصَفة ، فلم تقبل ، وأنا أدعوك وأبدأ بمـا دعوتك إليه ، فاندفع فغنى عشرة أصوات ، فلم يعرف أحد منهم منها صوتا واحدا ، كلها من الغناء القديم ، والغناء اللاحق به من صنعة المكّيين الحُذّاق الخاملى الذكر ، فاستحسن المعتصم منها صوتا ، وأسكت المغنين له ، واستعاده مرات عدّة ، ولم يزل يشرب عليه سحابة يومه ، وأمر ألا يراجعَ أحدا

٢٠ (١) إلى هنا ينتهى الساقط من (ف) .

من المغنين كلاما ، ولا يعارضه أحدٌ منهم ، إذ كان قد أبرّطيهم ، وأوضح الحجة فى انقطاعهم ، وإدحاض حُجَجهم .

كان الصوت الذى اختاره المعتصم عليه ، وأمر له لما سمعه بألفى دينار :

صــــوت

لعنَ الله من يلوم محبًّا * ولحى الله من يُحَبُّ فيأبَى ٥

رُبَّ إلفين أضمرا الحُبَّ دهرا * فعفا الله عنهما حين تابا

الغناء ليحيى المكى رَمَل .

قال محمد، قال أبى :

وكان المعتصم قد خلع علينا فى ذلك اليوم ممَاطر لها شأن من ألوان شتى ، فسألنى عبد الوهاب بن علىّ أن أرد عليه هذا الصوت ، وجعل لى مِمْطره ، فغنيته ١٠ إياه ، فلما خرجنا للانصراف إلى منازلنا أمر غلمانه بدفع الممطر إلى غلمانى ، فسلموه إليهم .

أخبرنى عبد الله بن الربيع ، عن أبيه ، قال : حدثنى محمد بن عبد الله ابن مالك قال :

ثناء إسحاق الموصلى عليه

سألنى إسحاق بن إبراهيم الموصلى يوما : مَنْ بقى من المُغنين ؟ قلت : وجْه ١٥ القَرعة محمد بن عيسى، مولى عيسى بن جعفر . فقال : صالح كَيِّس . ومَن أيضا ؟ قلت : أحمد بن يحيى المكى . قال بَخٍ بَخٍ ! ذاك المحسن المُجمل الضارب المغنّى القائم بمجلسه، لا يحوج أهل المجلس إلى غيره . ومن بأبى أنت ؟ قلت : ابن مقامرة . قال : لا والله ما سمعت بهذا قطّ . فمن مُقامرة هذه ؟ زامرة أم نائحة أم مغنية ؟ قلت : لا . ولكنها من الناس، وليست من أهل صناعته . قال : ومن أيضا ٢٠

بأبى أنت ؟ قلت : يحيى بن القاسم ابن أخى سَلَمة . قال : الذى كان له اخ يغنى مرتجِلا ؟ قلت : نعم . قال : لم يحسن ذاك ولا أبوه شيئا قطّ ، ولا أشك أن هذا كذلك ، لأنهما مؤدِّباه .

غناؤه فى مدح خالد بن يزيد بن مزيد

وذكر ابن المكى عن أبيه قال :

٥ قال المعتصم يوما لجلسائه ونحن عنده : خلعتُ اليوم على فتى شريف ظريف نظيف ، حسن الوجه ، شجاع القلب ، ووليته المَصيصَة ونواحيها . فقلنا : من هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال : خالدُ بن يزيدَ بن مَزْيد . فقال عَلُّوْيَه : يا أحمد غنّ أمير المؤمنين صوتك فى مدح خالد ، فأمسكتُ عنه . فقال المعتصم : مالك لا تجيبه ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين ، ليس هو مما يغنّى بحضرة الخليفة . فقال : مامن أن تغنيه

١٠ بدّ . قال : فغنيته صنعة لى فى هذا الشعر :

صـــوت

عَلَّمَ النّـاسَ خالدُ بنُ يزيدِ * كلَّ حلم وكل بأسٍ وجُودِ

فترى الناسَ هيبةً حين يبدو * مِن قيامٍ ورُكَّعٍ وسجودِ

٦٨/١٥

فقال المعتصم : ياسمـانة [1] ، خذ أحمد بإلقاء هذا الصوت على الجوارى فى غد ،

١٥ وأمر لى بعشرة آلاف درهم .

غناؤه الأمين

قال : وغنى أبى يوما محمدا الأمين :

صـــوت

فعش عُمْرَ نوحٍ فى سرورٍ وغِبْطَةٍ * وفى خفضِ عيشٍ ليس فى طوله إثمُ

تساعدُك الأقـدارُ فيـه وتنثنِى * إليك وترعَى فضلَكَ العُرْبُ والعُجْمُ

٢٠ فأمر له بخمس مئة دينار .

(١) كذا فى ف . وفى بعض الأصول : ثمـامة .

وفاتـــه

وتوفى أحمد بن يحيى المكّىّ فى خلافة المستعين فى أوّلها .

أخبرنى بذلك جَحظة البرمكىّ ، عن محمــد بن أحمد بن يحــيى المكى : أن أباه تُوُفِّىَ فى هذا الوقت .

انقضت أخباره .

٥

صـــــوت

صوت من غزل لجـرير

إن الذين غَدَوا بلُبِّك غادروا * وشَــلا بعينك ما يزال مَعِينا

غَيَّضْن من عبراتهن وقلن لى : * ماذا لقيتَ من الهوى ولقينا؟

غادروا : تركوا . والوشَل : المـاء القليــل . والمَعِين : المـاء الصافى الجارى .

١٠

وغَيَّضن من عبراتهن : أى كففنها ومسحنها حتى تغيض .

الشعر لجرير، والغناء لإسحاق، رَمَل بالوسطى، عن عمرو . وهو من طريف أرمال إسحاق وعيونها . وفيه لابن سريج ثقيل أول بالبنصر، عن الهشامىّ وعمرو . وذكر على بن يحيى أن فيــه لابن سريج رملا آخر . وذكر عيسى أن الثقيل الأوّل لإبراهيم، وأن فيه للهُذلِىّ ثانى ثقيل بالوسطى، ولإبراهيم أيضا ماخورىّ بالبنصر .

[من غــــزل جرير]

تنازع العلماء في هذا الشعر

وقد أخبرني إبراهيم بن محمد بن أيوب الصائغ قال : حدّثنا عبد الله بن مسلم ابن قتيبة :

أن هذين البيتين للمَعْلوط ، وأن جريرا سرقهما منه ، وأدخلهما في شعره .

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العلاء قال : حدّثنا الزبير بن بكّار قال : حدّثني عمي وغيره قالوا :

أبو السائب المخزومي وغزل جرير

غدا عبد الله بن مسلم بن جُنْدَب الهُذَلي على أبي السائب المخزوميّ في منزله، فلما خرج إليه أبو السائب أنشده قول جرير :

إن الذين غَدَوا بلبك غادروا * وشَلًا بعينك لا يزال مَعِينا

البيتين . فحلف أبو السائب ألّا يَرُدّ على أحد سلاما، ولا يكلّمه إلا بهذين البيتين، حتى يرجع إلى منزله . فخرجا ، فلقيهما عبد العزيز بن المُطَّلِب وهو قاض ، وكانا يُدْعَيان القرينين لملازمتهما، فلما رآهما قال: كيف أصبح القرينان؟ فغمز أبو السائب ابنَ جنـدَب : أن أخبِره[(1)] بالقصّة، وابن جُندَب يتغافل ، فقال لابن جندب : ما لأبي السائب ؟ فجعل أبو السائب يغمزه، أي أخبره يميني[(1)] . قال ابن جندب: أحمد الله إليك، ما زلت منكرا لفعله منذ خرجنا . فانصرف ابن المطلب إلى منزله والخصوم ينتظرونه، فصرفهم[(2)] ودخل منزله مغتما . فلما أتى أبو السائب منزله ، وبَرّت يمينه، خرج إلى ابن جندب فقال: اذهب بنا إلى ابن المطلب، فإني أخاف أن يردّ شهادتي . فاستأذنا عليه ، فأذن لهما فقال له أبو السائب : قد علمت —

(١–١) كذا في ف . وفي الأصول : يميني ، فأنشده أبو السائب البيتين ، ولم يردّ سلاما ، وجعل يغمز ابن جندب أن يخبره بالقصة ، وابن جندب يتغافل ، فقال لابن جندب : ما لأبي السائب ، فجعل أبو السائب يغمز ابن جندب أن يخبره يميني . (٢) ف : فصرفهم الخبر .

أعزك الله — غرامى بالشعر ؛ وإن هذا الضالّ جاءنى حين خرجت من منزلى ، فأنشدنى بيتين ، فحلفت ألا أرد على أحد سلاما ، ولا أكلمه إلا بهما ، حتى أرجع إلى منزلى . فقال ابن المطلب : اللهم غَفْرًا ! ألا تترك المجون يا أبا السائب .

٦٩
١٥

أخبرنى : الحَرَمىّ قال : حدّثنا الزبير بن بكار قال : حدّثنى عبد المطلب ابن عبد العزيز قال :

٥

أنشدت أبا السائب قول جرير :

غَيَّضْنَ مِن عَبَراتهن وقُلْنَ لى * ماذا لقيتَ من الهوى ولقينا!

فقال : يابن أخى ، أتدرى ما التغييض ؟ قلت : لا . قال : هكذا ، وأشار بأصبعه إلى جفنه ، كأنه يأخذ الدمع ثم ينضحه .

أخبرنى الحَرَمىّ قال : حدّثنا الزبير بن بكار قال : حدّثنا المدائنىّ . وأخبرنا محمد بن العباس اليزيدىّ ، عن أحمد بن زهير ، عن الزبير بن بكار قال : عن المدائنىّ قال :

١٠

ابن أبى عتيق وبيت جرير

شهد رجل عند قاض بشهادة ، فقيل له : من يعرفك ؟ قال : ابن أبى عَتيق . فبعث إليه يسأله عنه . فقال : عدلٌ رِضًا . فقيل له : أكنت تعرفه قبل اليوم ؟ قال : لا . ولكنى سمعته ينشد :

١٥

غَيَّضْن من عَبَراتهن وقُلْن لى * ماذا لقيتَ من الهوى ولقينا!

فعلمت أن هذا لا يرسَخ إلا فى قلب مؤمن ، فشهدت له بالعدالة .

أخبرنى الحرمىّ قال : حدّثنا الزبير قال : حدّثنا محمد بن الحسن ومحمد ابن الضحاك قالا :

أبو السائب المخزومى يذهب بعقله غزل جرير

كان أبو السائب المخزومىّ واقفا على رأس بئر، فأنشده ابن جندب :

إن الذين غَدَوا بلبك غادروا * وشَــلًا بعينك لا يزال مَعينا

فرمى بنفسه فى البئر بثيابه، فبعد لأْيٍ ما أخرجوه .

أشعب وسالم ابن عبد الله ابن عمر

أخبرنى محمـد بن خلف وكيعٌ قال : حدّثنا محمـد بن الحسن الزُّرَقىّ قال :

٥ حدّثنا العـلاء بن عمرو الزُّبَيرىّ ، من ولد عَمْرو بن الزبير ، قال : حدّثنا يحيى بن أبى قُتيلة[(1)] قال : حدّثنى إسماعيل بن جعفر بن محمد بن على بن الحسن بن علىّ عليهم السلام، عن أشعب قال :

جاءنى فِتية من قريش، فقالوا لى : نحب أن تُسْمِع سالم بن عبد الله بن عمر صوتا من الغناء، وتُعلِمنا ما يقول لك، وجعلوا لى فى ذلك جُعْلًا . فدخلت عليه،

١٠ فقلت : يا أبا عَمْرو، لى مجالسة وحرمة ، ومودة وسِنّ، وأنا مولع بالترنم . قال : وما الترنم؟ قلت : الغناء . قال : وفى أى وقت؟ قلت : فى الخَلوة، ومع الإخوان فى الخارج . وأُحب أن أسمعك ، فإن كرهته أمسكتُ عنـه . ثم غنيته ، فقال : ما أرى بأسا . فخـرجت إليهم ، فأعلمتهـم ، فقالوا : وما غنيتـه ؟ فقلت : غنيتـــه :

١٥ قَــرِّبا مَرْبِطَ النعـامةِ منى * لَقِحَتْ حربُ وائلٍ عن حِيالِ

قالوا : هذا بارد لا حركة فيــه ، ولسنا نرضى . فلما رأيت دفعهم إياى، وخفت ذهاب ماجعلوا لى، رجعت إليه، فقلت : يا أبا عمرو، آخَر . قال : مالى ولك؟

(١) ف : ابن قتيلة .

ولم أملِّكه أمره حتى غنيت ، فقال : ما أرى بأسا . فخرجت إليهم فأعلمتهم .
قالوا : وما غنيته ؟ قلت :

لم يُطيقوا أن ينزِلوا ونزلْنا * وأخو الحرب من أطاق النزولا

قالوا : وليس هذا بشىء . فرجعت إليه ، فقلت : آخر . فاستكفّنى، فلم أملّكه
القول حتى غنيته :

غَيَّضْنَ من عَبَراتهن وقُلْن لى * ماذا لقيتَ من الهوى ولقينا؟

فقال : مَهْلا مَهْلا . قلت : لا والله إلا بذاك الذى فيه تمر عجوة من صدقة عمر .
فقال : هو لك . فخرجت عليهم به، وأنا أخطِر . فقالوا : مه . فقلت : أطربتُ
الشيخ حتى أعطانى هـذا ، وقال مرة أخرى : حتى فرضْ[1] لى هذا[2] . قال : ووالله
ما فعل ، وإنما كان فِدْية لأصمت، وأخذت منهم الجُعْل .

بين علويه المغنى وإسحاق الموصلى

أخبرنى يحيى بن على بن يحيى المنجم، قال : حُدِّثت عن حماد بن إسحاق
قال : حدّثنى عَلّويه الأعسر قال :

أتيت أباك فى داره هـذه يوما وقد بنى إيوانَهـا وسائرها خراب ، فجلسنا على
تلٍّ من تراب، فغنانى لحنه فى :

غَيَّضْن من عَبراتهن وقلن لى * ماذا لقيت من الهوى ولقينا !

فسألته أن يعيده علىّ، ففعل . وأتانا رسول أبيـه بطبق رُطَب، فقال للرسول :
قل له : سأرسل إليك برطب أطيب من الرطب الذى بعثتَ به إلىّ، فأبلغه الرسول

(١) فرض له : أعطاه عطية لا يريد بها الثواب .
(٢) ف : « حتى فرض لى » يعنى تفعلى » . وكلمة « تفعلى » لم ينقسط من حروفها فى الأصل غير القاف .

ذلك ، فقـال له : ومن عنده ؟ فأخبره أنى عنـده . فقال : ما أخلقه أن يكون قد أتانا بآبدة[1] ، ثم أتانا رسوله بعـد ساعة فقـال : ما آن لرطبكم أن يأتينا ؟ فأرسلنى إليـه وقد أخذت الصوت ، فغنيتـه إياه ، فقـال : أجاد والله . أألام على هذا وحبه ، والله لو لم يكن بينى و بينه قرابة لأحببته ، فكيف وهو ابنى ؟

٥

***

صـــوت

صوت لنائلة بنت القرافصة

أَلست ترى يا ضبُّ بالله أننى * مصاحبة نحو المدينـة أَرْكُبَا[2]
إذا قطعوا حَزْنًا تَخُبُّ رِكابُهمْ * كما حرّكتْ ريحٌ يَراعًا مُثَقَّبـا

عروضه من الطويل . والشعر لنائلة بنت القَرافِصة . والغناء لابن عائشة ، ولحنه من الثقيل الأول بالوسطى . ووجدت فى كتاب بخط عبيد الله بن عبد الله بن طاهر أنه مما نحله يحيى المكى لابن عائشة .

١٠

(١) الآبدة : الأمر الفائق الغريب .

(٢) أركب : جمع ركب ، من جموع القلة .

أخبار نائلة بنت الفَرافصة ونسبها

هى نائلة بنت الفَرافِصة بن الأحوص بن عمرو ، وقيل: ابن عَفْر بن ثعلبة، وقيل: عمرو بن ثعلبة بن الحارث بن حِصن بن ضمضم بن عدىّ بن جَناب الكَلْبية، زوجة عثمان بن عفان رضى الله عنه ، تقوله لأخيها لما نقلها إلى عثمان .

زواجها من عثمان

أخبرنى بخبره وخبرها أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ ، قال : حدّثنا ٥ عمر بن شبة قال : حدّثنا عبد الله بن محمد بن حكيم ، عن خالد بن سعيد ، عن أبيه قال :

تزوّج سعيد بن العاص وهو على الكوفة هِندَ بنت الفَرافصة بن الأحوص بن عمرو بن ثعلبة ، فبلغ ذلك عثمان ، فكتب إليه .

« بسم الله الرحمن الرحيم . ١٠

أما بعد ، فإنه قد بلغنى أنك تزوّجت امرأة من كَلْب ، فاكتب إلىّ بنسبها وجمالها » .

فكتب إليه :

« أما بعد، فإن نسبها أنها بنت الفَرافصة بن الأحوص . وجمالُها أنها بيضاء مديدة القامة » . ١٥

فكتب إليه : « إن كانت لها أخت فزوِّجْنيها » .

فبعث سعيد إلى الفَرافصة، يخطب إحدى بناته على عثمان . فأمر الفَرافصة ابنه ضبا، فزوجها إياه . وكان ضب مسلما، وكان الفَرافصة نصرانيا، فلما أرادوا حملها إليه ، قال لها أبوها : يابنيّة، إنك تَقْدَمين على نساء من نساء قريش، هن

أقدر على الطيب منــك، فاحفظى عــنى خَصلتين، تكحّلى، وتطيّبى بالمـاء ، حتى يكون ريحُك ريح شنّ[1] أصابه مطر .

فلما حُمِلَتْ كرِهت الغربة ، وحزنت لفراق أهلها ، فأنشأت تقول :

ألستَ تَرى يا ضبُّ باللهِ أننى * مصاحبــةٌ نحــو المدينــة أَرْكُبا

إذا قطعوا حزنا تَخُبّ ركابهــمْ * كما زعزعتْ رِيحٌ يراعا مُثَقَّبا

لقد كان فى أبناء حِصْن بن ضَمْضمٍ * لكَ الويلُ ما يغنى الخِبــاءَ المطَنّبا

٧١ / ١٥

لقاء عثمان إياها

فلما قدمت على عثمان رضى الله عنه ، قعد على سريره ، ووضع لهــا سريرا حيالَه ؛ فجلست عليــه ، فوضع عثمان قُلَنسيته ، فبــدا الصلَع ، فقال : يابنــة الفَرافصة ، لا يهولنــك ما ترين من صَلَعِى ، فإن وراءه ما تحبين . فسكتت . فقال : إما أن تقومى إلىّ ، و إمّا أن أقوم إليك . فقالت : أما ما ذكرت من الصلَع، فإنى من نساء أحب بعولتهن إليهن السادة الصُّلْع . وأما قولك: إما أن تقومى إلىّ ، و إما أن أقوم إليــك، فوالله ما تجشمت من جَنبات السماوة أبعــدَ ممــا بينى و بينك ، بل أقوم إليــك . فقامت ، فجلست إلى جنبه ، فمســح رأسها ، ودعالهــا بالبركة ، ثم قال لهــا : اطرحى عنــك رداءك ، فطرحته ، ثم قال لهــا : اطرحى خمارك ، فطرحته ، ثم قال لهــا : انزعِى دِرْعك ، فنزعته؛ ثم قال : حُلِّى إزارك . فقالت : ذاك إليك . فحلّ إزارها ، فكانت من أحظى نسائه عنده .

أخبرنى أحمــد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال : حدّثنــا عمر بن شبة قال : حدّثنا على بن محمد بن عيسى بن يزيد، عن عبد الواحد بن عمير، عن أبى الجرّاح مولى أم حبيبة ، قال :

---

(١) الشن : القربة الخلق .

كنت مع عثمان رضى الله عنه فى الدار ، فما شَعَرْت وقد خرج محمد بن أبى بكر، ونحن نقول: هم فى الصلح ، إذ أنا بالناس قد دخلوا من الخَوْخة[1]، ونزلوا بأمراس الحِبال من سُور الدار . معهم السيوف، فرميت بسيفى[2] ، وجلست عليه ، وسمعت صياحهم ، فكأنى أنظر إلى مصحف فى يد عثمان ، و إلى حمرة أديمه ، فنشرتْ نائلة بنت الفَرافصة شعرها ، فقال لها عثمان : خذى خمارك ، فلعمرى لدخولهم علىّ أعظم من حرمة شعرك . وأهوى رجل إليه رضى الله عنه بالسيف ، فاتقته نائلة بيدها ، فقطع إصبعين من أصابعها ، ثم قتلوه ، وخرجوا يكبِّرون ، ومر بى محمد بن أبى بكر ، فقال : مالكَ يا عبد أم حبيبة ؟ ومضى فخرجت .

شعر نائلة عند مقتل عثمان

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال : حدّثنا عمرُ بن شَبَّة قال : حدّثنا عبد الله بن حكيم الطائىّ ، عن خالد بن سعيد ، عن أبيه قال :

لما قُتل عثمان رحمة الله عليه ، قالت نائلة بنت الفَرافصة :

ألا إن خيرَ الناس بعد ثلاثة[3] * قَتيلُ التُّجِيبىّ الذى جاءَ مِن مِصرِ
ومالى لا أبكى وتبكى قَرابتى * وقد غُيِّبت عنا فضولُ أبى عمرو

هكذا فى هذه الرواية . وقد قيل إن هذين البيتين للوليد بن عُقْبة .

كتاب نائلة إلى معاوية تصف مقتل عثمان

أخبرنى أحمد قال : حدّثنى عمر قال : حدّثنا على بن محمد ، عن أبى مخنف ، عن نُمير بن وَعْلة ، عن الشعبىّ ومَسلمة بن محارب ، عن حرب بن خالد بن يزيد ابن معاوية :

(١) الخوخة فى لغة أهل الحجاز : مخترق ما بين كل دارين لم ينصب عليها باب . وهى أشبه بالممر يسلك بين الدارين . (٢) بسيفى : كذا فى ف . وفى الأصول : بنفسى .
(٣) ثلاثة : تريد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر رضى الله عنهما .

أن نائلة بنت الفرافصة كتبت إلى معاوية بن أبى سفيان، وبعثت بقميص عثمان مع النعمان بن بشير، أو عبد الرحمن بن حاطب بن أبى بلتعة :

« من نائلة بنت الفَرافصة إلى معاوية بن أبى سفيان .

أما بعد، فإنى أذكركم بالله الذى أنعم عليكم، وعلمكم الإسلام، وهداكم من الضلالة، وأنقذكم من الكفر، ونصركم على العدو، وأسبغ النعمة،(١) وأَنْشُدكم بالله، وأذكّركم حقه وحق خليفته الذى لم تنصروه،(٢) وبعزمة الله عليكم، فإنه عز وجل يقول : ﴿ وإنْ طَائِفَتانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فإنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِى تَبْغِى حَتَّى تَفِىءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ ﴾ . وإن أمير المؤمنين بُغِىَ عليه، ولو لم يكن له عليكم حقٌّ إلا حق الوِلاية، ثم أُتِىَ إليه بما أُتِىَ، لَحَقٌّ على كل مسلم يرجو أيام الله أن ينصره، لقدمه فى الإسلام، وحسن بلائه، وأنه أجاب داعىَ الله، وصدّق كتابه،(٣) والله أعلم به إذ انتجبه، فأعطاه شرف الدنيا وشرف الآخرة .

وإنى أقص عليكم خبره، لأنى كنت مشاهدة أمره كله، حتى أُفْضِىَ إليه :

وإن أهل المدينة حصروه فى داره، يحرسونه ليلهم ونهارهم، قيام على أبوابه بسلاحهم، يمنعونه كل شىء قَدَروا عليه، حتى منعوه الماء، يُحْضِرونه الأذَى، ويقولون له الإفك . فمكث هو ومن معه خمسين ليلة، وأهل مصر قد أسندوا أمرهم إلى محمد بن أبى بكر وعمار بن ياسر، وكان علىّ مع المحرِّضين من أهل المدينة، ولم يقاتل مع أمير المؤمنين، ولم ينصره، ولم يأمر بالعدل الذى أمر الله تبارك وتعالى به . فظلت تقاتل خزاعة وسعد بن بكر وهُذيل، وطوائف من مُزَينة وجُهَينة،

(١) ف : وأوسع عليكم النعمة . (٢) ف : وحق حليفته أن تنصروه .
(٣) كذا فى ف . وفى الأصول : رسوله .

وأنباطِ يثرب ، ولا أرى سائرهم ، ولكنى سميت لكم الذين كانوا أشد الناس عليه فى أول أمره وآخره . ثم إنه رُمِى بالنَّبل والحجارة ، فقُتل ممن كان فى الدار ثلاثة نفر ، فأتوه يصرخون إليه ، ليأذن لهم فى القتال ، فنهاهم عنــه ، وأمرهم أن يردوا عليهم نبلَهم ، فردّوها إليهم ، فلم يزدهم ذلك على القتال إلاّ جَراءة ، وفى الأمر إلا إغراء . ثم أحرقوا باب الدار ، فجاءه ثلاثة نفر من أصحابه ، فقالوا : إن فى المسجد ناسا يريدون أن يأخذوا أمر الناس بالعدل ، فاخرج إلى المسجد حتى يأتوك ، فانطلق فجلس فيه ساعة ، وأسلحة القوم مُطلة عليه من كل ناحية ، وما أرى أحدا يعدل ، فدخل الدار ، وقد كان نفر من قريش على عامتهم السلاح ، فلبس درعه ، وقال لأصحابه : لولا أنتم مالبست درعا ، فوثب عليه القوم ، فكلمهم ابن الزبير ، وأخذ عليهم ميثاقا فى صحيفة ، بعث بها إلى عثمان : إن عليكم عهد الله وميثاقه ألّا تعرُوه بشىء ، فكلموه وتحرجوا ، فوضع السلاح ، فلم يكن إلا وضْعه ، حتى دخل عليه القوم يقدُمهم ابن أبى بكر ، حتى أخذوا بلحيته ، ودَعَوْه باللَّقب . فقال : أنا عبــد الله وخليفته ، فضربوه على رأسه ثلاث ضربات ، وطعنوه فى صدره ثلاث طعنات ، وضربوه على مقدم الجبين فوق الأنف ضربة أسرعت فى العظم ، فسقطتُ عليه وقد أثْخنوه وبه حياة ، وهم يريدون قطع رأســه ، ليذهبوا به ، فأتتنى بنت شيبة ابن ربيعة ، فألقت نفسها معى عليــه ، فوُطِئْنا وطْئا شديدا ، وعُرّينا من ثيابنا ، وحرمة أمير المؤمنين أعظم . فقتلوه رحمة الله عليه فى بيته ، وعلى فراشه . وقد أرسلت إليكم بثوبه ، وعليه دمه ، وإنه والله لئن كان أثِمَ مَنْ قتله ، لمـا يَسْلَمَ مَنْ خَذَله . فانظروا أين أنتم من الله جل وعز ، فإنا نَشْكِى مامسنا إليه ، ونستنصر وليه وصالحَ عباده . ورحمة الله على عثمان ، ولعن الله من قتــله ، وصرعهم فى الدنيــا مصارع الخزى والمذلة ، وشفَى منهم الصدور » .

خلف رجال من أهـل الشام ألا يطأوا النساء حتى يقتلوا قتَلته، أو تذهبَ أرواحهم .

صـــوت

شعر لعبد يغوث ابن وقاص الحارثى وهو فى الأسر ٧٣/١٥

فيـا راكبًا إما عرضْتَ فبلِّغَنْ (١) * نداماىَ من نجرانَ أنْ لَا تلاقيَا

أبَا كرِبٍ والأيْهَمين كليهما * وقيسا بأعلى حضرموتَ اليَمَـانيَا

وتضحكُ مِـنّى شـيخةٌ عَبْشَمِيّةٌ * كأن لم تَرَا قبـلى أسـيرا يمـانيا

أقول وقد شَـدُّوا لسانى بِنِسْعةٍ (٢) * أمعشَر تـيْمٍ أطلِقوا عن لِسانيـا

الشعر لعبد يغوث بن صَلاءة الحارثى . والغناء لإسحاق، ثقيل أول .

(١) أتيت العروض ، وهى مكة .

(٢) نسعة : قطعة من الجلد .

أخبار عبد يغوث ونسبه

نسبه

هو عبد يغوث بن صَلاءة . وقيل : بل هو عبد يغوث بن الحارث بن وقّاص ابن صلاءة — وهو قول ابن الكلبىّ — بن المُعَفَّل، واسم المعفل : ربيعة ابن كعب الأَرَتّ[1] بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن كعب بن عمرو بن عُلَة ابن خالد بن مالك بن أُدَد بن زيد بن يشجُب بن عَريب بن زيد بن كهلان ابن سبأ بن يشجُب بن يعرب بن قحطان .

قال ابن الكلبى : قحطان بن عابَر بن شالَخ بن أَرْفَخْشَذ بن سام بن نوح . قال : وكان يقال ليعرب : المرعِّف .

منزلته فى قومه وشاعريته

وكان عبد يغوث بن صَلاءة شاعرا من شعراء الجاهلية، فارسا سيدا لقومه من بنى الحارث بن كعب، وهو كان قائدهم فى يوم الكُلاب الثانى، إلى بنى تميم، وفى ذلك اليوم أُسِر فقتل . وعبد يغوث من أهل بيت شعرٍ مُعرِق لهم فى الجاهلية والإسلام، منهم المُجلاج الحارثىّ، وهو طُفَيل بن يزيد بن عبد يغوث بن صلاءة، وأخوه مُسْهِر فارس شاعر، وهو الذى طعن عامر بن الطفيل فى عينه يوم فَيْف الريح . ومنهم ممن أدرك الإسلام جعفر بن عُلْبة بن ربيعة بن الحارث بن عبد يغوث ابن الحارث بن معاوية بن صلاءة، وكان فارسا شاعرا صُعلوكا، أُخذ فى دم، فحُبِس بالمدينة، ثم قتل صَبْرا . وخبره يذكر منفردا، لأن له شعرا فيه غناء .

شعره فى يوم الكلاب

والشعر المذكور فى هذا الموضع لعبد يغوث بن صلاءة، يقوله فى يوم الكُلاب الثانى[2]، وهو اليوم الذى جمع فيه قومه وغزا بنى تميم، فظفِرت به بنو تميم، وأسروه وقُتل يومئذ .

(١) ف : الأزب . (٢) سماه صاحب العقد يوم الصفقة .

حديث يوم الكلاب

وكان من حديث هذا اليوم، فيما ذكر أبو عبيدة، عن أبي عمرو بن العلاء، وهشام بن الكلبيّ عن أبيه، والمفضل بن محمد الضبيّ، وإسحاق بن الجَصّاص عن العنبريّ، قالوا:

لما أوقع كسرى ببني تميم يوم الصّفا بالمشقّر، فقتل المقاتلة، وبقيت الأموال والذراريّ، بلغ ذلك مَذحِجا، فمشى بعضهم إلى بعض، وقالوا: اغتنموا بني تميم، ثم بعثوا الرسل في قبائل اليمن وأحلافها من قضاعة، فقالت مذحج للمأمور الحارثيّ، وهو كاهن: ما ترى؟ فقال لهم: لا تغزوا بني تميم، فإنهم يسيرون أغبابا[1]، ويردون مياها جِبابا، فتكون غنيمتكم ترابا. قال أبو عبيدة: فذكر أنه اجتمع من مَذْحِج ولَفِّها اثنا عشر ألفا، وكان رئيس مذحج عبد يغوث بنُ صلاءة، ورئيس هَمْدان يقال له مُسَرَّح[2]، ورئيس كندة البَرَاء بن قيس بن الحارث. فأقبلوا إلى تميم، فبلغ ذلك سعدا والرِّباب، فانطلق ناس من أشرافهم إلى أكثَم بن صيفيّ، وهو قاضي العرب يومئذ، فاستشاروه، فقال لهم: أقِلُّوا الخلاف على أمرائكم، واعلموا أن كثرة الصّياح من الفَشَل، والمرء يعجز لا محالة. ياقوم تثبّتوا، فإن أحزم الفريقين الرَّكين، ورب عجلة تَهَب رَيْثا. واتّزروا للحرب[3]، وادّرعوا الليل، فإنه أخفى للويل، ولا جماعةَ لمن اختلف.

فلما انصرفوا من عند أكثم تهيئوا، واستعدّوا للحرب، وأقبل أهل اليمن، من بني الحارث من أشرافهم يزيد بن عبد المدان ويزيد بن مُخَرَّم، ويزيد بن الطيثم[4] ابن المأمور، ويزيد بن هَوْبر، حتى إذا كانوا بتَيمَن[5] نزلوا قريبا من الكُلاب،

(١) أغبابا: كذا في النقائض (١: ١٤٩) يعني أنهم يسيرون متقلتين في متقلة واحدة، أخذ من الغب. وفي الأصول: أعقابا. (٢) النقائض: مشرح.
(٣) النقائض: وابرزوا للحرب. (٤) ف: الطيسم. النقائض: الكيشم.
(٥) ف: بثبير. وتيمن: مابين نجران إلى بلاد بني تميم.

ورجل من بنى زيد بن رياح بن يربوع، يقال له مُشَمِّت بن زنباع فى إبل له، عند خال له من بنى سعد، يقال له زهير بن بو[1]، فلما أبصرهم المشمِّت قال لزهير: دونك الإبل، وتنحّ عن طريقهم، حتى آتِيَ الحيّ فأُنذرَهم. قال: فركب المشمِّت ناقة، ثم سار حتى أتى سعدا والرِّباب وهم على الكُلاب، فأنذرهم، فأعدّوا للقوم، وصَبَّحوهم، فأغاروا على النَّعم فطردوها، وجعل رجل [من أهل اليمن] يرتجز ويقول

فى كل عام نَعَمٌ نَنتابُهُ * على الكُلاب غُيَّبا أربابُهُ

قال: فأجابه غلام من بنى سعد كان فى النَّعَم، على فرس له، فقال:

عما قليل سَتَرَى أربابُهُ * صُلْبَ القناةِ حازمًا شبابُهُ

* على جيادٍ ضُمَّرٍ عيابه *

قال: فأقبلت سعد والرِّباب، ورئيس الرِّباب النعمان بن جِسَاس، ورئيس بنى سعد قيس بن عاصم المِنقرىّ. قال أبوعبيدة: اجتمع العلماء على أن الرئيس كان يومئذ قيسُ بن عاصم. فقال ضَبِّيٌّ حين دنا من القوم:

فى كلِّ عام نَعَمٌ تحوُونَهُ * يُلْقِحُهُ قوم وتَنْتِجُونَهُ

أربابُه نوكَى فلا يَحمونه * ولا يلاقون طِعانا دونَهُ

أَنَعَمَ الأبناءِ تَحسِبُونَهُ * هيهاتَ هيهاتَ لِما تَرْجُونَهُ

فقال ضَمرة بن لَبِيد الحِماسِىّ[2]: أُنظروا إذا سقتم النَّعم، فإن أتتكم الخيل عُصَبا عُصبا، وثبتت الأولى للأُخرى، حتى تَلْحق، فإن أمر القوم هيِّن. وإن لحق

---

(١) النقائض: ومعه رجل يقال له زهير. وذكر ابن عبد ربه (العقد الفريد ٥: ٢٢٦) أن الذى حذرهم ابن لجزء بن جزء الباهلى. (٢) كذا فى النقائض (١: ١٥٠) والعقد الفريد (٥: ٢٢٦) وهو الصحيح كما يلى. وفى الأصول: ضمرة بن أسد الحارثى.

بكم القـوم ، فلم ينظروا إليكم حتى يردُّوا وجوه النَّعَم ، ولا ينتظِرُ بعضهم بعضا ، فإن أمر القوم شديد . وتقدمت سـعدٌ والرِّباب ، فالتقوا فى أوائل النـاس ، فلم يلتفتوا إليهم ، واستقبلوا النَّعَم من قِبَـل وجوهها ، فجعلوا يصرفونها بأرماحهم ، واختلط القوم ، فاقتتلوا قتالا شـديدا يومهم ، حتى إذا كان من آخر النهار قُتـل النعمان بن جِسّاس ، قتـله رجل من أهل اليمن ، كانت أمه من بنى حنظلة ، يقال له عبد الله بن كعب ، وهو الذى رماه ، فقال للنعمان حين رماه : خذها وأنا ابن الحنْظلية . فقـال النعمان : ثَكِلتك أمك ، رب حَنظلية قد غاظتنى[1] . فذهبت مثلا ، وظن أهل اليمن أن بنى تمـيم سيهُدُّهم قتل النعمان ، فلم يزدهم ذلك إلا جَراءة عليهم ، فاقتتلوا حتى حجز بينهم الليـل ، فباتوا يحرس بعضهم بعضا ، فلما أصبحوا غدَوا على القتـال ، فنادى قيس بن عاصم : يالَ سـعد ، ونادى عبد يغوث : يالَ سـعد . قيس بن عاصم يدعو سعد بن زيد مناة بن تمـيم ، وعبد يغوث يدعو سـعد العشيرة . فلمـا سمع ذلك قيس نادى : يال كعب ، فنادى عبد يغوث : يالَ كعب[2] . قيس يدعو كعب بن سـعد ، وعبد يغوث يدعو كعب بن عمـرو . فلمـا رأى ذلك قيس من صـنيع عبد يغـوث ، قال : ما لهم أخزاهم الله ما ندعو بشعار إلا دَعَوا بمثـله . فنادى قيس : يال مُقاعس ، يعنى بنى الحارث بن عمرو ابن كعب ، وكان يلقب مُقاعِسا ، فلما سمـع وَعْلة بن عبد الله الجَرْمى الصوت ، وكان صاحب اللواء يومئذ ، طرحه ، وكان أول من انهزم من اليمن ، وحملت عليهم بنو سعد والرِّباب ، فهزموهم أفظع هزيمة ، وجعل رجل منهم يقول :

يا قومُ لا يُفْلِتْكُمُ اليزيدانْ * مُخَرَّما أعنى به والدَّيّانْ

---

(١) النقائض : رب ابن حنظلية قد غاظنى .

(٢) العقد الفريد (٥ : ٢٢٧) : كعب بن مالك .

وجعل قيس بن عاصم ينادى : يالَ تميم : لا تقتلوا إلا فارسا، فإن الرجّالة لكم .
وجعل يرتجز ويقول :

لما تولّوا عُصَبا شَوازِبا (١) * أقسمت لا أطعُن إلّا راكبا

* إنى وجدت الطعنَ فيهم صائبا *

وجعل يأخذ الأُسارى، فإذا أخذ أسيرا قال له : ممن أنت؟ فيقول: من بنى زَعْبل، وهو زَعبل بن كعب، أخو الحارث بن كعب، وهم أنذال، فكأن الأسارى يريدون بذلك رِخَص الفداء، فجعل قيس إذا أخذ أسيرا منهم، دفعه إلى من يليه من بنى تميم، ويقول : أمسك حتى أصطاد لك زَعبلة أخرى، فذهبت مثلا. فما زالوا فى آثارهم يقتلون ويأسرون، حتى أُسِر عبدُ يغوث، أسره فتى من بنى عُميرِ بن عبد شمس . وقُتل يومئذ علقمة بن سَبّاع (٢) القُرَيعىّ، وهو فارس هَبُّود، وهَبُّود فرس عمرو بن الجُعَيد المرادى [وكان علقمة قتل عمرا وأخذ فرسه من تحته]، وأُسر الأهتم، واسمه سنان بن سُمَىّ بن خالد بن مِنْقر، ويومئذ سُمِّى الأهتم — رئيسَ كندة البراءَ بن قيس، وقتَلَت التيم الأوبَرَ الحارثىّ، وآخر من بنى الحارث يقال له معاوية، قتلهما النعمان بن جِسّاس، وقتل يومئذ من أشرافهم خمسة، وقتلت بنو ضَبّة ضَمرةَ بن لَبِيد الحِماسىّ الكاهن، قتله قبيصة بن ضرار ابن عمرو الضبىّ .

وأما عبد يغوث فانطلق به العَبْشَمىّ إلى أهله، وكان العبشمىّ أهوج، فقالت له أمه — ورأت عبد يغوث عظيما جميلا جسيما — : من أنت ؟ قال :

(١) شوازب: جمع شازب، وهو الشاحب الضامر . وفى العقد الفريد (٥ : ٢٢٧) : هواربا .
(٢) النقائض (١ : ١٥٢) : صباح .

أنا سيد القوم . فضحكت ، وقالت : قبّحك الله من سيد قوم حين أسرك هذا الأهوج . فقال عبد يغوث :

وتَضْحَكُ منى شيخةٌ عَبْشَمِيّة * كأن لم ترا قبلى أسيرا يمانيا

ثم قال لها : أيتها الحرة ، هل لك إلى خير؟ قالت : وما ذاك ؟ قال : أعطى ابنك مئةً من الإبل وينطلق بى إلى الأهتم ، فإنى أتخوف أن تنتزعنى سعد والرِّباب منه ، فضمن له مئة من الإبل ، وأرسل إلى بنى الحارث ، فوجهوا بها إليه ، فقبضها العبشمىّ ، فانطلق به إلى الأهتم ، وأنشأ عبد يغوث يقول :

أأهتمُ يا خيرَ البرية والدا * ورَهْطا إذا ماالناسُ عَدُّوا المساعيا

تدارَكْ أسيرا عانيا فى بلادكم * ولا تثقفنّى[1] التيمُ أَلْقَ الدواهيا

فمشت سعد والرِّباب فيه . فقالت الرباب : يا بنى سعد ، قُتل فارسنا ولم يقتل لكم فارس مذكور ، فدفعه الأهتم إليهم ، فأخذه عِصْمة بنُ أُبير[2] التيمىّ ، فانطلق به إلى منزله ، فقال عبد يغوث : يا بنى تيم ، اقتلونى قِتلة كريمة . فقال له عصمة : وما تلك القِتلة ؟ قال : اسقونى الخمر ، ودعونى أنُحْ على نفسى ، فقال له عصمة : نَعَم . فسقاه الخمر ، ثم قطع له عرقا يقال له الأكحل ، وتركه يَنْزِف ، ومضى عنه عصمة ، وترك معه ابنين له ، فقالا : جمعت أهل اليمن وجئت لتصْطَلِمنا ، فكيف رأيت اللهَ صنع بك ؟ فقال عبد يغوث فى ذلك :

قصيدة عبد يغوث المشهورة ٧٦ / ١٥

ألا لا تلومانى كفى اللومَ ما بيا * فما لكما فى اللوم نفعٌ ولا ليا

ألم تعلما أن المَلامة نفعُها * قليل وما لومى أخى من شِماليا[3]

فيا راكبًا إما عرضت فبلِّغنْ[4] * نداماىَ من نَجْرانَ أنْ لا تلاقيا

(١) تثقفه : ظفر به . (٢) ف : أثير . (٣) الشمال : الخلق ، يريد شمائلى . (٤) عرضت : أتيت العروض ، وهى مكة والمدينة وما حولها .

أبا كَرِبٍ والأيهمين كليهما * وقيسا بأعلى حضرموتَ اليمانيا

جزى الله قومى بالكُلاب[1] مَلامةً * صريحَهم والآخرينَ المَواليا

ولو شئتُ نجّتنى من الخيل نَهْدةٌ[2] * ترى خَلْفَها الحُوَّ الجيادَ تواليا

ولكننى أحمى ذمار أبيكم * وكان الرماح يختطفن المحاميا

وتضحك منى شيخة عبشمية * كأن لم تَرَا[3] قبلى أسيرا يمانيا

وقد علمتْ عرسى مُلَيْكةُ أننى * أنا الليثُ معدوّا عليه وعاديا

أقول وقد شدّوا لسانى بنِسعةٍ * أمعشر تيم أطلقوا لى لسانيا[4]

أمعشر تيم قد ملكتم فأَسْجِحُوا[5] * فإن أخاكم لم يكن من بَوائيا

فإن تقتلونى تقتلوا بِىَ سيدا * وإن تطلقونى تَحْرُبُونى[6] بما ليا

أحقًّا عبادَ الله أنْ لست سامعا * نشيدَ الرِّعاء المُعْزِبين المَتاليا[7]

---

(١) الكلاب، بضم الكاف : اسم موضع كانت فيه الموقعة ، قال البكرى : وهو قدة بعينها ، أعلاه مما يلى اليمن ، وأسفله مما يلى العراق .

(٢) النهدة : المرتفعة . والحو من الخيل : التى تضرب إلى الخضرة ، وإنما خص الحو ، لأنه يقال إنها أصبر الخيل وأخفها عظاما إذا عرقت لكثرة الجرى .

(٣) قال ابن السيد : قوله « كأن لم ترى » : رجوع من الإخبار إلى الخطاب . ويروى على الإخبار ، وفى إثبات الألف وجهان : أحدهما : أن يكون ضرورة . والثانى : أن يكون على لغة من قال « راء » مقلوب « رأى » . بجزم ، فصار « ترأ » ، ثم خفف الهمزة ، فقلبها ألفا ، لانفتاح ما قبلها . وهذه لغة مشهورة .

(٤) ف : من لسانيا . والنسعة : سير منسوج . وفى شد اللسان بها قولان : الأول : أن هذا مثل ، لأن اللسان لا يشد بنسعة ، وإنما أراد : افعلوا بى خيرا ينطلق لسانى بشكركم ، فإن لم تفعلوا فلسانى مشدود لا يقدر على مدحكم . والثانى أنهم شدوه بنسعة خفيفة ، وإليه ذهب الجاحظ فى البيان والتبيين ، وحكى ابن الأنبارى أنهم ربطوه بنسعة مخافة أن يهجوهم .

(٥) أسجحوا : سهلوا ويسروا . البواء : السواء ، أى لم يكن أخوكم نظيرا لى ، فأكون بواء له .

(٦) تحربونى : تسلبونى وتنهبونى .

(٧) الرعاء : جمع راع . والمعزب : المتنحى بإبله . والمتالى : جمع متلية ، وهى التى يتبعها أولادها .

وقد كنت نحار الجزور ومُعْمِلَ الْـ * ـمَطِىّ وأمضى حيث لا حىّ ماضيا

وأنحر للشَّرْب الكرام مطيّتى * وأصدع بين القَيْنتين ردائيا (١)

وعاديةٍ سومَ الجراد وَزَعتها * بكفّى وقد أنحوا إلىّ العواليا (٢)

كأنّىَ لم أركب جوادا ولم أقل * لخيلىَ كُرِّى نَفِّسى عن رجاليا (٣)

٥ ولم أَسْبَأ الزِّقّ الروىّ ولم أقل * لأيسار صدق أعظموا ضَوْء ناريا (٤)

قال : فضحكت العبشمية ، وهم آسروه . وذلك أنه لما أسروه شدوا لسانه بنسعة ، لئلا يهجوهم ، وأبوا إلا قتله ، فقتلوه بالنعمان بن جسّاس .

ما قيل من الشعر بعد الوقعة

فقالت صفية بنت الخَرِع ترثى النعمان :

نطاقه هُنْدُوانىٌّ وجُبَّتُهُ * فَضْفاضة كأَضاة النِّهْى مَوْضونَهْ (٥)

١٠ لقد أخذنا شفاء النفس لو شُفيت * وما قتلنا به إلا امرأً دونَهْ

وقال عَلْقمة بن سَباع لعمرو بن الجُعيد :

لما رأيت الأمر مَخْلُوجةً * أكرهت فيه ذابلا مارِنا (٦)

قلت له : خذها فإنى امرؤ * يعرف رمحى الرجلَ الكاهنا

---

(١) أصدع : أشق . والقينة هنا : الأمة المغنية .

١٥ (٢) العادية : القوم يركضون . وسوم الجراد : أى كومة ، وهو انتشاره فى المرعى . ووزعتها : كففتها ومنعتها . وأنحوا الرماح : أمالوها وقصدوا بها . والعوالى : جمع عالية ، وهى من الرمح أعلاه أو ما دون السنان بذراع . (٣) نفسى : وسعى . وروى : قاتلى .

(٤) أسبأ الزق : أشتريه للشرب لا للبيع . والأيسار : جمع ياسر ، وهو الذى يضرب قداح الميسر . وقد ذكرت قصيدة عبد يغوث بتمامها فى المفضليات . وساق ابن عبد ربه فى العقد آخر الكلام على ٢٠ يوم « الصفقة » الأبيات التى أنشدها المؤلف هنا . وذكر كلاما عن أبى عبيدة يثير الشك فى قصيدة عبد يغوث هذه ، وأنها صنعت فى الإسلام .

(٥) الأضاة : مسيل الماء إلى الغدير . والنهى : الغدير . وموضونة : مثنى بعضها على بعض ، لسعتها . (٦) يقال : أمرهم مخلوج : غير مستقيم ، ووقعوا فى مخلوجة من أمرهم : أى اختلاط . والذابل : الرمح . والمارن : اللين فى صلابة .

قوله : «يعرف رمى الرجل الكاهنا» يريد: أن عمرو بن الجُعيد كان كاهنا . وهو أحد بنى عامر بن الدِّيل بن شَنّ بن أفصَى بن عبد القيس، ولم يزل ذلك فى ولده . ومنهم الرِّباب بن البَرَاء ، كان يتكهن ، ثم طلب خلاف أهـل الجاهلية ، فصار على دين المسيح عليـه السلام ، فذكر أبو اليقظان أن النـاس سمعوا فى زمانه مناديا ينادى فى الليل ، وذلك قبل مَبعث النبى صلى الله عليـه وسلم : خير أهل الأرض رِبَابٌ الشَّنِّيّ، و بحيرا الراهب، وآخر لم يأت بعـد . قال : وكان لا يموت أحد من ولد الرِّباب إلا رأوا على قـبره طَشا (١) . ومن ولده مَخْـرَبة ، وهو أحد أجواد العرب ، و إنمـا سمى مَخْربة لأن السلاح خَرَبه ، لكثرة لبسه إياه؛ وقد أدرك النبى صلى الله عليه وسلم، فأسلم، فأرسله إلى ابن الجُلَنْدَى العُمانِيّ . وابنُه المُثَنَّى بن مَخْرَبة أحد وجوه أصحاب المختار، وكان قد وجهه إلى البصرة ليأخذها ، فحار به عَبّاد بن الحُصَيْن فهزمه، وكان ابنه بَلْج بن المُثَنّى جوادا ، وفيه يقول بعض شعراء عبد القيس :

ألا يا بَلْجُ بلجَ بنى المُثـنَّى * وأنت لكل مَكرُمة كِفـاءُ

ألومُك طائعـا ما دمتُ حيًّـا * علىّ إذَنْ من الله العَفاء (٢)

كفَى قومًا مكارمَ ضَـيَّعوها * وأحسنَ حين أبصرَهم أساءُوا

رجع الخبر إلى سياقة حديث عبد يغوثَ والوقعة

قال : فأما وَعْلة بن عبد الله الجرمىّ، فإنه لحقه رجل من بنى سعد، فعقَر به، فنزل؛ وجعل يُحضِر على رجليه، فلحق رجلا من بنى نهد يقال له سَليط بن قَتَب، من بنى رفاعة ، فقال له لمـا لحقه : أَرْدِفنى ، فأبى، فطرحه، عن فرسه، وركب عليها ، وأدركت الخيلُ النهدىَّ فقتلوه ، فقال وَعْلة فى ذلك :

(١) الطش : المطر الضعيف . (٢) ألومك : أى لا ألومك .

ولما سمعت الخيلَ تدعو مقاعِسًا * علمتُ بأن اليوم أغبرُ فاجرُ

نجوتُ نجاءً ليس فيه وَتِيرة(١) * كأنى عُقابٌ دون تَيْمَنَ(٢) كاسر

خُداريَّةٌ صَقْعاء لَبَّد رِيشَها * بِطَخْفة يومٌ ذو أهاضيبَ ماطر(٣)

وقد قلت للنهدىّ: هل أنت مردفى * وكيف رِداف الفَلِّ(٤) أمك عاثر

٥ فإن أستطع لا تَبْتئِس بى مقاعِس * ولا يرنى باديهمُ والحواضر

فِدًى لكما رِجلىّ أمى وخالتى * غداة الكُلاب إذ تحز الحناجر

فمن كان يرجو فى تميم هوادة * فليست بجَرم فى تميم أواصر

وقالت نائحة عمرو بن الجعيد:

أشابَ قَذال الرأس مَصْرَعُ سيِّد * وفارسُ هَبُّودٍ أشاب النواصيا

١٠ وقال محرز بن مُكَعْبَرَ الضَّبِّىّ:

فِدًى لقومىَ ما جمَّعت من نَشَبٍ(٥) * إذ ساقت الحرب أقواما لأقوامِ

قد حَدَّثتْ مَذْحِجٌ عنا وقد كَذَبَتْ * أن لا يُوَرِّعَ(٦) عن نسواننا حامِ

دارت رحاهمْ قَليلا ثم واجههمْ * ضرب يصبِّح(٧) منهم مَسْكَن الهامِ

ساروا إلينا وهم صِيد(٨) رءوسهمُ * فقد جعلنا لهمْ يوما كأيامِ

١٥ (١) وتيرة: توان.

(٢) فى الأصول: تيماء. والتصويب عن النقائض (١: ١٥٥) والخزانة (١: ١٩٩) ومعجم البلدان: رسم تيمن (١: ٩٠٩)، والعقد الفريد (٥: ٢٣١).

(٣) الخدارية: العقاب لسوادها. والصقعاء: ذات بياض فى وسط رأسها. وطخفة: موضع. والأهاضيب: جمع أهضوبة، وهى الدفعة من المطر.

٢٠ (٤) الفل: المنهزم. (٥) ف: سبد.

(٦) يورع: يكف. (٧) ف والنقائض: يصبح منه.

(٨) الصيد: جمع أصيد، وهو الذى يرفع رأسه كبرا.

ظلّتْ ضباعُ مُجيراتٍ يعُذْنَهُم (١) * وألحمْنَهم منهم أىَّ إلحامِ
ظلت تدوس بنى كعبٍ بكَلْكلها (٢) * وهَمّ يومُ بنى نهـدٍ بإظلامِ

وقال أوس بن مَغْراء :

وفى يومِ الكُلاب إذ اعترتنا (٣) * قبائلُ أقبلوا متناسِبِينا
قبائلُ مذحِجَ اجتمعتْ وجَرْمٍ * وهَمْدانٍ وكِندةَ أجمعينا
وحِميَرَ ثم ساروا فى لُهَامٍ * على جُرْدٍ جميعا قادِرِينا
فلما أن أتونا لم نُكَذِّب * ولم نَسْأَلْهُمُ أن يُمهِلونا
قتلنا منهم قَتْلَى وولّى * شرِيدُهم شَعاعا (٤) هاربِينا
وفاظتْ (٥) منهم فينا أُسارَى * لدينا منهمُ مُتَخَشِّعِينا

وقال ذو الرُّمَّة غَيلان بن عُقْبة فى ذلك (٦) :

وعمِّى الذى قاد الرِّباب جماعةً * وسَعدُهُمُ الرأسُ الرئيسُ المؤمَّر
عشيّةَ أعطتنا أزِمَّةَ أمرِها * ضِرارٌ بنو القَرْم الأغرِّ ومنقِر
وعبدُ يغوثٍ تَحجِل الطيرُ حولَه * قد احتزَّ عُرْشَيه الحسام المذكَّر

العُرْشان : عِرقان فى العنق :

عشيّةَ فرّ الحارثيون بعدما * قضى نَحْبَه فى مَعْرَك الخيل هَوْبَر
وقال أخو جَرْمٍ ألا لا هوادةً * ولا وَزَرٌ إلا النجاءُ المشمِّر

---

(١) كذا فى ف . وفى الأصول : « ظلت مطيا لحراز تعذبهم » وفى العقد الفريد (٥ : ٢٣٣) : تجررهم . وألحمنهم : أطعمنهم اللحم . ومجيرات : موضع . (٢) تدوس : كذا فى النقائض والعقد . وفى الأصول : ردوس . (٣) ف : اعترتنا : أى جاءتنا . وفى الأصول : إذا غزتنا .
(٤) شعاعا : متفرقين فى كل ناحية . (٥) فاظت : هلكت .
(٦) ديوانه ٢٣٢ . وفيه اختلاف فى الرواية .

أبى اللهُ إلّا أننا آل خِندِفٍ * بنا يَسْمَع الصوتَ الأنام ويُبْصر
إذا ما تمضَّرنا فلا ناسَ غيرُنا(١) * ونُضْعِف أحيانا ولا نتمضَّر

وقال أيضاً(٢) :

فما شَهِدت خيلُ امرئِ القيس غارةً * بثهلانَ تحمِى عن ثغورِ الحقائق
أثَرْنا بِهِ نَقْعَ الكُلاب وأنتُمُ * تُثيرونَ نقعَ الملتقَى بالمعازِق
أدَرْنا على جَرْمٍ وأفناءِ مَذْحِجٍ * رَحَى الموت فوق العاملاتِ الخوافِق
صدمناهمُ دُونَ الأمانىّ صَدْمةً * عَماسا بأطوادٍ طِوالٍ شَواهِق
إذا نطحتْ شهباءُ شهباءَ بينها * شُعاع القَنا والمشرفىِّ البوارِق

وقال البَرَاء بن قيس الكِنْدىّ :

قَتَلَتْنا تَميمُ يوما جديدا(٣) * قتل عادٍ وذاكَ يومُ الكُلابِ
يوم جئنا يَسُوقُنا الحَيْن سوقا * نحو قومٍ كأنهم أُسْدُ غابِ
سرتُ فى الأزد والمذاجِج طُرًّا * بين صِلٍّ وكاشِرِ الأنيابِ(٤)
وبنى كِندة الملوكِ ولخمٍ * وجُذامٍ وحِميرَ الأربابِ
ومُرادٍ وخَثْعم وزُبَيْدٍ * وبنى الحارث الطوالِ الرِّغابِ
وحشدنا الصميمَ نرجو نِهابا * فلقينا البَوار دون النِّهابِ
لقيَتْنا أسود سعدٍ وسعدٌ * خُلِقت فى الحروب سَوْط عذاب
تركونى مُسَهَّدا فى وَثاقٍ * أرقب النجم ما أُسِيغُ شرابى
خائفا للرَّدَى ولولا دفاعى * بمئينٍ عن مهجتى كالهضابِ

(١) فلا ناس : كذا فى ف . وفى الأصول والديوان : فما الناس .
(٢) ديوانه (٤٠٧) . وفيه اختلاف فى الرواية . (٣) ف : يوم جديد .
(٤) كذا فى ف . وفى الأصول : « وبكيل وحاشد الأنياب » .

لسُقيت الرَّدَى وكنت كقومى * فى ضريح مغيَّبًا فى التراب
تذرِفُ الدمعَ بالعويل نسائى * كنساءٍ بكت قتيلَ الرِّباب
فلِعينى على الأُلَى فارقونى * دِرَرٌ(١) من دموعها بانسكاب
كيف أبغى الحياةَ بعد رجالٍ * قُتلوا كالأسود قتلَ الكلاب
منهم الحارثىُّ عبدُ يغوثٍ * ويزيدُ الفتيانِ وابنُ شهابِ
فى مِئينٍ نعدّها ومئينٍ * بعد ألف مُنُوا بقوم غِضاب
برجال من العرانين شُمٍّ * أُسْدِ حربٍ ممحوضةِ الأنسابِ

٧٩
١٥

وقال وَعْلة بن عبد الله الجَرْمىّ :

حَذّلتنى نَهْد فقلت لنهدٍ * حين حاستْ(٢) على الكُلاب أخاها
يوم كنا عليهمُ طيرَ ماء * وتميم صُقورَها وبُزاها
لا تلوموا على الفرار فسعدٌ * يالَ نَهْد يخافها من يراها
إنما همُّها الطِّعان إذا ما * كَرِه الطعن والضراب سِواها
تركوا مَذْحِجًا حديثًا مشاعًا * مثل طَسْم وحِمْيَرٍ وصُداها
يالَ قحطانَ وادعوا حَىَّ سعدٍ * وابتغوا سَلْمَها وفضل نداها
إن سعد السعود أُسْدُ غِياضٍ * باسلٌ بأسها شديد قُواها
فُضِحتْ بالكُلاب حارِ(٣) بنُ كعبٍ * وبنو كندةَ الملوكُ أباها
أسلموا للنون عبدَ يغوث * ولِعضّ الكبول حولا يَراها
بعد ألف سُقوا المنيّةَ صِرفًا * فأصابت فى ذاك سَعْدٌ مُناها
ليتَ نَهْدا وجَرْمها ومُرادا * والمذاحيجَ ذو أناةٍ نَهاها

(١) الدرر : جمع درة، وهى الدفعة من المطر . (٢) حاست : وطئت .
(٣) حار : يريد حارث بن كعب . وقد رخمه فى غير النداء شذوذا .

عن تميـــم فـلم تكن فَقْـع قاع * تبتـــدرُها رِبابُهـا ومنـاها
قـل لبكر العـراق تَسترُ عمْــراً * عمـرَو قيس فرأىُ عمـرو قَراها
عن تميـــم ولو غزتهـا لكانت * مثــل لحطانَ مستباحا حماها

✦ ✦ ✦

صـوت لإبراهيم الموصلى فى شعره

٥

صـــــوت

ما بالُ شمس أبى الخطاب قد حُجِبَتْ * أَظُنُّ يا صاحبِىَّ الساعةَ اقتربتْ (٢)
أَوْلا فما بال ريح كنت آنَسُها * عادتْ علىَّ بِصرٍّ بعـد ما جَنَبَتْ (٣)
أشكو إليكَ (٤) أبا الخطّاب جارية * غريرةً بفؤادى اليوم قـد لَعِبتْ
وأنت قَيِّمها فانظر لعاشـــقها * يا ليتَ (٥) قد قَرَّبت منى وما بَعُدَتْ

١٠ عروضه من البسيط . الشعر والغناء لإبراهيم الموصلىّ ، رَمَل بالبنصر، عن الهشامىّ وعلى بن يحيى . وذكر محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر أن فيه هَزَجا بالبنصر لإبراهيم ابن المهدىّ . وذكر عمرو بن بانة أنه لإبراهيم الموصلىّ أيضا .

وأبو الخطاب الذى عناه إبراهيم الموصلى فى شعره هـذا : رجل نخّاس يعرف بقَرين، مولى العباسة بنت المهدىّ ، وكان إبراهيم يهوى جارية له ، يقال لها خُنْث (٦) ،
١٥ وكانت من أجمل النساء وأكملهن ، وكان لها خال فوق شفتها العليا ، وكانت تعرف بذات الخال ، ولإبراهيم ولغيره فيها أشـعار كثيرة . نذكر منها كل ما كان فيه غناء بعد خبرها إن شاء الله .

---

(١) فقع القـاع : ضرب من الكمأة ، تطؤه الإبل ، ويضرب به المثل فى الحقارة والذلة . وجزم "تبتدرها" ضرورة . (٢) كذا فى ف . وفى الأصول : * يا صاحبى لعل الساعة اقتربت *
٢٠ (٣) ف : كنت قيمها . والصرّ : البرد . وجنبت الريح : هبت جنوبا . (٤) كذا فى ف . وفى الأصول : « إليك أشكو » . (٥) كذا فى ف . وفى الأصول : ياليتها قربت .
(٦) ف ونهاية الأرب (٥ : ٩١) : خشف .

أخبار ذات الخال

عشق إبراهيم لها وشراء الرشيد إياها

أخبرنى بخبرها الحسين بن يحيى قال: حدثنا حماد بن إسحاق قال: حدثنى أبى:
أن جدى كان يتعشق جارية لقَرِين، المكنى بأبى الخطّاب النخّاس، وكان يقول فيها الشعر ويُغَنِّى فيه، فشَهَرها بشعره وغنائه، وبلغ الرشيدَ خبرها، فاشتراها بسبعين ألفَ درهم. فقال لها ذات يوم: أسألك عن شىء، فإن صَدَقْتِنى وإلا صَدَقَنى غيرُك وكَذَّبْتُك. قالت له: بل أَصْدُقك. قال: هل كان بينك وبين إبراهيم الموصلىّ شىء قَطّ، وأنا أُحْلِفه أن يَصْدُقَنى. قال: فتلكأت ساعة، ثم قالت: نعم، مرة واحدة. فأبغضها وقال يوما فى مجلسه: أيكم لا يبالى أن يكون كَشْخانا[1]، حتى أهب له ذات الخال. فبدر حَمُّويه الوصيف، فقال: أنا. فوهبها له، وفيها يقول إبراهيم:

أتحسب ذات الخالِ راجية رَبّا * وقد فَتَنَتْ[2] قلبا يَهِيم بها حُبّا
وما عُذْرها نفسى فِداها ولم تَدَع * على أعظمى لحما ولم تُبْقِ لى لُبّا

الشعر والغناء لإبراهيم، خفيف[3] رمل بالسبّابة فى مجرى الوسطى.

الرشيد يشتاقها بعد أن وهبها لحمويه

وذكر أحمد بن أبى طاهر:
أن الرشيد اشتراها بسبعين ألف درهم، وذكر قصة حَمُّويه كما ذكرها حماد، وقال فى خبره: فاشتاقها الرشيد يوما بعد ما وهبها لحَمُّويه، فقال له: ويلَكَ يا حَمُّويه، وهبنالك الجارية على أن تسمع غناءها وحدك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، مر فيها بأمرك. قال: نحن عندك غدا. فمضى فاستعد لذلك، واستأجر لها من بعض الجوهريين بَدَنة[4] وعقودا ثمنها اثنا عشر ألف دينار. فأخرجها إلى الرشيد وهو عليها، فلما رآها[5]

(١) الكشخان: الديوث. (٢) كذا فى ف. وفى الأصول: سلبت.
(٣) خفيف: ساقطة من ف. (٤) البدنة: قميص لا كمى له، من ملابس النساء.
(٥) ف: رآه.

أنكره، وقال : ويلكَ ياحَمُّويه ! من أين لك هذا وما وليتك عملا تكسب فيه مثله ، ولا وَصَل إليك منى هذا القدر ! فصَدَقه عن أمره ، فبعث الرشيد إلى أصحاب الجوهر فأحضرهم، واشترى الجوهر منهم، ووهبه لها ، ثم حلف ألا تسأله يومه ذلك شيئا إلا أعطاها، ولا حاجة إلا قضاها، فسألته أن يولِّىَ حَمُّويه الحرب والخراج ٥ بفارس سبع سنين، ففعل ذلك ، وكتب له عهده به، وشرط على ولى العهد بعده أن يتمها له إن لم تتمّ فى حياته .

حدثنى محمد بن يحيى الصُّولىّ قال : حدثنى محمد بن عبد الله العاصمىّ قال : حدثنى أحمد بن عبد الله طَمَّاس ، عن عبد الله وإبراهيم ابنى العباس الصُّولى قالا :

قصها خالها وشعر العباس بن الأحنف فيها

كانت للرشيد جارية تعرف بذات الخال، فدعته يوما، فوعدها أن يصير إليها، ١٠ وخرج يريدها ، فاعترضته جارية ، فسألته أن يدخل إليها، فدخل وأقام عندها ، فشقّ ذلك على ذات الخال ، وقالت : والله لأطلبنّ له شيئا أغيظه به ، وكانت أحسن الناس وجها، ولها خال على خدها لم ير الناس أحسن منه فى موضعه ، فدعت بمِقْراض ، فقصت الخال الذى كان فى خدها ، وبلغ ذلك الرشيد ، فشق عليه ، وبلغ منه ، فخرج من موضعه ، وقال للفضل بن الربيع : اُنظر من بالباب ١٥ من الشعراء، فقال: الساعةَ رأيت العباس بن الأحنف . فقال : أدخله . فأدخله ، فعرَّفه الرشيد القِصّة وقال : اعْمَل فى هذا شيئا ، على معنًى رسمه له (١)، فقال :

صــــوت

تخلّصتُ ممن لم يكن ذا حَفِيظةٍ * وملْت إلى من لا يغيِّره حالُ
فإن كان قطعُ الخال لما تطلعتْ * إلى غيرها (٢) نفسى فقد ظَلَمَ الخالُ

٢٠ (١) كذا فى ف . وفى الأصول : الخبر. (٢) كذا فى ف . وفى الأصول : تعطفت على .

غناه إبراهيم . فنهض الرشيد إلى ذات الخال مسرعا مسترضيا لها ، وجعل هذين البيتين سببا، وأمر للعباس بألفى دينار، وأمر إبراهيم الموصلىّ فغناه فى هذا الشعر.

محمد بن موسى المنجم يعجبه التقسيم فى الشعر

٨١/١٥

أخبرنى محمد بن يحيى الصولىّ قال : حدثنى محمد بن الفضل قال :

كان محمد بن موسى المنجّم يعجبه التقسيم فى الشعر، ويُشغَف بجيد الأشعار، فكان مما يعجبه قول نُصَيْب :

٥

صــــوت

أيا بعلَ ليلَى كيف تجمعُ سلْمَها * وحَرْبِى وفيما بيننا شبّت الحربُ

لها مثلُ ذنبى اليومَ إن كنتُ مذنبا * ولا ذنب لى إن كان ليس لها ذنبُ

عروضه من الطويل . والشعر لنُصَيْب ، ويروَى للمجنون ، ويروى لكعب ابن مالك الخثعمىّ . والغناء لمالك، ثانى ثقيل بالوسطى عن عمرو .

١٠

قال : وكان محمد بن موسى ينشد كثيرا للعباس بن الأحنف :

صــــوت

ألا ليتَ ذاتَ الخال تَلْقَى من الهوى * عَشِير الذى أَلْقَى فيلتئمَ الشَّعْبُ

إذا رَضِيتْ لم يَهْنِنى ذلك الرضا * لعلمى به أن سوف يتبعُه العَتْب

وأبكى إذا ما أذنبتْ خوفَ صدّها * وأسألها مَرْضاتها ولها الذنب

١٥

وصالُكمُ صُرْمٌ وحبُّكمُ قِلًى * وعطفُكمُ صدّ وسِلْمُكم حَرْب

ويقول : ما أحسن ما قسّم ، حتى جعل بإزاء كل شىء ضدّه ، والله إن هذا لأحسن من تقسيمات إقليدس .

الغناء فى هذه الأبيات الأربعة لإبراهيم الموصلىّ ، ثانى ثقيل بالوسطى ، عن المشامىّ .

٢٠

جوارى الرشيد الثلاث اللاتى هويهن

وكانت ذات الخال إحدى الثلاث الجوارى اللواتى كان الرشيد يهواهن ، ويقول الشعر فيهن ، وهن سِحْر ، وضِياءٌ ، وخُنْث ؛ وفيهن يقول الرشيد :

إن سِحْرا وضياءً وخُنُثْ * هنّ سحرٌ وضياءٌ وخُنُثْ[1]

أَخَذَتْ سِحْرٌ ولا ذنبَ لها * ثُلُثَيْ قلبي وتِرْباها الثُلُثْ

٥ حدّثنى محمد بن يحيى الصولىّ قال : حدثنا أحمد بن محمد الأسدىّ قال : حدّثنا أحمد بن عبد الله بن علىّ بن سُويد بن مَنجوف السَّدُوسىّ قال : حدّثنى محمد بن إسماعيل بن صُبيح قال :

وجه الرشيد إلى جاريته سِحْر لتصير إليه ؛ فاعتلت عليه ذلك اليومَ بعلّة ، ثم جاءته من الغَد ، فقال الرشيد :

١٠ أيا مَنْ رَدَّ وُدِّى أَمْ * سِ لا أُعطيكِهُ اليوما

ولا والله لا أعطيـ * ـك إلا الصدَّ واللَّوْما

وإن كان بقلبى منـ * ـك حُبٌّ يمنع النَّوما[2]

أيا من ثمنُه الوَصْلَ * فأغلى المَهْرَ والسَّوْما

قال : وفيهن يقول، وقد قيل إن العباس بن الأحنف قالها على لسانه :

١٥ صوت

مَلَكَ الثلاثُ الآنساتُ عِنانِى * وحَلَلْن من قلبى بكلِّ مَكانِ

ما لى تُطاوعنى البريةُ كلها * وأطيعُهن وهنّ فى عصيانى

ما ذاك إلا أن سُلْطان الهوى * وبه عَزَزْنَ[3] أعزّ من سلطانى

غنته عَرِيبُ خفيف ثقيل الأول بالوسطى .

٢٠ (١) الخنث : المثنى والمنكسر ، وضم النون اتباعا للوزن .

(٢) ف : وإن كان بقلبى منـ * ـك ما يمنعنى النوما .

(٣) كذا فى ف . وفى الأصول : قوين .

مجلس غناء وسمر

٨٢ / ١٥

وروى أحمد بن أبى طاهر عن إسحاق قال :

وجه الرشيد إلى ذات الخال ليلة وقد مضى شطر الليل، فحضرت، فأخرج إلىّ جارية كأنها المَهاة ، فأجلسها فى حجره، ثم قال : غنى ، فغنّته :

جئْنَ منَ الروم وقالِيقَلَا * يرفُلْن فى المُرْط ولِين المُلَا
مُقَرْطَقَاتٌ(١) بصُنوف الحُلَى * يا حبَّذا البِيضُ وتلك الحُلَى

فاستحسنه وشرب عليه، ثم استُؤْذن للفضل بن الربيع، فأذن له، فلما دخل قال : ما وراءك فى هذا الوقت؟ قال : كل خير يا أمير المؤمنين، ولكن جرى الساعة لى سبب لم يجز لى كتمانُه أميرَ المؤمنين . قال : وما ذاك ؟ قال : أُخرج إلىّ فى هذا الوقت ثلاثُ جوارٍ لى : مكية، ومَدِينية(٢)، وعراقية . فقبَضَتِ المَدِينية على ذَكَرِى، فلما أَنعظْتُ وثبت المكية فقعدت عليه ، فقالت لها المدينية : ما هذا التعدى ؟ ألم تعلَمى أن مالكا حدثنا عن الزهرىّ عن عبد الله بن ظالم، عن سعيد بن زيد : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من أحيا أرضا ميِّتة فهى له » ؟ فقالت الأخرى : أولم تعلمى أن سفيان حدّثنا ، عن أبى الزِّناد ، عن الأعرج ، عن أبى هريرة : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الصيدُ لمن صاده لا لمن أثاره » . فدفعتهما العراقية عنه، ووثبت عليه، وقالت : هذا لى، وفى يدى حتى تصطلحا . فضحك الرشيد ، وأمره بحملهن إليه ، ففعل ، وحَظِين عنده ، وفيهن يقول :

ملكَ الثلاثُ الآنساتُ عِنانِى * وحَلَلْن من قلبى بكل مكانِ

إعجاب الناس بشعر الرشيد فى جواريه

حدثنا محمد بن يحيى قال : حدثنا الغَلَابىّ قال : حدثنى مهدىّ بن سابق قال : حججنا مع الرشيد آخر حجّة ، فكان الناس يتناشدون له فى جواريه :

(١) ف : مقرطات . (٢) نسبة إلى مدينة الرسول خاصة .

ثلاث قد حَلَلْن حِمى فؤادى * ويُعْطِين الرغائب من وِدادى[1]

نظمت قلوبهن بخيط قلبى * فهنّ قرابتى حتى التنادى

فمن يك حلّ من قلب محلًّا[2] * فهن مع النواظر والسّواد

ومما قاله إبراهيم وغيره فى ذات الخال وغنّى فيه :

غناء لابراهيم الموصلى فى ذات الخال

صوت

أذاتَ الخالِ أَقصيْتِ * مُحبًّا بكُمُ صَبًّا

فلا أَنْسى حياتىَ ما * عَبَدْتُ الدهرَ لى رَبًّا

وقد قلت أنيلينى * فقالت أَفْرَقُ الذّنْبا

الشعر والغناء لإبراهيم ، هزج بالوسطى عن عمرو . ومنها :

١٠

صوت

أذاتَ[3] الخال قد طالَ * بمن أسقمتِه الوجَعُ

وليس إلى سواكم فى الـ * ـذى يلقَى له فَزَعُ

أما يمنعُك الإسلا * مُ من قتلى ولا الورَعُ

وما ينفكُّ لى فيك * هوًى تَغتَرُّه خُدَعُ

١٥ الشعر والغناء لإبراهيم ، هزج بالوسطى، عن عمرو . ومنها :

٨٣ / ١٥

صوت

تَعلَبُ يا هذا الكثيرُ العبَث * بالله لمّا قُلْتَ لى عن خُنُث

عن ظبيةٍ تميس فى مِشيتها * أحسنُ من أبصرتُه فى شَعَث

(١) كذا فى ف . وفى الأصول : « فى ودادى » . (٢) كذا فى ف . وفى الأصول : من النواظر . (٣) سقط من أول هذا الشعر مقدار صفحتين من ف .

٢٠

فقال : قالت قل له أنت امرؤ * مُوَكَّل فيما ترى بالعَبَث
والله لولا خَصْلَةٌ أرقبُها * لقَلّ فى الدنيا لما بى لَبَثِى

الشعر لإبراهيم ، وله فيه لحنان : أحدهما ثقيل الأوّل ، عن أبى العنبس . والآخر هزج بالبنصر عن عمرو . وفيه لعَريب ثقيل أول آخَر . وذكر حَبَش أن فيه لابن جامع هزجا آخر بالوسطى .

وذكر هارون بن الزيات أن حماد بن إسحاق حدثه عن أبيه :

أن ثعلبا هذا ، كان مملوكا لإبراهيم ، فقال هذه الأبيات فى خُنْث جارية جَزْء بن مِغْول المَوْصلىّ ، وكانت مغنية محسنة ، وخاطب ثعلبا فيها مستخبرا له .

وذكر هارون بن محمد بن عبد الملك أن حماد بن إسحاق حدثه عن أبيه :

أنه قال فى خُنْث جارية جَزْء بن مِغْول المَوْصلى ، وخاطب فى شعره غلاما يقال له ثعلب ، وكانت خُنْث مغنية محسنة ، وكانت تعرف بذات الخال .

صوت

ثعلبُ يا هذا الكثيرَ الخُبُث * بالله إلا قلت لى عن خُنُث

وذكر الأبيات .

قال : وقال له أيضا :

صوت

أبلِغ لذات الخال يا ثعلبُ * قولَ امرئ فى الحبّ لا يكذبُ
إنى أقول الحق[1] فاستيقنى * كل امرئ فى حُبّه يلعبُ

الشعر والغناء لإبراهيم ، له فيه لحنان : رمَل وخفيف ثقيل ، عن ابن المكىّ .

ومنها :

(١) أ : الشعر .

صـــوت

جزى الله خيرا من كلِفت بحبه * وليس به إلا المُنوهُ من حُبِّي
وقالوا : قلوب العاشقين رقيقة * فما بالُ ذات الخالِ قاسيةَ القلبِ؟
وقالوا لها : هـذا محبك مُعرِضًا * فقالت: أرى إعراضه أيسرَ الخطبِ (١)
فما هو إلا نظرة بتبسُّم * فتنشَب رجلاه ويسقُطَ لِلجَنب

ومنها :

صـــوت

إن لم يكن حب ذات الخال عنَّاني * إذنْ تَحَوَّلْتُ في مَسْك ابن زَيدان (٢) (٣)
فإنَّ هـذى يمين ما حلفت بها * إلا على الحق في سرى وإعلانى

الشعر والغناء لإبراهيم ، هزج بالبنصر .

ومنها :

صـــوت

لقد أخلو بذات الخا * لِ والحراسُ قد هَجَعُوا
فمن يُبصِرْ أبا الخطَّا * ب يطلُبُها ويتَّبِـعُ (٤)
ألا لم تَرَ محـزونا * تَسَنَّمَ صبرَهُ الجزع
وقارَعَنى ففـزْت بها * وحازتها لِيَ القُرَعُ

غناه إبراهيم ، من رواية بَذْل عنه ، ولم تذكر طريقته .

(١) أ : ألا .
(٢) المسك : الجلد . يريد : مسخت وصرت ابن زيدان . أي في مسلاخه وشبهه .
(٣) إلى هنا ينتهي الساقط من نسخة (ف) .
(٤) جواب الشرط محذوف ، تقديره : ير منظرا مؤلما ، وفسره في البيت الذي يليه ، بأنك لم تر محزونا غلبه الجزع مثله .

إبراهيم الموصلى يعد ذات الخال دنياه ودينه

قال علىّ بن محمد الهشامىّ : حدّثنى جدى ، يعنى ابن حمدون، قال : حدّثنى مخارق قال :

كنت عنـد إبراهيم الموصـلىّ ومعى ابن زَيدان صاحب البرامكة، و إبراهيم يلاعبه بالشِّطْرَنْج ، فدخل علينا إسحاق، فقال له أبوه : ما أفدت اليوم ؟ فقال : أعظم فائدة . سألنى رجل ما أفخم كلمة فى الفم ؟ فقلت : لا إله إلا الله . فقـال له أبوه إبراهيم : أخطأت . هـلا قلت : دُنْيا ودينا (١) . فأخذ ابن زيدان الشاه، فضرب به رأس إبراهـيم ، وقال له : يا زنديق ، أتكفر بحضرتى ؟ فأمر إبراهيم غلمانه فضربوا ابن زَيدان ضربا شديدا، فانصرف من ساعته إلى جعفر بن يحيى، فحدّثه بخبره . قال : وعلم إبراهيم أنه قد أخطأ وجنى، فركب إلى الفضل بن يحيى، فاستجار به ، فاستوهبه الفضلُ من جعفر، فوهبه له، فانصرف وهو يقول :

صـــــوت

إن لم يكن حبّ ذات الخال عَنّانى * إذا تَحَوَّلْتُ فى مَسْــك ابن زَيْدان

فإن هـذى يمين ما حلفت بهـا * إلا على الصـدق فى سرى و إعلانى

قال : وله فى هذين البيتين صنعة ، وهى هَزَج .

منهـا :

شعر إبراهيم الموصلى فى ذات الخال

صـــــوت

مَنْ يرحمُ محزونا (٢) * بذات الخالِ مَفْتونَا

أبى فيها فمـا يسلو * وكل الناس يَسْلُونَا

(١) يشير إبراهيم إلى قوله فى ذات الخال :

لا تلحنى إن ذات الـ * ـخال دنياى ودينى

(انظر صفحة ٣٥١ من هذا الجزء) . (٢) كذا فى ف . وفى الأصول : مجنونا .

فقد أودى به السُّقْمُ * وقد أصبح مجنونا

فإن دام على هـذا * ثوى فى اللحد مدفونا

الشعر والغناء لإبراهيم ، خفيف ثقيل ، عن الهشامىّ .

ومنهـا :

٥

صــــوت

لذات الخال أرّقنى * خيالٌ بات يلثمنى

بكى وجرى له دمع * لمـا بالقلب من حَزَن

فلا أنسـاه أو أنسى * إذا أُدْرِجْت فى كَفَنى

الشعر والغناء لإبراهيم ، خفيف رمل بالوسطى ، عن الهشامىّ .

١٠ ومنهـا :

صــــوت

هل علمتَ اليومَ يا عا * صمُ يا خــيرَ خَـدِينِ

أنّ ذات الخـال تأتيـ * ـنى على رَغـــم قرينِ

لا تلُمْنى إنّ ذات الـ * ـخالِ دنيـایَ ودينى

وإلى حفصٍ خليـــلى * ووَزيرى وأميـنى

١٥

بُحتُ لا أكتمُه شيد * ئا من الداء الدفين (١)

إنّ بى من حب ذات الـ * ـخال شـيئا كالجنون

فيه لإبراهيم هزَج بالوسطى ، عن ابن المكىّ .

ومنهـا :

٨٥
١٥

٢٠ (١) ف : السر .

صــــوت

تقـول ذات الخـالِ * لى : يا خَـلِيَّ البـالِ
فقلتُ : حاشاكِ من أنْ * يكونَ حالُك حالى
أعرَضْتِ عَنِّىَ لمّا * أوقعتِنى فى الحبـال
إنّ الخلىَّ هو الغا * فِـلُ الذى لا يُبـالى ٥

لإبراهيم من كتابه عن حَبَش فيه لحن . وذكر ابن المكىّ أنه رمل .

ومنهـا :

صــــوت

أما تعـلمُ ذات الخـا * لِ فوقَ الشـفة العليـا
بأنى لست أهـوى غيـ * ـرها شيئا من الدنيـا ١٠
وأنى عن جميع النـ * ـاس إلا عنهمُ أعمى
وأنى لو سُقيت الدهـ * ـرَ من ريقك لا أَرْوَى

الشعر والغنـاء لإبراهيم ، رمل بالوسطى ، عن عمرو وابن المكىّ وغيرهما . وقـد روى « أما تعلم ياذا الخال » ، وهذا هو الصحيح .

ومنهـا : ١٥

صــــوت

ياليت شِعرىَ كيفَ ذاتُ الخالِ * أمْ أينَ تحسِبُ حالَهـا من حالِى
هــل أُنْسَيَنّ منهـا وضَمَّتْ مرةً * رأسى إليهـا ثم قالت : مالى
ألِزَلّةٍ أقصيتَنى نفسى الفـــدا * (١) لك أم أطعت مَقالةَ العــذال
والله ما استحسنتُ شيئا مُونِقـا * ألتـــذُّه إلّا خَطَرْتِ ببـالى ٢٠

(١) كذا فى ف . وفى الأصول : نفسى فداؤك .

الشعر والغناء لإبراهيم ، وله فيه لحنان : هزج بالأصابع كلها ، عن ابن المكيّ ، وثقيل أول بالوسطى ، عن حبش .

ومنها :

صوت

٥ يا ليتَ شِعرِيَ والنساءُ غوادِرٌ * خُلُفُ العِداتِ وَفاؤُهن قليلُ

هل وصلُ ذاتِ الخال يوما عائدٌ * فتزولَ لَوْعاتي وحَرُّ غليلي[1]

أم قد تناستْ عهدَنا وأحالَها * عن ذاك مَلْكُ حالَ دون خليلِ

الشعر والغناء لإبراهيم من كتابه ، ثقيل أول بالبنصر ، عن إسحاق بن إبراهيم ، وابن المكيّ والهشاميّ .

١٠ انقضت أخبارها .

✦ ✦ ✦

صوت

صوت لحنين في شعر لحجر بن عمرو

إن من غَرَّهُ النساءُ بشيء * بعد هند لَجاهلٌ مغرورُ

حُلْوة القول واللسان ومُرٌّ * كل شيء أَجَنَّ منها الضميرُ

١٥ كل أنثى وإن بدا لك منها * آيةُ الحبّ حبُّها خَيْتَعُورُ[2]

الشعر لحُجْر بن عمرو آكل المُرار . والغناء لحُنين ، ثاني ثقيل بالبنصر ، عن الهشاميّ . وفيه لُنَبِيه ثقيل أوّل بالوسطى ، عن حَبَش . وفيه رمل له .[3]

(١) في الشعر إقواء .

(٢) الخيتعور : الباطل ، أو الذي لا يدوم على حال .

٢٠ (٣) إلى هنا ينتهي الجزء السادس عشر من نسخة ف .

٨٦
١٥

نسب حُجر بن عمرو، والسبب الذى من أجله قال هذا الشعر

نســبه

هو حُجر بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مُرْتِع[1]، واسمه عمرو بن ثور، وقيل : ابن معاوية بن ثور، وهو كندة بن عُفَير بن عدىّ بن الحارث بن مرّة بن أدَد بن زيد بن يَشْجُب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سَبَأ ابن يشجب بن يعرُب بن قَحْطان[2] .

القتال بينه وبين ابن الهبولة

أخبرنى بخبره محمد بن الحسن بن دُريد إجازة، قال : حدّثنى عمى، عن ابن الكلبىّ، عن أبيه، عن الشَّرْقى بن القُطامىّ قال :

أقبل تُبَّع أيام سار إلى العراق، فنزل بأرض معدّ، فاستعمل عليهم حُجْر بن عمرو، وهو آكل المرار، فلم يزل ملكا حتى خَرِف، وله من الولد عمرو ومعاوية وهو الجَوْن . ثم إن زياد بن الهَبولة بن عمرو بن عوف بن ضَجْعَم بن حماطة بن سعد بن سَليح القضاعىّ، أغار عليه وهو ملك فى ربيعة بن نزار، ومنزله بغَمر ذى كندة، وكان قد غزا بربيعة البحرين . فبلغ زيادا غزاتُه، فأقبل حتى أغار فى مملكة حُجْر، فأخذ مالا كثيرا، وسبى امرأة حُجْر، وهى هند بنة ظالم بن وهب ابن الحارث بن معاوية، وأخذ نسوة من نساء بكر بن وائل .

فلما بلغ حجرا وبكر بن وائل مغارُه وما أخذ أقبلوا معه، ومعه يومئذ أشرافُ بكر بن وائل، منهم عوف بن محلِّم بن ذُهْل بن شَيبان، وصُلَيع بن عبد غَنْم بن ذهل ابن شيبان، وسَدُوس بن شيبان بن ذُهل، وضُبَيعة بن قيس بن ثعلبة، وعامر

(١) مرتع : ضبطه فى التاج كمحسن ومحدث .
(٢) فى كتب التراجم اختلاف كثير فى أسماء آباء حجر، وفى ترتيبهم .

ابن مالك بن تيم الله بن ثعلبة . فتعجل عمرو بن معاوية وعوف بن محلّم، قالا لحجر: إنا متعجّلان إلى الرجل ، لعلنا نأخذ منه بعض ما أصاب منا . فلقياه دون عين أُباغ ، فكلمه عوف بن محلم، وقال : يا خير الفتيان ، اردد علىّ ما أخذته منى . فأعطاه إياه . وكلمه عمرو بن معاوية فى فحل إبله ، فقال : خذه ، فأخذه عمرو، وكان قويا . فجعل الفحل ينزع إلى الإبل ، فاعتقله عمرو ، فصرعه . فقال له ابن الهبولة : أما والله يا بنى شيبان ، لوكنتم تعتقلون الرجال كما تعتقلون الإبل لكنتم أنتم أنتم . فقال عمرو : أما والله لقد وهبت قليلا ، وشممت جليلا . ولقد جررت على نفسك شرا ، ولتجدنى عند ما ساءك . ثم ركض حتى صار إلى حجر، فأخبره الخبر .

فأقبل حُجْر فى أصحابه ، حتى إذا كان بمكان يقال له «الحفير» بالبرّ ، وهو دون عين أُباغ ، بعث سَدوسا وصُلَيعا يتجسسان له الخبر ، ويعلمان له علم العسكر . فخرجا حتى هجما على عسكره ، وقد أوقد نارا ، ونادى منادٍ له : من جاء بحزمة من حطب فله فِدرة[1] من تمر . وكان ابن الهَبولة قد أصاب فى عسكر حُجْر تمرا كثيرا ، فضَرب قِبابه ، وأجّج ناره ، ونثر التمر بين يديه ، فمن جاء بحطب أعطاه تمرا . فاحتطب سَدوس وصُليع[2] ، ثم أتيا به ابن الهَبولة ، فطرحاه بين يديه ، فناولهما من التمر ، وجلسا قريبا من القُبة . فأما صليع[2] فقال : هذه آية وعلم ما يريد[3] ، فانصرف إلى حُجْر ، فأعلمه بعسكره ، وأراه التمر . وأما سدوس فقال : لا أبرح حتى آتيه بأمر جَلِيّ . فلما ذهب هزيع من الليل أقبل ناس من أصحابه يحرسونه ، وقد تفرّق أهل العسكر فى كل ناحية ، فضرب سَدُوس بيده إلى جَليس له ، فقال له : من أنت ؟ مخافة أن يستنكر .

(١) فدرة : قطعة . (٢) أ ، م : ضبيعة . (٣) أ ، م : على .

فقـال : أنا فلان ابن فلان . قال : نعم . ودنا سَدوس من القُبـة ، فكان حيث يسمع الكلام ، فدنا ابن الهبولة من هنـد امرأة حجـر ، فقبّلها وداعبهـا ، ثم قال لها فيما يقول : ما ظنك الآن بحُجر لو علم بمكانى منك ؟ قالت : ظنى به والله أنه لن يدع طلبك حـتى يطالع القصور الحُمْـر ، وكأنى أنظر إليـه فى فوارس من بنى شيبان يُذَمِّرهم ويذَمِّرونه ، وهو شديد الكَلَب ، سريع الطلَب ، يزبد شدقاه كأنه بعير آكِلُ مُرار . فسمّى حُجـر آكلَ المُرار يومئذ . قال : فرفع يده فلطمها . ثم قال : ما قلتِ هـذا إلا من عُجْبك به ، وحبك له . فقـالت : والله ما أبغضتُ ذا نَسَمة قطُّ بغضى له ، ولا رأيت رجلا قطُّ أحزم منه نائمـا ومستيقظا ، إن كان لتنام عيناه وبعض أعضائه حىٌّ لا ينـام ، وكان إذا أراد النـوم أمرنى أن أجعل عنده عُسًّا مملوءا لبنا ، فبينا هو ذات ليـلة نائم وأنا قريبة منه أنظر إليه ، إذ أقبل أسود سالخ إلى رأسه ، فنحى رأسه ، فمال إلى يديه ، وإحداهما مقبوضة ، والأخرى مبسوطة ، فأهوى إليهـا فقبضها ، فمـال إلى رجليه وقـد قبض واحدة ، وبسط الأخرى ، فأهوى إليها ، فقبضها ، فمال إلى العُسّ : شربه ثم مجه ، فقلت : يستيقظ فيشرب فيموت ، فأستريح منه . فانتبه من نومه ، فقال : علىّ بالإناء ، فناولته ، فشمه فاضطربت يداه ، حتى سـقط الإناء فأهريق . وذلك كله بأُذن سَدُوس .

فلما نامت الأحراس خرج يسرى ليلته ، حتى صبّح حُجرا . فقال :

أتاك المرجفون برجـم غيب * على دَهَش وجئتـك باليقـين

فمن يَكُ قد أتاك بأمر لَبْس * فقـد آتى بأمر مُستبين

ثم قصّ عليه جميع ما سمع .

فأسف ونادى فى الناس : الرحيل . فساروا حتى انتهوا إلى عسكر ابن الهَبولة ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، فانهزم أصحاب ابن الهَبولة ، وعرفه سدوس ، فحمل عليه ،

فاعتنقه وصرعه فقتله . وبصُر به عمرو بن معاوية، فشدّ عليه، فأخذ رأسه منه، وأخذ سدوس سَلَبه ، وأخذ حُجْـر هندا فربطها بين فرسين ، ثم ركضا بهـا حتى قَطَّعاها قطعا .

هذه رواية ابن الكلبىّ .

وأما أبو عبيـدة فإنه ذكر أن ابن الهَبولة لمـا غنم عسكر حُجـر، غنم مع ذلك زوجته هند بنت ظالم، وأم أُناس بنت عوف بن محلِّم الشيبانى ، وهى أم الحارث ابن حُجر وهند بنت حجر، ولابنهـا الحارث ابن يقـال له عمرو ، وله يقول بشر ابن أبى خازم :

فإلى ابن أم أناسَ أُعْمِـــل ناقتى * عمـرو فتنجح حاجتى أم تُرجَفُ

مَلِك إذا نزل الوفودُ ببـابه * غَرَفوا غواربَ مُزْبد ما يُنزَف

قال : وبنتها هند هى التى تزوّجها المنذر بن ماء السماء اللخمىّ . قال : وكان ابن الهبولة بعد أن غنم يسـوق ما معه من السبايا والنَّعم ، ويتصيد فى المسير ، ولا يمـرّ بوادٍ إلا أقام به يوما أو يومين ، حتى أتى على ضَرِيَّة ، فوجدها مُعْشبة ، فأعجبته ، فأقام بها أياما . وقالت له أم أُناس : إنى لأرى ذات وَدَك[1]، وسوء دَرَك، كأنى قد نظرت إلى رجل أسود أدلم ، كأن مشافره مشافر بعـير آكِل مُرَار قـد أخذ برقبته، فسمى حُجر آكلَ المُـرار بذلك . وذكر باقى القصة نحو مامضى .

وقال فى خبر ابن الهَبولة : إن سَدوسا أَسَرَه ، وإن عمرو بن معاوية لمـا رآه معه حسده، فطعنه فقتله : فغضب سَدوس لذلك، وقال : قتلت أسيرى وديتُه دية

---

(١) الودك : الدسم من اللحم والشحم .

الملوك . وتحاكما إلى حُجْر ، فحكم لسدوس على عمرو وقومه بدية ملك ، وأعانهم فى ذلك بماله . وقال سَدُوس فى ذلك يعاتب بنى شيبان :

٨٨ / ١٥

ما بعدكُم عيشٌ ولا مَعْكُمُ * عيشٌ لذى أَنَف ولا حَسَبِ

لولا بنو ذهل وجَمْعُ بنى * قيس وما جَمَّعت من نَشَبِ

ما سُمْتُمونِى خُطَّة غَبَنًا * وعلى ضَرِيَّة رمتُمُ غَلَبى

قال : وقد رُوِى أن حُجْرا ليس بآكل المُرار ، وإنما أبوه الحارث آكل المُرار . ورُوِى أيضا أنه إنما سُمى آكلَ المُرار لأن سَدوسا لما أتاه بخبر ابن الهَبولة ومداعبته لهند ، وأن رأسه كان فى حجرها ، وحدّثه بقولها وقوله ، فجعل يسمع ذلك وهو يعبث بالمُرار ، وهو نبت شديد المرارة ، وكان جالسا فى موضع فيه منه شيء كثير ، فجعل يأكل من ذلك المُرار غَضَبا وهو يسمع من سدوس ولا يعلم أنه يأكله من شدّة الغضب ، حتى انتهى سدوس إلى آخر الحديث ، فعلم حينئذ بذلك ، ووجد طعمه ، فسمى يومئذ آكلَ المُرار .

قال ابن الكلبى : وقال حُجْر فى هند :

لمن النارُ أُوقِدَتْ بحَفيرِ * لم تَنَمْ عند مُصْطلٍ مَقْرورِ (١)

أوقدتْها إحدى الهنود وقالت * أنت ذا مُوثَقٌ وَثاق الأسيرِ

إنّ من غَرّه النساء بشيء * بعدَ هند لجاهلٌ مغرورُ

وبعده باقى الأبيات المذكورة متقدّما وفيها الغناء .

(١) هذا البيت والذى بعده فيهما إقواء ، لأنهما تخالفان البيت الثالث والأبيات التى تقدّمت فى الصوت .

صــــوت

شعر لمحمد بن صالح العلوى فيه غناء

طَرِبَ الفؤادُ وعاودتْ أحزانُه * وتفرّقت فِرَقًا به أشجانُهُ

وبدا له من بعد ما اندمل الهوَى * برقٌ تألّقَ مَوْهِنًا لَمَعانُه

يبدو كحاشية الرداءِ ودونه * صعبُ الذّرَى متمنّعٌ أركانه

فالنار ما اشتملت عليه ضُلوعه * والماء ما جادت به أجفانه

الشعر لمحمد بن صالح العَلَوِىّ . والغناء لرذاذ ، ويقال إنه لبنان . خفيف ثقيل . وفيه ثقيل أوّل ، يقال إنه لأبى العنبس ، ويقال إنه للقاسم بن زُرزور . وفيه لعمرو الميدانى رمل طُنبورىّ ، وهو لحن مشهور .

أخبار محمد بن صالح العلوىّ ونسبه

نسبه ومنزلته الشعرية

هو محمد بن صالح بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علىّ ابن أبى طالب . ويكنى أبا عبد الله ، شاعر حجازىّ ظريف ، صالح الشعر ، من شعراء أهل بيته المتقدّمين . وكان جدّه موسى بن عبد الله أخا محمد و إبراهيم آبنى عبد الله بن حسن بن حسن الحجازيين الخارجين فى أيام المنصور ، أمهم جميعا هند بنت أبى عُبيدة .

جدّه موسى بن عبد الله

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العلاء والطوسىّ قالا : حدّثنا الزُّبير بن بكار ؛ وأخبرنى أحمد بن محمد بن سعيد الهَمْدانىّ قال : حدّثنا يحيى بن الحسن العَلوىّ قال : حدّثنى الزبير بن بكار :

أن هندا حملت بموسى بن عبد الله ولها ستون سنة . قال : ولا تحمل لستين إلا قرشية ، ولا تحمل لخمسين إلا عربية . قال : وكان موسى آدم شديد الأُدْمَة ، وله تقول أمه هند :

إنك أنْ تكونَ جَوْنا أنزعا * أجدرُ أن تضرَّهُمْ وتنفعا
وتسلكَ العيش طريقا مَهْيعا * فردًا من الأصحاب أو مُشَيَّعا

وكان موسى آستتر بعد قتل أخويه زمانا ، ثم ظَفِر به أبو جعفر ، فضربه بالسوط ، وحبسه مدّة ، ثم عفا عنه وأطلقه .

وله أخبار كثيرة ليس هذا موضعها .

خروجه على المتوكل وحبسه

وكان محمد بن صالح خرج على المتوكل مع من بيّض فى تلك السنة ، فظفر به وبجماعة من أهل بيته أبو الساج ، فأخذهم وقيّدهم ، وقتل بعضهم ، وأخرب سُوَيقة ،

وهى منزل للحسنيِّين ، ومن جملة صدقات أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب صلوات الله عليه ، وقعَر بها نخلا كثيرا ، وحرّق منازل لهم بها ، وأثر فيهم وفيها آثارا قبيحة ، وحُمل محمد بن صالح فيمن حُمل منهم إلى سُرَّ مَنْ رأى ، فحُبس ثلاث سنين ، ثم مدح المتوكل ، فأنشده الفتحُ قصيدته بعد أن غُنِّىَ فى شعره المذكور ، فطرب ، وسأل عن قائله فعرفه ، وتلا ذلك إنشادُ الفتح قصيدته ، فأمر بإطلاقه .

وأخبرنى محمد بن خلف وكيع قال : حدّثنى أحمد بن أبى خيثمة قال :

شعره فى الحبس

أنكر موسى بن عبدالله بن موسى على ابن أخيه محمد بن صالح بن عبدالله بن موسى ، بعضَ ما ينكره العمومة على بنى أخيهم ، فى شىء من أمور السلطان ، وكان محمد ابن صالح قد خرج بسُوَيقة ، فصار أبو الساج إلى سُوَيقة ، فأسلمه عمه موسى وبنوه بعد أن أعطاه أبو الساج الأمان ، فطرح سلاحه ، ونزل إليه فقيده ، وحمله إلى سُرّ من رأى ، فلم يزل محبوسا بها ثلاث سنين ، ثم أطلق ، وأقام بها إلى أن مات . وكان سبب موته أنه جُدِر ، فمات فى الجُدَرِىّ ، وهو الذى يقول فى الحبس :

طرِبَ الفؤادُ وعاودتْ أحزانُه * وتشعبتْ شُعَبا به أشجانُهُ
وبدا له من بعد ما اندملَ الهوى * بَرْق تألَّق مَوْهِنا لَمَعانه
يبدو كحاشية الرِّداء ودونَهُ * صعْب الذُّرا متمنِّعٌ أركانه
فدنا لينظر كيف لاح فلم يُطِقْ * نظرا إليه وردّه سَجَّانُهُ
فالنار ما اشتملت عليه ضُلوعه * والماءُ ما سحّت[1] به أجفانه
ثم استعاذ من القبيح وردَّهُ * نحوَ العزاء عن الصِّبا إيقانه
وبدا له أن الذى قد ناله * ما كان قدّره له ديّانه
حتى اطمأن ضميرُه وكأنما * هتك العلائقَ عاملٌ وسنانه[2]

(١) أ ، م : جادت . (٢) العامل من الرمح : صدره ، وهو ما يلى السنان .

يا قلبُ لا يذهبْ بحلمك باخلٌ * بالنَّيْـل باذِلُ تافـه منّانه
يَعِدُ القضاءَ وليس ينجِز مَوْعداً * ويكونُ قبـل قضائه ليّانه[1]
خَدِلُ الشَّوَى حَسَن القَوام مُخَصَّر[2] * عـذبٌ لَمَاه طيّب أردانه
وٱقنـع بما قسم الإله فأمرُهُ * ما لا يزال على الفتى إتيانه
والبؤس ماض ما يدوم كما مضى * عصرُ النعيم وزال عنك أوانه ٥

شجاعته

أخبرنى عمى قال : حدّثنى أحمد بن أبى طاهر قال :

كنت مع أبى عبد الله محمد بن صالح فى منزل بعض إخواننا، فأقمنا إلى أن

٩٠/١٥

ٱنتصف الليل، وأنا أرى أنه يبيت، فإذا هو قد قام، فتقلد سيفه، وخرج، فأشفقت عليه من خروجه فى ذلك الوقت، وسألته المُقام والمبيت، وأعلمته خوفى عليه، فٱلتفت إلىّ متبسما وقال : ١٠

إذا ما اشتملتُ السيفَ والليلَ لم أَهَلْ * لشيءٍ ولم تَقْرَع فؤادى القوارعُ

شعره فى الجوارى الباكيات

أخبرنى الحسين بن القاسم الكوكبىّ قال : حدّثنى أحمد بن أبى طاهر قال :

مرّ محمد بن صالح بقبر لبعض ولد المتوكل، فرأى الجوارى يلطمن عنده، فأنشدنى لنفسه :

رأيت بسامَرّا صَبيحةَ جمعة * عيونا يروق الناظرين فُتُورُها ١٥
تزور العِظام البالياتِ لدى الثَّرَى * تَجاوزَ عن تلك العظام غَفُورُها
فلولا قضاءُ الله أن تَعْمُرَ الثرى * إلى أن يُنادَى يوم يُنْفَخُ صُورُها
لقلتُ عساها أن تَعِيش وأنها * ستُنْشَرُ من حَرّا عيونٍ تزورها

(١) ليانه : إخلاف موعده، وهو مصدر لواه بحقه : إذا ماطله .
(٢) أ، م : القيام . ٢٠

أسيلاتِ مجرى الدمع إمّا تهلّلتْ * شُــئون المـآقِى ثم سَحّ مَطيرها
بوبْلٍ كأنْوام الجمانِ يُفيضُه * على ...ـــرها أنفاسُها وزفـــيرها
فيا رحمــةً ماقــد رحمتِ بَواكيا * ثقالا تواليهـا لِطافا خُصــورها

أخبرنى الحسن بن علىّ قال : حدّثنـا محمد بن القاسم بن مهـرويه قال : حدّثنى إبراهيم بن المدبِّر قال :

تزوّجه من أخت عيسى بن موسى الحــرّى

٥

جاءنى محمد بن صالح الحسَنىّ، فسألنى أن أخطب عليه بنت عيسى بن موسى ابن أبى خالد الحَــرَّىّ، أو أخته حَمــدونة . ففعلت ذلك، وصرت إلى عيسى، فسألتــه أن يجيبه ، فأبى ، وقال لى : لا أُكذبك ، والله ما أرده لأنى لا أعرف أشرف وأشهر منــه لمن يصاهره ، ولكنى أخاف المتوكل وولده بعده على نعمتى ونفسى، فرجعت إليه ، فأخبرته بذلك ، فأضرب عن ذلك مدّة ، ثم عاودنى بعد ذلك ، وسألنى معـاودته ، فعاودته وَرَفقت به، حتى أجاب ، فزوّجه أختــه، فأنشدنى بعد ذلك محمد :

١٠

خطبتُ إلى عيسى بن موسى فردَّنى * فللّهِ والى حُــرّة وعَليقُهـا
لقــد ردنى عيسى ويعــلم أننى * سليلُ بنات المصطفى وعريقها
وإن لنـا بعــد الولادة نبعــةً * نبىُّ الإله صِــنوُها وشــقيقُها
فلمـا أبى بُخْـــلا بهـا وتمنُّعـا * وصـــيَّرنى ذا خُلّةٍ لا يُطيقها
تداركنى المــرءُ الذى لم يزل له * من المكرُمات رحبُها وطليقُهـا
سَمِىُّ خليــل اللهِ وابنُ وليـــه * وحَمّالُ أعبـاء العُــلا وطريقُها
وزوَّجها والمنُّ عنـدى لغــيره * فيابيعــةً وفّتْىَ الربح ســوقُها
ويا نعمةً لابن المــدبِّر عنـدنا * يجِــدّ على كر الزمان أنيقها

١٥

٢٠

قال ابن مهرويه : قال لى إبراهيم بن المدبر :

شعره فى حدونة زوجته

فلما نُقلت حمدونة إليه شُغف بها ، وكانت امرأة جميلة عاقلة ، فأنشدنى لنفسه فيها :

لعمرُ حمدونةَ إنّى بها * لمغرمُ القلبِ طويلُ السَّقامْ
مجاوز القدر فى حبِّها * مباينٌ فيها لأهل الملامْ
مُطَّرِحٌ للعذل ماضٍ على * مخافة النفس وهول المَقام
مُشايعى قلب يخاف الخَنا * وصارمٌ يقطع صُمّ العظام
جَشَّمنى ذاك وَجْدى بها * وفضلُها بين النساء الوِسام
ممكورة الساقِ رُدَيْنيَّةٌ * مع الشَّوَى الخَدْلِ وحسن القَوام
صامتة الحِجْلِ خَفوق الحَشا * مائرة الساق ثقالُ القيام
ساجية الطَّرْف نئوم الضُّحَى * منيرة الوجه كبَرْقِ الغَمام
زينها الله وما شانَها * وأُعطيت مُنيتَها من تَمام
تلك التى لولا غرامى بها * كنتُ يسامرًا قليلَ المُقام

هكذا روى ابن مهرويه عن ابن المدبّر، فى خبر محمد بن صالح وتزويجه حمدونة .

قصته مع حدونة زوجته

وحدثنى عمى عن أبى جعفر بن الدِّهقانة النديم قال : حدثنى إبراهيم ابن المدبّر قال :

جاءنى يوما محمد بن صالح الحَسَنى العلوىّ بعد أن أُطلِق من الحبس، فقال لى : إنى أريد المُقامَ عندك اليوم على خلوة، لأبُثّك من أمرى شيئا لا يصلح أن يسمعه غيرنا . فقلت : أفعل . فصرفت من كان بحضرتى، وخلوت معه ، وأمرت برد دابّته، وأخذ ثيابه ؛ فلما اطمأن وأكلنا واضطجعنا ، قال لى : أُعلمك أنى خرجت فى سنة كذا وكذا ومعى أصحابى على القافلة الفُلانية ، فقاتلنا من كان فيها، فهزمناهم وملكنا القافلة ، فبينا أنا أحوزُها وأُنيخ الجمال ، إذ طلعت علىّ امرأة

من العَمَارِيَة[1]، ما رأيتُ قط أحسن منها وجها، ولا أحلى منطقا، فقالت : يا فتى، إن رأيتَ أن تدعوَ لى بالشريف المتولِّى أمر هـذا الجيش ، فقلت : وقد رأيتِه وسمِع كلامك . فقالت : سألتك بحق الله وحق رسوله صلى الله عليه وسلم أنتَ هو ؟ فقلت : نعم وحق الله وحق رسـوله إنى لهو . فقالت : أنا حمدونة بنت عيسى بن موسى بن أبى خالد الحَرْبى، ولأبى مَحَلٌّ من سُلْطانه، ولنا نِعمة، إن كنت ممن سمع بها فقد كفاك ما سمعت ، و إن كنت لم تسمع بهـا فسل عنها غيرى ، ووالله لا استأثرت عنك بشىء أملكه، ولك بذلك عهد الله وميثاقه علىّ، وما أسألك إلا أن تصوننى وتسترنى ، وهـذه ألف دينار معى لنفقتى، فخذها حلالا ، وهذا حَلْىٌ علىّ من خمس مِئة دينار، فخذه وضَمِّنِّى ما شئت بعده، آخذه لك من تجار المدينة أو مكة أو أهل الموسم ، فليس منهم أحد يمنعنى شيئا أطلبه، وادفع عنى ، واحمنى من أصحابك، ومن عار يلحقنى . فوقع قولها من قلبى موقعا عظيما ، فقلت لهـا : قد وهب الله لك مالك وجاهك وحالك، ووهب لك القافلة بجميع ما فيها. ثم خرجت فناديت فى أصحابى، فاجتمعوا، فناديت فيهم[2] : إنى قد أجرت هذه القافلة وأهلها، وخَفَرتها وحميتُها ، ولها ذمة الله وذمة رسوله وذمتى، فمن أخذ منها خيطا أو عقالا فقد آذنته بحرب . فانصرفوا معى، وانصرفت .

فلما أُخذت وحُبِست، بينا أنا ذات يوم فى مَحبِسى إذ جاءنى السَّجّان وقال لى : إن بالباب امرأتين تزعمان أنهما من أهلك، وقد حُظِر علىّ أن يدخل عليك أحد، إلا إنهما أعطتانى دُمْلُج ذَهب ، وجعلتاه لى إن أوصلتهما إليك، وقد أذنت لهما، وهمـا فى الدِّهليز ، فاخرج إليهما إن شئت . ففكرت فيمن يجيئنى فى هـذا البلد

(١) العمارية : لعله يريد المظلة ، نسبة إلى العمارة ، وهى رقعة مزينة تخاط فى المظلة علامة على الرياسة أو الوجاهة (انظر تاج العروس) . (٢) أ ، م : فأعلمتهم .

وأنا به غريب، لا أعرف أحدا، ثم قلت: لعلهما من ولد أبى أو بعض نساء أهلى، فخرجت إليهما، فإذا بصاحبتى، فلما رأتنى بكت لما رأت من تغير خَلْقى، وثقل حديدى، فأقبلت عليها الأخرى فقالت: أهو هو؟ فقالت: إىْ والله، إنه لهو هو، ثم أقبلت علىّ فقالت: فداك أبى وأمى، والله لو استطعت أن أقيك مما أنت فيه بنفسى وأهلى لفعلت، وكنتَ بذلك منى حقيقا، ووالله لا تركتُ المعاونة لك، والسعى فى حاجتك، وخلاصك بكل حيلة ومال وشفاعة، وهذه دنانير وثياب وطيب، فاستعن بها على موضعك، ورسولى يأتيك فى كل يوم بما يصلحك، حتى يفرّج الله عنك. ثم أخرجت إلى كسوة وطيبا ومائتى دينار، وكان رسولها يأتينى فى كل يوم بطعام نظيف، وتُواصلُ[1] بِرّها بالسَّجّان، فلا يمتنع من كل شىء أريده.

فمنّ الله بخلاصى، ثم راسلتها فخطبتها، فقالت: أما من جهتى فأنا لك متابعة مطيعة، والأمر إلى أبى، فأتيته فخطبتها إليه، فردنى، وقال: ما كنت لأحقق عليها ما قد شاع فى الناس عنك فى أمرها، وقد صيرتَها فضيحة، فقمت من عنده منكّسا مُستَحيا، وقلت له فى ذلك:

رَمَوْنى وإياها بشنعاءَ هُمْ بها * أحقّ أدال الله منهمْ فعجّلَا
بأمرٍ تركناه وربِّ محمد * عِيانا فإما عِفّةً أو تجمُّلا

فقلت له: إن عيسى صنيعة أخى، وهو لى مطيع، وأنا أكفيك أمره.

فلما كان من الغد لقيتُ عيسى فى منزله، وقلت له: قد جئتك فى حاجة لى؛ فقال: مَقْضيّة، ولو كنتَ استعملتَ ما أُحبه لأمرتنى بجئتك، وكان أسرّ إلىّ. فقلت له: قد جئتك خاطبا إليك ابنتك. فقال: هى لك أمَة، وأنا لك عبد،

(١) كذا فى أ، م. وفى سائر الأصول: يتواصل.

وقد أجبتك . فقلت : إنى خطبتها على من هو خيرٌ منى أبا وأما، وأشرف لك صهرا ومُتّصلا ، محمد بن صالح العَلوِىّ . فقال لى : ياسيدى ، هذا رجل قد لحقتنا بسببه ظِنة ، وقيلت فينا أقوال . فقلت : أفليست باطلة؟ قال : بلى ، والحمد لله . قلت : فكأنها لم تقل ، وإذا وقع النكاح زال كل قول وتشنيع ، ولم أزل أرفُق به حتى أجاب ، و بعثت إلى محمد بن صالح فأحضرته ، وما برحتُ حتى زوجته ، وسُقْت الصَّداق عنه .

مدحه إبراهيم ابن المدبر

قال أبو الفرج الأَصْبهانى :

وقد مدح محمد بن صالح إبراهيم بن المــدبِّر مدائح كثيرة ، لمــا أولاه من هذا الفعل ، ولصداقة كانت بينهما ، فمن جيد ما قاله فيه قوله :

أتخـبِر عنهم الدِّمَنُ الدُّثور * وقـد ينْبِى إذا سُئل الخبيرُ

وكيف تُبَيِّنُ الأنبـاءَ دارٌ * تعاقَبَهـا الشمائلُ والدَّبُورُ

يقول فيها فى مدحه :

فهلَّا فى الذى أولاكَ عُرْفا * تُسَدِّى من مقالك ما تُنِير (١)

ثنـاءً غـيرَ مختلَق ومَدْحا (٢) * مع الركبان يُنْجِـد أو يَغُور

أخ واساك فى كَلَب الليالى * وقد خَذَلَ الأقارب والنصيرُ

حِفاظا حين أسلمك الموالى * وضَنَّ (٣) بنفسه الرجلُ الصبور

فإن تشكر فقد أولى جميلا * و إن تكفر فإنك لَلْكَفورُ

وما فى آل خاقانَ اعتصامٌ * إذا ماعُمِّم الخَطْبُ الكبير

(١) تسدّى : تقيم لحمة الثوب بالسدى . وتنير : تنسج النير ، وهو لحمة الثوب .

(٢) أ ، م : غير مخلوق . (٣) أ ، م : وصد .

لئـام الناس إثراء وفقـرا * وأعجزُهم إذا حمى القتـير
قُوَيم[(١)] لايزوّجهم كريمٌ * ولا تُشْنَى لنسوتهم مُهـور

وإنمـا ذكر آل خاقان مهنا لأن عبيد الله بن يحيى قصّر به وتحامل عليه ، وكان يقول ما يكره ، ويؤكّد ما يوجب حَبْسه ، وكان فيه وفى ولده نَصْب[(٢)] شديد .

ولمحمد بن صالح فى آل المدبّر مدائح كثيرة ، لا معنى لذكرها فى هذا الكتاب . ٥

صداقته لسعيد ابن حميد

أخبرنى على بن العبـاس بن أبى طلحة الكاتب قال : حدثنى عبـد الله ابن طالب الكاتب قال :

كان محمـد بن صالح العلوىّ حُلْو اللسان ، ظريفا أديبـا ، فكان بسُرّ من رأى مخـالطا لسَراة النـاس ، ووجوه أهل البـلد ، وكان لا يكاد يفارق سـعيد ابن حُمَيـد ، وكانا يتقارضان الأشعار ، ويتكاتبان بهـا . وفى سعيد يقول محمـد ١٠ ابن صالح العلوىّ :

أصاحبُ من صاحبتُ ثُمّتَ أنثنى * إليـك أبا عثمانَ عطشانَ صاديا
أبى القلبُ أن يُرْوَى بهمْ وهو حائمٌ * إليك وإن كانوا الفروعَ العواليا[(٣)]
ولكن إذا جئناكَ لم نبـغ مَشرَباً * سِواكَ ورَوَّيْنا العظامَ الصَّواديا

قال عبد الله بن طالب[(٤)] : ١٥

وكان بعض بنى هاشم دعاه ، فمضى إليـه ، وكتب سعيد إليـه يسأله المصير إليه ، فأُخبِر بموضعه عنـد الهاشمىّ ، فلمـا عاد عرف خبر سعيد وإرساله إليـه ، فكتب إليه بهذه الأبيات .

(١) كذا فى أ ، م ، وفى بقية الأصول : لئام . (٢) نصب : كره لآل علىّ وعداوة .
(٣) أ ، م : العواريا ، ولعلـه يريد عظام آبائه الذين ماتوا ، وكان بينهم وبين آباء الممـدوح ٢٠ صلات مودّة . (٤) أ ، م : ابن أبى طالب .

قال عبد الله : وشرب يوما هو وسعيد بن حُميد ، فسكر محمد بن صالح قبله ، فقام لينصرف ، والتفت إلى سعيد وقال له :

لعمرُك إننى لما افترقنا * أخو ضِنّ بمُخلِصاى سعيد

تبقّته المدامُ وأزعجتنى * إلى رحلى بتعجيل الورودِ

سعيد بن حميد يرثيه

٥ قال : وتوفى محمد بن صالح بسُرّ من رأى ، وكان يجتهد فى أن يُؤذن له فى الرجوع إلى الحجاز ، فلا يجاب إلى ذلك ، فقال سعيد يرثيه :

بأىّ يد أسطو على الدهرِ بعدما * أبان يدى عضبُ الذُّبابين قاضبُ

وهاضَ جَناحى حادثٌ جَلّ خطبُه * وسُدّت عن الصبر الجميل المذاهب

ومن عادة الأيام أنّ صُروفها * إذا سَرّ منها جانبٌ ساءَ جانب

١٠ لعمرى لقد غال التجلدَ أننا * فقدناك فقد الغيثِ والعامُ جادب

فما أعرفُ الأيامَ إلا ذميمةً * ولا الدهرَ إلا وهو بالثأرِ طالب

ولا لى من الإخوان إلا مكاشِرٌ * فوجه له راضٍ ووجه مُغاضِب

فقدتُ فتًى قد كان للأرض زِينة * كما زَيّنَتْ وجهَ السماء الكواكب

لعمرى لئن كان الردى بك فاتنى * وكلُّ امرئٍ يوما إلى الله ذاهب

١٥ لقد أخذتْ منى النوائبُ حكمَها * فما تركتْ حقا علىّ النوائب

ولا تركتنى أرهبُ الدهرَ بعدَه * لقد كلّ عنى نابُه والمخالب

سقى جَدَثا أمسى الكريمُ ابنُ صالح * يحُلّ به، دانٍ من المُزْن ساكب (1)

إذا بشّر الرُّوادَ بالغيث برقُه * مَرَتْه الصَّبا واستحلبته الجنائب

فغادر باقى الدهرِ تأثيرَ صَوْبه * رَبيعا زَهَت منه الرُّبا والمذانب

٩٤ / ١٥

٢٠ (١) أ ، م : وان . يريد الثقيل من السحاب الذى لا يسرع فى سيره .

إطلاقه من الحبس

أخبرنى أحمد بن جعفر جحظة قال : حدّثنى المبرّد قال :

لم يزل محمد بن صالح محبوسا حتى توصل بُنان له، بأن غنّى بين يدى المتوكل فى شعره :

وبدا له من بعد ما اندمل الهوى * بـرق تألـق موهِنا لمعانُهُ

٥ فاستحسن المتوكل الشعرَ واللحن، وسأل عن قائله، فأخبر به، وكُلِّم فى أمره، وأحسنتِ الجماعة رِفْدَه، وقام الفتح بأمره قياما تاما . فأمر بإطلاقه من حبسه، على أن يكون عنـد الفتح وفى يده، حتى يقيم كفيلا بنفسه ألّا يبرح من سُرَّ مَنْ رأى، فأُطلِق، وأَخَذ عليـه الفتحُ الأيمـان الموثّقة ألا يبرح من سُرَّ مَن رأى إلا بإذنه، ثم أطلقه .

مدحه المتوكل والمنتصر

١٠ ولمحمـد بن صـالح فى المتـوكل والمنتصر مدائح جيـاد كثيرة، منهـا قوله فى المتوكل :

أَلِفَ التُّقَى ووفَى بنذر النـاذرِ * وأبى الوقوفَ على المحل الداثرِ
ولقدْ تَهِيج له الديارُ صـبابةً * حينا وتَكْلَف بالخليط السائرِ
فرأى الهـدايةَ أن أناب وأنهُ * قصرَ المديحَ على الإمام العاشرِ
١٥ يا بن الخلائف والذين بِهَدْيِهِمْ * ظهرَ الوفاء وبانَ غدرُ الغـادرِ
وابنَ الذين حَوَوْا تُراث محمـد * دون الأقارب بالنصيب الوافرِ
نَطَق الكتابُ لكم بذاكَ مُصدِّقا * ومضتْ به سُنَنُ النبىّ الطاهرِ
ووصلتَ أسبابَ الخلافة بالهُدَى * إذ نِلْتَها وأنمتَ عين الساهرِ
أحييتَ سنةَ من مضى فتجدّدتْ * وأبنتَ بدعةَ ذى الضلال الخاسرِ
٢٠ فافخرْ بنفسك أو بجدّك مُعْلِنا * أودعْ فقد جاوزتَ فخرَ الفاخرِ

ما المكارم غيرُكُمْ من أولٍ * بعدَ النبيّ وما لهَا من آخرِ
إنى دعوتُك فاستجبتَ لدعوتى * والموتُ منى قِيدُ شِبْرِ الشابِرِ
فانتشتَنى من قَعْر مَوْرِدة الردَى * أمْنًا[1] ولم تسمع مقَالةَ راجرِ
وفككتَ أسرى والبلاءُ مُوَكَّلٌ * وجبرتَ كَسْرا ماله من جابرِ
وعطفتَ بالرَّحِم التى ترجُو بها * قربَ المحلِّ من المليك القادرِ
وأنا أعوذ بفضل عفوك أن أُرَى * غَرَضا ببابك للمُلِمِّ الفاقرِ[2]
أو أن أُضَيَّع بعدما أنقذتَنى * من رَيْب مُهْلِكة وجَدٍّ عاثرِ
ولقد مننتَ فكنتَ غيرَ مكدِّر * ولقد نهضتُ بها نهوضَ الشاكرِ

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار، ومحمد بن خلف وكيع قالا : حدّثنا
١٠ الفضل بن سعيد بن أبى حَرْب قال : حدّثنى أبو عبد الله الجُهَنيّ قال :

هجاؤه أبا الساج

دخلت على محمد بن صالح الحَسَنى فى حبس المتوكل، فأنشدنى لنفسه يهجو أبا الساج :

ألم يحزنْكِ يا ذلفاءُ أنِّى * سكنتُ مساكن الأموات حَيَّا
وأنَّ حمائلى ونجادَ سَيفى * علونَ مُجَدَّعا أُشْروسَنِيًّا[3]
١٥ فقصَّرهنّ لما طُلْنَ حتّى اسـ * ـتوين عليه لا أَمْسَى سَوِيًّا
أما والراقصاتِ بذات عرقٍ * تريدُ البيت تحسبها قِسِيًّا
لوَ امكننى غداتَئذٍ جِلادٌ * لألفونى به سَمْحا سَخِيًّا

٩٥/١٥

(١) ا، م : منا .
(٢) المسلم الفاقر : الحادث الذى يكسر فقار الظهر .
٢٠ (٣) أبو الساج الأشروسنى : أحد قواد المعتمد العباسى . توفى سنة ٢٦٦ .

وله فى الغزل والحنين

قال ابن عمار : وأنشدنى عُبيد الله بن طاهر أبو محمد لمحمد بن صالح أيضا :

نظرتُ ودونى ماءُ دجلةَ مَوْهِنًا * بمطروفة الإنسان محسورة جِدًّا
لتُؤْنِس لى نارا بليلٍ توقّدَتْ[1] * وتالله ما كلفتها نظرا قَصْدا
فلو أنها منها لقلتُ كأننى * أرى النارَ قد أمست تضىء لنا هِنْدا
تضىء لنا منها جَبينا ومَحْجِرا * ومبتسَما عَذْبا وذا غُدَر جَعْدا

انقضت أخباره .

٥

✦✦✦

صـــوت

شعر لأبى دواد فيه غناء

ياعَدِيًّا لقلبكَ المهتاج * أن عفا رسمُ منزلٍ بالنِّباج
غيرته الصَّبا وكُلُّ مُلِثٍّ * دائم الودقِ ذى أهاضيبَ داج
وحملنا غلامَنا ثم قُلْنا * هاجِرُ العِيسِ ليس منك بناج
فانتحى مثل ما انتحى بازُ دَجْنٍ * جَوَّعته القُنَّاص للدُّرّاج

١٠

الشعر لأبى دُواد الإيادىّ . والغناء لحنين ، ثانى ثقيل بالبنصر فى مجراها ، عن إسحاق . وذكر عمرو بن بانة أنه لابن عائشة . وفيه لعَريب هزج . وفيه ثقيل أول ، ينسب إلى يزيد الحَذّاء ، وإلى أحمد النُّصيبىّ .

١٥

(١) معجم البلدان : « نارا بتثليث أوقدت » . وتثليث : موضع قرب مكة .

ذكر أخبار أبى دواد الإيادىّ ونسبه

نسبه وشعره

هو فيما ذكر يعقوب بن السكّيت : جارِيَة بن الحجّاج . وكان الحجاج يلقب حُمْران بن بحر بن عصام بن منبه بن حُذاقة بن زهير بن إياد بن نزار بن معدّ . وقال ابن حبيب هو جارِيَة بن الحجّاج أحد بنى بُرْد بن دُعْمِىّ بن إياد بن نزار . شاعر قديم من شعراء الجاهلية ، وكان وصافا للخيل ، وأكثر أشعاره فى وصفها ، وله فى غير وصفها تصرُّف بين مدح وفخر وغير ذلك ، إلا أن شعره فى وصف الفَرَس أكثر .

جار أبى دواد

أخبرنى الحسين بن يحيى ، عن حماد ، عن أبيه ، قال : حدثنى الهيثم بن عدىّ وابن الكلبىّ ، عن أبيه ، والشَّرْقىّ :

أن أبا دُواد الإيادىّ مدح الحارث بن همام بن مرة بن ذُهل بن شيبان ، فأعطاه عطايا كثيرة ، ثم مات ابن لأبى دُواد وهو فى جواره فوداه ، فمدحه أبو دُواد ، فحلف له الحارث أنه لا يموت له ولد إلا وداه ، ولا يذهب له مال إلا أخلفه ، فضربت العرب المثل بجار أبى دُواد ، وفيه يقول قيس بن زهير :

أُطوِّفُ ما أُطوِّفُ ثم آوِى * إلى جارٍ كجارِ أبى دُوادِ

هذه رواية هؤلاء ، وأبو عبيدة يخالف ذلك .

أخبرنى ابن دريد قال : أخبرنى أبو حاتم ، عن أبى عبيدة قال : جاور أبو دُواد الإيادى كعب بن مامة الإيادى ، فكان إذا هلك له بعير أو شاة أخلفها ، وفيه يقول طَرَفة يمدح عمرو بن هند :

* جارٌ كجار الحُذاقىّ الذى انتصفا[1] *

---

(١) الشطر الأول من البيت هو : « إنى كفانى من هم هممت به » . والحذاق : هو أبو دواد ، نسبه إلى حذاق ، قبيلة من إياد .

وكان لأبى دواد ابن يقال له دُواد شاعر، وهو الذى يقول يرثى أباه :

فبـات فينـا وأمسى تحتَ هائرة[1] * ما بعد يومك من مُمْسًى و إصباح

لا يدفـع السُّقْمَ إلا أنْ نُفَـدِّيَهُ * ولـو ملكنا مسكنا السُّقْم بالراح

هو وزوجته وابنه

أخبرنى عمى قال: حدثنا عبد الله بن أبى سعد قال : حدثنى علىّ بن الصباح قال : أخبرنا أبو المنذر، عن أبيه قال :

تزوج أبو دُواد امرأة من قومه، فولدت له دُوادا ثم ماتت، ثم تزوج أخرى، فأولعت بدُواد، وأمرت أباه أن يجفوه و يبعده، وكان يحبها، فلما أكثرت عليه قالت : أخرجه عنى، فخرج به وقد أردفه خلفه، إلى أن انتهى إلى أرض جرْداء ليس فيها شىء، فألقى سوطه متعمدا، وقال : أىْ دُواد، انزل فناولنى سَوْطى . فنزل، فدفع بعيره وناداه :

أدوادُ إن الأمر أصبح ما ترى * فانظر دوادُ لأى أرض تَعْمِدُ ؟

فقال له دُواد : على رِسْلك . فوقف له فناداه :

و بأى ظنك أن أقيمَ ببلدة * جرداءَ ليس بغيرها مُتَلَدَّدُ[2]

فرجع إليه وقال له : أنت والله ابنى حقا، ثم رده إلى منزله، وطلق امرأته .

لوم زوجته إياه لسماحه بالمال

أخبرنى الحسين بن يحيى، عن حماد، عن أبيه، عن أبى عمرو الشيبانىّ قال : كانت لأبى دُواد امرأة يقال لها أم حَبْتر، وفيها يقول :

فى ثلاثين ذعْذَعتها[3] حقوقٌ * أصبحت أم حَبتر تشكونى

زعمت لى بأننى أُفسد المـا * لَ وأزويه[4] عن قضاء ديونى

أمَّلت أن أكون عبد المـالى * وتَهَنَّا بنـافع المـال دونى

(١) أ ، م : هابرة ، ولعلها محـرفة عن هائرة بمعنى ساقطة ، يريد الأرض أو الحفرة . وفى بقية الأصول : هادية . ولعلها محرفة عن هاوية . (٢) تلدد فى المكان : تلبث .
(٣) بددتها وفرقتها . (٤) أنحيـه .

وهي طويلة . قال : ولما يقول وقد عاتبته على سماحته بماله فلم يُعتبها[1]، فصرمته :

حاولتُ حين صَرَمْتِنِي * والمرءُ يعجز لا مَحالَهْ
والدهر يلعب بالفتى * والدهر أروغُ من ثُعالَهْ[2]
والمرء يكسب مالَهُ * والشُّحّ يُورِثُهُ الكَلالَهْ
والعبدُ يُقْرع بالعصا * والحُرُّ تكفيه المقالَهْ[3]
والسُّكْت خير للفتى * فالحَيْنُ من بعض المقالَهْ

وصاف الخيل من الشعراء

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال: حدثني أبي عن إسحاق، عن الأصمعيّ قال:

ثلاثة كانوا يصفون الخيل، لا يقاربهم أحد : طُفَيل، وأبو دواد، والجَعديّ. فأما أبو دُواد فإنه كان على خيل المنذر بن النعمان بن المنذر[4] . وأما طُفَيل فإنه كان يركبها وهو أغرَل[5] إلى أن كبر . وأما الجعديّ فإنه سمع ذكرها من أشعار الشعراء[6]، فأخذ عنهم .

أخبرني محمد بن الحسن بن دُريد قال : حدثني أبو حاتم، عن أبي عبيدة قال :

ابو دُواد أوصف الناس للفرس في الجاهلية والإسلام، وبعده طُفَيل الغنويّ والنابغة الجعديّ .

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال : حدّثنا أحمد بن الحارث الخراز، عن ابن الأعرابيّ قال :

لم يصف أحد قَطُّ الخيل إلا احتاج إلى أبي دُواد ، ولا وصف الخمر إلا آحتاج إلى أوس بن حَجَر ، ولا وصف أحد نعامة إلا احتاج إلى علقمة بن عَبَدة ، ولا آعتذر أحد في شعره إلا آحتاج إلى النابغة الذبياني .

(١) لم يرضها . (٢) ثعالة : الثعلب . (٣) هامش أ عن نسخة أخرى : الحالة ، وهي الظن .
(٤) في هامش أ : ليس من المناذرة من نسبه هكذا . فلعله محرف عن المنذر بن ماء السماء ، وسيصرح بذلك قريبا . (٥) الأغرل : الصبي الذي لم يختن . (٦) أ ، م : فإنه سمع من الشعراء .

رأى على وأبى الأسود فى أشعر الناس

أخبرنى عمى قال : حدّثنى جعفر بن محمد العاصمىّ قال : حدّثنا عُيينة ابن المنهال قال : حدّثنا شدّاد بن عبيد الله قال : حدّثنى عبيد الله بن الحُرّ العَنَزىّ القاضى ، عن أبى عَرادة قال :

كان علىّ صلوات الله عليه يُفَطِّر النـاسَ فى شهر رمضان ، فإذا فرغ من العَشاء تكلم ، فأقلّ وأوجز ، فأبلغ . فاختصم الناس ليـلة حتى ارتفعت أصواتهم فى أشعر الناس ، فقال علىّ عليه السلام لأبى الأسود الدُّؤَلى : قل يا أبا الأسود . فقال أبو الأسود ، وكان يتعصب لأبى دُواد الإيادىّ : أشعرهم الذى يقول :

ولقـــد أغتدِى يدافِعُ رُكنِى * أَحْوَذِىٌّ ذو مَيْعَــةٍ إضْرِيجُ (١)

مِخْلَطٌ مِزْيَلٌ مِكَرٌّ مِفَـــرٌّ * مِنْفَحٌ مِطْرَحٌ سَبُوحٌ خَرُوجُ (٢)

سَلْهَبٌ شَرْجَبٌ كأنّ رِماحا * حَمَلَتْــه وفى السَّراة دُمُـــوجُ (٣)

وكان لأبى الأسود رأى فى أبى دُواد . فأقبل علىّ على الناس ، فقال : كل شعرائكم محسن ، ولو جمعهم زمان واحد ، وغاية واحدة ، ومذهب واحد فى القول ، لعلمنا أيُّهم أسبق إلى ذلك ، وكلهم قـد أصاب الذى أراد ، وأحسن فيـه ، وإن يكن

---

(١) الأحوذى هاهنا : من قولهم : حاذ الإبل يحوذها إذا ساقها ؛ ويريد به السرعة ، وفى وصف الرجال : الألمعى . والميعة : النشاط والسرعة . والإضريج : السريع . (٢) يقـال : رجل مخلط مزيل : كيس لطيف ، أو هو الجدل فى الخصومات ، يزول من جهة إلى جهة ، كذا فى اللسان والتاج والنهاية لابن الأثير ، ولم يصفوا الخيـل بذلك ، ولكن يمكن أن يفهم منـه أن أبا دواد يصف الحصان بأنه يحسن الجرى ، ويأتى منه بفن بعد فن ، أو يحسن مباراة الخيل فى السير ، وينتقل فيه من حال إلى حال أحسن منها . والمنفح : الذى ينفح بقوائمه فى العـدو ، أى يرمى بحد حوافره ويدفع . والمطرح : السريع . والخروج : الذى يسبق الخيل ، فيخرج من بينها . (٣) السلهب والشرجب : الطويل . وفى هامش أ : يقـال : فرس سلهبة ، ولم أسمع بالمؤنث من الشرجب . والسراة : الظهر . والدموج : الإحكام والملاسة .

أحد فَضَلَهم، فالذى لم يقل رَغبة ولا رهبة امرؤ القيس بن حُجْر، فإنه كان أحسنهم بادرة، وأجودهم نادرة .

إهمال الرواة لشعره

أخبرنا يحيى بن علىّ بن يحيى، عن أبيـه، عن إسحاق، عن الأصمعىّ قال : كانت الرواة لا تروى شـعر أبى دواد ولا عدىّ بن زيد، لمخالفتهما مذاهب الشعراء[1]، قال : وكان أبو دواد على خيل المنذر بن ماء السماء، فأكثر وصفه للخيل.

٥

أخبرنى الحسن بن علىّ قال : حدّثنا محمـد بن القـاسم بن مهرويه قال : حدّثنا عبد الله بن أبى سـعد قال : حدّثنى ابن أبى الهَيذام قال :

افتراق الإياديين ثلاث فرق

اسم أبى دواد الإيادى جُوَيرية بن الحجاج . وكانت له ناقة يقال لهـا الزّبّاء، فكانت بنـو إياد يتبركون بها . فلمـا أصابتهم السنة تفـرّقوا ثلاث فرق، فرقة سلكت فى البحر فهلكت، وفرقة قصدت اليمن فسلمت، وفرقة قصدت أرض بكر بن وائل، فنزلوا على الحارث بن همّـام .

١٠

وكان السببُ فى ذلك أنهـم أرسلوا الزّبّاء، وقالوا إنها ناقة ميمونة، فخلوها، فحيث توجهت فاتبعوها . وكذلك كانوا يفعلون إذا أرادوا نُجْعة . فخرجت تخوض العرب، حتى بَرَكت بفناء الحارث بن همّـام، وكان أكرم الناس جِوارا، وهو جار أبى دواد المضروب به المثل . فقال أبو دواد يمدح الحارث، ويذكر ناقته الزّبّاء :

١٥

فإلَى ابن همّام بن مُرّة أصعدتْ * ظُعُنُ الخليط بهـم فقلّ زِيالُهـا

أنعمتَ نِعمـةَ ماجد ذى مِنـة * نُصِبتَ عليه من العُـلا أظلالُها

وجعلْتَا دونـ الولىّ فأصبحت * زبّاءُ منقطعا إليـك عِقالُهـا

---

(1) صرّح ابن قتيبـة فى الشعر والشعراء ص ١٢١ بهـذه المخالفة، فقال : لأن ألفاظهما ليست بنجدية . وكذلك قال المرزبانى فى الموشح .

٢٠

فخر إياد على العرب

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدّثنا سليمان بن أبى شيخ قال : حدّثنا يحيى بن سعيد قال :

كانت إيادُ تفخر على العرب ، تقول : منا أجود الناس كعب بن مامة ، ومنا أشعر الناس أبو دواد ، ومنا أنكح الناس ابن أَلْغَزِ[1] .

٩٨/١٥

أخبرنى محمد بن العباس اليزيدىّ قال : حدّثنا عيسى بن إسماعيل تينة قال : حدّثنى القَحْذمىّ قال :

ابن ألغز

كان ابن أَلْغَزَ أَيِّرًا ، فكان إذا أنعظ احتكت الفصال بأيره ، قال : وكان فى إياد امرأة تستصغر أيور الرجال ، فجامعها ابن أَلْغَزَ ، فقالت : يا معشر إياد ، أبالرُّكَب تجامعون النساء ؟ قال : فضرب بيده على أليتها وقال : ما هذا ؟ فقالت وهى لا تعقل ما تقول : هذا القمر . فضرب العربُ بها المثل : « أُريها اسْتَها وترينى القَمَر » . وأنشد ، وقد كان الحجاج مَنَع من لحوم البقر خوفا من قِلّة العمارة فى السواد ، فقيل فيه :

شكونا إليه خرابَ السوادِ * فحرَّم فينا لُحُومَ البقَرْ
فكنّا كمن قال مِنْ قبلنا * أُريها اسْتَها وترينى القَمَرْ

رأى الحطيئة فى أشعر الشعراء

أخبرنى عمى عن الكرانى ، عن العُمرىّ ، عن الهيثم بن عدىّ بنحوه .

وأخبرنى عمى قال : حدّثنا محمد بن سعد الكرانى قال : حدّثنى العُمرىّ عن لقيط قال : أخبرنى التَّوزى عن أبى عبيدة قال :

كان الحطيئة عند سعيد بن العاص ليلةً ، فتذاكروا الشعراء ، وفضّوا بعضهم على بعض وهو ساكت ، فقال له : يا أبا مُلَيكة ما تقول؟ فقال : ما ذكرتم والله أشعر الشعراء ، ولا أنشدتم أجود الشعر . فقالوا : فمن أشعر الناس ؟ فقال لذى يقول :

(١) قال فى تاج العروس : واسمه سعد أو عروة بن أشيم ... أو الحارث . ولا خلاف فى اسم أبيه أشيم .

لا أعدُّ الإقتار عُدما ولكن * فقدُ من قد رُزئته الإعدامُ

والشعر لأبي دواد الإيادي . قالوا : ثم من؟ قال : ثم عَبيد بن الأبرص . قالوا : ثم من ؟ قال : كفاكم والله بي إذا أخذتني رغبة أو رهبة ، ثم عوّيت في إثر القوافي عُواء الفصيل في إثر أُمّه .

أسرة أبي دواد تصف الثور

أخبرني محمد بن الحسن بن دُريد قال : حدّثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعيّ ، قال : حدّثني عمي ، وأخبرنا أبو حاتم قال : أخبرنا الأصمعيّ ، عن أبي عمرو بن العلاء ، عن هَجّاس بن مَرِير الإيادي ، عن أبيه ، وكان قد أدرك الجاهلية ، قال :

بينا أبو دُواد وزوجته وابنه وابنته على رَبوة ، وإياد إذ ذاك بالسواد ، إذ خرج ثور من أجمة ، فقال أبو دواد :

وبَدَتْ له أُذُن توجَّس حُرّةٌ وأحمُّ واردْ (1)

وقوائمٌ عُوجٌ لها * من خلفها زَمَعٌ زوائد (2)

كقاعد الرُّقباء للضُّرَباء أيديهمْ نواهد (3)

ثم قال : أنفِذي (4) يا أمَّ دُواد ، فقالت :

وبَدَتْ له أُذُن توجَّس حُرّة وأحمُّ مُولَقْ

وقوائمٌ عُوج لها * من خلفها زَمَعٌ مُعلَّقْ

كقاعد الرقباء للضُّرَباء أيديهمْ تألَّقْ

(١) توجس : تسمع إلى الصوت الخفي ، وحرة : صادقة السمع مرهفة . والأحم : القرن الأسود . والوارد : الطويل . (٢) الزمع : الشعر الذي في مؤخرة رجل الشاة أو الظبي ، واحدته زمعة .

(٣) الرقباء : الذين يمسكون عيونهم و ينظرون صمات القداح . والضرباء : الذين يضربون القداح .

(٤) يريد بالإنفاذ هنا : محاكاة شعره مع تغيير الكلمة الأخيرة منه ، تمرينا على القول ، والتمرس بالقوافي .

ثم قال : أنفذ يا دُواد . فقال :

وبدت له أُذُنٌ تَوَجَّـ ـس حرة وأحم مرهَف

وقــوائم عــوج لهـا * من خلفها زمـع ملفّف

كقاعـد الرقبـاء للـ ـضّـ ـرباء أيديهـم تَلَقّف

ثم قال : أنفذى يا دُوادة . قالت : وما أقول مع من أخطأ . قالوا : ومن أين أخطأناه ؟ قالت : جعلتم له قرنا واحدا ، وله قرنان . قالوا : فقولى . قالت :

وبدت له أذنـ تَوَجَّـ ـسُ حــرة وأحَمّتانْ

وقــوائم عُــوج لهـا * من خلفهـا زَمَع ثَمـانْ

كقاعـد الرقبـاء للـ ـضّـ ـرباء أيديهـمْ دَوانْ

نزاعه مع البهرانى وقتل أولاده

أخبرنى محمد بن الحسن بن دُريد قال : أخبرنى عمى عن العباس بن هشام، عن أبيه قال :

كان أبو دُواد الإيادىّ الشـاعر جارا للمنـذر بن ماء السماء . وإن أبا دواد نازع رجلا بالحـيرة من بهْراء ، يقال له رَقَبـة بن عامر بن كعب بن عمـرو ، فقال له رقبـة : صالحنى وحالفنى . فقـال أبو دواد : فمن أين تعيش إياد إذا ، فوالله لولا ما تصيب من بَهْراء لهلكت ، وانصرفا على تلك الحال .

ثم إن أبا دواد أخرج بنين له ثلاثة فى تجارة إلى الشام، فبلغ ذلك رَقَبة البَهْرانى، فبعث إلى قومه فأخبرهم بمـا قال له أبو دواد عند المنذر ، وأخبرهم أن القوم ولدُ أبى دواد، فخرجوا إلى الشام، فلقُوهم فقتلوهم . وبعثوا برءوسهم إلى رقبة، فلما أتته الرءوس صنـع طعاما كثيرا، ثم أتى المنـذر ، فقال له : قد اصطنعت لك طعاما

كثيرا ، فأنا أحب أن تتغدّى عندى ، فأتاه المنذر وأبو دواد معــه ، فبينا الجفان تُرفع وتوضع ، إذ جاءته جفنة عليهــا بعض[1] رءوس بنى أبى دُواد ، فوثب وقال : أبيت اللعن ! إنى جارك ، وقد ترى ماصُنع بى ، وكان رقبة أيضا جارا للنذر . فوقع المنذر منهما فى سَوْءة ، وأمر برقبــة فحُبس ، وقال لأبى دواد : أما يرضيك توجيهى بكتيبتىّ الشهباء والدّوسر إليهــم ؟ قال : بلى . قال : قد فعلت . فوجه إليهم بالكتيبتين .

فلمــا بلغ ذلك رقَبــة قال لامرأته : ويْحَــك ! الحق بقومك فأنذريهم . فعمدت إلى بعض إبل زوجــها فركبته ، ثم خرجت حــتى أتت قومها ، فلما قربت منهم تعرت من ثيابها ، وصاحت وقالت : أنا النــذيرُ العُرْيان . فأرسلتها مثلا . فعرف القوم ماتريد ، فصعدوا إلى أعالى الشأم ، وأقبلت الكتيبتان فلم تصيبا منهم أحدا ، فقال المنذر لأبى دُواد : قد رأيتَ ما كان منهم ، وأنا أدِى كل ابن لك بمئتى بعــير ، فأمر له بستّ مِئة بعير ، فرضى بذلك ، فقال فيه قيس بن زهير العبسىّ :

سأفعل ما بدا لىَ ثم آوِى * إلى جارٍ بكار أبى دُواد

(١) كذا فى ا ، م . وفى بقية الأصول : أحد .

صــــوت

شعر لأبى تمام فيه غناء

ورَكْب كأطراف الأسنة عرسوا * على مثلها والليـــلُ داج غياهبُهْ
لأمرٍ عليهم أن تمّ صـــدورُه * وليس عليهـــم أن تـتمّ عواقبُهْ

الشعر لأبى تمـام الطائى . والغناء للقاسم بن زُرْزور، ثانى ثقيل بالوسطى فى مجرى البنصر . وفيه لجعفر بن رفعة خفيف ثقيل .

أخبرنى : إبراهيم بن القاسم بن زرزور عن أبيه، وحدثنى المظفر بن كَيَغْلَغ عن القاسم أيضا :

أن المكتفى بالله أخرج إليهم هذين البيتين بالرقة فى رقعة ، وهو أمير، وأمر أن يصنع فيهما لحن . فصنع القاسم هذا اللحن ، وصنع جعفر خفيف الثقيل .

أخبار أبى تمـام ونسبه

نسبه ومذهبه الشعرى

١٠٠/١٥ أبو تمـام حبيب بن أوس الطائى ، من نفس طَيِّء صَلِيبة [(١)] . مولده ومنشؤه مَنْبِج ، بقرية منها يقال لهـا جاسم . شاعر مطبوع ، لطيف الفطنة ، دقيق المعانى ، غَوّاص على ما يُستصعب منها ، ويعسُر مُتَناوله على غيره . وله مذهب فى المطابَق ، ٥ هو كالسابق إليه جميعَ الشعراء ، وإن كانوا قد فتحوه قبله ، وقالوا القليل منـه ، فإن له فضلَ الإكثار فيه ، والسلوكِ فى جميع طرقه . والسليمُ من شعره النادر شىء لا يتعلق به أحد . وله أشياءُ متوسطة ، ورديئة رَذْلة جدا .

الخلاف حوله

وفى عصرنا هذا من يتعصب له فيفرِط ، حتى يفضلَه على كل سالف وخالف ، وأقـوام يتعمّدون الردىء من شعره فينشرونه ، ويطوون محاسـنه ، ويستعملون ١٠ القِحَة والمكابرة فى ذلك ، ليقول الجاهل بهم : إنهم لم يبلغوا علم هذا وتمييزَه إلا بأدب فاضل ، وعلم ثاقب . وهذا مما يتكسب به كثير من أهل هذا الدهر ، ويجعلونه وما جرى مجراه من ثَلْب الناس ، وطلَب معايبهم ، سببا للترفُّع ، وطلبا للرياسة . وليست إساءة من أساء فى القليل ، وأحسن فى الكثير ، مُسْقطةً إحسانه ، ولو كثُرت إساءته أيضـا ثم أحسن ، لم يُقَل له عنـد الإحسان أسأت ، ولا عنـد الصواب ١٥ أخطأت ، والتوسط فى كل شىء أجمل ، والحق أحق أن يُتَّبع .

منزلة شعره عنده

وقد رُوِى عن بعض الشعراء أن أبا تمـام أنشده قصيدة له أحسن فى جميعها ، إلا فى بيت واحد ، فقال له : يا أبا تمـام ، لو ألقيت هذا البيت ما كان فى قصيدتك عيب . فقال له : أنا والله أعلم منـه مثلَ ما تعلم ، ولكن مَثَل شعر الرجل عنـده مَثَلُ أولاده ، فيهم الجميل والقبيح ، والرشيد والساقط ، وكلهم حلو فى نفسه ، فهو ٢٠ وإن أحب الفاضل ، لم يبغض الناقص ، وإن هَوِى بقاء المتقدم ، لم يهوَ موت المتأخر .

(١) أى ليس من مواليها ولا من حلفائها .

واعتذاره بهذا ضِدٌّ لما وصف به نفسه فى مدحه الواثق ، حيث يقول :

جاءتكَ من نظم اللسان قِلادةٌ * سِمطانِ فيها اللؤلؤُ المكنونُ

أحذاكَها صَنَعُ اللسانِ يُمدُّه * جَفْرٌ إذا نضَبَ الكلامُ مَعِينُ

ويُسىءُ بالإحسان ظنًّا لا كمن * هو بابنـه وبشعره مفتون

فلو كان يسىء بالإساءة ظنا ولا يفتتن بشعره ، كمّا فى غِنًى عن الاعتذار له .

المفضلون له

وقد فضّل أبا تمام من الرؤساء والكُبراء والشعراء ، من لا يَشُقّ الطاعنون عليه غُبارَه ، ولا يدركون — وإن جَدُّوا — آثاره ، وما رأى الناس بعده إلى حيث انتهوا له فى جَيِّده نظيرًا ولا شكلا ؛ ولولا أن الرواة قد أكثروا فى الاحتجاج له وعليه ، وأكثر متعصبوه الشرح لجيد شعره ، وأفرط معادوه فى التسطير لرديئه ، والتنبيه على رَذْله ودنيئه ، لذكرت منه طَرَفا ، ولكن قد أتى من ذلك مالا مزيد عليه .

إعجاب ابن الزيات والصولى بشعره

أخبرنى عمى قال : حدثنى أبى قال : سمعت محمد بن عبد الملك الزيات يقول : أشعر الناس طُرًّا الذى يقول :

وما أبالى وخيرُ القولِ أصدقُه * حقنتَ لى ماء وجهى أوحَقَنتَ دمى

فأحببت أن أستثبت إبراهيم بن العباس[(1)] ، وكان فى نفسى أعلم من محمد وآدب ، فجلست إليه ، وكنت أجرى عنده مَجْرى الوَلد ، فقلت له : من أشعر أهل زماننا هذا ؟ فقال : الذى يقول :

مطر أبوك أبو أهلّة وائلٍ * ملأ البسيطةَ عُدّةً وعَديدًا

نسبٌ كأنّ عليه من شمس الضُّحَى * نُورًا ومن فَلَق الصباح عَمُودا

ورثوا الأُبوّة والحظوظَ فأصبحوا * جمعوا جُدودا فى العلا وجُدودا[(2)]

فاتفقا على أن أبا تمام أشعر أهل زمانه .

(1) هو إبراهيم بن العباس الصولى من كبار الكتاب والشعراء فى صدر الدولة العباسية .

(2) جدود : جمع جد ، الأولى بمعنى الآباء ، والثانية بمعنى الحظوظ .

إعجاب عمارة ابن عقيل بشعره

أخبرني محمد بن يحيى الصُّولي، وعلى بن سليمان الأخفش قالا : حدثنا محمد ابن يزيدَ النحوي قال :

قدم عُمارة بن عَقيل[1] بغداد، فاجتمع الناس إليه، فكتبوا شعره وشعر أبيه، وعرضوا عليه الأشعار. فقال بعضهم : ها هُنا شاعر يزعم [قوم][2] أنه أشعر الناس طُرًّا، ويزعم غيرهم ضدّ ذلك. فقال : أنشدونى قوله. فأنشدوه :

غَدَتْ تستجيرُ الدمعَ خوفَ نَوَى غَدِ * وعادَ قَتَادًا عندها كلُّ مَرْقَدِ

وأنقذها من غَمْرة الموت أنّهُ * صُدودُ فراقٍ لا صدودُ تَعَمُّدِ

فأجرَى لها الإشفاقُ دمعا مُوَرَّدا * من الدم يجرى فوقَ خدٍّ مُوَرَّدِ

هِيَ البدرُ يغنيها تَوَدُّدُ وجهِها * إلى كلِّ من لاقتْ وإن لم تَوَدَّدِ

ثم قطع المنشد. فقال له عُمارة : زدنا من هذا. فوصل نشيدَه وقال :

ولكنّنى لم أحْوِ وَفْرا مُجَمَّعا * فَفُزْتُ به إلا بشَمْلٍ مُبَدَّدِ

ولم تُعْطِنى الأيام نوما مُسَكَّنا * أَلَذُّ به إلا بنومٍ مُشَرَّدِ

فقال عُمارة : لله دَرُّه! لقد تقدم فى هذا المعنى من سبقه إليه، على كثرة القول فيه، حتى لقد حَبَّب إلىّ الاغتراب، هِيه. فأنشده :

وطولُ مُقام المرء فى الحىّ مُخْلِقٌ * لديباجتيه فاغتربْ تتجدَّدِ

فإنى رأيتُ الشمسَ زِيدت محبّةً * إلى الناسِ أنْ ليستْ عليهمْ بسَرْمَدِ

فقال عُمارة : كَلَّ والله، لئن كان الشعر بجودة اللفظ، وحسن المعانى، واطراد المراد، واتّساق[3] الكلام، فإن صاحبكم هذا أشعر الناس.

---

(١) هو عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير الشاعر الأموى المشهور (الخزانة ١ : ٣٦).

(٢) زيادة يقتضيها المعنى. (٣) أ، م : واستواء.

تفضيل على بن الجهم له

أخبرنى محمد بن يحيى الصُّولِىّ قال : حدثنى محمد بن موسى بن حمّاد قال : سمعت على بن الجَهم يصف أبا تمّام ويفضله ، فقال له رجل : والله لو كان أبو تمام أخاك مازدت على مدحك هذا . فقال : إن لم يكن أخا بالنسب ، فإنه أخ بالأدب والمودة ؛ أما سمعت ما خاطبنى به حيث يقول :

إنْ يُكْدِ مُطَّرَفُ الإخاء فإننا * نغـدو ونسرى فى إخاء تالد (١)

أو يختلفْ ماء الوِصال فماؤنا * عذبٌ تحدّرَ من غمام واحـد

أو يفـترقْ نسبٌ يؤلفْ بيننـا * أدبٌ أقمنـاه مَقـامَ الـوالد

زعم دعبل أنه يسرق معانيه

أخبرنى محمد قال : حدثنى هارون بن عبد الله المهلبىّ قال :

كنا فى حَلْقة دِعْبل، فجرى ذكر أبى تمـام ، فقال دعبل : كان يتتبع معانىّ فيأخذُها . فقال له رجل فى مجلسه : وأى شىء من ذلك ، أعزك الله؟ قال : قولى :

وإن امرأً أَسْـدَى إلىّ بشافع * إليه ويرجـو الشكرَ منى لأحمقُ

شفيعَك فاشكر فى الحـوائج إنه * يصونُك عن مكروهها وهو يَخْلُقُ

فقال الرجل : فكيف قال أبو تمـام ؟ فقال : قال :

فلقيتُ بين يديكَ حُـلْوَ عَطائه (٢) * ولقيت بين يدىَّ مُرَّ سُـؤاله

وإذا امرُؤ أسدَى إليكَ صَنيعةً (٣) * من جاهه فكأنها من ماله

فقال له الرجل : أحسن والله . فقال : كذبتَ قبّحكَ الله . فقال : والله لئن كان أخذه منك، لقـد أجاد، فصار أولى به منك . وإن كنت أخذتَه منه فما بلغتَ مَبلَغه . فغضب دِعبل وانصرف .

(١) أكدى : خاب ولم ينفع . والمطرف ، المستحدث . والتالد : القديم .

(٢) كذا فى أ ، م والديوان . وفى بقية الأصول : « يديه » . (٣) أ ، م : إلىّ .

تقديم الباهلي له

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدثني ابن مهرويه قال : حدثني عبد الله ابن محمد بن جرير قال :

سمعت محمد بن حازم الباهليّ يقدم أبا تمام ويفضله ، ويقول : لو لم يقل إلا مَرْثيته التي أولها :

٥ * أصمَّ بك الناعي وإن كان أسمعا *

وقوله :

لو يقدرون مَشَوْا على وَجَناتهم * وجباههم فضلاً عن الأقدامِ

لكفتاه .

إعجاب عمارة بن عقيل بشعره

أخبرني عمي قال : حدثني عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال :

١٠ كان عُمارة بن عَقيل عندنا يوما ، فسمع مؤدِّبا كان لولد أخي يُروِّيهم قصيدة أبي تمام :

* الحق أبلج والسيوف عَوارِ *

فلما بلغ إلى قوله :

سُودُ اللباسِ كأنما نَسَجَت لهم * أيدي السَّموم مَدارِعا(١) من قارِ

١٥ بَكَروا وأَسْرَوا في مُتون ضوامرٍ * قِيدَت لهم من مَرْبط النَّجارِ

لا يبرحون ومن رآهم خالهم * أبدا على سَفَر من الأسفارِ

فقال عُمارة : لله دره ! ما يعتمد معنى إلا أصاب أحسنه ، كأنه موقوف عليه .

استحسان الصولي لشعره

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال : حدثني أبو ذكوان قال : قال لي إبراهيم ابن العباس : ما اتكلتُ في مكاتبتي قَطُّ إلا على ما جاش به صدري ، وجلبه

٢٠ خاطري ، إلا أني قد استحسنت قول أبي تمام :

(١) المدارع : جمع مدرعة ، وهي جبة مشقوقة المقدم .

فإن باشرَ الإصحارَ فالبِيضُ والقنا * قِراهُ وأحواضُ المنـايا مَناهـلُه[(١)]

وإنْ يَبنِ حِيطانًا عليـهِ فإنمـا * أولئـك عُقّـالاتُهُ لا مَعاقلُه[(٢)]

وإلا فأعلمـه بأنك ساخـطٌ * عليه، فإن الخوف لاشـكَّ قاتلُه

فأخذت هذا المعـنى فى بعض رسائلى، فقلت : « فصار ما كان يُحرزهم يُبرزهم، وما كان يَعقلهم يعتقلهم » . قال : ثم قال لى إبراهيم : إن أبا تمام اخترِم وما استمتع بخاطره، ولا نزح رَكِىَّ[(٣)] فكره، حتى انقطع رِشاءُ[(٤)] عمره .

أخبرنى محمد قال : حدثنى أبو الحسين بن السخىّ قال : حدثنى الحسين ابن عبد الله قال :

سمعت عمى إبراهيم بن العباس يقول لأبى تمام، وقد أُنشد شعرا له فى المعتصم : يا أبا تمام، أمراء الكلام رَعِية لإحسانك . ١٠

تعصب دعبل عليه

أخبرنى محمد قال : حدثنى هارون بن عبد الله قال : قال لى محمد بن جابر الأزدىّ، وكان يتعصب لأبى تمـام :

أنشدت دِعبلَ بن علىّ[(٥)] شعرا لأبى تمام ولم أعلمه أنه له، ثم قلت له : كيف تراه ؟ قال : أحسنُ من عافيةٍ بعد يأس . فقلت : إنه لأبى تمـام . فقال : لعله سرقه ! ١٥

أخبرنى محمد قال : حدثنى أحمد بن يزيد المهلبىّ عن أبيه قال :

نشعراء لا يتكسبون إلا بعد موته

ما كان أحد من الشعراء يقدر على أن يأخذ درهما بالشعر فى حياة أبى تمام، فلما مات اقتسم الشعراء ما كان يأخذه .

(١) الإصحار : البروز إلى الصحراء . (٢) عقالاته : قيوده . (٣) الركى : البئر.

(٤) الرشاء : الحبل يستقى عليه من البئر . (٥) أ، م : فلانا، فى موضع : دعبل بن علىّ . ٢٠

إعجاب شعراء خراسان به وأنفته

١٠٣ / ١٥

أخبرني عمي والحسن بن علي ومحمد بن يحيى وجماعة من أصحابنا، وأظن أيضا جحظة حدثنا به، قالوا: حدثنا عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال:

لما قدم أبو تمام إلى خراسان اجتمع الشعراء إليه، وسألوه أن ينشدهم، فقال: قد وعدني الأمير أن أنشده غدا، وستسمعوني(١). فلما دخل على عبد الله أنشده:

هنّ عوادي يوسف وصواحبُهْ * فعزما فقدما أدرك السؤلَ طالبُهْ

فلما بلغ إلى قوله:

وقلقل نأيٌ من خراسان جأشَها * فقلتُ اطمئني أنضرُ الروض عازبُهْ

وركبٍ كأطراف الأسنة عرّسُوا * على مثلها والليل تسطو غياهبه

لأمر عليهم أن تتم صُدورُه * وليس عليهم أن تتم عواقبه

فصاح الشعراء بالأمير أبي العباس: ما يستحق مثلَ هذا الشعر غيرُ الأمير أعزه الله! وقال شاعر منهم يُعرف بالرياحي: لي عند الأمير أعزه الله جائزة وعدني بها، وقد جعلتها لهذا الرجل جزاء عن قوله للامير. فقال له: بل نضعفها لك، ونقوم له بما يجب له علينا. فلما فرغ من القصيدة نثر عليه ألف دينار، فلقطها الغلمان، ولم يمسّ منها شيئا، فوجد عليه عبد الله وقال: يترفع عن برّي، ويتهاون بما أكرمته به. فلم يبلغ ما أراده منه بعد ذلك.

أخبرني أبو مسلم محمد بن بحر الكاتب وعمي، عن الحزنبل، عن سعيد ابن جابر الكرخي، عن أبيه:

تقدير أبي دلف لشعره

أنه حضر أبا دلف القاسمَ بن عيسى وعنده أبو تمام الطائي، وقد أنشده قصيدته:

(١) كذا في الأصول بحذف إحدى النونين.

على مثلها من أربُعٍ وملاعبِ * أُذيلَتْ مصُونات الدموع السواكبِ

فلما بلغ إلى قوله :

إذا افتخرت يوما تميم بقوسها * وزادت على ما وطّدت من مَناقِبِ

فأنتم بذى قارٍ أمالتْ سُيوفُكم * عُروش الذين استُرْهِنوا قوسَ حاجِبِ

محاسنُ من مجد متى تَقْرُنوا بها * محاسن أقوامٍ تكن كالمعايب

٥

فقال أبو دُلَف : يا معشرَ ربيعة ، ما مُدحتم بمثل هذا الشعر قطّ ، فما عندكم لقائله ؟ فبادروه بمطارفهم يَرْمون بها إليه . فقال أبو دُلَف : قد قبلَها وأعاركم لبْسها ، وسأنوب عنكم فى ثوابه . تمِّم القصيدة يا أبا تمام . فتممها ، فأمر له بخمسين ألف درهم ، وقال : والله ما هى بإزاء استحقاقك وقدرك . فاعذرنا ، فشكره وقام ليقبّل يده ، فحلف ألا يفعل ، ثم قال له : أنشدنى قولك فى محمد بن حُميد :

١٠

وما مات حتى ماتَ مَضْرِب سيفهِ * من الضرب واعتلت عليه القنا السُّمْرُ

وقد كان فوتُ الموت سهلا فردّه * إليه الحفاظ المرُّ والخلُقُ الوعْر

فأثبت فى مستنقع الموت رجلَه * وقال لها من تحت أَخْمُصِك الحشر

غدا غَدوةً والحمد نَسْجُ ردائهِ (١) * فلم ينصرف إلا وأكفانه الأجر

كأن بنى نَبهانَ يوم مُصابِه * نجومُ سماءٍ خرّ من بينها البدر

١٥

يُعَزَّوْن عن ثاوٍ يُعزَّى به العُلَى * ويبكى عليه البأسُ والجود والشعر

فأنشده إياها ، فقال : والله لوددت أنها فىّ . فقال : بل أَفْدِى الأميرَ بنفسى وأهلى ، وأ كونُ المقدم ، فقال : إنه لم يمت من رُثى بهذا الشعر ، أو مثله .

١٠٤ / ١٥

مدحه الواثق ابن أبى دواد

أخبرنى أبو الحسن الأسدىّ قال : حدثنا الحسن بن عُليل العَنَزىّ قال : حدثنى إسحاق بن يحيى الكاتب قال :

٢٠

(١) أ ، م : حشو ردائه .

قال الواثق لأحمد بن أبي دُواد : بلغني أنك أعطيت أبا تمام الطائيّ في قصيدة مدحك بها ألف دينار . قال : لم أفعل ذلك يا أمير المؤمنين ، ولكني أعطيته خمس مئة دينار رعاية للذي قاله للمعتصم :

فاشدُدْ بهارونَ الخلافةَ إنه * سَكَنٌ لوَحشتها ودارُ قَرارِ

ولقد علمت بأن ذلك مِعْصَمٌ * ما كنتَ تتركه بغير سوارِ

فابتسم وقال : إنه لحقيق بذلك .

مدحه خالد بن يزيد الشيباني

أخبرني علي بن سليمان قال : حدّثنا محمد بن يزيدَ النحويّ قال :

خرج أبو تمام إلى خالد بن يزيد بن مَزْيَد وهو بأرمينيَة ، فامتدحه ، فأعطاه عشرة آلاف درهم ونفقةً لسفره ، وقال : تكون العشرة الآلافِ موفورة ، فإن أردت الشخوص فاعجل ، و إن أردت المُقام عندنا فلك الحِباء والبرّ . قال : بل أشخص . فودّعه ، ومضت أيام ، وركب خالد يتصيد ، فرآه تحت شجرة ، وبين يديه زُكرة[1] فيها شَراب ، وغلام يغنيه بالطُّنبور . فقال : أبو تمام ؟ قال : خادمك وعبدك . قال : ما فعل المال ؟ فقال :

عَلّمني جودُكَ السماحَ فما * أبقيت شيئا لديّ من صِلَتِكْ

ما مرّ شهر حتى سمحتُ به * كأنّ لي قدرةً كقدْرتِكْ

تُنفق في اليوم بالهبات وفي السـ * ـاعة ما تجتنيه في سَنَتِكْ

فلستُ أدري من أين تنفق لو * لا أن ربي يمُدّ في هبتك

فأمر له بعشرة أخرى ، فأخذها وخرج .

(١) زكرة : وعاء من جلد للخمر .

إعجاب الحسن بن رجاء بمدحه فيه

أخبرنى محمد بن يحيى الصولى قال : حدّثنا عون بن محمد الكندىّ قال : حدّثنا محمد بن سعد أبو عبد الله الرقّىّ، وكان يكتب للحسن بن رجاء ، قال :

قَدِم أبو تمام مادحا للحسن بن رجاء ، فرأيت منه رجلا عقله وعلمه فوق شعره ، فاستنشده الحسن ونحن على نبيذ قصيدته اللامية التى امتدحه بها ، فلما انتهى إلى قوله :

أنا مَن[1] عَرَفْتَ فإن عرتكَ جَهالة * فأنا المقيمُ قِيامةَ العُذّالِ

عادتْ له أيامه مُسْودّة * حتى توهم أنهن ليالِ

فقال الحسن : والله لا تَسْوَدُّ عليك بعد اليوم . فلما قال :

لا تنكرى عَطَل الكريم من الغِنى * فالسيل حربٌ للمكان العالى

وتنظّرى خَبْبَ الركابِ ينصُّها[2] * مُحيى القريض إلى مميت المالِ

فقام الحسن بن رجاء على رجليه، وقال : والله لا أتممتَها إلا وأنا قائم . فقام أبو تمام لقيامه ، وقال :

لما بلغنا ساحةَ الحسنِ انقضَى * عنا تملُّكُ دولةِ الإمحالِ

بسطَ الرجاءَ لنا برغْم نوائبٍ * كَثُرتْ بهن مصارعُ الآمالِ

أغلَى عَذارى الشعرِ إنّ مُهُورَها * عند الكرام وإن رَخُصْن غَوالِ

تَرِدُ الظُّنونُ بنا[3] على تصديقها * ويُحَكِّم الآمالَ فى الأموالِ

أضحى سَمِىُّ أبيك فيك مصدِّقا * بأجلِّ فائدةٍ وأيمنِ فالِ

ورأيتنى فسألتَ نفسك سَيْبَها * لى ثم جُدْتَ وما انتظرتَ سؤالى

كالغيث ليس له — أُرِيدَ غمامه * أو لم يرد — بُدٌّ من التَّهطالِ

(١) أ ، م والديوان : أنا ذو ، وهى بمعنى « من » فى لغة طيئ .
(٢) الديوان : خبب الركاب ، والخبب : ضرب من السير السريع . و ينصها : يسوقها .
(٣) بنا : كذا فى الديوان . وفى الأصول : به .

فتعانقا وجلسا . وقال له الحسن : ما أحسن ما جَلَوت هـذه العروس ! فقال : والله لو كانت من الحُور العِين لكان قيامك لها أوفى مُهورها .

قال محمد بن سعد : وأقام شهرين ، فأخذ على يدى عشرة آلاف درهم ، وأخذ غير ذلك مما لم أعلم به ؛ على بخل كان فى الحسن بن رجاء .

دعبل يعتذر عن تعصبه عليه

٥ أخبرنى الصُّولى قال : حدّثنى عون بن محمد قال :

شهدت دِعبِلا عند الحسن بن رجاء وهو يضع من أبى تمام ، فاعترضه عِصابةُ الجَرْجَرائى[1] ، فقال : يا أبا على ، اسمع منى ما قاله ، فإن أنت رضيته فذاك ؛ وإلا وافقتك على ما تذمّه منه ، وأعوذ بالله فيك من ألّا تَرضاه ، ثم أنشده قوله :

أما إنه لولا الخليطُ المودِّعُ * ومغنًى عفا منه مَصيفٌ ومَرْبَعُ

١٠ فلما بلغ إلى قوله :

هو السيلُ إن واجهته انقدتَ طَوْعَه * وتقتادُه من جانبيه فيَتبَعُ

ولم أر نفعا عند من ليس ضائرا * ولم أر ضُرًّا عند من ليس ينفع

مَعادُ الورَى بعد المماتِ وسيبُه * معادٌ لنا قبل المماتِ ومَرجِع

فقال له دِعبل : لم ندفع فضلَ هذا الرجل ، ولكنكم ترفعونه فوق قدره ، وتقدمونه ١٥ على من يتقدمه ، وتنسُبون إليه ما قد سرقه . فقال له عصابة : إحسانه صيرك له عائبا ، وعليه عاتبا .

مدحه محمد بن الهيثم ومكافأته

أخبرنى الصُّولى قال : حدّثنا الحسن بن وَداع كاتب الحسن بن رَجاء قال :

حضرت أبا الحسين محمد بن الهيثم بالجبل وأبو تمام ينشده :

أسقَى ديارَهُمُ أجشُّ هَزيمُ * وغدتْ عليهم نضرةٌ ونعيمُ

٢٠ (١) الجرجرائى : نسبة إلى جرجرايا ، من بلاد العراق ، بين واسط وبغداد ، من الجانب الشرق .

قال : فلما فرغَ أمر له بألف دينار ، وخَلَع عليه خِلعة حسنة ، وأقمنا عنده يومنا ، فلما كان من غَدٍ كتب إليه أبو تمام :

قد كسانا من كُسوة الصيف خِرْقٌ (١) * مكتسٍ من مَكارم ومَساعِ

حُـلّةً سـابريّةً (٢) ورداءً * كسَحا القيض أو رداءِ الشُّجاعِ

كالسَّراب الرَّقراق (٣) فى الحسن إلا * أنه ليس مثـلَه فى الخِـداعِ

قَصَبِيًّا (٤) تستـرجِفُ الريحُ مَتنيـ * ـه بأمرٍ من الهُبوب مطاعِ

رَجَفـانًا كأنه الدهرَ منـه * كَبِدُ الصَّبِّ أو حشا المُرْتاعِ

لازمًا مايليـه تحسبه جُزْ * ءًا من المَتْنَتينْ (٥) والأضلاعِ

يَطرُدُ اليومَ ذا الهَجير ولو شُـ * ـبِّهَ فى حَرِّه بيـوم الـوَداعِ

خِلعةٌ من أغرَّ أرْوَعَ (٦) رَحْبِ الـ * ـصَّدر رحب الفؤاد رحْبِ الذراعِ

سوف أكسوك ما يُعَفِّى عليها (٧) * من ثَناء كالبُرْد بُرْدِ الصَّناعِ

حسن هاتيكَ فى العيون وهـذا * حسنه فى القلوب والأسماعِ

فقال محمد بن الهيثم : ومن لا يُعْطِى على هـذا مُلْكه ؟ والله لا يبق فى دارى ثوب إلا دفعتُه إلى أبى تمـام ، فأمر له بكل ثوب كان يملكه فى ذلك الوقت .

---

(١) الخِرق : السخىّ . (٢) السابرية من الثياب : الرقيقة النسج الجيدة . وسحا القيض : قشر البيض الذى تحت القشرة الصلبة . والشجاع : الحية . (٣) الرقراق : المتلألىء . (٤) القصبى من الثياب : الرقيق الناعم من الكتان . وفى س : «وقسيا» ، ولا يتفق مع وزن البيت إلا بتخفيف سينه ، ولا يلائم المعنى هنا إلا «القسى» بشد السين ، وهى ثياب من كتان مخلوط بحرير . وتسترجف : تحرك . (٥) المتنتان : ما يجاور العمود الفقرى من يمينه وشماله . (٦) الأغر : الأبيض الوجه ، يريد أنه سيد شريف كريم الفعال . والأروع : الشهم الذكى ، ومن يعجبك بحسنه أو شجاعته . (٧) يعفى عليها : يفوقها فى القيمة . والصناع : المرأة الحاذقة فى العمل بيديها ، يقال رجل صنع ، وامرأة صناع .

رضا عبد الله ابن طاهر عنه بعد عتبه

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال : حدثني عمي الفضل قال : لما شخص أبو تمام إلى عبد الله بن طاهر وهو بخراسان ، أقبل الشتاء وهو هناك ، فاستثقل البلد ، وقد كان عبد الله وجد عليه ، وأبطأ بجائزته ، لأنه نثر عليه ألف دينار فلم يمسسها بيده ، ترفعا عنها ، فأغضبه وقال : يحتقر فعلي ، ويترفع علي . فكان يبعث إليه بالشيء بعد الشيء كالقوت ، فقال أبو تمام :

لم يبق للصيف لا رسمٌ ولا طَلَلُ * ولا قشيبٌ فيُستكسى ولا سَمَلُ[1]

عدلٌ من الدمع أن يُبكى المصيفُ كما * يُبكى الشبابُ ، ويُبكى اللهوُ والغزلُ

يُمْنَى الزمانِ انقضى معروفُها وغَدَتْ * يُسْراه وهْي لنا من بعدها بَدَل

فبلغت الأبيات أبا العَمَيْثَل شاعرَ آل عبد الله بن طاهر ، فأتى أبا تمام ، واعتذر إليه لعبد الله بن طاهر ، وعاتبه على ماعَتَب عليه من أجله ، وتضمَّن له ما يُحبه . ثم دخل إلى عبد الله ، فقال : أيها الأمير ، أتتهاون بمثل أبي تمّام وتجفوه ؟ فوالله لو لم يكن له ماله من النباهة في قدره ، والإحسان في شعره ، والشائع من ذكره ، لكان الخوف من شره ، والتوقِّي لذمه ، يوجب على مثلك رعايته ومراقبته ، فكيف وله بنزوعه إليك من الوطن ، وفراقه السَّكَن ، وقد قصدك عاقدا بك أملَه ، مُعملا إليك ركابه ، متعبا فيك فكره وجسمه ، وفي ذلك ما يُلزِمُك قضاء حقه ، حتى ينصرف راضيا ؛ ولو لم يأت بفائدة ، ولا سُمِع فيك منه ما سُمِع إلا قوله :

تقولُ في قُومَسٍ صحبي وقد أخذتْ * منا السُّرى وخُطا المَهْرِيّة القُودِ[2]

أمَطْلعَ الشمس تبغي أن تؤمَّ بنا * فقلت كَلّا ولكن مَطْلِع الجودِ

(١) القشيب : الجديد من الثياب . والسمل : البالي .

(٢) قومس : صقع كبير بين خراسان وبلاد الجبل . والمهرية : الإبل المنسوبة إلى مهرة بن حيدان من اليمن ، وكانت لا يعدل بها شيء في سرعتها (عن تاج العروس) .

فقال له عبد الله : لقد نَبَّهْتَ فأحسنت ، وشفعت فَلَطُفْت ، وعاتبت فأَوْجعت ، ولك ولأبى تمـام العُتْبى، ادعه يا غلام . فدعاه ، فنادمه يومه ، وأمر له بألفَى دينـار ، وما يحمله من الظَّهْر ، وخلَع عليه خِلْعة تامة من ثيابه ، وأمر ببذْرقته (١) إلى إلى آخر عمله .

أبو تمام لاقط المعانى

أخبرنى جَحْظة قال : حدثنى ميمون بن هارون قال :

مرَّ أبو تمـام بمخنَّث يقول لآخر : جئتك أمس فاحتجبت عـنى ، فقال له : السماء إذا احتجبت بالغـيم رُجِّى خيرُها . فتبينتُ فى وجه أبى تمـام أنه قد أخذ المعنى ، ليضمنه (٢) فى شعره ، فمـا لبثنا إلا أياما حتى أُنْشدت قوله :

ليس الحجابُ بمقصٍ عنكَ لى أملا * إنّ السماءَ تُرَجَّى حين تَحْتَجِبُ

اتهامه بسرقة قصيدة

أخبرنى أبو العباس أحمـد بن وصيف ، وأبو عبـد الله أحمـد بن الحسن ابن محمد الأصبهانى ابن عمى، قال : حدثنا محمد بن موسى بن حماد قال :

كنا عند دِعْبل أنا والقاسم (٣) ، فى سـنة خمس وثلاثين ومئتين ، بعـد قدومه من الشأم ، فذكرنا أبا تمـام ، فثلبه ، وقال : هو سَروق للشعر . ثم قال لغلامه : يا ثقيف ، هات تلك المِخْلاة . فجاء بمخلاة فيهـا دفاتر ، فجعل يمرّها على يده ، حتى أخرج منهـا دَفترا ، فقال : اقرءوا هذا . فنظرنا فيـه ، فإذا فيـه : قال مُكْنِف أبو سُلْمى ، من ولد زهير بن أبى سُلْمى ، وكان هجا ذُفافة العَبْسى بأبيات منهـا :

إن الضُّراطَ به تصاعَد جَدُّكُم * فتعاظموا ضَرْطًا بَنِى القَعقاعِ

١٠٧ / ١٥

قال ثم مات ذُفافة بعد ذلك ، فرثاه فقال :

أبعد أبى العباس يُسْتعذَبُ الدهرُ (٤) * فمـا بعده للدهر حسنٌ ولا عُذْرُ

ألا أيُّهـا الناعى ذُفافةَ والنـدَى * تَعَسْتَ وشَلَّت من أناملك العشر

(١) بذرقته : حراسته . (٢) أ ، م : لينظمه . (٣) أ ، م : والعمراوى .
(٤) الدهر : كذا فى أ ، م . وفى بقية الأصول : الشعر .

أتبغى لنـا مِنْ قيس عيلانَ صخرة * تفلّق عنها من جبال العدا الصخر

إذا ما أبو العبـاس خَلّى مكانه * فلا حَمَلتْ أنثى ولا نالَهـا طُهْر

ولا أمطرتْ أرضًا سماءٌ ولا جرتْ * نجـومٌ ولا لذّتْ لشاربها الخمر

كأنّ بنى القعـــقاع يوم مُصابِه * نجـومُ سماءٍ خَرّ من بينها البـــدر

٥ تُوُفِّيــتِ الآمالُ يومَ وفاتــهِ * وأصبح فى شُغْلٍ عن السَّفْر السفْر

ثم قال : سرق أبو تمـام أكثر هذه القصيدة ، فأدخلها فى قصيدته :

كذا فليجِلّ الخطبُ وليْفدَحِ الأمرُ * وليسَ لعين لم يَفِضْ ماؤُها عُذْر

مداعبة بينه وبين الحسن بن وهب

أخبرنى الصُّولىّ قال : حدّثنى محمـد بن موسى قال :

كان أبو تمـام يعشق غلاما خَزَريا للحسن بن وهب ، وكان الحسن يتعشق

١٠ غلاما روميا لأبى تمام، فرآه أبو تمام يوما يعبث بغلامه، فقال له : والله لئن أعنقتَ[1] إلى الروم، لنركُضَنَّ إلى الخَـزَر . فقال له الحسن : لو شئتَ حكّمتنا واحتكمت . فقال أبو تمـام : أنا أشبهك بداود عليه السـلام، وأشبه نفسى بخصـمه ، فقال الحسن : لو كان هذا منظوما خفناه، فأما وهو منثور فلا، لأنه عارِض لا حقيقة له ، فقال أبو تمـام :

١٥ أبا علىٍّ لصرفِ الدهر والغِـيَرِ * وللحـــوادث والأيامِ والعِــبرِ[2]

أذكرتنى أمر داودٍ وكنتُ فتًى * مُصَرَّف القلب فى الأهواء والفِكر

أعندك الشمس لم يَحظ المغيبُ بها * وأنت مضطربُ الأحشاء للقمر

إن أنت لم تترك السير الحثيث إلى * جآذر الرومِ أعنقنا إلى الخَــزَرِ

إن القُطوبَ[3] له منى محـلُّ هوًى * يَحل منى محـلَّ السمع والبصر

٢٠ (١) الإعناق : السير الواسع الفسيح الممتد . (٢) الديوان (طبعة بيروت ١٨٨٩) .

(٣) الديوان : النفور .

وربَّه آمنعَ منه جانبا وحِمًى * أمسى وتِكَّتُه[1] منِّى على خَطَر
جَرَّدتُ فيه جنودَ العزم فانكشفتْ * منه غَيابتُها عن نَيكة هَدَر[2]
سبحانَ من سَبْحُنُه كلُّ جارحة * ما فيك من طَمَحان الأير والنظر[3]
أنت المقيمُ فما تغدو رواحلُهُ * وأيرُه[4] أبدا منه على سَفَر

سبب غضب دعبل منه

أخبرنى الصولىّ قال : حدّثنى عبد الله بن الحسين قال : حدّثنى وهب ابن سعيد قال : ٥

جاء دِعبل إلى الحسن بن وهب فى حاجة بعد موت أبى تمام ، فقال له رجل فى المجلس : يا أبا علىّ ، أنت الذى تطعُن على من يقول :

شَهِدتُ لقد أقوتْ مغانيكُمُ بعدِى * ومَحَّتْ كما محت وشائعُ من بُرْدِ[5]
وأَنجدتم من بعد إتهام داركُمْ * فيا دمعُ أَنجدنِى على ساكنى نجدِ ١٠

فصاح دعبل : أحسن والله ! وجعل يردد « فيا دمع أنجدنى على ساكنى نجد » ثم قال : رحمه الله ! لو كان ترك لى شيئا من شعره لقلت إنه أشعر الناس .

١٠٨ / ١٥

رثاؤه ابنى عبد الله بن طاهر

أخبرنى علىّ بن سليمان ومحمد بن يحيى قالا : حدّثنا محمد بن يزيد قال :

مات لعبدالله بن طاهر ابنان صغيران فى يوم واحد، فدخل عليه أبو تمام فأنشده :

ما زالت الأيامُ تخبِرُ سائلا * أن سَوفَ تفجعُ مُسْهِلا أو عاقلا[6] ١٥
مجدٌ تأوَّبَ[7] طارقا حتى إذا * قلنا أقام الدهرَ أصبحَ راحلا

(١) فى الأصول : وتكته .
(٢) الديوان * عنه غيابته عن بكرة هدر * والهدر : الباطل .
(٣) الديوان * ما فيك من طمحان العين بالنظر *
(٤) الديوان * وفعله أبدا منه على سفر *
(٥) محت : درست وانمحت . والوشائع : جمع وشيعة ، وهى الطريقة فى البرد ، وهى تخطيط يخالف لونه سائر لون البرد .
(٦) مسهلا : نازلا فى السهل . وعاقلا : ممتنعا فى الجبل العالى .
(٧) تاوب : ورد ليلا ، وهو بمعنى طرق . ٢٠

نجمان شاء الله ألا يَطْلُعا * إلا آرتدادَ الطرف حتى يأفلا
إن الفجيعة بالرياض نواضرًا * لأجل منها بالرياض ذوابلا
لو يُنسبان[1] لكان هذا غاربا * للمكرمات وكان هذا كاهلا
لهفي على تلك المخايل منهما * لو أُمهلت حتى تكون شمائلا
لغدا سكونهما حِجًى وصباهما * حلما وتلك الأريحية نائلا
إن الهلال إذا رأيت نموه * أيقنتَ أنْ سيكونُ[2] بدرا كاملا ٥

صوت

شعر لأبي الشيص فيه غناء

بالله قُلْ يا طَلَلُ * أهلُكَ ماذا فعلُوا
فإن قلبي حَذِرٌ * من أن يَبِينوا وَجِلُ ١٠

عروضه من الرجز . الشعر لأبي الشيص . والغناء لأحمد بن يحيى المكيّ .
خفيف ثقيل بالوسطى من نسخة عمرو بن بانة الثانية . ومن رواية الهشامي .

(١) ينسبان : كذا في جميع الأصول . يريد أنهما لو نسبا أي أضيفا إلى شيء لأضيفا إلى المكرمات، فكانا بمنزلة السنام والكتف من البعير . وفي الديوان : لو ينسآن ، أي يؤخر أجلهما .

(٢) الديوان : « أيقنت أن سيعود » .

أخبار أبى الشِّيص ونسبه

نسبه

اسمه محمد بن رَزِين بن سليمان بن تميم بن نَهْشل — وقيل : ابن بُهَيْش — ابن خِراش بن خالد بن عبد بن دِعبِل بن أَنَس بن خُزَيمة بن سَلامان بن أسلمَ ابن أفصَى بن حارثة بن عمرو مُزَيْقيا ابن عامر بن ثعلبة .

منزلته الشعرية

وكان أبو الشيص لقبا غلب عليه . وكنيته أبو جعفر ، وهو ابن(1) عم دِعبل بن علىّ بن رَزِين لَحًّا(2) . وكان أبو الشيص من شعراء عصره ، متوسِّط المحلّ فيهم ، غير نبيه الذكر ، لوقوعه بين مسلم بن الوليد وأشجع وأبى نواس ، نخمل وانقطع إلى عُقْبة ابن جعفر بن الأشعث الخُزاعىّ ، وكان أميرا على الرَّقّة ، فمدحه بأكثر شعره ، فقلما يُرْوَى له فى غيره . وكان عُقْبة جوادا فأغناه عن غيره .

ابنه عبد الله

ولأبى الشيص ابن يقال له عبد الله شاعر أيضا ، صالح الشعر ، وكان منقطعا إلى محمد بن طالب ، فأخذ منه جامع شعر أبيه ، ومن جهته خرج إلى الناس .

مراثيه فى عينيه

وعَمِىَ أبو الشِّيص فى آخر عمره ، وله مَراثٍ فى عينيه قبل ذهابهما وبعده ، نذكر منها مختارها مع أخباره .

تفضيل ابن المعتز له

وكان سريع الهاجس جدا ، فيما ذُكر عنه . فحكى عبد الله بن المعتز أن أبا خالد العامرىّ قال له : مَن أخبرك أنه كان فى الدنيا أشعرُ من أبى الشيص فكذّبه . والله لكان الشعرُ عليه أهون من شرب الماء على العطشان . وكان من أوصف الناس للشراب ، وأمدحهم للملوك .

وهكذا ذكر ابن المعتز ، وليس توجد هذه الصفات كما ذَكَر فى ديوان شعره ، ولا هو بساقط ، ولكن هذا سَرَف شديد .

(1) فى الأصول : وهو عم دعبل . ولكن المترجمين لأبى الشيص أجمعوا على أنه ابن عمه .
(2) يقال : هو ابن عمى لحا : أى لاصق النسب .

مدحه لعقبة بن جعفر ومكافأته

١٠٩ / ١٥

أخبرني عمي قال : حدّثنا الكِرانيّ عن النضر بن عمر قال :

قال لي أبو الشيص : لما مدحت عُقْبة بن جعفر بقصيدتي التي أولها :

لا تُنكرِي صَدِّي ولا إعراضِي * ليس المُقِلُّ عن الزمان براضِ

أمر بأن تُعَدّ، وأعطاني لكل بيت ألف درهم .

هو والخريمي يرثيان بصريهما

٥ أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال : أنشدت إبراهيم بن المهديّ(١) أبيات أبي يعقوب الخُرَيميّ التي يرثي بها عينه ، يقول فيها :

إذا ما مات بعضُك فابكِ بعضًا * فإن البعض من بعض قريبُ

فأنشدني لأبي الشيص يبكي عينيه :

١٠ يا نفسُ بكّي بأدمعٍ هُتُنِ * ووا كِفٍ كالجُمان في سَنَنِ

على دليلي وقائدي ويدي * ونور وجهي وسائس البدنِ

أبكي عليها بها مخافةَ أن * تقرُنَني والظلامَ في قَرَنِ

يدعو على امرأة عيرته بالعمى

وقال أبو هِفّان : حدّثني دِعبل أن امرأة لقيت أبا الشِّيص، فقالت : يا أبا الشيص: عَمِيتَ بعدي . فقال : قَبَحَكِ الله ، دعوتني باللقب ، وعيَّرتني بالضُّرّ !

مجلس شعري

١٥ أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ قال : حدّثني أبي ، عن أحمد بن عُبيد قال :

اجتمع مسلم بن الوليد وأبو نواس وأبو الشيص ودِعبل في مجلس ، فقالوا : ليُنشِد كل واحد منكم أجود ما قاله من الشعر . فاندفع رجل كان معهم فقال : اسمعوا مني أخبرْكم بما يُنشِدُ كلّ واحد منكم قبل أن يُنشد . قالوا : هات .

٢٠ فقال لمسلم : أما أنت يا أبا الوليد فكأني بك قد أنشدت :

---

(١) أ ، م : إبراهيم بن المدبر .

إذا ما علَتْ منا ذؤابةُ واحـــدٍ * وإن كان ذا حلم دعته إلى الجهل
هل العيشُ إلا أن تروح مـع الصِّبا * وتغدو صريعَ الكأس والأعين النُّجْلِ

قال: وبهذا البيت لُقِّب «صريع الغوانى»، لقبه به الرشيد، فقال له مسلم: صدقت.

ثم أقبل على أبى نواس فقال له: كأنى بك يا أبا علىّ قد أنشدت:

لا تبك ليــلى ولا تطرب إلى هنـدِ * واشربْ على الوَرْدِ من حمراءَ كالورْدِ
تَسقيك من عينهـا خمـرا ومن يدها * خمرا فـا لك من سُكرين من بُدِّ

فقال له: صدقت.

ثم أقبل على دعبل فقال له: وأنت يا أبا علىّ، فكأنى بك تنشد قولك:

أين الشبابُ وأيَّـةً سلَكا * لا أينَ يُطلَب ضلّ بلْ هلَكا
لا تعجبى يا سَلْمَ من رجُلٍ * ضحِكَ المشيبُ برأسه فبكى

فقال: صدقت. ثم أقبـل على أبى الشيص، فقـال له: وأنت يا أبا جعفـر، فكأنى بك وقد أنشدتَ قولك:

لا تنكرى صـدِّى ولا إعراضى * ليس المقلُّ عن الزمان براضِ

فقال له: لا. ما هـذا أردت أن أنشــد، ولا هذا بأجود شىء قلتـه. قالوا: فأنشدنا ما بدا لك. فأنشدهم قوله:

صـــوت

وقف الهوى بى حيثُ أنتِ فليسَ لى * متأخَّــرٌ عنــهُ ولا متقــدَّمُ
أجِـدُ المــلامةَ فى هـواكِ لذيذةً * حبـا لذكرك فليَلُمْنى اللُّــوَّم
أشبهتِ أعــدائى فصرتُ أُحِبُّهـمْ * إذ كان حظى منـكِ حظِّى منهـمُ
وأهنتِـنى فأهنتُ نفسىَ صـاغرًا[1] * ما مَنْ يهون عليــك ممن يُكْرَمُ[2]

لعَريب فى هذا الشعر لحنان: ثقيلٌ أوّل، ورمل.

(١) ا، م: عامدا. (٢) ا، م: أكرم.

قال : فقال أبو نواس ، أحسنتَ والله وجودت ! وحياتك لأسرقنّ هذا المعنى منك ، ثم لأغلبنك عليه ، فيشتهر ما أقول ، ويموت ما قلت . قال : فسرق قوله :

وقَفَ الهوى بي حيثُ أنتِ فليس لي * متأخَّرٌ عنه ولا متقدَّمُ

سَرَقا خَفيا[1] ، فقال في الخصيب :

فما جازه جودٌ ولا حل دُونَهُ * ولكن يسير الجودُ حيث يسيرُ

فسار بيت أبي نواس ، وسقط بيت أبي الشيص .

مجلس شعري آخر

نسخت من كتاب جدّي لأمي يحيي بن محمد بن ثوابة بخطه :

حدّثني الحسن بن سعد قال : حدّثني رَزين بن عليّ الخزاعيّ أخو دعبل قال :

كنا عند أبي نواس أنا ودعبل وأبو الشيص ومُسلم بن الوليد الأنصاريّ ، فقال أبو نواس لأبي الشيص : أنشدني قصيدتك المُخْزية . قال : وما هي ؟ قال : الضادية . فما خطر بخَلَدي قولك :

* ليس المقلّ عن الزمان براضِ *

إلا أخزيتُك[2] استحسانا لها ، فإنّ الأعشى كان إذا قال القصيدة عرضها على ابنته ، وقد كان ثقّفها وعلمها ما بلغت به استحقاق التحكيم والاختيارِ لجيد الكلام ، ثم يقول لها : عُدّي لي المُخْزِيات ، فتعدُّ قوله :

أغَـرُّ أرْوَعُ يُستسقَى الغمام بـه * لوْ قارعَ الناسَ عن أحسابهم قَرَعا

وما أشبَهها من شعره . قال أبو الشيص : لا أفعل . إنها ليست عندي عِقْدَ دُرٍّ مفصّل ، ولكني أكاثر بغيرها ، ثم أنشده قوله :

وقَفَ الهوى بي حيثُ أنت فليسَ لي * متأخَّـر عنـه ولا متقـدَّم

(١) كذا في أ ، م . وفي بقية الأصول : خفيفا . (٢) أخزيتك : قلت : أخزاه الله ! .

الأبيات المذكورة . فقال له أبو نواس : قد أردت صرفك عنها ، فأبيت أن تخلّى عن سلبك ، أو تُدْرِكَ فى هربك . قال : بل أقول فى طلبى[1] ، فكيف رأيت هذا الطراز؟ قال : أرى نمطا خُسْرُوانيا مُذْهَبا حسنا ، فكيف تركت :

فى رداء من الصفيح صقيل * وقميص من الحديد مُذال[2]

قال : تركته كما ترك مختار الدرّتين إحداهما ، بما سبق فى ألحاظه ، وزُيّن فى ناظره .

تفضيل أبى نواس له

أخبرنى الحسن بن علىّ قال : حدّثنى ابن مهرويه قال : حدّثنى أبى قال : حدّثنى من قال لأبى نُواس : من أشعر طبقات المحْدَثين؟ قال : الذى يقول :

يطوفُ علينا بها أحورٌ * يداه من الكأس مخضوبتان

والشعرُ لأبى الشّيص .

شعره فى خادم أبى دلف العجلى

أخبرنى الحسين بن القاسم الكوكبىّ قال : حدّثنى الفضل بن موسى بن معروف الأصبهانىّ قال : حدّثنى أبى قال :

دخل أبو الشيص على أبى دُلَف وهو يُلاعب خادما له بالشّطْرَنْج ، فقيل له : يا أبا الشيص ، سل هذا الخادم أن يَحُلّ أزرار قميصه . فقال أبو الشيص : الأمير أعزه الله أحق بمسألته . قال : قد سألته ، فزعم أنه يخاف العين على صدره ، فقل فيه شيئا . فقال :

وشادنٍ كالبدر يجلو الدُّجَى * فى الفرق منه المسكُ مذرورُ

يُحاذر العينَ على صدره * فالجيبُ منه الدهرَ مزرور

(١) يريد : أبيت أن يدركنى أحد فى طلبى لمعانى الشعر المبتكرات .

(٢) يظهر من السياق أن هذا البيت من قصيدة لأبى الشيص أعجب بها أبو نواس ، ولكن أبا الشيص لم يذكرها فى هذا المجلس .

فقال أبو دُلَف : وحياتى لقد أحسنت ! وأمر له بخمسة آلاف درهم . فقال الخادم : قد والله أحسن كما قلت، ولكنك أنت ما أحسنت! فضحك، وأمر له بخمسة آلاف أخرى .

عشقه لقينة بغدادى

أخبرنى محمد بن عمران الصَّيْرَفِىّ قال : حدّثنا الحسن بن عُلَيل العَنَزِىّ قال : حدّثنى على بن سعد بن إياس الشيبانىّ قال :

تعشق أبو الشيص محمدُ بن رَزِين قينةً لرجل من أهل بغداد ، فكان يختلف إليها ، وينفق عليها فى منزل الرجل ، حتى أتلف مالا كثيرا . فلما كُفّ بصره ، وأخفق ، جعل إذا جاء إلى مَولى الجارية يَحجُبه، ومنعه من الدخول ، فجاءنى أبو الشيص، فشكا إلىّ وجدَه بالجارية ، واستخفاف مولاها به ، وسألنى المُضِىّ معه إليه ، فمضيت معه، فاستؤذن لنا عليه، فأذن ، فدخلت أنا وأبو الشيص، فعاتبته فى أمره، وعَظَّمت عليه حقه ، وخوفته من لسانه ومن إخوانه ، فجعل له يوما فى الجمعة يزورها فيه، فكان يأكل فى بيته ، ويحمل معه نبيذه ونُقْلَه ، فمضيت معه ذات يوم إليها، فلما وقفنا على بابهم، سمعنا صُراخا شديدا من الدار، فقال لى : ما لها تصرخ ؟ أتراه قد مات لعنه الله ! فما زلنا ندق الباب حتى فُتِح لنا، فإذا هو قد حَسَر كميه وبيده سوط ، وقال لنا : ادخلا ، فدخلنا ، وإنما حمله على الإذن لنا الفَرَق منى ، فدخلنا وعاد الرجل إلى داخلٍ يضربها ، فاستمعنا عليه واطلعنا ، فإذا هى مشدودة على سُلَّم وهو يضربها أشد ضرب، وهى تصرخ ، وهو يقول : وأنت أيضا فاسرقى الخبز . فاندفع أبو الشيص على المكان يقول فى ذلك :

يقولُ والسوط على كفّه * قد حَزّ فى جلدتها حَزّا
وهى على السُّلَّم مشدودة * «وأنتِ أيضا فاسرقى الخُبْزا»

قال : وجعل أبو الشيص يُرَدِّدُهما ، فسمعهما الرجل ، فخرج إلينا مبادرا ، وقال له : أنشدنى البيتين اللذين قلتهما ، فدافعه ، فحلف أنه لابد من إنشادهما ، فأنشده إياهما ، فقال لى : يا أبا الحسن ، أنت كنت شفيع هذا ، وقد أسعفتك بما تحب ، فإن شاع هذان البيتان فضحتنى ، فقل له يقطع هذا ، ولا يُسمِعْهما ، وله على يومان فى الجمعة . ففعلت ذلك ، ووافقته عليه ، فلم يزل يتردد إليه يومين فى الجمعة حتى مات .

شعره فى جارية سوداء عشقها

أخبرنى محمد بن خَلَف بن المرزُبان قال : حدثنى أحمد بن عبد الرحمن الكاتب ، عن أبيه قال :

كانت لأبى الشَّيص جارية سوداء اسمها تِبْر ، وكان يتعشقها ، وفيها يقول :

لم تُنْصِفِى يا سَمِيَّةَ الذَّهَبِ * تَتلَفُ نفسى وأنت فى لَعِبِ
يابنة عم المِسكِ الذكى ومَن * لولاك لم يُتَّخَذْ ولم يَطِبِ
ناسَبَكِ المسكُ فى السواد وفى الـ * ـريح فأكرم بذاك من نسبِ

شعره فى محمد بن إسحاق لما تغير له

أخبرنى الحسن بن علىّ قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال : حدثنا علىّ بن محمد النَّوفلىّ ، عن عمه قال :

كان أبو الشَّيص صديقا لمحمد بن إسحاق بن سليمان الهاشمىّ ، وهما حينئذ مُملقان ، فنال محمد بن إسحاق مرتبة عند سلطانه ، واستغنى ، فجفا أبا الشيص ، وتغير له ، فكتب إليه :

الحمدُ لله رب العالمَين على * قُربِى وبعدِكَ منى يابن إسحاقِ
ياليتَ شعرى متى تُجدِى علىّ وقد * أصبحتَ رب دنانير وأوراقِ
تُجدِى علىّ إذا ما قيلَ مَنْ راقِ * والتفت الساقُ عند الموت بالساقِ
يومٌ لعمرى تَهُمُّ الناسَ أنفسُهم * وليس ينفع فيه رُقيةُ الراقِى

وصفه

حدثنى محمد[1] بن العباس اليزيدىّ قال : حدثنا أبو العباس بن الفرات قال :

كنت أسيرُ مع عبيدالله بن سليمان، فاستقبله جعفر بن حَفْص على دابّة هزيل، وخلفه غلام له، وشيخ على بغل له هَرِم، وما فيهم إلا نِضْو، فأقبل علىّ عبيد الله ابن سليمان فقال : كأنهم والله صِفة أبى الشيص حيث يقول :

أكَلَ الوجيفُ[2] لحومَها ولحومَهمْ * فأتوكَ أنقاضا علـى أنقاض

مقتله

وقال عبد الله بن المعتز : حدثنى أبو مالك عبد الله قال : قال لى عبد الله ابن الأعمش :

كان أبو الشِّيص عند عُقبةَ بن جعفر بن الأشعث الخُزاعىّ يشرب، فلما ثَمِل نام عنده، ثم انتبه فى بعض الليل، فذهب يَدِبّ إلى خادم له، فوجأه بسكين، فقال له : ويحك! قتلتنى والله! وما أحب والله أن أفتضح أنى قُتِلت فى مثل هذا، ولا تُفضَح أنت بى، ولكن خذ دَسْتيجة[3] فاكسِرْها ولوثها بدمى، واجعل زجاجها فى الجُرح، فإذا سئِلت عن خبرى، فقل : إنى سقطت فى سكرى على الدستيجة فانكسرت، فقتلتنى، ومات من ساعته. ففعل الخادم ما أمره به، ودُفن أبو الشيص، وجزع عُقْبة عليه جزعا شديدا. فلما كان بعد أيام سكر الخادم، فصدق عقبةَ عن خبره، وأنه هو قتله، فلم يُلْبثه أن قام إليه بسيفه، فلم يزل يضرب به حتى قتله.

✧

صــــوت

مدح الكميت مخلد ابن يزيد بن المهلب وفيه غناء

هَلّا سألتَ معالمَ الأطلالِ * والرسمَ بعد تقادم الأحوالِ

دِمَنًا تَهيجُ رسومُها بعد البلى * طَرَبا وكيف سؤالُ أعجمَ بالِ

(١) أ : على بن العباس.
(٢) الوجيف : السير السريع.
(٣) الدستيجة : الإناء الكبير من الزجاج.

يمشين مشى قطا البطاح تأوّدا * قُبّ البطون رواجح الأكفالِ
من كل آنسة الحديث حَيِيَّةٍ * ليست بفاحشةٍ ولا مِتْفالِ
أقصَى مذاهبها إذا لاقيتَها * فى الشهر بين أسِرَّةٍ وحِجالِ
وتكونُ رِيقتُها إذا نبهتَها * كالشهدِ أو كسُلافة الجِريالِ

المتفال : المنتنة الريح . والجريال فيما قيل : اسم للون الخمر . وقيل : بل هو من أسمائها . والدليل على أنه لونها قول الأعشى :

وسُلافةٍ مما تعتق بابل * كدم الذبيح سلبتُها جِرْيالَهَا

قال سِماك بن حَرْب : حدثنى يُحَنَّس بن مَتّى الحِيرىّ راوية الأعشى : أنه سأله عن هذا البيت فقال : سلبتها لونها : شربتها حمراء، وبُلْتها بيضاء .

الشعر فى هذا الغناء المذكور للكُميت بن زيد، والغناء لابن سُرَيج، ثقيل أول بالبنصر، عن عمرو بن بانة . وذكر المكّى أنه لابن مُحرز . وفيه لعَطَرّد خفيف ثقيل . وهذا الشعر من قصيدة للكميت ، يمدح بها مَخْلَد بن يزيدَ بن المهلّب ، يقول فيها :

قادَ الجيوش لخمسَ عَشرةَ حِجّةً * ولِداتُهُ عن ذاك فى أشغالِ
قعدتْ بهم هِمّاتُهم وسَمَتْ به * هِمَمُ الملوك وسَوْرَةُ الأبطالِ
فكأنما عاشَ المهلّبُ بينهمْ * بأغرَّ قاسَ مثالَه بمثالِ
فى كفّه قَصَبات كلّ مُقَلَّدٍ * يومَ الرِّهان وفوزُ كلِّ نِصالِ
ومتَى أزِنْك بعشر وأزنهمُ * بك ألفِ وزنك أرجحَ الأثقالِ

تمّ الجزء السادس عشر من كتاب الأغانى

مطابع كوستاتسوماس وشركاه

٥ شارع وقف الخربوطلي بالظاهر – ٩٠١١٨

القاهرة


Bibliotheca Alexandrina
0488347